موسوعة العقيدة
[٥]

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

المجلد الخامس





حرف الغين

الغرباء

يراجع مصطلح (غربة الإسلام).

غربة الإسلام

التعريف لغة:

تطلق كلمة الغربة في اللغة ويراد بها: البعد عن الشيء والتنحي والنأي عنه.

يقال: غرب عن الشيء يغرب غَرْبًا؛ إذا تنحَّى[(١)].

ومنه قيل للبعيد عن الوطن: غريب.

قال ابن فارس: «والغربة: البعد عن الوطن، يقال: غربت الدار، ومن هذا الباب: غروب الشمس، كأنه: بعدها عن وجه الأرض، وشأوٌ مُغرِب؛ أي: بعيد»[(٢)].

التعريف شرعًا:

غربة الإسلام هي: بقاء أهل الله وأهل سُنّة رسوله ﷺ المتمسِّكين بالدين؛ على الحق، وبُعدهم عن طرائق أهل الباطل[(٣)].

سبب التسمية:

غربة الإسلام إنما هي من غربة أهله القائمين به، فهم الغرباء، وسمّوا بذلك لعدة أمور؛ **منها**:

- قلَّتهم في الناس جدًّا، فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء[(٤)].
- قلة المستجيبين لهم والقابلين منهم، وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم[(٥)].
- أنهم أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم.
- أنهم الذين يصلحون إذا فسد الناس.
- أنهم النزّاع من القبائل.
- أنهم القابضون على الجمر لشدة تمسكهم بدينهم.

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١١٧) [دار صادر، ط١].

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٢١) [دار الفكر، ط١].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ١٨٦) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ]، والغرباء للآجري (٢٤) [دار الخلفاء، ط١، ١٤٠٣هـ]، وكشف الكربة في وصف أهل الغربة لابن رجب (٣٤) [دار ابن رجب، ط١، ١٤٢٢هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/ ٢٣) [دار ابن عفان، ط١].

(٤) مدارج السالكين (٣/ ١٨٦).

(٥) كشف الكربة في وصف أهل الغربة، لابن رجب (٤٥).

فهذه الأمور تبيِّن سبب تسميتهم بالغرباء، كما توضح غربة ما هم عليه في الدين.

الحقيقة:

أنّ الناس كانوا قبل البعثة على ضلالة عامة، فلمَّا بُعث النبي ﷺ ودعا إلى الإسلام لم يُستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد على خوف وحذر.

وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين يشرَّدون كل مشرد، ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية، كما هاجروا إلى الحبشة مرتين، ثم هاجروا إلى المدينة. وكان منهم من يُعذَّب في الله ومنهم من يُقتل، فكان الداخلون في الإسلام حينئذٍ غرباء، ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة وعزَّ، وصار أهله ظاهرين كل الظهور، ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجًا، وكانوا على ذلك زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم أعمل الشيطان مكائده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم، وأفشى فيهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئًا فشيئًا حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق، فأصبحوا متقاطعين متباغضين بعد أن كانوا إخوانًا متحابين متواصلين، وأصبحوا أعداء وفرقًا وأحزابًا، ولم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية.

وهم في آخر الزمان الغرباء الذين يَصلُحون إذا فسد الناس، وهم الذين يُصلِحون ما أفسد الناس من السُّنَّة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن[1].

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء**»[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: «**طوبى للغرباء**»، فقيل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[3].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[4].

أقوال أهل العلم:

١ ـ قال الأوزاعي: «...أمَا إنّه ما

(١) انظر: كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٥)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ١٧٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ].
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٥).
(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٢٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٤) [دار الحرمين]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٧٨) [مكتبة القدسي]: (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٦١٩).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤١٦).

يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السُّنَّة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد»[١].

٢ ـ قال سفيان الثوري: «استوصوا بأهل السُّنَّة فإنهم غرباء»[٢].

٣ ـ قال ابن القيم: «الإسلام الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة، فالإسلام الحقيقي غريب جدًّا، وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس»[٣].

الأقسام:

أهل الغربة قسمان:

أحدهما: من يصلح نفسه عند فساد الناس.

والثاني: من يصلح ما أفسد الناس من السُّنَّة، وهو الأعلى من القسمين، وهو أفضلهما[٤].

المسائل المتعلقة:

من المسائل المتعلقة بغربة الإسلام:

ـ المسألة الأولى: ذهاب الإيمان آخر الزمان:

وهذا من علامات قرب قيام الساعة كما قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»[٥]، وهذا لأنّ الساعة إنما تقوم على شرار الخلق، وهذا حين يرسل الله الريح التي تقبض أرواح أهل الخير كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، ... فيبقى شرار الناس»[٦]. وهذا يدل على غربة الإسلام وأهله في آخر الزمان؛ لأنهم في ذلك الوقت قليل، كما يفهم من قوله ﷺ: «**وسيعود غريبًا**».

قال القاضي عياض: «وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من النّاس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضًا كما بدأ»[٧].

ولا تعارض بين هذا وبين قوله ﷺ: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله، قاهرين لعدوِّهم، لا يضرُّهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك**»[٨]؛ لأن المقصود قرب قيام الساعة، وليس إلى قيامها بالفعل؛ لأنها

(١) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٩).
(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ٧١) [دار طيبة، ط٨، ١٤٢٣هـ].
(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٨٦).
(٤) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (٣٩).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٨).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).
(٧) إكمال المعلم (١/ ٤٥٦) [دار الوفاء، ط١].
(٨) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٢٤).

كما مرَّ لا تقوم إلا على شرار الخلق[(١)].

ـ المسألة الثانية: عظم ثواب الغرباء:

وعد الله تعالى عباده المؤمنين المتمسِّكين بدينه ثوابًا عظيمًا وأجرًا كريمًا، ويزيد هذا الثواب ويعظم كلّما زادت مشقة هذا التمسك، واشتد الصبر على هذا الأمر. وقد بيّن النبي ﷺ عظم هذا الأجر في كثير من الأحاديث، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**. قال: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: **أجر خمسين منكم**»[(٢)].

قال ابن القيم معلقًا على هذا الحديث: «وهذا الأجر العظيم إنما هو لغربته بين الناس، والتمسك بالسُّنَّة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم»[(٣)].

ولغربتهم كذلك وُعدوا بطوبى، كما في قوله ﷺ: «**طوبى للغرباء**»[(٤)]؛ أي: الجنة لأولئك المسلمين الذين قلّوا في أول الإسلام، وسيقلُّون في آخره، وإنما خصَّهم بصبرهم على أذية الكفار وأهل الابتداع[(٥)].

فهذه بعض النصوص التي تدل على فضل الغربة وثواب الغرباء.

ـ المسألة الثالثة: كيفية دفع الغربة:

إنّ الغربة التي يعيشها المسلم الصادق لا تجعله راضيًا بالواقع الذي هو فيه، غير مهتم بمن حوله، ولا بعيدًا عن الناس، منطويًا عنهم مطلقًا، بل عليه الاقتداء بالنبي ﷺ في مثل هذه الأحوال، فقد عاش ﷺ وأصحابه في بداية الإسلام غربة شديدة، كما أخبر ﷺ عن ذلك بقوله: «**بدأ الإسلام غريبًا**»[(٦)]. ومع ذلك فقد كان ﷺ يدعو الناس إلى التوحيد، ويبذل الغالي والنفيس ليصل الخير إلى جميع الناس، فقد كان ﷺ يطوف على الناس ويقول: «**قولوا لا إلٰه إلا الله تفلحوا**»[(٧)].

فكان ﷺ يدعو إلى توحيد الله وعبادته ولا يثنيه عن ذلك الغربة التي كان يعيشها، بل كان في ذلك صابرًا رغم الأذى والابتلاء من القريب قبل البعيد،

(١) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/٤٠٥) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٤١)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٥٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٤)، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣١٧٢).

(٣) مدارج السالكين (٣/١٨٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير للأمير الصنعاني [مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٣٣هـ].

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه ابن خزيمة (كتاب الوضوء، رقم ١٥٩)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٥٦٢)، والحاكم (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤٢١٩) وصححه.

فهذا الأصل الذي هو الدعوة إلى التوحيد والصبر على الأذى فيه هو الذي يجب على الغريب التمسك به والدعوة إليه، وهو من أعظم ما تدفع به الغربة.

ـ **المسألة الرابعة: مظاهر غربة الإسلام:**

من مظاهر غربة الإسلام أمور؛ منها:

ـ ظهور الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

ـ كثرة الأئمة المُضلِّين.

ـ اتخاذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا.

ـ انتشار الزندقة والإلحاد.

ـ كثرة مظاهر الشرك الأصغر في هذه الأزمنة.

ـ البدع المُضلَّة في أكثر الأقطار الإسلامية، وغلبة ذلك على الأكثرين.

ـ فشو المنكرات، والتهاون بالفرائض كالصلاة والصيام والزكاة، والتثاقل عن أداء الحج.

ـ ترك الجهاد في سبيل الله

ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الغرباء»، للآجري.

٢ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة»، للالكائي.

٣ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٤ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ ـ «كشف الكربة في وصف أهل الغربة»، لابن رجب.

٦ ـ «الاعتصام»، للشاطبي.

٧ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض.

٨ ـ «غربة الإسلام»، لحمود التويجري.

٩ ـ «القول المفيد»، لابن عثيمين.

الغضب

التعريف لغةً:

الغين والضاد والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شدَّة وقُوّة[1]، وهو ضد الرضا[2].

والغضب عند المخلوق منه المحمود ومنه المذموم[3].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية لله تعالى تليق بجلاله وعظمته، كما أثبت ذلك هو لنفسه، وجعله متعلقًا بوقوع موجبه كالشرك به، ومخالفة أمره ونحو ذلك.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين التعريفين من حيث إفادة عدم الرضا، إلا أن المعنى الشرعي مختص بمعنى الكمال والمدح في هذا

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٢٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) القاموس المحيط (١٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢].
(٣) لسان العرب (١/٦٤٨) [دار صادر].

الوصف، أما التعريف اللغوي فيدخل فيه الغضب بمعنى لا يدل على الكمال، كما هو الواقع في حال كثير من الناس في وقوع الغضب منهم على حظوظ يفوّتون معها العدل والأمانة.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الغضب لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الحقيقة:

الغضب صفة فعلية لله تعالى، تليق بعظمته سبحانه، ومن المعلوم أن من كان يوصف بالرضا والغضب أكمل ممَّن لا يوصف بهما، أو لا يوصف إلا بأحدهما؛ فوضع الشيء في موضعه هو محل التمدح والكمال.

قال أبو العباس ابن تيمية: «ولهذا وُصف الرب بالعلم دون الجهل، والقدرة دون العجز، والحياة دون الموت، والسمع والبصر والكلام دون الصم والعمي والبكم، والضحك دون البكاء، والفرح دون الحزن. وأما الغضب مع الرضا، والبغض مع الحب، فهو أكمل ممن لا يكون منه إلا الرضا والحب دون البغض والغضب للأمور التي تستحق أن تذم وتبغض، ولهذا كان اتصافه بأنه يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعز ويذل، أكمل من اتصافه بمجرد الإعطاء والإعزاز والرفع؛ لأن الفعل الآخر حيث تقتضي الحكمة ذلك أكمل ممن لا يفعل إلا أحد النوعين ويخل بالآخر في المحل المناسب له، ومن اعتبر هذا الباب، وجده على قانون الصواب، والله الهادي لأولي الألباب»[(١)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥]: «أغضبونا»[(٣)].

وروي مثل ذلك عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمٰن بن زيد[(٤)].

(١) الرسالة الأكملية، مجموع الفتاوى (٦/ ٩٢).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).
(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٤) المصدر السابق (٢١/ ٦٢٢).

وقال الخلال: «وذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه إلى أن الله تعالى يغضب ويرضى، وأن له غضبًا ورضًا، وقرأ أحمد قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۝٨١﴾ [طه]، فأضاف الغضب إلى نفسه»[١].

وقال الطحاوي في عقيدته: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»[٢].

وقال أبو العباس ابن تيمية: «ووصف نفسه بالغضب فقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: ٦]، ووصف عبده بالغضب في قوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وليس الغضب كالغضب»[٣].

وقال ابن أبي العز: «ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضا، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسُّنَّة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى»[٤].

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «واعلم أن الغضب صفة وصف الله بها نفسه إذا انتهكت حرماته، تظهر آثارها في المغضوب عليهم، نعوذ بالله من غضبه جل وعلا، ونحن معاشر المسلمين نمرها كما جاءت، فنصدق ربَّنا في كل ما وصف به نفسه، ولا نكذب بشيء من ذلك، مع تنزيهنا التام له جل وعلا عن مشابهة المخلوقين سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا»[٥].

المسائل المتعلقة:

- ورود الأسف في النصوص:

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزخرف]، ومعنى قوله: ﴿ءَاسَفُونَا﴾؛ أي: أسخطونا، كما ورد عن ابن عباس[٦]، وعن الضحاك وغيره: أغضبونا[٧].

فالأسف بمعنى الغضب[٨].

الآثار:

١ ـ الخوف من الله تعالى، والحذر من عاقبة غضبه سبحانه، فيطاع أمره، ويجتنب ما نهى عنه.

(١) عقيدة الإمام أحمد للخلال (١٠٩) [دار قتيبة، ط١، ١٤٠٨هـ].
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط٥].
(٣) التدمرية (٢٩) [ط١، ١٤٠٥هـ].
(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٨٥).
(٥) أضواء البيان (٤/ ١٤٧) [دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ].
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ٦٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده حسن.
(٧) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢١/ ٦٢١)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٢)، وتفسير السعدي (٧٦٧).
(٨) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤٤٢، ٦٦٢)، والعقيدة الواسطية مع شرح ابن عثيمين (٢٢٤)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ٣٠).

٢ ـ الاعتبار بحال المغضوب عليهم، والاستعاذة من حالهم، والحذر من سلوك سبيلهم.

٣ ـ أن يكون غضب المؤمن موافقًا لما يُغضب الله تعالى، ويجتنب الغضب الذي يبغضه الله تعالى.

٤ ـ ظهور سُنَّة الله تعالى في أعدائه المكذبين لرسله، المعادين لأوليائه، بنزول العقوبة بهم، وجعلهم عبرة لمن بعدهم، كما قصَّ الله تعالى عن كثير منهم.

٥ ـ الفرقان بين الحق والباطل؛ بظهور سبيل الله وعلوِّها، ودحر سبيل الشيطان وزهوقها؛ فلا تستوي عاقبة من رضي عنه الله ﷿ ومن غضب عليه، فمن عقل أدرك الفرقان.

٦ ـ ظهور آثار الذنوب والمعاصي في الأرض من المصائب والابتلاءات، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما ارتفع إلا بتوبة، وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى].

مذهب المخالفين:

خالف في هذه الصفة عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فنفوها عن الله تعالى؛ بحجة استلزامها للتشبيه وإضافة النقص إلى الله تعالى؛ إذ إن الغضب ـ كما يقولون ـ غليان دم القلب، والله تعالى منزَّه عن مثل هذا.

يقول فخر الدين الرازي: «الغضب عبارة عن التغير الذي يعرض للإنسان في مزاجه عند غليان دم قلبه؛ بسبب مشاهدة أمر مكروه وذلك محال في حق الله تعالى، فهو محمول على إرادته لمن عصاه الإضرار من جهة اللعن والأمر بذلك»[1].

والرد عليهم:

الرد بنفي هذا اللازم الذي ذكروه في إثبات الصفة، فأهل السُّنَّة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين.

وما هذه الإلزامات التي يوردونها على الإثبات إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص

(١) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) (٣/١٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقِدَم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء منها[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أضواء البيان»، للشنقيطي.

٢ ـ «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ ـ «تفسير الطبري».

٤ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٧ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٨ ـ «عقيدة الإمام أحمد»، لأبي بكر الخلال.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الغفران

يراجع مصطلح (المغفرة).

الغفّار

التعريف لغةً:

الغفّار من مادّة (غ ـ ف ـ ر)، والغين والفاء والراء أصل يدل على الستر غالبًا، وأَصل الغَفْرِ: التغطية والستر، مع الوقاية من وقوع الشر، ومنه المغفر الذي يوضع على الرأس ففيه ستر للرأس مع وقايته من الشر[(٢)].

التعريف شرعًا:

الغفّار سبحانه: هو الذي يستر ذنوب عباده بفضله، ويقيهم شرها بعدم محاسبتهم ومعاقبتهم عليها[(٣)].

(١) انظر: جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم (٨٥) [عالم الكتب، بيروت]، والرسالة الأكملية لابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦/ ١١٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ١١٢) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٨٥) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، ولسان العرب (٥/ ٢٥) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٢/ ١٨٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٧٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

۞ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي يوافق المعنى اللغوي، إلا أن المعنى اللغوي عام شامل لكل ما يستر ويغطي، والمعنى الشرعي مخصِّص للمعنى اللغوي، فهو خاص بستر ذنوب العباد، مع التجاوز عنهم.

۞ الأسماء الأخرى:

الغفور.

۞ الحُكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وعدم تأويله، أو تعطيله.

۞ الحقيقة:

اسم الله الغفّار متضمن لصفة المغفرة، ومعناها وقاية شرّ الذّنب بحيث لا يعاقب عليه، فمن غفر ذنبه لم يعاقب. وأمّا مجرّد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن[(١)].

۞ الأهمية:

معرفة هذا الاسم الجليل والإيمان به له أهمية بالغة وعظيمة في حياة العبد ومسيره إلى الله، وله تأثير في سلوكه وعبوديته، فهو يجعل العبد يتوب إلى الله وينيب إليه مهما كثرت ذنوبه وتكررت، فلا ييأس من رحمة الله، فإنه لن يعدم خيرًا من ربٍّ غفار كثير المغفرة، وأهل لها، فلا يجعل للشيطان عليه سبيلًا.

وعلمه بهذا الاسم وباسم الغفور والعفو والتوَّاب «باب عظيم لنيل عالي المقامات، ولا سيِّما مع مجاهدة النفس على تحقيق مقتضياتها من لزوم الاستغفار، وطلب العفو، ودوام التوبة، ورجاء المغفرة، والبعد عن القنوط وتعاظم غفران الذنوب، فهو سبحانه عفوٌّ غفور، لا يتعاظمه ذنب أن يغفره مهما بلغ الذنب وعظم الجرم»[(٢)].

۞ الأدلة:

ورد اسم الله (الغفار) في القرآن الكريم في مواطن عدة؛ منها في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ [ص]، وقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه].

ومن السُّنَّة حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا تضوَّر ـ أي تقلَّب ـ من الليل قال: «**لا إلٰه إلا الله الواحد القهَّار ربّ السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**»[(٣)].

(١) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٧٦).

(٢) فقه الأسماء الحسنى للبدر (١٤٥) [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (كتاب النعوت، رقم ٧٦٤١)، وابن حبان (كتاب الزينة والتطييب، رقم ٥٥٣٠)، والحاكم (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، رقم ١٩٨٠) وصححه، وقال المناوي في فيض القدير (٥/ ١٤٤): «قال =

أقوال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: (العزيز الغفَّار) يقول: العزيز في نقمته من أهل الكفر به، المدّعين معه إلهًا غيره، الغفَّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأناب إلى الإيمان به، والطاعة له بالانتهاء إلى أمره ونهيه»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتفسير اسم الله الغفّار بأنّه السَّتَّار هذا تقصيرٌ في معنى الغفر؛ فإنّ المغفرة معناها وقاية شرّ الذّنب بحيث لا يعاقب على الذّنب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه. وأمّا مجرّد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذّنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له، وإنّما يكون غفران الذّنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقّة بالذّنب»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(الغفّار) لجميع الذنوب، صغيرها، وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها، فهذا الذي يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئًا، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا الثابتة (الغفور): قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [يوسف]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ].

ـ المسألة الثانية: لا يجوز تسمِّي العباد بهذا الاسم فهو مختص بالله تعالى.

ـ المسألة الثالثة: أن الله سبحانه مع أنه غفار لكنه لا يغفر الشرك إلَّا بالتوبة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] في موضعين من القرآن، وما دون الشرك فهو مع التوبة مغفور، وبدون التوبة معلّق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذا في حق التائبين، ولهذا عمّم وأطلق وحتّم أنه يغفر الذنوب جميعًا، وقال في تلك الآية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فخصَّ ما دونَ الشِّركِ وعلَّقهُ بالمشيئة، فإذا كانَ الشِّركُ لا يُغفَرُ إلَّا بتوبَةٍ؛ وأمّا ما دونهُ فيغفِرُهُ الله للتّائبِ؛ وقد يَغفِره بدونِ التّوبةِ لِمن يَشاءُ[(٤)]، وهذا بخلاف المعتزلة والخوارج القائلين بالعذاب الدائم،

= الحافظ العراقي في أماليه: صحيح»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٩٨).

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٧٦).

(٣) تفسير السعدي (٧١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٧٥).

والبقاء المخلد في النار لمن مات ولم يتوب من أصحاب الكبائر الموحدين، والدليل لمذهب أهل الحق الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن صاحب الكبيرة إنما يغفر الله له أو يعذبه مدة ثم يخرجه من النار فلا يخلده فيها.

- المسألة الرابعة: أن هذا الاسم يتضمن صفة المغفرة لله تعالى:

وهي صفة فعلية لله تعالى، دل عليها الكتاب والسُّنَّة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولمَّا كان قد ثبت بالقرآن أنه غفَّار للتائبين رحيم بالمؤمنين عُلم أنه موصوف بالمغفرة والرحمة»[(٢)].

۞ الفروق:

الفرق بين الغفور والغفَّار:

الغفور: مبالغة من غافر، ومعناه الكثير الستر على عباده[(٣)]، والغفَّار: هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة كلما تكررت التوبة من الذنب تكررت المغفرة[(٤)].

۞ الآثار:

١ - توحيد الله في اسمه الغفار يقتضي كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله مهما بلغت كمية الذنوب وكثرتها وعظمتها، فالغفار سبحانه كثير المغفرة، روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: أذنب عبد ذنبًا فقال: اللَّهُمَّ اغفر لي ذنبي، فقال: تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**»[(٥)].

٢ - لاسم الله (الغفار) أثره العظيم في محبته وعدم اليأس من رحمته سبحانه وتعالى؛ فالله لا يعذب مستغفرًا، والله واسع المغفرة ويغفر لكل من أتاه تائبًا مهما

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة، رقم ٢٦٨٧).

(٢) منهاج السُّنَّة (٣/ ١٠١) [جامعة الإمام، ط١].

(٣) انظر: شرح النونية لهراس (٢/ ٤٨١).

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٥).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٨).

كان ذنبه حتى الشرك كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

٣ ـ حظ العبد من هذا الاسم أن يستر عن غيره ما يحب أن يُستر منه، فمن ستر مسلمًا ستر الله عليه، فالجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن].

٤ ـ أن يعلم العبد أن اتصاف الله بكونه غفَّارًا للذنوب هو محض فضله وكرمه ورحمته بهم، فهو غني عنهم، لا تنفعه طاعاتهم، ولا تضره معاصيهم وشركهم، كما أنه لا يغفر لهم خوفًا منهم بل هو عزيزٌ قويٌّ قهَّار، لذلك قرن اسمه الغفار بالعزيز، فمع عزته وقهره إلا أنه غفور رحيم[(١)].

مذهب المخالفين:

خالف المعتزلةُ والأشاعرة والماتريدية أهلَ السُّنَّة والجماعة في هذا الاسم الجليل، من حيث تفسيرهم له بمعنى غير صحيح ودلالته على الصفة؛ فرارًا منهم من إثبات صفة المغفرة لله على وجهها الحقيقي، خوفًا من التشبيه، ففسر هؤلاء (الغفار) بأنه المريد لإزالة العقوبة عن مستحقها فهو راجع إلى صفة الإرادة، أو الغالب الذي يقدر على أن يعالجهم بالعقوبة، وهو يحلم عنهم ويؤخرهم إلى أجل مسمَّى، فسمَّى الحلم عنهم مغفرة[(٢)].

الردّ عليهم:

هذا التفسير مجانب للصواب ولما عليه السلف، وتفسيرهم المغفرة بالإرادة يلزم منه ما فرّوا منه من التشبيه، وإلا فإن أثبتوا إرادة للخالق لا تشبه إرادة المخلوق، فلْيثبتوا مغفرة للخالق لا تشبه مغفرة المخلوق، فالباب واحد، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر. ثمّ إن الاسم من أسماء الله تعالى له دلالات؛ فيدل على ذات الله وعلى الصفة بالمطابقة، ويدل على الصفة وحدها بالتضمن، وعلى صفة أخرى باللزوم، فالغفَّار: يدل على ذات الله سبحانه وتعالى وعلى صفة المغفرة، بالمطابقة، وعلى صفة الرحمة والقدرة والعلم باللزوم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، لعماد زكي البارودي.

(١) انظر النهج الأسمى (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٤٩)، والمواقف للإيجي (٣/ ٣٠٧، ٣١٧) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١٥)، والماتريدية للحربي (٢٢٤) [دار الصميعي، ط٢، ١٤٢١هـ].

٢ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٣ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيمي.

٦ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٧ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى» (ج١)، للنجدي.

الغفور

يراجع مصطلح (المغفرة).

الغلبة

التعريف لغةً:

الغين واللام والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ وقَهرٍ وشدَّة. من ذلك: غَلَبَ الرّجلُ غَلْبًا وغَلَبًا وغَلَبة[1].

وتغلَّب على بلد كذا: استولى عليه قهرًا، والغلّاب: الكثير الغَلَبَة[2].

التعريف شرعًا:

الغلبة صفة فعلية لله تعالى؛ فلا رادّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ولا هازم لجنده؛ وهو القوي العزيز.

قال الحليمي في معنى الغالب: وهو البالغ مراده من خلقه، أحبوا أو كرهوا[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، وهما في حق الله تعالى على غاية الكمال والقدرة؛ فغلبته تعالى لا يقاومها شيء، ولا يعتريها أي معنى من معاني الضعف.

الحكم:

وجوب إثبات الغلبة صفة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف]، وقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٨٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) الصحاح (٢/٢١٤) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) نقلًا عن الأسماء والصفات للبيهقي (١/١١٤) [مكتبة السوادي، ط١].

كان يقول: «**لا إلٰه إلا الله وحده، أعَزَّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده**»[١].

أقوال أهل العلم:

قال البغوي في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾: «إن الله غالب على أمره يفعل ما يشاء، لا يغلبه شيء ولا يردُّ حكمه راد»[٢].

وقال ابن كثير: «﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾؛ أي: إذا أراد شيئًا فلا يرد ولا يمانع ولا يخالف، بل هو الغالب لما سواه»[٣].

وقال الشوكاني: «﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]؛ أي: على أمر نفسه، لا يمتنع منه شيء، ولا يغالبه عليه غيره من مخلوقاته»[٤].

الآثار:

١ ـ التعبّد لله تعالى بالاستنصار به؛ فهو الناصر الذي لا يغلب جنده.

٢ ـ الحذر من أسباب خذلان الله تعالى للعبد؛ فمن يخذله الله تعالى فلا ناصر له.

٣ ـ اليقين بوعد الله تعالى الصادق بأن العاقبة الحسنة لمن أطاعه واتقاه.

٤ ـ ظهور أمر الله تعالى، ونفوذ مشيئته.

٥ ـ ثبات سنن الله سبحانه وتعالى الكونية، فلا تتبدل ولا تتحول.

٦ ـ نصر الله تعالى عز وجل لرسله وأوليائه، وجعل العاقبة لهم.

٧ ـ ما يقع على أعداء الله تعالى من العذاب، وما ينالهم من الهزيمة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٣ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٤ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

الغلو

التعريف لغةً:

الغلو لغة: هو مجاوزة الحدِّ وتعدّيه، يقال: غلا غلًا فهو غالٍ، وغلت القِدر تغلي غليانًا.

قال ابن فارس: «الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح يدل على

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١١٤)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٢٤).

(٢) تفسير البغوي (٤/٢٦٦) [دار طيبة، ط٤].

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٧٨) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) فتح القدير (٣/ ١٤) [دار الفكر، ١٤٠٣هـ].

ارتفاع ومجاوزة قدر»[(١)].

ويطلق على السِّعر إذا ارتفع: غلاء، وإذا كان في القَدْر والمنزلة: غُلُوٌّ، وفي السَّهم: غَلْوٌ، وأفعالهما جميعًا: غلَا يَغْلُو.

قال ابن الأثير: «أصل الغَلاء: الارتفاع ومجاوزة القَدر في كل شيء، يقال: غالَيت الشَّيء وبالشَّيء، وغلوت فيه أغلُو إذا جاوزتَ فيه الحدّ»[(٢)].

ويقال: غلا في الدين غلوًّا: تشدَّد وتصلَّب حتى جاوز الحد.

التعريف شرعًا:

الغلو: هو مجاوزة الحدّ المعتبر شرعًا في أمر من أمور الدين.

وقد تعددت أقوال العلماء في تعريف الغلو في الشرع على أقوال متقاربة، **فمن ذلك**:

١ ـ قال ابن تيمية: «الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء، في حمده، أو ذمّه، على ما يستحق ونحو ذلك»[(٣)].

٢ ـ وقال ابن حجر في تعريفه: «هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد».

٣ ـ وقال سليمان بن عبد الله: «الغلو: هو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه، وضابطه تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه»[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان الغلو يطلق في اللغة على مجاوزة الحد وتعديه في كل شيء، جاء الإطلاق الشرعي للغلو بتخصيص ذلك المعنى اللغوي بما يتعلق بأمور الدين.

سبب التسمية:

سُمي الغلو بهذا الاسم لكونه يدل على الزيادة والارتفاع، فالغالي قد زاد في الدين، وارتفع على ما جاء به إلى غيره.

الأسماء الأخرى:

يطلق على الغلو اسم: التنطع[(٥)].

الحكم:

لما كان دين الإسلام منزلًا من عند الله ﷻ، وهو سبحانه أعلم بما يناسب خلقه، حيث جعل سبحانه دين الإسلام دين يسر واعتدال وتوسط، فعلم أن الغلو فيه سواء كان ذلك بزيادة وإفراط أو بتهاون وتفريط، ضلال مخالف لمنهج الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٤٤٧) [دار الجيل، ط١].
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٢).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٤هـ].
(٤) تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ].
(٥) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (٦٢).

تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والغلوّ في الدين وإن كان محرَّمًا إلا أنه ليس على درجة واحدة، فالغلو الاعتقادي ليس كالغلو العملي، فكثير من مسائل الغلو الاعتقادي قد تدخل في الكفر الأكبر، كغلو الجهمية بإنكار الأسماء والصفات، والغلو في الأئمة والأولياء بصرف شيء من خصائص الربوبية أو الإلٰهية لهم، ومن مسائل الغلو الاعتقادي ما لا يصل إلى درجة الكفر الأكبر، وإنما يدخل في الكفر الأصغر أو الابتداع المحرم، وأما مسائل الغلو العملي فالغالب أنها تدخل في التحريم، وقد يكون منها ما يتعدى ذلك إلى الكفر بحسب ما يتعلق بها من اعتقاد ونحو ذلك.

الحقيقة:

الحقيقة الشرعية للغلو هي مجاوزة الاعتدال والوسطية الشرعية في الاعتقاد والقول والفعل، والغالب الأعم تناول الغلو لذوات المعظمين، وللمقالات العقدية.

ولا تلازم بين الغلو والتطرف، فإن الغلو في الواقع أخص من التطرف.

وهنا تنبيه؛ وهو أنه ربما يربط الغلو بالتمسك بالشريعة، وهي نظرة قاصرة يتبناها المقصِّر والمتهاون في شعائر دينه تجاه من هو أمثل منه تمسكًا واحترامًا لأحكام دينه.

وبالنظر إلى تاريخ الغلو فهو قديم مرتبط بأسبابه الكثيرة، والتي يجمعها الإعراض عن دين الله وما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فإنه بقدر ما ابتعد المرء عن منهاج رسل الله بقدر ما وقع في الإفراط والتفريط، تناسبًا طرديًّا، وما غلو الفرق الإسلامية في أبواب العقيدة أو الشريعة أو السلوك إلا نموذج واقعي لهذه النتيجة ومحققة لها، مما يحتم على المسلمين جماعات وأفرادًا التمسك بهديه ﷺ والاعتصام بما جاء به، والتحاكم إليه والدعوة إليه، فبذلك وحده تحصل لهم الهداية والعصمة، ويكونون شهداء على الناس[(١)].

الأدلة:

تعددت النصوص الواردة في التحذير من الغلو، والنهي عنه، وذم الغلاة في دين الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٧٤/٢٦٦ ـ ٢٦٧).

﴿كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة].

والخطاب في الآيتين قُصد به النصارى خاصة، وإن كان الغلو موجودًا في اليهود وغيرهم، ولما كان النصارى أكثر غلوًّا من غيرهم جاء الخطاب موجهًا لهم، والمراد من ذكر ذلك موعظة هذه الأمة لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»[(١)].

والنهي في هذا الحديث وإن كان سببه خاصًّا ـ وهو الغلو في رمي الجمار ـ، فهو نهي عن كل غلو.

وقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**هلك المتنطعون ـ قالها ثلاثًا ـ**»[(٢)].

وهذا صريح في ذم الغلو، حيث أخبر النبي ﷺ بهلاكهم، لمجاوزتهم للحدّ الذي حدَّه الله وأمر به.

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رحمه الله: «المتنطع المتعمق في الشيء، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم»[(٣)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال والنصارى أكثر غلوًّا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن»[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فنهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع. فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس. فإنهم شدّدوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم»[(٥)].

ـ وقال ابن حجر رحمه الله: «لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب»[(٦)].

(١) أخرجه النسائي (كتاب مناسك الحج، رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (كتاب المناسك، رقم ٣٠٢٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب المناسك، رقم ٢٨٦٧)، وصححه شيخ الإسلام في الاقتضاء (١/ ٣٢٨) [دار عالم الكتب، ط٧]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٧٠).

(٣) معالم السنن (٤/ ٣٠٠) [المطبعة العلمية، ط١].

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩).

(٥) إغاثة اللهفان (١/ ١٣٢) [دار المعرفة، ط٢].

(٦) فتح الباري (١/ ٩٤) [دار المعرفة، ط١٣٧٩هـ].

الأقسام:

ينقسم الغلو بحسب ما يتعلق به من أفعال العباد **إلى نوعين**:

النوع الأول: الغلو الاعتقادي، وهو مجاوزة الحد فيما يتعلق بأبواب الاعتقاد، كغلو الخوارج في صاحب الكبيرة، والغلو في الأئمة وادّعاء العصمة لهم، ونحو ذلك.

النوع الثاني: الغلو العملي، وهو مجاوزة الحد فيما يتعلق بأبواب العبادات والعمليات، سواء كان ذلك باللسان أم الجوارح، كمن يصوم الدهر، أو يترك الزواج، ونحو ذلك من الأعمال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقوله: «إياكم والغلو في الدين» عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقادات والأعمال والنصارى أكثر غلوًّا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: أسباب الغلو:

١ ـ الجهل بدين الله تعالى، وترك سؤال العلماء الربانيين.

٢ ـ مقابلة الجفاء والتفريط الواقع من بعض الفرق والجماعات الأخرى.

٣ ـ سوء فهم النصوص، واتباع المتشابه وترك المحكم.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩).

٤ ـ الإعراض عن منهج سلف الأمة، والطعن فيهم، وفي فهمهم للنصوص.

٥ ـ الأخذ بالمناهج البدعية المنحرفة، من علم الكلام والفلسفة.

٦ ـ الغرور بالمتبوعين والقادة وبما لديهم من شذوذ ومخالفة[(٢)].

ـ المسألة الثانية: صور الغلو قديمًا وحديثًا:

للغلو في حياة الأمم صور متعددة، سواء في ذلك ما كان قبل الإسلام، أو بعد الإسلام مما وُجِد عند بعض الفرق المنحرفة، فمن أمثلة **ذلك ما يلي**:

أ ـ غلو أهل الكتاب من اليهود والنصارى، حيث زعم اليهود أن عزيرًا ابن الله، وزعم النصارى أن عيسى عليه السلام ابن الله، وعبادتهم له من دون الله، وقد وصف الله النصارى بالغلو وحذر من التشبه بهم في ذلك[(٣)].

ب ـ الغلو عند الفرق المنحرفة في تاريخ المسلمين:

تعددت أنواع الغلو عند الفرق المنتسبة إلى الإسلام، **ومن أمثلة ذلك**:

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٧٤/ ٢٥٣ ـ ٢٦٦)، ومشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر لعبد الرحمٰن اللويحق (٧ ـ ٤٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

١ ـ غلو فرقة الخوارج في تكفير صاحب الكبيرة، والقول بخروجه من الإسلام[١].

٢ ـ غلو فرقة الرافضة في أئمتهم، حيث بلغ بهم الغلو فيهم إلى وصفهم بصفات الربوبية، من علم الغيب، والتصرف في الكون، والتحليل والتحريم، وغير ذلك من أنواع الغلو، بل بلغ بهم الأمر إلى قولهم بحلول الجزء الإلهي فيهم، وعبادتهم من دون الله تعالى[٢].

والأمثلة على صور غلو الفرق الإسلامية كثيرة ومتنوعة، وقد ذكر ذلك أصحاب كتب المقالات، كالأشعري وابن حزم وغيرهما.

ج ـ الغلو لدى بعض الجماعات المعاصرة:

امتد الغلو إلى بعض الجماعات المعاصرة، حيث ظهر عندهم الغلو في بعض المعتقدات، ومن أشهر تلك الجماعات الغالية، جماعة تُعرف بجماعة المسلمين، واشتهرت بجماعة التكفير والهجرة، **ومن أبرز معتقداتهم الغالية:**

ـ القول بتكفير صاحب الكبيرة إذا أصرَّ على فعلها، ولم يتب.

ـ القول بتكفير من لم يكفر الكفار ـ بزعمهم ـ من العلماء وغيرهم.

ـ ترك صلاة الجمعة والجماعة في المساجد؛ لكفر أئمتها عندهم.

إلى غير ذلك من عقائدهم المنحرفة وأقوالهم الغالية[٣].

الفروق:

الفرق بين الغلو والتطرف:

لا تلازم بين الغلو والتطرف، فإن الغلو في الواقع أخص من التطرف في الزيادة والنقصان، والتطرف انحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو وغيره، فبين الغلو والتطرف عموم وخصوص، فكل غلو تطرف، وليس كل تطرف غلوًّا[٤].

الآثار:

١ ـ الانحراف عن المعتقد الصحيح إلى بعض المعتقدات المبتدعة، والتي أدَّت ببعض الفرق إلى الكفر، والخروج من ملة الإسلام.

٢ ـ رفع بعض البشر فوق منزلتهم، وصرف شيء من العبادة لهم، كما وقع من الرافضة مع أئمتهم، وكما يقع من بعض الصوفية مع جناب النبي ﷺ،

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١١٥) [مكتبة الرياض الحديثة].
(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية للقفاري (٢/ ٥٢٠) [ط١، ١٤١٤هـ].
(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٩)، والغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة (١٩٣ ـ ٣٣٠).
(٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (٧٤/ ٢٦٦).

حيث نسبوا إليه في مدائحهم الخلق والرزق، وغير ذلك من صفات الرب تعالى.

٣ ـ تعطيل الرب ﷻ عن أسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سُنَّته.

٤ ـ استحلال دماء المسلمين وأموالهم، بشبهات منحرفة أوقعت أتباعها في الغلو، كما فعل الخوارج وغيرهم.

٥ ـ الإفساد في الأرض وترويع الآمنين في بلاد المسلمين، كما حدث من القرامطة في بعض الأزمان المتقدمة، وكما يحدث اليوم من بعض الفرق الغالية في بعض بلدان المسلمين.

إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة، والتي يصعب حصرها في مثل هذا المقام.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام القرآن الكريم»، للقرطبي.

٢ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٣ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٤ ـ «الدين الخالص»، لمحمد صديق حسن.

٥ ـ «سنن النسائي بشرح السيوطي».

٦ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٧ ـ «الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة»، لعبد الرحمٰن اللويحق.

٨ ـ «الغلو في الدين»، لعلي الشبل.

٩ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

١٠ ـ «المجموع شرح المهذب»، للنووي.

الغنى

يراجع مصطلح (الغنيّ).

الغنيّ

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الغين والنون والحرف المعتل أصلان صحيحان؛ أحدُهما يدلُّ على الكِفاية، والآخر: صوت. فالأوّل الغنى في المال. يقال: غَنِيَ يَغْنَى غِنًى. والغَنَاء بفتح الغَين مع المدّ: الكِفَاية. يقال: لا يُغْنِي فلانٌ غَنَاءَ فلانٍ؛ أي: لا يَكفِي كِفايَتَه. وغَنِيَ عن كذا فهو غانٍ. وغَنِيَ القومُ في دارهم: أقاموا، كأنَّهُم اسْتَغْنُوا بها. ومَغَانيهم: مَنازِلُهم. والغانية: المرأة، قال قومٌ: معناه أنها استغنَتْ بمنزلِ أبويها، وقال آخرون: استغنَتْ ببعلها. ويقال: استَغْنَتْ بجمالها عن لُبْسِ الحلْي»[(١)].

(١) مقاييس اللغة (٤/٣٩٧) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]. وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي =

التعريف شرعًا:

الغني: هو الغني تعالى بذاته، أفعاله، وصفاته، وسلطانه، فلا يحتاج إلى أحد، وكل موجود في هذا الوجود محتاج إليه، في إيجاده، وإعداده، وإمداده، وفي أمور دينه ودنياه[1].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغني، المغني فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنيًّا؛ لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقًا، قادرًا، رازقًا، محسنًا، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنى عامًّا، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربَّانية والحقائق الإيمانية»[2].

فالغني هو المستغني عن الخلق بذاته وصفاته وسلطانه، والخلق جميعًا فقراء إلى إنعامه وإحسانه.

الحكم:

وجوب الإيمان بهذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى، مع ما يدل عليه من معنى، وصفة، وعدم تأويله، أو تعطيل معناه[3].

الحقيقة:

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له الغنى التام المطلق من كل الوجوه والاعتبارات؛ لكماله كمال صفاته وأفعاله؛ وذلك لأن غناه وصف لازم له، لا ينفك عنه؛ لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول، فيمتنع إلا أن يكون غنيًّا، كما لا يكون إلا خالقًا رازقًا محسنًا، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني لجميع خلقه غنى عامًّا، وكما أن غناه ذاتي لا يمكن أن يطرأ عليه ما ينافيه، فكذلك فقر المخلوقات إليه هو فقر ذاتي، بحيث لا يمكنها أن تستغني عنه لحظة من اللحظات[4].

الأهمية:

من عرف ربه بالغنى المطلق عرف

= (١١٧ ـ ١٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، والمحكم (٦/١٧)، ولسان العرب (١٥/١٣٥) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٤/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط١].

(١) انظر: طريق الهجرتين (٩، ١٠) [مكتبة المتنبي]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٠٤) [دار الإمام الذهبي، ط٢٦].

(٢) تفسير السعدي (١٩) [مؤسسة الرسالة، ط٤].

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١٠).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمٰن للسعدي (٥/٣٠٤)، وشرح نونية ابن القيم للهراس (٢/٤٦٣).

نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا له فقرًا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين[١].

الأدلة:

ورد هذا الاسم الجليل في كتاب الله في مواضع كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]

وورد ذكره في السُّنَّة المطهرة في حديث الاستسقاء الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**الحمد لله رب العالمين الرحمٰن الرحيم مالك يوم الدين، لا إلٰه إلا الله يفعل ما يريد، اللَّهُمَّ أنت الله لا إلٰه إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغًا إلى حين**»[٢].

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تبارك وتعالى**: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[٣].

كما أن هذا الاسم العظيم مما أجمعت الأمة عليه[٤].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام]: «الغني: عن عباده الذين أمرهم بما أمر، ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه؛ لأنه بيده حياتهم ومماتهم، وأرزاقهم وأقواتهم، ونفعهم وضرهم. يقول عزّ ذكره: فلم أخلقهم، يا محمد، ولم آمرهم بما أمرتهم به، وأنههم عما نهيتهم عنه، لحاجةٍ لي إليهم، ولا إلى أعمالهم، ولكن لأتفضَّل عليهم

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٢٣) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١١٧٣) وقال: إسناده جيد، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٢٨٦٠)، والحاكم (كتاب الاستسقاء، رقم ١٢٢٥) وصححه، قال أبو داود: إسناده جيد، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الألباني في إرواء الغليل (٣/ ١٣٥، رقم ٦٦٨).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٨٥).

(٤) نقل الإجماع القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢٠٥) [المكتبة الحضرية، ط٤، ١٤٢٧هـ].

برحمتي، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا، فإني ذو الرَّأفة والرحمة»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل في أن الله هو الغني المطلق والخلق فقراء محتاجون إليه، قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾، [فاطر] بيَّن سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه غنيًّا حميدًا ذاتي له فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقرُ لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبدًا
كما الغنى أبدًا وصفٌ له ذاتي»[(٢)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (الْغَنِيُّ) الذي قد كمل في غناه، وهو الله، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار. (الْحَمِيدُ) المستحمد إلى خلقه؛ أي: هو المحمود في جميع أفعاله وأقواله، لا إلٰه غيره، ولا رب سواه»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفة الغنى لله تعالى:

يدل اسم الغني على صفة الغنى، وهي صفة ذاتية لله تعالى، ويدل باللزوم على الحياة والقيومية، والقوة والأحدية، والقدرة والسعة والكرم والعزة والكبرياء، والملك، وأدلة صفة الغنى لله تعالى هي نفسها أدلة اسمه تعالى الغني. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت].

ـ المسألة الثانية: اتصاف المخلوق بصفة الغنى:

بعض المخلوقين متصف بصفة الغنى، ولكن لما تضاف الصفة لشيء تقتضي التخصيص، فيكون غنى المخلوق على ما يليق بضعفه وعجزه وفقره، وغنى الخالق على ما يليق بجلاله وكمال غناه.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال في وصف نفسه بالغنى: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم]، وقال في وصف الحادث بالغنى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦]، ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ١٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]. وانظر منه (١٥/ ١٤٥).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٢٢). وانظر: مدارج السالكين (١/ ٥٢٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٨٨).

يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]، فهو ﷻ موصوف بتلك الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، والحادث موصوف بها أيضًا على الوجه المناسب لحدوثه وفنائه، وعجزه وافتقاره، وبين صفات الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق، كما بينَّاه في صفات المعاني»[(١)].

فالغني على سبيل الإطلاق وعدم الحاجة هو الله، وليس ذلك لأحد سواه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرًا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيًّا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدًا والرب إلا ربًّا»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: حكم تسمية الله تعالى بالمُغني:

يذكر بعض أهل العلم[(٣)] اسم (المُغْني) مقرونًا بالغني، والمغني مأخوذ من الفعل (أغنى) من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [النجم]، ومن الفعل (يُغني) في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء]، ولم يرد مصرَّحًا به، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، والفرق بينهما أن الغني يدل على صفة ذاتية لازمة، أما المغني فيدل على صفة متعدية، فالغنى غنى الذات، والمغني يغني عباده وخلقه.

ـ المسألة الرابعة: ورود ذي الطَّول في النصوص.

الطّول بضم الطاء: الامتداد[(٤)]، وبفتح الطاء وسكون الواو: المنّ، قال القرطبي: «أصل الطَّول: الإنعام والفضل، يقال منه: اللَّهُمَّ طُل علينا؛ أي: أنعم علينا وتفضل»[(٥)]، ويقال: طال عليه، وتطوّل عليه؛ إذا امتنّ عليه[(٦)]. وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [غافر]؛ «أي: ذي القدرة، وقيل: الطَّوْل: الغنى، والطَّوْل: الفضل، يقال لفلان على فلان طَوْل؛ أي: فضل»[(٧)].

---

(١) أضواء البيان (٨/ ٤٤) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) طريق الهجرتين (٢٣).

(٣) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢١٧) [مكتبة السوادي].

(٤) مقاييس اللغة (٦٢٧) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٦) الصحاح (٥/ ١٧٥٥) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٧) تهذيب اللغة (١٤/ ١٧) [الدار المصرية للتأليف].

وذكر ابن كثير بعد أن نقل أقوال المفسرين في معنى ذي الطَّوْل: «أنه المتفضل على عباده، المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والإنعام، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨]»[(١)].

وقد ورد هذا الاسم المبارك مرة واحده في القرآن الكريم، في قوله ﷻ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر].

وهو من الأسماء المضافة، وقد عده ضمن أسماء الله الحسنى كثير من العلماء، منهم: جعفر الصادق، وابن عيينة كما نقل عنهما ابن حجر[(٢)]، والزجاجي[(٣)]، وابن منده[(٤)]، والخطابي[(٥)]، والحليمي[(٦)]، والبيهقي[(٧)]، وابن العربي[(٨)]، وابن تيمية[(٩)]، وابن الوزير[(١٠)]، وابن حجر[(١١)]، ولم يعده البعض ضمن ما عدوا من أسماء الله الحسنى[(١٢)]، وأنكر البعض أن يكون ذو الطول من أسماء الله الحسنى[(١٣)].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/١٦٨).
(٢) فتح الباري (١١/٢٦٠ ـ ٢٦١) [دار السلام، ط١].
(٣) اشتقاق أسماء الله (١٩٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢].
(٤) انظر: كتاب التوحيد (٢/٢٠٣).
(٥) شأن الدعاء للخطابي (١٠٥).
(٦) المنهاج في شعب الإيمان (١/١٩٩) [دار الفكر، ط١].
(٧) الأسماء والصفات (١/١١٨).
(٨) أحكام القرآن (٢/٣٤٢) [دار الكتب العلمية، ط٣].
(٩) انظر: المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٦٢).
(١٠) إيثار الحق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

الثمرات:

الإيمان باسم الله الغني وبما تضمنه من صفة الغنى له سبحانه وتعالى يثمر للعبد ثمرات؛ **منها**[(١٤)]:

١ ـ أن فهم العبد (الغني) لمعنى هذا الاسم الجليل يؤدي به إلى التواضع على الرغم من غناه؛ لعلمه أن المتوحد في الغنى هو الله ﷻ، ويظهر الفقير بمظهر الغني وهو يعاني من شدة الفقر تعففًا من سؤال الناس إلحافًا؛ لأن الغنى الحقيقي هو غنى النفس.

٢ ـ أن من الفقر ما هو اختياري، وهو نتيجة علمين شريفين؛ **أحدهما:** معرفة العبد بربه، **والآخر:** معرفته بنفسه، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا له فقرًا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن

(١١) التلخيص الحبير (٤/٣٢١) [مؤسسة قرطبة، ط١].
(١٢) كابن حزم والغزالي والأصفهاني وغيرهم.
(١٣) مثل: عمر الأشقر في كتابه أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة (٦٤، ٦٥) [دار النفائس، ط٢].
(١٤) انظر: النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى للنجدي (٢/٢٣١ ـ ٢٣٩) [مكتبة الإمام الذهبي].

عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، وهكذا[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من كتب ابن القيم»، عماد زكي البارودي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، الزجاج.

٣ ـ «توضيح الكافية الشافية»، للسعدي.

٤ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٥ ـ «صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٦ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٧ ـ «فتح الرحيم الملك العلَّام»، للسعدي.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «معارج القبول» (ج١)، لحافظ الحكمي.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١١ ـ «النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى» (ج٢)، للنجدي.

(١) انظر: طريق الهجرتين (١/ ٢٣ ـ ٢٧).

الغوث

يراجع مصطلح (المغيث).

الغول

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الغين والواو واللام أصل صحيح يدل على خَتْل وأخذ من حيث لا يدري، ويقال: غاله يغوله: أخذه من حيث لم يدر. قالوا: والغول بعد المفازة؛ لأنه يغتال من مرَّ به، والغُول من السعالي، سمِّيت؛ لأنها تغتال»[(٢)].

الغَول والغُول: يقعان على معنيين متقاربين، أحدهما: البعد، والآخر: الهلاك. فالغَول: المصدر، والغُول: بضم المعجمة الاسم، وجمعه: أغوال وغِيلَان. وقيل: هو كل ما اغتالك من جني أو شيطان أو سبع فهو غول، وهو معنى قول من قال: الغول: كل شيء ذهب بالعقل[(٣)].

التعريف شرعًا:

الغُول: واحد الغيلان، جنس من الجن والشياطين، وقيل: من السَّعالي،

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٢) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: الصحاح (٥/ ١٧٨٥) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وتهذيب اللغة (٨/ ١٧٠) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٠٢).

وهم سحرة الجن، لهم تلبيس وتخييل وتضليل[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تظهر العلاقة بينهما من حيث كون كل منهما يتضمن معنى البعد والهلاك، أو معنى ذهاب العقول؛ إلا أن المعنى الشرعي أخص من المعنى اللغوي؛ حيث هو خاص بالغيلان، التي هي من جنس الشياطين.

سبب التسمية:

سمِّيت الغول بذلك؛ إما لأنها تتغول؛ أي: تتلون في صور شتى، وإما لأنها تغُولهم؛ أي تضلهم في الطريق، وتهلكهم، وهو بمعنى تأخذ من حيث لا يدري[(٢)].

الحكم:

من اعتقد في الغول أنها تضر وتهلك، وغلا في وجودها، وزعم أنها من أعظم الأسباب في حصول الهلاك والضلال، فهذا من الشرك الأصغر، وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر.

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٩٦) [دار إحياء التراث العربي]، ومعالم السنن للخطابي (٤/٤٠٢) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧٣) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٩٦)، ومقاييس اللغة (٤/٤٠٢)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧٣).

الحقيقة:

اختلفت أقوال أهل العلم في حقيقة الغول على أقوال:

أولها: أنّ الغول شيء يخوَّف به لا وُجود له. قاله الدَّميري في حياة الحيوان، وزعم أنه قول المحققين. وهذا القول مردودٌ بالأحاديث الثابتة في إثبات الغول، وبالمشاهدة.

قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قول من قال: إنّ المراد في الحديث نفي وُجود الغيلان مطلقًا فليس بشيء؛ لأنّ ذلك مكابرة للأمور المشاهَدة المعلومة بالضرورة في زمن النبي ﷺ وقبله وبعده، من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم، والله أعلم»[(٣)].

ثانيها: أنّ الغول كان موجودًا ثم رفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما رجحه الطحاوي؛ حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكرنا في الباب الذي قبل هذا عنه أنه قال: «لا غول»، ففي هذا نفيه للغول، فقال قائل: قد يكون هذا على التضادّ؟ قيل له: ليس ذلك بحمد الله على التضادّ؛ إذا كان يحتمل أن يكون الغول كان على ما في حديث أبي أيوب[(٤)] ثمّ رفعه الله تعالى عن عباده على ما في حديث جابر[(٥)]، وذلك أولى ما جمعت عليه الآثار

(٣) معارج القبول (٣/١١٦٨) [دار ابن الجوزي، ط٦].

(٤) يأتي ذكره في الأدلة.

(٥) سيأتي ضمن الأدلة أيضًا.

المروية عن رسول الله ﷺ في هذا أو فيما أشبهه، وما وجد السبيل إلى ذلك»[(١)]. وهذا ليس بشيء.

الثالث: وهو الصواب؛ وهو أن الغول: جنس من الشياطين والجن تتراءى للناس في الفلاة، فتتغول تغوّلًا؛ أي: تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم عن الطريق، وتضلهم، فأبطل النبي ﷺ تأثيرها؛ ولم ينف لعين الغول ووجودها كونًا وأنها معدومة، وإنما أبطل اعتقاد الجاهلية في تصرفها في نفسها، أو أنها لا تستطيع أن تضل أحدًا مع ذكر الله تعالى، بل لا تقدر على شيء إلا بإذن الله تعالى[(٢)].

الأدلة:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عَدوى ولا طِيَرة ولا غول**»[(٣)]. وفي رواية أخرى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا غول ولا صفر**»[(٤)].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه كانت له سهوة فيها تَمْر فكانت تجيء الغُول فتأخذ منه. قال: فشكا ذلك إلى النبي ﷺ قال: «**فاذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبي رسول الله ﷺ**». قال: فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها. فجاء إلى رسول الله فقال: «**ما فعل أسيرك؟**» قال: حلفت أن لا تعود. فقال: «**كَذبت وهي معاودة للكذب**» الحديث[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي رحمه الله: «قوله: «لا غول» ليس معناه نفي الغول عينًا، وإبطالها كونًا، وإنما فيه إبطال ما يتحدثون عنها من تغولها، واختلاف تلونها في الصور المختلفة، وإضلالها الناس عن الطريق، وسائر ما يحكون عنها، مما لا يعلم له حقيقة. يقول: لا تصدقوا بذلك، ولا تخافوها، فإنها لا تقدر على شيء من ذلك، إلا بإذن الله عز وجل»[(٦)].

وقال البغوي رحمه الله: «قوله «ولا غول»: ليس معناه نفي الغول كونًا، وإنما أراد أن العرب كانت تقول: إن الغيلان تظهر للناس في الفلوات، في الصور المختلفة، فتضلهم وتهلكهم، ويقال: تغول تغولًا؛ أي: تلون. فأخبر الشرع أنها لا تقدر على شيء، من

(١) شرح مشكل الآثار (٢/٢٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ].
(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٣٩٦)، ومعالم السنن (٤/٢٣٤)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧٣).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٢).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٢).
(٥) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٨٠) وحسَّنه، وأحمد (٣٨/٥٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٦٩) [مكتبة المعارف، ط٥].
(٦) معالم السنن (٤/٤٠٢).

الإضلال والإهلاك، إلا بإذن الله ﷻ»[(١)].

وقال ابن الأثير رحمه الله: «الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة، تتراءى للناس فتتغول تغولًا؛ أي: تتلون تلونًا، في صور شتَّى، وتغولهم؛ أي: تضلهم عن الطريق، وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ، وأبطله»[(٢)].

الآثار:

اعتقاد ما كان يعتقده أهل الجاهلية في الغيلان يورث القلق والحزن في القلوب، وينغص على المرء معيشته وأحواله، ولا شك أن هذا ما تحرص عليه الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة].

ومن آثار اعتقاد تأثير الغيلان ضعف التوكل على الله سبحانه وتعالى في قلب المرء المؤمن، وضعف اليقين في قدرة الله تعالى، وأنه الضار النافع وحده، بل قد يذهب ذلك كله، وهذا لا يوجد إلا في قلب المشرك بالله تعالى.

(١) شرح السُّنَّة (١٢/١٧٣).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٩٦).

المصادر والمراجع:

١ ـ «بلوغ المنى والظفر في بيان «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»»، لابن فهد.
٢ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.
٣ ـ «فتح الباري»، لابن حجر العسقلاني.
٤ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.
٥ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.
٦ ـ «لطائف المعارف»، لابن رجب.
٧ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.
٨ ـ «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.
٩ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

الغيات

يراجع مصطلح (المغيث).

الغير

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الغين والياء والراء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة، والآخر على اختلاف شيئين. فالأول: الغيرة، وهي

الميرة: بها صلاح العيال. يقال: غرت أهلي غيرة وغيارًا؛ أي: مِرتُهم، والأصل الآخر: قولنا: هذا الشيء غير ذاك؛ أي هو سواه وخلافه. ومن الباب: الاستثناء بغير، تقول: عشرة غير واحد، ليس هو من العشرة، ومنه قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]»[1].

وقال الفيروزآبادي: «الغيرة بالكسر: الميرة. وغير بمعنى: سوى، وتكون بمعنى لا، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ [النحل: ١١٥]؛ أي: جائعًا لا باغيًا، وبمعنى (إلا). وتغيَّر عن حاله: تحوَّل. وغيَّره: جعله غير ما كان، وحوله، وبدله. والاسم: الغير»[2].

التعريف اصطلاحًا:

إن الغير في اصطلاح المعتزلة والكرَّامية: «هما الشيئان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر»[3].

وأما عند الأشعرية فـ«حد الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر؛ إما بزمان أو بمكان»[4].

الحكم:

لفظ الغير من الألفاظ المجملة التي لا تطلق على الله إثباتًا أو نفيًا، وإنما يسأل عن المراد بها، فإن قُصِد بها حقٌّ قُبل المعنى وعُبِّر عنه باللفظ الشرعي، ويتوقف في اللفظ، وإن أريد به باطلٌ يتوقف في اللفظ ويرد المعنى.

الحقيقة:

حقيقة لفظ الغير اللغوية هي كما تقدمت في التعريف اللغوي تحوّل الشيء وصيرورته خلاف ما كان عليه. وأما عند المعتزلة والكرامية فالغيران: «هما الشيئان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر»[5]. وأما عند أكثر الصفاتية من الأشعرية فـ«حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما الآخر بالزمان، والمكان، والوجود والعدم»[6].

أقوال أهل العلم:

أكد العلماء على أن لفظ الغير من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًّا وباطلًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن للناس في لفظ الغير **اصطلاحين مشهورين**:

أحدهما: اصطلاح المعتزلة والكرَّامية ونحوهم ممن يقول: الصفة غير

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٠٣ ـ ٤٠٤) [دار الجيل، ط٢].
(٢) القاموس المحيط (٤٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط٨].
(٣) بغية المرتاد (٤٢٦) [ط٣، ١٤١٥هـ]. وانظر: جامع العلوم لأحمد نكري (٣/٨) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده للباقلاني (٣٧) [عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ].
(٥) بغية المرتاد (٤٢٦).
(٦) الإنصاف للباقلاني (٢٥). وانظر: بغية المرتاد (٤٢٦).

الموصوف، وهؤلاء فيهم من ينفي الصفات كالمعتزلة، ومنهم من يثبتها كالكرامية، وهم يقولون: إن الغيرين هما الشيئان، أو هما ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر.

والثاني: اصطلاح أكثر الصفاتية من الأشعرية وغيرهم أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود زمان أو مكان، ومن هؤلاء من يقول ما جاز مفارقة أحدهما الآخر، ولهذا يقولون: إن الصفات لا هي الموصوف ولا هي غيره، وكذلك جزء الجملة كالواحد من العشرة واليد من الإنسان قد يقولون فيها ذلك والأولون يقولون الصفة غير الموصوف.

وأما حذاق الصفاتية من الكُلَّابية وغيرهم، فهم على منهاج الأئمة، كما ذكر الإمام أحمد في الرد على الجهمية، لما سألوه عن القرآن: أهو الله أم غير الله؟ لا يقولون الصفة لا هي الموصوف ولا هي غيره، بل لا يقولون الصفة هي الموصوف، ولا يقولون: هي غيره، فيمتنعون عن الإطلاقين ولا ينفون الإطلاقين وهذا سديد، فإن لفظ الغير لما كان فيه إجمال لم يطلق نفيه حتى يتبين المراد، فإن أريد بأنه غير مباين له، فليس هو غيره، وإن أريد أنه ليس هو إيَّاه، أو أنه يمكن العلم به دونه، فنعم هو غيره، وإذا فصِّل المقال زال الإشكال، فإذا قيل: إن الصفة أو الجزء غيره بأحد الاصطلاحين كان باطلًا، وإذا قيل: إنها غيره بالاصطلاح الآخر، لم يمتنع أن يكون لازمًا»[(١)].

وقال ابن القيم: «وكذلك لفظ الغير فيه إجمال، يراد بالغيرين: ما مفارق أحدهما للآخر ذاتًا أو مكانًا أو زمانًا، فصفات القديم سبحانه ليست غيرًا له بهذا الاعتبار، ويراد بالغيرين: ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر، وهذا المعنى حق في ذاته وصفاته سبحانه، وإن سمَّاها هؤلاء أغيارًا»[(٢)].

قال ابن أبي العز الحنفي: «لفظ الغير، فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقته له. ولهذا كان أئمة السُّنَّة رحمهم الله لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيره؛ لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل: فإن أريد به أن هناك ذاتًا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات الزائدة عليها = فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة = فهذا حق، ولكن ليس في

(١) بغية المرتاد (٤٢٦).
(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٨٢) [دار العاصمة، ط١].

الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتًا وصفة؛ كُلًّا وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال. ولو لم يكن إلا صفة الوجود، فإنها لا تنفك عن الموجود، وإن كان الذهن يفرض ذاتًا ووجودًا، يتصور هذا وحده، وهذا وحده، لكن لا ينفك أحدهما عن الآخر في الخارج»[(١)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: استعمال (التغيّر) في حق الله ﷻ:

التغيّر لم يرد في الكتاب والسُّنَّة، ولم ينطق به السلف الصالح، وإنما أحدثه أهل الأهواء، وهو لفظ مجمل يحتمل حقًّا وباطلًا، ولكن من أطلقه أراد به باطلًا وهو نفي قيام الصفات الاختيارية بالله كالمجيء والاستواء على العرش والنزول والرضا والغضب وسائر الصفات المتعلقة بمشيئته.

فقد اعتبر الأشاعرة قيام الصفات الاختيارية بالله تغيرًا في ذاته سبحانه فنفوها، واحتج الفلاسفة بلفظ التغير لنفي علم الله[(٢)].

الرد عليهم:

تعلُّقُ المخالفين بلفظ التغير لنفي الصفات الاختيارية عن الله هو تعلّق فاسد قائم على التمويه والتلبيس؛ **لما يلي**:

أولًا: أن الله أعلم بنفسه وبما يليق به من الصفات من غيره، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]. وأعلمُ الخلق به هم رسله عليهم السلام، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسله عليهم السلام من الأسماء والصفات، يجب الإيمان به، وعدم الاعتراض عليه بالأهواء والآراء؛ لا سيَّما أن هذه أمور غيبية لا مجال للعقول فيها.

ثانيًا: أن إطلاق التغير على اتصاف الله بالصفات الاختيارية من الاستواء والنزول والمجيء ونحوها هو مجرد تلبيس؛ لأن هذا لا يصدق عليه معنى التغير لا لغة ولا شرعًا.

أما لغة فإن التغير هو الاستحالة والتبدل، وذلك بأن يكون الشيء طاهرًا نظيفًا كالماء مثلًا، فتدخل فيه النجاسة فتغيره عمَّا كان عليه من النظافة والطهارة فيصير فاسدًا كاسدًا.

وأما شرعًا فقد جاءت النصوص العديدة بإثبات اتصاف الله بالرضا والمغفرة والغضب وسائر الصفات الاختيارية، كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمٰن المحمود (٣/ ١٠٥٦) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ].

﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الفتح]، وقال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، وغير ذلك من صفات الله تعالى.

ونفيُ هذه الصفات بالعقول المجردة، والأهواء المضلة هو في غاية البطلان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والغَيْر والتغيّر من مادة واحدة، فإذا تغير الشيء صار الثاني غير ما كان، فما لم يزل على صفة واحدة لم يتغير ولا تكون صفاته مغايرة له.

والناس إذا قيل لهم: التغير على الله ممتنع، فهموا من ذلك: الاستحالة والفساد، مثل انقلاب صفات الكمال إلى صفات نقص، أو تفرق الذات ونحو ذلك مما يجب تنزيه الله عنه.

وأما كونه سبحانه يتصرف بقدرته، فيخلق ويستوي ويفعل ما يشاء بنفسه، ويتكلم إذا شاء ونحو هذا، فهذا لا يسمونه تغيرًا.

ولكن حجج النفاة مبناها على ألفاظ مجملة موهمة، كما قال الإمام أحمد: يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويلبسون على جهال الناس بما يشبِّهون عليهم، حتى يتوهم الجاهل إنهم يعظمون الله، وهم إنما يقودون قولهم إلى فرية على الله»[(١)].

ـ المسألة الثانية: هل الصفات غير الذات؟

هذه المسألة لم يتكلم بها السلف، ولم يطلقوها على صفات الله تعالى، وإنما أحدثها المتكلمون، وهي لفظ مجمل يحتمل معنى صحيحًا ومعنى باطلًا، ولذا يُستفسر عن مراد قائله؛ فإن أراد به وجود ذات مجردة عن الصفات فهذا باطل، وهو مقصود من يستعمل هذا اللفظ. وإن أراد به أن معنى الذات يختلف عن معنى الصفة فهذا صحيح، ولكن يعبر عنه باللفظ الشرعي.

وعليه فمن سأل: هل الصفة غير الذات؟ يقال له: إن أُريد بالغير: المباين المنفصل فليست الصفة غير الموصوف. وإن أُريد به ما ليس هو عين الشيء، أو ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر فالصفة غير الموصوف. قال ابن تيمية: «ومذهب السلف والأئمة؛ أنهم لا يطلقون لفظ الغير على الصفات، لا نفيًا ولا إثباتًا، فلا يطلقون القول بأنها غيره، ولا بأنها ليست غيره، إذ اللفظ مجمل، فإن أراد المطلق بالغير المباين فليست غيرًا، وإن أراد بالغير ما قد يعلم أحدهما دون الآخر، فهي غير»[(٢)].

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٧٥) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].
(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٨٧). وانظر: موقف =

ـ المسألة الثالثة: الغير عند الصوفية:

ينفي غلاة الصوفية الكثرة والغيرية عن الوجود، ويرون أن جميع الوجود حقيقة واحدة، فالذات الإلهية وذوات الخلق كلها حقيقة واحدة عندهم، وأن المغايرة بين الحق والخلق هي مغايرة وهمية(١).

فمما جاء في أورادهم: «يا من ليس كمثله شيء، أفنِ عني كل شيء غيرك، وخفف عني ثقل كثائف الموجودات، وامحُ عني نقطة الغيرية لأشاهدك ولا أدري غيرك، يا هو يا هو يا هو، لا سواك موجود، لا سواك مقصود، يا وجود الوجود»(٢).

قال الغزالي: «لا إلٰه إلا الله توحيد العوام! ولا هو إلا هو توحيد الخواص»(٣).

قال الشيخ عبد الرحمٰن الوكيل موضحًا هذا الكلام: «فكلمته (لا هو إلا هو)؛ لأنها تثبت وجودًا واحدًا، وتنفي الغيرية والكثرة والتعدد، تثبت موجودًا واحدًا تنوعت مظاهره، فسميت خلقًا، وتنفي المغايرة بين من نسميهم الخلق وبين من نسميه الخلاق! وتثبت أن وجود الأول عين وجود الثاني، فكما أنه لا وجود إلا وجوده، فكذلك لا ذات إلا ذاته، أما تلك الكثرة الوهمية في الذوات، فيؤمن بها عمي القلوب»(٤).

۞ الرد عليهم:

لا شك أن اعتبار الوجود حقيقة واحدة هو إلحاد بيّن، في دين الله تعالى، ومكابرة مكشوفة لكل ذي بصيرة، لا تحتاج إلى حشد الأدلة وجمع أقوال الأئمة لبيان فسادها؛ لأن تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق أمر مستقر في الفطر ولا ينكره إلا شواذ البشر، **ولذا أكتفي بالإشارة إلى بطلان هذا المعتقد من خلال الآتي:**

أولًا: أن هذه العقيدة مصادمة لدعوة الرسل القائمة على الدعوة إلى تحقيق التوحيد لله تعالى، وإفراده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وجميع خصائصه سبحانه.

ثانيًا: أن القول بوحدة الوجود هو إبطال صريح للخطاب الشرعي الذي لا يكون إلا بين المخاطِب والمخاطَب وبين الآمر والمأمور ونحو ذلك. قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى:

= ابن تيمية من الأشاعرة للمحمود (٣/ ١٠٩٤).

(١) انظر: مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي (٢٤٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية (١٦) بواسطة كتاب الكشف عن حقيقة الصوفية لمحمود القاسم (٢٤٢) [دار الصحابة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٣) هذه هي الصوفية لعبد الرحمٰن الوكيل (٥٤، ٥٥) [دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م].

(٤) المرجع السابق (٥٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، فهل الآمر والمأمور والناهي والمنهي، المخاطِب والمخاطَب في تلك النصوص واحد؟ هذا لا يقوله عاقل، فالقول بنفي الغيرية عن الوجود هو إلغاء للشرع بأكمله.

ثالثًا: دلالات النصوص الكثيرة الصريحة على تقسيم الوجود إلى خالق ومخلوق كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]، وما ثبت من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أنت ربي لا إِلٰه إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك**»(١).

ففي هذه النصوص: ربٌّ ومربوب، وخالق ومخلوق، ومعبود وعابد، وهذا يبطل القول بنفي الغيرية عن الوجود.

رابعًا: أن أصحاب هذه العقيدة الفاسدة متناقضون مكابرون للحقيقة، ومعاندون في ادِّعاء تلك العقيدة؛ لأنهم يفرقون في واقعهم بين أنفسهم وبين ذويهم من أب وأم، وزوجة وولد وغير ذلك.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٦).

مذهب المخالفين:

يتخذ المتكلمون الألفاظ المجملة قناعًا لتمرير عقائدهم التي خالفوا بها الكتاب والسُّنَّة كلفظ الغير؛ لأن بعض السامعين لها يتبادر إلى أذهانهم أن هؤلاء المتكلمين ينزهون الله عما لا يليق به من النقائص والعيوب، كنفي التعدد والتكثر عن ذات الله، والواقع أنهم يقصدون بها نفي الثابت من صفات الله عز وجل بأهوائهم المنحرفة، وآرائهم الضالَّة، ويموِّهون على العامة وأشباههم بأن إثباتها لله يلزم الغير، وهو يحتمل حقًّا وباطلًا؛ فقد يطلق لفظ الغير ويراد به المباين المنفصل، وهذا هو مقصودهم به، وقد يطلق ويراد به ما ليس هو عين الشيء، أو ما جاز العلم بأحدهما دون الآخر(٢).

الرد عليهم:

لفظ الغير لفظ مبتدع مجمل يحتمل صوابًا وباطلًا، والواجب الابتعاد عن الألفاظ المجملة المبتدعة التي تحتمل معاني فاسدة، ولزوم الألفاظ الشرعية كما كان يفعل السلف.

فقائل هذا اللفظ المجمل يُسأل عن مراده فيقال له: ماذا تقصد به؟ فإن كنت تقصد أن الصفات هي بائنة عن الله

(٢) انظر: الإنصاف للباقلاني (٢٥)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٣٦) وبغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (٤٢٦).

ومنفصلة عنه؛ فهذا باطل لأن صفات الله ليست منفصلة عنه ولا مباينة، وإن كنت تقصد أن ذات الله هي ذات مجردة عن أي صفة ثبوتية، فإن هذا غاية في إنكار وجود الله، وليس من ورائه إلا عدم محض وهو ظاهر البطلان.

وإن كنت تقصد بلفظ الغير: أن الصفات لها معانٍ غير معنى الذات، فهذا صحيح ونفيه عن الله باطل؛ لمصادمته الكتاب والسُّنَّة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر]، فالله عَلَم للذات المقدسة المسمَّاة بعدة أسماء؛ منها: (الواحد والقهَّار)، وكل منهما دال على صفة من صفات الكمال؛ وهما: الوحدانية والقهر. ومعنى الواحد يختلف عن معنى القهَّار، ومعنى القهَّار يختلف عن معنى الذات وهكذا، وكلها أسماء وأوصاف لذات واحدة.

قال ابن أبي العز الحنفي: «وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها: فإن كان معنًى صحيحا قُبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة، إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك»[(١)].

والخلاصة: أن تسمية المتكلمين إثبات الصفات الاختيارية أو غيرها بالتغير والغير للتنفير عنها لا يلتفت إليه، بل الواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله سبحانه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

وأن ما اصطلحوا عليه من تسمية ذلك بالغير ما هو إلا تدليس قادهم إليه انحرافهم في باب الصفات عن الجادة السوية، وليس عليه أثارة من علم، وما كان كذلك فهو ساقط لا قيمة له.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية»، لابن تيمية.

٢ ـ «تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة»، لسليمان بن سحمان.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٢، ٤)، لابن تيمية.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.

٥ ـ «الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٦ ـ «الصفدية» (ج١)، لابن تيمية.

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٦١).

٧ ـ «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة» (ج٣)، لابن القيم.

٨ ـ «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج٣)، لعبد الرحمٰن بن صالح المحمود.

٩ ـ «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والعلَّامة ابن القيم من الألفاظ المجملة المتعلقة بأبواب التوحيد والقضاء والقدر»، لعبد السميع بن عبد الأول.

الغيرة

التعريف لغةً:

الغَيْرة مصدر من الفعل غار، وهي: الحَمِيّة والأَنَفَة، يقال رجل غَيور وامرأة غَيُور بلا هاء؛ لأَنّ فَعُولًا يشترِك فيه الذكر والأُنثى، والمِغْيارُ الشديد الغَيْرة[١]، قال ابن فارس: «الغين والياء والراء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على صلاحٍ وإصلاحٍ ومنفعة، والآخر على اختلافِ شيئين. فالأوَّل: الغِيرَة، وهي المِيرَة بها صلاحُ العِيال. يقال: غِرْتُ أهلي غِيرَةً وغِيارًا؛ أي: مِرْتُهُم. وغَارَهم الله تعالى بالغيث يَغِيرهم ويَغُورهم؛ أي: أصلَح شأنَهم ونَفَعهم. ويقال: ما يَغِيرك كذا؛ أي: ما ينفعُك. ومن هذا الباب: الغَيْرة؛ غَيرةُ الرَّجُل على أهله، تقول: غِرْتُ على أهلي غَيْرَةً. وهذا عندنا من الباب؛ لأنَّها صلاح ومنفعة. والأصل الآخر: قولُنا: هذا الشَّيءُ غيرُ ذاك؛ أي: هو سِواه وخلافه. ومن الباب: الاستثناءُ بغَير، تقول: عَشرة غير واحدٍ، ليس هو من العَشَرة»[٢].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي على معنى ما يمنع من أي شيء يشين الخلق ويخدش الحياء، وهي في ذلك على غاية الكمال والجلال، بلا تكييف ولا تمثيل.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى الشرعي هنا متعلق بالصفة التي هي لله تعالى، فهو مختص بالغيرة المانعة مما يشين الخُلُق ويخدش الحياء، ولا يدخل فيها ما يطلق عليه غيرة وهو متضمن لمعاني نقص في الغيور.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الغَيرة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال

(١) لسان العرب (٥/ ٣٤) [دار صادر، بيروت، ط١].

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٣) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ] وانظر: لسان العرب (٥/ ٣٤)، والقاموس المحيط (٢/ ١٦٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني؛ ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله؛ ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المِدحة من الله؛ ومن أجل ذلك وعد الله الجنة**»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا أحد أغير من الله فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أُمَّة محمد: ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني، يا أُمَّة محمد: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

بوّب البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه: «باب قول النبي ﷺ: «**لا شخص أغير من الله**»»[(٥)]. قاصدًا بذلك أن الغيرة وصف ثابت لله تعالى.

وفي أبواب صحيح مسلم: «باب غيرة الله تعالى، وتحريم الفواحش» ومروي تحته ثلاثة أحاديث في إثبات غيرة الله تعالى[(٦)].

وقال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «وجميع آيات الصفات التي في القرآن، والأخبار الصحاح واجب على المسلمين أن يؤمنوا بها مثل: النفس، والبدن، وغيرة الله تعالى...»[(٧)].

قال أبو يعلى الفراء رحمه الله بعد أن روى حديث أبي هريرة وسعد بن عبادة رضي الله عنهما السابقين: «اعلم أن الكلام في هذا الخبر في فصلين:

أحدهما: إطلاق صفة الغيرة عليه.

والثاني: في إطلاق الشخص.

أما الغيرة فغير ممتنع إطلاقها عليه سبحانه؛ لأنه ليس في ذلك ما يحيل صفاته ولا يخرجها عمَّا تستحقه؛ لأن

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٦)، ومسلم (كتاب اللعان، رقم ١٤٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٣٧)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢١)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠١).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٢٣)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦١).
(٥) صحيح البخاري (٤/٣٨٧) [المكتبة السلفية، ط١].
(٦) صحيح مسلم (٤/٢١١٣) [دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ].
(٧) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٦٨ ـ ٤٧٠) [دار الراية، ط١، ١٤١١].

الغيرة هي الكراهية للشيء، وذلك جائز في صفاته، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]»[١].

وقال ابن تيمية: «وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة، وهي مشتقة من التغير»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغيرة من صفات الرب جَلَّ جَلَالُهُ والأصل فيها قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ومن غيرته تعالى لعبده وعليه يحميه مما يضره في آخرته»[٣].

الأقسام:

صفة الغيرة لله تعالى خاصة وعامة:

فالخاصة: هي أن يأتي المؤمن ما حرم عليه.

والعامة: هي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن[٤].

المسائل المتعلقة:

لا يجوز تسمية الله بالغيور؛ لأنه لم يرد دليل لا من الكتاب ولا من السُّنَّة يدل عليه؛ وأسماء الله توقيفية، وعلى هذا فلا يأخذ أحكام أسماء الله الحسنى، وقد توسَّع بعض أهل العلم وأثبت لله اسم الغيور، ومعناه كما قال ابن العربي: «غَيُورٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يُحَرِّمُ سِوَاهُ»[٥].

ولم يذكره في أسماء الله إلا ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلًّا بأدلة صفة الغيرة، وأسقطه كل من ألَّف في الأسماء والصفات[٦].

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا خطأ أن يُشتق من كل فعل اسمٌ لله تبارك وتعالى: «من هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسمًا مطلقًا، فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر والخادع والفاتن والمضل والكاتب ونحوها من قوله: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومن قوله: ﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجن: ١٧]، ومن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]. وهذا خطأ من وجوه»[٧]، ثم ذكرها.

---

(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات (١/ ١٦٥) [دار إيلاف الدولية].

(٢) رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن مجموع الرسائل (٢/ ٤٨) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) روضة المحبين (٢٩٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ].

(٤) الاستقامة لابن تيمية (٢/ ١١) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٥) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٧) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٧)، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٩٥) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٧) طريق الهجرتين (٤٨٦ ـ ٤٨٧) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: «فإن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتَّسم منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء وأحدث، ولم يسمَّ بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسمِّ نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء. وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمًا وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسمَّاه الماكر والمخادع والفاتن والكائد ونحو ذلك، وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه شيء وموجود ومذكور ومعلوم ومراد ولا يسمَّى بذلك»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أنه لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى: المضل الفاتن الماكر، تعالى الله عن قوله؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها»[(٢)].

الثمرات:

١ ـ تعبُّد المؤمن لربه تعالى بتركه كل ما حرم عليه؛ إذ إن غيرة الله تعالى تقتضي أن يكون كذلك.

٢ ـ تجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٣ ـ غيرة المؤمن لانتهاك محارم الله عَزَّ وَجَلَّ، وتلك الغيرة الممدوحة في الشرع، كما امتدح النبي ﷺ غيرة سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقوله: «**أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني**» الحديث[(٣)].

الآثار:

١ ـ ما فطر الله تعالى العباد عليه من بغض الفواحش.

٢ ـ شرع الله تعالى الحكيم المشتمل على تقرير كل خُلُق كريم، والنهي عن كل فاحشة أو سبيل مفضية إليها.

٣ ـ العقوبات الواقعة على الأمم التي تظهر فيها الفواحش وتقر، كما حصل لقوم لوط ﷺ، وكما يدل عليه قول النبي ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[(٤)].

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ].

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٦٩) [مكتبة مصطفى نزار الباز، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٢٣) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٦).

مذهب المخالفين:

خالف في هذه الصفة عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فنفوها عن الله تعالى؛ بحجة استلزامها للتشبيه وإضافة النقص إلى الله تعالى؛ لأنها انفعالات نفسية لا تكون إلا للمخلوق، ولذلك أوَّلوها إلى معنى الزجر عن المعاصي، أو ما يغير من حال العاصي بالانتقام منه في الدنيا والآخرة، ونحو ذلك من التأويلات.

قال ابن فورك ـ في معنى غيرة الله عز وجل ـ: «المعنى ما أحد أكثر زجرًا عن الفواحش من الله»[1].

الرد عليهم:

الرد بنفي هذا اللازم الذي ذكروه في إثبات الصفة، فأهل السُّنَّة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين.

وما هذه الإلزامات التي يوردونها على الإثبات إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقدم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء منها[2].

ومن قال: إنَّ الغيرة انفعالات نفسانية؛ يقال له: كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعلة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها: لا يوجب أن يكون الله منفعلًا لها عاجزًا عن دفعها، وكان كل ما يجري في الوجود فإنه بمشيئته وقدرته لا

(١) نقلًا عن فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣٥١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٢) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (٨٥) [عالم الكتب]، والرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ١١٩).

يكون إلا ما يشاء ولا يشاء إلا ما يكون، له الملك وله الحمد. فصفة الغيرة ثابتة لله ﷻ على وجه الكمال الذي ليس فيه أي معنى من معاني النقص، ولا مماثلة لشيء من المخلوقين[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستقامة» (ج٢)، لابن تيمية.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، لقوام السُّنَّة.

٣ ـ «رسالة في الصفات الاختيارية»، لابن تيمية، [ضمن مجموع الرسائل (ج٢)].

٤ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله الغنيمان.

٥ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٦ ـ «صفة الغيرة لله تعالى: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، لمحمد العلي.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج٣)، لابن القيم.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج١)، لأبي يعلى.

الغيور

يراجع مصطلح (الغيرة).

(١) الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ١٢٠).



حرف الفاء

الفاطر

التعريف لغةً:

الفاطر اسم الفاعل للفعل (فطر)، والفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتْح شيء وإبرازِه، من ذلك الفِطْرُ من الصَّوم. وفطَرْتُ الشاةَ فَطرًا، إذا حَلبْتَها، والفِطْرَة: الخِلْقة والجبلَّة القابلة لدين الحقِّ، والفَطْرُ: الابْتداء والاخِتراع، وفَطَرَ الله الخَلْقَ يَفْطُرُهم: خَلَقَهم وبَدَأَهم، وافتطر الأَمرَ: ابتدعه، وفطَرَ الشيءَ يَفْطُره فَطْرًا فانْفَطَر، وفطَّرَه: شقه، والفَطْر الشق، ومنه فَطَر البئر، وفَطَرَ الله الشجر بالوَرَق وتفطَّرَت الأَرضُ بالنبات، واليدُ والثوب: تَشقَّقَت. وفَطَرَ نابُ البعير: شقَّ اللحمَ وطلع[1].

التعريف شرعًا:

هو الذي خلق الخلق وابتدأهم وأبدعهم على غير مثال سابق.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/ ٥١٠) [دار الفكر]، والصحاح (٢/ ٣٤٥)، والمحكم (٩/ ١٥٣) [دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٠م]، ولسان العرب (٥/ ٥٥) [دار صادر، ط١، ١٤١٢هـ]، والقاموس المحيط (٢/ ١٩٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

وقال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ: «قال الحليمي في معنى الفاطر: إنه فاتق المرتتَق مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال أبو سليمان [الخطابي]: الفاطر هو الذي فطر الخلق؛ أي: ابتدأ خلقهم كقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١]»[2].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

توافق المعنى الشرعي مع اللغوي من حيث أصل المعنى.

الأسماء الأخرى:

فاطر السماوات والأرض.

الحكم:

ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه أنه فاطر السماوات والأرض، فنثبت ذلك من أفعاله سبحانه، وندعوه بذلك كما ثبت في الأحاديث، وهذا الفعل المقيد خاص به سبحانه، لا ينسب ولا يطلق على أحد سواه. وهو بمعنى خالق، كما سبق.

(٢) الأسماء والصفات (١/ ٧٦، ٧٧) [مكتبة السوادي].

۞ **الأدلة:**

جاءت الأدلة في وصف الله تعالى بأنه فاطر السماوات والأرض مقيدًا في ست آيات، وهي:

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١].

وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦].

وقوله: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤].

وقوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ﴾ [الشورى].

أما في السُّنَّة: فعن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللَّهُمَّ رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو بكر: يا رسول الله مُرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت؟ قال: «**قل اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إلٰه إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه، قال: قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك**»[(٢)].

۞ **أقوال أهل العلم:**

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله: فاطر السماوات والأرض، قال: «بديع السماوات والأرض»[(٣)].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، قال: ابتدأتها»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٥٠٦٧)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٣٩٢) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (١/ ٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والدارمي (كتاب الاستئذان، رقم ٢٧٣١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٢٧٥٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٤) [المكتبة العصرية]، وفي سنده ضعف.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٧٠). =

وعن الضحاك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «كل شيء في القرآن: فاطر السماوات والأرض؛ فهو خالق السماوات والأرض»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاطر السماوات والأرض؛ أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سَبَق»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية الله عَزَّ وَجَلَّ بالفاطر:

اسم الفاطر بهذا الإطلاق لم يرد في القرآن أو السُّنَّة، وإنما ورد مقيدًا مضافًا إلى السماوت والأرض في ستة مواضع من القرآن قد سبق ذكرها.

وقد ذكر هذا الاسم عدد من العلماء على إطلاقه دون تقييد[(٣)]، والحق أنه لم يرد مطلقًا في النصوص وإنما ورد مضافًا كما سبق، وقد جاء في بعض النصوص بصيغة: فطر، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

وعلى هذا فالفاطر لا يأخذ أحكام أسماء الله الحسنى من التعبيد له والدعاء به على الإطلاق، وإنما يقال: يا فاطر السماوات والأرض، كما جاءت النصوص الشرعية بذلك.

- المسألة الثانية: من صفات الله تعالى الفَطْر[(٤)]:

وهي من الصفات الفعلية، فالله فطر الخلق، دلَّ عليها الكتاب والسُّنَّة والعقل، ومن ذلك الأدلة التي دلَّت على فاطر السماوات والأرض، وسبق ذكرها، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس]، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

ومن السُّنَّة ما ورد عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين**» الحديث[(٥)].

= وأخرجه الطبري في تفسيره (١١/٢٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]. وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات (١/٧٨) [مكتبة السوادي، ط١]، وفيه: «أنا فطرتها؛ يريد: استحدثت حفرها».

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٧٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٢٤٣) [دار طيبة، ط٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢١٣، ٢١٤، ٢٤٨) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: صفات الله عَزَّ وَجَلَّ للسقاف (١٩٦) [دار الهجرة، ط١].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

- **المسألة الثالثة: أن الله ﷻ فطر الخلق على معرفته:**

فالفِطر السليمة تشهد له بربوبيته ووحدانيته، فهو أظهر دليل ولا يحتاج إلى دليل، فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرّة لله بالإلهية، محبةً له تعبده لا تشرك به شيئا ولكن يفسدها من يزين لها من شياطين الإنس والجن بما يوحي بعضهم إلى بعض من الباطل[(١)].

والمقصود بالفطرة التي يولد عليها كل مولود كما جاء في الحديث ليست مجرد الخُلق فحسب بل «هي السلامة من الاعتقادات الباطلة، والقبول للعقائد الصحيحة، فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى: لا إلٰه إلّا الله»[(٢)].

والرسل عليهم السلام بُعثوا لتذكير العباد بهذه الفطرة التي فطرهم عليها ربهم ولدعوتهم لأن يعبدوه ويفردوه بالعبادة والإلهية ولا يشركوا معه أحدًا. فتوحيد الألوهية هو المقصود والغاية من دعوة الرسل، لا توحيد الربوبية.

قال ابن القيم رحمه الله: «ولهذا لم تدع الرسل قط الأمم إلى الإقرار بالصانع ﷻ وإنما دعوهم إلى عبادته وتوحيده وخاطبوهم خطاب من لا شبهة عنده قط في الإقرار بالله تعالى ولا هو محتاج إلى الاستدلال عليه ولهذا: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [إبراهيم: ١٠]. وكيف يصح الاستدلال على مدلول هو أظهر من دليله حتى قال بعضهم: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء»[(٣)].

۞ **الفروق:**

الفرق بين الفطر والفعل:

الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنه شق عنه فظهر، وأصل الباب الشق ومع الشق الظهور ومن ثمّ قيل: تفطَّر الشجر؛ إذا تشقق بالورق، وفطرت الإناء: شققته، وفطر الله الخلق: أظهرهم بإيجاده إياهم كما يظهر الورق إذا تفطر عنه الشجر، ففي الفطر معنى ليس في الفعل، وهو الإظهار بالإخراج إلى الوجود قبل ما لا يستعمل فيه الظهور ولا يستعمل فيه الوجود[(٤)].

الفرق بين الخالق وبين الفاطر والرّبّ:

إن الخلق عبارة عن التَّقدير، وهو في حقِّ الله تعالى عبارة عن علمه النَّافذ في جميع الكلّيات والجزئيات، وأمّا كونه فاطرًا فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٠٥).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٥).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].
(٤) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٤٠٧) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١].

فكونه تعالى خالقًا إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطرًا إشارة إلى صفة القدرة، وكونه تعالى ربًّا ومربيًا على الأمرين فكان ذلك أكمل[(١)].

الآثار:

١ ـ أن العبد حينما يعتقد أن الله هو الذي خلق السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات، يستشعر كمال قدرته، وسعة ملكه، وعموم رحمته، وبديع حكمته، وإحاطة علمه، فيزداد لربه محبة وتوكلًا عليه وطلبًا لهدايته، ويبرأ من كل ما يعبد من دون الله، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف].

٢ ـ وكذلك يُسلم وجهه لربه فيخلص عمله له كما قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام]. وكما في دعاء الاستفتاح في الصلاة، ويحمد الله تعالى كما حمد سبحانه نفسه فله الحمد فاطر السماوات والأرض.

كما أنه لا يشك ولا يرتاب في ربه كفعل المشركين الذين جادلوا رسلهم، بل هو على يقين بربوبيته وألوهيته.

٣ ـ وعلى العبد ألا يتخذ وليًّا من دون الله الذي فطره والذي يطعمه ويسقيه، وهو منزه عن الطعام والشراب، بل يتخذه وليًّا فهو نعم المولى والولي ونعم النصير، كدأب الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠١].

٤ ـ الاقتداء برسول الله في توسله بفاطر السماوات والأرض، فيتوسل به؛ لأن يهديه الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فإن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ويتوسل به بأن يعيذه من شرور نفسه من رياء وشرك وحقد وحسد وغيرها من الشرور، ومن شر الشيطان وشركه.

مذهب المخالفين:

من المعلوم أن الله فطر عباده على معرفته وعبادته ومحبته والسلامة من الاعتقادات الباطلة، فمعرفته سبحانه مركوزة في النفس الإنسانية، منذ أخذ الله الميثاق والعهد على بني آدم لما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، ووجوده سبحانه لا يحتاج إلى دليل، فهو أظهر من الشمس في رابعة النهار، فهو فاطر السماء والأرض، لذلك قالت الرسل

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ].

لأقوامها: أفي الله شك فاطر السماوات والأرض، إلا أن الجهمية ومن سار على نهجهم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ـ متأثرين بالفلاسفة ـ خالفوا ذلك، ووضعوا أصولًا وسنُّوا قوانين لإثبات وجود الخالق، مثل دليل حدوث الأجسام والأعراض وغيرها(١)، وجعلوا النظر في ذلك هو أوجب الواجبات وأولها، ويكفي لبطلانها أنها أصول وقواعد جرَّتهم إلى نفي صفات الله تعالى، ولوازم فاسدة، ومخالفة لطريق الرسل وسلف الأمة، فصعَّبوا ما هو سهل ومعروف لدى العام والخاص؛ إذ إن «وجوده سبحانه وربوبيته وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده، فما ينكره إلا مكابر بلسانه وقلبه وعقله وفطرته وكلها تكذبه»(٢).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠] أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول، فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم: فاطر السماوات والأرض.

وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ـ قدّس الله روحه ـ يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصحُّ في الأذهان شيءٌ
إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما»(٣).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام» (ج١ و٢ و٣)، لعبد القادر عطا صوفي.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيمي.

٤ ـ «درء التعارض» (ج٨)، لابن تيمية.

(١) انظر أقوالهم والرد عليها في: الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في نفي صفات الله ﷻ والرد عليها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ج١ و٢ و٣) لعبد القادر عطا صوفي [أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٦هـ].

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٢). وانظر: شفاء العليل (٢٥٣) [دار الفكر].

(٣) مدارج السالكين (١/ ٦٠).

٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤، ١٦)، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيم.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» (ج٢)، للحمود.

فاطمة بنت النبي محمد ﷺ

اسمها ونسبها:

فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية القرشية رضي الله عنها[(١)].

مولدها ووفاتها:

اختلف في سنة مولدها على أقوال:

القول الأول: أنها ولدت قبل البعثة، حين كان عمر النبي ﷺ خمسًا وثلاثين سنة، عام بناء الكعبة، وهذا القول نقله الواقدي من طريق أبي جعفر الصادق عن العباس، وجزم به المدائني وابن سعد[(٢)].

القول الثاني: أنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وهذا نقله ابن عبد البر[(٣)] عن عبيد الله بن محمد الهاشمي.

القول الثالث: أنها ولدت قبل البعثة بقليل، نحو سنة أو أكثر، وهذا قول الذهبي[(٤)] وابن حجر فيما يظهر من سياق كلامه[(٥)].

وأما وفاتها فقد توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر كما في الصحيح[(٦)]، في ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان في سنة إحدى عشرة، عن بضع وعشرين سنة[(٧)]، قال الذهبي: «وعاشت أربعًا أو خمسًا وعشرين سنة، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعًا وعشرين سنة، والأول أصح»[(٨)]. وقال ابن حجر: «وماتت بعد

(١) طبقات خليفة بن خياط (٣٠) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٧/ ٢١٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٥/ ٢٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ]، وسير أعلام النبلاء (٢/ ١١٨) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٥٣).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ١٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٩٣) [دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٩).

(٥) انظر لهذه الأقوال: الإصابة (٨/ ٥٤).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٧) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٣)، وتاريخ خليفة بن خياط (٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧هـ]، والبداية والنهاية (٩/ ٤٨٥، و٤٩٠) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

(٨) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١).

النبي ﷺ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل»[(١)]. وثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن فاطمة رضي الله عنها «لما توفيت دفنها زوجها علي ليلًا، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلَّى عليها»[(٢)].

فضائلها:

- أنها سيدة نساء أهل الجنة، كما جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن هذا مَلَك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[(٣)].

وثبت من حديث أم المؤمنين عائشة أن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ حدثتها أن النبي ﷺ قال لها: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك**»[(٤)].

وجاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، قال: **تدرون ما هذا؟** فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: **أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران**»[(٥)].

- أنها رضي الله عنها بضعة من النبي ﷺ، يغضبه ما يغضبها، ويؤذيه ما يؤذيها، ويريبه ما يريبها، كما ثبت من حديث المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**»[(٦)].

وعن المسور بن مخرمة أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «**إنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها**»[(٧)].

قال الذهبي: «ومناقبها غزيرة، وكانت صابرة، ديِّنة، خيِّرة، صيِّنة، قانعة، شاكرة لله. وقد غضب لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن همَّ بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبي جهل... فترك علي

(١) تقريب التهذيب (رقم ٨٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨١)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وأحمد (٣٨/ ٣٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٤٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٤).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب المناقب، رقم ٨٢٩٧)، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٠١٠)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٣٥) [دار المعرفة]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٠٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١٤) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٩).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥٢٣٠)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٩).

الخطبة رعاية لها، فما تزوج عليها، ولا تسرَّى، فلما توفيت تزوج، وتسرَّى رضي الله عنهما»[(١)].

- أنها إحدى نساء العالمين الأربع في الفضل، لما جاء من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**»[(٢)].

مكانتها:

كانت فاطمة رضي الله عنها عالية القدر رفيعة الدرجة سامية المنزلة، فعن ابن جريج قال: «قال لي غير واحد كانت فاطمة أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه»[(٣)]. وقال الذهبي: «وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: ميراث فاطمة** رضي الله عنها **من أبيها** ﷺ:

لما توفي النبي ﷺ طلبت فاطمة رضي الله عنها من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يعطيها من ميراث أبيها، فأخبرها الصديق رضي الله عنه بأن النبي ﷺ لا يورث، وأن ما تركه صدقة، كما ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي ﷺ، فيما أفاء الله على رسوله ﷺ، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**» إنما يأكل آل محمد من هذا المال، - يعني: مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ. فتشهَّد علي ثم قال: إنَّا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك - وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم - فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي»[(٥)]. وفي رواية: «فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلًا ولم يؤذن بها أبا

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١١٩، ١٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧٨) وصححه، وأحمد (١٩/ ٣٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٠٣)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٤٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٥٧٣) [مكتبة المعارف، الرياض، ط١].

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٥٣).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١١٩).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٧١١، ٣٧١٢)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

بكر، وصلَّى عليها»[١].

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ـ منهم الذهبي[٢] وابن كثير ـ أنها لم تمت حتى جاءها الصديق رضي الله عنه وترضَّاها، فرضيت عنه في مرض وفاتها، حيث قال: «ولما مات رسول الله ﷺ سألت من أبي بكر الميراث، فأخبرها أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»[٣]. فسألت أن يكون زوجها ناظرًا على هذه الصدقة، فأبى ذلك وقال: إني أعول من كان رسول الله ﷺ يعول، وإني أخشى إن تركت شيئًا مما كان رسول الله ﷺ يفعله أن أضل، ووالله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. فكأنها وجدت في نفسها من ذلك، فلم تزل مغضبة مدة حياتها، فلما مرضت جاءها الصديق، فدخل عليها فجعل يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. فرضيت رضي الله عنها»[٤]. وقد رواه ابن سعد فقال: «أخبرنا عبد الله بن نمير، حدثنا إسماعيل عن عامر قال: جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت، فاستأذن فقال علي: هذا أبو بكر على الباب فإن شئت أن تأذني له. قالت: وذلك أحب إليك؟ قال: نعم. فدخل عليها واعتذر إليها وكلَّمها فرضيت عنه»[٥].

قال ابن حجر عقب إيراده هذا الأثر وحكمه عليه: «وبه يزول الإشكال في جواز تمادي فاطمة رضي الله عنها على هجر أبي بكر رضي الله عنه، وقد قال بعض الأئمة: إنما كانت هجرتها انقباضًا عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرم؛ لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا، وكأن فاطمة رضي الله عنها لما خرجت غضبى من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها.

وأما سبب غضبها مع احتجاج أبي بكر رضي الله عنه بالحديث المذكور؛ فلاعتقادها تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر رضي الله عنه، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم في قوله: «لا نورث»، ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن تورث عنه، وتمسك أبو بكر بالعموم، واختلفا في أمر محتمل للتأويل، فلمَّا صمَّم على ذلك انقطعت عن الاجتماع به

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢/ ١٢١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (كتاب قسم الفيء والغنيمة، رقم ١٢٧٣٥) عن الشعبي مرسلًا، وقال: «هذا مرسل حسن بإسناد صحيح». وانظر: البداية والنهاية (٩/ ٤٨٩).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨/ ٢٧) [دار صادر، ط١]، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٢٠٢) [دار المعرفة]: «وهو وإن كان مرسلًا فإسناده إلى الشعبي صحيح».

لذلك، فإن ثبت حديث الشعبي أزال الإشكال، وأخلق بالأمر أن يكون كذلك؛ لما علم من وفور عقلها ودينها»[(١)]. وعلى كل حال ينبغي على المرء، أن يتذكر أن كلًّا من أبي بكر وفاطمة رضي الله عنهما من المبشرين بالجنة، وعليه فلا يطلق العنان للسانه للقدح في واحد منهما.

- **المسألة الثانية: زواجها من علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:**

تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في السَّنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة[(٢)]، فأنجبت له الحسن، والحسين، ومُحسنًا الذي مات صغيرًا، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، ولم يتزوج علي عليها غيرها حتى ماتت[(٣)].

وروي من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: «لما ولد الحسن سمَّيته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سمَّيتموه؟**» قال: قلت: حربًا. قال: «**بل هو حسن**». فلما ولد الحسين سمَّيته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سمَّيتموه؟**» قال: قلت حربًا. قال: «**بل هو حسين**». فلما ولد الثالث سمَّيته حربًا، فجاء النبي ﷺ فقال: «**أروني ابني، ما سمَّيتموه؟**» قلت: حربًا. قال: «**بل هو محسن**». ثم قال: «**سميتهم بأسماء ولد هارون شبر، وشبير، ومشبر**»[(٤)].

- **المسألة الثالثة: أنها من أصحاب الكساء:**

وهم النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، لحديث عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: «لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب] في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلَّلهم بكساء وعلي خلف ظهره، فجلَّلهم بكساء، ثم قال: اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»[(٥)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٢٠٢).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (رقم ٨٦٥٠).

(٣) انظر: الطبقات لابن سعد (٣/ ١٤)، والمعارف لابن قتيبة (٢١٠) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٩٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (٢/ ٢٤، و٥/ ٦٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٥).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٦٩٥٨)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٤٧٧٣) وصححه، وصحح إسناده ابن حجر في الإصابة (٦/ ١٩٢) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٧٨٧) وقال: غريب من هذا الوجه. وله شاهد عند الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٧١)، وأحمد (٤٤/ ٢١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الألباني أيضًا في تعليقه على جامع الترمذي.

وهذا الحديث وأمثاله مما في معناه، يدل على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في مُسمَّى آل البيت، وعلى فضلهم وشرفهم رضي الله عنهم.

- المسألة الرابعة: فيما بني على حديث الكساء من إخراج نساء النبي ﷺ عن أهل البيت:

تشبث الروافض بحديث الكساء؛ لإخراج أمهات المؤمنين عن أهل البيت[١]، مع أن الحديث لا يدل على حصر مسمَّى آل البيت فيهم، وإخراج من سواهم عن مسمَّى آل البيت، كزوجاته وولده ونحوهم ممن يدخلون في مسمى آل البيت بالأدلة الصحيحة، وقد اشتد نكير أهل العلم على من أخرج أمهات المؤمنين عن مسمَّى آل البيت استنادًا إلى هذا الحديث وأمثاله مما يدل على فضل أهل الكساء، وأكدوا على أن آية الأحزاب نص صريح في دخول أمهات المؤمنين في مسمَّى آل البيت من ثلاث جهات، وهي نزول الآية فيهن، والسياق والسباق فيهن، ودلالة اللغة كذلك عليهن، وهو أن (أل) في ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ للعهد، وهي بيوت النبي ﷺ التي فيها نساءه.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ۝٣٣﴾ [الأحزاب]: «وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولًا واحدًا...، وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادي في السوق: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ۝٣٣﴾ نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، وهكذا روى ابن أبي حاتم...عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة.

وقال عكرمة: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ.

فإن كان المراد: أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن، ففي هذا نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم»[٢].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «إن قرينة السياق صريحة في دخولهن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

(١) هذا القول وإن لم ينفرد به الروافض إلا أنهم قالوه حقدًا وغلًّا في أمهات المؤمنين، وجعلوه ديدنهم، وسلّمًا للطعن به فيهن، أما غيرهم فقد قالوه اجتهادًا فقط، وهو غير صحيح.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤١٠، ٤١١) [دار طيبة، ط٢].

﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾، ثم قال بعده: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وقد أجمع جمهور علماء الأصول على أن صورة سبب النزول قطعية الدخول، فلا يصح إخراجها بمخصص... فالحق أنهن داخلات في الآية»[(١)].

وقال ابن عاشور: «وقد تلقف الشيعة حديث الكساء فغصبوا وصف أهل البيت، وقصروه على فاطمة وزوجها وابنيهما عليهم الرضوان، وزعموا أن أزواج النبي ﷺ لسن من أهل البيت. وهذه مصادمة للقرآن بجعل هذه الآية حشوًا بين ما خوطب به أزواج النبي ﷺ، وليس في لفظ حديث الكساء ما يقتضي قصر هذا الوصف على أهل الكساء؛ إذ ليس في قوله: «**هؤلاء أهل بيتي**» صيغة قصر، وهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي﴾ [الحجر: ٦٨] ليس معناه ليس لي ضيف غيرهم»[(٢)].

وقوله في آخر الحديث: «قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير»[(٣)] ليس معناه أنها خارجة عن مسمى أهل البيت كما توهمه الروافض، بل كان تركها لظهور دخولها في مسمى آل البيت، قال الآلوسي: «وما أجاب به أم سلمة، وعدم إدخالها في بعض المرات تحت الكساء، ليس لأنها ليست من أهل البيت أصلًا، بل لظهور أنها منهم؛ حيث كانت من الأزواج اللاتي يقتضي سياق الآية وسباقها دخولهن فيهم، بخلاف من أدخلوا تحته ـ رضي الله تعالى عنهم ـ فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لو لم يدخلهم ويقل ما قال، لتوهم عدم دخولهم في الآية لعدم اقتضاء سياقها وسباقها ذلك»[(٤)].

وبهذا يظهر جليًّا أن استدلالات الروافض كلها استدلالات واهية، وتعلقات هزيلة، ومآخذ هشة تنبئ عن إفلاس القوم عن الحجة والبرهان.

ـ المسألة الخامسة: في ادعاء العصمة لجميع أهل الكساء:

معلوم أن العصمة لم يحظَ بها من البشر إلا الأنبياء عليهم السلام، ولكن يدّعي الروافض أن عليًّا وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم معصومون، واحتجوا لذلك بحديث الكساء المتقدم، وبآية الأحزاب وهي قوله تعالى: ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب]، وسعوا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن (٦/ ٢٣٧) [دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ].

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ١٦) [الدار التونسية].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تفسير الألوسي (١١/ ١٩٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

لإثبات هذا غاية السعي، وتعلقوا في سبيل هذا بكل ما هب ودب، وقد تقدم أن حديث الكساء لا يدل على أكثر من بيان فضل هؤلاء، والتنويه بدخولهم في مسمى أهل البيت، والدعاء لهم بأن يكونوا من المطهرين.

وأما ما زاد على هذا القدر، كدعوى العصمة لهم ونحوه، فيحتاج لإثباته إلى دليل آخر صحيح صريح ـ ولا وجود لمثل هذا في دين الإسلام ـ وإلا أصبحت دعوى مجردة، وكما قيل:

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بيناتٍ أصحابُها أدعياء، وأما آية الأحزاب المذكورة فهي بالنظر إلى سباقها وسياقها وسبب نزولها فهي كذلك لا تتعدى التنصيص على أن نساء النبي ﷺ ومن معهن هم آل البيت، وأن الله فضَّلهم على غيرهم، وليس فيها أي إشارة إلى عصمة علي وفاطمة وابنيهما رضي الله عنهم، بل إن الآية لا تشير إليهم إشارة صريحة، ولو لم يأت حديث الكساء وأمثاله مما يدل على دخولهم في مسمى أهل البيت لتُوُهِّم أنهم ليسوا من أهل البيت، فضلًا عن دلالتها على عصمتهم. قال ابن تيمية: «وبالجملة فالتطهير الذي أراده الله، والذي دعا به النبي ﷺ، ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السُّنَّة عندهم لا معصوم إلا النبي ﷺ، والشيعة يقولون: لا معصوم غير النبي ﷺ والإمام. فقد وقع الاتفاق على انتفاء العصمة المختصة بالنبي ﷺ والإمام عن أزواجه وبناته وغيرهن من النساء، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون التطهير المدعو به للأربعة متضمنًا للعصمة التي يختص بها النبي ﷺ والإمام عندهم، فلا يكون من دعاء النبي ﷺ له بهذه العصمة؛ لا لعلي ولا لغيره، فإنه دعا بالطهارة لأربعة مشتركين لم يختص بعضهم بدعوة»[1].

ثم ذكر شيخ الإسلام أن كون الروافض في باب القدر قدرية يمتنع معه القول بالعصمة، فيقول: «وأيضًا فالدعاء بالعصمة من الذنوب ممتنع على أصل القدرية، بل وبالتطهير أيضًا؛ فإن الأفعال الاختيارية ـ التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات ـ عندهم غير مقدورة للرب، ولا يمكنه أن يجعل العبد مطيعًا ولا عاصيًا، ولا متطهرًا من الذنوب ولا غير متطهر، فامتنع على أصلهم أن يدعو لأحد بأن يجعله فاعلًا للواجبات تاركًا للمحرمات، وإنما المقدور عندهم قدرة تصلح للخير والشر، كالسيف الذي يصلح لقتل المسلم والكافر، والمال الذي يمكن إنفاقه في الطاعة والمعصية، ثم العبد يفعل باختياره؛ إما الخير وإما الشر بتلك

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٨٣، ٨٤).

القدرة. وهذا الأصل يبطل حجتهم، والحديث حجة عليهم في إبطال هذا الأصل، حيث دعا النبي ﷺ لهم بالتطهير. فإن قالوا: المراد بذلك أنه يغفر لهم ولا يؤاخذهم، كان ذلك أدلّ على البطلان من دلالته على العصمة. فتبين أن الحديث لا حجة لهم فيه بحال على ثبوت العصمة. والعصمة مطلقًا ـ التي هي فعل المأمور وترك المحظور ـ ليست مقدورة عندهم لله، ولا يمكنه أن يجعل أحدًا فاعلًا لطاعة ولا تاركًا لمعصية، لا لنبي ولا لغيره، فيمتنع عندهم أن من يعلم أنه إذا عاش يطيعه باختيار نفسه لا بإعانة الله وهدايته، وهذا ممَّا يبين تناقض قولهم في مسائل العصمة كما تقدم. ولو قدر ثبوت العصمة، فقد قدمنا أنه لا يشترط في الإمام العصمة، ولا إجماع على انتفاء العصمة في غيرهم، وحينئذٍ فتبطل حجتهم بكل طريق»[1].

موقف المخالفين منه:

ـ الروافض:

يعتقد الروافض أن النبي ﷺ يورث كغيره من الناس، ولكن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما منعا فاطمة بنت النبي ﷺ من ميراثها، بل واستردّا منها ما أعطاها أبوها في حياته ﷺ كفدك، وأن حديث: **«لا نورث، ما تركنا فهو صدقة»**[2]، تارة يقولون: إنه حديث موضوع وكذب على رسول الله ﷺ قصد به حرمان فاطمة من ميراث أبيها[3]، وتارة يزعمون أنه خبر واحد ينقضه القرآن الذي دل على أن الأنبياء يورثون[4]، وتارة يعطلون دلالته بالتأويل الفاسد؛ حيث حرفوا (نورث) إلى يورث، ونصبوا (صدقة) على الحال بدل رفعها، وزعموا أن هذا هو الصواب في ضبط الحديث، ليسلم لهم أن ما تركه النبي ﷺ على جهة صدقة لا يورث، وغيره مما تركه يورث[5]. وبعضهم جعل (ما) في بعض روايات الحديث: **«لا نورث ما تركنا صدقة»**[6] نافيةً و(صدقة) منصوبة؛ ليصبح المعنى: أنه ﷺ لم يترك صدقة[7].

الرد عليهم:

أولًا: دعوى كون النبي ﷺ يورث

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٨٣ ـ ٨٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: مستند الشيعة للنراقي (١٩/ ٩) [مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤١٩هـ]، وأضواء على الصحيحين لمحمد صادق النجمي (٣٨٠) [مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) انظر: المسائل الصاغانية للمفيد (٩٩) [دار المفيد، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٥) انظر: الروض المختارة (شرح القصائد الهاشميات للكميت الأسدي) (٨١) (هامش٣) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣٠٩٣)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٩).

(٧) انظر: البداية والنهاية (٨/ ١٩٩).

دعوى فاسدة؛ لمصادمتها صريح صحيح السُّنَّة، وهو قوله: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»[(١)].

ثانيًا: أنه قد وافق الصدِّيقَ على رواية هذا الحديث عن النبي ﷺ جماعةٌ؛ منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو هريرة رضي الله عنهم[(٢)]، وهذا يكشف أكاذيب الروافض، الذين يزعمون أنه خبر واحد[(٣)].

ثالثًا: أن احتجاج الروافض على أن الأنبياء يورثون بقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] **فلا يصح لأمور:**

الأول: أن الأنبياء لا يورّثون مالًا؛ لما صح من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا نورث، ما تركناه صدقة**»[(٤)].

الثاني: أنَّ زكريا عليه السلام كان نجارًا، يأكل من كسب يديه كداود عليه السلام، ومثل هذا لا يجمع مالًا، ولا سيما الأنبياء؛ فهم أزهد الناس، ولم يُذكر أنه كان ذا مال.

الثالث: أنَّ الأنبياء عليهم السلام هم أزهد الناس عن الدنيا، فلا يتصور حرص زكريا عليه السلام على ماله إلى درجة أنه يأنف من وراثة عصباته له، فيدعو ربه بإلحاح أن يرزقه ولدًا يرث ماله.

الرابع: أن وراثة سليمان لداود عليه السلام هي وراثة النبوة أيضًا؛ لأنها لو كانت وراثة مال لما خُصّ بها سليمان عليه السلام من بين إخوته، ولما كان في الإخبار بها كبير فائدة؛ لما هو مستقر في جميع الشرائع من أن الولد يرث مال أبيه، ولكن لما كانت وراثة نبوة حسن الإخبار بها[(٥)].

الخامس: هب أن الأنبياء عليهم السلام يورثون، فإن النبي محمدًا ﷺ ليس كذلك؛ لأنه ﷺ قد خُصَّ بخصائص عدة، منها: أنه لا يورث[(٦)] كما في الحديث السابق.

وأما قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] فالنبي ﷺ مُستثنى منه بنص الحديث السابق الذي احتج به الصديق على المنع من إرث النبي ﷺ.

وأما ضبطهم للحديث على نحو ما سبق فهو تحريف ظاهر لأمور؛ **منها:**

- أنه مصادم لبعض ألفاظ الحديث

(١) تقدم تخريجه.
(٢) انظر: المصدر نفسه (٢/٣٩٨).
(٣) انظر: المسائل الصاغانية للمفيد (٩٩).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٥٧).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢١٢ ـ ٢١٣)، والبداية والنهاية (٢/٣٩٨).
(٦) البداية والنهاية (٨/١٩٩).

الصحيح: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»[(١)]، فهذا لا يقبل التأويل المذكور لمن تجرد وأنصف ولم يكابر.

- أنه مصادم لما توارد عليه أهل الحديث، عبر عصورهم المختلفة وأزمنتهم العديدة، من أن لفظ الحديث: «**لا نورث**» بالنون لا بالتحتانية، و«صدقةٌ» بالرفع لا بالنصب.

- أنه لو كان الأمر كما يدّعيه الروافض في ضبط الحديث، لما صح احتجاج الصديق على فاطمة رضي الله عنهما حينما التمست منه من الذي تركه والدها النبي ﷺ، وهما من أعلم الناس بمدلولات الألفاظ[(٢)].

وأما جعلهم (ما) في الحديث نافية فهذا مردود بأمور؛ منها: أول الحديث وهو قوله: «**لا نورث**»، ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يقتسم ورثتي دينارًا ولا درهمًا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة**»[(٣)].

ومما يدل على كذب الروافض في دعوى الإرث، أن عليًّا رضي الله عنه لما ولي الأمر لم يُرجع الفدك ولا غيرها إلى ورثة فاطمة وهم: هو وولده منها رضي الله عنهم، مع ما عُرف به علي رضي الله عنه من الشجاعة المتناهية، وعدم الخوف في الله لومة لائم.

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٢٠٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الوصايا، رقم ٢٧٧٦)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٦٠). وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٨/١٩٩).

المصادر والمراجع:

١ - «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٤)، لابن عبد البر.

٢ - «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (ج٢، ٥، ٧)، لابن الأثير.

٣ - «البداية والنهاية» (ج٩)، لابن كثير.

٤ - «تاريخ خليفة بن خياط».

٥ - «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (ج٣٥)، للمزي.

٦ - «سير أعلام النبلاء» (ج٢)، للذهبي.

٧ - «الطبقات الكبرى» (ج٨)، لابن سعد.

٨ - «طبقات خليفة بن خياط».

٩ - «فتح الباري» (ج٦)، لابن حجر.

١٠ - «المعارف»، لابن قتيبة.

الفأل

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «الفاء والألف واللام: الفأل ما يُتفاءل به»[(٤)].

والفأل: ضد الطيرة، والجمع فؤول.

(٤) مقاييس اللغة (٤/١٩٦) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

يقال: تفاءلت بكذا وتفأَّلت على التخفيف والقلب، وقد أُولع الناس بترك همزه تخفيفًا. والفأل أن يكون الرجل مريضًا فيسمع آخر يقول يا سالم، أو يكون طالبًا فيسمع آخر يقول يا واجد، يقال تفاءلت بكذا[1].

التعريف شرعًا:

الفأل: الكلمة الطيبة أو الحسنة، يسمعها الإنسان، فيتأولها على المعنى الذي يطابق اسمها، إحسانًا بالله تعالى الظنَّ[2].

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد أعلم النبي ﷺ أن الفأل إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة، فيفأل بها؛ أي: يتبرك بها، ويتأوَّلها على المعنى الذي يطابق اسمها، واستحب الفأل بالكلمة الحسنة يسمعها من ناحية حسن الظن بالله تعالى»[3].

سبب التسمية:

سمِّي الفأل بذلك؛ لأنه مما يتفاءل به، ويتبرك به، على معنى الاستبشار، والفرح بما يسمع من الكلام الحسن.

الحكم:

استعمال الفأل مما أُذن فيه شرعًا، وهو من الأمور المستحبة؛ لما فيه من حسن ظن بالله جَلَّ وَعَلَا، وتقوية للعزائم، وفتح لأبواب الخير، وشحذ للهمم، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يحبه ويعجبه[4].

الحقيقة:

حقيقة الفأل أن يفعل أمرًا، أو يعزم عليه، متوكلًا على الله تعالى، فيسمع الإنسان الكلمة الحسنة، أو يرى شيئًا يستحسنه يرجو منه أن يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله، كأن يسمع طالبٌ لحاجته أو ضالته رجلًا يقول: يا واجد، فيقع في قلبه أنه يجد حاجته، رجاء بالله تعالى، أو يسمع المريض آخر يقول: يا سليم فيقع في قلبه أنه سيشفى بإذن الله تعالى، وهذا معنى ما فسّر به النبيُّ ﷺ الفأل[5].

الأدلة:

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛

(١) انظر: الصحاح (٥/١٧٨٨) [دار العلم للملايين، ط٣]، ولسان العرب (١٠/١٦٦ ـ ١٦٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ]، وترتيب القاموس المحيط (٣/٤٤١) [دار عالم الكتب، ط٤، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: معالم السنن (٤/٤٠٢) [المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥٢هـ]، وأعلام الحديث (٤/٢١٣٥) [جامعة أم القرى، مكة، ط١، ١٤٠٩هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) معالم السنن (٤/٤٠٢).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٠، ٣٤١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].
وسيأتي تخريج الحديث قريبًا.

(٥) انظر: أعلام الحديث (٤/٢١٣٥، ٢١٣٦)، والنهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٦٦، ٦٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

أنه ﷺ سئل: ما الفأل؟ فقال: «**الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم**»[(١)].

وفيهما أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح**»[(٢)].

ولهما عن النبي ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**». قيل: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما أحبَّ النبي ﷺ الفأل؛ لأن فيه رجاء الخير والعائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من اليأس، وقطع الرجاء عن الخير»[(٤)].

وقال أبو عبد الله الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأنّ التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب ظاهر، والتفاؤل حُسن ظنّ به، والمؤمن مأمورٌ بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»[(٥)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: «ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، مما ينفعها، كما أخبرهم أنه حُبِّب إليه من الدنيا النساء والطيب»[(٦)].

الشروط:

قال حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصودًا، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون على بال»[(٧)].

المسائل المتعلقة:

- حكم استفتاح الفأل من المصحف:

لم ينقل عن السلف فيه شيء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما استفتاح الفأل من المصحف فلم ينقل عن السلف فيه شيء، وقد تنازع فيه المتأخِّرون، وذكر القاضي أبو يعلى فيه نزاعًا: ذكر عن ابن بطة أنه فعله، وذكر عن غيره أنه كرهه؛ فإنّ هذا ليس الفأل الذي يحبه رسول الله ﷺ، فإنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، والفأل الذي يحبه هو أن يفعل أمرًا أو يعزم عليه

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٤)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٥٦) من حديث أنس، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٧٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٤) واللفظ له.

(٤) شرح السُّنَّة للبغوي (١٢/١٧٥) [المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ].

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٥) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٦) مفتاح دار السعادة (٣/٣٠٦) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].

(٧) معارج القبول (٣/١١٦٤) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].

متوكلًا على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسرُّه، فهو في كل واحد من محبته للفأل وكراهته للطيرة إنما يسلك مسلك الاستخارة لله والتوكل عليه، والعمل بما شرع من الأسباب، لم يجعل الفأل آمرًا له أو باعثًا له على الفعل، ولا الطيرة ناهيةً له عن الفعل»[١].

وخلاصة الأمر: أنّ التفاؤل بالمصحف أمرٌ غير مشروع وليس من الفأل الذي يعجب النبي ﷺ ويحبه، فتركُه هو المتعين المتحتم تأسيًّا بسلف الأمة وأئمتها، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

الفروق:

الفرق بين الفأل والطيرة:

١ ـ الفأل لا يحمل الإنسان على الفعل أو عدمه، بل هو مجرد التفاؤل بالكلمة الطيبة، وانشراح الصدر لما يسمعه من الكلام الحسن، في حين أن التطير يحمل الإنسان على الفعل أو الإمساك عنه.

٢ ـ الفأل فيه حسن ظنٍّ بالله، والعبد مأمورٌ أن يحسن الظن بالله، والطيرة فيها سوء ظن بالله، والعبد منهيّ عن سوء الظن بالله.

٣ ـ الفأل لا يكون مقصودًا، بل يأتي للإنسان من غير أن يكون على بال، والطيرة قد تكون مقصودة ابتداء، ويتعلق قلب المتطير بها فيما يمضيه أو يرده[٢].

٤ ـ الفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك.

٥ ـ الفأل يبعث على انشراح الصدور، وطمأنينتها، ويفتح باب الرجاء، وأما الطيرة فتبعث على ضيق الصدور وانقباضها، وتورث الحزن والآلام، فهي لا خير فيها.

الآثار:

من آثار التفاؤل: سرور القلوب المؤيِّد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكِّن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله، السارّ لنفسه. فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد[٣].

يذهب الضيق الذي يوحيه الشيطان، ويسببه في قلب العبد، فهو مبعد لتأثير الشيطان في النفس[٤].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أعلام الحديث»، لأبي سليمان الخطابي.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٦٦ ـ ٦٧).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤٠٥)، ومجموع الفتاوى (٢٣/٦٦ ـ ٦٧)، ومفتاح دار السعادة (٣/٣٠٩)، ومعارج القبول (٣/١١٦٤).

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة (٣/٣١٢).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٤٠، ٣٤١).

٢ ـ «الإفصاح عن معاني الصحاح»، لابن هبيرة.

٣ ـ «التوكل»، لعبد الله الدميجي.

٤ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٥ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٦ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٧ ـ «معارج القبول»، لحافظ حكمي.

٨ ـ «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم.

٩ ـ «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

١٠ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير.

الفتاح

يراجع مصطلح (الفتح).

الفتح

التعريف لغةً:

الفَتْحُ: ضد الإغلاق. والفتح: النصر، والحكم. والاستفتاح: الاستنصار. والفَتَّاحُ: الحاكم. وتقول: افْتَحْ بيننا؛ أي: احْكم. والفُتاحة بالضم: الحُكْم. والله تعالى الفاتح؛ أي: الحاكم[(١)].

قال الراغب: «الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان؛ **أحدهما**: يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه وكفتح القفل، **والثاني**: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك ضروب؛ **أحدها**: في الأمور الدنيوية، كغم يفرج، وفقر يزال، **والثاني**: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك فلان فتح من العلم بابًا مغلقًا، والاستفتاح طلب الفتح أو الفتاح»[(٢)].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية لله تعالى على وجه الكمال المطلق، ومنه اشتق اسمه الفتاح، ويراد بهذه **الصفة**:

١ ـ فتحه الديني الشرعي: وهو ما أنزله على أنبيائه ورسله من الكتاب والحكمة.

٢ ـ فتحه الكوني القدري: وهو ما يبسطه على عباده من الرزق والعطاء.

٣ ـ فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الدنيوي، فيحكم بينهم بالحق، فيجعل العاقبة لأوليائه بنصره لهم، ويجعل الخسارة على أعدائه بهلاكهم وإظهار كذبهم.

---

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٩٦) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، الصحاح (٢/٤١٢) [دار العلم للملايين، ط٤]، القاموس المحيط (٢٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) المفردات في غريب القرآن (٣٧٠) [دار المعرفة، لبنان].

٤ ـ فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الأخروي، بما أنعم على أوليائه من جنته ومزيده، وبما جعله لأعدائه من العذاب المقيم[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

مما تقدم فإن العلاقة بين المعنيين ظاهرة، فالمعنيان متفقان من خلال ما يأتيان فيه من سياق، إلا أن المعنى الشرعي يبلغ الكمال المطلق من الصفة.

الحكم:

وجوب الإيمان بصفة الفتح لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى.

الحقيقة:

الفتح في صفاته تعالى على معان:

١ ـ فتحه الديني الشرعي: وهو ما أنزله على أنبيائه ورسله من الكتاب والحكمة، وبه تكون هداية الناس واستقامتهم على الصراط المستقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٧٦].

وقد يكون بهذا الفتح حصول العلم والدلالة دون استجابة ممن فُتح عليه، وهذا يكون بمعنى هداية الدلالة والإرشاد، وقد يكون به حصول العلم والهدى فيمن فُتح عليه، وهذا بمعنى هداية التوفيق، وهذا أعظم الفتح وأسماه.

٢ ـ فتحه الكوني القدري: وهو ما يبسطه على عباده من الرزق والعطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤].

٣ ـ فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الدنيوي، فيحكم بينهم بالحق، فيجعل العاقبة لأوليائه بنصره لهم، وإظهار صدقهم، ويجعل الخسارة على أعدائه بهلاكهم وإظهار كذبهم، وهو أيضًا بمعنى الحكم بين الحق والباطل، فيظهر الحق، ويعلي دلائله، ويزهق الباطل، ويظهر دلائل بطلانه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر]، وقوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢].

٤ ـ فصله وقضاؤه بين أوليائه وأعدائه في الجزاء الأخروي، بما أنعم على أوليائه من جنته ومزيده، وبما جعله لأعدائه من العذاب المقيم، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٦).

﴿بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ].

ولذا سمي يوم القيامة يوم الفتح؛ لما يفتح الله ﷻ فيه بين أوليائه وأعدائه، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ۝٢٩﴾ [السجدة][1].

۞ الأدلة:

منها قول الله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٢].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف].

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما - في تفسير قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] -: «اقض بيننا»[2]. وقال: «الفاتح: القاضي»[3].

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا﴾ [سبأ: ٢٦]: «أي يقضي بيننا»[4].

وقال الحليمي: «وهو الحاكم؛ أي: يفتح ما انغلق بين عباده، ويميز الحق من الباطل، ويعلي المحق ويخزي المبطل، وقد يكون ذلك منه في الدنيا والآخرة»[5].

قال ابن القيم:

وكذلك الفتاح من أسمائه
والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا
والفتح بالأقدار فتحٌ ثان
والرب فتّاح بذين كليهما
عدلًا وإحسانًا من الرحمٰن[6]

وقال الشوكاني: «والفتاح: الحاكم بين الخلائق، أو الذي يفتح خزائن الرحمة لعباده»[7].

وقال السعدي: «وفتحه تعالى لعباده **نوعان**: فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو من المستقيمين على الصراط، ممن هو منحرف عنه. **والنوع الثاني**: فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة على الظالمين، والنجاة والإكرام للصالحين»[8].

---

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٦).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٥٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده حسن.
(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، ٣/ ٢٢٩) [المكتبة السلفية، ط١، ١٤٠٠هـ] معلقًا بصيغة الجزم، ووصله الطبري في التفسير (٢٠/ ٤٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، بسند حسن.
(٤) تفسير الطبري (١٢/ ٥٦٤).
(٥) نقلًا عن الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٤) [مكتبة السوادي، ط١].
(٦) شرح الكافية الشافية لابن عيسى (٢/ ٢٣٤) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ].
(٧) تحفة الذاكرين (٨٥) [دار القلم، ط١، ١٩٨٤م].
(٨) تفسير السعدي (٣/ ٦٤) [الرئاسة العامة للإفتاء، ١٤١٠هـ].

۞ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفة الفتح لله تعالى:

إن هذا الاسم الجليل يدل على صفة الفتح لله تعالى بالتضمن، وهي صفة فعلية، وقد وردت النصوص من الكتاب والسُّنَّة دالّة على هذه الصفة؛ منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ]، وقوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [فاطر]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [النساء: ١٤١].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطينّ الرّاية رجلًا يفتح الله على يديه**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في حديث الشفاعة: «**فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربّي عز وجل ثمّ يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٤٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٤).

- المسألة الثانية: تسمية الله تعالى بخير الفاتحين:

ذهب بعض أهل العلم إلى إثبات (خير الفاتحين) من الأسماء المضافة، قال أبو القاسم التيمي رحمه الله: «ومن أسمائه: خير الفاتحين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، وأرحم الراحمين. كل هذه الأسماء ممنوعة لا تكون إلا لله عز وجل»[(٣)].

وذكر ابن تيمية رحمه الله أن من أسماء الله تعالى الفتاح، وكذلك جاء مفضلًا في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ۝٨٩﴾ [الأعراف][(٤)]

- المسألة الثالثة: تسمية المخلوق بالفتاح:

القاضي لو سُمّي فتّاحًا على لغة بعض قبائل أهل اليمن، لا بدَّ أن يصحب تسميته ما تليق بعجز المخلوق؛ لأنه قد يتبع حكمه وقضائه هوى أو جهل، أما الخالق فهو الفتاح على ما يليق بكماله وجلاله، فحكمه وقضاؤه وفتحه مقرون بعلم كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ۝٢٦﴾ [سبأ].

- المسألة الرابعة: تسمية الله تعالى بالفاتح:

ذهب بعض أهل العلم إلى تسمية الله تعالى بالفاتح. قال ابن منده رحمه الله:

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٠).

(٤) انظر: المستدرك على الفتاوى (١/ ٤٨).

«ومن أسماء الله ﷻ الفاتح والفتاح»[1].

۞ الفروق:

الفرق بين الفاتح والفتاح:

الفتاح صيغ مبالغة[2] على وزن فعّال، وأما الفاتح فهو اسم فاعل، والأول يدل على الكثرة والعظمة، فهو فتّاح لكل خير على الدوام، مهما عظم الشيء فإنه يفتحه، فهو أبلغ من الفاتح.

۞ الآثار:

١ ـ التعبّد لله تعالى بطلب الهدى والتقى، وبذل الأسباب المقتضية لذلك.

٢ ـ التعبد لله تعالى في طلب الرزق منه، ورجاء الخير والبركة بعطائه؛ فهو الفتاح الذي لا ممسك لعطائه، ولا رادّ لفضله.

٣ ـ الحذر من أسباب الحرمان للنعم الدينية والدنيوية الواقع بسبب البعد عن الله تعالى، ومخالفة أمر أنبيائه ورسله.

٤ ـ اليقين بوعد الله تعالى الصادق بالنصر والتمكين لمن أطاعه واتقاه، والذل والصغار على من خالف أمره.

٥ ـ ابتغاء المؤمن للدار الآخرة؛ فهي محل الفتح الأكبر بين المؤمنين والكافرين، في مفاصلة أشد ما تكون بعدًا بين الفريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ۝٧﴾ [الشورى].

٦ ـ ما أظهره الله تعالى من الدلائل على طريق الحق التي لا تغيب إلا على من عميت بصيرته، وختم على سمعه وقلبه.

٧ ـ تصديق الله تعالى لرسله وأنبيائه وأتباعهم بما يجعله لهم من نور الهداية واليقين، وما يظهره من أمارات صدقهم باستقامة الصراط الذي اتبعوه، والنصر والعاقبة الحسنة التي آلت إليها أمورهم.

٨ ـ زهوق الباطل واندحار أهله، بما أظهره الله تعالى من ضلالهم، واعوجاج السبل التي يتبعونها، والهزيمة والعاقبة السيئة التي آلت إليها أمورهم، وإن اغتروا بزينة تعاقب عليهم فيها ليل أو نهار.

٩ ـ ما يجعله الله تعالى لمن أخلص له واتقاه من علم وهدى، وفتح لما أغلق من علم أو رزق.

١٠ ـ ما ينعم الله تعالى به على عباده، ويبسطه لهم من رزق، بقسمة اقتضتها حكمته وفضله وعدله سبحانه.

۞ مذهب المخالفين:

صفة الفتح من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى على وجه الكمال، وقد أنكرها الجهمية والمعتزلة وأوَّلها الأشاعرة، وقد تقدم التفصيل في عرض أقوالهم والرد عليها.

---

(١) كتاب التوحيد (٣٩٢) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٣٣٨) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٧هـ].

وقد فسر بعض الأشاعرة (الفتاح) بأنه خالق الفتح؛ أي: النصر، وقيل: الحاكم، وهو ـ أي الحُكم ـ إما بالإخبار والقول فيكون صفة كلامية أو بالقضاء والقدر فيرجع إلى صفة القدرة والإرادة[(١)].

وهذا تأويل للصفة؛ حيث أرجعها لصفة الإرادة والقدرة والخلق، بناء على أنهم لا يقولون إلا بسبع صفات، ويقال: هذا تأويل لا دليل عليه، بل صفة الفتح هي لله ﷻ ثابتة على ما تليق به سبحانه من غير أن تشبه فتح المخلوقين، مثل ما أن للخالق قدرة وإرادة لا تشبه صفة المخلوق، فالصفات بابها واحد.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.

٣ ـ «تفسير السعدي».

٤ ـ «تفسير الطبري» (ج١٢).

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٦ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٧ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي عبد القادر السقاف.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «نونية ابن القيم».

١١ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

الفتن

التعريف لغةً:

الفتن: جمع فتنة، والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب؛ إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد[(٢)]. ثم كثر استعمالها فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور، وغير ذلك من الأمور المكروهة[(٣)].

---

(١) كتاب المواقف الإيجي (٣/٣١٨) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٤/٢١١) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ومقاييس اللغة (٤/٤٧٢، ٤٧٣) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، والصحاح (٢/٤٧٨، ٤٧٩) [دار العلم للملايين، ط٤]، ولسان العرب (١٣/٣١٧ ـ ٣٢١) [دار صادر، ط٣].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٤١١) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/١٧٥ ـ ١٧٦) [دار القلم]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

التعريف شرعًا:

الفتنة: هي كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء، وتكون في الخير والشر[(١)].

وقيل: هي «ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر»[(٢)].

وقيل: هي كل ما يبث في المجتمع ويؤثِّر في حياة أبنائه: أمنًا ومعيشة وخُلقًا وعقيدة[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للفتنة في كون الفتنة تُظهر المؤمن الصادق من الدَّعي، وتُنبئ عن سوء طويَّة من لم يستقر الإيمان في قلبه. وتُخرج الدَّغل من قلوب المؤمنين، فيخرجوا بعد البلاء بقلوب صافية، وأفئدة مؤمنة، كما يحصل عند إدخال الذهب أو الفضة في النار، فيذهب الخَبَث، ويبقى الجيد[(٤)].

الأسماء الأخرى:

الابتلاء، المحنة، الاختبار، العذاب، القتل، الشرك، الحيرة، الضلالة.

الحكم:

لقد حذَّر النبي ﷺ أمته من الفتن، وأمر بالتعوذ منها، وأخبر أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة، وليس هنالك عاصم منها إلا الإيمان بالله، واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين، وهم أهل السُّنَّة وإن قلُّوا، والابتعاد عن الفتن والتعوذ منها، فقد قال ﷺ: **«تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن»**[(٥)].

الحقيقة:

أصل الفتنة: الاختبار، ثمّ استعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، ثمّ أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتّحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.

وضابطها: كل ما صدّ عن طاعة الله[(٦)].

والمؤمنون يُفتنون أيضًا، وليس القصد من ذلك رمي المؤمنين في الفتنة، وإنما الغاية أن يمحِّص الله المؤمنين بالتجربة والاختبار، فيعلم ـ وهو العليم الخبير ـ الصادقَ منهم والكاذب، حيث يسقط الأدعياء ويبقى الأولياء[(٧)].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/٨).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٦٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٣) مجلة البحوث الإسلامية (٢٧٨ ـ العدد ٧٤ ـ لسنة ١٤٢٥هـ ١٤٢٦هـ).

(٤) موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسُّنَّة لحسين الحازمي (٤٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٧).

(٦) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/٤٣٨) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٢هـ].

(٧) انظر: دراسة في سورة العنكبوت لأحمد القطان ومحمد الزين (١٤) [مكتبة السندس، ط٢، ١٤٠٩هـ]، وتفسير الطبري (١٨/٣٥٧) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

وتطلق الفتنة أيضًا على الكفر والغلو في التأويل البعيد، وعلى الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلى القبيح والميل إلى الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥][(١)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقال ﷻ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٨٥﴾ [يونس].

وأما من السُّنَّة النبوية فقد جاءت أحاديث كثيرة في وصف الفتن وشدتها وحث المؤمنين على البعد عنها والاستعاذة من شرورها، ومن هذه الأحاديث: حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه، فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل، قال: تلك تكفِّرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي رضي الله عنه يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت؟ لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أُشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرْبادًّا كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا، ولا يُنكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه**»[(٢)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قِسِّيكم، وقطِّعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم الحجارة، فإن دُخل على أحدكم فليكن كخير ابنَي آدم**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/٨).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٤٢٥٩)، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٣٩٦١)، وأحمد في المسند (٣٢/ ٥٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٣٦٠) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (٨/ ١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة، ومن ادَّعى الصبر وُكل إلى نفسه، فإيَّاك إيَّاك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى، مع مقاربة الفتنة، فإن الهوى مكايد! وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب»[(٢)].

وقال ابن دقيق العيد ـ عند شرحه لحديث: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ من فتنة المحيا، وفتنة الممات**»[(٣)] ـ: «فتنة المحيا ما يُعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها ـ والعياذ بالله ـ أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر»[(٤)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلًا في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلفٌ بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيبٍ طُلب منه الإيمان به»[(٥)].

الأقسام:

تنقسم الفتنة إلى قسمين:

الأول: فتنة الشبهات وتنشأ عن ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولا سيَّما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى.

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم. فجميعهم إنما ابتدعوا بسبب فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال. ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول ﷺ، وتحكيمه في دِقِّ الدين وجِلِّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه.

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١٨).
(٢) صيد الخاطر (٢٦) [دار القلم، ط١، ١٤٢٥هـ].
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).
(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣١٩).
(٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢/ ١٦٤).

الثاني: فتنة الشهوات، وهي فسق الأعمال، والواقع فيها صاحب دنيا أعمته دنياه.

وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ [التوبة: ٦٩]؛ أي: تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال: ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ﴾ فهذا الخوض بالباطل، وهو الشبهات(١).

ـ وهناك من يقسم الفتنة إلى خاصة وعامة:

١ ـ فالفتنة الخاصة: هي فتنة الرجلِ في خاصة نفسه من خير أو شر، كفتنته في أهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ وجارِهِ، وهذه تكفِّرُها الصلاةُ والصومُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر(٢).

٢ ـ والفتنة العامة: هي التي تصيب عامة الأمة فتعمُّ الصالحَ والطالحَ، والذكرَ والأنثى، والكبيرَ والصغيرَ. فيصبح الإسلام وأهله في بلاءٍ عظيم، وتتداعى الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

(١) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٦٥، ١٦٦).

(٢) انظر: البخاري (كتاب الفتن رقم ٧٠٩٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٤٤).

المسائل المتعلقة:

ـ موقف المسلم تجاه الفتن:

يتلخص موقف المسلم من الفتن في **النقاط التالية**:

ـ الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة».

ـ التقوى وملازمة العبادة.

ـ التعوذ من الفتن وسؤال الله المخرجَ منها.

ـ لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

ـ الاعتزال عند الفتن وترك الخوض والقتال فيها.

الفروق:

الفرق بين الفتنة والابتلاء والاختبار:

الفرق بين الفتنة والاختبار: هو «أن الفتنة أشد الاختبار وأبلغه، ويكون في الخير والشر ألا تسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: ١٥]، وقوله: ﴿...لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجن]، فجعل النعمة فتنة لأنه قصد بها المبالغة في اختبار المنعم عليه بها كالذهب إذا أريد المبالغة في تعرف حاله أدخل النار، والله تعالى لا يختبر العبد لتغيير حاله في الخير والشر، وإنما المراد بذلك شدة التكليف.

أما الفرق بين الاختبار والابتلاء: فهو أن الابتلاء عادة لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق. والاختبار يكون بذلك

وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: ابتلاه بذلك، ولا هو مبتلى بالنعمة، كما قد يقال: إنه مختبر بها. ويجوز أن يقال: إن الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك، والخبر العلم الذي يقع بكنه الشيء وحقيقته فالفرق بينهما بيّن»[(١)].

الثمرات:

من ثمرات الفتن والحكم الإلهية فيها: تميز الصفوف، وتبين الصادق من الكاذب، وفضح المنافقين، وكشف أستارهم، كذلك امتحان الخلق، واختبار صبرهم، وعبوديتهم في السراء والضراء، وتقوية الإيمان في قلوب المؤمنين، وتثبيتهم، وتبيَّن الحق للسالكين، وحصول الهدى والرحمة لمن سلم منها، وغير ذلك من الثمرات والفوائد[(٢)].

الآثار:

من آثار الفتن وعواقبها:

- انصراف الناس عن العبادة.
- صرف الناس عن العلم والعلماء.
- تصدُّر السُّفهاء.
- الانتهاء إلى العواقب الْمُردية والمآلات السيئة.
- من دخل في الفتن انحط قدره.
- اشتباه الأمور واختلاط الحق بالباطل.
- التغرير بالناشئة والشباب.
- إضعاف الأخوَّة الإيمانية والرابطة الدينية.
- الجرأة على القتل وسفك الدماء.
- إخلال الأمن.
- تجرُّؤ أهل الانحلال على نشر باطلهم.
- تسلط الأعداء[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، لحمود التويجري.

٢ ـ «إتحاف أهل الإيمان بما يعصم من فتن هذا الزمان»، لعبد الله آل جار الله.

٣ ـ «إغاثة اللهفان» (ج٢)، لابن قيم الجوزية.

٤ ـ «السنن الواردة في الفتن وغوائلها»، لأبي عمرو الداني.

٥ ـ «الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن»، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

(١) الفروق اللغوية للعسكري (٢١٦، ٢١٧) [مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ]، بتصرف.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١٦٢).

(٣) آثار الفتن للبدر (١٢ ـ ٥٠) [ط١، ١٤٣١هـ].

٦ ـ «القتال في الفتنة: دراسة تأصيلية عقدية»، لعبد الله بن عبد العزيز السويد.

٧ ـ «منهاج أهل السُّنَّة والجماعة في التعامل مع الفتن العامة»، لعبد الله بن عمر الدميجي.

٨ ـ «منهج أهل السُّنَّة والجماعة في التعامل مع الفتن»، لعبد الرحمٰن القرشي.

٩ ـ «موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، للحازمي.

١٠ ـ «النهاية في الفتن والملاحم»، لابن كثير.

فتنة القبر

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار؛ من ذلك الفتنة»[(١)].

الفتنة: الامتحان والاختبار، يقال: فتنت أفتتن فتنًا، تقول: فتنت الذهب؛ إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته، وهو مفتون وفتين[(٢)].

القَبْرُ: قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن»[(٣)].

والقبر: مدفن الإنسان، يقال: قبَر الميت؛ إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور[(٤)].

التعريف شرعًا:

فتنة القبر: امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقعاده؛ فيسأله الملكان عن ربه ودينه ونبيه، فإن كان صالحًا وفق للإجابة، ثم أُكرم وكوفئ بألوان من النعيم، وإن كان سيّئًا أُهين وجُوزي بألوان من العذاب[(٥)].

سبب التسمية:

أصل التسمية وتفسيرها من كلام النبي ﷺ؛ إذ قال: «**فأما فتنة القبر، فبي تفتنون، وعني تسألون**»[(٦)].

وقال أيضًا: «**وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل ـ أو قريب من ـ فتنة المسيح الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل...**»[(٧)]، وعند

(١) مقاييس اللغة (٤/٤٧٢) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٧/٢٥) [دار العلم للملايين، ط٤]، وتهذيب الغة (١٤/٢١٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، ومقاييس اللغة (٤/٤٧٢).

(٣) مقاييس اللغة (٤/٤٧٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٩/١١٩)، والقاموس المحيط (١/٥٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، ولسان العرب (٥/٦٨) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/١٧٧) [دار المعرفة]، ومعارج القبول (٢/٨٧٢) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].

(٦) أخرجه أحمد (٩/٢٦٩) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجمعة، رقم ٩٢٢)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

أحمد بلفظ: «وقد أُريتكم تفتنون في قبوركم، يسأل أحدكم: ما كنت تقول؟ وما كنت تعبد؟...»[(١)].

۞ الأسماء الأخرى:

فتنة القبر هي سؤال القبر أو سؤال الملكين، وما يذكر من عرض المقعد، وضغطة القبر، وغير ذلك مما يجري في القبر فتبع.

۞ الحقيقة:

حقيقة الإيمان بفتنة القبر أن يعتقد المسلم أنها حق، قُبر الإنسان أو لم يُقبر، وأن جميع الناس يفتنون إلا من جاء النص باستثنائه، من نحو موت المسلم ليلة الجمعة أو يومها[(٢)]، وموته مرابطًا[(٣)]، وكذا موته شهيدًا[(٤)]، إلى غير ذلك مما دلَّت عليه النصوص الصحيحة.

۞ الأدلة:

فتنة القبر ثابتة بنص الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم]، فهذه الآية نزلت في تثبيت المؤمن عند السؤال كما جاء في الصحيحين وغيرهما[(٥)].

وفي حديث البراء بن عازب الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلْحَد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**». مرتين أو ثلاثًا، زاد في حديث جرير ها هنا، وقال: «**وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك وما دينك ومن نبيك؟**». قال هناد: قال: «**ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟**». قال: «**فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقت**». زاد في حديث جرير: «فذلك قول الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ

---

(١) مسند أحمد (٤٤/٥٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧٤)، وأحمد (١١/٦٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: (هذا حديث غريب... وليس إسناده بمتصل)، لكن له شواهد يرتقي بها إلى الحسن، كما ذكر الألباني في أحكام الجنائز (٣٥) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٧٩٩)، وأحمد (٢٨/٤١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٣).

(٥) انظر: صحيح البخاري (١/٤٦١) [دار ابن كثير، ط٤، ١٤١٠هـ]، وصحيح مسلم (٨/١٦٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ].

ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم]. ثم اتفقا، قال: «**فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة**». قال: «**فيأتيه من رَوحها وطيبها**». قال: «**ويُفتح له فيها مد بصره**». قال: «**وإن الكافر**». فذكر موته، قال: «**وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار**». قال: «**فيأتيه من حرّها وسمومها**». قال: «**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**». زاد في حديث جرير قال: «**ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا**». قال: «**فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين، فيصير ترابًا**». قال: «**ثم تعاد فيه الروح**»[(١)].

وكان ﷺ يتعوذ من فتنة القبر، يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر...**»[(٢)].

ودعا ﷺ لبعض الأموات فقال: «**ألا إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقِهِ فتنة القبر وعذاب النار، أنت أهل الوفاء والحق، اللَّهُمَّ فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم**»[(٣)].

وأهل السُّنَّة يثبتون هذا المعتقد بالإجماع؛ لدلالة النقل عليه، وهو من العقائد الثابتة بالتواتر.

أقوال أهل العلم:

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: «ونؤمن بعذاب القبر... ونؤمن بالمسألة في القبر وبالكرام الكاتبين»[(٤)].

وقال ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: «...وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويُضغطون، ويُسألون، ويثبِّت الله منطق من أحب تثبيته»[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١٩) و(٣/ ٩٠١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٢)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٩)، وأحمد (٢٥/ ٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٨).

(٤) انظر: شرح اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/ ١٨١).

(٥) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل السُّنَّة والجماعة مصدِّقون بفتنة القبر وعذاب القبر؛ لتوافر الأخبار بذلك عن النبي ﷺ»[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: سؤال الأنبياء وغير المكلَّفين:

اختلف العلماء في سؤال الأنبياء وغير المكلَّفين، والأظهر أن الأنبياء لا يُسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم، وأما غير المكلفين؛ فلأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل[2].

ولا يصح ما ورد في استثناء من مات مخضوبًا من الفتنة[3]، ولا من صلى ركعتين ليلة الجمعة بكيفية معينة[4].

ـ المسألة الثانية: عود الروح إلى الجسد عند السؤال:

مما يتعلق بفتنة القبر عود الروح إلى الجسد عند السؤال، وإجلاس الميت، ورجوع العقل إلى صاحبه، وبعثه على ما مات عليه من معتقد، وسماعه خفق نعال أصحابه إذا ولّوا، وسؤاله عقب تفرق الناس أو بعضهم، وأن السائل ملك أو اثنان حسب حاله، وأن الرجل الصالح يثبت وينعم، وأن الرجل السوء على الضد[5].

الآثار:

من أبرز الآثار المترتبة على نوعية الإجابة عند الفتنة فيما يخص الرجل الصالح أنه يكافأ بألوان من النعيم، منها: أنه يُفرش له من الجنة، ويُلبس من الجنة، يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه عمله الصالح على هيئة رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيبشره بالذي يسره ثم يثني عليه خيرًا، ويرى مقعده من الجنة، ومقعده من النار لو أنه عصى الله، ويعرض عليه مقعده من الجنة بالغداة والعشي حتى يبعثه الله.

وأما الرجل السوء فيكافأ بألوان من العذاب، منها: أنه يُفرش له من النار، ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيبشره بالذي يسوؤه ثم يوبخه، ويقيض له أعمى أصم أبكم

---

(١) الاستذكار (٢/٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٧) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ]، والروح (١٤١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤١٠هـ]، والأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة (٥٩) [مكتبة ابن سينا]، وشرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢١٠) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: الموضوعات لابن الجوزي (٣/٥٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٤) المصدر السابق (٢/١١٨).

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٢/٣٨٨ ـ ٤٢٥).

فيضربه بمرزبَّة يصير بعدها ترابًا ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، ويرى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو أنه أطاع الله، ويعرض عليه مقعده من النار بالغداة والعشي حتى يبعثه الله كما أفادت النصوص.

الحكمة:

لعل الحكمة من فتة القبر وسؤال الملكين، تنبه الناس إلى ضرورة توحيد الدين في الإسلام، فإن الله لا يقبل غيره، وتوحيد الله في العبادة، فإن الله لا يقبل الشرك، وتوحيد الرسول في المتابعة، فإن الله لا يقبل غير طريقه.

وأما في الآخرة فدفع العقوبة ـ أو تخفيفها ـ عن مستحقها من المسلمين، قال ابن تيمية: «إن الذنوب مطلقًا من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب. . . السبب الثامن: ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين»[1].

مذهب المخالفين:

المخالفون في فتنة القبر هم المخالفون في عذاب القبر، وقد تقدم الكلام عليهم عند ذكر الطوائف المنكرة لعذاب القبر، وعند التعريف بمنكر ونكير.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الجنائز»، للألباني.
٢ ـ «الأسئلة المحيرة حول الدنيا والآخرة»، للزرقاني.
٣ ـ «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» (ج٤، ٥)، للمباركفوري.
٤ ـ «التمهيد» (ج٢٢)، لابن عبد البر.
٥ ـ «التيسير بشرح الجامع الصغير» (ج٢)، للمناوي.
٦ ـ «رسائل الآخرة» (ج٢)، للعبيدي.
٧ ـ «رسالة في أساس العقيدة»، للسعوي.
٨ ـ «الروح»، لابن القيم.
٩ ـ «شرح الصدور»، للسيوطي.
١٠ ـ «الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني» (ج١)، للساعاتي.
١١ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج١»)، للسفاريني.
١٢ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.
١٣ـ «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين».
١٤ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.
١٥ ـ «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»، للكتاني.

(١) منهاج السُّنَّة (٦/ ٢٠٥ ـ ٢٣٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ].

الفِراسَة

التعريف لغةً:

الفِراسَة: اسمٌ من (التفرُّس) في الشيء وإصابة النَّظر فيه، يُقال: تفرَّست في فلانٍ خيرًا، وهو يتفرَّس: يتثبَّت وينظُر ويُري الناس أنه فارِسٌ، ويُقال: إنَّ فلانًا لَفارِس بذلك الأمر: إذا كان عالمًا به[(١)].

التعريف شرعًا:

الفراسة الإيمانيَّة: هي خاطر يهجم على القلب ينفي ما يضادّه، يَثِب على القلب كوثوب الأسد على الفريسة؛ فيعلم به صاحبه أحوال بعض النَّاس، بنوع من الكرامات وإصابة الظنّ والحدس.

وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرِّق به بين الحقِّ والباطِل، والحالي والعاطل، والصَّادق والكاذب[(٢)].

أما فراسة أهل الدنيا التي تنال بالتعلم والتّجارب والخلق والأخلاق (الفراسة الخلقيّة، وفراسة الرِّياضة والجوع ونحوها) التي يشترك فيها المؤمِن وغيره؛ فهي: «علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة، من الألوان والأشكال والأعضاء. وبالجملة: الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن»[(٣)].

وقيل: هي «الظنّ الصَّائب، الناشئ عن تثبيت النظر في الظاهر لإدراك الباطن»[(٤)].

ومحلّ بحثنا هنا في الفراسة الإيمانيَّة لا غيرها.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يدور المعنى اللغوي للفراسة حول: التثبت وإصابة النظر في الشيء، وهذا التثبت والتفرس في الأمور الظاهرة قد يستدل به على بعض الأمور الباطنة الخفيَّة؛ وهذه حقيقة الفِراسة في الاصطلاح. فيظهر بهذا أن بين المعنى اللغوي والشرعي تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

الأسماء الأخرى:

الفراسة هي: التفرس، والتوسم.

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٣/٩٥٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتهذيب اللغة (١٢/٤٠٤) [الدار المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٤/٤٨٦) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (٧٢٥) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: النِّهاية في غريب الحديث (٣/٤٢٨) [طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر]، ومدارج السالكين (١/١٢٩، ٢/٤٨٤) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) مفتاح السعادة لطاش كبري زاده (١/٣٠٩) [دار الكتب العلمية، بيروت]، ونقله عنه صاحب أبجد العلوم (٢/٣٩٦) [دار الكتب العلمية]. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/١١٣١) [دار الفكر العربي، مصر].

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (١/٢٤٧).

الحكم:

والفراسة وما يقع في الخواطر ليست حجّة شرعيّة تعارض بها نصوص الكتاب والسُّنَّة، أو تبنى عليها الشرائع والأحكام؛ وإنَّما هي صالحة للاستئناس والاستشهاد بها، لا أنّها عمدة وأصل؛ فهي يستدل لها بالكتاب والسُّنَّة لا بها.

فالمتفرِّس ـ وغيره من البشر ممن ليس بنبي ـ ليس معصومًا من الغلط، ولا يجب على المسلم قَبول توسّمه وتفرّسه إن لم يدل عليه الكتاب والسُّنَّة، بل هو لا يجوز له العمل بما يلقى في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسُّنَّة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك ردَّه؛ لأنه لا يتيقن أنه من عند الله تعالى، وقد يكون من دسيسة الشيطان!

الحقيقة:

الفراسة الإيمانيَّة نوع من إلهام الله تعالى لعباده المؤمنين، ومقام رفيع من مقامات السَّالكين، ونور يهبه الله لمن يشاء منهم، وهداية يهدي بها خواص عباده الطائعين؛ يميزون بها بين الحق والباطل، والصّدق والكذب، والإيمان والنّفاق، والمحقّ والمبطل، ويعرفون بها بعض أحوال النَّاس وما يدور في أنفسهم وخواطرهم.

والمتفرِّس إنَّما ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه وقذفه في رُوعه؛ فلا تكون الفراسة صادقة إلا مع قلب تطهّر وتصفّى وتنزّه من الأدناس والذّنوب، وتعلّق بالله واتبع سبيله وما يحبّه ويرضاه، وتفكّر في آياته وخلقه؛ فهي من هذا الجانب قد تنال بنوع من الكسب الإيماني، بخلاف فراسة أهل الدنيا التي لا سبيل لتحصيلها إلا بالتعلم والتجارب والدلائل.

الأدلة:

دلّ على ثبوت الفراسة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحِجر]؛ وهم: أصحاب التوسُّم، بمعنى: التأمّل في السّمة؛ وهي: العلامة التي يستدل بها على غيرها[(١)]. قال مجاهد: «المتفرسين»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: «للناظرين»، وقال قتادة: «للمعتبرين»، وقال مقاتل وغيره: «للمتفكّرين» أو «للمتأمّلين»[(٢)]. وكل هذه الأقوال تدور حول معنى واحد؛ فلا تنافي بينها؛ «فإن الناظر متى نظر في آثار ديار المكذبين ومنازلهم وما آل إليه أمرهم؛ أورثه

---

(١) انظر: تفسير (١٠/٤٣) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير البحر المحيط (٥/٤٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/١١٨)، والتحرير والتنوير (١٤/٦٩) [دار سحنون، ١٩٩٧م].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٩٤) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، والنُّكت والعُيون للماوردي (٣/١٦٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وتفسير البغوي (٤/٣٨٨) [دار طيبة، ط٤]، وتفسير ابن كثير (٤/٥٤٣) [دار طيبة، ط٢].

فراسة وعبرة وفكرة»[(١)].

وقال الله ﷻ عن المنافِقين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [محمد: ٣٠]؛ ففي الآية دلالة على ثبوت الفراسة؛ وهي: التعرّف على ما يضمره المنافقون في قلوبهم من النفاق بما يظهر على وجوههم. وعلّق سبحانه معرفتهم بالسِّيما ـ الذي يدرك بالبصر ـ على مشيئته بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾[(٢)].

وأخرج الطبري وغيره، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن لله ﷻ عبادًا يعرفون الناس بالتوسُّم»**[(٣)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال أبو الدّرداء رضي الله عنه: «اتَّقوا فراسة العلماء؛ فإنَّهم ينظرون بنور الله، إنَّه شيء يقذفه الله في قلوبهم، وعلى ألسنتهم»[(٤)].

وقال الشافعي: «خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة، حتى كتبتها وجمعتها»[(٥)].

وقال ابن القيّم: «الفراسة الإيمانية سببها نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، وكان أبو بكر الصديق أعظم الأمة فراسة»[(٦)].

۞ الأقسام:

تنقسم الفراسة إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: فراسة «إيمانية: وسببها: نور يقذفه الله في قلب عبده، يفرق به بين الحق والباطل، والحالي والعاطل، والصَّادق والكاذب.

وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب، ينفي ما يضاده، يَثِب على القلب كوُثُوب الأسد على الفريسة

وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان. فمن كان أقوى إيمانًا فهو أحدُّ فراسة، وأصل هذا النوع من

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٨٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ١١٨).

(٢) انظر: الاستقامة لابن تيميَّة (١/ ٣٥٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٣هـ]، والجواب الصَّحيح (٦/ ٤٨٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، والصَّارم المسلول (٣/ ٦٧٣) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ]، وشرح العقيدة الأصفهانيَّة (١٢٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٤/ ١١٠، ١٦/ ٦٨، ١٧/ ١١٨)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٨/ ٤٧٤) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومدارج السالكين (٢/ ٤٨٣).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ٣٢٦) [مكتبة العلوم والحِكَم، المدينة المنوَّرة، ط١، ١٤٢٦هـ]، والطبريّ في تفسيره (١٧/ ١٢١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٢٠٧) [دار الحرمين، ط١]، وحسَّن إسنادَه الهيثميُّ في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ]، والألبانيُّ في السلسلة الصَّحيحة (رقم ١٦٩٣).

(٤) أخرجه العسكري، كما ذكر السخاوي في المقاصد الحسنة (٥٩).

(٥) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (٩٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٦) مدارج السالكين (٢/ ٤٥٥).

الفراسة: من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالى لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب بذلك ويستنير، فلا تكاد فراسته تخطئ.

[الثاني:] فراسة الرياضة والجوع، والسهر والتخلي؛ فإن النفس إذا تجردت عن العوائق، صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها. وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجهال يغتر بها. وللرهبان فيها وقائع معلومة، وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

وللأطباء فراسة معروفة من حذقهم في صناعتهم. ومن أحب الوقوف عليها فليطالع تاريخهم وأخبارهم، وقريب من نصف الطب فراسة صادقة، يقترن بها تجربة. والله سبحانه أعلم.

[الثالث:] الفراسة الخلقية: وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق؛ لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وبسعة الصدر، وبعد ما بين جانبيه على سعة خلق صاحبه، واحتماله وبسطته. وبضيقه على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه، وبشدَّة بياضها مع إشرابه بحمرة ـ وهو الشَّكَل ـ على شجاعته وإقدامه وفطنته، وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها، على خيانته ومكره وخداعه.

ومعظم تعلق الفراسة بالعين؛ فإنها مرآة القلب، وعنوان ما فيه، ثم باللسان، فإنه رسوله وترجمانه. وأصل هذه الفراسة: أن اعتدال الخلقة والصّورة، هو من اعتدال المزاج والروح. وعن اعتدالها يكون اعتدال الأخلاق والأفعال، وبحسب انحراف الخلقة والصورة عن الاعتدال، يقع الانحراف في الأخلاق والأعمال»(١).

المسائل المتعلقة:

- بعض المصطلحات الحادثة التي يظن أنها من الفراسة:

الكهانة: فالكهانة ليست من الفراسة؛ لأن الفراسة غالبًا لا يدعي صاحبها الغيب، بخلاف الكاهن؛ فإنه يدعي الغيب، ويفتخر بادعائه، بل وربما كثر مريدوه بسبب هذا الادعاء، وهذا بخلاف المتفرس، لا يدعي الغيب، فضلًا أن يفتخر به.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٥٣ ـ ٤٥٦) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ] بتصرف.

الكهانة: لها مقدمات غالبًا غير مشروعة، وأما الفراسة فإنها تعتمد على مقدمات مشروعة[(١)].

الظنّ: ليس الظن من الفراسة في شيء؛ لأن الظنّ يخطئ ويصيب، ويكون مع ظلمة القلب ونوره، ولهذا أمر الله تعالى باجتناب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم، وأما الفراسة فقد أثنى الله على أهلها ومدحهم، وهي لا تحدث إلا لقلب قد تطهر وتصفّى وتنزّه من الأدناس وقرب من الله تعالى فأصبح صاحبه ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه[(٢)].

الكشف: تقدم أن الفراسة هي أمر يقذفه الله في قلب المؤمن وهو خاطر يخطر للإنسان يميز فيه بين الحق والباطل، أما الكشف فيحصل بطريق الرياضة والجوع والسهر، وهذا قد يحصل للكافر كما يحصل للمؤمن[(٣)].

الإلهام: الإلهام يختلف عن الفراسة في أنه موهبة مجردة، لا تنال بكسب البتة، أما الفراسة فهي متعلقة بنوع كسب وتحصيل[(٤)].

البراسيكولوجي أو التلباثي: هذان المصطلحان يراد بهما: علم ما وراء الطبيعة أو الاتصال عن بعد أو التأثير على نفوس الآخرين، ويكون ذلك عن طريق انتقال الخواطر والوجدانيات وغيرهما من الخبرات الشعورية من عقل إلى عقل بغير الوسائل الحسية المعروفة؛ أي: اتصال عقلي بين بشريين واستقبال طاقة صادرة من العقل وتحليلها بعقل المرسل إليه، بحيث يدرك الفكرة ويعمل على توفيق حواسه على تلقي مجال كهرومغناطيسي صادر من الآخرين.

وهذه العملية هي نوع من أنواع التخاطر عن بعد، وبعضهم يسميها: الاستشعار عن بعد.

وبعضهم يرى أنه يمكن أن تكتسب هذه العملية عن طريق التدريب وتنمية الخبرات فيها. ثم تطورت هذه النظرية إلى أن أُدخل فيها ما يسمى اليوم بالتنويم المغناطيسي أو قراءة الأشياء أو معرفة الأخبار عن الإنسان من ملامسة بعض متعلقاته. وجميع ما تقدم هو في الحقيقة ضرب من ادِّعاء علم الغيب، فهي تكهن وإن سمِّيت بمسمَّيات حديثة وأُضفي عليها العلم التجريبي تمويهًا.

ولا يوجد علاقة بين الفراسة وهذه المصطلحات، فالفراسة نور من الله يقذفه في قلب المؤمن، أما هذه فهي من

(١) انظر: مغني المريد الجامع لشروح كتاب التوحيد (١٨٦٦/٥).

(٢) انظر: الروح (٢٣٨ ـ ٢٤٠) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢٢٨/٢، ٤٨٤).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٦٩/١).

ظلمات الكهانة وهي مرادفة لها بالمعنى والمبنى وإن اختلفت المسميات[(١)].

الفروق:

الفرق بين الفراسة الإيمانيَّة والإلهام والتحديث:

الفراسة الإيمانية قد تنال بنوع كسب وتحصيل، وأما الإلهام والتحديث (وهو إلهام خاصّ) فموهبة مجردة لا تنال بكسب ألبتة[(٢)].

الفرق بين الفراسة والكرامة:

الكرامة: «أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة، ولا هو مقدمة لها، يظهر على يد عبد ظاهر الصّلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلّف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»[(٣)]، فالكرامة أمر خارق للعادة. أما الفراسة فإلهام، وقد تنال بنوع كسب وتحصيل، وإذا كانت الفراسة إيمانية فهي حينئذٍ كرامة، بخلاف غيرها من أنواع الفراسة فليست كرامة.

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالفراسة، وأنها قد تنال بنوع من الكسب الإيمانيّ: لزوم طاعة الله، وتتبع مراضيه، وتعمير الظاهر باتباع السُّنَّة، والباطن بدوام المراقبة، وكف النفس عن الشهوات والمحرمات.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستقامة» (ج١)، لابن تيمية.

٢ ـ «بدائع الفوائد» (ج٣)، لابن القيم.

٣ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٠)، للقرطبي.

٤ ـ «الجواب الصحيح (ج٦»)، لابن تيمية.

٥ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٦ ـ «الصارم المسلول» (ج٣)، لابن تيمية.

٧ ـ «الطرق الحكمية»، لابن القيم.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٤، ١٦، ١٧)، لابن تيمية.

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج١، ٢)، لابن القيم.

١٠ ـ «النهاية في غريب الحديث» (ج٣)، لابن الأثير.

---

(١) انظر: مجلة الدراسات العقدية (العدد السادس ٣٤٢ ـ ٣٥٣).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤، ٤٥).

(٣) لوامع الأنوار البهيَّة للسَّفاريني (٢/ ٣٩٢) [المكتب الإسلامي، بيروت]. وانظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف (٦٠١) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

الفرح

التعريف لغةً:

الفاء والراء والحاء يدل على خلاف الحزن[١]. وقد استعمل الفرح: بمعنى الرضا والسرور، تقول: فرح به: سُرّ، وهو خلاف الحزن، تقول: فرح يفرح فرحًا[٢].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى على وجه الكمال والجلال، تقتضي رضا الله تعالى عن عبده التائب، وقَبول توبته، فغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين من صالح أوليائه[٣]، بلا تشبيه ولا تكييف، وهي دليل على رضاه ومحبته ولطفه بعباده.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين من حيث الدلالة على الرضا والمحبة، لكن المعنى في حق الله تعالى على غاية الكمال والجلال؛ ففرحه سبحانه عن غنى ورحمة وإحسان، بخلاف الفرح

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/٤٩٩) [دار الفكر، ١٣٩٩]، ولسان العرب (٢٥/٥٤١) [دار صادر، ط١، ١٣٧٤هـ].
(٢) الصحاح (١/٣١٣) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (٢٥/٥٤١) [دار صادر، ط١، ١٣٧٤هـ]، والمصباح المنير للفيومي (٢/٤٦٦).
(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (١٦٦).

الذي يطلق على المخلوق، فإنه لا ينفك عنه معنى الضعف والاحتياج الملازم للمخلوقات عمومًا، كما أن ما يستوعبه المعنى اللغوي في هذه الصفة كالبطر والطرب ونحوه من معاني النقص؛ فإنه لا يدخل في المعنى الشرعي هنا.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الفرح لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الأدلة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**»[٤]

أقوال أهل العلم:

قال أبو إسماعيل الصابوني: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٤٤)، واللفظ له.

بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والفرح والضحك وغيرها»[(١)].

وقال البغوي ـ في كلامه على صفة الأصابع لله تعالى ـ: «والإصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عزّ وجلّ، وكذلك كل ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من هذا القبيل من صفات الله تعالى؛ كالنفس والوجه والعين والضحك والفرح»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «بل هو سبحانه يفرح بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها بعد اليأس، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته»[(٣)].

الآثار:

١ ـ الإقبال على الله عزّ وجلّ بكثرة التوبة والإنابة والاستغفار؛ فما من تائب إلا يفرح ربه بتوبته، ويعطيه عليها أضعاف أضعاف ما رجا بتوبته، ولئن كان الغض والسكوت عن خطأ التائب وستره فضلًا عظيمًا ومنَّة كبيرة، فكيف بفرح بتلك التوبة وشكره عليها! فسبحان ربنا ما أرحمه وأكرمه!

٢ ـ فرح المؤمن بما يفرح به ربه جلّ وعلا، فيفرح بتوبته هو، ويفرح بتوبة غيره، ويفرح بعموم أسباب الخير والفلاح، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس]، وكما كان النبي صلّى الله عليه وسلّم يفرح بالتائبين والداخلين في دين الله تعالى.

٣ ـ كثرة التائبين بما يفتحه الله تعالى عليهم بفرحه بهم من الهدى والخير.

٤ ـ التوفيق والسداد الذي يجده كل تائب إلى ربه؛ وهو أثر فرح الله تعالى به.

٥ ـ الحياة الطيبة التي يعيشها كل مؤمن كثير التوبة والإنابة.

٦ ـ رحمة الله تعالى بعباده بما يسَّره لهم من كسب الدرجات العلا، وفتح باب الرجوع والاستدراك لكل خطأ وذنب يحول دونها أو يضعف الوصول إليها.

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في هذه الصفة، فلم يثبتوها؛ بناء على أصلهم في رد أحاديث الآحاد في باب الاعتقاد، وكذلك دعوى التشبيه والتجسيم وحلول الحوادث التي يجعلونها لازم الصفات الفعلية، وزعموا أن الفرح لذة تقع في القلب بإرادة المحبوب ونيل المشتهى، والله تعالى منزه عن ذلك، ولذلك منهم من أوَّل

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٦٥) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩].

(٢) شرح السُّنَّة (١/ ١٥٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) ثبوت الكمال لله لابن تيمية ـ ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ٦٦).

هذه الصفة إلى لازمها وهو الرضا[(١)]، ومنهم من أوَّلها بما يفعله بغيره من الفرح، وهو الثمرة الحاصلة[(٢)].

والرد عليهم:

بنفي هذا اللازم الذي ذكروه في إثبات الصفة، فأهل السُّنَّة يثبتونها لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجه، ولا مماثلة فيه لشيء من صفات المخلوقين، ويجرونها على ظاهرها دون الخوض في الكيفيات.

وأما هذه الإلزامات التي يوردها المعطلة على الإثبات فما هي إلا تدليس وتلبيس لرد الحق؛ فإنهم أخذوا في مسمى الصفة خصائص المخلوق ثم نفوها جملة عن الخالق، وهذا في غاية التلبيس والإضلال، فإن الخاصية التي أخذوها في الصفة لم تثبت لها لذاتها، وإنما تثبت لها بإضافتها إلى المخلوق، ومعلوم أن نفي خصائص صفات المخلوقين عن الخالق لا يقتضي نفي أصل الصفة عنه سبحانه، ولا إثبات أصل الصفة له يقتضي إثبات خصائص المخلوق له، كما أن ما نفي عن صفات الرب تعالى من النقائص والتشبيه لا يقتضي نفيه عن صفة المخلوق، ولا ما ثبت لها من الوجوب والقدم والكمال يقتضي ثبوته للمخلوق لإطلاق الصفة على الخالق والمخلوق، فالصفة الثابتة لله مضافة إليه لا يتوهم فيها شيء من خصائص المخلوقين لا في لفظها ولا في ثبوت معناها، وكل من نفى عن الرب تعالى صفة من صفاته لهذا الخيال الباطل لزمه نفي جميع صفات كماله؛ لأنه لا يعقل منها إلا صفة المخلوق، بل ويلزمه نفي ذاته؛ لأنه لا يعقل من الذوات إلا الذوات المخلوقة، ومعلوم أن الرب سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء منها[(٣)].

وأما تفسير الصفة بلازمها وذكر ما تدل عليه من المحبة والرضا فليس هذا هو محل الإنكار، ولكن أن يجعل هذا التفسير ردًّا للصفة الثابتة، فهذا هو المردود.

المصادر والمراجع:

١ ـ «ثبوت الكمال لله»، لابن تيمية.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٣ ـ «شرح السُّنَّة»، للبغوي.

٤ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

(١) انظر: أساس التقديس (١١١) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١]. وانظر ما نقله ابن حجر في الفتح (١١/١٠٩) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر ما نقله ابن حجر في الفتح (١١/١٠٩).

(٣) انظر: جلاء الأفهام (٨٥) [عالم الكتب، بيروت]، والرسالة الأكملية ـ ضمن مجموع الفتاوى (٦/١١٩).

٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٦ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٧ ـ «الصفات الإلهية في الكتاب والسُّنَّة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه»، لمحمد أمان الجامي.

٨ ـ «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، لأبي عثمان الصابوني.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الفردوس

التعريف لغةً:

البستان الذي فيه الكَرْم والأشجار، والجمع: فَرادِيس، ومنه جَنَّة الفردوس[1]، وهو عربي كما قال الفراء[2].

وحقيقة الفردوس: أنه البستان الذي يجمع ما يكون في البَساتين، وكذلك هو عند أهل كل لغة[3].

التعريف شرعًا:

يُطلق الفردوس على الجنة عمومًا، كما أن له معنى خاصًّا؛ وهو الفردوس الأعلى، وهو المقصود عند الإطلاق، وهو أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسيأتي ذكر الأدلة عليه في موطنه.

الحكم:

الإيمان به واجب.

الحقيقة:

جاءت النصوص الشرعية تبين أن الفردوس أعلى الجنة وأوسطها وسقفه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة.

المنزلة:

أحد مفردات اليوم الآخر الغيبية المتعلقة بالجنة.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى في ختام صفات المفلحين من المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

وقال ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه**

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٨١٩) [دار الفكر].

(٢) انظر: الصحاح (٣/٩٥٩) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/١٠٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٦/١٦٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن كثير: «قال بعض السلف: لا يُسمَّى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب، فالله أعلم»[(٢)].

وقال المباركفوري في معنى «أعلى الجنة وأوسطها»: «أي: أعدلها وأفضلها وأوسعها وخيرها، ذكره السيوطي، وقال ابن حبان: المراد بالأوسط: السعة، وبالأعلى: الفوقية»[(٣)].

وقال أبو حاتم ابن حِبَّان: «قوله ﷺ: «**فهو أوسط الجنة**» يريد به أن الفردوس في وسط الجنان في العرض، وقوله: «**وهو أعلى الجنة**» يريد به في الارتفاع»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الفردوس ليست خاصة بالأنبياء:

فهي لهم ولغيرهم من الشهداء وأصحاب الأوصاف المذكورين في أول سورة المؤمنين.

قال أنس رضي الله عنه: «لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**». فلما مات، قالت: يا أبتاه، أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه، مَن جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فلما دفن، قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[(٥)].

وقال أنس رضي الله عنه أيضًا: أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، قد عرفت منزلة حارثة مني، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع، فقال: «**ويحك أوَ هبلت، أو جنة واحدة هي؟ إنها جنان كثيرة، وإنه في جنة الفردوس**»[(٦)].

وقال تعالى في صفات ورثة الفردوس: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون].

قال ابن تيمية: «فمن لم يتصف بهذه

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦٥) [دار الفكر، ط ١٤٠٦هـ].

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٢١) [دار المعرفة].

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٠/ ٤٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٨٢).

الصفات لم يكن من الوارثين؛ لأن ظاهر الآية الحصر، فإن إدخال الفصل بين المبتدأ والخبر يشعر بالحصر»[(١)].

وقال في موطن آخر: «أخبر ﷻ أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة، وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم، وقد دل هذا على وجوب هذه الخصال، إذ لو كان فيها ما هو مُستحب لكانت جنة الفردوس تورث بدونها؛ لأن الجنة تُنال بفعل الواجبات دون المستحبات؛ ولهذا لم يذكر في هذه الخصال إلا ما هو واجب»[(٢)].

وقال ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(٣)].

وقد وسَّعَ أهلَ الفردوس ابن حجر إذ قال: «وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها، وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة؛ لأنه ﷺ أمر الجميع بالدعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنه أعدها للمجاهدين، وقيل: فيه جواز الدعاء بما لا يحصل للداعي لما ذكرته والأول أَوْلى»[(٤)].

وفيما تقدم من نصوص ردّ على «من زعم أن الفردوس الأعلى لا يسكنه أحد خلا الأنبياء»[(٥)].

ـ المسألة الثانية: الفردوس أحد أسماء الجنة:

قال ابن القيم عن الجنة: «ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد باعتبار الذات، فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه... الاسم الثامن: الفردوس، قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الكهف]، والفردوس، اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات»[(٦)].

(١) الفتاوى الكبرى (٤/ ٨٥) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/ ١٤٢) [دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ].
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٣) [دار الفكر].
(٥) صحيح ابن حبان (١٦/ ٤٠٣).
(٦) التفسير القيم لابن القيم (٢/ ٢٧٦) [المركز الدولي للتراث العربي].

وقال ابن حجر: «أسماء الجنة عشرة أو تزيد: الفردوس وهو أعلاها، ودار السلام، ودار الخلد، ودار المقامة، وجنة المأوى، والنعيم، والمقام الأمين، وعدن، ومقعد صدق، والحسنى، وكلها في القرآن»[١].

ـ المسألة الثالثة: شرطا نزول الفردوس هما الإيمان والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إن الذين صدَّقوا بالله ورسوله، وأقرّوا بتوحيد الله، وما أنزل من كتبه، وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس»[٢].

وفصّل ابن عثيمين الشروط فقال: «صارت جنات الفردوس نزلًا للمؤمنين، لكن بشرطين: الإيمان، والعمل الصالح.

والإيمان محله القلب، والعمل الصالح محله الجوارح، وقد يراد به أيضًا عمل القلب، كالتوكل والخوف والإنابة والمحبة، وما أشبه ذلك.

والصّالحات هي التي كانت خالصة لله، وموافقة لشريعة الله»[٣].

(١) فتح الباري (١١/ ٤٠٩).
(٢) تفسير الطبري (١٨/ ١٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١].
(٣) تفسير ابن عثيمين (٦/ ١١٩).

ـ المسألة الرابعة: الفردوس أشرف الجنان لقربه من العرش:

قال الفضيل بن عياض: «أتدرون لم حسُنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها»[٤].

وقال ابن القيم: «وكل ما كان أقرب إلى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعُد عنه؛ ولهذا كانت جنة الفردوس أعلى الجنان، وأشرفها، وأنورها، وأجلَّها؛ لقربها من العرش؛ إذ هو سقفها، وكل ما بعُد عنه كان أظلم وأضيق؛ ولهذا كان أسفل سافلين شر الأمكنة، وأضيقها، وأبعدها من كل خير»[٥].

ـ المسألة الخامسة: هل الفردوس هي الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام؟

ذهب القاضي عياض إلى أن الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام هي جنَّة الفردوس، مستدلًّا بحديث المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام، وفيه: «قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنَّته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض»[٦].

فإنه قال بعد أن ساق الحديث: «فيه

(٤) حادي الأرواح (٥٧)، [دار الكتب العلمية].
(٥) الفوائد (٢٧) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣هـ].
(٦) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

حجَّة لأهل السُّنَّة أن الجنة التي خرج منها آدم هي جنَّة الفردوس، والتي يدخلها الناس في الآخرة، خلافًا لقول المبتدعة: إنها جنة أخرى غيرها»[(١)].

ولا شك أن آدم عليه السلام أُخرج من جنَّة السماء إلى الأرض، ولكن أهي جنَّة الفردوس التي هي أعلى الجنة أم جنة دونها؟ لا جزم في ذلك؛ لعدم وجود دليل صريح في المسألة.

لكن المعتقد الصحيح قائم على أن الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام إلى الأرض هي جنة السماء المذكورة في النصوص، والتي وعدها الله المؤمنين، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة، وأهل السُّنَّة والجماعة هي جنة الخلد»[(٢)].

ـ المسألة السادسة: لا إشكال بين سؤال الفردوس وسؤال الوسيلة:

أمر النبي ﷺ أمته بسؤال الفردوس كما في قوله ﷺ: **«إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة»**[(٣)]، وكذا سؤال الوسيلة له ﷺ، وهي أعلى درجة في الجنة، كما في قوله ﷺ: **«سلوا الله لي الوسيلة»**، قالوا: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: **«أعلى درجة في الجنة، لا ينالها إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو»**[(٤)].

وفي رواية لأحمد: «الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة، فسلوا الله أن يؤتيني الوسيلة»[(٥)].

ولا تعارض بين الأمرين ولا إشكال؛ لأن الوسيلة كما فسَّرها الحديث أعلى درجات الجنة؛ أي: أعلى درجات جنة الفردوس التي أمرنا بسؤالها، قال المناوي: «الوسيلة أعلى درجات الجنة، وهي خاصة به ﷺ فهي أعلى الفردوس، وجمع بين الأحاديث بأن الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات أعلاها الوسيلة، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض»[(٦)].

ـ المسألة السابعة: منزلة الفردوس من الجنات:

تقدم فيما مضى بيان أن الفردوس

---

(١) إكمال المعلم (٨/٦٧) [دار الوفاء، ط١، ١٤١٩هـ].
(٢) مجموع الفتاوى (٤/٣٤٧).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه بهذا السياق الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٢)، وقال: هذا حديث غريب، وإسناده ليس بالقوي.
وأصله عند مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٣٨٤)، ولفظه: «سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو».
(٥) أخرجه أحمد (٣/٨٣) [مؤسسة قرطبة]، وقال الهيثمي: (فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف). مجمع الزوائد (١/٣٣٢) [مكتبة القدسي]. لكن له طرق يتقوى بها، كما في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٥٧١).
(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/٣٦٨) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١٣٥٦هـ].

اسم يطلق على جميع الجنة، وهو بالمعنى الأخص يطلق على درجة في الجنة هي أعلاها وأوسطها، ولما كان عرش الرحمٰن هو سقفها، وهو أعظم المخلوقات وأفضلها وأشرفها وأعلاها ذاتًا وقدرًا، كانت جنة الفردوس أعلى الجنان وأجلها وأشرفها وأنورها وأفضلها[(١)].

- المسألة الثامنة: الفردوس مصدر أنهار الجنة:

لقوله ﷺ: «**إذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمٰن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(٢)].

ومعنى «تفجر أنهار الجنة»: تُشق وتُجرى أصول الأنهار الأربعة؛ من الماء، واللبن، والخمر، والعسل[(٣)].

وقد جاء ذكر هذه الأنهار في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

- المسألة التاسعة: الفردوس محضن الوادي الأفيح:

هذا الوادي غير الأنهار الأربعة، قال ﷺ: «**أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء، قلت: يا جبريل: ما هذه؟ قال: هذه الجمعة جعلها الله عيدًا لك ولأمتك فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرًا إلا أعطاه إياه. قال: قلت: ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا المزيد، قال: قلت ما يوم المزيد؟ قال: إن الله جعل في الجنة واديًا أفيح، وجعل فيه كثبانًا من المسك الأبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه، فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من در للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف، فحمدوا الله ومجدوه، قال: ثم يقول الله: اكسوا عبادي، فيُكسون، ويقول: أطعموا عبادي، فيُطعمون، ويقول: اسقوا عبادي، فيُسقون، ويقول: طيِّبوا عبادي، فيطيبون، ثم يقول: ماذا تريدون؟ فيقولون: ربنا رضوانك، قال: يقول: رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء**»[(٤)].

---

(١) انظر: الروح لابن القيم (٦٩)، [دار الكتب العلمية]، والفوائد له (٢٧) [دار الكتب العلمية].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٣٢١).

(٤) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٠) [دار ابن الأثير، ط٢]، والبزار (١٤/ ٦٨) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٨٨) [دار المأمون للتراث، ط١] واللفظ له، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٤) [دار الحرمين]، وغيرهم، من =

والشاهد منه، قوله ﷺ: «**إن الله جعل في الجنة واديًا أفيح، وجعل فيه كثبانًا من المسك الأبيض**»، وفي رواية الشافعي: قال: «**إن ربك اتخذ في الفردوس واديًا أفيح فيه كثب مسك**»[1].

فذكر الفردوس بدل الجنة.

الآثار:

التشويق، وإيثار الآخرة والكف عن الدنيا وأطماعها، والحث على الطاعات والاجتهاد في الاتصاف بصفات الواردين لها.

الحكمة:

قال الطيبي: «النكتة في الجمع بين الأعلى والأوسط أنه أراد بأحدهما الحسي وبالآخر المعنوي.

فإن وسط الشيء أفضله وخياره، وإنما كان كذلك؛ لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل؛ والأوساط محمية محفوظة»[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الفوائد»، لابن القيم.

٢ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، لابن القيم.

٣ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.

٤ ـ «الروح»، لابن القيم.

الفرق الضالة

يراجع مصطلح (الافتراق).

الفرقة الناجية

التعريف لغةً:

الفرقة من مادة (ف ـ ر ـ ق)، و«الفاء والراء والقاف أُصيل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين، والفرقان: كتاب الله تعالى فَرَقَ به بين الحق والباطل، والفرقان: الصبح، سُمي بذلك؛ لأنه به يُفرق بين الليل والنهار»[3].

ويقال: فَرَقتُ بين الشيئين أفرْق فرْقًا وفرْقانًا، وفرَّقت الشيء تفريقًا وتفرِقةً فانفرق وافترق وتفرَّق.

والفِرْق: طائفة من الناس، والفريق:

= طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه.
وقال الهيثمي في المجمع (١١/٣٧٩) [دار الفكر، ط ١٤١٣هـ]: «رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم»، وصحح إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢/٢٦٠) [دار الوطن، ط١]، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٢٧٢) [مكتبة المعارف، ط٥]: «حسن لغيره».

(١) مسند الشافعي (٧٠) [دار الكتب العلمية]، وضعّف ابن تيمية إسناده، وأشار ابن القيم إلى أن للحديث طرقًا عديدة. انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٦١٨) [دار الكتب العلمية]، تهذيب السنن لابن القيم (٢/٣٩١)، وزاد المعاد (١/٣٦٨).

(٢) تحفة الأحوذي (٦/٣٢١).

(٣) مقاييس اللغة (٤/٤٩٣) [دار الجيل].

الطائفة من الناس، وهم أكثر من الفِرْق، والفُرقة: مصدر الافتراق[١].

والناجية من مادّة (ن ـ ج ـ و)، يقال: نجا نجوًا ونجاءً ونَجَاةً ونَجَايَةً: خَلَصَ. والناجية والنجاة: الناقة السريعة تنجو بمن يركبها، والنجْوَ والنَّجَاة: المكان المرتفع الذي تظن أنه نجاؤُك، لا يعلوه السيل[٢].

التعريف شرعًا:

الفرقة الناجية: هي التي تسير على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ، وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزًا بين صحيحها وسقيمها، وأكثرهم معرفة بمعانيها، وأشدهم اتباعًا لها؛ تصديقًا وعملًا[٣].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، والمعنى الشرعي خصَّه بأهل السُّنَّة والجماعة، المتمسِّكون بالكتاب والسُّنَّة.

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٩/٩٦) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ]، والصحاح (٤/١٢٦٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ]، والقاموس المحيط (٣/٣٧١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري (٥٤/١٩٨٦)، وتهذيب اللغة (١١/١٣٥)، والقاموس المحيط (٤/٤٥٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٤٧)، والدين الخالص للقنوجي (٣/٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

سبب التسمية:

هذا الاسم مأخوذ من إخبار النبي ﷺ ـ لما ذكر أن أمته ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ـ أن فرقة واحدة من بين تلك الفرق هي الناجية، فهي لتمسكها بالسُّنَّة نجت من الضلال في الدنيا، وستنجو من النار في الآخرة.

الأسماء الأخرى:

أهل السُّنَّة والجماعة، الجماعة، السلف، أهل الحديث، أهل الأثر، السواد الأعظم، الطائفة المنصورة.

الحكم:

يجب التزام منهج الفرقة الناجية، وسلوك سبيلها، والتصديق بوجودها.

الأدلة:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن مَن قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**»[٤]. فأخبر أن هناك فرقة ناجية

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، ٤٥٩٧)، وأحمد (٢٨/١٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب السير، رقم ٢٥٦٠)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/٧٦) [المكتب الإسلامي، ط١]، وحسَّنه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٦٣)، وصحح ابن تيمية المتنَ في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في =

من بين هذه الفرق الثلاث وسبعين.

وفي رواية للترمذي: قال: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة**»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

ساق الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أحمد ـ وذكر حديث النبي ﷺ: «**تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة**» ـ فقال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم»[(٢)]. ومراده بأهل الحديث: أهل السُّنَّة والجماعة.

قال ابن تيمية: «وفيهم الصدِّيقون، والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهم الطائفة المنصورة»[(٣)].

وقال الصنعاني: «كل فرقة تزعم أنها الفرقة الناجية، ثم قد تُقيم بعض الفِرَق على دعواها برهانًا أوهى من بيت العنكبوت.

وبالجملة:

فكلٌّ يدَّعي وصلًا لليلى
وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

وكان الأحسن بالناظر في الحديث أن يكتفي بالتفسير النبوي لتلك الفرقة، فقد كفاه ﷺ ـ معلِّم الشرائع الهادي إلى كل خير ﷺ ـ المؤنة، وعيَّن له الفرقة الناجية، بأنها: من كان على ما هو عليه ﷺ وأصحابه، وقد عَرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه»[(٤)].

وقال عبد الرحمٰن بن حسن: «الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين، هي التي تمسكت بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وعملوا بما في كتاب الله، وأخلصوا له العبادة، واتبعوا رسوله ﷺ»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

- ليس كل الفرق الثنتين والسبعين خارجة عن الملة:

فهم لا يزالون من أهل الإسلام، لم يخرجوا منه إلى الكفر: فالنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من

= السلسلة الصحيحة (١/ ٤٠٥) [مكتبة المعارف، ط١].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

(٢) شرف أصحاب الحديث (٢٥) [دار إحياء السُّنَّة].

(٣) العقيدة الواسطية بشرح هراس (٢٦١) [دار الهجرة، ط٣، ١٤١٥هـ].

(٤) حديث افتراق الأمة (٧٨، ٧٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٥) الدرر السنية (١١/ ٤٠٢) [ط٦، ١٤١٣هـ]. وينظر: (١١/ ٣٥٢).

أمته ـ أمة الإجابة ـ وقال: «**كلها في النار**» ولم يقل: إنهم مخلدون في النار، فهو وعيد في حقهم كسائر نصوص الوعيد الواردة في مرتكبي بعض الكبائر، كقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**كل مصوِّر في النار يجعل له بكل صورة صوَّرها نفسًا فتعذبه في جهنم**»[(١)]، ولم يقل أحد من أهل السُّنَّة: إن المصور خارج من ملة الإسلام بمقتضى هذا الحديث.

ومن باب أولى عدم الحكم على معين ممن انتسب لفرقة من هذه الفرق بالكفر، ما لم يقع في مكفر، وتتوفر فيه شروط التكفير، وتنتفي عنه موانعه.

قال ابن تيمية: «ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرًا ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفَّر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفِّر بعضهم بعضًا ببعض المقالات»[(٢)].

وقال أيضًا: «ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارًا، بل مؤمنين، فيهم ضلال وذنب، يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين، والنبي ﷺ لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار، فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته، فإن كثيرًا من المنتسبين إلى السُّنَّة فيهم بدعة من جنس بدع الرافضة والخوارج، وأصحاب الرسول ﷺ ـ علي ابن أبي طالب وغيره ـ لم يكفِّروا الخوارج الذين قاتلوهم»[(٣)].

وقال: «وليس قوله: «اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة» بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾ [النساء]، وقوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء] وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار»[(٤)].

وجدير بالتنبيه هنا: أن هذه الفرق ليست على درجة واحدة، بل هم متفاوتون، كما أن من الفرق من صرح أئمة الإسلام بكفرهم، بل نص بعضهم على أنهم خارجون عن الفرق الثنتين والسبعين، كالجهمية مثلًا، لكونهم قالوا بمقالات توجب ذلك.

المصادر والمراجع:

١ ـ «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي.

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢١٧).
(٣) منهاج السُّنَّة (٥/ ٢٤١) [جامعة الإمام، ط٢].
(٤) منهاج السُّنَّة (٥/ ٢٤٩).

٢ ـ «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية [بشرح هراس].

٣ ـ «حديث افتراق الأمة»، للصنعاني.

٤ ـ «المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم»، لأحمد سردار محمد مهر الدين شيخ.

٥ ـ «درء التعارض»، لابن تيمية.

٦ ـ «فضل علم السلف على الخلف»، لابن رجب.

٧ ـ «التحف في مذاهب السلف»، للشوكاني.

٨ ـ «لوامع الأنوار»، للسفاريني.

٩ ـ «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم.

الفسق

التعريف لغةً:

الفسق: هو الخروج عن الطاعة، وأصله: خروج الشّيء من الشّيء على وجه الفساد، ومنه قولهم: فسق الرّطب: إذا خرج عن قشره. وتسمى الفأرة: الفويسقة؛ لخروجها من جحرها على الناس. وفَسَق: جارَ ومالَ عَن طاعَةِ الله ﷻ. والتّفسيق ضدّ التّعديل، يقال: فسّقه الحاكم؛ أي: حكم بفسقه، وفسق فسوقًا؛ أي: فجر فجورًا[(١)].

التعريف شرعًا:

الفسق: هو الخروج من طاعة الله ﷻ، فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان[(٢)].

الأسماء الأخرى:

الفجور، العصيان، الطغيان، الجور.

الحكم:

يجب على المسلم أن يحذر من الخروج عن طاعة الله، ويبتعد عن الوقوع في الفسق، ويجتنب فعل المنكرات والمعاصي؛ لئلَّا يكون من الفاسقين الموعودين بالعذاب يوم القيامة.

ويجب كذلك على المسلم الذي يريد لنفسه النجاة أن لا يتعجل في إصدار الحكم على أحد من المسلمين بالفسق، خاصة إذا افتقر إلى الحجة والبيّنة؛ لأن عاقبة هذا الأمر وخيمة، يقول النبي ﷺ: **«لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»**[(٣)].

الحقيقة:

الفسق اسم عام يشمل الكفر،

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣١٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ومقاييس اللغة (٤/ ٥٠٢) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ]، وتاج العروس (٢٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) [وزارة الإعلام، الكويت، ط ١٤٠٨هـ].

(٢) المحرر الوجيز (١/ ١١٢) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٠٤٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦١).

والكبائر، وبقية المعاصي. وهو في حقيقته: ميلٌ عن القصد، وانحرافٌ عن الاستقامة[(١)]. ويأتي في الشرع بمعانٍ عدة، ويستحق وصفَ الفسق: كلُّ من نسيَ حقَّ الله تعالى وأضاع أوامره. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

۞ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ [السجدة].

ومن السُّنَّة حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أربع كلهن فاسق، يقتلن في الحل والحرم: الحدأة، والغراب، والفأرة، والكلب العقور**»[(٢)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[(٣)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك**»[(٤)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن تيميّة رحمه الله: «إنّ الفسق يكون تارةً بترك الفرائض، وتارةً بفعل المحرّمات»[(٥)].

وقال أيضًا: «لفظ المعصية والفسوق والكفر، إذا أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق، كقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود]»[(٦)].

وقال ابن حجر رحمه الله: «الفسق هو الخروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عُرف الشرع أشد من العصيان، قال الله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾ [الحجرات: ٧]»[(٧)].

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٢٩١) [دار هجر، ط١].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٨٢٩)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١١٩٨)، واللفظ له.
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٢٥١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].
(٦) المصدر السابق (٧/ ٢٥٩).
(٧) فتح الباري (١/ ١١٢) [دار المعرفة، ط١٣٧٩هـ].

وقال الألوسي رَحِمَهُ اللهُ: «الفسق وهو شرعًا: خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر ودونه من الكبيرة والصغيرة. واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على ارتكاب الآخرين إلا نادرًا بقرينة»[(١)].

الأقسام:

الفسق ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فسق يخرج عن الإسلام، كفسق إبليس، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، وكان ذلك الفسق منه كفرًا، وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] يريد الكفار، دل على ذلك قوله: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة].

القسم الثاني: الفسق الذي لا يخرج من الملة، وهو **على قسمين:**

١ ـ فسق الاعتقاد: كفسق أهل البدع الذين ينفون كثيرًا مما أثبت الله ورسوله، جهلًا وتأويلًا، وتقليدًا للشيوخ، ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله[(٢)].

والفسق أعم من البدعة، حيث يطلق الفسق على البدعة وغيرها؛ ولذا قال ابن الصلاح رَحِمَهُ اللهُ: «كل مبتدع فاسق وليس كل فاسق مبتدعًا، والمراد: المبتدع الذي لا تخرجه بدعته عن الإسلام؛ وهذا لأن البدعة فساد في العقيدة في أصل من أصول الدين، والفسق قد يكون فسادًا في العمل مع سلامة العقيدة»[(٣)].

٢ ـ فسق العمل: «كالقذف، وقد سمّى الله القاذف من المسلمين فاسقًا، ولم يخرجه من الإسلام، قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور]»[(٤)].

وفسق العمل أمثلته كثيرة، وإطلاقاته متعددة، كما جاء ذلك في النصوص الشرعية، وآثار أهل العلم، ولعل ما يضبط ذلك ما قاله النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وأما الفسق فيحصل بارتكاب الكبيرة، أو الإصرار على الصغيرة»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

ـ ما يروى عن الحسن من تسمية الفاسق منافقًا:

الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ لم يقل ما خرج

(١) روح المعاني (١/٢١٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/٣٦٩).

(٣) فتاوى ابن الصلاح (٢١٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/٥٢٦) [مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٥) فتاوى النووي (٢٦١).

به عن الجماعة، لكنه سمَّى الفاسقَ منافقًا، وقصد الفاسق الذي فيه إيمان وفيه نفاق؛ أي: النفاق الأصغر: وهو النفاق العملي الذي لا يُخرج من الإسلام. فإطلاقه رَحِمَهُ اللَّهُ لفظ النفاق على الفاسق هو بهذا الاعتبار[(١)].

مذهب المخالفين:

خالفت المرجئة والوعيدية (وهم الخوارج والمعتزلة) أهلَ السُّنَّة والجماعة في مسألة الفاسق الملي[(٢)]. فذهبت الوعيدية إلى القول بتكفير الفاسق الملي، فالمعتزلة جعلت حكمه الدنيوي في منزلة بين المنزلتين، وقالت بتخليده في النار يوم القيامة، أما الخوارج فقالت: هو كافر في الدنيا والآخرة. وأما المرجئة فقد ذهبت إلى أنه كامل الإيمان[(٣)].

الرد عليهم:

يقال لهم: إن مرتكب الكبيرة مع أنه فاسق بكبيرته، إلا أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية، فيمكن اجتماع الإيمان مع الفسق الأصغر ـ كما هو مقرر عندهم، ومن ثَمّ فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأمره إلى الله تعالى، إن شاء غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله، ومآله إلى الجنة فيما بعد؛ على هذا دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة أجمع عليه سلف الأمة[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين» (ج١)، لمحمد آل خضير.

٢ ـ «الإيمان: حقيقته ـ خوارمه ـ نواقضه عند أهل السُّنَّة والجماعة»، لعبد الله الأثري.

٣ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية (ج١، ٢).

٤ ـ «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، لابن حجر الهيتمي.

٥ ـ «الفسق وأحكامه عند أهل السُّنَّة والمخالفين»، لريما بنت مقرن الشيخ.

٦ ـ «الفسق والنفاق»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٧)، لابن تيمية.

٨ ـ «المحرر الوجيز» (ج١)، لابن عطية.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٢٣ ـ ٥٢٤) (١١/١٤٠).

(٢) وهو من وقع في موجبات الفسق الأصغر غير المكفِّر.

(٣) انظر: غاية المرام في علم الكلام للآمدي (٣١٢) [المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة]، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٦٦٦، ٦٩٧) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ]، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣/١٨٨) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٢٤٩) [مطبعة الدولة، إستانبول، ١٣٤٦هـ]. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (١٣/٤٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٥١ ـ ١٥٢).

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج١»)، لابن القيم.

١٠ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.

الفَطْر

يراجع مصطلح (الفاطر).

الفطرة

التعريف لغةً:

قال الخليل بن أحمد: «فطَر الله الخلق؛ أي: خَلَقهم، وابتدأ صِنعة الأشياء، وهو فاطِر السماوات والأرض، والفِطْرة التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فَطرهم الله على معرفته بربوبيته، وانْفطر الثوب وتَفطر؛ أي: انشق، وتَفَطرت الجبال والأرض: انصدعت»[(١)].

وقال الجوهري: «والفِطْرة بالكسر: الخلقة، وقد فَطره يفْطُره بالضم فطرًا؛ أي: خلقه. والفَطْر أيضًا: الشق، يقال: فَطَرته فانفطر، وتفَطَّر الشيء: تشقق، والفَطْر: الابتداء والاختراع، قال ابن عباس رضي الله عنه: كنت لا أدري ما فاطر السماوات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي: أنا ابتدأتها»[(٢)(٣)].

وعلى هذا فلفظ (فطر) يدور معناه على الشق والابتداء والخلق.

التعريف شرعًا:

القول الراجح في تعريف الفطرة أنها الإسلام، وليس معنى هذا أن الإنسان لما يولد يعرف الإسلام بتفاصيله، بل الفطرة هي القوة العلمية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقَبول للعقائد الصحيحة[(٤)]. والقول بأن الفطرة هي الإسلام هو قول عامة السلف[(٥)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معنى الفطرة في اللغة يدل على الخلق

(١) العين (٧/٤١٨) [مكتبة الهلال].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/٢٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وفي سنده ضعف.
وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات (١/٧٨) [مكتبة السوادي، ط١]، وفيه: «أنا فطرتها؛ يريد: استحدثت حفرها».

(٣) الصحاح (٢/٧٨١) [دار العلم للملايين، ط٣].
وانظر: العين (٧/٤١٧، ٤١٨)، ولسان العرب (٥/٥٥ ـ ٥٨) [دار صادر]، والمصباح المنير (٢/٤٧٦، ٤٧٧) [دار القلم].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٤٥ ـ ٢٤٧) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ].

(٥) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/٧٢) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ]، ودرء التعارض (٨/٣٧٣) [مكتبة ابن تيمية]، وشفاء العليل (٢٨٥) [مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٣٢٣هـ]، وأحكام أهل الذمة (٢/٥٣٥) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣م]، وفتح الباري (٣/٢٤٨) [دار الفكر].

وابتداء الشيء، والمعنى الشرعي يدل على خلق الناس على وضع معين هو الإسلام، والقبول للعقائد الصحيحة.

الأدلة:

أدلة القول بأن الفطرة هي الإسلام كثيرة؛ **منها**[1]:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الآية [الروم]»[2]، وذكروا عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة، في قول الله عز وجل: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، قالوا: فطرة الله، دين الله الإسلام.

٢ ـ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**خمس من الفطرة**»[3]؛ يعني: فطرة الإسلام.

٣ ـ ألفاظ الحديث التي في الصحيح مثل قوله: «على الملة»، و«على هذه الملة»[4].

٤ ـ قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار رضي الله عنه: «**خلقت عبادي حنفاء كلهم**»[5].

أقوال أهل العلم:

اختلف العلماء في معنى الفطرة على عدة أقوال، وقد سبق ذكر القول الراجح، **ومن هذه الأقوال**:

القول الأول: أن الفطرة هي الإقرار بمعرفة الله تعالى، وهي العهد الذي أخذه عليهم في أصلاب آبائهم، حين مسح ظهر آدم فأخرج من ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم، قالوا بلى، فليس أحد إلا وهو يقر بأن له صانعًا ومدبرًا وإن سمَّاه بغير اسمه، قال عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فكل مولود يولد على ذلك الإقرار[6].

القول الثاني: أن الله فطرهم على الإنكار والمعرفة، وعلى الكفر والإيمان[7].

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٧٢)، ودرء التعارض (٨/ ٣٦٧ ـ ٣٧١)، وشفاء العليل (٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٨٨٩)، ومسلم (كتاب الطهارة، رقم ٢٥٧).

(٤) الروايتان أخرجهما مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٨).

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

(٦) انظر: تأويل مختلف الحديث (٧٣ ـ ٩٥) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١]، والتمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٩٠ ـ ٩١)، ودرء التعارض (٨/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، شفاء العليل (٢٨٣)

(٧) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٨٨)، وشفاء العليل (٢٩٣)، أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦).

القول الثالث: أن الفطرة هي الإسلام لكنها خاصة بالمؤمنين؛ لأنه لو فطر الناس جميعًا على الإسلام لما كفر أحد منهم، وهذا خلاف ما دلَّت عليه النصوص من أنه ﷻ خلق أقوامًا للنار، وأن غلام الخضر طبع كافرًا[1].

القول الرابع: أن الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود، من المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه، إذا بلغ مبلغ المعرفة، يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم، التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك، ومثل هذا القول من قال: المراد بالفطرة، أن كل مولود يولد على السلامة خلقة، وطبعًا، وبنية، ليس معها كفر ولا إيمان، ولا معرفة ولا إنكار، ثم يعتقد الكفر أو الإيمان بعد البلوغ[2].

القول الخامس: الفطرة؛ يعني: البدأة التي ابتدأهم عليها، من أنه ابتدأهم للحياة والموت، والسعادة والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من قبولهم عن آبائهم اعتقادهم[3].

المسائل المتعلقة:

ـ دليل الفطرة:

الفطرة دليل من أدلة التوحيد التي غرسها الله ﷻ في بني آدم وخلقهم عليها، فهي توجه العبد إلى إفراد الرب ﷻ بالربوبية والألوهية، إلا أن هذه الفطرة قد تتغير بما يؤثر عليها من التنشئة على الشرك، وما يحيط بها من الشبهات والشهوات.

مذهب المخالفين:

ذهب المعتزلة ونحوهم من المتكلمين إلى أنه لم يولد أحد على الإسلام أصلًا، ولا جعل الله أحدًا مسلمًا ولا كافرًا، ولكن هذا أحدث لنفسه الكفر، وهذا أحدث لنفسه الإسلام؛ بلا نزاع بين القدرية، ولكن هو دعاهما إلى الإسلام، وأزاح علتهما، وأعطاهما قدرة متماثلة فيهما، تصلح للإيمان والكفر، ولم يختص المؤمن بسبب يقتضي حصول الإيمان، فإن ذلك عندهم غير مقدور، ولو كان مقدورًا لكان ظلمًا، وهذا قول عامة المعتزلة.

الثاني: أنهم يقولون: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فيستحيل أن تكون المعرفة عندهم ضرورية، أو تكون من فعل الله ﷻ[4].

الرد عليهم:

يرد عليهم بحديث الفطرة السابق،

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٢٦) [دار الكاتب العربي، ١٣٨٧هـ].

(٢) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٦٨ ـ ٧٠)، ودرء التعارض (٨/ ٤٤٢)، وشفاء العليل (٢٨٩ ـ ٢٩٩)، وأحكام أهل الذمة (٢/ ٥٦٨ ـ ٥٦٩).

(٣) انظر: التمهيد (١٨/ ٧٨)، درء التعارض (٨/ ٣٨٦)، وشفاء العليل (٢٨٤)، أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٦٩).

(٤) انظر: درء التعارض (٨/ ٣٧٨)، شفاء العليل (٢٨٨).

وهو قوله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه...**»[(١)]. والروايات التي وضَّحت معناه. ويرد عليهم بحديث عياض بن حمار: «خلقت عبادي حنفاء كلهم...»[(٢)]. وفيه تصريح بأن الله فطرهم على الحنيفية وهي الإسلام.

فيقال لهم أنتم تقولون إنه لا يقدر لا الله، ولا أحد من مخلوقاته على أن يجعلهما يهوديين، أو نصرانيين، أو مجوسيين، بل هما فَعَلا بأنفسهما ذلك بلا قدرة من غيرهما[(٣)]، وحديث الفطرة يبطل قولكم، ويبين أثر الوالدين، كما أنه يدل على أن معنى الفطرة هي الإسلام.

وأهل السُّنَّة متفقون على أن غير الله لا يقدر على جعل الهدى أو الضلال في قلب أحد، فقد اتفقت الأمة على أن المراد في حديث الفطرة دعوة الأبوين ابنهما إلى عقيدتهما، وتربيتهما عليه، ونحو ذلك مما يفعل المعلم، والمربي مع من يعلمه ويربيه، وذكر الأبوين بناء على الغالب[(٤)].

وأما قولهم: إن معرفة الله لا تحصل إلا بالنظر المشروط بالعقل، فهو قول لا دليل عليه من النقل أو العقل، بل الأدلة الشرعية السابقة تبطله، والنظر المقصود هو النظر في طريقة الأعراض، والتركيب، ونحو ذلك من الطرق المبتدعة وهو طريق باطل، غير موصل للمقصود. فالرسول ﷺ لم يأمر أحدًا بهذه الطرق، ولا علق إيمانه، ومعرفته بالله، بهذه الطرق، بل القرآن وصف بالعلم، والإيمان، من لم يسلك هذه الطرق، ولما ابتدع بعض هذه الطرق من ابتدعها، أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها، ووسموا هؤلاء بالبدعة والضلالة[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام أهل الذمة» (ج٢)، لابن القيم.

٢ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، جمع ودراسة»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٣ ـ «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٤ ـ «التمهيد» (ج١٨)، لابن عبد البر.

٥ ـ «جامع البيان» (ج٢٠)، لابن جرير الطبري.

٦ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٨)، لابن تيمية.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٣٧٩).

(٤) انظر: المرجع السابق (٨/ ٣٧٩).

(٥) انظر: المرجع السابق (٨/ ١٢) بتصرف.

٧ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٨ ـ «العقيدة والفطرة في الإسلام»، لصابر طعيمة.

٩ ـ «الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها»، لعلي القرني.

١٠ ـ «الفطرة والعقيدة الإسلامية»، لحافظ الجعبري، [رسالة ماجستير].

الفقه الأكبر

يراجع مصطلح (العقيدة).

الفناء

التعريف لغةً:

قال الخليل: «الفَناء نقيضُ البقاء، والفعل فَنِيَ يَفْنى فَنَاء فهو فانٍ، والفِناء: سعة أمام الدار»[(١)].

وقال الأزهري: «فَنىَ الرجل يفنى؛ إذا هَرِم وأشرف على الموت»[(٢)].

فالفناء هو الاضمحلال والتلاشي والعدم، وقد يطلق على ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه، كما يقال: شيخ فانٍ[(٣)].

التعريف اصطلاحًا:

الفناء مصطلح صوفي، يعرف بأنه: «عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري، ومشاهدة الحق»[(٤)]. وقيل: هو الغيبة عن الأشياء، بأن لا ترى شيئًا إلا الله، ولا تعلم إلا الله، وتكون ناسيًا لنفسك، ولكل الأشياء سوى الله[(٥)]. ويقول شيخ الإسلام: «ما يسمِّيه بعض الصوفية الفناء، وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره»[(٦)]. ويقول الإمام ابن القيم: «ولكن القوم اصطلحوا على وضع هذه اللفظة لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبة عن شهود الكائنات»[(٧)]. هذا معنى الفناء الغالب عند الإطلاق، ويتبين أكثر عند ذكر أقسامه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة بينهما واضحة؛ فالفناء عند

---

(١) العين (٨/٣٧٦) [دار مكتبة الهلال]. وانظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٧٨) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ولسان العرب (١٥/١٦٤) [دار صادر].

(٢) تهذيب اللغة (١٥/٤٧٨).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/١٥٤) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ].

(٤) التعريفات (٢١٧) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ]. وانظر: التوقيف (٥٦٥) [دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ]، والمعجم الصوفي للحفني (١٩٦) [دار الرشاد، ط١، ١٤١٧هـ]، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/١٦٧) [دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م].

(٥) انظر: المعجم الصوفي (١٩٦)، واصطلاحات الصوفية للقاشاني (٢١٢) [دار الحكمة، ط١، ١٤١٥هـ]، ومعجم الكلمات الصوفية للنقشبندي (١٩١) [مؤسسة الانتشار العربي، ط١]، المعجم الفلسفي لصليبا (٢/١٦٧).

(٦) بغية المرتاد (٢٢٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٧) مدارج السالكين (١/١٥٤، ١٥٥) [دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ].

الصوفية اضمحلال الشعور بالنفس وتلاشيه أمام شهود الله، فقد أُخذ من المعنى اللغوي الاضمحلال والتلاشي.

الأسماء الأخرى:

يستخدم الصوفية مصطلحات أخرى للتعبير عن معنى الفناء، كلفظ المحو والجمع والاصطلام والسكر، وهذه المصطلحات تشترك معًا في غيبة المتصف بها عن شهود أو وجود ما سوى الله، وقد يفرق بعض الصوفية بينها من حيث السبب الباعث لغيبة الشخص عن ما سوى الله، ومن حيث درجة هذه الغيبة، وحال المتصف بها. يقول شيخ الإسلام مبينًا تقارب هذه الألفاظ: «أن يفنى عن شهود ما سوى الله، وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك»[(١)]. وقال عن السكر: «وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والفناء، ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها»[(٢)]، فهي ألفاظ متقاربة المعنى.

الأقسام:

الفناء مصطلح يحتمل عدة معان؛ منها ما هو صحيح، ومنها ما هو نقص، ومنها ما هو كفر.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٣٧٠). وانظر المرجع نفسه (١٠/٥٩٤)، وشفاء العليل (١٥).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/١٠).

القسم الأول: الفناء عن عبادة ما سوى الله، والاستعانة به، بحيث لا يعبد إلا الله ولا يستعين إلا بالله، وهذا هو دين الإسلام.

القسم الثاني: الفناء عن شهود ما سوى الله، بحيث يغيب بمشهوده عن شهوده، وهؤلاء ليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم، وهؤلاء إذا لم يتركوا واجبًا لم يضرهم، وإن تركوا مستحَبًّا مشتغلين عنه بما هو أفضل منه لم ينقلوا عن مقامهم، وإن اشتغلوا عما تركوه من المستحَب بما ليس مثله، فانتقالهم إلى ذلك الأفضل أفضل إذا أمكن، وإن تركوا واجبًا أو فعلوا محرمًا مع إمكان العلم والقدرة فهم مؤاخذون على ذلك، وإن كان مع سقوط التمييز لسبب يعذرون به مثل زوال عقل بسبب غير محظور فلا ذم عليهم. وهذا النوع هو الذي يظنه الصوفية غاية السالكين، مع أنه ليس غاية محمودة بل هو فناء الناقصين.

القسم الثالث: وهو فناء الكافرين، وهو جعل وجود الأشياء هو عين وجود الحق، أو وجود نفسه عين وجود الله ﷻ، وهذا كفر محض[(٣)].

(٣) انظر: الاستقامة (٢/١٤٢، ١٤٣) [مكتبة ابن تيمية]، ومجموع الفتاوى (٢/٢٦٨ ـ ٢٧٠) [مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠٤هـ]، ومدارج السالكين (١/١٤٩ ـ ١٥٥)، (٣/٣٧٨ ـ ٣٨٠)، بتصرف.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية»، لآمال العمرو [رسالة دكتوراه].

٢ ـ «الاستقامة» (ج١)، لابن تيمية.

٣ ـ «الفناء عند الصوفية وموقف السلف منه»، لسعيد أبو بكر زكريا [رسالة ماجستير].

٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢)، لابن تيمية.

٥ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيم.

٦ ـ «اصطلاحات الصوفية»، للقاشاني.

٧ ـ «معجم الكلمات الصوفية»، لأحمد النقشبندي.

٨ ـ «موسوعة مصطلحات جامع العلوم»، لمجموعة من المؤلفين.

الفوقية

يراجع مصطلح (العلو).



حرف القاف

القائم

يراجع مصطلح (القيوم).

القابض

يراجع مصطلح (القبض والبسط).

قابل التوب

يراجع مصطلح (التواب).

القادر

يراجع مصطلح (القدرة).

القاهر

يراجع مصطلح (القهر).

القبر

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن»[١]. والقبر: مدفن الإنسان، يقال: قَبَر الميت إذا دفنه، والقبر: حفرة في الأرض يوارى فيها الميت، وجمعه: قبور، والمقبرة، بفتح الباء وضمها: موضع القبور[٢].

التعريف شرعًا:

القبر: هو مكان دفن الأموات في الأرض، وأول منازل الآخرة، وفيه الحياة البرزخية، والميت فيه إما معذب وإمّا مُنعَّم[٣].

الأسماء الأخرى:

من الأسماء التي تطلق على القبر: الضريح، ومنها: الرَّمْس، ومنها: الكُدى، ومنها: اللَّحد، ومنها: التربة، ومنها: الجَدَث[٤].

الحكم:

أجمع العلماء على وجوب إيجاد

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٧) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والقاموس المحيط (٤٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ]، ولسان العرب (٥/٦٨) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٤) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١/٤٥١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: المخصص لابن سيده (٢/٧٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٤/١٥٦)، والمصباح المنير (١/٧٣) [المكتبة العلمية].

المقابر في بلاد المسلمين ودفن أمواتهم فيها، قال ابن المنذر: «لم يختلف من أحفظ عنه من أهل العلم أن دفن الموتى واجب لازم على الناس، لا يسعهم تركه عند الإمكان، ووجود السبيل إليه، ومن قام به سقط فرض ذلك عن سائر المسلمين»[(١)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ [عبس]، وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس].

ومن السُّنَّة: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الذي لدغته الحية، أن النبي ﷺ قال لهم: **«اذهبوا فادفنوا صاحبكم»**[(٢)].

وحديث هشام بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يوم أحد: **«احفروا، وأوسعوا، وأحسنوا، وادفنوا الاثنين والثلاثة في القبر، وقدموا أكثرهم قرآنًا»**[(٣)]. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ، قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**». قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام مالك: «لم يبلغني في عمق قبر الميت شيء موقوف عليه، وأحب إليّ أن لا يكون عميقًا جدًّا، ولا قريبًا من أعلى الأرض جدًّا»[(٥)].

وقال الإمام الشافعي: «وأحب أن لا يزاد في القبر تراب من غيره، وليس بأن يكون فيه تراب من غيره بأس، إذا زيد فيه تراب من غيره ارتفع جدًّا، وإنما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرًا أو نحوه»[(٦)].

---

(١) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٥/٤٥٠) [دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٣٦).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢١٥)، والترمذي (أبواب الجهاد، رقم ١٧١٣) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠١٠)، وأحمد (٢٦/١٨٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (١٤٢ ـ ١٤٣) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٦هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٧)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١/٥٠٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الرقاق، رقم ٧٩٤٢) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٦٨٤) [المكتب الإسلامي].

(٥) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف (٥/٤٥٤).

(٦) الأم للشافعي (١/٣١٦) [دار المعرفة، ط ١٤١٠هـ].

وقال ابن القيم: «وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره ﷺ مُسنَّم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطيّن، وهكذا كان قبر صاحبَيه»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الدعاء عند القبر:

إن الدعاء عند القبور غير مشروع سواء كان القبر قبر النبي ﷺ أو غيره، وليست محلًّا للإجابة، وإنما المشروع زيارتها والسلام على الموتى والدعاء لهم، وذكر الآخرة والموت، كما دلَّت النصوص على ذلك.

ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة من يقول: إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، ولا إن دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة[(٢)].

والأمور المبتدعة عند القبور مراتب:

المرتبة الأولى: أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به ـ كما يفعله كثير من الناس ـ فهو من جنس عباد الأصنام، وشرك أكبر يخرج صاحبه من الإسلام.

المرتبة الثانية: أن يسأل الله عزّ وجلّ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد؛ فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضًا من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعًا بين أئمة المسلمين[(٣)].

ـ المسألة الثانية: البناء على القبر:

لقد جاءت الشريعة الغراء بسد كل طريق موصل إلى الشرك والغلو في الصالحين والأموات، ومن ذلك أنها نهت عن رفع القبور، وتجصيصها، والبناء عليها، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أعيادًا وغير ذلك من صور تعظيم القبور؛ لأن هذه الأمور تعد ذريعة من ذرائع الشرك ووسيلة من وسائله؛ ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتحذير والنهي عن فعلها؛ لكونها وسيلة مفضية إلى عبادة المقبورين من دون الله تعالى. وقد أمر الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الهياج الأسدي بإزالة كل قبر شاهق، فقال: ألا أبعثك على ما بعثني عليه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٥٠٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١١٥ ـ ١١٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/٢٢) [ط١، ١٤١٨هـ]. وانظر: إغاثة اللهفان (١/٢١٧، ٢١٨) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ].

رسول الله ﷺ؟ «أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[(١)]. قال الشوكاني: «اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: الكتابة على القبر[(٣)]:

الكتابة على القبر منهي عنها، سواء كتابة الآيات أو الأسماء أو تاريخ الوفاة ونحو ذلك؛ لما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ»[(٤)]. وفي رواية قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء»[(٥)]. فالكتابة على القبر من الأمور المحدثة التي لم يكن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يفعلوها، بل هي من الوسائل والذرائع التي يستدرج بها الشيطان الناسَ لتعظيم القبور واتخاذها أوثانًا تُعبد من دون الله تعالى.

وأما تعليم القبر بعلامة من حجر ونحوه، فجائز عند جمهور العلماء؛ لحديث المطلب عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال: لما مات عثمان بن مظعون، أتى النبي ﷺ بحجر فوضعه عند رأسه، وقال: «**أتعلَّم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي**»[(٦)].

ـ المسألة الرابعة: دفن الميت في المسجد:

لا يجوز أن تُجعل المساجد أماكنَ

(١) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٩).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط٤، ١٤٠٨هـ].
وانظر: المدونة (١/٢٦٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، والمغني (٢/٣٧٨)، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٢/٦٢٦، ٦٢٧) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ].

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للرُّعيني المالكي [دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمجموع شرح المهذب (٥/٢٨٢، ٢٩٨)، والمغني (٢/٣٧٦)، وإغاثة اللهفان (١/١٩٦)، ونيل الأوطار (٤/١٠٤) [دار الحديث، ط١، ١٤١٣هـ]، والمدخل (مدخل الشرع الشريف على المذاهب) (٣/٢٧٢) [دار التراث، القاهرة]، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٥/١٣٦ ـ ١٣٧) [ط٦، ١٤١٧هـ]، ومجموع فتاوى ابن باز (٤/٣٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٢٦)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٥٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٢٧)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٩) وصححه، وصححه الألباني أيضًا في الإرواء (٣/٢٠٨) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٨٤٣).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠٦)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (كتاب الجنائز، رقم ٦٧٤٤)، وحسنه النووي في الخلاصة (٢/١٠١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٠٦٠) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

دفنٍ للأموات، لقول النبي ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)].

قال الزين العراقي: «فلو بنى مسجدًا بقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة، بل يحرم الدفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفته لمقتضى وقفه مسجدًا»[(٢)]. وإذا دُفن المسلم في المسجد فإنه ينبش ويدفن في المقبرة.

قال ابن تيمية: «لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر؛ إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدًا. وإن كان المسجد بني بعد القبر: فإما أن يزال المسجد وإما أن تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل فإنه منهي عنه»[(٣)].

ـ المسألة الخامسة: الصلاة عند القبر:

أجمع الأئمة من أهل السُّنَّة والجماعة على أن الصلاة عند القبور منهي عنها[(٤)]، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ القبور مساجد. فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه.

وإذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة، فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دينٍ لم يأذن به الله تعالى. ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة من يتحرى الصلاة عند القبر، ولم يقل أحدٌ منهم: إن الصلاة عند القبر أفضل من الصلاة في غيرها[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأحاديث الواردة في القبور أحاديث الدفن وتوابعه جمعًا وتخريجًا ودراسة»، لصلاح العيسى.

٢ ـ «أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية»، لعبد الله السحيباني.

٣ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية.

٤ ـ «بدع القبور: أنواعها وأحكامها»، لصالح بن مقبل العصيمي.

٥ ـ «بدع القبور وحكمها»، لمحمد درامن.

٦ ـ «شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور»، لعبد الله بن محمد الحمادي.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).
(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/ ٢٧٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٩٥).
(٤) انظر: الأوسط لابن المنذر (٢/ ١٨٤، ١٨٥).
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٥ ـ ١١٧)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/ ١٨٥).

٧ ـ «شرح الصدور بتحريم رفع القبور»، للشوكاني.

٨ ـ «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور»، لمرعي الكرمي.

٩ ـ «عمارة القبور»، لعبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي.

١٠ ـ «من بدع القبور»، لمحمد بن عبد الله الحميدي.

القبض

يراجع مصطلح (القبض والبسط).

القبض والبسط

التعريف لغةً:

القبض: القاف والباء والضاد أصل واحد يدل على شيء مأخوذ وتجمع في شيء، تقول: قبضت الشيء قَبْضًا؛ أي: أخذته، ومنه المَقْبِض من القوس والسيف: حيث يُقْبَضُ عليه بجُمْعِ الكَفِّ[(١)].

ويُطلق ويراد به الإمساك عن البذل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧]، يقال: قبض الله عنه الرِّزق، إذا ضيَّقه، وهو عكس البسط. ويطلق على الإماتة، فيقال: قبض الله روحه، إذا أماته[(٢)].

والبسط: الباء والسين والطاء أصل واحد، هو امتداد الشيء في عرض أو غير عرض، ويقال: مكان بسيط؛ أي: واسع. ويقال: بسط الشيءَ: نشره ومَدَّه، وبسط يده: مدها منثورة وأرسلها[(٣)].

التعريف شرعًا:

إن الله ﷻ يقبض الأرزاق والأرواح، فيطوي برّه ومعروفه عمن يريد، ويضيّق ويقتر، أو يحرم فَيُفْقِر، ويبسط الأرزاق والقلوب، فينشر فضله على عباده، يَرْزُق ويُوَسِّع، ويَجُود ويَفْضُل ويمكّن ويُخَوِّل، ويعطي أكثر مما يحتاج إليه، وكل ذلك تبع لحكمته ورحمته، وتدبيره وتصريفه وهو الحكيم الخبير[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٨٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، والصحاح (٣/ ١١٠٠) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣٤٩ ـ ٣٥١) [الدار المصرية]، والصحاح (٣/ ١١٠٠، ١١٠١)، مفردات ألفاظ القرآن (٦٥٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧١١) [دار الدعوة، ط٢].

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٠ و١٣٢)، والصحاح (٣/ ١١١٦).

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٥٧، ٥٨) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والمنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١/ ٢٠٣) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٨) [مكتبة السوادي، ط١]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٦٠) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٩٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

واضحة؛ فإن البسط معناه المد والتوسعة، والقبض معناه الأخذ والجمع، والله ﷻ يقبض ويبسط، فيوسع لمن يشاء، ويقبض عمن يشاء، ويبسط يده ويقبضها إذا شاء، وهذا المعنى المتعلق بالله تعالى مختص به سبحانه.

الحكم:

يجب الإيمان بهاتين الصفتين لدلالة الكتاب والسُّنَّة عليهما، ويجب إثباتهما لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

والبسط والقبض إذا ذكرا معًا فهما من صفات الأفعال المتقابلة التي لا ينبغي أن يُثنى على الله بها إلا مقرونة مع الأخرى؛ لأن المدح المحض والكمال المطلق في اجتماع الوصفين، ففي اقترانهما واجتماعهما دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وانفراده سبحانه بالملك التام والتصرف الكامل والتدبير الشامل[(١)].

وكذلك يجب إثبات صفة القبض والبسط لليدين الثابتين لله ﷻ، كما يليق به سبحانه وتعالى، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(١) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٨) [مركز صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

الحقيقة:

يوصف الله ﷻ بالبسط والقبض، فهو سبحانه وتعالى يبسط ويوسع لمن يشاء من عباده في رزقه وكسبه وماله وتجارته وزراعته وصحته وعافيته وعلمه ومعرفته وعمره وحياته وأولاده وذريته وغير ذلك من النعم، ويقبض ويضيق أو يحرم من شاء منهم من بعض ذلك أو كله، لما يرى سبحانه في ذلك من المصلحة لهم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٧﴾ [الشورى].

وكذلك جاء ذكر البسط والقبض وصفًا لليدين الثابتتين لله ﷻ، والقبض والبسط من صفات اليد الحقيقية، فهو سبحانه موصوف باليدين حقيقة، ويبسطهما ويقبضهما حقيقة، على وجه يليق به سبحانه وتعالى.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ [البقرة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠﴾ [الإسراء].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يمين الله ملأى لا**

يغيضها، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه»، قال: «**وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض**»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال الناس: يا رسول الله، غلا السعر فَسَعِّرْ لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله هو الْمُسَعِّرُ القابض الباسط الرزاق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال**»[(٢)].

وعن عبيد بن رافع الزرقي قال: لما كان يوم أحد انكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**استووا حتى أثني على ربي** عز وجل»، فصاروا خلفه صفوفًا فقال: «**اللَّهُمَّ لك الحمد كله، اللَّهُمَّ لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، اللَّهُمَّ ابسط علينا بركتك ورحمتك وفضلك ورزقك**» الحديث[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الحرمين أبو الحسن الكرجي: «فلنعتقد أن لله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة، جاء بها كتابه، وأخبر بها الرسول أصحابه فيما رواه الثقات، وصححه النقاد الأثبات، ودل القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها، وهي أن الله تعالى أول لم يزل، وآخر لا يزال... إلى سائر أسمائه وصفاته من النفس والوجه والعين والكراهة والسخط والقبض والبسط»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ووصف نفسه ببسط اليدين، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٩)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، والترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٢٠/٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤/٢٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبخاري في الأدب المفرد (١/٢٤٣) [دار البشائر، ط٣]، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٧٠)، قال الهيثمي في المجمع (٦/١٢٢) [مكتبة القدسي]: رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم ٥٣٨) [مكتبة الدليل، ط٤، ١٤١٨هـ].

(٤) نقله عن ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/١٨١).

(٥) التدمرية (٢٩، ٣٠) [مكتبة العبيكان، ط٨، ١٤٢٤هـ].

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط، وأنه مسح ظهر آدم بيده، ثم قال له ويداه مقبوضتان: اختر. فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة[(١)]»[(٢)].

وقال في نونيته المشهورة:

«هذا ومن أسمائه ما ليس يُفْـ
ـرَدُ بل يقال إذا أتى بقران
وهي التي تدعى بمزدوجاتها
إفرادها خطر على الإنسان
إذ ذاك موهمُ نوعِ نقصٍ جَلَّ رَبْـ
ـبُ العرشِ عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي
هو نافع وكماله الأمران
ونظير هذا القابض المقرون باسـ
ـم الباسط اللفظان مقترنان»[(٣)]

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القابض الباسط من الأسماء المقترنة:

القابض الباسط من الأسماء الواردة على وجه الاقتران والمقابلة، فلا يطلق منها على الله إلا مقترنًا بمقابله، ولم ترد في الوحي إلا كذلك.

فالقابض الباسط من أسماء الله المزدوجة التي تجري مجرى الاسم الواحد، ولا تطلق على الله بمفردها، بل لا بدَّ أن تكون مقرونة بمقابلها؛ لأن الكمال المطلق في اقتران كل منهما بما يقابله[(٤)]، والضابط في ذلك: ما كان دالًّا على المدح والكمال المطلق فهو يمكن أن يستقل وحده دون اقتران، وأما ما كان دالًّا على غير المدح المحض، فهذا لا بدَّ أن يكون مقرونًا بما يقابله؛ وذلك لأن في اجتماع الاسمين والوصفين المتقابلين دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وشموليتها[(٥)].

قال الزجاج: «القابض الباسط: الأدب في هذين الاسمين أن يذكرا معًا؛ لأن تمام القدرة بذكرهما معًا، ألا ترى أنك إذا قلت إلى فلان: قبض أمري وبسطه؛ دلّا بمجموعها أنك تريد أن جميع أمرك إليه، وتقول ليس إليك من أمري بسط ولا قبض، ولا حل ولا

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسَّنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٧١).

(٣) الكافية الشافية (٣/٧٤١، ٧٤٢) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٤) انظر: الكافية الشافية لابن القيم (٣/٧٤١، ٧٤٢). والحجة في بيان المحجة للتيمي (١/١٢٦).

(٥) انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٤، ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومعارج القبول (١/١٤٧) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ]، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٦٤ و٤١١ ـ ٤١٦) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

عقد، أراد: ليس إليك منه»[١].

- **المسألة الثانية: البسط والقبض من صفات اليد الحقيقية ولوازمها:**

جاء ذكر القبض والبسط مع ذكر اليد في نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾ [الزمر].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله** عز وجل **يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح قال له** - ويداه مقبوضتان -: **اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته**» الحديث[٣].

فالبسط والقبض والأخذ والإمساك والطي، والإصبع، واليمين هذه كلها من صفات اليد الحقيقية. قال ابن القيم:

«ورد لفظ اليد في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه، مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقية، من الإمساك والطي والقبض والبسط»[٤].

الآثار:

١ - كل ما نشاهد في العالم من البسط والسعة والكثرة لأناس ومن الضيق والفقر والقلة لآخرين فهذا كله من آثار صفة البسط والقبض لله تعالى، فمن بسط الله له في ماله أو علمه أو مكانته عليه أن يشكر الله تعالى، وأن يحسن التصرف فيها، وأن ينفق مما آتاه الله في سبل الخير والبر، وأن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه، ومن ضيق عليه في شيء من ذلك فعليه أن يصبر ويحتسب وأن يلجأ إلى الله وحده، فيطلب منه سبحانه المدد والعون والسعة والبركة، فهو سبحانه يبسط ويقبض، ولا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع[٥].

٢ - لا شك أن الله تعالى بيده مقاليد الأمور كلها، فهو القابض الباسط الخافض الرافع، ولكن ذلك لا يعني

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٤٠). وانظر: شأن الدعاء للخطابي، والأسماء والصفات للبيهقي، والكافية الشافية لابن القيم، والحق الواضح المبين للسعدي.
(٢) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٩).
(٣) تقدم تخريجه قريبًا.
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٧١) [مكتبة الرياض الحديثة، ط١٣٤٩هـ].
(٥) انظر: فقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩٦) [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ].

التكاسل والقعود والتخلف عن الجد والعمل وترك الأسباب؛ لأن الله تعالى خلق الأسباب وخلق مسبباتها وأمر العباد بفعلها.

وقد جاء بيان ذلك في نصوص كثيرة؛ منها ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سَرَّه أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره؛ فليصل رَحِمَه**»[(١)].

فبسط الرزق وإكثاره وتوسعته بيد الله وحده، وصلة الرحم سبب من الأسباب التي يبذلها العبد، فالأسباب المشروعة مأمور بها شرعًا وعقلًا، وتركها ظلم على النفس، وقدح في العقل، وطعن في الدين، ونسبة إلى الشرع ما ليس فيه، وتعلق القلوب بالأسباب وحدها دون خالق الأسباب ومسبباتها قدح في التوحيد، فالواجب على المسلم أن يجعل تعلقه بالله تعالى في جميع أموره مع فعل الأسباب المشروعة[(٢)].

٣ ـ تعظيم قدر الله تعالى؛ فالأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه.

٤ ـ الخضوع التام لله تعالى؛ فما من شيء إلا بيده قبضه وبسطه.

٥ ـ التعبد لله تعالى بطلب الرزق؛ فبيده وحده القبض والبسط.

٦ ـ التعبد لله تعالى بطلب الهداية والاستقامة والثبات على الحق.

٧ ـ إحكام أمر الخلق وقيامة على غاية الإحكام والإتقان؛ لأن قبض أمره وبسطه بيد الله تعالى.

٨ ـ ما في الخلائق من تفاوت في الرزق ورغد العيش؛ حكمة وفضلًا وعدلًا من الله تعالى، بما يكون فيه مصلحة لهم في معاشهم ومعادهم.

٩ ـ ما في العباد من فوارق والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية؛ بما يجعله الله تعالى في القلوب من بسط وقبض، فيبسط بالإيمان والتقى منها ما يشاء، ويقبض منها عن ذلك ما يشاء، وهو العليم الحكيم.

مذهب المخالفين:

هناك من أنكر الصفات الفعلية كلها، فأنكر صفة البسط والقبض لله عز وجل من حيث الجملة، وكذلك هناك من أنكر صفة اليد لله تعالى، فأنكر أيضًا وصف اليدين بالبسط والقبض، والذين أنكروها هم الجهمية، والمعتزلة، والمتأخرون من الأشاعرة، والماتريدية[(٣)]، والآيات

(١) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢٠٦٧)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٥٧).
(٢) انظر: الحق الواضح للسعدي (٢٥٩)، وفقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (٢٩٧، ٢٩٨).

(٣) انظر من كتب أهل السُّنَّة: نقض الدارمي على المريسي (٦٣ ـ ١٢٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (٤٠ ـ ٤٣) [دار الراية، ط١، =

القرآنية والأحاديث النبوية قد جاءت بإثبات القبض والبسط وبإثبات اليدين ووصفهما بالقبض والبسط وغيرها من الصفات، فيجب إثبات هذه لله تعالى كما يليق بالله جَلَّ وَعَلَا.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيم.

٢ ـ «التدمرية»، لابن تيمية.

٣ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٤ ـ «صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ ـ «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٦ ـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» (ج٣)، لابن القيم.

٧ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، للموصلي.

٨ ـ «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد الحكمي.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

القَبول

التعريف لغةً:

القبول هو: تلقي الشيء ومواجهته والإقبال عليه ولزومه والأخذ به راضيًا به مستحسنًا له.

قال ابن فارس: «القاف والباء واللام: أصل واحد صحيح تدل كَلِمُه كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك... والقِبلة سميت قِبلة؛ لإقبال الناس عليها في صلاتهم، وهي مقبلة عليهم أيضًا... والقبيل: الكفيل؛ يقال: قبل به قَبالة، وذلك أنه يقبل على الشيء يضمنه»[(١)].

والقَبول: التلقي. قال الجوهري: «والقابلة من النساء معروفة. يقال: قبلت القابلة المرأة تقبلها قبالة؛ إذا قبلت الولد؛ أي: تلقته عند الولادة، وكذلك قبل الرجل الدلو من المستقي قبولًا، فهو

= ١٤١٢هـ]. وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٨، ٢٢٩) [مكتبة وهبة، ط٢]، والكشاف للزمخشري (٢/٢٦٥ ـ ٢٦٧ و٥/٣٢٠ ـ ٣٢٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الأشاعرة: المواقف في علم الكلام للإيجي (٢٩٨) [دار الجيل، ط١، ١٩٩٧م]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/٢٩١ و٤/٦٢).

(١) مقاييس اللغة (٥/٥١، ٥٢) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]. وانظر: تهذيب اللغة (٩/١٦٢) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط، ١٣٨٤هـ].

قابل. والقبيل والقبول: القابلة»[(١)].

وقال الفيروزآبادي: «وقَبَل على الشيء وأقبل: لزمه وأخذ فيه... والقبول: الحُسن والشارة»[(٢)].

التعريف شرعًا:

الرضا بدين الله تعالى، والتسليم له وتلقي ذلك بانشراح الصدر؛ فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى: رضي كل الرضا ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تبيّن من خلال التعريف الشرعي السابق للقبول أن معناه أخص من المعنى اللغوي؛ فإنّ المعنى الشرعي مخصوص بتلقي دين الله الذي بعث به محمد ﷺ والرضى به، في حين أن المعنى اللغوي أعمّ في التلقي ومواجهة الشيء للشيء.

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المقاربة للقبول إما بالتضمن أو الالتزام: الطاعة، الرضا، الانقياد، التسليم، الإذعان، الالتزام، الاستماع.

(١) الصحاح (٥/١٧٩٦) [دار العلم للملايين، ط٤].
(٢) القاموس المحيط (١٠٤٥، ١٠٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].
(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٥٦)، وجامع العلوم والحكم (٢/١٠٢ ـ ١٠٣).

الحكم:

قبول دين الإسلام وما جاء فيه من أخبار وأحكام فرض واجب على جميع الثقلين الإنس والجن؛ لأنه الدين الذي ارتضاه الله لخلقه دينًا، وخلقهم لأجل تحقيقه والسير على منهاجه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران]. فمن لم يقبل دين الله وما جاء فيه فإنه كافر بالله العظيم، وهو في الآخرة من الخاسرين، كما أوضح الله ذلك في كتابه وسُنَّة نبيِّه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران]، وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار**»[(٤)].

الحقيقة:

حقيقة القَبول هو: حقيقة الالتزام والتدين بالإسلام والإيمان الصادق، فإن الإيمان الصادق هو الذي يستلزم الإذعان

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

التام والقبول والتسليم لحكم الله ورسوله ﷺ، والإيمان الكاذب بخلاف ذلك[١].

وضد القَبول: الرد، والإباء، وترك الالتزام، والامتناع. ولذلك أسباب متعددة، مثل: التكذيب، الاستكبار، الحسد وغيرها[٢].

المنزلة:

القَبول لدين الإسلام والانقياد له والرضا به «هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان؛ فيجب على العبد أن يكون راضيًا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، فأقسم: أنهم لا يؤمنون حتى يحكِّموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليمًا. وهذا حقيقة الرضا بحكمه. فالتحكيم: في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج: في مقام الإيمان، والتسليم: في مقام الإحسان.

ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي بروح الوحي، وتمهدت طبيعته، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة، وتلقَّى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم: فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ولرسوله»[٣].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

وقال ﷻ: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

ومن السُّنَّة حديث أبي موسى

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٨٤) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) انظر: شرح العمدة لابن تيمية (٢/ ٥٢)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٣٦٠).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٤١، ٢٤٢) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**»[(١)].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر. قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك. قال: فقمت إليه فقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها. قال أبو بكر: قلت يا رسول الله ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمِّي فردَّها عليَّ فهي له نجاة**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن شهاب الزهري رحمه الله: «من الله الرسالة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ، وعلينا التسليم»[(٣)].

وقال الشافعي رحمه الله: «وإذا ثبت عن رسول الله الشيء فهو اللازم لجميع من عرفه، لا يقويه ولا يوهنه شيء غيره؛ بل الفرض الذي على الناس اتباعه، ولم يجعل الله لأحد معه أمرًا يخالف أمره»[(٤)].

وقال ابن بطة العكبري رحمه الله: «اعلموا رحمكم الله أن من صفات المؤمنين من أهل الحق تصديق الآثار الصحيحة، وتلقيها بالقبول، وترك الاعتراض عليها بالقياس ومواضعة القول بالآراء والأهواء، فإن الإيمان تصديق والمؤمن هو المصدق. قال الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]. فمن علامات المؤمنين أن يصفوا الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم مما نقلته العلماء ورواه الثقات من أهل النقل الذين هم الحجة فيما رووه من الحلال والحرام والسُّنن

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٧٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (١/٢٠١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ]، والبزار (١/٥٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، قال الهيثمي: وفيه رجل لم يُسَمَّ. مجمع الزوائد (١/١٤) [مكتبة القدسي]، لكن المرفوع منه له شواهد، كما ذكر محققو المسند. والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا (كتاب التوحيد، ص١٤٣٨). وقال: «قال الزهري»، وما جزم به البخاري في صحيحه من الموقوفات فهو صحيح عنده ولو لم يكن على شرطه في الصحيح. انظر: هدي الساري (٢٤)، وقد وصله الحافظ في تغليق التعليق (٥/٣٦٥).

(٤) الرسالة (٣٦٠) [دار التراث، ط٣، ١٤٢٦هـ].

والآثار، ولا يقال فيما صح عن رسول الله ﷺ كيف؟ ولمَ لا؟ بل يتبعون ولا يبتدعون، ويسلِّمون ولا يعارضون، ويتيقّنون ولا يشكُّون ولا يرتابون»[(١)].

۞ الشروط:

يتبيّن من تعريف القبول أن من شروطه **ما يلي**:

١ ـ الإخلاص والصدق.

٢ ـ الالتزام والانقياد.

٣ ـ الرضا والتسليم.

٤ ـ الحب والإيثار.

وإذا اجتمعت هذه الشروط حصل القول المنجي، والشهادة النافعة، والطاعة الصادقة[(٢)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ قَبول الله تعالى لأعمال عباده:

القَبول يكون من العبد، فيقبل دين الله سبحانه ويستقيم عليه حتى يلقاه، وجزاء قبوله هذا قبول الله ﷻ له ولعمله؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [التوبة].

قال العلّامة عبد الرزاق عفيفي رحمه الله: «القَبول: قبول الله تعالى للعبادة، وقبول العبد الدين وهو الانقياد»[(٣)].

وإذا لم يحقق العبد قبول الإيمان بشروطه من الإخلاص والصدق والرضا والانقياد والطاعة لم يتحقق له قبول الرب سبحانه لعمله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة].

۞ الفروق:

الفرق بين شرط القبول وشرط الانقياد:

«الانقياد هو الاتباع بالأفعال، والقبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، ويلزم منهما جميعًا الاتّباع، ولكن الانقياد هو الاستسلام والإذعان، وعدم التعقب لشيء من أحكام الله»[(٤)].

وكلمة (الرضا) تجمع بين هذين الشرطين (القبول والانقياد) لشهادة أن (لا إلٰه إلا الله)، بل الرضا أعلى منهما وأشمل[(٥)].

۞ الثمرات:

من ثمرات القبول لدين الله سبحانه وأحكامه:

١ ـ الإتيان بلازم هذا القبول من

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/ ٩١) [دار الراية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣/ ٢٩٦، ٢٩٧).

(٣) فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي ـ قسم العقيدة (١/ ٣٥٨).

(٤) الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما لابن جبرين (٨١) [دار طيبة، ط١، ١٤١٠هـ].

(٥) انظر: ظاهرة الإرجاء (٢/ ٥٦٢).

الانقياد والعمل والتمسك بشعائر الإسلام وأحكامه، وبالتالي الترقي إلى مرتبة الإيمان ثم مرتبة الإحسان.

٢ ـ الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة؛ لأن من يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

٣ ـ قبول الله ﷻ للعبد ولعمله ورضاه عنه وإثابته له أحسن الثواب وأعظم الجزاء.

٤ ـ محبة الله ﷻ لعبده المثمرة محبة أهل السماء وأهل الأرض له، ووضع القبول له كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»[1].

٥ ـ القَبول لكل شيء من أحكام الدين ثابت في القرآن والسُّنَّة وعدم تقديم آراء الرجال عليها تحقيق لكمال الانقياد والتعظيم والأدب مع الله ﷻ، ومع رسوله ﷺ ومع كتابه العظيم القرآن الكريم[2].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٨٨).

مذهب المخالفين:

المخالفون في القبول للدين الحق **صنفان:**

الصنف الأول: المخالفون مخالفة كلية. وهؤلاء هم: جميع الكفار والمشركين ممن لم يقبلوا دين الإسلام ولم يدخلوا فيه، أو دخلوا فيه ثم نقضوه وارتدوا عنه.

الصنف الثاني: المخالفون مخالفة جزئية لا تخرجهم عن أصل الإسلام.

وهؤلاء قسمان:

الأول: أتباع الشبهات، وهم: أهل الأهواء والبدع غير المكفرة؛ المقدِّمون لأهوائهم وعقولهم أو آراء متبوعيهم على نصوص القرآن والسُّنَّة، الخارجون بذلك عن طريقة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة أهل السُّنَّة والجماعة.

الثاني: أتباع الشهوات، من العصاة أهل الكبائر الذين تغلبهم شهواتهم ونزغات نفوسهم على محاب الله ورسوله ﷺ.

وأدلة القرآن والسُّنَّة متكاثرة في دعوة هؤلاء وهؤلاء إلى قبول الحق والانقياد له والثبات عليه، وقد تقدم بعضها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ج٣)، لابن بطة.

٢ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج٢).

٣ ـ «شروط لا إلٰه إلا الله»، لعواد المعتق.

٤ ـ «الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما»، لابن جبرين.

٥ ـ «عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك»، للفوزان.

٦ ـ «فتح المجيد»، لعبد الرحمٰن بن حسن.

٧ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد»، لابن عثيمين.

٨ ـ «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (ج٧)، لابن باز.

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيم.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

القدر

القدر لغة:

قال ابن فارس: «القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدل على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته. فالقدر: مبلغُ كل شيء. يقال: قَدْرُه كذا؛ أي: مبلغُه. وكذلك القَدَر. وقَدَرتُ الشّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياءَ على مبالغها ونهاياتها التي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضًا»[(١)].

والقدَر محركة: القضاء والحكم ومبلغ الشيء. وقَدَرَ الله تعالى ذلك عليه يَقْدُرُهُ ويَقْدِرُهُ قَدْرًا وقَدَرًا وقَدَّرَهُ عليه وله. واستقدر الله خيرًا: سأله أن يقدِر له به. وقَدَرَ الرِّزْقَ: قَسَمَهُ. والقَدْرُ: الغِنَى واليَسارُ والقوةُ كالقُدْرَةِ والمَقْدُرَةِ. والتقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر. وتقدر: تهيأ. وقَدَرْتُ الثوب فانقدر: جاء على المقدار. ويقال: قدَر فلانًا عظَّمه، ويقال: قدَر الأمر: دبره وفكر في تسويته، وقدَر الشيء بالشيء: قاسه به وجعله على مقداره، وقدَر الله الأمر على فلان: جعله له وحكم به عليه، وقدَر الرزق عليه: ضيّقه[(٢)].

التعريف شرعًا:

القدر: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود الا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة ومشيئته لما وقع، وخلقه له، خيرًا أو شرًّا، حلوًا أو مرًّا. وقد فسَّره زيد بن أسلم وأحمد بن حنبل رحمهما الله بأن القدر هو: «قدرة الله ﷻ»[(٣)].

(١) مقاييس اللغة (٥/٥١) [دار الجيل].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٤٦٠) [مؤسسة الرسالة]، والمعجم الوسيط (٢/٧١٨) [دار الدعوة].

(٣) انظر: الإبانة لابن بطة (٢/٢٢٢، ٢٦٢) [دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤٢٨هـ]، والقدر للفريابي =

الأسماء الأخرى:

القضاء.

الحكم:

الإيمان بأن القدر ركن من أركان الإيمان لا يصح الإيمان إلا به، وقد دلَّت الأدلة من القرآن والسُّنَّة على ذلك[(١)].

الحقيقة:

حقيقة القدر: هي الإيمان بخلق الله تعالى لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون[(٢)].

أهميته:

الإيمان بالقدر من أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل، فضلًا عن الفاضل الجليل؛ فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالبقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، ألا له الخلق والأمر[(٣)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقال: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره**»[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(٥)].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**»[(٦)].

وعن طاوس رحمه الله أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون كل شيء بقدر، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر، حتى**

= (١٤٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٨هـ]، ومسائل ابن هانئ (٢/ ١٥٥). ولوامع الأنوار (١/ ٣٤٨).

(١) انظر: شفاء العليل (٣) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٤٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط، ١٤٢٥هـ].

(٣) انظر: شفاء العليل (٣).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤١٨).

العجز والكَيس، أو الكيس والعجز»[(١)].

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: بشهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر كله»**[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر: نظام التوحيد، فمن وحَّد الله تعالى وآمن بالقدر، فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحَّد الله تعالى وكذَّب بالقدر، فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد»[(٣)].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «من كفر بالقدر فقد كفر بالإسلام... إن الله تعالى خلق خلقًا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء والعافية بقدر»[(٤)].

وسأل رجل عمر بن عبد العزيز رحمه الله عن القدر؟ فقال: «ما جرى ذباب بين اثنين إلا بقدر»[(٥)].

وقال مالك بن أنس رحمه الله: «ما أضل من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، لكفى به حجة»[(٦)].

المراتب:

دلَّت النصوص الشرعية على أنه لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان **بأربع مراتب**:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، وعلمه محيط بهم وبكل شأن من شؤونهم والأدلة على ذلك كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة]، وقوله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٥)، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٨١)، وأحمد (٢/ ١٥٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ١٧٨)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٩٠) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٥٨٤).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/ ٤٢٢) [دار ابن القيم، ط١]، والفريابي في القدر (١٦٠) [أضواء السلف، ط١]، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٤٥) [دار المكتبة العلمية، ط١].

(٤) الشريعة للآجري (٢/ ٨٨٢)، والقدر للفريابي (٢٢٠).

(٥) الشريعة للآجري (٢/ ٩٢٨)، والقدر للفريابي (٢٣٠).

(٦) الشريعة للآجري (٢/ ٩٢٨)، والقدر للفريابي (٢٣٠)، والإبانة لابن بطة (٣/ ٣٨٠).

حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله ﷻ قد كتب مقادير الخلائق، وأنه سبحانه وتعالى كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وقد دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج].

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كُتبت شقية أو سعيدة**»، قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. فقال: اعملوا فكل ميسَّر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل][1].

المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، والأدلة على هذه المرتبة من كتاب الله ﷻ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر].

المرتبة الرابعة: أن الله خالق كل شيء، فما من شيء في الوجود إلا والله ﷻ خالقه وموجده، سواء في ذلك الذوات والأعيان والمعاني والأفعال، فلا يخرج شيء في الوجود من أن يكون مخلوقًا لله تعالى، وهذا ما دلَّت عليه النصوص العديدة في القرآن والسُّنَّة وكلام السلف الصالح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان]. فهذا العموم في النصوص لا يخرج منه شيء في الوجود فكل شيء هو خالقه جل وعلا وكل شيء هو ربه سبحانه وتعالى.

ومن السُّنَّة حديث حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله يصنع كل صانع وصنعته**»[(١)]، وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات].

فهذه المراتب الأربع التي لا يصح إيمان أحد بالقدر ما لم يؤمن بها، ومن أنكر واحدة منها فهو خارج عن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة؛ فإن أنكر العلم والكتابة فقد كفر كما سبق كلام أهل العلم في ذلك، ومن أنكر المشيئة وخلق الأعمال فقد ابتدع وضل.

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: حكم الخوض في القدر:

إن القدر هو عقيدة من عقائد الإسلام وركن من أركان الإيمان، وهو من علم الغيب الذي علَّمنا الله إياه، وقد ذكره النبي ﷺ وذكره الخلفاء الراشدون وكثير من الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم وألَّفوا فيه، فمن تكلم به على الإثبات والتسليم لله عز وجل والإقرار لله بالقدرة والعلم والحكمة فهذا متوافق مع كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ.

أما من خاض فيه بالإنكار أو بالتنقير في السؤال: لم كان هكذا؟ ولم قدر هذا؟ أو لِمَ لم يفعل ذلك؟ أو كيف هدى هؤلاء وأضل هؤلاء؟ أو لماذا هدى هؤلاء وأضل هؤلاء؟

فهذه المعاني هي التي لا يجوز الخوض فيها، والتي يحمل عليها ما ورد من الأحاديث وكلام السلف من النهي، كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن نفرًا كانوا جلوسًا بباب النبي ﷺ فقال بعضهم: ألم يقل كذا وكذا، وقال بعضهم ألم يقل الله كذا وكذا، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج كأنما فُقئ في وجهه حب الرمان فقال: «**بهذا أُمرتم أو بهذا بُعثتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما ها هنا في شيء انظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به والذي نُهيتم عنه فانتهوا**»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/٦٦) [دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ]، وابن منده في التوحيد (١/٢٦٧) [الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٩هـ]، والحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان، رقم ٨٦) وصححه، والبيهقي في القضاء والقدر (١/٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ١٦٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٨٥)، وأحمد =

فلا شك أن ضرب كتاب الله بعضه ببعض من الاختلاف في الكتاب والجدال المحرم، خاصة وأنها مسائل علمية عقدية تحتاج منا التسليم والإيمان وليس الجدال والخصام، فما عرفه المسلم آمن به وما لم يعرف يسلم للشارع به ويوكل علمه إلى عالمه.

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ بعد أن بيَّن أن الخوض في القدر إنما يكون وفق السُّنَّة: «وعلى كل مسلم أن يؤمن بالقدر وأن يحذر الخوض في ذلك بغير علم، كما خاض المبتدعة فضلُّوا، وإنما الواجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر وأن يسلم لله بذلك، ويعلم بأن الله قدر الأشياء وعلمها وأحصاها، وأن العبد له إرادة وله مشيئة وله اختيار لكنه لا يخرج بذلك عن قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[(١)].

ـ المسألة الثانية: معنى قول بعض العلماء: «القدر سر الله»:

ورد هذا القول عن بعض الصحابة والتابعين، ومن ذلك ما روي أن رجلًا قال لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ قال: «سر الله فلا تكلَّفه»[(٢)].

وعن الضحاك بن عثمان، قال: «وافيت الموسم، فلقيت جماعة في مسجد الخيف، ذكرهم، قال: ورأيت طاوسًا اليماني فسمعته يقول لرجل: إن القدر سر الله، فلا تدخلن فيه»[(٣)].

فهذه المسألة مرتبطة بالمسألة قبلها، فإن المقصود بقول أهل العلم «القدر سر الله عَزَّ وَجَلَّ» أن ما قدره الله عَزَّ وَجَلَّ على العباد من هداية وضلال وغنى وفقر وصحة ومرض وحياة وموت وبلاء وعافية؛ كل ذلك لله عَزَّ وَجَلَّ فيه علم وإرادة وحكمة، قد يبدو لنا منها شيء ويخفى علينا منها أشياء، فمن رغب وحاول فهم مسوغات ذلك والحكمة منه فإنه سيتيه ويتحير ولا يصل فيها إلى غاية محمودة بل قد يوصله ذلك إلى الضلال والانحراف عن الدين والإيمان، فأسلم شيء له في ذلك هو التسليم والانقياد وعدم البحث والتنقير، وعلى هذا جاء كلام أهل العلم.

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ: «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك مَلَك مقرَّب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلَّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر

= (١١/ ٤٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤) [دار العربية، ط٢]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٨٤٤) [دار الوطن، ط٢]. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٣) [دار الفكر] من طريق آخر.

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانه رقم (١٩٩٣)، والآجري في الشريعة رقم (٥٣٥).

عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين». قال ابن أبي العز في الشرح: «أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى»(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «ولا يجوز للمسلم أن يدخل في تفاصيل القدر ويفتح على نفسه باب الشكوك والأوهام، بل يكفيه أن يؤمن بالقدر كما أخبر الله ﷻ وكما أخبر رسوله ﷺ أن كل شيء بقضاء الله وقدره، ولا يدخل في التفاصيل والأسئلة: لماذا كذا ولماذا كذا؛ لأنه لن يصل إلى نتيجة؛ لأن الأمر كما يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «القدر سر الله»؛ سر لا يعلمه إلا الله ﷻ. فالواجب علينا: أن نؤمن به، ولا ندخل في تفاصيله، بل نكتفي بالإيمان به على ما جاء في الدليل من كتاب الله وسُنَّة رسوله»(٢).

ـ المسألة الثالثة: مذهب الجبر أشد بدعة وأكثر انحرافًا من نفي القدر:

مذهب الجبرية أشد انحرافًا، وأبعد عن الحق من مذهب نفاة القدر؛ وذلك لأن مذهب الجبرية يقتضي إسقاط الأمر والنهي، ولغلوه وشدة انحرافه لم يُرمَ به أحد من السلف، بخلاف نفي القدر، فقد رمي به كثير من أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والقدرية المحتجون بالقدر على المعاصي شر من القدرية المكذبين بالقدر، وهم أعداء الملل، وأكثر ما أوقع الناس بالتكذيب بالقدر احتجاج هؤلاء به»(٣).

ـ المسألة الرابعة: رمي بعض أهل السُّنَّة بالقدر:

أ ـ ليس كل من رمي بالقدر من أهل السُّنَّة يكون قدريًّا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا اتهم بمذهب القدر غير واحد، ولم يكونوا قدرية، بل كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي بالقدر؛ كما قيل للإمام أحمد: كان ابن أبي ذئب قدريًّا. فقال: الناس كل من شدد عليهم المعاصي، قالوا: هذا قدري. وقد قيل: إنه بهذا السبب نُسب إلى الحسن القدر؛ لكونه كان شديد الإنكار للمعاصي، ناهيًا عنها»(٤).

ب ـ القدر الذي رمي به بعض أهل السُّنَّة، وقال به بعض المنتسبين إلى

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٢٥) [وزارة الشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) إعانة المستفيد للفوزان (٢/ ٢٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة (٣/ ٢٤). وانظر: (٣/ ٧٦، ٨٢).

(٤) منهاج السُّنَّة (٣/ ٢٤).

العلم؛ خصوصًا من أهل البصرة، وأن الله لم يخلق أفعال العباد، والحقيقة أن قولهم هو قول المعتزلة في القدر، وإلا لزم إضافة قول آخر لنفاة القدر، ليس هو قول الغلاة، ولا هو قول المعتزلة، وهذا غير معروف عند أصحاب المقالات.

الفروق:

الفرق بين القضاء والقدر:

القضاء والقدر جاءا مقترنين في نصوص عديدة؛ منها ما رواه ابن بطة بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما أرسلني في حاجة قط فلم تتهيأ إلا قال: «**لو قضي كان أو قدِّر كان**»»[(١)].

وجاء كذلك في كلام بعض الأئمة كما في قول الأوزاعي رحمه الله: «ما أعرف للجبر أصلًا من القرآن ولا من السُّنَّة، فأهاب أن أقول ذلك، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

كما أنه قد جاء في نصوص الشرع التفريق بينهما كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾ [الأحزاب]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾ [مريم].

إلا أن من يتتبع استخدام الشارع للفظين يجد أن الاستخدام الأعم والأغلب هو لكلمة (القدر) وما تفرع عنها، وكذلك هو في كلام أهل العلم من الصحابة ومن جاء بعدهم، والمؤلفون من أهل العلم غالبًا إذا سمَّوا الباب المتعلق بهذا يقولون: باب القدر، أو كتاب القدر وما ورد فيه، وهذا أكثر من أن يحصى، وإذا جمع بينهما في الكلام يقدم القضاء على القدر فيقال: «القضاء والقدر»، ولم نقف عليه في قول أحد: «القدر والقضاء».

وأهل العلم لهم في بيان الفرق بينهما مع وجود التلازم بينهما **قولان**:

القول الأول: منهم من جعل القدر هو ما تعلق بالتقدير السابق، والقضاء هو ما يقع من ذلك التقدير.

قال الراغب في المفردات: «والقضاء من الله تعالى أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع، وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعَد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل، وقال: القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن

---

(١) الإبانة لابن بطة (٤/٨٨) [دار الراية، ط٢].
وأخرجه أيضًا أحمد (٢١/١٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/١٥٦) [المكتب الإسلامي، ط١]، وضعفه العقيلي في الضعفاء (٣/٣٠٥) [دار المكتبة العلمية، ط١].
وأخرجه البيهقي في القضاء والقدر (٢٠٠) [مكتبة العبيكان، ط١]، والضياء في المختارة (٥/٢٠٦) [دار خضر، ط٣]، من طريق آخر.
(٢) السُّنَّة للخلال (٣/٢٤٤) [دار الراية، ١٤١٠هـ].

يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له. ويشهد لذلك قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾ [مريم]، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم]، ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود]؛ أي: فصل تنبيهًا أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه»[(١)].

وقال الخطابي: «والقدر اسم لما صدر مقدَّرًا عن فعل القادر، والقضاء معناه الخلق كقوله ﷻ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت]؛ أي خلقهن.

وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[(٢)].

ومنهم من قلب ذلك، فقد نقل ابن حجر عن الكرماني أنه قال: «المراد بالقدر: حكم الله، وقالوا ـ أي العلماء ـ: القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله»[(٣)].

الآثار:

للإيمان بالقدر آثار عديدة، نذكر منها:

١ ـ أن الإيمان بالقدر وفق ما أمر الله ﷻ ووفق ما بيّنه رسول الله ﷺ يحقق للمسلم إيمانه بالله وبربوبيته وتدبيره لخلقه وأن الأمور كلها بيده سبحانه وتعالى.

٢ ـ إذا علم المسلم ذلك وآمن به وعلم مع ذلك عظيم رحمة الله بخلقه، مع جوده وكرمه وغناه عن خلقه ومحبته لهدايتهم ومحبته سبحانه لنجاتهم وفوزهم، كل ذلك يغرس في نفس المؤمن الثقة بما عند الله ﷻ أكثر من الثقة بما في يده، وأنَّ نَظَرَ الله ﷻ لعبده خير من نظره لنفسه.

٣ ـ أن الإيمان بالقدر يدفع للتوكل على الله ﷻ، ومن توكل على الله فهو كافيه وهو حسبه.

٤ ـ أن الإيمان بالقدر يدفع المسلم إلى العمل والجد في طلب ما ينفعه، لهذا قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**»[(٤)].

٥ ـ أن الإيمان بالقدر وأن ما قُدر له سيأتيه يحقق للمسلم الرضا، فلا يندفع وراء المطلوب اندفاع الشَّرِه، ولا ييأس من الحصول على المطلوب ما دام أنه يسلك في سبيل الحصول عليه طريقًا مرضيًا لله ﷻ.

٦ ـ أن الإيمان بالقدر يقوي قلب

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب (٤٠٧) [دار المعرفة].
(٢) معالم السنن (٤/٣٢٣) [المطبعة العلمية، حلب، ط١].
(٣) فتح الباري (١١/٤٧٧).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤).

المؤمن ويهبه إقدامًا من غير تهور؛ لأنه يعلم أن أجله ورزقه مكتوب ليس له منه بد.

٧ ـ أن الإيمان بالقدر له أثر عظيم في تخفيف أثر المصيبة على المسلم؛ لأنه يعلم أن ما أصابه لن يخطئه وأن كل ذلك من الله ﷻ، فإذا صبر حصل له أجر الصابرين الذي ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة].

كما أنه إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله فلا يبطر ولا يختال، بل يشكر الله ﷻ حتى يزيده، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧].

مذهب المخالفين:

خالف في القدر طائفتان من أهل الأهواء والبدع، **كل منهما على طرفي نقيض:**

الطائفة الأولى: القدرية، وهم على مرتبتين: **أحدهما:** القدرية الغلاة، نفاة العلم والكتابة، الذين ظهروا في آخر زمن الصحابة، وهؤلاء كفَّرهم أئمة السلف؛ لإنكارهم العلم.

الثاني: القدرية النفاة، وهم المعتزلة ومن وافقهم، الذين نفوا الخلق والمشيئة عن الله تعالى، وأثبتوا للعباد كامل القدرة والمشيئة[(١)].

الطائفة الثانية: الجبرية، وهم الجهمية، ومن وافقهم، قابلوا القدرية النفاة، فنفوا عن العباد القدرة والاختيار والمشيئة، وقالوا: إن الله أجبر العباد على المعاصي، وأضافوا الأفعال كلها خيرها وشرَّها إلى الله تعالى[(٢)].

ومذهبهما باطل بنص القرآن والسُّنَّة والإجماع:

فالقرآن الكريم أثبت لله تعالى المشيئة التامة، والقدرة النافذة، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله خالق أفعال العباد، وخالق حركاتهم وسكناتهم، كما أثبت للعباد مشيئة وقدرة تامة مؤثرة في حصول المقدور، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى وخلقه ومشيئته.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر].

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل لعبد الجبار المعتزلي (٨/٣)، ورسائل الشريف المرتضى ـ المجموعة الثالثة ـ (١٢) [منشورات دار القرآن إيران، ط ٣، ١٤١١هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٤٥٩ ـ ٤٦٠) [مجمع الملك فهد للطباعة، ط ١٤٢٥هـ].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز**»(١).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن الله خلق كل صانع وصنعته، إن الله خلق صانع الخزم وصنعته»(٢).

وأمثال ذلك ممَّا فيه إبطال مذهب القدرية النفاة.

ومما يبطل مذهب الجبرية: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ [المدثر]. وأمثال ذلك مما يدل على أن للعباد مشيئة وقدرة، لكنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى.

وأمَّا من السُّنَّة فقوله ﷺ لأشج بن عبد القيس: «**إن فيك خلَّتين يحبهما الله: الحلم والأناة**. قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: **بل الله جبلك عليهما**. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلَّتين يحبهما الله ورسوله»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والثوري، والزبيدي، وعبد الرحمٰن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم نهوا أن يقال: إن الله جبر العباد، وقالوا: إن هذا بدعة في الشرع، وهو مُفهمٌ للمعنى الفاسد. قال الأوزاعي وغيره: إن السُّنَّة جاءت بجبل، ولم تأت بجبر»(٤).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الانتصار في الرَّد على المعتزلة»، للعُمراني.

٢ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٣ ـ «الإبانة»، ابن بطة العكبري.

٤ ـ «القدر»، لعبد الله بن وهب القرشي.

٥ ـ «القدر»، الفريابي.

٦ ـ «القضاء والقدر»، للبيهقي.

٧ ـ «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

٨ ـ «القضاء والقدر في ضوء الكتاب

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٦) [دار المعارف]، وسنده صحيح.
وتقدم تخريجه مرفوعًا.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم٥٢٢٥)، وأحمد (٣٩٠/٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، قال الهيثمي: (فيه هند بنت الوازع، ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٢/٩) [مكتبة القدسي]. لكن له شاهد عند أحمد (٣٦١/٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٧٢٠٣). وشاهد آخر عند البخاري في الأدب المفرد (٢٠٥) [دار البشائر، ط٣]، وقد صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢١٩) [دار الصديق، ط٤].

(٤) مجموع الفتاوى (١٤١/١٦). وانظر: السُّنَّة للخلال (٥٤٩/٣) [دار الراية، ط ١، ١٤١٠هـ]، والإبانة لابن بطة (٢٥٧/٣) [دار الراية، ط ١، ١٤١٥هـ] فقد أسندا القول بذلك إلى بعض أولئك الأعلام.

والسُّنَّة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمٰن المحمود.

٩ ـ «جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر»، لثامر محمد محمود.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

القدرة

التعريف لغةً:

القدرة من الفعل الثلاثي (قَدَرَ) الدال على التمكن من فعل الشيء، يقال: قَدَر يَقْدِر فهو قادر وقدير ومقتدر؛ أي: ذو قدرة، وهي الإطاقة والقوة، وضده العجز، ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]؛ أي: طاقته. ويدل أيضًا على مبلغ الشيء ومنتهاه، فالقَدْرُ: مبلغ كل شيء، وقدَّر يُقَدِّر تقديرًا فهو قادر ومقدِّر: قضاء الله تعالى للأشياء على مبالغها ومنتهاها الذي أرادها لها ﷻ[1]. والقَدْرُ والقُدْرَةُ: الغِنَى واليَسارُ والقوةُ. وذو قُدرةٍ وذو مَقدِرة؛ أي: يسار. ومعناه أنه يبلُغُ بيسارِه وغِنائِه من الأُمور المَبلغَ الذي يوافق إرادتَه[2].

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية لله تعالى بأنه على كل شيء قدير، تام القدرة، لا يمتنع عليه شيء، ولا يعجزه شيء مهما كان، ولا يلابس قدرته عجز بوجه من الوجوه، وكل شيء في هذا الوجود كائن بقدرته ومشيئته[3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة، لكن المعنى الشرعي الذي هو وصف لله تعالى هو على أكمل ما يكون عليه المعنى، دون أي نقص بوجه من الوجوه.

الحكم:

وجوب إثبات القدرة التامة لله تعالى على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ونفي أي معنى من معاني العجز عنه ﷻ[4].

الحقيقة:

القدرة صفة من صفات الله ﷻ الذاتية، فإن الله هو القادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يفوته مطلوب، له

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/١٨ ـ ١٩) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/٧٨٦ ـ ٧٨٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٨٧٦ ـ ٨٧٧) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٥٧ ـ ٦٥٩) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٧١٨ ـ ٧١٩) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٢) مقاييس اللغة (٥/٦٣)، والقاموس المحيط (٥٩١).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٠٥)، وشأن الدعاء للخطابي (٨٦)، والأسماء والصفات للبيهقي (١١٣)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٦٩).

(٤) انظر: معارج القبول (١/١٢٩)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (١٤٠، ١٤١).

القدرة الشاملة، وهذه القدرة لا يتطرق إليها عجزٌ ولا تعب ولا إعياء ولا لغوب.

ويدخل تحت هذا المعنى تقدير الله ﷻ لجميع شؤون هذا الخلق، فكل شيء بقضائه وقدره، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف].

وعن عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[(١)].

ما جاء في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وأستَقدِرُكَ بِقُدرَتِكَ»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [التغابن] ـ: «يقول: وهو على كلّ شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، لا يتعذّر عليه شيء أراده؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يعجزه معها شيء»[(٣)].

وقال البيهقي: «باب ما جاء في إثبات القدرة»، ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على ذلك[(٤)].

وقال أبو القاسم التيمي: «أثبت الله العزة والعظمة والقدرة والكبر والقوة لنفسه في كتابه»[(٥)].

وقال الشيخ محمد خليل هراس بعد ذكره لآيات في صفات الله ﷻ: «هذه الآيات تضمنت إثبات صفات العفو، والقدرة، والمغفرة، والرحمة والعزة»[(٦)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من أسماء الله الحسنى (القادر):

ومعناه: الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، الذي لا يعجزه شيء، يفعل ما يريد بمقتضى حكمته، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون. ويدخل فيه تقدير الله ﷻ لجميع شؤون هذا الكون؛ ومنه قوله

(١) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٢).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤١٥).
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣١٤).
(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٩٦). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٨٨).
(٦) شرح العقيدة الواسطية (١٤٠).

تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣﴾ [المرسلات][(١)].

وقد ورد هذا الاسم في اثني عشر موضعًا من القرآن الكريم، خمس منها بصيغة الجمع، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، وأورده معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، ولم يسقطه سوى: جعفر الصادق، وابن حزم، والسعدي[(٢)].

ـ المسألة الثانية: من أسماء الله الحسنى (القدير):

القدير بوزن (فعيل) صيغة مبالغة من القدرة، الدالة على التمكن من فعل الشيء، وهو اسم من أسماء الله ﷻ الحسنى، ومعناه: القادر التام القدرة، فهو صيغة مبالغة من القادر، وقد ورد هذا الاسم في خمسة وأربعين موضعًا من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة].

كما ورد في أغلب طرق حديث تعيين الأسماء الحسنى المشهور، سوى طريق عبد الملك الصنعاني، وأورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع أسماء الله الحسنى وشرحها، ولم يسقطه سوى: الزجاج، والخطابي، وصدِّيق حسن خان[(٣)].

ـ المسألة الثالثة: من أسماء الله الحسنى (المقتدر):

المُقتدر بوزن (مُفتعل) اسم فاعل للفعل (اقتدر)، يدل على التمكن من فعل الشيء، والمقتدر في أسماء الله مبالغة في وصف الله ﷻ بالقدرة، ومعناه: التام القدرة، المظهر قدرته، فهو صيغة مبالغة من القادر، وأبلغ من القدير؛ لأن الاقتدار أبلغ وأعمّ، فهو يقتضي الإطلاق، فهو سبحانه المقتدر الذي يقدر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، الذي لا يعجزه شيء.

وقد ورد اسم المقتدر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ [القمر]، كما ورد في طرق حديث تعيين الأسماء المشهور ما عدا طريق عبد الملك الصنعاني، وقد أورد هذا

(١) انظر: شأن الدعاء (٨٥) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/١١٢، ١١٣) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٧) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤، ١٦٠) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤).

الاسم أغلب أهل العلم الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، ولم يسقطه من جمعه سوى: ابن تيمية، وابن القيم، والسعدي[(١)].

الفروق:

الفرق بين (القادر) و(القدير) و(المقتدر):

هذه الأسماء الثلاثة ثابتة لله ﷻ وهي متقاربة في المعنى، والفرق بينها من جهة ما تدلّ عليه كل صيغة منها، فالقادر: اسم فاعل من: قَدَرَ، يَقْدِر، والقدير: بوزن (فعيل)، وهو للمبالغة، والمقتدر: بوزن (مفتعل) من الفعل: اقتدر وهو أبلغ؛ جريًا على قواعد اللغة، من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والزيادة هنا اقتضت المبالغة والأبلغ.

الثمرات:

إن للإيمان بقدرة الله ﷻ آثارًا عظيمة، وثمارًا مباركة على العبد في دنياه وآخرته، ومنها:

١ ـ شهود آثار قدرته تبارك وتعالى في كل شيء في هذا الكون، فكل الكائنات مقهورة خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته ومشيئته، وهو وحده ﷻ المدبِّر لها والمتصرِّف فيها كما يشاء، وهذه الآثار لا تعد ولا تحصى في الآفاق وفي الأنفس، فوجود هذه المخلوقات التي لا تحصى، بتعدد أشكالها وتنوع أصنافها برهان ساطع وآية ظاهرة على كمال قدرة الله ﷻ وإحاطتها بكل شيء.

٢ ـ تقوية الاستعانة بالله ﷻ لدى العبد، وحسن التوكل عليه، وتمام الالتجاء إليه؛ لأنه لا قادر ولا قدير ولا مقتدر على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى.

٣ ـ الرضا بما قضاه الله ﷻ وقدره على العبد، والصبر على ما يصيب العبد من مكاره، والقناعة بما آتاه الله ﷻ، وسلامة صدره من أمراض القلوب كالحقد والحسد وحب الانتقام، لعلمه أن كل ذلك إنما هو بقضاء الله وقدره.

٤ ـ تقوية عزيمة العبد وإرادته في الحرص على الخير وطلبه، والبعد عن الشر والفرار منه، والأخذ بأسباب ذلك كله؛ أنها من قضاء الله وقدره.

٥ ـ حسن رجاء الله ﷻ ودوام سؤاله، والإكثار من دعائه والالتجاء إليه؛ وتعلقه بخالق الأسباب؛ لأن الأمور كلها بيده ﷻ، فوجب تعلق القلب والفكر بخالق القدر لا بالمقدور.

٦ ـ البعد عن الظلم والبغي وعن سائر ما يغضب الله ﷻ ويسخطه؛ لأن الإيمان بقدرة الله ﷻ وانتقامه لحرماته أن تنتهك، وانتقامه للمظلومين ممَّن

---

(١) انظر: معتقد هل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ ـ ٨٤).

ظلمهم يوجب أن يرتدع العبد في أن يقع في شيء من ذلك.

٧ ـ الإيمان بأن ما أودع الله ﷻ من القدرة والقوة في الإنسان إنما هي منه ﷻ ومن إنعامه وفضله، وهذا الشعور يدفع العبد إلى أن يُسخِّر ما أودع الله فيه من هذه القدرة في طاعة الله ﷻ وفي طريق الخير والإصلاح، ويحذر من توجيه ذلك في معصية الله تعالى وطريق الشر والإفساد، وألا يغتر بقدرته المقيدة، وأن يتبرأ من الحول والقوة إلا بالله ﷻ، فلا حول ولا قوة للعبد إلا به.

٨ ـ الذل والافتقار للعليم القدير، وإنزال الحوائج به وحده، واليقين بوعد الله الصادق، فمهما كان من قدرة عدو، أو غرور ظالم، فأمر الله سبحانه فوق كل شيء، وقدرته نافذة في كل شيء.

٩ ـ خشية الله تعالى، والخوف منه، بأنه القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

مذهب المخالفين:

كون الله ﷻ قادرًا؛ أي: ذا قدرة، فله القدرة الشاملة الكاملة، ومعنى قدرة الله تعالى: تمكنه ﷻ من الفعل، والفعل نوعان: لازم ومتعدّ.

فالأفعال اللازمة هي التي تقوم بالفاعل ولا تتعدى إلى مفعول، وقد ذكر الله ﷻ في حقه النوعين، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

والناس في هذين النوعين على ثلاثة مذاهب:

١ ـ من لا يثبت له فعلًا قائمًا به ﷻ لا لازمًا ولا متعديًا، فاللازم منتف، والمتعدي كالخلق، فإنهم يقولون الخلق هو المخلوق أو معنى غير المخلوق، وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشاعرة.

٢ ـ من يثبت له ﷻ الفعل المتعدي دون اللازم، وهو مذهب الأشاعرة ومن وافقهم.

٣ ـ من يثبت النوعين كما دلّ عليه القرآن والسُّنَّة، وهو قول السلف أهل السُّنَّة والجماعة.

ومقتضى مذهب من ينفي عنه النوعين أو أحدهما أنه ﷻ ليس على كل شيء قدير كما أخبر عن نفسه، وحالهم كما وصفهم الله ﷻ أنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]، فما عرفوه حق معرفته، وما عظموه حق تعظيمه، وما وصفوه حق وصفه الذي أثبته لنفسه تبارك وتعالى.

وقد اختلف الناس أيضًا في تفسير

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة]، مع تصديقهم بخبره، والخلاف وقع فيما يدخل تحت مقدور الله ﷻ مما يكون قادرًا عليه: من الممتنع والمعدوم، وأفعال العباد، وأفعال نفسه، وقد حرر شيخ الإسلام ابن تيميّة هذا الخلاف، وبيّن الحق فيه فقال في المسألة الأولى: وهي دخول الممتنع لذاته في مقدور الله ﷻ:

«والناس في هذا على **ثلاثة أقوال**:

طائفة تقول: هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الضدين، وكذلك يدخل في المقدور، كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم.

وطائفة تقول: هذا عام مخصوص يخص منه الممتنع لذاته، فإنه وإن كان شيئًا، فإنه لا يدخل في المقدور، كما ذكر ذلك ابن عطية وغيره، وكلا القولين خطأ.

والصواب: هو القول الثالث الذي عليه عامة النظار، وهو: أن الممتنع لذاته ليس شيئًا البتة، وإن كانوا متنازعين في المعدوم، فإن الممتنع لذاته لا يمكن تحققه في الخارج، ولا يتصوره الذهن ثابتًا في الخارج، ولكن يقدر اجتماعهما في الذهن، ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج؛ إذ كان يمتنع تحققه في الأعيان، وتصوره في الأذهان، إلا على وجه التمثيل بأن يقال: قد تجتمع الحركة والسكون في الشيء، فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد والبياض في محل واحد، كما تجتمع الحركة والسكون؟ فيقال: هذا غير ممكن»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٣ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.

٤ ـ «تفسير الطبري».

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٦ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٧ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٨ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، للسقاف.

٩ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

قدرة الله

يراجع مصطلح (القدرة).

(١) مجمع فتاوى ابن تيمية (٨/٨).

القدس

يراجع مصطلح (القدوس).

القِدَم

التعريف لغةً:

القديم: العتيق، ضد الجديد أو الحديث، وهو (فعيل) من الفعل الثلاثي: (قدُم) الدال على السبق، يقال: قَدُم قِدَمًا وقِدامة فهو قديم وأقدم ومتقدِّم؛ إذا مضى على وجوده زمن طويل، وجمعه: قدماء وقدامى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس]، وأكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان، وقد يستعمل في التقدم في المرتبة والشرف[(١)].

والقِدَمُ: نَقِيضُ الحُدوث: قَدُمَ يَقْدُم قِدَمًا وقَدامةً وتَقادَمَ وهو قدِيم[(٢)]، ويقال: شيءٌ قديم، إذا كان زمانُهُ سالفًا[(٣)].

التعريف اصطلاحًا:

القِدَمُ: من الأوصاف التي يصح الإخبار بها عن الله تعالى إذا احتيج إلى ذلك، والمراد منه: الوجود الأزلي، الذي لا بداية له، وهو بمعنى: الأولية.

وتسمية الله بالأول هو الوارد في النصوص الشرعية[(٤)].

الأسماء الأخرى:

الأول، الأزلي.

الحكم:

لم يرد في الكتاب ولا السُّنَّة وصف الله تعالى بالقدم، وإن كان المعنى المقرر في الاصطلاح مستخدمًا في باب الإخبار[(٥)].

لكن في الدلائل الشرعية من الوصف ما هو أبلغ وأدق في المعنى، وهو وصفه تعالى بالأولية، فهو دال على القدم، وعلى نفي سبوقه بالعدم.

لكن ورد وصف بعض صفاته بالقدم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل المسجد

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٤٥ ـ ٤٩) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٧٨) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/ ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٦٠، ٦٦١) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، المعجم الوسيط (٢/ ٧٢٦، ٧٢٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٢) لسان العرب (١٢/ ٤٦٥).

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٦٥).

(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٦) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، والاعتقاد للبيهقي٦٨، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/ ٣٠٠ـ ٣٠١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦٢)، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/ ٣٠٠، ٣٠١)، وبدائع الفوائد (١/ ١٦٢)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٨).

قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[(١)].

أقوال أهل العلم:

بيَّن أهل العلم أن القدم يوصف به الله ﷻ على وجه الإخبار. قال أبو العباس ابن تيمية: «والناس متنازعون هل يسمى الله بما صح معناه في اللغة والعقل والشرع وإن لم يرد بإطلاقه نصٌّ ولا إجماع، أم لا يطلق إلا ما أطلق نص أو إجماع، على قولين مشهورين. وعامة النظار يطلقون ما لا نص في إطلاقه ولا إجماع كلفظ القديم والذات ونحو ذلك، ومن الناس من يفصل بين الأسماء التي يدعى بها وبين ما يخبر به عنه للحاجة وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود ولا ذات قائمة بنفسها ونحو ذلك. فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها»[(٢)].

وقال ابن القيم: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيًّا؛ كالقديم، والشيء، والموجود، والقائم بنفسه»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حكم تسمية الله بالقديم:

اسم القديم لا يصح إطلاقه في حق الله ﷻ، وهناك العديد من الأسماء الحسنى التي سمى الله ﷻ بها نفسه وهي تتضمن معنى القديم وزيادة، وتدل على معاني لا يدل عليها اسم القديم، ومن ذلك:

ـ المسألة الثانية: اسم الله ﷻ (الأول).

قال شيخ الإسلام في أثناء الردّ على أهل الكلام الذين يطلقون اسم (القديم) على الله ﷻ: «والصواب أن القديم ما تقدم على غيره في اللغة التي جاء بها القرآن، وأما كونه كان معدومًا، أو لم يكن معدومًا، فهذا لا يُشترط في تسميته قديمًا، والله أحق أن يكون قديمًا؛ لأنه متقدم على كل شيء؛ لكن لما كان لفظ القديم فيه نواح لا تدل مطلقة على المتقدم على غيره، كان اسم (الأول) أحسن منه، فجاء في أسمائه الحسنى التي في الكتاب والسُّنَّة أنه "الأول"، وفرق بين الأسماء التي يُدعى بها وبين ما يُخبر به من الألفاظ لأجل الحاجة

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٦٤)، وحسنه النووي في الخلاصة (١/ ٣١٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (رقم ١٦٠٦) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٠، ٣٠١).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٦٢).

إلى بيان معانيها»[(١)].

فالصحيح الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة عدم صحة تسمية الله ﷻ بالقديم؛ لأن هذا الاسم لم يرد في كتاب الله ﷻ ولا فيما صح من سُنَّة رسول الله ﷺ، ولا قال به أحد من السلف المعتبرين.

وقال أيضًا: «وأما كون القديم الأزلي واحدًا، فهذا اللفظ لا يوجد لا في كتاب الله، ولا في سُنَّة نبيه؛ بل ولا جاء اسم (القديم) في أسماء الله تعالى، وإن كان من أسمائه (الأول). والأقوال نوعان: فما كان منصوصًا في الكتاب والسُّنَّة، وجب الإقرار به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص والإجماع، لم يجب قبوله ولا ردّه حتى يعرف معناه»[(٢)].

وقال السفاريني: «لا يصح إطلاق القديم على الله باعتبار أنه من أسمائه، وإن كان يصح الإخبار به عنه»[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التوحيد» (ج٢)، لابن منده.
٢ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.
٣ ـ «الفِصل في الملل والنحل» (ج٢)، لابن حزم.
٤ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٢)، لابن تيمية.
٥ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٥)، لابن تيمية.
٦ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.
٧ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.
٨ ـ «الصفدية» (ج٢)، لابن تيمية.
٩ ـ «الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات»، لصديق خان.
١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
١١ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيم.
١٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيمي.
١٣ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.

(١) بيان تلبيس الجهمية (٥/١٧١، ١٧٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ]. وانظر: الصفدية (٢/٨٥) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ]، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/٣٩١)، (٤/١٣٩ ـ ١٤٠) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ]، ورسالة في العقل والروح، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/٤٦ ـ ٤٧) [دار إحياء التراث العربي]، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٥٧) [مكتبة لينة، ط١، ١٤١٢هـ]، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/١١٧) [مكتبة الخانجي].

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٢/١٢٣) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ].

(٣) لوامع الأنوار (١/٣٨).

١٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

١٥ ـ «منهج ودراسة الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

القَدَم

التعريف لغةً:

القدم هي الرِّجْل، وسمِّيت بذلك؛ لأنها تتقدم وتسبق[(١)].

قال ابن فارس: «الراء والجيم واللام معظم بابه يدلُّ على العضو الذي هو رِجْلُ كل ذي رِجْلٍ»[(٢)].

وفي تهذيب اللغة: «الرِّجْلُ: القَدَم، وهو خلاف اليد، ورِجل القوس: سِيتها السفلى»[(٣)].

قال الليث: «القدم من لدن الرسغ: ما يطأ عليه الإنسان»[(٤)].

التعريف شرعًا:

القدَم صفة ذاتية خبرية ثابتة لله تعالى على وجه الكمال المطلق اللائق بجلاله وعظمته، بلا تكييف ولا تمثيل[(٥)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين باعتبار القدر المشترك المتصور في الذهن لمن تثبت له القدم، أما كيفية ما نثبته لله تعالى فلا ندركه، مع يقيننا بأنه على غاية الكمال والجمال.

الأسماء الأخرى:

الرِّجل.

الحكم:

وجوب إثبات صفة القدم لله تعالى تليق بجلالته وعظمته، على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه[(٦)].

الحقيقة:

إثبات الصفة على الوجه اللائق بالله عزّ وجلّ بلا تكييف، ولا تأويل، ولا تحريف.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم؟ قال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من**

(١) مقاييس اللغة (٥/٦٦).
(٢) مقاييس اللغة (٢/٤٩٢) [دار الجيل].
(٣) تهذيب اللغة (١١/٢٣) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٤) تهذيب اللغة (٣/١٩٢).
(٥) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٢٠٢)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/٣٢) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].

(٦) انظر: كتاب الصفات للدارقطني (٤٠) [ط١، ١٤٠٢هـ]، والإبانة لابن بطة (٣/٣٣٠، ٣٣١) [ط٢، ١٤١٨هـ]، وإبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/١٩٥) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٦هـ].

أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله، تقول: قط قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدًا...»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يُلقى في النار، وتقول: هل من مزيد. حتى يضع قدمه فتقول قط قط**»[(٢)].

وعنه رضي الله عنه أيضًا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها ربّ العزّة تبارك وتعالى قدمه، فتقول: قط قط وعزّتك، ويزوى بعضها إلى بعض**»[(٣)].

وروى ابن بطة بسنده عن إسحاق بن منصور الكوسج قال: قلت لأحمد ـ يعني: الإمام أحمد بن حنبل ـ اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: «صحيح»[(٤)].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرَّحْل»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: «هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا شك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه؟ وكيف ضحك؟ قلنا: لا يُفَسَّر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره»[(٦)]، أي: لا يُفسر تفسير الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وليس المقصود نفي المعنى.

وروى ابن بطة بسنده عن إسحاق بن منصور الكوسج قال: قلت لأحمد ـ يعني: الإمام أحمد بن حنبل ـ اشتكت النار إلى ربها حتى يضع قدمه فيها، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: «صحيح»[(٧)].

وقال المروذي: سألت أبا عبد الله:

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٤٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٦٦٦١)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٨).

(٤) الإبانة لابن بطة (٣/ ٣٣٠).

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٣٠٢) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن جرير في التفسير (٥/ ٣٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٢٤) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٦) كتاب الصفات للدارقطني (٤٠) تحقيق: عبد الله الغنيمان [ط١، ١٤٠٢هـ].

(٧) الإبانة لابن بطة (٣/ ٣٣٠) تحقيق: د. عثمان عبد الله [ط٢، ١٤١٨هـ].

«يضع قدمه»؟ فقال: «نمرها كما جاءت»[1].

وقال القاضي أبو يعلى الفراء: «اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به (قدم) هو صفة لله تعالى وكذلك (الرجل)»[2].

وقال ابن خزيمة: «باب ذكر إثبات الرِّجل لله ﷻ، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا ﷻ التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى، قال الله ﷻ ـ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله ـ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٥]. فأعلمنا ربنا ﷻ أن من لا رجل له ولا يد ولا عين ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل»[3].

وقال ابن عثيمين: «إن لله تعالى رجلًا وقدمًا حقيقية، لا تماثل أرجل المخلوقين، ويسمي أهل السُّنَّة مثل هذه الصفة: الصفة الذاتية الخبرية؛ لأنها لم تعلم إلا بالخبر»[4].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الرِّجل والقدم بمعنى واحد:

تقدمت الإشارة إلى أن صفة القدم وردت بلفظ الرِّجل، وهما بمعنى واحد. وفي القاموس المحيط: «الرِّجل بالكسر: القَدم، أو من أصل الفخذ إلى القدم»[5]. قال ابن العثيمين: «أما الرجل والقدم، فمعناهما واحد، وسميت رِجْل الإنسان قدمًا؛ لأنها تتقدم في المشي، فإن الإنسان لا يستطيع أن يمشي برجله إلا إذا قدّمها»[6].

وقال الغنيمان ـ بعد ذكر روايات صفة القدم والرِّجل ـ: «ففي مجموع هذه الروايات البيان الواضح بأن القدم والرجل ـ وكلاهما عبارة عن شيء واحد ـ صفة لله تعالى حقيقة على ما يليق بعظمته»[7].

ـ المسألة الثانية: الكرسي موضع القدمين:

ورد في الآثار عن السلف أن الكرسي موضع القدمين لله تعالى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكرسي موضع

(١) الإبانة لابن بطة (٣/٣٣١).
(٢) إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/١٩٥) تحقيق: أبي عبد الله محمد الحمود [دار إيلاف، ط١، ١٤١٦هـ].
(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ (١/٢٠٢).
(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢/٣٢) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٢٤هـ].
(٥) القاموس المحيط للفيروزآبادي (١٢٩٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ].
(٦) شرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢/٣١).
(٧) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١٣٣) [ط١، ١٤٠٢هـ].

القدمين، والعرش لا يقدِّر أحد قدره»[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل»[2].

وقال يحيى بن معين: «شهدت زكريا بن عدي، سأل وكيعًا، فقال: يا أبا سفيان، هذه الأحاديث يعني مثل: الكرسي موضع القدمين ونحو هذا؟ فقال وكيع: أدركنا إسماعيل بن أبي خالد، وسفيان، ومسعرًا يحدثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئًا»[3].

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فأنكروا إثبات صفة القدمين لله تعالى؛ بحجة أن هذا يستلزم التشبيه والتجسيم والتركيب[4]، وأوَّلوا حديث وضع الجبار قدمه على النار بأنه قدم جبار معين مخلوق[5]، أو أن المراد بذلك أهل النار؛ لأنه تقدم في علم الله أنهم من أهلها[6]، أو أنه خلق من خلق الله سمَّاه قدمًا[7]، ونحو ذلك من التأويلات التي تخرج بالكلام عن الوضوح والبيان إلى أبعد ما يكون الاغتراب والغموض!

وقد ردّ عليهم أهل العلم في مؤلفات كثيرة، بيّنوا فيها بطلان هذه التأويلات وبُعدها عن الصواب، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: «وقد غلط في هذا الحديث المعطلة الذين أوَّلوا قوله: (قدمه) بنوع من الخلق، كما قالوا: الذين تقدَّم في علمه أنهم أهل النار. حتى قالوا في قوله: «رجله»: كما يقال: رِجْل من جَرادٍ. **وغلطهم من وجوه:**

فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**حتى يضع**»، ولم يقل: حتى يلقي، كما قال في قوله: «**لا يزال يلقى فيها**».

الثاني: أن قوله: «**قدمه**» لا يفهم منه

---

(١) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٤١٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٣٠١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٨) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٤٨) [مكتبة الرشد، ط٥]، وغيرهم، وقال الذهبي في كتاب العلو (٧٦) [أضواء السلف، ط١]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في مختصره (١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٩٧)، والصفات للدارقطني (١/ ٦٩).

(٤) ينظر: أساس التقديس (١٨٦) [مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠٦هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٧٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٤٦هـ]، وينظر: الحجة لقوام السُّنَّة (٢/ ٥٥٠)، والصواعق المرسلة (١/ ٢٢٦).

(٥) مشكل الحديث لابن فورك (٤٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ]، وأصول الدين للبغدادي (٧٦)، والإرشاد للجويني (١٦٣) [مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ]، وغاية المرام للآمدي (١٤١) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١هـ].

(٦) مشكل الحديث لابن فورك (٤٤)، والإرشاد للجويني (١٦٣).

(٧) مشكل الحديث (٤٥).

هذا، لا حقيقة ولا مجازًا، كما تدلّ عليه الإضافة.

الثالث: أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعذَّبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم، فإنّ ذلك إنما يكون بأمر عظيم، وإن كانوا من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل، وفي أوّل المعذّبين لا في أواخرهم.

الرابع: أن قوله: «فينزوي بعضها إلى بعض» دليل على أنها تنضمّ على من فيها، فتضيق بهم من غير أن يلقى فيها شيء.

الخامس: أن قوله: «لا يزال يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها قدمه» جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم ممَّا قبلها.

وليس في قول المعطِّلة معنى للفظ «قدمه» إلا وقد اشترك فيه الأول والآخر، والأوّل أحقّ به من الآخر»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٣ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٤ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج١)، لعبد الله الغنيمان.

٥ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٦ ـ «الصواعق المرسلة» (ج١)، لابن القيم.

٧ ـ «العلو للعلي الغفار»، للذهبي.

٨ ـ «كتاب التوحيد»، لابن خزيمة.

٩ ـ «كتاب الصفات»، للدارقطني.

١٠ ـ «الصفات الإلٰهية في الكتاب والسُّنَّة»، لمحمد أمان الجامي.

القدّوس

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «القاف والدال والسين أصلٌ صحيح، وأظنه من الكلام الشرعيِّ الإسلاميّ، وهو يدلُّ على الطهْر»[(٢)].

والقُدُّوس: على وزن (فُعّول) من صيغ المبالغة، مأخوذ من القُدْس، وهو الطهارة والنزاهة، ومنه قوله تعالى عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

(١) جامع المسائل لابن تيمية (٢/٢٣٩) [دار عالم الفوائد ط١، ١٤٢٢هـ]. وانظر: نقض الدارمي على المريسي (١٩٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/١٥٧)، وشرح العقيدة الواسطية لابن العثيمين (٢/٣٣).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٦٣).

لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ أي: ننزهك عن كل ما لا يليق بك، ومنه: الأرض المقدسة: الطاهرة، وبيت المقدس: المُطَهّر، وروح القدس: جبريل عليه السلام؛ أي: الروح الطاهرة، والتقديس: التطهير، يقال: تقدّس له إذا تطهّر، وقدَّس له: نزَّهه.

قال الليث: «القُدْسُ تنزيه الله، وهو القدُّوسُ المقَدَّسُ المتقدِّسُ»[١].

وقيل: القُدس: البركة، والأرض المقدسة: المباركة، وهو قريب من الأول؛ لأن طهارته سبب لحصول البركة فيه[٢].

التعريف شرعًا:

القدُّوس: اسم من أسماء الله الحسنى الدالة على تنزيه الله عز وجل عن كل نقص وعيب يضاد كماله وينافي عظمته وجلاله؛ لأنه سبحانه المتصف بصفات الكمال والعظمة والجلال التي لا نقص فيها ولا عيب بحال من الأحوال، وهو سبحانه المقدّس؛ أي: المنزه والمترفع عن الأنداد والأضداد والأشباه والأمثال والشركاء بحال من الأحوال[٣].

وقد فسّر بعض أهل العلم اسم القدوس بالمبارك، وهو قريب من المعنى الأول؛ لأن طهارته وتنزهه عن العيوب والنقائص سبب لكونه مباركًا[٤].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتَّضح العلاقة بين المعنى اللغوي لاسم القدوس ومعناه الشرعي من خلال تطابق المعنى اللغوي الذي تدل عليه الكلمة مع معناه الشرعي، فكلاهما دالٌّ على الطهارة والنزاهة.

الحكم:

وجوب إثبات القدّوس اسمًا لله تعالى، وما تضمنه من صفة القدسية وصفًا ذاتيًّا لله تعالى على وجه الكمال، وتنزيهه سبحانه عن كل ما لا يليق به.

الحقيقة:

القدّوس: اسم من أسماء الله الحسنى الدالّة على أنه المنزه من كل شر ونقص وعيب، الطاهر من كل عيب، ومن كل

---

(١) تهذيب اللغة (٣/ ١٦٤) [الدار المصرية للتأليف].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣٩٦، ٣٩٧)، والصحاح للجوهري (٣/ ٩٦٠، ٩٦١) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٦٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٢٥، ٧٢٦) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٤٠) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٧) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/ ١١٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٠٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١٩٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٤) ورد هذا التفسير عن مجاهد وقتادة. انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/ ٧٩).

ما يضيف إليه المشركون به. كما أنه سبحانه هو المعظم الممجد؛ لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله.

الأدلة:

ورد هذا الاسم في موضعين من القرآن الكريم، هما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الجمعة].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبّوح قدّوس ربُّ الملائكة والروح**»[١].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم شيئًا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض...**» الحديث[٢].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٧).
(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٩٢)، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٢/٦٠٧) [مكتبة المعارف، ط١]: (في إسناده زياد بن محمد الأنصاري، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وقال البخاري والنسائي: منكر الحديث)، وضعفه الألباني جدًّا في ضعيف الترغيب والترهيب (رقم ٢٠١٣).
وانظر: معتقد هل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤، ١٦١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٣١) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ].

أقوال أهل العلم:

قال قتادة: «القدّوس؛ أي: المبارك»[٣].

وقال ابن جرير الطبري: «القدّوس: وهو الطاهر من كلّ ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المباركة»[٤].

وقال ابن القيم: «القدّوس: المنزَّه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة»[٥].

وقال ابن كثير ـ في تفسير ﴿ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ [الجمعة: ١] ـ: «هو المُنَزَّه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال»[٦].

وقال السعدي: «﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾؛ أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجد؛ لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله»[٧].

وأورد هذا الاسم كل من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى والتصنيف في شرحها.

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٣).
(٤) تفسير الطبري (٢٣/٣٧١)، والحجة (١/١٢٣).
(٥) شفاء العليل (١٧٩).
(٦) تفسير ابن كثير (٨/١١٥).
(٧) تفسير السعدي (٨٥٤).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اسم الجلال (القدوس) يدل على الذات العلية وعلى صفة القدسية، وهي الطهارة والتنزيه:

فالله ﷻ مقدّس في ذاته منزه عن كل نقص وعيب؛ لأنه متصف بكل أنواع الكمال، وهو المستحق للتقديس والعظمة والجلال، ولذلك قالت الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

ويدلُّ على صفة الفعل وهي التقديس، فالله ﷻ يُقدِّس من شاء من خلقه، فالتقديس صفة فعل كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف يُقَدِّس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»**[١].

ـ المسألة الثانية: يتضمن اسم القدوس نفي النقائص والعيوب عن الله ﷻ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وعظمته وجلاله، وذلك يكون بأمرين:

الأول: نفي النقص عنه سبحانه وتعالى المنافي لكماله، فإذا نفينا عنه ﷻ السِّنة والنوم فإنما ذلك لأنه مناف لكمال حياته وقيوميته، وإذا نفينا عنه الظلم؛ لأنه مناف لكمال عدله، وهكذا في جميع ما ينفى عن الله ﷻ من النقائص والعيوب فإنها منافية لمقابلها من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال.

الثاني: نفي أن يكون لله ﷻ مماثل أو مشابه في جميع أوصاف الكمال الثابتة له، فإنه سبحانه وتعالى لا مثل له ولا شبيه ولا كفؤ ولا ندّ ولا سَمِيّ له، فهو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

ـ المسألة الثالثة: كان النبي ﷺ يكثر من ذكر هذا الاسم في ركوعه وسجوده:

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده وركوعه: **«سبُّوح قُدُّوس، ربُّ الملائكة والروح»**[٢]، كما كان ﷺ يختم بهذا الاسم صلاته بالليل كما جاء في حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، فإذا سلّم قال: **«سبحان الملك القدّوس»**، ثلاث مرات»[٣][٤].

(١) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠١٠)، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٨٣) [دار العربية، ط٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٥٩٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٣٠)، والنسائي (كتاب قسام الليل وتطوع النهار، رقم ١٦٩٩)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٣٥/ ٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ]، وابن حبان (كتاب الصلاة، رقم ٢٤٥٠)، وصححه النووي في الخلاصة (١/ ٥٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٢٨٤) [مؤسسة غراس، ط١].

(٤) انظر حول هذه المسائل: تفسير أسماء الله الحسنى =

۞ الآثار:

١ ـ حمد الله تعالى والثناء عليه بكماله في ذاته وصفاته، وتنزيهه تعالى عن كل عيب ونقص.

٢ ـ سلامة الإيمان وكماله في أسماء الله تعالى وصفاته بإثبات جميع الأسماء والصفات على وجه الكمال الذي لا يتطرق إليه أي معنى من معاني النقص، فتكون السلامة من التحريف المسمَّى عند أهله تأويلًا.

٣ ـ التعبّد لله تعالى بأسمائه وصفاته على الوجه الأكمل، الباعث عليه كمال الصفات وطهارتها من أي نقص.

٤ ـ صدق اليقين وجميل التوكل على الله تعالى.

٥ ـ عظيم خلق الله تعالى ووقوعه على غاية الكمال والإتقان.

٦ ـ الحكمة التامة والعظمة الكاملة في قضاء الله تعالى وتقديره الدال على كمال صفاته وأفعاله.

٧ ـ كمال شرع الله تعالى وطهارته من كل نقص وعيب.

٨ ـ الدلائل الظاهرة في الآيات الأفقية والنفسية الدالة على ألوهية الله تعالى ووحدانيته.

٩ ـ ما جعله الله تعالى من العاقبة لرسله وأوليائه، والحسرة والخسران على أعدائه.

١٠ ـ أن اسم الجلال القدوس على المسلم أن ينزه نفسه عن المعاصي والذنوب، ويطلب المعونة من ربه أن يحفظه في سمعه وبصره وبدنه من جميع النقائص والعيوب.

۞ مذهب المخالفين:

اسم الجلال القدُّوس من الأسماء الحسنى الدالة على التنزيه العام لله ﷻ عن جميع صفات النقص، وقد استند العديد من الفرق المبتدعة على دلالة هذا الاسم ونحوه على التنزيه من أجل نفي ما يستحقه الله ﷻ مما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال التي جاءت في نصوص الكتاب والسُّنَّة، فإن أهل السُّنَّة والجماعة عندما قالوا بموجب هذا الاسم من تقديس الله ﷻ وتنزيهه عن جميع النقائص والعيوب، ليس معنى ذلك تعطيل الله ﷻ عن صفات كماله ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظنه المعطلة من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية ومن وافقهم؛ بل معناه تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه في شيء من صفاتهم؛ فإن تنزيه أهل السُّنَّة والجماعة تنزيه بلا تعطيل، كما أن إثباتهم

= للسعدي (٢٠٨، ٢٠٩)، وفقه الأسماء الحسنى (١٩٤ ـ ١٩٥) [دار التوحيد، ط١]، والنفي في باب الصفات (١٠٧ ـ ١١٢) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ].

إثبات بلا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

فإن تنزيه الله ﷻ وتعظيمه يجب أن يكون وفق دلائل الكتاب والسُّنَّة على ضوء فهم سلف الأمة وأئمتها، ولا يجوز بحال أن ينبني على الأهواء المجردة، أو الظنون الفاسدة، أو الأقيسة العقلية الكاسدة، كما هو الشأن عند أرباب البدع المعطلين لصفات الرب ﷻ زعمًا منهم أن هذا من باب التقديس والتنزيه؛ ولهذا وقعوا في أنواع من الباطل وصنوف من الضلال[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٢ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٢)، لابن تيمية.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٥ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٦ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للحمود النجدي.

٧ ـ «النفي في باب الصفات»، لأرزقي سعيداني.

٨ ـ «أسماء الله الحسنى»، للغصن.

٩ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

١٠ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للتيمي.

١١ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

١٢ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

القدير

يراجع مصطلح (القدرة).

القديم

يراجع مصطلح (القدم).

القُرآن

التعريف لغةً:

القرآن: مصدر للفِعل قرأ يقرأ قراءةً وقرآنًا؛ أي: تلا وجمعَ وضمَّ بعضَه إلى بعضٍ، سُمي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع السُّوَر فيضمها[2].

التعريف شرعًا:

القرآن: كلام الله حقيقة، حروفه

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١١١، ١١٢) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ]، النفي في باب الصفات (٢٠٥ ـ ٢٢٢).

(٢) انظر: الصحاح (١/٦٦) [دار العلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

ومعانيه، مُنزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

عرفنا أن المعنى اللغوي للقرآن مأخوذ من القراءة والتلاوة التي تجمع وتضم بعضها إلى بعض، فكذلك القرآن شرعًا؛ إذ هو كلام الله يتلى ويقرأ في سور مجموعة ومضمومة.

سبب التسمية:

سُمِّي القرآن بذلك؛ لأنه يجمع السُّور والآي والحروف، وجمع فيه القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد[٢].

وقيل: «تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله؛ لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم»[٣].

الأسماء الأخرى:

القرآن هو: الفرقان، والكتاب، والهدى، والنّور، والتنزيل، والشّفاء، والموعظة إلى غير ذلك من أسمائه الكثيرة[٤].

الحكم:

يجب على المسلم أن يؤمن بالقرآن الكريم إيمانًا تفصيليًّا، إقرارًا واتباعًا، في الظّاهر والباطن، والسّر والعلن، فيعتقد: أنَّ القرآن كلام الله تعالى، ووحيه الذي أنزله على نبيّه ﷺ، تكلَّم به ربُّنا سبحانه حقيقة بحروفه ومعانيه؛ فمنه بدأ وإليه يعود، وسمعه منه جبريل عليه السلام حقيقة، ثم نزل به على نبيِّنا ﷺ؛ فسمعه منه مباشرة حقيقة في اليقظة، منجَّمًا ومفرَّقًا حسب الوقائع والأحداث.

ويعتقد المسلم أيضًا: أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى كيفما تصرّف؛ مقروءًا ومسموعًا ومكتوبًا ومحفوظًا في الصّدور؛ فالألسن والأصوات والأسماع والأنامل والأقلام والصّدور مخلوقة، والقرآن المتلوّ والمسموع والمكتوب والمحفوظ كلام الله غير مخلوق.

الحقيقة:

القرآن كلام الله تعالى، ووحيه الذي أنزله على نبيِّه ﷺ، تكلَّم به ربّنا سبحانه حقيقة ـ بحروفه ومعانيه ـ؛ فمنه بدأ وإليه يعود، وسمعه منه جبريل عليه السلام حقيقة، ثم

(١) انظر: لمعة الاعتقاد (١٨) [وزارة الشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤٢٠هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٧)، والجواب الصحيح (٤/٣٣٩)، والدرر السنية (١/٣٠) [ط٦، ١٤١٧هـ]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/٢١) [المجموعة الثانية].

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (١/٦٠٤) [جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ]، وتفسير البغوي (١/١٩٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير البحر المحيط (٢/٣٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (٦٦٩) [دار العلم والدار الشامية، ١٤١٢هـ].

(٤) انظر في أسماء القرآن: مجموع الفتاوى (١٤/١)، والهدى والبيان في أسماء القرآن لصالح بن إبراهيم البليهي.

نزل به على نبيِّنا ﷺ؛ فسمعه منه مباشرة حقيقة في اليقظة، منجّمًا ومفرّقًا حسب الوقائع والأحداث. وهو خاتم الكتب المنزَّلة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن عليها، والنَّاسخ لها ولشرائعها، والجامِع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام السَّاعة؛ فلا يأتي كتاب بعده يغيِّر شيئًا من أحكامه وشرائعه، فلم يبق كتاب يُتعبّد الله به سواه؛ فليس لأحد من الإنس أو الجنّ الخروج عن شيء من أحكامه، ولا اتباع غير سبيله؛ وإلا ضلَّ وغوى.

المنزلة:

جعل الله للقرآن الكريم منزلة رفيعة، ومكانة عاليةً، فهو من أركان الإيمان الستة، التي لا يقبل إيمان العبد حتى يأتي بها، فالقرآن نور للقلوب، به تزكوا النفوس وتفرح، وتنشرح الصدور، فيه آيات زكيات، ومعاني بينات، تخرج المغموم من غمه، والمهموم من همه، وتبعد عن الصدر ضيقه.

ومما يدلُّ على علو منزلته: أنه أعظم معجزات النبي ﷺ فهو «معجزة خالدة أبد الآبدين، ودهر الدّاهرين، لا تفنى عجائبه، ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التّكرار؛ بل يُجَلَّى مع ذلك ويتجلّى، ويعلو على غيره ولا يُعلى، وكلّ معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكارها، وهو كلَّ يوم براهينه في مزيد، ومعجزاته في تجديد، و﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فُصِّلَت]»[١].

ومما يدلُّ على علو منزلته أيضًا: أن الله ﷻ عظَّم من عظَّمه، وجعلهم أهله وخاصته، وأنَّ من إجلاله إجلالهم، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومَثَل الذي يقرأ، وهو يتعاهده وهو عليه شديد، فله أجران**»[٢].

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**». قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**»[٣].

قال ابن الأثير: «أي: حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله، والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به»[٤].

(١) معارج القَبول للحكمي (٣/ ١١٢١) [دار ابن القيِّم بالدَّمَّام، ط١، ١٤١٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٧)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٢١٥)، وأحمد (١٩/ ٢٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٤٦)، وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٢٩) [دار العربية، ط٢]، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٣٢) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٣) [المكتبة العلمية، ط ١٣٩٩هـ].

الأدلة:

قال ﷻ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨]، والآيات في هذا المعنى أكثر من أن تحصَى.

وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[١].

ولمَّا أتى عمر بن الخطاب النبيَّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبيّ ﷺ فغضب فقال: «**أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطَّاب؟! والذي نفسي بيده؛ لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة. لا تسألوهم عن شيء؛ فيخبروكم بحق فتكذّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به! والذي نفسي بيده؛ لو أنَّ موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[٢].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٤) واللفظ له، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وابن ماجه (المقدمة، رقم ١٢)، وأحمد (٢٨/ ٤١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (١/ ٥٧) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد (١/ ١٧٤) [مكتبة القدسي].
لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٤) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢].

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنَّة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ، وإليه يعود»[٣].

وقال القاضي عياض: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾، أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا أنه كافر»[٤].

وقال ابن قدامة المقدسيّ: «ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل ربّ

(٣) أصول السُّنَّة (٨٢) [مكتبة الغرباء، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٣٠٤) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ].

العالمين، نزل به الرّوح الأمين، على قلب سيّد المرسلين ﷺ، بلسان عربيّ مبين، منزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وهو سُوَر مُحْكَمات، وآيات بيّنات، وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكلّ حرف عشر حسنات. له أوّل وآخر وأجزاء وأبعاض. متلوّ بالألسنة، محفوظ في الصّدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت]»[1].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: نزول القرآن:

أُنزل القرآن الكريم ـ لفظًا ومعنًى ـ على نبيِّنا محمد ﷺ بأمر الله تعالى، وسَمِعه ﷺ من جبريل عليه السلام حقيقةً بلا واسطة، في اليقظة، لا منامًا ـ على صور وهيئات وكيفيات معروفة ـ، منجّمًا ومفرّقًا حسب الوقائع والأحداث ـ بخلاف الكتب السّماوية السابقة التي نزلت جملة واحدة ـ.

ونزول القرآن ثابتٌ بنص الكتاب والسُّنَّة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. وهذه الآيات صريحة الدلالة على نزول جبريل عليه السلام بالقرآن من عند الله تعالى على نبينا محمد ﷺ، وأنَّ جبريل عليه السلام سمعه من الله تعالى؛ لأنَّه إذا كان قد «نزل به من الله؛ علم أنه سمعه منه ولم يؤلِّفه هو، وهذا بيان من الله: أنَّ القرآن الذي هو باللِّسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله، ونزل به منه»[2].

وثبت في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا تكلَّم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلةً كجر السلسلة على الصفا؛ فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّع عن قلوبهم**»؛ قال: «**فيقولون: يا جبريل؛ ماذا قال ربك؟ فيقول: الحقَّ. فيقولون: الحقَّ الحقَّ**»[3].

وفيه دلالة على سماع جبريل عليه السلام

---

(١) لُمعة الاعتقاد مع شرحه: الإرشاد شرح لُمعة الاعتقاد للجبرين (١٧٦، ١٨١، ١٨٢) [دار طيبة، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، ٩/ ١٤١) [دار طوق النجاة، ط١] معلقًا مجزومًا، دون قوله: (صلصلة كجر السلسلة على الصفا).
وأخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

الوحي (وهو القرآن) من الله تعالى بلا واسطة.

والدَّليل على نزول القرآن على النبي ﷺ مفرَّقًا حسب الوقائع والأحداث، واختصاصه بذلك دون سائر الكتب السماويَّة السابقة قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ ـ أي: كما نزلت الكتب السماوية قبله؛ كالتوراة والإنجيل والزَّبور ـ[1] ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]: «وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدِّمة. وقال في القرآن: (نزَّل)؛ لأنه نزل مفرَّقًا منجَّمًا على الوقائع، بحسب ما يحتاج العباد إليه في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدِّمة فكانت تنزل جملة واحدة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾»[2].

ـ المسألة الثانية: تفاضل القرآن:

القرآن الكريم الذي هو كلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض ـ وإن كان كلُّه ذا فضل وشرف ـ في الأجر والثواب، وفي المعاني والمدلولات، وهذا دليل على تفاضله في ذاته ونفسه وألفاظه؛ فبعض سور القرآن وآياته أفضل وأشرف من بعض سوره وآياته الأخرى، لا من حيث أجر وثواب القراءة فحسب؛ بل من حيث نفسه وذاته وكونه كلامًا لله تعالى. فسورة الفاتحة والإخلاص وآية الكرسي وآخر سورة الحشر ـ وما تضمنته من الدلالات على وحدانية الله وصفاته ـ أفضل من سورة المسد وآية الدَّيْن ونحوهما ـ مما لا يوجد فيها هذا ـ، في نفسها وفي أجر قراءتها. وكلام الله تعالى الذي يُثني على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده؛ أفضل من كلامه الذي يذمُّ به أعداءه ويذكر أوصافهم[3].

وهذا التفاضُل لا «باعتبار نسبته للمتكلِّم؛ فإنه سبحانه واحد؛ ولكن باعتبار معانيه التي يتكلَّم بها، وباعتبار ألفاظه المبيِّنة لمعانيه»[4].

والقول بالتفاضل قول أكثر السَّلف

(١) راجع: تفسير البغوي (٦/ ٨٣) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ٢٨) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٠٩) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٤). وانظر منه: (١/ ٥٠١، ٦/ ٩٢)، الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٥).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ١١٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والتذكار للقرطبي (٤٦) [دار البيان بدمشق، ط٣، ١٤٠٧هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ١٠ وما بعدها، ٥٧)، وشفاء العليل (٢/ ٧٤٤) [مكتبة ألعبيكان، ط١، ١٤٢٠هـ]، وفضائل القرآن الكريم، لعبد السلام الجار الله (٤١٧، ٤٤٢)، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (٢/ ٦٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/ ١٢٩). وانظر منه: (١٧/ ٥٧، ١٣٧).

والخلف من العلماء ـ بل نقل ابن تيمية اتفاق السلف عليه ـ؛ منهم: إسحاق بن راهويه، والحليمي، وأبو المظفر السمعاني، وغيرهم، وانتصر له شيخ الإسلام ابن تيمية واختاره تلميذه ابن القيم(١).

وقد دلَّ على تفاضل القرآن الكريم أدلَّة كثيرة من الكتاب والسُّنَّة؛ منها قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]؛ ففي الآية إخبار بأنَّ الله تعالى «يأتي بخير منها أو مثلها؛ وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة، أو خير منها أخرى؛ فدلّ ذلك على أنَّ الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى»(٢).

ومنها قوله ﷻ: ﴿...فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزُّمَر]؛ وفيهما دلالة واضحة على أنَّ فيما أنزل الله تعالى حسن وأحسن(٣)؛ وهذا دال على تفاضل القرآن الكريم.

وثبت في أحاديث كثيرة إثبات فضل بعض السّور على البعض، وأنَّ بعضها أعظم ما في القرآن؛ ومن ذلك قوله ﷺ لأبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه: «**لأعلِّمنّك سورة هي أعظم السّور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد**»، ثم قال: «﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»(٤).

وقوله ﷺ لأبيّ بن كعب رضي الله عنه: «**يا أبا المنذر؛ أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟**»، فلما ذكر له آية الكرسي؛ ضرب على صدره وقال: «**والله ليَهْنِك العلم أبا المنذر**»(٥).

وقوله ﷺ عن سورة الإخلاص: «**والذي نفسي بيده؛ إنها لتعدل ثلث القرآن**»(٦).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٤٠٣) [دار هجر، ط١]، وصحيح ابن حبَّان (٣/ ٥١، ٥٦) [الإحسان، مؤسسة الرسالة، ط٢]، والتمهيد لابن عبد البر (١٩/ ٢٣١) [مؤسسة قرطبة، مصورة عن الطبعة المغربية]، والاستذكار له (٢/ ٥١٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتفسير البغوي (١/ ١٣٥) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١/ ١٠٩)، والتذكار للقرطبي (٤٥)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٩٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦، ٥٣، ١٠٣، ٢٠٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٠٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والإتقان في علوم القرآن (٤/ ١١٧)، والتحبير للسيوطي (٣٠٥) [دار العلوم بالرياض، ط١، ١٤٠٢هـ]، وإتمام الدراية لقراء النقاية له (٢٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ]، وفضائل القرآن الكريم (٣٩٢) وما بعدها، و(٣٩٩) وما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠).

(٣) المرجع السابق (١٧/ ١٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٤٧٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٠).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠١٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، =

وقوله ﷺ عن سورتي الفلق والناس: «**أُنزل (أو: أُنزلت) عليَّ آيات لم يُر مثلهن قط: المعوِّذتين**»[(١)].

إلى غير ذلك من الأحاديث. وهي تدلُّ دلالة صريحة على تفاضل القرآن الكريم، وأنَّ بعضه أفضل من بعض. وهذا أُبيٌّ ـ وغيره من الصحابة ـ «لم يستشكل السؤال عن كون بعض القرآن أعظم من بعض! بل شهد النبي ﷺ بالعلم لمن عرف فضل بعضه على بعض، وعرف أفضل الآيات»[(٢)].

وإذا ثبت تفضيل بعض القرآن بأحكام توجب تشريفه ـ كما في سورة الفاتحة وغيرها ـ؛ فهذا يدلّ على أنه أفضل في نفسه، ومن أعاد التفاضل إلى مجرّد كثرة الثواب أو قلَّته، من غير أن يكون الكلام في نفسه أفضل؛ كان بمنزلة من جعل عملين مساويين، وثواب أحدهما أضعاف ثواب الآخر، مع أنَّ العملين في أنفسهما لم يختص أحدهما بمزية! وهذا خلاف ما علم من سُنَّة الله تعالى في شرعه وخلقه، وخلاف ما تدل عليه الدلائل العقلية مع الشرعية[(٣)].

ولا يلزم من التفضيل نقص المفضول ـ فالكلّ كلام الله تعالى ـ؛ بل إنّ «التفضيل بين الشيئين فرع كون كلٍّ منهما له كمال، ثم ينظر أيهما أكمل»[(٤)]؛ فليس في إثبات التفاضل إثبات النقص للمفضول بوجه من الوجوه.

وبالجملة: «فالمثبت للتفاضل معتصم بالكتاب والسُّنَّة والآثار، ومعه من المعقولات الصريحة التي تبيِّن صحة قوله وفساد قول منازعه ما لا يتوجه إليها طعن صحيح! وأما النافي فليس معه آية من كتاب الله، ولا حديث عن رسول الله ﷺ، ولا قول أحد من سلف الأمّة؛ وإنما معه مجرد رأي يزعم أنّ عقله دل عليه، ومنازعه يبيِّن أنّ العقل إنما دلّ على نقيضه، وأن خطأه معلوم بصريح المعقول، كما هو معلوم بصحيح المنقول!»[(٥)].

ـ المسألة الثالثة: إعجاز القرآن:

القرآن الكريم هو أعظم معجزات النبي ﷺ، وأبهر آياته، وأبين الحجج الواضحات وأدلّها على نبوَّته وصدقه وصحة رسالته. ويدل على هذا أن المشركين لمَّا تعنّتوا وطلبوا آيات حسية تدل على صدق النبي ﷺ لم يجبهم الله تعالى إلى ذلك، وأنكر عليهم عدم اكتفاءهم بأعظم آياته وهو القرآن الكريم؛ فقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ

= ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨١٤)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٨٣) بتصرُّفٍ يسير.

(٣) انظر: المرجع السابق (١٧/ ١٢، ٢١٠).

(٤) المرجع السابق (١٧/ ١٤٦).

(٥) المرجع السابق (١٧/ ٨٠) بتصرُّفٍ يسير.

عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت]؛ فدلَّ هذا على أنَّ القرآن أعظم الآيات، وأبين المعجزات والحجج الواضحات. فهو الحجة الباقية على الآباد، الذي لا تنقضي عجائبه[1].

وليس في مقدور أحد ـ كائنًا من كان ـ أن يأتي بهذا القرآن إلا رب العالمين ﷻ؛ فهو كلامه سبحانه، وهو لا يشبهه شيء من خلقه[2].

ولذا تحدّى الله تعالى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله؛ فقال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [الإسراء]، فعجزوا عن ذلك، مع توافر دواعي أعداء رسول الله ﷺ ـ الفصحاء البلغاء ـ على معارضته وإبطال قوله، وشدة عدواتهم للدعوة ونبيِّها ﷺ[3].

والقرآن معجز في نفسه، لا يستطيع أحد ـ كائنًا من كان ـ الإتيان بمثله ولا يقوى على معارضته؛ فليس إعجاز القرآن بأمر خارج عنه[4].

والقرآن في نفسه معجز ولو لم يتحد به كسائر المعجزات؛ فهو دالٌّ على وجود الله تعالى، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، والمَبدأ والمعاد، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وعلى نبوة محمد ﷺ وصدقه وصحة رسالته، وعلى كمال الشَّرع وإحكامه وعدله وصدق أخباره.

ووجوه إعجاز القرآن التي لأجلها كان القرآن معجزًا للثقلين كثيرة متنوعة لا تحصى، «وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجازه هو حجة على إعجازه! ولا تناقض في ذلك؛ بل كل قوم تنبهوا لما تنبَّهوا له»[5]؛ فمن هذه الوجوه: فصاحته وبلاغته ووجازته وجزالته وحلاوته وطلاوته ـ التي لا تجارى ولا تدانى ـ في دلالة اللَّفظ على المعنى، ونظمه وأسلوبه، واشتماله على العلوم الكثيرة والمعاني العزيزة النّافعة في الدّنيا والآخرة ـ التي هي أكمل من معاني كلّ كتاب نزل على نبيّ مرسل ـ،

(١) انظر: معارج القَبول لحافظ الحكمي (٣/ ١١٢١).
(٢) انظر: الجواب الصَّحيح لمَن بدَّل دين المسيح (٥/ ٤٢٥) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٠١، ٤/ ٤٦١)، والمفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٥٠) [دار ابن كثير ودار الكلم الطيِّب، ط١، ١٤١٧هـ]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٨٨)، وفتح الباري لابن حجر (٩/ ٦) [دار المعرفة ببيروت، ١٣٧٩هـ].
(٤) انظر: البداية والنِّهاية لابن كثير (٦/ ٧٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٨هـ].
(٥) الجواب الصَّحيح لابن تيمية (٥/ ٤٢٩) بتصرُّفٍ يسيرٍ. وانظر منه: (٥/ ٤١١).

وإخباره بالغيبيّات الماضية والآتية، وعدم تناقضه، وغير ذلك كثير؛ «فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية، واذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية! كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم»[(١)]، والإعجاز واقع بجميع هذه الوجوه وغيرها، لا بكلّ واحد على انفراده؛ فهو مشتمل على الجميع وزيادة!

ويمكن جمع وجوه إعجاز القرآن في أربعة أوجه: الإعجاز البيانيّ (الفصاحة والبلاغة والنّظم والأسلوب)، والإعجاز العلمي (الآيات الكونيّة)، والإعجاز التشريعيّ (العقيدة والشريعة والأخلاق)، والإعجاز الغيبي (الماضي والحاضر والمستقبل). والله أعلم.

والإعجاز والتحدّي بالنّظم والبلاغة والفصاحة والأسلوب خاصّ بالقرآن الكريم دون غيره من الكتب السّماويّة السابقة؛ فالكتب السّابقة لم تنزل على أنها معجزة للأنبياء السّابقين تبرهن على صدقهم وصحّة رسالتهم، ولم يقع بها التحدّي، وإن كانت لا تخلو من بعض وجوه الإعجاز ـ كالإخبار بالغيبيّات، واشتمالها على التشريعات المحكمة العادلة ـ. والله أعلم[(٢)].

ـ المسألة الرابعة: الاستشفاع بالقرآن:

التوسُّل إلى الله تعالى بالقرآن الكريم (الاستشفاع) لنيل العبد شفاعته ﷻ يوم القيامة أو مغفرته أو رحمته، أو لطلب أمر دنيويّ: مشروع، سواء كان هذا الاستشفاع بدعاء الله تعالى بالقرآن نفسه، فيقول مثلًا: اللَّهُمَّ إني أسألك بالقرآن الكريم أن تدخلني الجنّة، أو بدعاء الله بتلاوة القرآن الكريم وحفظه والتعبّد به، كأن يقول الدّاعي مثلًا:

(١) النُّبُوَّات لابن تيمية (١٢٠) [المطبعة السلفيَّة بالقاهرة، ط١، ١٣٨٦هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٤٣)، وبيان إعجاز القرآن للخطابي (٢١) [ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط٣]، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٧٢)، والجواب الصَّحيح (١/ ٤٢٧، ٥/ ٤٠٩، ٤٢٣، ٤٢٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية (٢٠٨) [مكتبة الرشد بالرياض، ط١، ١٤١٥هـ]، وبدائع الفوائد (٤/ ١٥٤٧) [دار عالم الفوائد، ط١]، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠ ـ فضائل القرآن، ١٦٠، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٣، ٣/ ٥٣٥، ٤/ ٢٦٨، ٣١٠، ٤٦١، ٦٠٣، ٦/ ٢٨٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية (٢/ ٩٩، ٦/ ٧٧، ٢٨٨)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٨٢، ٩/ ٦)، والإتقان في علوم القرآن للسّيوطي (٥/ ١٨٧٣) [طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنوَّرة، ط١، ١٤٢٦هـ]، ومُعترَك الأقران له (١/ ٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومعارج القَبول لحافظ الحكمي (٣/ ١٠٩٩)، ومباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم (١٢١) [دار المسلم بالرياض، ط٢، ١٤١٦هـ]، والأدلة العقليَّة النقليَّة على أصول الاعتقاد لسعود العريفي (٥٢٢) [دار عالم الفوائد، ط١]، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم لمحمد هشام طاهري (١/ ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٠٧، ٦٤٥، ٦٥٠) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وفضائل القرآن الكريم لعبد السلام الجار الله (٣٢٩) [دار التدمرية، ط١، ١٤٢٩هـ].

اللَّهُمَّ إنِّي أسألك بحفظي لكتابك، وتلاوتي له آناء اللَّيل وأطراف النّهار أن تغفر لي، أو بدعاء الله أن يجعل القرآن شفيعًا للعبد يوم القيامة، فيقول مثلًا: اللَّهُمَّ اجعل القرآن شفيعًا لي يوم القيامة؛ فكلّ هذا جائز لا حرج فيه، ودلّ على جوازه الكتاب والسُّنَّة[١]:

أما الدّليل على جواز الاستشفاع بدعاء الله تعالى بالقرآن نفسه على أنّه كلام الله وصفة من صفاته فقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والقول في الصّفات كالقول في الأسماء والذّات، وذكر سبحانه عن نبيِّه وعبده سليمان بن داود عليه السلام أنّه قال: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ﴾ [النمل: ١٩]، فسأل الله برحمته، وهي من صفاته سبحانه وتعالى.

وثبت في الصحيحين، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أنّ النبيّ ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزّتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموت، والجنّ والإنس يموتون**»[٢]، وفي حديث دعاء الاستخارة المشهور الذي علّمه ﷺ لأصحابه: «**اللَّهُمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك**»[٣]، وعلَّم ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها أن تقول كلّ صباح ومساء: «**يا حي يا قيوم؛ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلَّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدًا**»[٤]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأما الدليل على جواز دعاء الله أن يجعل القرآن شفيعًا للعبد فظاهر؛ إذ عموم أدلَّة فضل الدعاء دالة على ذلك، وليس في هذا تعد أو مجاوزة للشرع؛ بل هو دعاء مشروع لا إشكال فيه؛ لأنَّه ثبت بالحديث الصَّحيح أنَّ القرآن يأتي شفيعًا لأصحابه يوم القيامة[٥]؛ فلا إشكال في دعاء الله تعالى أن يأتي شفيعًا لقارئه الدَّاعي، وقد حثّ ربّنا على دعائه فقال جل جلاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر].

ـ المسألة الخامسة: الاستشفاء بالقرآن:

الاستشفاء بالقرآن أمر مشروع حث

(١) انظر أدلَّة التوسُّل المشروع عمومًا في كتاب: التوسُّل: أنواعه وأحكامه للألباني (٢٩ ـ ٤٢) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم واللَّيلة، رقم ١٠٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء، رقم ٢٠٠٠) وصححه، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصَّحيحة (رقم ٢٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٤)، من حديث أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه.

عليه الشرع الحكيم، والاستشفاء: هو طلب الشفاء.

والاستشفاء يكون من مرض حسيٍّ أو معنوي.

والأدلة على أن القرآن فيه شفاء ورحمة كثيرة جدًّا، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ۝٨٢﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ [فصلت: ٤٤]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

ومن السُّنَّة المطهرة: ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «إن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يَقروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سَيّد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء. فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بُزاقه ويتفل، فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «وما أدراك أنها رقية؟ خذوها، واضربوا لي بسهم»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل، كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها»[(٢)].

والقرآن جعله الله شفاءً للمؤمنين، يستشفون به من أمراض القلوب والأبدان، فما من مرض حسي أو معنوي إلا وفي القرآن وسيلة دالة على الوقاية منه.

وإذا كان التداوي بتلك العقاقير الطبية قد جعل الله فيها الشفاء، فكيف بالقرآن العظيم الذي هو كلام رب العالمين، الذي لا يعلم عظيم فضله ولا حقيقة كنهه إلا الله تعالى[(٣)].

وهناك شروط لا بدَّ أن تتوفر في الرقية من أجل أن تكون مشروعة؛ وهي:

١ ـ أن تكون باللسان العربي بأن تكون مفهومة معلومة، وليس من جنس الطلاسم.

٢ ـ أن تكون بالقرآن الكريم، أو بأسماء الله وصفاته، أو بما صح من كلام النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٣٦)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٧٣٥).

(٣) انظر: (العين والرقية والاستشفاء من القرآن والسُّنَّة). لعطية محمد سالم (٧٤، ٧٥).

٣ ـ أن لا يعتقد أنها تؤثر بذاتها، بل بإذن الله تعالى[١].

أما قول النبي ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك**»[٢] فمحمول على الرقى الشركية والبدعية، التي لم تتوفر فيها الشروط الثلاثة آنفة الذكر، كيف والنبي ﷺ قد قال: «**لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[٣]. وقد رقى هو نفسه ﷺ ورُقي.

قال الخطابي: «فأما الرقى، فالمنهي عنه هو ما كان بغير لسان العرب فلا يدري ما هو، فلعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب متبرك به والله أعلم»[٤].

أما حكم كتابة بعض الآيات من القرآن ثم محوها بالماء وشربها وغسل البدن بها، فقد اختلف السلف في ذلك؛ فأجازه طائفة، منهم: ابن عباس، ومجاهد، وأبو قلابة، والأوزاعي، وأحمد بن حنبل، والقاضي عياض، وابن تيمية، وابن القيم. وكرهه طائفة، منهم: النخعي، وابن سيرين، وابن العربي[٥].

وسئلت اللجنة الدائمة عن حكم ذلك، فأجابت بما ملخصه: أن هذا العمل لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن صحابته الكرام، فالأولى تركه[٦]. وهذا هو الأولى والله أعلم.

ـ المسألة السادسة: نسخ القرآن للكتب السابقة:

الكتب السماوية السابقة كلها منسوخة بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فهو المهيمن على كل الكتب قبله، بمعنى: أنه مؤتمن وشاهد ورقيب، وحاكم وقاضي، ودالّ ومصدق، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المُنزل، يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما فيها من التحريف والتبديل، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، فصارت له الهيمنة عليها من كل وجه. ثم ميَّز الله ﷻ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١)، وفتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٤٠)، وشرح مسلم للنووي (٣/ ٨٨)، ومعالم السنن (٤/ ٢٢٦)، وفتح المجيد (١٤٧ ـ ١٤٨)، ومعارج القبول (٢/ ٦٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/ ١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٠٠).

(٤) معالم السنن (٤/ ٢٢٦).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/ ١٦٠)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٩)، وزاد المعاد (٤/ ١٥٧)، وعارضة الأحوذي (٨/ ٢٢٢)، وأحكام الرقى والتمائم لفهد السحيمي (٦٦ ـ ٦٨).

(٦) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٢٤٦ ـ السؤال الأول من الفتوى رقم ١٢٥٧).

القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه وجعله معجزًا بلفظه ومعناه[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبيَّن الأدلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم. وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين وبيَّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبيَّن ما حُرِّف منها وبُدِّل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبيَّن أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرِّف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات»[(٢)].

ـ المسألة السابعة: قِدَم القرآن وكتابته في اللوح المحفوظ:

القرآن الكريم مكتوبٌ كله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا ما دل عليه الدليل، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]، «فالقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنَّة والحديث أن كلَّ كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دل القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه»[(٣)].

«وهذا لا ينافي ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف في تفسير قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر] أنه أنزله إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجّمًا مفرّقًا بحسب الحوادث، فإن كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله، سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل أو بعد ذلك، وإذا كان قد أنزله مكتوبًا إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان وما يكون وما

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/ ٤٠٠) [دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ]. ولطائف المعارف لابن رجب (١٦٧ ـ ١٦٨، ٣٠٩) [دار ابن كثير].

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤).

(٣) شفاء العليل (٤١) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ] بتصرف.

لا يكون أن لو كان كيف كان يكون، وهو سبحانه قد قدر مقادير الخلائق، وكتب أعمال العباد قبل أن يعملوها كما ثبت ذلك في صريح الكتاب والسُّنَّة وآثار السلف، ثم إنه يأمر الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها؛ فيقابل به الكتابة المتقدمة على الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت، هكذا قال ابن عباس وغيره من السلف، وهو حق، فإذا كان ما يخلقه بائنًا منه قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد أن يكتب كلامه الذي يرسل به ملائكته قبل أن يرسلهم به»[(١)].

ـ المسألة الثامنة: رفع القرآن:

يُرفع القرآن في آخر الزمان، من صدور الرجال ومن المصاحف، في وقت لا يدرى فيه ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، فعن حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُدرَس الإسلام كما يدرَس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، لا إلٰه إلا الله، فنحن نقولها**»[(٢)].

فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف، فحين يعرض الناس عن العمل بالقرآن إعراضًا كليًّا يرفعه الله تعالى عنهم تكريمًا له؛ لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجروه وأعرضوا عنه فلا يقدِّرونه قدره[(٣)].

ـ المسألة التاسعة: حكم القول بتحريف القرآن أو تفضيل غيره عليه:

القول بتحريف القرآن أو نقصانه أو الزيادة عليه، أو تفضيل غيره عليه، قول باطل، بل هو كفر مخرج من ملة الإسلام، فإن الله تعالى تكفَّل بحفظ هذا القرآن فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، فقد ضمن الله تعالى في هذه الآية حفظ ما نزله من الذكر على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد حقق الله وعده بأن وفّق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفظ القرآن، بجمعه وكتابته وحفظه في صدورهم، وتلقاه التابعون عنهم فكان القرآن بذلك محفوظًا بحفظه سبحانه وتعالى، فمن زعم أنه قد أُسقط شيء من القرآن أو غُيِّر عمّا جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فإنه كافر[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٦ ـ ١٢٧) بتصرف.

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٤٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٦٠) وصححه، وصححه البوصيري في المصباح (٤/ ١٩٤) [دار العربية، ط٢]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/١٩٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٩/ ٤٤)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/ ٣٦٥) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٤) انظر: الصارم المسلول (٥٨٦). وانظر: الفِصَل في =

وكذلك من اعتقد أن هناك دينًا أفضل من القرآن، أو هديًا أكمل من هديه، أو حكمًا أحسن من الحكم الذي أتى به من عند ربه ﷻ، فقد كفر؛ لأنه كذب ما جاء في كتاب الله؛ فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة][1].

الثمرات:

الثمرات المترتبة على الإيمان بالقرآن الكريم هي:

١ ـ إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷻ يتكلم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمعه جبريل ﷺ منه بلا واسطة.

٢ ـ الإيمان بالقرآن وأنه منزّل من عند الله يثمر عنه إثبات علو الله تعالى على خلقه؛ كما دلَّت عليه آيات القرآن الكريم، والسُّنَّة المتواترة الصحيحة، والفطرة السّوية، وصريح المعقول، وأجمعت عليه جميع الملل من اليهود والنّصارى والمسلمين.

٣ ـ الرد على افتراءات الكفار والملحدين والمشككين الذين يزعمون أنَّ القرآن كلام النبي ﷺ أو كلام جبريل ﷺ؛ ففي نزوله بيان أنه كلام الله تعالى، بلّغه عنه نبينا ﷺ كما سمعه من جبريل ﷺ، لفظًا ومعنًى ـ لا حكاية للفظ ولا تعبيرًا عن المعنى ـ، دون زيادة أو نقصان، لم يكتم منه شيئًا؛ فليس هو كلامه ﷺ ولا كلام جبريل الأمين ﷺ.

٤ ـ أنَّ في الإيمان بالقرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى أعظم دافع للتقرب إلى الله تعالى بالتعبد به، تلاوة وعملًا وانقيادًا لأوامره وأحكامه.

مذهب المخالفين:

خالف الجهمية والمعتزلة[2] في هذا المعتقد الحق؛ فقالوا بخلق القرآن وكذا وجميع الكتب السماوية السابقة، وأن كلام الله بائن عنه، فمنهم من يقول: خلقه الله في اللّوح المحفوظ، ومنهم من يقول: بل خلقه في جبريل ﷺ، ومنهم من يقول: خلقه في النبي ﷺ!

والقول بخلق القرآن هو قول: الحلولية وغلاة الصوفية، والخوارج، وبعض المرجئة، وبعض الروافض المتقدمين، وأجمع عليه المتأخرون

= الأهواء والملل والنحل لابن حزم (٤/١٣٩).

(١) انظر: المفيد في مهمات التوحيد (٨١) [دار الإعلام، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: المغني للقاضي عبد الجبار (٧/٣، ٨٤)، وشرح الأصول الخمسة له (٥٢٨، ٥٣٥)، ومقالات الإسلاميِّين للأشعريّ (١٩١، ٥٨٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

منهم، وهو قول الماتريدية، وهو حقيقة قول الفلاسفة والكلابية والأشاعرة[(١)].

وأول من ابتدع القول بخلق القرآن ونفي الصفات عمومًا وتعطيلها هو: الجعد بن درهم، في أوائل المائة الثانية ـ وعنه أخذه الجهم بن صفوان ـ؛ فكان يقول: إنّ الله لم يتّخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا؛ فضحَّى به أمير العراق والمشرق بواسط خالد بن عبد الله القسري، والجهم قتله سلم بن أحوز أمير خراسان!

وأصل هذا القول مأخوذ عن المشركين والصابئة، عبدة الكواكب والنجوم ـ من البراهمة والمتفلسِفة ومبتدعة أهل الكتاب ـ، الذين يزعمون أن الرب ليس له صفة ثبوتية أصلًا! وهم ينكرون في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلًا وموسى كليمًا[(٢)]!

ويردُّ عليهم: بأن إجماع السلف من الصحابة ومن بعدهم منعقد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لا خلاف بينهم في ذلك[(٣)]، وقد تضمَّن القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أن القرآن كلام الله، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وكذلك دلَّت سُنَّة النبي ﷺ على ذلك، فعن جابر رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف، فقال: «**ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي**»[(٤)].

(١) انظر للحلوليَّة وغُلاة الصُّوفيَّة: اصطلاحات الصُّوفيَّة لابن عربي (٩) [دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط١، ١٣٦٧هـ]، والإسرا إلى مقام الأسرى له (٦٨) [دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط١، ١٣٦٧هـ]. وللخوارج والمرجئة والرَّوافِض: مقالات الإسلاميِّين (٤٠، ١٥٣، ٥٨٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (٩٢/ ١١٧) [دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٠٣هـ]. وللماتريديَّة: التوحيد لأبي منصور الماتريديّ (٥٨) [دار المشرق ببيروت]، وأصول الدِّين للبزدوي (٦٢) [طبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١]. وللفلاسفة: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٢، ١٦٣)، والجواب الصَّحيح لمَن بدَّل دين المسيح (٣/ ٣١١) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]. وللكلابيَّة والأشاعرة: الإنصاف للباقلاني (٧١، ٩٣، ١٠٨) [عالم الكتب ببيروت، ط١، ١٤٠٧هـ]، والإرشاد للجويني (١٠٩) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٥هـ]، ومقالات الإسلاميِّين (٥٨٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٣٧، ٦/ ٦٩، ١٠/ ٦٦، ١٣/ ١٧٧)، والفتاوى الكبرى (٦/ ٣٧٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ]، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١/ ٣٠٩، ٥/ ٣٩٢، ٣٩٩)، والنبوات (١٠١) [المطبعة السلفية بمصر، ١٣٨٦هـ]، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٢٣٧)، ومدارج السالكين (١/ ٩١، ٢/ ٢٩٢) [دار الكتاب العربي، ط٢]، والصَّواعق المرسلة (٣/ ١١٥٣) [دار العاصمة، ط٣]، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٩٥)، وشرح نونية ابن القيم لابن عيسى (١/ ٥١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح نونية ابن القيم لهراس (١/ ٢٥) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٣٧)، وعقيدة السلف للصابوني (١٦٥)، والشريعة للآجري (١/ ٤٨٩)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٤٤).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٣٤)، =

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج٢، ١٣)، للقرطبي.

٣ ـ «الجواب الصحيح» (ج٢، ٤)، لابن تيمية.

٤ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيميّ.

٥ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، ابن تيمية.

٦ ـ «شرح الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العزّ الحنفي.

٧ ـ «فضائل القرآن الكريم»، لعبد السلام الجار الله.

٨ ـ «القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم» (ج١)، لمحمد هشام طاهري.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥، ١٢)، لابن تيمية.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج١، ٣)، لحافظ الحكمي.

= والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٢٣/ ٣٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

القرب

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد»[(١)].

القرب نقيض البعد، والتقرب عكس التَّنائي والابتعاد، وقرُب الشيء بالضم يقرب قُربًا وقُربانًا؛ أي: دنا؛ في الزمان أو المكان أو في النسبة أو في الحظوة أو في الرعاية أو في القدرة[(٢)]، وقال الجوهري: «قَرُبَ الشيء بالضم يَقْرُبُ قُرْبًا؛ أي: دنا»[(٣)].

التعريف شرعًا:

القرب صفة من صفات الله ﷻ الخبرية الاختيارية الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع. يقرب ممن شاء من خلقه كيف شاء[(٤)].

الأسماء الأخرى:

التقرب، الدنو.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والسُّنَّة عليها، ويجب إثباتها لله

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٣٧٩) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٦٣، ٦٦٤) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، لسان العرب (٦/ ١٨٧) [دار صادر، ط١].
(٣) الصحاح (١/ ١٩٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

الأدلة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ٦١﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ٥٠﴾ [سبأ].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم**» الحديث[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ فأكثروا الدعاء**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال الحافظ زكريا بن يحيى الساجي الشافعي: «القول في السُّنَّة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: أن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء»[(٣)].

وبوّب الإمام الحافظ ابن منده في كتاب التوحيد بابًا بعنوان: «ذكر صفة جاءت عن النبي ﷺ على معنى القرب والبعد من الله عز وجل، وذكر خبر آخر يدل على الدنو من الله عز وجل». وذكر فيه جملة من الأحاديث الواردة في هذا المعنى[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما دنوّه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»[(٥)].

الأقسام:

إن قرب الله سبحانه وتعالى **من عباده على** قسمين:

أ ـ القرب صفة فعلية اختيارية من جنس النزول والدنو، فهي تقوم به سبحانه وتعالى.

ب ـ القرب الخاص بالداعين والعابدين، فهو سبحانه قريب منهم

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٤٦٦) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم ٢٧٠٤).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٢).
(٤) نقله عنه الذهبي في العلو للعلي الغفار (١٥٠) [المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط٢، ١٣٨٨هـ].
(٥) كتاب التوحيد (٣/ ١٢٥ ـ ١٢٧) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤١٣هـ].

بإثابته وإجابة دعائهم[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: القريب اسم من أسماء الله:

وقد ورد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم والأحاديث النبوية بصيغة الاسم في مواضع عديدة، وذكره أكثر أهل العلم الذين اعتنوا بأسماء الله الحسنى وصنفوا فيها[(٢)].

ـ المسألة الثانية: الأقرب أفعل تفضيل من القرب:

وقد ورد هذا اللفظ في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فذكر الحديث، وفيه: «**والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**»[(٣)].

وقد أثبت ابن الوزير[(٤)] اسم (الأقرب) لله تعالى، وكل من ذكر أسماء الله تعالى الحسنى لم يذكر (الأقرب) ضمن أسماء الله إلا ابن الوزير كما سبق، وعلَّلوا ذلك أن من ضوابط أسماء الله الحسنى كون أسماء الله توقيفية؛ أي: يجب الوقوف في أسماء الله على القرآن والسُّنَّة، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، لا نزيد على ذلك ولا ننقص منه، وما وضعه بعض العلماء من أسماء أخذت من أوصاف وأفعال لله هي عبارة عن اجتهادات منهم، لم يسم الله بها نفسه، ولم يسمه بها نبيِّه ﷺ، وإنما وضعوها اشتقاقًا من فعله ووصفه، وهذا مخالف لكون الأسماء الحسنى توقيفية على النص.

ـ المسألة الثالثة: يختلف معنى القرب في النصوص الشرعية باختلاف السياق:

لا بدَّ من النظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، وهذا أصل عظيم ونافع جدًّا في فهم الكتاب والسُّنَّة والاستدلال بهما، فالنصوص الدالة على قرب العبد من ربه أو قرب الرب من بعض خلقه لا بدَّ من النظر فيها أيضًا من هذا الجانب؛ لأنه قد يراد بها القرب الذاتي وقد يراد بها غير ذلك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه، بل يبقى هذا من

(١) مجموع الفتاوى (٥/٤٦٦).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٥/٦٣٠)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٤٥) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى للقحطاني (١١٨) [مؤسسة الجريسي، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة لعالم عبد الله فالح (٣٣٤) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٨٦) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠٤).

الأمور الجائزة، وينظر في النص الوارد؛ فإن دل على هذا حمل عليه، وإن دل على هذا حمل عليه، وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء»[(١)]. فالإتيان والمجيء قد يراد به إتيان الرب تعالى ومجيئه سبحانه، وقد يراد به إتيان عذاب الله أو آياته، فكذلك الشأن في النصوص الواردة في القرب، فقد يراد بها قرب الملائكة، وقد يراد بها قرب العبد من ربه أو قرب الرب جل وعلا من بعض عباده، فلا بدَّ من الانتباه لذلك.

ومن ذلك القرب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة] فالمراد به قرب الملائكة؛ لأن السلف فسَّروا القرب في هاتين الآيتين على معنى قرب الملائكة، ولأن الله تعالى ذكر العلم ثم ذكر القرب فلا يصح تفسيره بالعلم، ولأنه مقيد بزمان تلقي الملكين وبزمان الاحتضار والله عز وجل قادر على كل شيء، وهو سبحانه عالم بالظاهر والباطن في جميع الأحوال وليس ذلك مقصورًا على الميت ولا على زمان الاحتضار وتلقي الملكين، ولأن الله ذكره بصيغة الجمع، فلا شك أن المراد به قرب جنوده من الملائكة[(٢)].

«وهذا التفسير ليس صرفًا للكلام عن ظاهره لمن تدبره، أما الآية الأولى فإن القرب مقيد فيها بما يدل على ذلك، حيث قال: ﴿...وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، ففي قوله: (إِذْ يَتَلَقَّى) دليل على أن المراد به قرب الملكين المتلقيين.

وأما الآية الثانية: فإن القرب فيها مقيد بحال الاحتضار، والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام]، ثم إن في قوله: دليلًا بيّنًا على أنهم الملائكة؛ إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره، وهذا يعيِّن أن يكون المراد قرب الملائكة لاستحالة ذلك في حق الله تعالى»[(٣)].

---

(١) إيثار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ١٤).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٥ ـ ٣٦)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٥/ ٤٩٤ و٦/ ١٩ ـ ٢٠)، ومختصر الصواعق (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩) [مكتبة الرياض الحديثة، =

- **المسألة الرابعة: صفة القرب لا تنافي علوَّ الله ﷻ:**

إثبات صفة القرب لله تعالى لا يُنافي ما هو معلوم من علوّه تعالى فوق عرشه، فسبحان من هو عليّ في دنوه قريب في علوه، والذي يُسهِّل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الربِّ؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى؛ ثم يهزهنَّ، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش؟ فإن الله ﷻ ليس كمثله شيء، ولا يجوز أن تقاس ذاته على ذوات خلقه، أو فعله على أفعالهم، وهذا القياس الباطل هو الذي أوقع العديد من أهل البدع في نفي صفة القرب عن الله ﷻ؛ وذلك أنهم لم يفهموا من القرب إلا ما هو اللائق بالمخلوق مما يقتضي الحلول والمماسة، فزعموا أن الله ﷻ منزَّه عن ذلك فنفوا قربه ﷻ من خلقه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل هذا أن قربه ودنوَّه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش بل هو فوق العرش، ويقرب من خلقه كيف شاء، كما قال ذلك من قاله من السلف، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة»[(١)].

- **المسألة الخامسة: معنى القرب الوارد في حديث: «إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا»[(٢)]:**

فسَّر جماعة من أئمة السلف قرب الله تعالى من عباده بالإثابة والأجر، وليس هذا تأويلًا منهم لظاهر النص.

قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: «من تقرَّب إلى الله شبرًا بالعمل تقرب الله إليه بالثواب باعًا»[(٣)].

و«لا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع بل ظاهره هو المعنى الحق، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة، لكن قد يقال: عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسية العقلية، وهو أن العبد يعلم أن تقربه ليس على هذا الوجه، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا، يقال: هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية»[(٤)].

= ط ١٣٤٩هـ]، وعلوّ الله على خلقه لموسى الدويش (٢٦٩ ـ ٢٧٧) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٢٣هـ].

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (٦٥) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) مسائل الإمام أحمد وإسحاق للكرماني (٣٤٥).

۞ الثمرات:

قُرب الله ﷻ من الداعين والمحسنين وعباده الصالحين الذي دلَّت عليه نصوص القرب تظهر آثاره من لطفه بهم، وتوفيقه لهم، وعنايته بهم، ونصره وتأييده لهم، وإجابة دعواتهم، وجزيل ثوابه وعطائه لهم؛ إذ قربه تعالى يقتضي إلطافه ﷻ، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه القريب اسمه المجيب[(١)].

۞ الآثار:

- إيمان العبد ويقينه بقرب الله ﷻ منه وما يترتب على هذا القرب من المحاسن والمكارم يحمله على سلوك سبيل هؤلاء الداعين المحسنين أهل الصراط المستقيم حتى يظفر بهذه المِنح الإلٰهية والعطايا الربانية.

- ومن آثاره أيضًا: محبته سبحانه والأنس به؛ لأن الإيمان بقربه سبحانه القرب الخاص المستلزم للرحمة، وإجابة الدعوة، واللطف بعبده يثمر المحبة والطمأنينة والأنس به سبحانه، وطلب العون منه وحده، وحسن رجائه، وعدم اليأس من رحمته، والتضرع إليه في جميع الأحوال.

- كما أن إيمان العبد ويقينه بقرب الله ﷻ منه يحمله على البعد عن كل ما يسخط الله ﷻ ويغضبه؛ لأنه سبحانه وتعالى قريب منه مطلع عليه يعلم كل صغيرة وكبيرة تصدر منه، ولا يخفى عليه شيء من حاله في سرّه وعلانيته؛ فيحمل ذلك كله العبد على تعظيم الله ﷻ والخوف من أليم عقابه وسرعة انتقامه[(٢)].

۞ مذهب المخالفين:

القرب من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. فالفلاسفة يؤوِّلون قرب العبد من الرب بمعنى إزالة النقائص والعيوب عن نفسه وتكميلها بالصفات الحسنة الكريمة حتى تبقى مقاربة للرب مشابهة له من جهة المعنى، ويزعمون أن الفلسفة هي التشبه بالإلٰه على قدر الطاقة، فهٰؤلاء لا يثبتون القرب الحقيقي ـ وهو القرب المعلوم المعقول ـ[(٣)] مع دلالة النصوص الشرعية عليه فهو قول باطل.

وكثير من أهل الكلام يزعمون أن الله ليس على العرش وأن العبد لا يتقرب

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٦/١٠٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٨٥، ١٨٦) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٥١ ـ ٢٥٣) [دار التوحيد، ط١].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٦ و١٢).

إلى ذات الله تعالى، وإنما هو يتقرب ببدنه وروحه إلى الأماكن المفضلة.

ومنهم من يجعل هذا التقرب إلى ثواب الله وإحسانه وليس إليه سبحانه[(١)]، وهذا أيضًا باطل؛ لأن ثواب الله وإحسانه يصل إليهم ويصلون إليه، ويباشرهم ويباشرونه بدخوله فيهم ودخولهم فيه بالأكل والشرب، فإذا كانوا يكونون في نفس جنته ونعيمه وثوابه فكيف يجعل أعظم الغايات قربهم من إحسانه؟ ولا سيما المقربون؛ فهم فوق أصحاب اليمين الأبرار الذين كتابهم في عليِّين، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين]: فقد أخبر الله ﷻ أن الأبرار في نفس النعيم، وأنهم يسقون من الشراب الذي وصفه الله تعالى بما وصفه به في الآيات المذكورة، وأنهم يجلسون على الأرائك ينظرون. فكيف يقال: إن المقرَّبين الذين هم أعلى من هؤلاء، بحيث يشربونها صرفًا ويمزج لهؤلاء، إنما تقريبهم هو مجرد النعيم الذي أولئك فيه؟ هذا مما يعلم فساده بأدنى تأمل[(٢)].

(١) انظر: المرجع السابق (٦/ ٧ و١٢).

والقول الحق: إنما هو قول أهل السُّنَّة والجماعة الذين يثبتون أن الله على العرش، وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إليه من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قربًا إلى ربه بعروجه وصعوده، وكان عروجه إلى الله لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان بدنه على الأرض متواضعًا[(٣)]، وهذا الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، فيجب ثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٢ ـ «بدائع الفوائد» (ج٣)، لابن القيم.

٣ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٦)، لابن تيمية.

٤ ـ «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

(٢) انظر: المرجع السابق (٦/ ١٢، ١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٧)، وعلو الله على خلقه للدويش (٢٦٨ ـ ٢٦٩) [مكتبة العلوم والحكم، بالمدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ].

٥ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لسعيد بن علي القحطاني.

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ ـ «علو الله على خلقه»، لموسى بن سليمان الدويش.

٩ ـ «العلو للعلي الغفار»، للذهبي.

١٠ ـ «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

١١ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

١٢ ـ «كتاب النعوت الأسماء والصفات»، للنسائي.

١٣ ـ «كتاب التوحيد» (ج٣)، لابن منده.

١٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤ و٥ و٦)، لابن تيمية.

١٥ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، للموصلي.

القريب

يراجع مصطلح (القرب).

القرين

التعريف لغةً:

القرين: هو المصاحب، يقال: اقترن الشيء بغيره؛ أي: صاحبه. قال ابن فارس: «القاف والراء والنون أصلانِ صحيحان، أحدهما يدلُّ على جَمع شيءٍ إلى شيء، والآخَر شيءٌ ينْتَأ بقُوّة وشِدّة. فالأوّل: قارنتُ بين الشَّيئين»[(١)].

وقال الراغب: «الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني، قال: ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۝٥٣﴾ [الزخرف]، يقال: فلان قِرن فلان في الولادة، وقرينه وقرنه في الجلادة وفي القوة وفي غيرها من الأحوال»[(٢)].

التعريف شرعًا:

قرين الإنسان: «مصاحِبُه من الملائكة والشياطين، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثّه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثّه عليه»[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي خصص المعنى اللغوي

(١) مقاييس اللغة (٨٨٣) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].
(٢) المفردات (٦٦٧) [دار القلم، ط٣، ١٤٢٣هـ].
(٣) النهاية في غريب الحديث (٢/٤٤٧) [دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٧هـ].

للقرين من كل مصاحب بالمصاحب الخفي من الملائكة والشياطين.

سبب التسمية:

أن القرين يصاحب الإنسان ويرافقه ويقارنه ويلازمه.

الحكم:

يجب الإيمان بوجود قرين مع كل إنسان للأدلة الواردة في ذلك، منها حديث: «...**وقد وكّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**»[(١)].

الحقيقة:

وجود داعٍ حقيقي من الملائكة والجن مع كل البشر يدعوه إلى الخير أو الشر.

الأدلة:

الأدلة على وجود القرين مع الإنسان كثيرة؛ منها[(٢)] قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]، وقوله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾ [فصلت: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٣٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [ق]، قال جمع من المفسرين: المراد بالقرين الأول: الملك الموكّل به، والقرين الثاني: الشيطان الموكل به[(٣)].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك؟ يا رسول الله! قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم**[(٤)]**، فلا يأمرني إلا بخير**»، وفي رواية: «**وقد وكّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**»[(٥)]. وفي رواية أخرى من حديث عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟ قال: «**نعم**»، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «**نعم**»[(٦)].

(١) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٤).

(٢) انظر مجموعة من الأدلة على ذلك في: غرائب وعجائب الجن (أكام المرجان للشبلي) (٤٠) [مكتبة القرآن، ٢٠٠١م]، وعالم الجن والشياطين (٦٥) [قصر الكتاب، ١٩٧٨م].

(٣) تفسير الطبري (١٣/ ٢٠١، ٢٠٣) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ]، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/ ١٩١، ١٩٢) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٤) فأسلم: روي بضم الميم وفتحها، والمعنى بضم الميم؛ أي: أنا أسلمُ من شرِّه، والمعنى بالفتح: أسلمَ هو من كفره فصار مسلمًا، وفسره البعض بأنه استسلم وخضع وانقاد. انظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٣) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وشرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٥) [دار المعرفة، ط١٢، ١٤٢٧هـ].

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨١٥).

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «كل إنسان معه قرينه من الملائكة، وقرينه من الجن، وهو نفسه لا يرى ذلك، ولا يراه من حوله»(١).

وقال ابن كثير: «القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الإنسان، وإنما هو موكل به ليهديه، ويرشده بإذن ربه إلى سبيل الخير، وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهدًا في الخبال والإضلال، والمعصوم من عصمه الله ﷻ»(٢).

وقال ابن باز: «ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن كل إنسان معه قرين من الملائكة وقرين من الشياطين»(٣).

الأقسام:

القرين على قسمين:

١ ـ قرين السوء وهو الشيطان يأمر الإنسان بالشر ويحثه عليه.

٢ ـ قرين الخير وهو الملك يأمره بالخير ويحثه عليه(٤).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: قد يخبر القرين الجني صاحبه الكاهن ببعض الأخبار التي لم يطلع عليها الحاضر:

ينال الجني علمه باستراق السمع أو المجيء من أماكن الأخرى؛ إذ هم سريعو التنقل(٥)، فيخبر بها الكاهن فيكذب معه مائة كذبة كما في حديث: «يا رسول الله، إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقًّا، قال: «**تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة**»(٦).

ـ المسألة الثانية: ملازمة القرين صاحبه:

لقول النبي ﷺ: «**وقد وكّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**»(٧)، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦﴾ [الزخرف].

ـ المسألة الثالثة: هل القرين يتشكل بصورة الميت فيما يسمى بتحضير الأرواح؟

فيقال: نعم، ودعوى تحضير الأرواح والسحر وجهان لعملة واحدة، ويفسر ما يفعله مدعي إحضار الأرواح بأحد تفسيرين؛ إما هو يسحر أعين الناس

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٤/٢٨٨) [ط٢، ١٤١٩هـ].
(٢) البداية والنهاية (١/٥٢) [دار الفكر، عام١٤٠٧هـ].
(٣) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/٣٠٢) [الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط١، ١٤٢٧هـ].
(٤) النهاية في غريب الحديث (٢/٤٤٧)، وفتاوى نور على الدرب (١/٢٢٣) [الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٥) فتاوى نور على الدرب (١/٢٢٣).
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢١٣)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٢٨).
(٧) تقدم تخريجه.

فيوهمهم أن روح الميت حضر ويتكلم ويُرى، وإما يستعين بالجن فيتشكل قرين الميت بشكل الميت ويتكلم باسم الميت، وثبت تشكل الجن بأشكال الإنس[(١)]، كما في غزوة بدر وغيرها من الوقائع، إلا أنه لا سلطان لأحد على الأرواح بعد موتها، كما يعلم ذلك من قوله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، فالروح محكومة بأمر الله لا يستطيع أحد إحضارها، ولم يستحضرها الأنبياء والرسل مع كونهم أفضل البشر؛ فليس بإمكان أحد أن يسيطر على الروح وأن يستحضرها!.

- المسألة الرابعة: معنى قول النبي ﷺ: «أعانني عليه فأسلم»:

اختلف العلماء في الفعل (أسلم)؛ أهو ماضٍ أم مضارع، فبتقديره فعلًا ماضيًا يكون المعنى إن قرينه أسلمَ؛ أي: دخل في الإسلام، وبتقديره مضارعًا يكون المعنى: فأنا أسلمُ؛ أي أن الله تعالى أعانه عليه فَيَسْلَمُ النبي ﷺ من شره، وأن القرين ما صار مسلمًا[(٢)]. قال ابن تيمية: «والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد»[(٣)]، وقال أيضًا: «وكان ابن عُيينة يرويه: «فأَسَلَمُ» بالضم، ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: «فلا يأمرني إلا بخير» دل على أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله»[(٤)].

الفروق:

الفرق بين المس والقرين:

القرين هو الداعي الخفي المصاحب للإنسان الآمر بالشر أو الخير، وأما المس فهو تسلط الجن على الإنسان فيحرك جوارحه بإرادة الجن دون إرادة الإنسان[(٥)].

الآثار:

على الإنسان آثار قرينه السوء؛ إذ هو الداعي الخفي إلى الشر، ويكون لقرينه من الملائكة آثاره الطيبة؛ إذ هو الداعي الخفي إلى الخير[(٦)]، كما قال النبي ﷺ: **«إن للشيطان لَمّة بابن آدم، وللملك لَمّة،**

(١) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان (٤)، وفتاوى نور على الدرب (١/ ٢٣٠).

(٢) انظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ١٥٥) وآكام المرجان في أحكام الجان (١/ ٥١ ـ ٥٢).

(٣) منهاج السُّنَّة (٨/ ٢٧١).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧/ ٥٢٣).

(٥) انظر: الفرقان لابن تيمية (٧٧) [مكتبة المعارف، ١٤٠٤هـ]، والرد على المنطقيين (٤٧) [إدارة ترجمان السُّنَّة، ط٢، ١٣٩٦هـ]، وفتاوى نور على الدرب (١/ ٢٢٣، ٢٣٣)، والأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان والرد على المنكرين (٢) [بحث في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، العدد ٢، ٢٠٠١م].

(٦) انظر: فتاوى نور على الدرب (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٥).

فأما لمَّة الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمة الملك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨]»[١].

الحكمة:

الحكمة من وجود القرين هو الابتلاء من الله ﷻ لعبده والإحسان إليه؛ حيث جعل معه داعيًا خفيًّا يرغّبه في الشر ويحثه عليه، كما أنه جعل معه داعيًا خفيًّا يرغبه في الخير ويحثه عليه.

مذهب المخالفين:

أنكرت الفلاسفة وجود قرين وذلك تبعًا لإنكارهم وجود الجن[٢].

الردّ عليهم:

القرين ثابت بالقرآن والسُّنَّة والإجماع، ولم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، وهذا كافٍ في الردّ على من أنكر وجودهم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأدلة الشرعية في إثبات صرع الشيطان للإنسان والرد على المنكرين»، لصالح الرقب.
٢ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج١٣)، لابن كثير.
٣ ـ «جامع البيان» (ج١٣)، للطبري.
٤ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج١٩)، للقرطبي.
٥ ـ «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.
٦ ـ «عالم الجن والشياطين»، للأشقر.
٧ ـ «غرائب وعجائب الجن»، للشبلي.
٨ ـ «فتاوى نور على الدرب» (ج١)، لابن باز.
٩ ـ «فتح الباري» (ج١)، ابن رجب.
١٠ ـ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، ابن تيمية.

القصاص

التعريف لغةً:

القاف والصاد أصل صحيح يدلّ على تتبُّع الشّيء، ومن ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر؛ إذا تتبَّعتَه، ومن ذلك اشتقاقُ القِصاص في الجِراح، وذلك أنَّه يُفعَل بهِ

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٢٩٨٨) وحسّنه، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٩٩٧)، وضعفه الألباني في تعليقه على سنن الترمذي. وأخرجه الطبري في التفسير (٥/ ٥٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، وذكر أن له حكم الرفع، وصححه الألباني أيضًا. انظر: تراجع العلامة الألباني (رقم ٦٠٤) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩/ ٣٢) [مجمع الملك فهد، ١٤١٥هـ]. وانظر: أكام المرجان (١٨)، وروح المعاني للألوسي (١٦/ ١٤٢).

مثلُ فِعلِهِ بالأوّل، فكأنَّه اقتصَّ أثره[(١)].

۞ التعريف شرعًا:

الاقتطاع للمظلوم من الظالم بقدر مظلمته إيّاه، فإن وفّت وإلا طرح عليه من سيئاته بقدر ما بقي منها، وأما الدواب فبأن يفعل المعتدى عليه منها بالمعتدي جنس ما فعل به.

۞ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

التعريف الاصطلاحي لم يخرج عن اللغوي، إلا أنه اقتصاص مخصوص بقيود معينة.

۞ سبب التسمية:

موافقة لما يحدث يوم القيامة بين الناس من المقاصة بالحسنات والسيئات؛ إذ لا دينار ولا درهم، جراء المظالم التي كانت بينهم في الدنيا في الأموال والأعراض ونحو ذلك، وما يحدث بين الحيوانات من المقاصة بجنس العمل جراء اعتداء بعضها على بعض.

۞ الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص عليه.

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٧) [دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ]، تهذيب اللغة (٨/ ٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والتعريفات ص٢٢٥ [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١١٣) [دار الفكر].

۞ الحقيقة:

لبيان عدل الله بين خلقه فإنه سبحانه جعل الاقتصاص بين الخلائق يوم القيامة، ولا تظلم نفس شيئان وإن كان مثقال ذرة أتى بها الله تعالى، وكفى به سبحانه حسيبًا.

۞ المنزلة:

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

۞ الأدلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر] عن الزبير بن العوام، قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر]، قال الزبير: أي رسول الله ﷺ، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: **«نعم، ليكررن عليكم، حتى يؤديَ إلى كل ذي حق حقه»**، فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد[(٢)].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١/ ٣٤٦، ٣٥٣) [دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٢٩٨١) وصححه، وصحح إسناده أحمد شاكر في حاشيته على المسند (٣/ ٣، ٢١) [دار المعارف، ط ١٣٧٥هـ]، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٤٠).

وقال ﷺ: «ما من رجل تكون له إبل، أو بقر، أو غنم لا يؤدي حقها، إلا أتي بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها، وتنطحه بقرونها، كلما جازت أُخراها رُدَّت عليه أُولاها حتى يقضى بين الناس»(١).

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(٢).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ الله: «والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم؛ بني آدم، والسباع، والهوام، حتى للذرة من الذرة، حتى يأخذ الله عَزَّ وَجَلَّ لبعضهم من بعض؛ لأهل الجنة من أهل النار، وأهل النار من أهل الجنة، وأهل الجنة بعضهم من بعض، وأهل النار بعضهم من بعض»(٣).

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: إن أمة محمد ﷺ تتقدم الأمم المقضي لهم يوم القيامة:**

لقوله ﷺ: «**نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**»(٤).

- **المسألة الثانية: إن الدماء أول شيء يقع فيه القصاص يوم القيامة:**

لقوله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(٥).

- **المسألة الثالثة: إن القصاص بين العباد يوم القيامة يكون بالحسنات والسيئات، ويسقط بالتحلل من المظالم في الدنيا:**

لقوله ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلّله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه**»(٦).

- **المسألة الرابعة: إن القصاص بين المؤمنين يكون على القنطرة وقبل الاستقرار في الجنة؛** قال ﷺ: «**يَخلُص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»(٧).

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ٩٩٠).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٨٢).
(٣) شرح السُّنَّة (٨٦) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٤هـ].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٦).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٣)، ومسلم (كتاب القسامة، رقم ١٦٧٨)، واللفظ له.
(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٤).
(٧) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

ـ المسألة الخامسة: إن القصاص بين الحيوان وغيرها من الدواب قصاص مقابلة؛ إظهارًا لعدل الله تعالى؛ قال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[١].

وقد علق الإمام النووي على الحديث بقوله: «وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة»[٢].

وقال ابن حجر الهيتمي: «فهذا من الدليل على القصاص بين البهائم، وبينها وبين بني آدم، حتى الإنسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوَّعها، أو عطَّشها، أو كلَّفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بنظير ما ظلمها أو جوَّعها، ويدل لذلك حديث الهرة[٣]»[٤].

الثمرات:

القصاص من الأمور التي تسقط بها العقوبة الأخروية بالنار، قال شيخ الإسلام: «إن الذنوب مطلقًا من جميع المؤمنين هي سبب العذاب، لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب... السبب العاشر: ما ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة»[٥].

الحكمة:

من حكم القصاص إظهار عدل الله تعالى بين خلقه يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

مذهب المخالفين:

ذهب طائفة إلى إنكار حشر غير الثقلين من الدواب؛ لكونها ليست مكلفة ولا أهلًا للكرامة، والحديث الوارد في ذلك كناية عن العدل التام[٦].

ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن القصاص بين غير الثقلين قصاص مقابلة[٧] لا قصاص تكليف؛ ولأن القرآن قد دل على

(١) تقدم تخريجه.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٧).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٣١٨)، ومسلم (كتاب السلام، رقم ٢٢٤٣).
(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٦٨٩) [مكتبة النشر، ١٤٢٠هـ].
(٥) منهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ١٧٩ ـ ١٨٦) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ].
(٦) انظر: روح المعاني (٢٩/ ٥٢) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٨)، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣١٥) [دار قباء].
(٧) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية].

حشر غير الثقلين، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير]، ودلَّت السُّنَّة الصحيحة على حشرها والمقاصة بينها في غير ما حديث كما تقدم؛ وعليه فلا يجوز صرف النصوص عن ظاهرها وإلا كان تحريفًا لها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «التذكرة»، للقرطبي.

٢ ـ «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، الهيتمي.

٣ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٤ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٥ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية»، لابن تيمية.

القضاء والقدر

يراجع مصطلح (القدر).

القلم

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ الله: «القاف واللام والميم أصل صحيح يدل على تسوية شيء عند بريه وإصلاحه؛ من ذلك قَلَمت الظفر وقلَّمته، ومن هذا الباب سمِّي القلم قلمًا؛ قالوا: سُمي به؛ لأنه يُقلم منه، كما يُقلم من الظفر»[1].

القلم: الذي يكتب به، واحد الأقلام وقلام، والمقلمة: وعاء الأقلام، وتطلق الأقلام على السهام والقداح والأزلام، التي تجال بين القوم في القمار، أو القرعة[2].

التعريف شرعًا:

القلم: هو قلم القدر السابق، وهو الذي خلقه الله تعالى عند كتابة المقادير وأمره بكتابة مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، وهو القلم المُقْسَم به في القرآن[3].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ الله: «وأما القلم فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام: القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة»[4].

الحكم:

يجب الإيمان بالقلم، وأن الله خلقه وأمره بكتابة مقادير الخلائق، إلى قيام الساعة.

قال أبو عمرو الداني رَحِمَهُ الله: «ومن قولهم: إن الإيمان باللوح المحفوظ

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٥، ١٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الصحاح (٦/ ٢٠١٤) [دار العلم للملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، ولسان العرب (١١/ ٢٩٠) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن (٣٠٢) [دار عالم الفوائد، ط١]، وشرح الطحاوي لابن أبي العز (٢/ ٣٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ].

(٤) تفسير الطبري (٢٩/ ٢٢) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ].

وبالقلم واجب، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج]»[١].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم].

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله تعالى به»[٢].

ومن السُّنَّة: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم. فقال: اكتب. قال: ربِّ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[٣].

أقوال أهل العلم:

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: «ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن، ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٤].

وقال القاضي عياض رحمه الله: «وكتب الله ولوحه وقلمه وصحيفته التي ذكر الحديث من غيبه، وسر علمه الذي يلزمنا الإيمان والتصديق به، وكيفية صفة ذلك في علم الله جل جلاله، لا يحاط بشيء من علمه إلا بما شاء»[٥].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «فهذا القلم خلقه الله لما أمره بالتقدير المكتوب، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان مخلوقًا قبل خلق السماوات والأرض، وهو أول ما خلق من هذا العالم، وخلقه بعد العرش، كما دلَّت عليه النصوص، وهو قول جمهور السلف»[٦].

المسائل المتعلقة:

- أيهما خلق أولًا العرش أم القلم؟

اختلف أهل العلم في أيهما خلق أولًا: أهو القلم أم العرش؟ على قولين مشهورين:

القول الأول: أنه القلم؛ كما ذهب إليه بعض أهل العلم، بدليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه السابق.

القول الثاني: أنه العرش، وهو قول جمهور السلف، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم[٧].

---

(١) الرسالة الوافية (٦١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧/٣٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

(٤) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢/٣٤٤ ـ ٣٤٦).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/١٣٣) [دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/٢١٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٧) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/٢١٣)، =

واستدل أصحاب القول الثاني من السُّنَّة: بقول رسول الله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض**»(١).

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء**»(٢).

ووجَّهوا حديث عبادة بتوجيهين(٣):

أحدهما: إما أن يكون قوله: «إن أولَ ما خلق الله القلمَ» إلى آخره جملة واحدة وهو مروي بالنصب، وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب.

الثاني: وإن كان جملتين وهو مروي بالرفع؛ أي: «أولُ ما خلق الله القلمُ» فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، ليتفق الحديثان.

مذهب المخالفين:

خالف فلاسفة المتصوفة في المفهوم الشرعي للقلم، فقالوا: هو العقل الأول، موافقة للفلاسفة الملاحدة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمقصود هنا أن كثيرًا من كلام الله ورسوله، يتكلم به من يسلك مسلكهم، ويريد مرادهم، لا مراد الله ورسوله، كما يوجد في كلام صاحب الكتب المضنون بها وغيره، مثل ما ذكره في اللوح المحفوظ؛ حيث جعله النفس الفلكية، ولفظ القلم حيث جعله العقل الأول(٤). وسلك في هذه الأمور ونحوها مسالك ابن سينا»(٥).

وهذا القول معلوم البطلان بدلالة الشرع والعقل، وقد تقدم بيان المفهوم الشرعي للقلم من كلام أهل العلم والدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المسلمين يعلمون بالاضطرار أن النبي ﷺ لم يرد بالقلم ما تريده الفلاسفة بلفظ العقل»(٦).

المصادر والمراجع:

١ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج٨)، للقاضي عياض.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

= وشفاء العليل (١/ ٥٥) [دار العبيكان، ط١، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٣٤٥).

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٣) انظر: التبيان في أقسام القرآن (٣٠٤، ٣٠٥)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٣٤٥).

(٤) انظر: فيصل التفرقة ـ ضمن القصور العوالي ـ (١/ ١٣٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٥).

(٦) بغية المرتاد (٢٨٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط٣، ١٤٢٢هـ].

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي.

٤ ـ «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٧ ـ «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٨ ـ «العقيدة الطحاوية مع شرحها»، لابن أبي العز الحنفي.

٩ ـ «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد حكمي.

١٠ ـ «المباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ والقلم»، لعادل بن حجي.

القنطرة

التعريف لغةً:

القنطرة: الجسر، وما ارتفع من البنيان[١]. وقيل: ما يبنى على الماء للعبور عليه[٢].

التعريف شرعًا:

القنطرة: المكان الذي يحبس عليه بعض المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل دخول الجنة، للمقاصة فيما بينهم، وهي تتمة الصراط، وقيل: صراط ثان[٣].

الحكم:

الإيمان بوجود القنطرة التي يحبس عليه بعض المؤمنين بعد جواز الصراط وقبل دخول الجنة، لدلالة النصوص على ذلك.

الحقيقة:

يَخلُص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَخلُص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»[٤].

ولا يصح حديث: «إن الله تعالى

(١) انظر: لسان العرب (٥/١١٨) [دار صادر، ط٣].

(٢) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١/٤٠٨)، والقاموس المحيط (٥٩٩)، والمصباح المنير (٢/٥٠٨)، ومختار الصحاح (٥٦٠).

(٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٩٢) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (٥/١١٥، ١١/٤٠٦) [دار الريان، ط١، ١٤٠٧هـ]، ولوامع الأنوار (٢/١٩٠) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٣٥).

يجلس يوم القيامة على القنطرة التي بين الجنة والنار»[(١)]. ولا ما في معناه، ولا حديث: «إن لجهنم سبع قناطر»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإذا عبروا وقفوا على قنطرة بين الجنة النار، فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذن لهم في دخول الجنة»[(٣)].

وقال ابن القيم: «حتى إذا أهل الإيمان جاوزوا الصراط حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيهذبون وينقّون»[(٤)].

وقال ابن أبي العز: «ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[(٥)].

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٢٢١) [المكتبة العلمية، ط١]، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٢٧) [المكتبة السلفية، ط١]، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢/ ٩٥٠): «منكر».

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ١٠٧) [مطبعة الوطن العربي، ط١]، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٣١) [دار الكتاب العربي، ط٤، ١٤٠٥هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٧٠) [دار الفكر، ١٤١٣هـ]: «وفيه كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطي، وكلاهما وثق وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (٢٨٤).

(٤) إغاثة اللهفان (١/ ٥٦).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٢٧١). وانظر: ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٩٠).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: القصاص على القنطرة خاص بالمؤمنين:

دل حديث أبي سعيد رضي الله عنه المتقدم ذكره على أن القصاص على القنطرة خاص بالمؤمنين، وهذا من إكرام الله تعالى لأهل الجنة، فلا يشاركهم فيه أحد من الكافرين؛ ولأن القصاص بين الكفار، أو بين الكفار والمؤمنين قد سبق عبور الصراط في العرصات.

والحبس على القنطرة ليس بعام؛ بل خاصّ ببعض المؤمنين الناجين من الصراط، ممن عليهم حقوق وتبعات لإخوانهم، فهؤلاء يحبسون، حتى إذا هذبوا ونقوا دخلوا الجنة، وأما من لا مظلمة عليه لأحد، فظاهر الحديث الآنف أنه لا يوقف، ويؤكده دخول أقوام الجنة بغير حساب[(٦)].

ـ المسألة الثانية: موضع القنطرة:

ذكر بعض أهل العلم أنه يظهر من النصوص أن القنطرة على طرف الصراط من قبل الجنة، وقيل: إنها موضع بين الصراط والجنة[(٧)].

(٦) انظر: فتح الباري (٥/ ١١٦)، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ٣٣٦) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١١هـ].

(٧) انظر: فتح الباري (٥/ ٩٦، ١١/ ٣٩٩).

الآثار:

وللحبس على القنطرة وحصول المقاصة بين المؤمنين عدة فوائد؛ منها: إظهار عدل الله تعالى، وتطهير قلوب أهل الجنة من موجبات الغل، وتطهير النفوس الخبيثة قبل دخولها الجنة، وإسقاط العقوبات الأخروية بالنار[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.

٢ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.

٣ ـ «رسائل الآخرة» (ج٣)، للعبيدي.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لهراس.

٦ ـ «فتح الباري» (ج٥)، لابن حجر.

٧ ـ «لوامع الأنوار» (ج٢)، للسفاريني.

القنوت

التعريف لغةً:

القنوت مصدر قنت يقنت قنوتًا، ومعناه: الطاعة والخير في الدين، ثم أطلق على كل طاعة في طريق الدين قنوتًا، قال ابن فارس: «القاف والنون والتاء أصل صحيح، يدل على طاعةٍ وخير في دين، لا يعدو هذا الباب، والأصل فيه الطاعة»[(٢)].

ويطلق القنوت على معان كثيرة؛ كطول القيام في الصلاة، والسكوت فيها، والإقبال عليها، والخشوع فيها، قال الله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة]، كما يطلق على الدعاء في الصلاة، وإقامة الطاعة، وغير ذلك من المعان الكثيرة[(٣)].

التعريف شرعًا:

القنوت: هو «دوام الطاعة في خضوع وخشوع»[(٤)].

وقد تعددت عبارات العلماء في المراد بالقنوت في الشرع ـ تبعًا لتعدد معانيه في اللغة ـ على أقوال؛ **أهمها ما يلي**:

قال الراغب الأصفهاني: «القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع»[(٥)].

وقال الطبري: «إن أصل القنوت: الطاعة»[(٦)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/٤٩٣) قول أبي نضرة [دار الكتب العلمية، ط١]، والفتح (١١/٤٠٧)، والحسنة والسيئة (٩٩) [مكتبة المدني]، ومنهاج السُّنَّة (٦/٢٠٥ ـ ٢٣٨) [جامعة الإمام، ط١]، ورسائل الآخرة (٣/٥٧).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٣١) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]. وانظر: لسان العرب (٢/٧٣) [دار الفكر، ط١].

(٣) انظر: لسان العرب (٢/٧٣).

(٤) تفسير السعدي (١٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) المفردات، للراغب الأصفهاني (٦٨٤).

(٦) تفسير الطبري (٢/٥٧١) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].

وقال ابن كثير: «القنوت هو: الطاعة في سكون»[(١)].

وهذه التعاريف كلها متقاربة، تدل على أن المراد بالقنوت: دوام الطاعة مع الخضوع لله تعالى.

ويدخل في ذلك كل طاعة داوم عليها العبد، من صلاة، ودعاء، وخشوع، ونحو ذلك من أنواع الطاعة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان القنوت في اللغة يطلق على معان كثيرة، ترجع في أصلها إلى الطاعة، أطلق في الشرع على هذا الأصل لا سيما إذا اقترن بالخشوع والخضوع ونحوهما، مما يدل على الذل والانكسار لله تعالى.

الحكم:

لزوم القنوت لله بدوام الطاعة له سبحانه في سكون وخشوع وطمأنينة هو من أعظم الواجبات، وأجلّ القربات التي يسعى له كل طائع لله راغب في ثوابه، فالقنوت من أعمال القلب التي تدخل في باب الإيمان، فلا يصرف إلا لله تعالى[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة القنوت: هي طاعة الله تعالى، والخضوع والإذلال له سبحانه، فحقيقته تدور حول معنى: الخشوع، والخضوع، والإنابة، والطمأنينة.

والقانت لله تعالى هو الخاضع له بالطاعة، المذعن له بالعبودية، والمنيب إليه بالتوبة[(٣)].

والقنوت: لا يكون إلا اجتهادًا في الطاعة، واطمئنان القلب بالإيمان.

وقد تعددت معاني القنوت بتعدد سياقاتها في القرآن الكريم، فمرة يرد بمعنى السكوت، ومرة بمعنى الطاعة والعبادة، ومرة بمعنى الانقياد، وبكل واحد من هذه المعاني فُسر قول الله ﷻ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

المنزلة:

يعدُّ القنوت من أرفع أحوال العبودية وأسماها، فلا يتصف به إلا من اطمأن قلبه بالإيمان، واجتهد في تحقيق طاعة الرحمٰن، ومما يدل على علو منزلة القنوت أن صاحبه يخشع قلبه إذا ذكر الله، ويصبر على ما أصابه من نوائب الدهر ونكباته، ويداوم على إقامة الصلاة وعلى الإنفاق مما رزقه الله، ثم عاقبته الحميدة أن يكون من أصحاب الجنة الخالدين فيها.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٦).

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٦٤٨، ٦٤٩) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٣هـ]، وشفاء العليل (١٨٣).

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾ [البقرة]، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل]. وغيرها من الآيات.

ومن السُّنَّة حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفضل الصلاة طول القنوت**»[(١)].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: «**لا تستطيعونه**»، قال: فأعادوا عليه مرتين، أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «**لا تستطيعونه**»، وقال في الثالثة: «**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال القرطبي: «قيل: إن أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء، ومن حيث كان أصل القنوت في اللغة الدوام على الشيء، جاز أن يسمى مديم الطاعة قانتًا، وكذلك من أطال القيام والقراءة والدعاء في الصلاة، أو أطال الخشوع والسكوت، كل هؤلاء فاعلون للقنوت»[(٣)].

- وقال ابن حجر: «ذكر ابن العربي أن القنوت ورد لعشرة معان؛ فنظمها شيخنا الحافظ زين الدين العراقي، فيما أنشدنا لنفسه إجازة غير مرة:

ولفظَ القنوتِ اعدُد معانيَه تجدْ
مزيدًا على عشر معاني مرضيهْ
دعاء خشوع والعبادة طاعه
إقامتها إقراره بالعبوديه
سكوت صلاة والقيام وطوله
كذاك دوام الطاعة الرابح النيّه»[(٤)].

الأقسام:

يقسم العلماء القنوت إلى نوعين:

١ ـ قنوت خاص:

وهو طاعة الله تعالى، وهو قنوت اختيار، ولذا كان خاصًّا بالمؤمنين دون غيرهم، قال الله تعالى في وصف خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل]، وقال في حق مريم: ﴿وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم]، وقال تعالى

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٦).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٧٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ١٨٥).
(٤) فتح الباري لابن حجر (٢/ ٤٣٥) [دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ].

في وصف عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، وهذا النوع كثير في القرآن الكثير.

٢ ـ **قنوت عام:**

وهو إخضاع وإذلال، وهو قنوت إكراه، قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة]؛ أي: خاضعون أذلاء[1].

الآثار:

من آثار القنوت:

١ ـ أنه يدل على الصلاح والاستقامة على أمر الله تعالى.

٢ ـ أنه سبب لرضوان الله، ودخول الجنة.

٣ ـ أنه يورث السعادة في الدنيا والآخرة.

٤ ـ أن بالقنوت لله ولزوم طاعته تنال محبة الرب تعالى.

٥ ـ أنه سبب لدفع كيد الشيطان؛ لتعلق القانت بربه ولجوئه إليه[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إصلاح القلوب»، لعبد الهادي حسين وهبي.

٢ ـ «أعمال القلوب: حقيقتها وأحكامها عند أهل السُّنَّة والجماعة ومخالفيهم»، لسهل العتيبي.

٣ ـ «أعمال القلوب وأثرها في الإيمان»، لمحمد دوكوري.

٤ ـ «تفسير الطبري» (ج٢).

٥ ـ «تفسير القرآن»، لابن عثيمين.

٦ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٣).

٧ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية [رسالة في قنوت الأشياء].

٨ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج٤)، للقرطبي.

٩ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

١٠ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

القنوط

يراجع مصطلح (اليأس والقنوط).

القهار

يراجع مصطلح (القهر).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٢٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وتفسير السعدي (٦٤).

(٢) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ (٨/ ٣١٨٧) [دار الوسيلة، ط الرابعة].

القهر

التعريف لغةً:

القهر: الغلبة. قهره قهرًا: غلبه[١].

قال الليث: «القَهْرُ الغلبة والأخذ من فوق، والله القاهر القَهّار، قَهَر خَلْقَه بقدرته وسلطانه فصرَّفهم على ما أراد طوعًا أو كرهًا»[٢].

وقال ابن فارس: «القاف والهاء والراء كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على غَلَبة وعُلُوّ. يقال: قَهَرَه يَقهره قَهْرًا. والقاهر: الغالب»[٣].

وقال الزجاج: «القهر في وضع العربية الرياضة والتذليل، يقال: قهر فلان الناقة؛ إذا راضها وذلَّلها»[٤].

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية فعلية لله تعالى تدل على أنه عَزَّ وَجَلَّ نافذ أمره في جميع خلقه، فيحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويفعل ما يشاء، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه[٥]، وبأنه تعالى يقهر الجبابرة من عتاة خلقه[٦].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى الشرعي المتعلق بالله تعالى هو على غاية الكمال والجلال والإطلاق، بخلاف ما قد يكون للمخلوقين من قهر، فهو مقيد بمعنى دون معنى.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى متصف بالقهر، وأنه عَزَّ وَجَلَّ القاهر للجبابرة، وهو الواحد القهار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الحقيقة:

القهر صفة لله ذاتية فعلية تدل على خضوع جميع الكائنات لمراده عَزَّ وَجَلَّ، فهو المدبّر لها وحده، يحملهم على وفق مراده واختياره طوعًا وكرهًا، من غير أن يقدر أحد على ردِّ تدبيره، أو الخروج عن تقديره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ويدخل في هذا ما ذكره بعض أهل العلم في معنى هذا الاسم، أنه عَزَّ وَجَلَّ يقهر مخلوقاته بالموت والإفناء. ويقهر الجبابرة والعتاة من خلقه بالعقوبة، والمعاندين بما أقام من الآيات والدلائل على وحدانيته. فهو وحده سبحانه الذي خضعت له الرقاب، وعنت له الوجوه، ودانت له الخلائق وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه، وعظمته وعلوه وقدرته على الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت قهره وحكمه. وكونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القاهر يستلزم مجموعة من الصفات

---

(١) الصحاح (٢/ ٣٦٥)، القاموس المحيط (٦٠١).
(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٣٥).
(٣) مقاييس اللغة (٥/ ٣٥).
(٤) تفسير أسماء الله الحسنى (٣٨).
(٥) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٠)، الحق الواضح المبين للسعدي (٤٠).
(٦) شأن الدعاء للخطابي (٥٣).

الأخرى التي تدل عليها صفة القهر، وهي كمال حياته وعزّته وقدرته وقوته، وجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها الدالة على ربوبيته، كالخلق والإحياء والإماتة والنصرة والغلبة والملك ونحو ذلك[(١)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم].

أقوال أهل العلم:

قال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه تعالى: القاهر والقهار، ومعناه: يحييهم إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، ويمرضهم إذا شاء، ويصحهم إذا شاء، ويفقرهم إذا شاء، ويغنيهم إذا شاء، ولا يقدر أحد منهم ـ إذا حكم عليه بحكم ـ أن يزيل ما حكم الله به[(٢)].

قال أبو سليمان الخطابي: «هو الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة، وقهر الخلق كلهم بالموت»[(٣)].

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١٥٠)، والحق الواضح المبين للسعدي (٤٠).

(٢) الحجة (١/ ١٥٠).

(٣) شأن الدعاء (٥٣).

قال ابن القيم:

«وَكَذلِكَ القَهَّار مِنْ أَوْصَافِهِ
فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا
مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانِ»[(٤)]

قال السعدي: «القهار: لجميع العالم العلوي، والسفلي، القهار لكل شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلت لعزته وقوته، وكمال اقتداره، وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلت له جميع المخلوقات أو دانت لقدرته ومشيئته، مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اسم الله تعالى القهار:

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القهر والمتضمنة لها: اسمه تعالى (القهَّار)، القهار (فعّال) صيغة مبالغة من القهر، مشتق من الثلاثي: قَهَرَ الدال على الغلبة والعلو والتذليل، يقال: قَهَرَ يَقْهَرُ قَهْرًا، فهو قاهر؛ أي: غالب، وقهار مبالغة منه تقتضي تكثير القهر، وقُهِر الرجل: غُلِبَ[(٦)].

(٤) الكافية الشافية (شرح ابن عيسى ـ ٢/ ٢٣٢).

(٥) الحق الواضح المبين (٤٠).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/ ٨٠١) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن =

والقهار: اسم من أسماء الله الحسنى، الدال على خضوع جميع الكائنات لمراده ﷻ، فهو المدبّر لها وحده، يحملهم على مراده طوعًا وكرهًا من غير أن يقدر أحد على ردِّ تدبيره، أو الخروج عن تقديره ﷻ، فهو سبحانه وحده الذي يَقهر ولا يُقهر بحال[1].

ورد هذا الاسم في ستة مواضع من القرآن الكريم، ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد]. كما ورد في بعض طرق حديث تعيين الأسماء المشهور. وقد أورد هذا الاسم أغلب من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى والتصنيف في شرحها ما عدا جعفر الصادق وسفيان بن عيينة، والزجاجي، وصديق حسن خان[2].

ـ المسألة الثانية: اقتران اسم الله تعالى (القهار) باسمه (الواحد):

إن الله ﷻ هو الواحد القهار، ولم يرد اسم الله ﷻ: (القهار) في القرآن الكريم إلا مقرونًا باسم: (الواحد)؛ لأن القهّار لا يكون إلا واحدًا، لا كفء له ولا سَمِيّ ولا ندّ ولا مثيل، كما اقترن باسم: (الواحد)؛ للدلالة على أن الله هو وحده المستحق للعبادة والألوهية، وما سواه من الآلهة المزعومة فإنما هي مخلوقات عاجزة مقهورة، لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، فكيف تقهر غيرها، وبهذا جادل نبي الله يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف]. فحقيقتها أنها ليس لها من الألوهية سوى الاسم الذي أُعطي لها زورًا وبهتانًا، دون حجة ولا برهان: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

وبهذا يتبين التلازم بين التوحيد والإيمان باسم الله (القهار)، وأن من لازم الإقرار بتفرده بالقهر أن يفرده وحده بالعبادة، وبه يُعلم فساد الشرك بجميع صوره، إذ كيف يسوَّى المصنوع من تراب برب الأرباب؟ وكيف تسوَّى المخلوقات المقهورة بالله الواحد القهار؟

ـ المسألة الثالثة: اسم الله تعالى (القاهر):

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القهر والمتضمنة لها: اسمه تعالى (القاهر)، وقد ورد هذا الاسم في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾

= (٦٨٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٧٠) [دار إحياء التراث العربي].

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٢) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٥٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩]، وشرح أسماء الله الحسنى (١٣٦) [دار الإيمان، دار القمة].

(٢) معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

[الأنعام: ١٨]، كما ورد في بعض طرق حديث تعيين الأسماء الحسنى المشهور.

وهذا الاسم قد ذكره معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها، وأسقطه كل من: الزجاج، والخطابي، والزجاجي، وابن العربي، وابن سعدي[(١)].

- المسألة الرابعة: حكم تسمية المخلوق بالقاهر أو القهّار:

لا يجوز تسمية المخلوق بالقاهر أو القهّار؛ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما يُمنع تسمية الإنسان به: أسماء الربِّ تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد؛ ولا بالخالق ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالربِّ تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر؛ والأول والآخر والباطن وعلام الغيوب»[(٢)].

الفروق:

الفرق بين اسم الله (القاهر)، واسمه (القهّار):

القاهر اسم فاعل من القهر، والقهّار بوزن (فعّال) وهي صيغ مبالغة من اسم الفاعل (قاهر)، فهو يدل على نفس معنى القاهر مع المبالغة والزيادة، مما يقتضي تكثيرًا في القهر.

الثمرات:

١ ـ الخضوع والتذلل لله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه؛ فهو القهار الذي خضع له ما في السماوات والأرض.

٢ ـ زيادة الإيمان واليقين في قلوب المؤمنين حين تتعلق بالقهار الذي خضع له كل شيء، وبيده تصريف كل شيء، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

٣ ـ الرضا بما يقضي الله ويقدر؛ إذ إنه بحكمته وقهره يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويصل ويقطع، ويحيي ويميت، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه.

٤ ـ من آثار تعبد المسلم لله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الاسم خضوعه الكامل لله عَزَّ وَجَلَّ توحيدًا له في اسمه القاهر، وعدم الخوف أو الخضوع لمن سواه من المخلوقين الضعاف المقهورين.

٥ ـ ومنها الاستعلاء على الأعداء بعزة الإسلام ثقةً ويقينًا في ربه القاهر، مع ضرورة الأخذ بأسباب القوة والعزة التي تمكن من قهر هؤلاء الأعداء.

الآثار:

١ ـ الحكمة البالغة في شأن الخلق وتسيير أموره وتصريف شؤونه؛ فالله خالقه وقاهره، فكل الخلق مقهور بأمره.

---

(١) معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (١٢٥) [دار البيان، ط١، ١٣٩١هـ].

٢ ـ افتقار جميع المخلوقات لخالقها وباريها، فكلها ذالة لقهره وقوته وقدرته.

٣ ـ عقوبة الله تعالى للظالمين وانتقامه منهم؛ فهو القهار الذي لا يفلت من قهره أي ظالم، فهو يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج٢)، لابن عيسى.

٤ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيمي.

٥ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي (٥٣).

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٨ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

٩ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

القوة

التعريف لغةً:

القوة: تدلُّ على الشدة وهي خلاف الضعف، والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القُوَى، وهي جَمْعُ: قوةٍ، من قُوَى الحبل؛ أي: الطاقة من الحبل، والمُقْوِي: الذي أصحابُه وإبلُه أقوياء. والمُقْوِي: الذي يُقْوي وَتَرَه، إذا لم يُجِدْ إغارتَه فتراكبَتْ قُواه. ورجلٌ شديدُ القُوى؛ أي: شديدُ أسْرِ الخَلْق[(١)]، والقوة تستعمل أحيانًا بنفس معنى القدرة التي هي ضد العجز، وأحيانًا بمعنى الشدّة التي هي ضد الضعف[(٢)].

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية لله تعالى بأنه تعالى القوي القادر الكامل القدرة على كل شيء، فلا يعجزه شيء مهما كان[(٣)].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٣٦، ٣٧) [دار الجيل]، والصحاح (٦/٣١٩) [دار العلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (١٧١٠) [مؤسسة الرسالة].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/٣٦٧، ٣٦٨) [الدار المصرية]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٣، ٦٩٤) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/٧٧٤، ٧٧٥) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١/١١٧) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وشأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير أسماء الحسنى للزجاج (٥٤).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى المتعلق بالله تعالى هو على غاية الكمال؛ فلا يجتمع معه أي عجز، بخلاف ما إذا أضيفت القوة لغير الله تعالى، فإنها قوة متناهية، ومقيدة في حال دون حال[1].

الحكم:

وجوب الإيمان بصفة القوة لله تعالى، وأنها على غاية الكمال وتمام الاقتدار، فلا يعجزه تعالى شيء في الأرض ولا في السماء.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

(١) انظر: شأن الدعاء (٧٧).

أقوال أهل العلم:

قال أبو العباس ابن تيمية: «فقد سمى الله ورسوله ﷺ صفات الله تعالى علمًا وقدرة وقوة، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة، ونظائر هذا كثيرة»[2].

وقال ابن القيِّم:

«وهو القوي بقوة هي وصفه
وعليك يقدر يا أخا السلطان»[3]

وقال السعدي ـ عند ذكره لبعض الأسماء الحسنى وهي: العزيز، القوي، المتين، القدير ـ: «هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة، فهو تعالى كامل القوة، عظيم القدرة، شامل العزة»[4].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اسم الله (القوي):

من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القوة اسمه تعالى (القوي)، والقويّ بوزن (فعيل) صفة مشبهة من القوة[5].

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية (٢/ ٥٩).

(٣) متن القصيدة النونية (١٧٣) [مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط٢، ١٤١٧هـ].

(٤) الحق الواضح المبين للسعدي (٤٤).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٦٧، ٣٦٨) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٦) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٦/ ٢٤٦٩، ٢٤٧٠)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٦٩٣، ٦٩٤)، =

والقوي معناه: الموصوف بالقوة جَلَّ جَلَالُهُ، التام القوة، الذي لا يستولي عليه العجز أو الضعف بحال من الأحول، ولا يغلبه غالب، ولا يرد تقديره رادّ، ينفذ أمره ويمضي قضاؤه في خلقه، له مطلق الأمر والمشيئة في مملكته، والمخلوق وإن وُصِف بالقوة، فإن قوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة[1].

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال] «إن الله قوي لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادٌّ، يُنْفِذ أمره، ويُمضي قضاءه في خلقه»[2].

وقال ابن القيم: «القوي من أسمائه، ومعناه: الموصوف بالقوة»[3].

وقال أيضًا:

«وهو القوي بقوة هي وصفه
وعليك يقدر يا أخا السلطان»[4].

وقد ورد هذا الاسم في تسعة مواضع من القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال]، وقد اقترن في ستة مواضع منها باسم الجلال (العزيز)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

كما أن هذا الاسم ورد في معظم طرق حديث تعيين الأسماء المشهور، سوى طريق عبد العزيز بن الحصين[5].

كما أن أغلب من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها قد ذكره، ولم يسقطه سوى سفيان بن عيينة، والحليمي، والبيهقي.

وشواهد قوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقدرته تتجلى في مظاهر عدة، لعل أبرزها ما نشهده في هذا الكون من العظمة والسعة والإتقان التي تدل على عظمة خالقه وصانعه، وعظيم قوته وقدرته، وقيام السماوات والأرض وما فيهما بأمره وحفظه خير دليل على قوته وقدرته التي لا يعجزه فيها شيء، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فعّال لما يريد، لا يقع شيء في هذا العالم من حركة أو سكون، أو خفض أو رفع، أو عز أو

= والمعجم الوسيط (٢/ ٧٧٤، ٧٧٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وشأن الدعاء (٧٧)، واشتقاق أسماء الله (١٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٧)، وفقه الأسماء الحسنى (١٥٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ١٩).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٨) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٤) متن القصيدة النونية (١٧٣).

(٥) أخرج طريقه الحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان، رقم ٤٢).

وقد تقدم الكلام عن هذا الحديث في مصطلح (الأسماء الحسنى)، وبيان أن هذه الأسماء مدرجة في الحديث، ولا تصح مرفوعةً. والله أعلم.

وانظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤، ١٦١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٤٢) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ].

ذل، أو عطاء أو منع، إلا بإذنه.

ومن شواهد قوته نصره لأنبيائه وتأييده لأوليائه، وإهلاكه للظالمين، وانتقامه من المجرمين أعداء الأنبياء والصالحين، وما أحلّه بهم من أنواع العذاب والعقوبة.

ـ المسألة الثانية: تسمية الله تعالى بالأقوى:

عدَّ بعض أهل العلم من أسماء الله الحسنى الدالة على صفة القوة اسمه تعالى (الأقوى)، وهو أفعل تفضيل من القوة، والقوة تدل على شدة وخلاف ضعف[1]، ولم يذكر اسم (الأقوى) إلا ابن الوزير[2]، وهو ممن يتوسع في عدِّ الأسماء الحسنى، ومن المتقرر أن أسماء الله توقيفية؛ فلا يصح تسمية الله بما لم يرد في النصوص الشرعية، ولم يرد اسم (الأقوى) في النصوص بهذه الصورة، ولعله مأخوذ عند من أطلقه من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت: ١٥].

الفروق:

الفرق بين القوة والقدرة:

أولًا: «القدرة يقابلها العجز، والقوة يقابلها الضعف، والفرق بينهما أن القدرة يوصف بها ذو الشعور، والقوة يوصف بها ذو الشعور وغيره.

ثانيًا: أن القوة أخص: فكل قوي من ذي الشعور قادر، وليس كل قادر قويًّا»[3].

الثمرات:

لهذه الصفة العديد من الآثار التعبدية التي يحسن من العبد الالتفات إليها والالتزام بها، ومنها:

١ ـ التعبد لله تعالى بقوته، فيتوكل المؤمن عليه ويلتجئ إليه، ويستعيذ به، ويدعوه وحده لا شريك له.

٢ ـ قوة المؤمن من يقينه بقوة ربه ومولاه.

٣ ـ اليقين بوعد الله الصادق بأنه سبحانه ناصر عباده المؤمنين، وخاذل كل من يعاديه ويعادي أولياءه.

٤ ـ الافتقار إلى الله تعالى، وإظهار الضعف والتذلل والانكسار بين يديه.

٥ ـ البراءة من كل قوة إلا بالله تعالى، ودوام ذكر الله تعالى بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله).

٦ ـ طمأنينة المؤمن وطيب حياته؛ إذ إنه يأوي إلى القوي العزيز، فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ولا غالب لمن ينصره.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/٣٦) [دار الفكر]، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٧٤، ٢٧٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١]. ولسان العرب (١٥/٢٠٦) [دار صادر، ط١، ١٤١٠هـ].

(٢) إيثار الحق على الخلق (١٥٩) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٣) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥) [دار ابن الجوزي، ط٥، ١٤١٩هـ].

٧ ـ تحقيق الخوف من الله تعالى عبادة له؛ فهو القوي الشديد بطشه، والأليم أخذه.

٨ ـ أن في معرفة قوة الله ﷻ القوة التامة والكاملة تحمل العبد على تعظيم الله ﷻ وإجلاله، فالأمور كلها بيده، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى.

الآثار:

١ ـ قيام الكون كله بالعدل والحكمة والإتقان، فخالقه القوي ذو القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة على كل شيء.

٢ ـ العاقبة الحسنة التي يحظى بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم؛ فالله معهم، وهو ناصرهم ومؤيدهم، وقد قال سبحانه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٣ ـ عاقبة السوء والعذاب التي ينتهي إليها أعداء الرسل، فمن يحارب القوي العزيز فلن يجد إلا الهلاك والدمار، وقد قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝٢٠﴾ [الملك].

٤ ـ حياة الضيق والضنك، والرعب والخوف التي يعيشها من ابتعد عن الله تعالى، وأعرض عن هداه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٤ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٥ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج١)، عبد الله الغنيمان.

٦ ـ «الصفات الإلٰهية: تعريفها وأقسامها»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٨ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٢)، لابن تيمية.

٩ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

القوي

يراجع مصطلح (القوة).

القياس[1]

التعريف لغةً:

يقول ابن فارس: «القاف والواو

---

(١) تفصيل القول في القياس وأحكامه وشروطه وأركانه وحجيته وصوره... إلخ، مبسوط في كتب أصول الفقه وفي كتب المنطق، وإنما نذكر هنا ما يتعلق بالاعتقاد من ذلك.

والسين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على: تقدير شيءٍ بشيء، ثم يُصَرَّف فتقلبُ واوهُ ياءً، والمعنى في جميعِهِ واحد.

وتقلب الواوُ لبعض العِلَل ياءً فيقال: بيني وبينه قِيسُ رُمْح؛ أي: قَدْرُه، ومنه القِياسُ، وهو تَقديرُ الشَّيء بالشيء، والمقدار مِقْياسٌ. تقول: قَايَسْتُ الأمْرَينِ مُقايَسَةً وقياسًا»[(١)].

«وقِسْتُ الشيء بغيره وعلى غيره أَقِيسُ قَيْسًا وقِياسًا فانقاس؛ إذا قدَّرته على مثاله»[(٢)].

التعريف اصطلاحًا:

تعريف القياس اصطلاحًا يختلف باختلاف أنواعه، وهو على نوعين:

١ ـ **قياس التمثيل**، ويسمى: القياس الفقهي، كما يسمى: قياس الشاهد على الغائب.

وتعريفه: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما[(٣)].

٢ ـ **قياس الشمول**، ويسمى: القياس المنطقي.

ويعرفونه بأنه: قول مؤلف من قضايا، إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية موضحًا معنى القياسين: «قياس الشمول هو: انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره، والحكم عليه بما يلزم المشترك الكلي، بأن ينتقل من ذلك الكلي اللازم إلى الملزوم الأول ـ وهو المعيَّن ـ فهو انتقال من خاص إلى عام، ثم انتقال من ذلك العام إلى الخاص، من جزئي إلى كلي، ثم من ذلك الكلي إلى الجزئي الأول، فيحكم عليه بذلك الكلي.

وأما قياس التمثيل، فهو: انتقال الذهن من حكم معين إلى حكم معين؛ لاشتراكهما في ذلك المعنى المشترك الكلي؛ لأن ذلك الحكم يلزم ذلك المشترك الكلي»[(٥)].

وكلا القياسين من التمثيل والشمول يستعملان على وجهين:

الوجه الأول: قياس المساواة، وهو:

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٠) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) لسان العرب (٦/ ١٨٦) [دار صادر، ط١].

(٣) روضة الناظر (٢٧٥) [جامعة الإمام، ط٤، ١٣٩٩هـ]. وانظر: قواطع الأدلة للسمعاني (٢/ ٧٠) [دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ]، والبرهان للجويني (٢/ ٤٨٧) [دار الوفاء، ط٤]، ومعيار العلم في المنطق للغزالي (١٠٥) [المطبعة الغربية بمصر، ط٢، ١٣٤٦]، وطرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين (٢٨٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: التعريفات للجرجاني (٢٣٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٥٩٥) [دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ]، وإيضاح المبهم من معاني السلم (١٢) [مطبعة البابي الحلبي، ١٣٤٢هـ]، والمعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية (١٤٩) [المطابع الأميرية، ط ١٤٠٢هـ]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٢٠٧) [الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ].

(٥) الرد على المنطقيين (١١٩، ١٢٠) [دار المعرفة].

أن يكون الغائب مماثلًا أو مقاربًا للشاهد.

الوجه الثاني: قياس الأولى، وهو أن يكون الغائب أولى بالحكم من الشاهد[(١)].

والتحقيق أن حقيقة القياسين (قياس التمثيل وقياس الشمول) راجعة إلى معنى واحد، فحقيقتهما سواء، واختلافهما إنما هو في صورة الاستدلال، «وذلك أن قياس الشمول مبناه على اشتراك الأفراد في الحكم العام وشموله لها، وقياس التمثيل مبناه على اشتراك الاثنين في الحكم الذي يعمهما ومآل الأمرين واحد»[(٢)].

الحكم:

حكم استعمال القياس في العقيدة والتوحيد.

استعمال القياس فيما يتعلق بالله وصفاته على قسمين[(٣)]:

القسم الأول: أن يكون فيما بين صفات الله تعالى نفسها، فيجوز استعمال القياسين:

أ ـ قياس المساواة. ب ـ وقياس الأولى.

القسم الثاني: أن يكون فيما بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فلا يجوز استعمال قياس المساواة، وإنما يجوز في ذلك قياس الأولى.

وفيما يلي تفصيل ذلك وبيان أدلته وأمثلته وأقوال العلماء في كل قسم منه:

القسم الأول: أن يكون فيما بين صفات الله تعالى نفسها، وأفعاله.

أي: يكون في اعتبار شيء من صفات الله تعالى أو أفعاله ـ مما ينكره المخالف ـ بصفات أو أفعال أخرى مما يقر به المخالف.

والحكم في هذا القسم أنه يجوز استعمال القياسين:

أ ـ قياس المساواة.

ب ـ وقياس الأولى.

الأمثلة:

أ ـ مثال استعمال قياس المساواة في ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم]

فقاس النّظير على النّظير؛ ودلّ بفعله المتحقّق بالمشاهدة من إخراج وإحياء على بعث الأموات الَّذي استبعدوه وأنكروه؛ إذ الفعل الموعود نظير

---

(١) انظر: درء التعارض (١/٢٩)، و(٧/١٥٤، ١٥٥، ٣٢٢ ـ ٣٢٤، ٣٦٢، ٣٦٣) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٩٦) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وشرح العقيدة الأصفهانية (٧٤)، وآثار المثل الأعلى لعيسى السعدي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].

(٢) الرد على المنطقيين (٣٣٦٤ ـ ٣٣٦٥). وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٦/١٢٦).

(٣) انظر: آثار المثل الأعلى لعيسى السعدي.

الفعل المشاهد[(١)].

ب ـ ومثال استعمال قياس الأولى في ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران]، فقاس القدرة على خلق عيسى على القدرة على خلق آدم؛ لأنّ من قدر على الخلق من غير أب ولا أم فقدرته على الخلق بأمٍّ من غير أبٍ من باب أولى[(٢)].

القسم الثاني: أن يكون فيما بين صفات الخالق والمخلوق.

فلذلك حالتان:

الحالة الأولى: إن كان من باب قياس المساواة: فهو ممتنع ومحرم، بل هو من التمثيل والشرك بالله، سواء كان قياس تمثيل أو قياس شمول.

وعلى هذا تحمل أقوال السلف في المنع من القياس في العقيدة والتوحيد، وسيأتي بعضها.

(١) انظر: أعلام الموقعين (١/١٤٣، ١٤٤، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٦) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٦].

(٢) انظر: الجواب الصّحيح لمن بدل دين المسيح (٤/٥٥) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ]، ولأمثلة أخرى انظر: درء التعارض (١/٣٢ ـ ٣٨) و(٧/٣٦٢ وما بعدها)، وشرح الأصفهانية (١١٧) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٥) [مطبعة الحكومة، ط١، ١٣٩٢هـ]، وإعلام الموقعين (١/١٣٠) [دار الجيل، ١٩٧٣م]، ومفتاح دار السعادة (٢/٧٦، ٧٧) [دار الكتب العلمية]، وآثار المثل الأعلى لعيسى السعدي.

الأدلة:

١ ـ انتفاء القياس في حقه تعالى مبني على أصل عظيم، وهو أن الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]

والقياس ـ أي: قياس المساواة، تمثيلًا كان أو شمولًا ـ مبنيٌّ على نوع تماثل بين الأصل والفرع.

فلما نفي التماثل فيما بينه تعالى وبين خلقه كان ذلك دليلًا على منع القياس في حقه تعالى، بل إن ذلك من الشرك بالله؛ لأنه يتضمن التسوية بين الله ومخلوقاته[(٣)].

فإذا حكموا على القدر المشترك ـ الذي هو الحد الأوسط ـ بحكم يتناوله والمخلوقات، كانوا بين أمرين: إما أن يجعلوه كالمخلوقات، أو يجعلوا المخلوقات مثله، وهذا من أبطل الباطل[(٤)].

٢ ـ أن استعمال القياس قائم على إثبات قضيَّة كلية تعمُّ المقيس والمقيس عليه، وهي ما يسمى: (العلة) في قياس التمثيل، و(الحد الأوسط) في قياس الشمول.

وهذه القضية الكلية التي ينبني عليها القياس لا يمكن إثباتها بيقين في باب

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/١٢٥) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى (١٣/١٦٤)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/٥٣٦).

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤، ٧٥).

التوحيد، وذلك للعلم بوجود الفارق بين المقيس والمقيس عليه، فبطل القياس.

أقوال أهل العلم:

مما ورد عن أهل العلم في المنع من استعمال قياس المساواة في حق الله تعالى ما يلي:

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي: «أولم تسمع أيها المريسي قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكما ليس كمثله شيء ليس كسمعه سمع، ولا كبصره بصر، ولا لهما عند الخلق قياس ولا مثال ولا شبيه، فكيف تقيسهما أنت بشبه ما تعرف من نفسك، وقد عبت على غيرك»[(١)].

وللقاضي أبي يوسف ـ صاحب أبي حنيفة ـ رحمهما الله كلام نفيس حول ذم القياس في الاعتقاد، يقول فيه: «ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجلّ في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي مالك، ولم يقل: إني قادر عالم لعلة كذا أقدر، ولسبب كذا أعلم، ولهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه، ولا يوصف إلا بصفاته... فقد أمرنا الله أن نوحده، وليس التوحيد بالقياس؛ لأن القياس يكون في شيء له شبه ومثل، والله لا شبه له ولا مثل، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون]، ثم قال: وكيف يدرك التوحيد بالقياس، وهو خالق الخلق بخلاف الخلق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، تبارك وتعالى، ولو توسع على الأمة التماس التوحيد ابتغاء الإيمان برأيه وقياسه وهواه إذًا لضلوا»[(٢)].

وقال الإمام ابن عبد البر: «لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السُّنَّة وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد»[(٣)].

وقال: «والقياس غير جائز في صفات الباري تعالى؛ لأنه ليس كمثله شيء»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذكر عقيدة أهل السُّنَّة: «ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه سبحانه لا سميّ له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى»[(٥)].

الحالة الثانية: إن كان من باب قياس الأولى فهو جائز.

---

(١) نقض الدارمي على المريسي (١/٣٠٨) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٢٢ ـ ١٢٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/٧٦) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١٩/٢٣٢) [طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٣٨٧هـ].

(٥) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٣٠).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾ [فصّلت: ١٥].

الحقيقة:

من أنواع القياس:

١ ـ قياس التمثيل: حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما.

٢ ـ قياس الشمول: وهو انتقال الذهن من المعين إلى المعنى العام المشترك الكلي المتناول له ولغيره.

ويستخدم في القياس قياس المساواة، وهو: أن يكون الغائب مماثلًا أو مقاربًا للشاهد.

وكل هذا لا يستخدم في حق الله تعالى.

ويستخدم القياس بمعنى: قياس الأولى.

وحقيقة قياس الأولى (المثل الأعلى) فيما بين المخلوق والخالق تتبين بأمرين:

الأول: أن كل كمال مطلق ممدوح لنفسه ثبت للممكن أو المحدَث المخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولى به.

والكمال المطلق هو الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وهو ما كان كمالًا للموجود غير مستلزم للعدم، وهو الكمال الذي يستحقه الموجود من جهة وجوده.

ويحترز بذلك عن الكمال النسبي، فإنه مستلزم للنقص، وهو ما كان كمالًا للمخلوق، ولكنه نقص بالنسبة إلى الخالق لاستلزامه نقصًا، فهو كمال من وجه دون وجه، كالأكل والشرب مثلًا، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان أكمل من المريض الذي لا يشتهى الأكل والشرب؛ لأن قوامه بالأكل والشرب، فهذا الكمال للمخلوق في الحقيقة ليس كمالًا مطلقًا، بل هو كمال نسبي؛ لأنه يستلزم نقصًا، كاستلزامه لحاجة المخلوق للأكل والشرب، وهو مستلزم لخروج شيء منه كالفضلات، وهذا نقص يتنزه الله عنه، فلا يثبت له مثل هذا الكمال النسبي؛ لأنه نقص في الحقيقة[1]. وقد تقدم مثال ذلك من النصوص.

---

(١) انظر: الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٨٧، ١٣٧).

وإثبات الصفة للخالق بطريق قياس الأولى إنما يكون مع التّفاوت الّذي لا يضبطه العقل، كما لا يضبط التّفاوت بين الخالق وبين المخلوق، بل إذا كان العقل يدرك من التّفاضل الّذي بين مخلوقٍ ومخلوقٍ ما لا ينحصر قدره، وهو يعلم أنّ فضل الله على كلّ مخلوقٍ أعظم من فضل مخلوقٍ على مخلوقٍ، كان هذا ممّا يبيّن له أنّ ما يثبت للرّبّ أعظم من كلّ ما يثبت لكلّ ما سواه بما لا يدرك قدره[(١)].

الثاني: أن كل نقص وعيب في نفسه إذا وجب نفيه عن شيء ما من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى.

والمقصود بما كان نقصًا وعيبًا في نفسه: ما لا كمال فيه، وهو ما تضمن سلب الكمال عن ذلك المخلوق؛ أي: ما تنزَّه عنه الموجود لكمال وجوده[(٢)].

وبناء على ذلك فالخالق أحق بالأمور الوجودية من كل موجود، وأما الأمور العدمية فالممكن المحدث بها أحق، فهو سبحانه أحق بكل حمد وأبعد عن كل ذم[(٣)].

ولا يدخل في ذلك ما كان نقصًا في حق المخلوق لكونه من خصائص الربوبية، كالتعالي والتكبر والثناء على النفس وأمر الناس بعبادته ودعائه والرغبة إليه ونحو ذلك مما هو من خصائص الربوبية، هذا كمال محمود من الرب تبارك وتعالى، وهو نقص مذموم من المخلوق، فهذه كلها صفات كمال لا يستحقها إلا هو، فما لا يستحقه إلا هو كيف يكون كمالًا من غيره وهو معدوم لغيره؟! فمن ادَّعاه كان مفتريًا منازعًا للربوبية في خواصها، ذلك أن الكمال المختص بالربوبية ليس لغيره فيه نصيب، فهذا تحقيق اتصافه بالكمال الذي لا نصيب لغيره فيه، ومثل هذا الكمال لا يكون لغيره، فادِّعاؤه منازعة للربوبية، وفرية على الله[(٤)].

ومثال ذلك: أن المشركين كانوا يرون البنات نقصًا، ومع ذلك يزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، فكان الجواب عليهم بأنهم إذا كانوا ينزهون أنفسهم عن البنات ويرونها نقصًا، فالله تعالى أولى بالتنزه عنها، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩/١٤٥).

(٢) انظر: درء التعارض (١/٢٩ ـ ٣٠) (٧/١٥٤، ١٥٥، ٣٢٢ ـ ٣٢٤، ٣٦٢ ـ ٣٦٣)، مجموع الفتاوى (١/٤٨) (٣/٣٠، ٢٩٧) (٩/١٤٥) (١٢/٣٥٠)، وشرح الأصفهانية (٧٤).

(٣) انظر: درء التعارض (١/٣٠) (٧/١٥٤، ١٥٥).

(٤) انظر: الرسالة الأكملية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٣٦ ـ ١٣٨).

ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل] إلى قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ۝٢٢﴾ [النجم]، فهذا احتجاج عليهم بقياس الأولى[(١)].

مثال آخر في النفي: أن الله عاب الأصنام بأنها لا تسمع ولا تُرجع القول، فقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٨٩﴾ [طه]. وهذه الحجّة من باب قياس الأولى، وهي من جنس الأمثال الّتي ضربها الله في كتابه، فإنّ الله تعالى عاب الأصنام بأنّها لا ترجع قولًا، وأنّها لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، وهذا من المعلوم ببداية العقول أنّ كون الشّيء لا يقدر على التّكلّم صفة نقص، وأنّ المتكلّم أكمل من العاجز عن الكلام، وكلّما تنزّه المخلوق عنه من صفة نقص فالله تعالى أحقّ بتنزيهه عنه، وكلّما ثبت لشيءٍ من صفة كمال فالله تعالى أحقّ باتّصافه بذلك، فالله أحقّ بتنزيهه عن كونه لا يتكلّم من الأحياء الآدميّين، وأحقّ بالكلام منهم، وهو ﷻ منزّه عن مماثلة النّاقصين، المعدوم والموات[(٢)].

(١) انظر: درء التعارض (٧/ ٣٦٢، ٣٦٣).

۞ الأركان:

قياس التمثيل (القياس الفقهي) له أربعة أركان:

١ ـ الأصل.

٢ ـ الفرع.

٣ ـ الجامع بينهما (العلة).

٤ ـ الحكم[(٣)].

وتوضيح ذلك ما ذكره ابن القيم في سياقه لأدلة القياس وأمثلته بقوله: «ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ۝١٣٣﴾ [الأنعام]، فهذا قياسٌ جليٌّ، يقول سبحانه: إن شئت أذهبتكم واستخلفت غيركم، كما أذهبت من قبلكم واستخلفتكم، فذكر أركان القياس الأربعة:

علّة الحكم، وهي: عموم مشيئته وكمالها.

(٢) انظر: إقامة الدليل على بطلان التحليل لابن تيمية ضمن الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٥٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٣) انظر: المستصفى للغزالي (١/ ٢٨٠، ٣٢٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، وروضة الناظر (٣١٥)، الإبهاج للسبكي (٣/ ٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ].

والحكم، وهو: إذهابه بهم وإتيانه بغيرهم.

والأصل، وهو: من كان من قبل.

والفرع: وهم المخاطبون»[١].

المسائل المتعلقة:

- المثل الأعلى:

جاء ذكر المثل الأعلى في موضعين من كتاب الله تعالى، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]. وللسلف ثلاثة أقوال في المثل الأعلى:

القول الأول: أن المراد بالمثل الأعلى: تنزيه الرب عن وجود المثل. عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: «يقول: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[٢].

وعلى هذا القول يحمل تحريم قياس المساواة بين الخالق والمخلوق، تمثيلًا كان أو شمولًا.

القول الثاني: أن المثل هو الصفة، كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، فالمثل الأعلى يراد به: الصفة العليا[٣].

وعلى هذا القول يحمل جواز قياس الأولى فيما بين صفات الخالق والمخلوق؛ أي: الاستدلال بصفات المخلوق على صفات الخالق عن طريق قياس الأولى، سواءٌ أكانت صورته تمثيلًا أو شمولًا، فكلّ ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال المطلق فإنّ الخالق أولى به، وكل ما تنزّه عنه المخلوق من صفات النّقص فإنّ الخالق أولى بالتنزّه عنه[٤].

القول الثالث: أن المثل الأعلى كلمة التوحيد[٥].

وهذه الأقوال لا منافاة بينها، فكلها ثابتة في معنى الآيتين.

الآثار:

لقد كان للقياس الفاسد في مجال الاعتقاد آثارًا بالغة السوء، ومن ذلك:

- نشوء عقيدة التمثيل، وبزوغ فرق الممثلة، فإن قياس التمثيل والشمول المساوي مندرج ضمن تمثيل الله بخلقه.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ١٣٨).

(٢) أخرجه الطّبري في تفسيره (١١/ ٢١) [دار الفكر، ١٣٠٥هـ]، وسنده حسن.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٧٣، ٤٨١) [دار المعرفة، ط٢]، وتفسير القرطبي (٩/ ٣٢٤) و(١٠/ ١١٩) و(١٤/ ٢٢) [دار الكتب المصرية، ط٢]، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/ ٤٥٩) و(٦/ ٢٩٨) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٣) [مكتبة دار التراث بالقاهرة]،

(٤) انظر: درء التّعارض (١/ ٢٩، ٣٠)، (٧/ ٣٦٢)، والرِّسالة التدمرية (٥٠) [مكتبة العبيكان، ط١]، وتفسير السّعدي (٦/ ١٢٣) [المؤسّسة السعيدية بالرّياض].

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطّبري (٨/ ١٤/ ١٢٥)، (١١/ ٢١/ ٣٨)، وتفسير البغوي (٣/ ٧٣)، وتفسير القرطبي (١٠/ ١١٩).

ـ نشوء طوائف التعطيل، فإن أساس التعطيل قياس الله على خلقه، فإن المعطلة قاسوا صفات الله على صفات خلقه ابتداءً، فوقعوا في التمثيل أولًا، ثم فرّوا منه إلى التعطيل[(١)].

ـ ضعف خشية الله وتعظيمه، فإن من قاس الله بخلقه وشبَّهه بهم قلَّت هيبة الله في نفسه، ولهذا كان أصحاب القياس الفاسد من الفلاسفة ونحوهم من أبعد الناس عن تحقيق مراتب الزهد والورع، والأدب مع الله.

ـ كما نشأ عن القياس الفاسد كثيرٌ من العقائد الباطلة، كالاستشفاع بالأولياء والصالحين وأصحاب القبور، ودعائهم مع الله، وذلك بالقياس الفاسد على ملوك الدنيا الذين يتم التقرب إليهم بالوسطاء بدون إذنهم، فقاسوا الله تعالى على ذلك، وفساد هذا القياس من جهة أن ملوك الدنيا في ملكهم قصور، فهم يقبلون الشفاعة لحاجتهم للشافع بنوع من الحاجة، وفي علمهم قصور، فلا يعلمون حال المستشفع، والله تعالى ملكه تام، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يخفى عليه خافية[(٢)].

وكذا قاس المعتزلةُ الخالق على المخلوق، فزعموا أن ما حَسُنَ وقَبح من المخلوقين حسن وقبح من الخالق، وأن الظلم الذي ينزه الله عنه هو نظير الظلم الذي يقع من الآدميين، فكانوا مشبهة في الأفعال، معطلةً في الصفات[(٣)].

قال ابن تيمية مبيِّنًا الآثار السيئة لاستعمال القياس الفاسد في الاعتقاد: «ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلٰهية لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها»[(٤)].

مذهب المخالفين:

لقد كان منشأ الغلط عند كثير من النفاة للصفات هو استعمالهم للمقاييس الباطلة ـ من قياس المساواة، تمثيلًا أو

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/٢٧، ٢٠٩)، ودرء التعارض (٧/١٩)، ومدارج السالكين (٣/٣٦٠) [دار الكتاب العربي، ط٢]، والصواعق المرسلة (١/٢٤٤). وانظر مثال ذلك القياس في: المختصر في أصول الدين لعبد الجبار ـ ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/١٨٣) [دار الهلال]، والتمهيد في أصول الدين للنسفي (٣٧) [المكتبة الأزهرية]، وأساس التقديس للرازي (١٠٣ ـ ١١٠) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: التوسل والوسيلة لابن تيمية (١١) [المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٩١)، وشرح العقيدة الأصبهانية (١٩٩)، ومفتاح دار السعادة (٢/١٠٦، ١١٣) [دار الكتب العلمية]، والصواعق المرسلة (٤/١٤٩٣، ١٥٤٤). وانظر في الجواب على تمثيلهم وقياسهم هذا: منهاج السُّنَّة النبوية (٣/١٥١) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومفتاح دار السعادة (٢/٥٢ ـ ٥٥، ١١٣)، وكذلك: الملل والنحل للشهرستاني (١٩) [مؤسسة الحلبي].

(٤) درء التعارض (١/٢٩).

شمولًا ـ فيما يتعلق بالله تعالى.

فترى بعضهم يصرح بأننا لو وصفنا الله بالاستواء على العرش لكان يعلو عليه مثل علو الملك على السرير[(١)].

ويقرر نفاة الصفات أنه لو كان متصفًا بصفة العلم مثلًا لوجب أن يكون علمه في القلب وأن يكون له قلب كأحدنا[(٢)]، تعالى الله.

فهم يقررون أنه لو كان الله متصفًا بالصفات أو ببعض الصفات لكان جسمًا، قياسًا على المخلوق، والله ليس بجسم، فوجب نفي الصفات عنه[(٣)].

وكل هذا من قياس التمثيل، فإنهم قاسوا الخالق على المخلوق بجامع الاتصاف بالصفة، والحكم هو: ثبوت الصفة للجسم (المخلوق)، وانتفاء الصفة عما ليس بجسم (الخالق) بزعمهم.

(١) انظر: التمهيد في أصول الدين للنسفي (٣٧)، وأساس التقديس (١١٠) [دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: المختصر في أصول الدين لعبد الجبار المعتزلي ـ ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/ ١٨٣) [دار الهلال].

(٣) انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار (٣٤٧ ـ ٣٤٨) [الدار التونسية]، وشرح الأصول الخمسة له (٦٦) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، ومعالم أصول الدين للرازي (٤٨، ٤٩) [مركز الكتاب للنشر، ط١، ٢٠٠٠م]، وغاية المرام للآمدي (١٣٧، ١٣٨) [المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ]، وشرح المقاصد للتفتازاني (٢/ ٦٧) [دار المعارف النعمانية، ط١، ١٤٠١هـ]، والمسامرة شرح المسايرة (٥٤) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ].

وقد يستعملونه على وجه قياس الشمول، فيقولون: المخلوق متصف بالصفات، وكل متصف بالصفات جسم، والنتيجة: المخلوق جسم، والله ليس بجسم؛ لأنه لا يتصف بالصفات.

فوجه غلطهم في هذا القياس أنهم أدخلوا الخالق والمخلوق في قضية كلية استوى فيها الأصل والفرع، وهذه القضية الكلية هي زعمهم أن كل ما كان متصفًا بالصفات فإنه جسم، فهم في الحقيقة قد مثلوا قبل أن يعطلوا، فكانوا أولى بلقب الممثلة، «ولهذا قال بعض أهل العلم: إن كل معطل مشبه، ولا يستقيم له التعطيل إلا بعد التشبيه»[(٤)].

ثم إن هذه القضية التي زعموها كلية (كل متصف بالصفات جسم) جعلوها عامة للخالق والمخلوق، وهم لا يستطيعون أن يثبتوا عمومها إلا بقياس التمثيل أو قياس الشمول، وقياس التمثيل أو الشمول لا يمكن الاعتماد عليه فيما بين الخالق والمخلوق كما سبق، لثبوت الفارق، فبطل قياسهم من أصله[(٥)].

وعامة أقوال النفاة للصفات ـ من مختلف الفرق ـ مبنية على قياسهم الفاسد للخالق بالمخلوق، وهو نوع من أنواع التشبيه.

(٤) الصواعق المرسلة (١/ ٢٤٤) [دار العاصمة، ط٣].

(٥) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٧٤، ٧٥)، والتحفة المهدية (١٣٠) [دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ].

قال الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ عمن نفى صفة اليدين لله فرارًا من التشبيه ـ: «قالوا: (لا نقول إن لله يدين؛ لأن اليدين لا تكون إلا بالأصابع وكف وساعدين وراحة ومفاصل)، ففرّوا بزعمهم من التشبيه، ففيه وقعوا، وإليه صاروا، وكل ما زعموا من ذلك فإنما هو من صفات المخلوقين، وتعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فأما ما يفعله طوائف من أهل الكلام من إدخال الخالق والمخلوقات تحت قياس أو تمثيل يتساويان فيه فهذا من الشرك والعدل بالله، وهو من الظلم، وهو ضرب الأمثال لله، وهو من القياس والكلام الذي ذمه السلف وعابوه»[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «آثار المثل الأعلى»، لعيسى السعدي [بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى].

٢ ـ «إعلام الموقعين»، لابن القيم.

٣ ـ «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٤ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٥ ـ «درء التعارض»، لابن تيمية.

٦ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٧ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

٨ ـ «القياس الفاسد وأثره في الانحراف في العقيدة»، لأحمد بن شاكر الحذيفي.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «نظرية القياس الأرسطي: عرضًا ونقدًا»، لمحمد سعيد صباح.

قيام الحجة

التعريف لغةً:

القيام: من قام يقوم قيامًا، يقال: قام الأمر، اعتدل واستقام[3].

الحجة: بمعنى البرهان والدليل، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم. حَجَّه يحجه حجًّا، فهو محجوج وحجيج؛ أي: غلبه على حجته، وهو رجل مِحجاج؛ أي: جدِل. وفي الحديث: «**فحجَّ آدم موسى**»[4]؛ أي: غلبه بالحجة. وفي حديث الدجال: «**إن يخرج وأنا فيكم**

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/ ٣١٤) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٦هـ].
(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٦).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٥) [دار الجيل]، ولسان العرب (١٢/ ٤٩٦) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (١٤٨٧) [مؤسسة الرسالة]، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٢٠)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٦٧).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧٣٦)، ومسلم (كتاب القَدَرِ، رقم ٢٦٥٢).

فأنا حجيجه»[١]؛ أي: محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه[٢].

التعريف اصطلاحًا:

يراد بقيام الحجة: مخالفة الحق بعد ثبوت الحجة عليه وظهور الدليل[٣].

وقد نبَّه أهل العلم على أن قيام الحجة يكون بفهم الحجة أو بلوغها المعتبر.

ويراد ببلوغ الحجة: بلوغ الدليل والبرهان الشرعي للمكلف بلوغًا يستبين معه المقصود، وتنقطع به المعذرة.

ويراد بفهم الحجة:

١ ـ الفهم اللغوي بأن يكون من أهل اللغة واللسان، فهذا شرط في بلوغ الحجة.

٢ ـ فهم احتجاج وهو التفقه المؤثر في السلوك، وهو الذي يؤدي إلى الامتثال والانقياد[٤].

الحكم:

لا يعذب الله العبد إلا بعد قيام الحجة عليه وعدم اتباعه لها.

وممن يعذر لعدم قيام الحجة التي يكفر مخالفها:

ـ من لم يسمع النص المعين، أو الباب من أبواب الدين، فلا يؤاخذ بمخالفة ما جاء فيه.

ـ من قامت عليه بعض الحجة، فعلم بعضها دون بعض، كأن يبلغه بعض القرآن دون بعض، فإنه لا يحاسب إلا على ما قامت عليه فيه الحجة، دون ما لم يبلغه منها.

ـ وكذا من سمع الحجة، ولم تثبت عنده، كأن يسمعها من طريق لا يجب عليه أن يصدقها.

ـ من بلغته الحجة واعتقد خلافها لنوع من التأويل السائغ الذي يعذر به وإن كان مخطئًا.

ـ وأما من لم يبلغه الإسلام أصلًا فإنه لا عذاب عليه، وهؤلاء هم أهل الفترة ومن في حكمهم، وقد صح النقل في أنهم يمتحنون يوم القيامة[٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض،

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٢) لسان العرب (٢/٢٢٨).

(٣) انظر: مختصر العلو للذهبي (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط١]، وتيسير العزيز الحميد (٦٧٧).

(٤) انظر: الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه لعبد الرزاق طاهر معاش (٢٢٩) [دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ].

(٥) ينظر: الفصل لابن حزم (٤/١٠٥) [شركة عكاظ، ط١، ١٤٠٢هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٢٣١، ١٢/٤٩٣، ٤٩٤، ١٧/٣٠٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٣٠٩ ـ ٣١٠) [مطبعة المدني].

والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»[(١)].

الحقيقة:

قيام الحجة الرسالية التي يأثم من خالفها إنما يكون بأن تبلغ المكلف بلوغًا بيِّنًا، فيسمعها، ويفهم المراد بها، ممن يحسن إقامتها، ويكون سالمًا من الشبهات التي قد يعذر بها.

قال ابن تيمية في ذلك: «... وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها، فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنًا ما كان...»[(٢)].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل ما قلناه فيه إنه يفسق فاعله أو يكفر بعد قيام الحجة، فهو ما لم تقم الحجة عليه، معذور مأجور وإن كان مخطئًا، وصفة قيام الحجة عليه أن تبلغه فلا يكون عنده شيء يقاومها، وبالله التوفيق»[(٣)].

ويقول ابن سحمان: «الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ أنها لا تقوم الحجة إلا بمن يحسن إقامتها، وأما من لا يحسن إقامتها كالجاهل الذي لا يعرف أحكام دينه ولا ما ذكره العلماء في ذلك؛ فإنه لا تقوم به الحجة»[(٤)].

الأدلة:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾ [الأنعام]

وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي**

(١) طريق الهجرتين (٤١٤) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]. وانظر: مدارج السالكين (١/١٨٨) [مطبعة السُّنَّة المحمدية، ١٣٧٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٣/٣٤٦)، و(٣/٢٣١، ٢٠/٥٩).

(٣) الإحكام لابن حزم (١/٦٧) [دار الحديث، ط١، ١٤٠٤هـ].

(٤) منهاج الحق والاتباع (٦٨) [مكتبة المنار، ط ١٣٤٠هـ].

أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»[(١)].

- ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرّقوه، ثم اذْرُوا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، فلما مات الرجل، فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه، فإذا هو قائم بين يديه، ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له**»[(٢)].

وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**أربعةٌ يحتجون يوم القيامة: رجل أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام، وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن أدخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها، كانت عليهم بردًا وسلامًا**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «الحجة على العباد إنما تقوم بشيئين:

١ - بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله.

٢ - والقدرة على العمل به.

فأما العاجز عن العلم كالمجنون، أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي، وإذا انقطع العلم ببعض الدين، أو حصل العجز عن بعضه، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلًا، وهذه أوقات الفترات»[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها، فالأول كفر إعراض،

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٧٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦)، واللفظ له.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦/٢٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (ذكر الأخبار عن وصف قوم يحتجون على الله يوم القيامة) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، واللفظ له والطبراني في الكبير (١/٢٨٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وصححه عبد الحق الإشبيلي وابن القيم. انظر: طريق الهجرتين (٣٩٧، ٣٩٨) [دار السلفية، ط٢]، وصححه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (٣/٤١٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٠/٥٩). وانظر منه: (١٩/٧١).

والثاني كفر عناد، وأما الجهل مع عدم قيام الحجة، وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل»[(١)].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا كنا لا نكفِّر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفّر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم»[(٢)].

وقال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رَحِمَهُ اللهُ: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهمًا جليًّا كما يفهمها من هداه الله ووفقه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: هل يشترط فهم الحجّة لاعتبار قيامها على الشخص؟

اختلف أهل العلم في اشتراط فهم الحجة لاعتبار قيامها على الشخص على قولين:

القول الأول: قال به كثير من أهل العلم، وهو أن فهم الحجة شرط في قيام الحجة على الشخص المعين كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»[(٤)].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ: «من لم يفهم الدعوة لم تقم عليه الحجة»[(٥)].

القول الثاني: قال به بعض أهل العلم، وهو أن بلوغ الحجة وحده كاف في قيام الحجة على الشخص. وقد فهم هذا من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ وبعض أحفاده وتلاميذه من بعده، فقد قال: «فإن الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي كان حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية بعيدة، أو يكون ذلك في مسألة خفية مثل

(١) طريق الهجرتين (٤١٤) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]. وانظر: مدارج السالكين (١/١٨٨) [مطبعة السُّنَّة المحمدية، ١٣٧٥هـ].
(٢) فتاوى ومسائل محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموع مؤلفاته (١/١١) [مطابع الرياض، ط١].
(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/٦٣٨) [دار العاصمة، الرياض، ١٤١٢هـ].
(٤) طريق الهجرتين (٤١٤) [المطبعة السلفية، ١٣٧٥هـ].
(٥) مجموعة الرسائل النجدية (٥/٥١٤).

الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف؛ وأما أصول الدين التي أوضحها الله وأحكمها في كتابه فإن حجة الله هو القرآن، فمن بلغه القرآن فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وبين فهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين من المسلمين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]. وقيام الحجة نوع، وبلوغها نوع، وقد قامت عليهم، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها»[(١)].

- **المسألة الثانية: العذر بالجهل:**

مسألة بلوغ الحجة واشتراطها للتكليف مرتبطة بمسألة العذر بالجهل، فإن من لم تقم عليه الحجة كان جاهلًا، والجاهل غير مكلف لعدم بلوغ الحجة إياه.

سئل الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن صفات الله وما يؤمن به، فقال: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه أمتَه، ولا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول، فإن خالف بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يقدر بالعقل، ولا بالروية والقلب والفكر، ولا نكفِّر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه به»[(٢)].

وعليه؛ فالجاهل معذور بجهله حتى يبلغه العلم.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يُعَلَّم ويردُّ جهله إلى الكتاب والسُّنَّة، فمن أبى بعد العلم به، كان معاندًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة]، ولقوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء]»[(٣)].

وقال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (التبصير في معالم الدين) ـ بعد أن ذكر بعض نصوص الصفات ـ: «فإن هذه المعاني التي وصفت ونظائرها مما وصف الله بها نفسه، ورسوله مما لا

---

(١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الرسائل الشخصية) (٧/ ٢٤٤، ٢٤٥)، [المركز الإسلامي للطباعة والنشر، مصر].

(٢) مختصر العلو للذهبي (١٧٧) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ]. وانظر: إثبات صفة العلو لابن قدامة (١٢٤) [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٣) خلق أفعال العباد (٦١) [مكتبة التراث الإسلامي].

يثبت حقيقة علمه بالفكر والروية، ولا يكفر بالجهل أحد إلا بعد انتهائها إليه»[١].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «من دعا غير الله، وحج إلى غير الله فهو مشرك، والذي فعله كفر، لكن قد لا يكون عالمًا بأن هذا شرك محرم، كما أن كثيرًا من الناس دخلوا في الإسلام من التتار وغيرهم، وعندهم أصنام لهم وهم يتقربون إليها ويعظمونها، ولا يعلمون أن ذلك محرم في دين الإسلام، ويتقربون إلى النار أيضًا، ولا يعلمون أن ذلك محرم، فكثير من أنواع الشرك قد يخفى على بعض من دخل في الإسلام ولا يعلم أنه شرك»[٢].

فنرى في كلام الشيخ أن الجهل وعدم بلوغ الحجة هو مما يعذر به، حتى في الشرك، ولذا قال في موضع آخر ـ بعدما تكلم على من اجتهد فأخطأ: «... بخلاف ما لم يشرع جنسه مثل الشرك، فإن هذا لا ثواب فيه، وإن كان الله لا يعاقب صاحبه إلا بعد بلوغ الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء]. لكنه وإن كان لا يعذب فإن هذا لا يثاب... وإذا نهاهم الرسول عنها فلم ينتهوا عوقبوا، فالعقاب عليها مشروط بتبليغ الرسول، وأما بطلانها في نفسها فلأنها غير مأمور بها...»[٣].

وأصرح منه قوله رَحِمَهُ اللهُ: «فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وإن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه»[٤].

ولكن يشار هنا إلى أن من الجهل ما لا يعذر المكلف به، وهو ما أمكن المكلف دفعه، وترك ذلك تقصيرًا منه.

قال ابن تيمية: «إن بيان الحكم سبب

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٩٥) [مطابع الفرزدق، ط١، ١٤٠٨هـ]. وانظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٨٠) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـ].

(٢) الرد على الأخنائي (٦١، ٦٢) [مطبوعات دار الإفتاء] باختصار يسير. وانظر: الرد على البكري (٢٥٨) [الدار العلمية، ط٢]، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٤٠٦، ١٢/٥٠٠)، ومجموعة الرسائل له (٤/٣٨٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٣١، ٣٣).

(٤) الرد على البكري (٣٧٦). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/٣٧٢، ١١/٤١٢، ٤١٣، ١٩/٢٣، ٢١٩)، ومنهاج السُّنَّة (٥/١١١ ـ ١١٣).

لزوال الشبهة المانعة من لحوق العقاب، فإن العذر الحاصل بالاعتقاد ليس المقصود بقاءه، بل المطلوب زواله حسب الإمكان، ولولا هذا لما وجب بيان العلم، ولكان ترك الناس على جهلهم خيرًا لهم، ولكان ترك دلائل المسائل المشتبهة خيرًا من بيانها»[(١)].

وقال ابن القيِّم: «فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به، سواء علم أو جهل، فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به ونهى عنه، فقصر عنه ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة، والله سبحانه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة:

وذلك أن الزمان الذي يخفى فيه العلم، ويطغى فيه الجهل، وتكثر فيه الشبهات فإن موجب العذر بالجهل يقوى، وقيام الحجة فيه يقل ويخفى، فلا يحمل على زمن ظهور العلم وانتشاره، وما قيل في الزمان يقال في المكان.

وقد أشار ابن تيمية إلى أهل زمانه وما كان عليه الكثير من الوقوع في أنواع من الكفر، ومع ذلك عذرهم بهذا الجهل قائلًا: «وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان، فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك، وفي أوقات الفترات، وأمكنة الفترات، يثاب الرجل على ما معه من الإيمان القليل، ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه، ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه، كما في الحديث المعروف: «**يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه الصلاة، ولا صيامًا، ولا حجًّا، ولا عمرة، إلا الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة، ويقولون: أدركنا آباءنا وهم يقولون لا إلٰه إلا الله**، فقيل لحذيفة بن اليمان: ما تغني عنهم لا إلٰه إلا الله؟ فقال: تنجيهم من النار»[(٣)(٤)].

وقال ابن القيم: «إن قيام الحجة يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص، فقد تقوم حجة الله على الكفار في زمان دون زمان، وفي بقعة وناحية دون أخرى، كما أنها تقوم على

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ٢٧٩). وانظر منه: (٢٢/ ١٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٤٩)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٦٠) وصححه، وصححه البوصيري في المصباح (٤/ ١٩٤) [دار العربية، ط٢]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٧).

(٤) الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ١٦٥).

شخص دون آخر، إما لعدم عقله وتمييزه كالصغير والمجنون، وإما لعدم فهمه كالذي لا يفهم الخطاب، ولم يحضر ترجمان يترجم له»[(١)].

- المسألة الرابعة: قيام الحجة والعذر بالجهل يختلف باختلاف المسائل والأحوال:

فمن المسائل ما يكون خفيًّا دقيقًا، ومنها ما يكون مشهورًا شائعًا، فالعذر في الأولى أقوى من العذر في الثانية.

كما أن من الناس من يكون حديث عهد بإسلام، أو يكون ضعيف الفهم، أو أعجمي اللسان، فمثل هذا قد يعذر بجهله بما لا يعذر به من لم يكن كذلك.

قال الإمام الشافعي: «إن من العلم ما لا يسع بالغًا غير مغلوب على عقله جهله، مثل الصلوات الخمس، وأن لله على الناس صوم شهر رمضان، وحج البيت إذا استطاعوه، وزكاة في أموالهم، وأنه حرم عليهم الزنا والقتل، والسرقة والخمر، وما كان في معنى هذا»[(٢)].

وقال الموفق ابن قدامة - في أثناء كلامه على تارك الصلاة -: «فإن كان جاحدًا لوجوبها نُظر فيه؛ فإن كان جاهلًا به، وهو ممن يجهل ذلك كالحديث الإسلام، والناشئ ببادية، عُرِّف وجوبها وعُلِّم ذلك، ولم يُحكم بكفره لأنه معذور، فإن لم يكن ممن يجهل ذلك كالناشئ من المسلمين في الأمصار والقرى، لم يعذر ولم يقبل منه ادعاء الجهل، وحكم بكفره؛ لأن أدلة الوجوب ظاهرة في الكتاب والسُّنَّة، والمسلمون يفعلونها على الدوام، فلا يخفى وجوبها على من هذا حاله، ولا يجحدها إلا تكذيبًا لله تعالى، ورسوله وإجماع الأمة، وهو يصير مرتدًّا عن الإسلام، ولا أعلم في هذا خلافًا»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «إن الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة، لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأ، كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة»[(٤)].

ويقول أيضًا: «لا يكفِّر العلماء من استحل شيئًا من المحرمات لقرب عهده بالإسلام، أو لنشأته ببادية بعيدة، فإن حكم الكفر لا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة، وكثير من هؤلاء قد لا يكون قد بلغته النصوص المخالفة لما يراه، ولا يعلم أن الرسول بعث بذلك»[(٥)].

---

(١) طريق الهجرتين (٤١٤).

(٢) الرسالة (٣٥٧) [دار الكتب العلمية].

(٣) المغني (٢/٤٤٢) [مكتبة الرياض الحديثة]. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية (٦٥، ٧٣).

(٤) بغية المرتاد (٣١١).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٠١). وانظر: (١١/٤٠٧).

۞ الفروق:

الفرق بين الكافر الأصلي، والمسلم الذي وقع في أمر مُكَفِّر:

في تقرير الكلام على بلوغ الحجة لا بدَّ من التفريق بين حالتين:

الأولى: حالة الكافر الأصلي، الذي لم يدخل في الإسلام أصلًا، ولم تبلغه الحجة الرسالية.

فمثل هذا ينظر في حكمه من ناحية أحكام الدنيا، وأحكام الآخرة، أما في أحكام الدنيا فإنه يعامل معاملة الكفار، ويحكم عليه بحكمهم في المواريث ونحو ذلك، وأما في أحكام الآخرة، فإذا كانت الحجة الرسالية لم تبلغه، فإنه يعذر بجهله، ويكون له حكم أهل الفترة، وهم الذين يمتحنون في الآخرة.

قال ابن تيمية: «أخبر الله تعالى عن هود أنه قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ۝٥٠﴾ [هود]، فجعلهم مفترين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه، لكونهم جعلوا مع الله إلٰهًا آخر، فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة، فإنه يشرك بربه ويعدل به، ويجعل معه آلهة أخرى، ويجعل له أندادًا قبل الرسول وأما التعذيب فلا»[1].

وقال ابن القيم: «الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر، فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم»[2].

الحالة الثانية: حال المسلم المقر بالشهادتين، والذي قد وقع في أمر مكفر جهلًا.

فمثل هذا الأصل فيه أنه معذور بجهله، فله أحكام أهل الإسلام في الدنيا والآخرة، كما سبق من حديث الذي أمر أهله أن يحرقوه.

وقد أخطأ من حمل الحال الثانية على الأولى، وجعل أقوال أهل العلم المتوجهة للحال الأولى مقولةً في الحال الثانية[3].

الفرق بين قيام الحجة، وفهم الحجة:

المعتبر في التكليف أن تقوم الحجة على المكلف، ويفهمها الفهم الذي يدرك به معناها والمراد بها، ولا يشترط أن يفهمها الفهم الدقيق الذي يدركه علماء الدين حتى تقوم عليه الحجة.

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/٣٧، ٣٨).

(٢) المرجع السابق. وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٤٨٩).

(٣) انظر: نواقض الإيمان الاعتقادية (١/ ٢٤٦ ـ ٢٧٦)، ونواقض الإيمان القولية والعملية (٦٨ ـ ٧٠).

قال محمد بن عبد الوهاب: «وأصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة وفهم الحجة، فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]. وقيام الحجة وبلوغها نوع، وفهمهم إياها نوع آخر، وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر، فإن أشكل عليكم ذلك، فانظروا قوله ﷺ في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم**»(١)، مع كونهم في عصر الصحابة، ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم وقد بلغتهم الحجة، ولكن لم يفهموها»(٢).

وقال أيضًا: «من المعلوم أن قيام الحجة ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر رضي الله عنه، بل إذا بلغه كلام الله ورسوله، وخلا من شيء يعذر به فهو كافر، كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن، مع قول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال]»(٣).

وينبغي أن يعلم أن مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه من تلاميذه من عدم اشتراط فهم الحجة في قيام الحجة على العبد هو: فهم التفقه المؤثر في السلوك والمؤدي إلى الامتثال وليس مرادهم فهم لسان المتكلم ولغته، فإن اشتراط فهم لسان المبلغ محل اتفاق عند سائر علماء أهل السُّنَّة والجماعة. وهذا يدل على أن الشيخ ابن عبد الوهاب رحمه الله يقصد عدم اشتراط الفهم المفصل للحجة لا المجمل، حيث قال رحمه الله في رسالة أخرى له: «وإذا كنا لا نكفِّر من عبد الصنم الذي على قبة عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفّر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، ولم يكفّر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم»(٤).

ومما يؤكد أن الشيخ يقصد نفي الفهم المفصل للحجة ما قاله تلميذه الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله: «وليس المراد بقيام الحجة أن يفهمها الإنسان فهمًا جليًّا كما يفهمها من هداه الله ووفقه، وانقاد لأمره، فإن الكفار قد

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٥٧)، ومسلم، (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦٦).

(٢) مجموعة مؤلفات ابن عبد الوهاب (٣/ ١٢، ١٣).

(٣) الدرر السنية (٨/ ٧٩) [ط٦، ١٤١٧هـ]. وانظر: كلام الشيخ عبد الله أبي بطين في الدرر السنية (٨/ ٢١٣، ٢١٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٥١٥) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٢هـ].

(٤) فتاوى ومسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن مجموع مؤلفاته (١/ ١١).

قامت عليهم حجة الله مع إخباره بأنه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه»[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.
٢ ـ «الإحكام»، لابن حزم.
٣ ـ «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.
٤ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.
٥ ـ «الدرر السنية في الفتاوى النجدية».
٦ ـ «ضوابط التكفير»، لعبد الله القرني.
٧ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيم.
٨ ـ «الفِصَل في الملل والنحل»، لابن حزم.
٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
١٠ ـ «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».
١١ ـ «مجموعة مؤلفات ابن عبد الوهاب».
١٢ ـ «منهاج الحق والاتباع»، لسليمان بن سحمان.
١٣ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لعبد العزيز الوهيبي.
١٤ ـ «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

(١) مجموع الرسائل والمسائل النجدية (٤/٦٣٨).

القيامة الصغرى

يراجع مصطلح (الموت).

القيامة الكبرى

يراجع مصطلح (يوم القيامة).

القيّم

يراجع مصطلح (القيوم).

القيوم

التعريف لغةً:

القيّوم: (فيعول) من القيام، والقيام يأتي على أضرب؛ هي: قيام بالشخص؛ إما بتسخير أو اختيار، وقيام للشيء على سبيل المراعاة والحفظ له، وقيام هو من العزم على الشيء، وقيام بالشيء إدامته.

وأقرب تلك المعاني تعلقًا باسم الجلال (القيّوم): القيام للشيء على سبيل المراعاة والحفظ له ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

والمعنى الثاني الذي له تعلّق بمدلول هذا الاسم: أنه الدائم الذي لا يزول[٢].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/٣٥٧ ـ ٣٦٠) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦٩) [دار الفكر، ط٢، =

والقيّام بوزن (فَيْعال)، و(فيعال) من صيغ المبالغة من جنس (فعّال)، مبالغة من القِيام، يقال: قام يقوم قيامًا فهو قائم وقيّام.

والقِيام والقَوَام: اسم لما يقوم به الشيء؛ أي: يثبت، ويُسند به، ومنه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]؛ أي: ثابتًا مقومًا لأمور معاشهم ومعادهم[(١)].

والقيِّم، (فَيْعِل) من القيام، وهو من أبنية المبالغة، وأصله: (قَيْوِم)، مثل: صَيِّب أصله: (صَيْوِب)، اجتمعت الواو والياء وسُبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء[(٢)].

التعريف شرعًا:

القيوم: هو القائم بنفسه، الغني عن كل من سواه، فلم يحتج إلى أحدٍ سواه؛ لكمال غناه ﷻ.

وهو سبحانه القائم بأمور خلقه، المدبِّر شؤونهم، فكلُّ ما سواه محتاجٌ إليه بالذات.

وقال النووي: «قال ابن عباس: القَيُّوم الذي لا يزول[(٣)]. وقال غيره: هو القائم على كل شيء. ومعناه: مدبِّر أمر خلقه، وهما سائغان في تفسير الآية والحديث»[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على غاية الكمال والجلال، وليس لمخلوق مثله، فلا أحد قائم بنفسه بحيث ترتفع عنه كل حاجة لغيره إلا الله تعالى، ولا أحد قائم بشؤون الخلق وتدبيرهم، وكلٌّ مفتقر إليه إلا الله ﷻ.

الحكم:

اسم الله تعالى: القيوم من أسمائه الثابتة بنص الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل العلم دون استثناء.

الحقيقة:

القيوم هو الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها[(٥)].

= ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/ ٢٠١٦ ـ ٢٠١٨) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٠ ـ ٦٩٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٦٧ ـ ٧٦٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠)، ومقاييس اللغة (٨٦٩)، والصحاح (٥/ ٢٠١٦ ـ ٢٠١٨)، مفردات ألفاظ القرآن (٦٩٠ ـ ٦٩٣)، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٦٧، ٧٦٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠)، والنهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢٧).

(٣) ذكره الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٣٥٤) [مكتبة الرشد، ط١]، وفي سنده محمد بن السائب الكلبي، وهو متهم بالكذب.

(٤) شرح النووي على مسلم، حديث رقم (٧٦٩).

(٥) تيسير الكريم الرحمٰن (١/ ٣١٣).

ثم إن اسم الله (القيوم) يقترن بصفة الحياة له ﷻ، فلم يذكر اسم القيوم في القرآن إلا مقرونًا باسمه الحي؛ ذلك لأن الحياة متضمنة جميع صفات الكمال، والقيوم متضمن كمال الغنى والقدرة ودوام ذلك بلا انتهاء.

قال ابن القيم ـ في هذين الاسمين (الحي القيوم) ـ: «عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما مرجع معانيها جميعها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه، وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وهذا من كمال قدرته وعزته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة»[(١)].

۞ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥، وآل عمران: ٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: ١١١].

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤١٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: قال كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: «اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض...»[(٢)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال مجاهد: «القيوم: القائم على كل شيء»[(٣)].

وقال أبو العباس ابن تيمية: «اسمه (القيوم) يتضمن أنه لا يزول، فلا ينقص بعد كمالِه، ويتضمن أنه لم يزل ولا يزال دائمًا باقيًا أزليًّا أبديًّا موصوفًا بصفاتِ الكمال، من غيرِ حدوثِ نقصٍ أو تغيُّرٍ بفسادٍ واستحالةٍ ونحو ذلك مما يعتري ما يزول من الموجودات»[(٤)].

وقال ابن القيم موضحًا ما يتضمنه اسم الله تعالى (القيوم) من معنى:

هذا وَمِنْ أوصافِهِ القَيُّوم والـ
ـقَيُّوم في أوصافه أمْرَانِ

إِحْدَاهُما القَيُّوم قَامَ بِنَفْسِهِ
والكَوْنُ قَامَ بهِ هُمَا الأمرَانِ

فالأول استغناؤه عن غيره
والفقر من كل إليه الثاني

والوصف بالقيوم ذو شأن كذا
موصوفه أيضًا عظيم الشان[(٥)].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٢)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٣٨٨).

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٣٥).

(٥) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة =

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «والقيّوم صيغة مبالغة؛ لأنه ﷻ هو القائم بتدبير شؤون جميع الخلق، وهو القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل: القيّوم الدائم الذي لا يزول»[(١)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: القيّام، والقيِّم:

استُدل لاسم (القيّام) ببعض روايات حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه الدعاء المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ في صلاة الليل، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيّام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق**» الحديث[(٢)].

واستدل لاسم (القيّم) بروايات أخرى للحديث آنف الذكر، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل يقول: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض، ولك الحمد أنت ربُّ السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق**» الحديث[(٣)].

والحديث واحد، فيحتمل أن يكون رواية بالمعنى؛ للدلالة على وصف الله تعالى بالقيومية، والله تعالى أعلم.

- المسألة الثانية: ما يتضمّنه اسم الله (القيّوم) من الدلالات والأحكام:

إن اسم الجلال: (القيّوم) يتضمن العديد من الدلالات والأحكام التي أطال أهل العلم المفسرين لهذا الاسم ببيانها لعظم هذا الاسم وجلالة شأنه، ومن ذلك:

- دلالة هذا الاسم على كمال صفة القيام التي يتصف بها المولى ﷻ، قيامه سبحانه وتعالى بنفسه الذي هو من لوازم ذاته، وقيامه بغيره من جميع خلقه الذين لا قيام لهم إلا به سبحانه وتعالى.

- كما أن هذا الاسم متضمن لجملة من صفات الكمال الأخرى، فهو دالٌّ على كمال غناه وقدرته، فإنه القائم بنفسه؛ لا يحتاج إلى من يُقيمه بوجهٍ من الوجوه، وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه.

وهو المقيم لغيره؛ فلا قيام لغيره إلا بإقامته، وكل ما سواه من هذا العالم العلوي والسفلي فهو تحت تدبيره وحفظه وهذا من كمال قدرته وعِزَّته.

= الإمام ابن القيم لابن عيسى (٢/ ٢٣٦).

(١) أضواء البيان (٤/ ٥١٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٣) تقدم تخريجه.

- **المسألة الثالثة: اقتران (القيوم) باسم (الحيّ):**

بما أن اسم الجلال (القيّوم) لم يرد في النصوص إلا مقترنًا باسم الجلال (الحيّ)، فقد أشار أهل العلم إلى بعض أسرار هذا الاقتران، ومن ذلك:

- أن العديد من أهل العلم ـ منهم ابن تيمية وابن القيِّم ـ نصوا على أن اسمي: (الحيّ القيّوم) هما الاسم الأعظم الذي قال فيه النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[1].

وقوله ﷺ: «**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين**: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران]»[2].

- ولجلالة هذين الاسمين اعتبرهما أهل العلم أنهما يجمعان أصل معاني بقية أسماء الله الحسنى، وذلك من جهة أنهما مقتضيان للعديد من الصفات؛ فالحي دالٌّ على صفة الحياة المتضمنة لجميع الصفات الذاتية كالعلم والإرادة والقدرة والعزة والعظمة والكبرياء وغيرها، والقيّوم متضمن لجميع صفات الأفعال.

- كما أشار أهل العلم إلى عظيم أثر الدعاء بهذين الاسمين، في دفع ما ينتاب الإنسان من هَمٍّ وكربٍ وشدة، كما جاءت الإشارة إلى أن بعضهم اعتبرهما الاسم الأعظم الذي وردت الإشارة إليه في النصوص السابقة، وما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «**يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث**»[3].

- **المسألة الرابعة: الكلام على اسم (القائم):**

بعض أهل العلم ممن اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها أثبتوا اسم (القائم)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٣٣) [مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٦)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٤٧٨) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٥)، وأحمد (٤٥/ ٥٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف، لكن له شاهد يرتقي به إلى الحسن. انظر: صحيح أبي داود للألباني (٥/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٢٤) وقال: حديث غريب، والنسائي في الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ١٠٣٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وحسنه الألباني بشاهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٢٧) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

لكن الصحيح الذي عليه المحققون من أهل العلم أن القائم لا يثبت اسمًا في حق الله ﷻ؛ لأنه من باب الأفعال وليس من باب الأسماء، قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في أثناء تفصيله الكلام على تعيين عدد من العلماء لأسماء الله الحسنى: «وبعضها خطأ محض كالأبد والناظر والسامع والقائم والسريع، فهذه وإن ورد عدادها في بعض الأحاديث فلا يصح ذلك أصلًا»[1].

الآثار:

١ ـ إثبات صفات الكمال لله ﷻ، ونفي كل صفات النقص عنه سبحانه.

٢ ـ التعبد لله تعالى بأنه القائم على كل شؤون خلقه، فترفع إليه يد المسألة، وتنزل به المطالب والحاجات.

٣ ـ الافتقار والتذلل بين يدي الله تعالى؛ إذ أنه لا قيام لأحد من الخلق إلا به ﷻ، فكلٌّ مفتقر إليه، وهو الغني سبحانه عمن سواه.

٤ ـ يقين المؤمن بوعد الله الصادق بأن العاقبة للمؤمنين، وأن من اتبع هداه فلا يضل ولا يشقى؛ إذ إن قيام هذا العالم كله بأمر الله تعالى، ولا يكون شيء إلا بإذنه.

٥ ـ انتظام أمر العالم، وقيامة على غاية الإحكام والإتقان، فالذي أقامه هو الذي خلقه فسوَّاه.

٦ ـ إجابة الله تعالى لدعوة من دعاه، وخاصة إذا كانت دعوة اضطرار وافتقار.

٧ ـ ما يكون للرسل وأتباعهم من نصر وتمكين وحسن عاقبة.

٨ ـ ما يكون على أعداء الله من هزيمة وسوء عاقبة، فمهما كان للمبطل من صولة وجولة وقيام، فإنه بإقامة الله تعالى ذلك اختبارًا، ثم يجعل دائرة السوء تدور عليهم.

٩ ـ ظهور آثار قيوميته سبحانه لكل شيء من المخلوقات جامدها، ومتحركها، فاجرها، وتقيّها، وآثار قيوميته سبحانه بأوليائه وبمن أحبه تظهر في حفظه ولطفه ورعايته بعباده المتقين، وهذا يقتضي محبة الله ﷻ، والركون إليه، والتعلق به وحده، والسكون إليه، والرضا بتدبيره، وحمده وإجلاله وتعظيمه.

١٠ ـ التبرؤ من الحول والقوة والافتقار التام لله ﷻ وإنزال جميع الحوائج به، وإخلاص الاستعانة والاستغاثة والاعتصام به، وقطع التعلق بالمخلوق الضعيف المربوب لله تعالى المفتقر إلى ربه ﷻ الفقر الذاتي التام.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٥٤٥) [دار الفكر، ١٤١٢هـ]. وانظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٣٧ ـ ٢٣٨) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج١)، لابن تيمية.

٣ ـ «بدائع الفوائد» (ج٢)، لابن القيم.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج (٥٦).

٥ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم» (ج٢)، لابن عيسى.

٦ ـ «جامع الرسائل» (ج١)، لابن تيمية.

٧ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٨ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٩ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

١٠ ـ «صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

١١ ـ «فصل في اسمه تعالى (القيّوم)، ضمن جامع المسائل» (ج٥)، لابن تيمية.

١٢ ـ «فصل في معنى اسمه (الحيّ القيّوم)»، ضمن جامع المسائل، لابن تيمية.

١٣ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

القيومية

يراجع مصطلح (القيوم).



الكافي

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكاف والفاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على الحَسْب، الذي لا مستزاد فيه؛ يقال: كفاك الشيء يكفيك، وقد كفى كفاية؛ إذا قام بالأمر»[1].

والكافي: اسم فاعل من كفى يكفي فهو كافٍ؛ إذا قام بالأمر، وكفاك هذا الأمر؛ أي: حسبك، وكثيرًا ما يفسّر الكافي بالحسيب، والحسيب بالكافي لتقارب معناهما، فالكافي هو الذي يُسْتغنى به عن غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [النساء]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ۝٤٥﴾ [النساء]، واكتفى بالشيء؛ إذا استغنى به[2].

التعريف شرعًا:

الكافي: اسم للربِّ تعالى، وهو بمعنى الحسيب، كما قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ﴾ [الزُّمَر: ٣٦][3].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

كلاهما دالّ على أن الكافي هو القائم بالأمر الذي يُستغنى به عن غيره، فالله عَزَّ وَجَلَّ هو كاف عباده بكل ما يحتاجون إليه، القائم بأمورهم المستغنون به عن غيره.

الحكم:

لم يثبت أن الكافي من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن يخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ أنه هو الكافي، فلا تسوغ تسمية الله عَزَّ وَجَلَّ بالكافي، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد الكافي؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

الحقيقة:

كفاية الله لخلقه عامة وخاصة[4]:

فالكفاية العامة: تشمل جميع الخلق،

(١) مقاييس اللغة (٥/١٨٨) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٣٨٤، ٣٨٥) [الدار المصرية]، والصحاح (٦/٢٤٧٥) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧١٩) [دار القلم، ط٢]، والمعجم الوسيط (٢/٧٩٣) [دار الدعوة، ط٢].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٥٤) و(٢٦/١٥٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٤)، [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، =

فهو ﷻ كافي الخلق كلهم، لا يحتاجون معه إلى شيء آخر، يدبر مصالحهم، ويوصل إليهم أقواتهم، وينيلهم مقاصدهم، وحاجاتهم.

والكفاية الخاصة: لأوليائه وأهل طاعته، الذين قاموا بحق العبودية، فيكون لهم من كفاية الله وكلاءته وحمايته بقدر ما حققوا من معاني عبوديته؛ كما قال ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦]، وقال ﷻ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر].

ومن السُّنَّة حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوي**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وأما الحسب: وهو الكافي فهو الله وحده»[(٢)]، وقال أيضًا: «والحسب: الكافي؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾»[(٣)].

وقال ابن القيِّم في نونيته[(٤)]:

«وهو الحسيب حماية وكفاية
والحسب كافي العبد كل أوان»

قال السعدي في شرحه لها: «فالحسيب: هو الكافي للعباد جميع ما أهمهم من أمر دينهم، ودنياهم، من حصول المنافع، ودفع المضار، والحسيب بالمعنى الأخص: هو الكافي لعبده المتقي المتوكل عليه، كفاية خاصة، يصلح بها دينه ودنياه»[(٥)].

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله: «فجعل الكفاية: وهي بمعنى الحسب لله وحده، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى»[(٦)].

= والحق الواضح المبين للسعدي ـ ضمن المجموعة الكاملة له (٣/ ٢٥٢) [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢، ١٤١٢هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة لمحمد خليل هراس (١٥٠) [دار الكتاب والسُّنَّة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٥).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ١٥٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٢٦/ ١٥٨).

(٤) الكافية الشافية (٤/ ١٨١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٥) الحق الواضح المبين للسعدي (٣/ ٢٥٢).

(٦) شرح القصيدة النونية (٢/ ١٠٥) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ].

الفروق:

الفرق بين الكافي والحسيب:

الكافي أعم من الحسيب؛ فالكافي عام لجميع الخلائق الإنس والجن، مؤمنهم وكافرهم، وسائر الخلائق من الدواب، وغيرها، وأما الحسيب فهو أخص؛ إذ إنه للمؤمنين والمتوكلين على الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣][١].

الآثار:

- إن الكافي عباده رزقًا ومعاشًا وقوتًا، وحفظًا وكلاءة، ونصرًا وعزًّا هو الله تبارك شأنه، فهو الذي يُكتفى بمعونته عمن سواه.

- إذا علم أن الله تعالى هو الكافي لجميع عباده في معاشهم ومعادهم، أوجب ألا يكون الرجاء إلا منه، والرغبة إلا إليه[٢].

- ومن آثاره أن يورث التوكل على الله تعالى، والاعتماد عليه، وعدم الالتفات إلى أحد من المخلوقين؛ لأنه هو وحده الكافي عباده بما يشاء.

(١) انظر: توضيح الكافية الشافية (١٢٦، ١٢٧). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير (٤/ ١٧٩)، وشرح النونية لهراس (٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٩١) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٥٠) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ].

المصادر والمراجع:

١ - «أسماء الله الحسنى»، للغصن.

٢ - «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٣ - «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٤ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ - «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، للأصبهاني.

٦ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ - «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٨ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ - «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.

١١ - «عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة»، لمحمد هراس.

الكِبَر

يراجع مصطلح (الكبير).

الكبير

التعريف لغةً:

الكبير: بوزن (فعيل) صيغة مبالغة،

مأخوذ من الكِبَر وهو خلاف الصِّغَر، والكِبَر من: كَبُر يَكْبُر؛ أي: عَظُم من العظمة، فهو كبير وكُبَار وكُبَّار، وجمعه: كِبار، ومنه الكبرياء، ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر؛ أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعزّ.

ويقال: أكْبَرْتُ الشيء؛ إذا استعظمته ورأيته كبيرًا.

وكبَّر يُكَبِّر تكبيرًا: قال: الله أكبر. والتكبير: التعظيم، والتَكَبُّر والاستكبار: التعظُّم.

وكِبْر الشيء: معظمه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑪﴾ [النور].

التعريف شرعًا:

الكبير: اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة له، يأتي بمعنى: العظيم والجليل.

وهو مشتق من الكبرياء، فهو سبحانه وتعالى له الكبرياء في ذاته، وصفاته وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض، فهو الذي كَبُر وعلا في ذاته.

وهو الكبير في أوصافه وأفعاله تبارك وتعالى، فلا سميَّ له ولا شبيه، ولا كفؤ ولا نظير[1].

وقال السعدي: «الكبير الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض»[2].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي واضحة وجليّة؛ إذ إن المعنى الشرعي لاسم الجلال الكبير مأخوذ من المعنى اللغوي مباشرة الذي يدور حول معاني الكبرياء والعظمة.

الحكم:

يجب إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء، ومن ذلك اسم الله الكبير؛ لدلالة النصوص على ذلك.

الحقيقة:

معاني الكبرياء والعظمة التي يدل عليها اسم الكبير نوعان:

الأول: يرجع إلى صفاته سبحانه، وأن له جميع معاني العظمة والجلال، وصفات الكمال والجمال، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ⑥⑦﴾ [الزُّمَر]، فله سبحانه وتعالى الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقدر قدرهما أحد،

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، الحجة في بيان المحجة (١/١٢٩) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٥) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) تفسير السعدي (٤١٤، ٦٥١).

ولا يبلغ كنههما عبد من العباد، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة**»(١).

الثاني: أنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غير الله، ومن تعظيمه ﷻ وتكبيره أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع لأوامره وشرعه وحكمه، ولا يُعترض على شيء من خلقه أو شرعه، وتعظيم ما عظمه من الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأعمال، والعبادة مبناها على تعظيم الباري وتكبيره، ولهذا شرعت التكبيرات في الصلاة في افتتاحها وفي تنقلاتها، وشرع التكبير في الصيام والفطر، وفي الحج والجهاد، وبهذا تتبين مكانة التكبير وجلالة قدره، وعظم منزلته(٢).

الأدلة:

ورد هذا الاسم في خمسة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد]، واقترن في أربعة مواضع باسم (العلي)، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢، ولقمان: ٣٠].

كما ورد في السُّنَّة النبوية الصحيحة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال**: ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٢٣﴾ [سبأ]، **فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضهم فوق بعض**» وذكر الحديث(٣).

أقوال أهل العلم:

قال البيهقي ـ عند سرده للأسماء الحسنى ـ: «ومنها: الكبير، قال الله جل ثناؤه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد]»(٤).

وقال ابن تيمية: «بل جميع الأسماء الحسنى هي مما وصف به نفسه كقوله: الغفور الرحيم، والعلي العظيم، الكبير المتعال»(٥).

وقال السعدي: «الكبير الذي له

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ٨٧٣) واللفظ له، والنسائي (كتاب التطبيق، رقم ١٠٤٩)، وأحمد (٣٩/٤٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه النووي في الخلاصة (١/٣٩٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ٨١٧) [مؤسسة غراس، ط١].

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٥١، ١٥٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٠٠).

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٩٩).

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٣٢٨).

الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض»[١].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: هل اسم (الكبير) مرادف لاسم (العظيم)؟

تفسير بعض أهل العلم اسمَ الجلال (الكبير) بالعظيم لا يلزم منه أنه مرادفٌ له؛ لأن الكبرياء الذي يدلُّ عليه اسم الجلال الكبير أكمل من العظمة؛ لأنه يتضمنها ويزيد عليها في المعنى، وفي تقرير ذلك يقول ابن تيمية: «وفي قوله: (الله أكبر) إثبات عظمته، فإن الكبرياء تتضمن العظمة ولكن الكبرياء أكمل؛ ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والأذان بقول: (الله أكبر) فإن ذلك أكمل من قول: (الله أعظم)، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته**»[٢]، فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرَّح بلفظه وتضمَّن ذلك التعظيم»[٣].

- المسألة الثانية: هل (الأكبر) من أسماء الله ﷻ؟

عدَّ ابن حزم[٤]، والقرطبي[٥]، وابن الوزير[٦] اسم (الأكبر) من أسماء الله تعالى، ولم يأت دليل صحيح يُلحق اسم (الأكبر) بأسماء الله الحسنى، ومن عده فيها استدل له بالحديث الذي رواه أبو داود عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**الله أكبر الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر الأكبر**»[٧].

ولم يرد (الأكبر) في حديث الأسماء، وفي جمع جعفر الصادق، وسفيان بن عيينة، والخطابي، وابن منده، والحليمي، والبيهقي، والأصبهاني، وابن العربي، وابن القيِّم، وابن حجر، والسعدي، والعثيمين، وغيرهم ممن عد

---

(١) تفسير السعدي (٤١٤، ٦٥١).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (١٤/ ٤٧٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، بلفظ: (فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١). وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: «العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته».

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٢٥٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]. وانظر: نفس المصدر (١٦/ ٦١١، ٦١٢).

(٤) المحلى (٦/ ٢٨٢).

(٥) ذكر ذلك التميمي في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٢٢٠)، ولم نجده في كتاب الأسنى.

(٦) إيثار الحق على الخلق (١٦٠).

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٠٨)، والنسائي في السنن الكبرى (كتاب عمل اليوم والليلة، رقم ٩٨٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٣٦) [مكتبة الرشد، ط١]، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢/ ٩٥) [مؤسسة غراس، ط١].

الأسماء، وعلة ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنه لم يثبت دليل يدل على أن (الأكبر) اسم من أسماء الله تعالى إلا ما سبق من حديث زيد بن أرقم، وهو حديث ضعيف.

الوجه الثاني: أنه لا يصح أن يؤخذ اسم (الأكبر) من الكبير أو المتكبر وهما اسمان ثابتان لله تعالى؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية.

ـ المسألة الثالثة: صفة الكِبَر:

الكِبَرُ صفة ذاتية خبرية ثابتةٌ لله ﷻ بالكتاب والسُّنَّة، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة[1].

وإن الله ﷻ له جميع معاني العظمة والجلال والكبرياء، فهو سبحانه أكبر وأعظم وأجل وأعلى من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن كل شيء مهما كبر وعظم فهو صغير وحقير وذليل أمام كبرياء الله وعظمته ومجده وجلاله، ومن علم ذلك وأيقن ذل لربه، وانكسر بين يديه، وصرف له أنواع العبادة كلها، واعتقد أنه المستحق لها دون سواه، وعلم أن من صرف شيئًا من العبادة لغيره سبحانه فهو لم يقدِّر ربه العظيم حق قدره[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

الآثار:

ـ على المسلم أن يعتقد بأن الله ﷻ أكبر من كل شيء، وأعظم وأجلّ من كل شيء، وأنه ما من شيء مهما كَبُر فإنه يصغر عند كبرياء الله وعظمته، وعليه أن يعلم أن كبرياء الرب وعظمته وجلاله وكماله وسائر أوصافه ونعوته لا يمكن أن تحيط به العقول، أو تدركه الأبصار والأفكار، فالله أعظم وأكبر من ذلك، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

ـ من علم أن الله ﷻ هو الكبير الذي ليس شيء أكبر منه ذلّ لربه وانكسر بين يديه، وصرف له جميع أنواع العبادة، وأنه وحده تبارك وتعالى المستحق لذلك كله دون سواه، وأن كل من أشرك بالله ﷻ شيئًا أو شبهه بشيء من خلقه فما قدّر الله حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

(١) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٢٨٦) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٤٤) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى للبدر (١٥١ ـ ١٥٣) [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر المقدم (١٦٦ ـ ١٦٨) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزُّمَر].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للأصبهاني.

٣ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠، ١٦)، لابن تيمية.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد التميمي.

٦ ـ «أسماء الله الحسنى»، للغصن.

٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٩ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

١٠ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

١١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

الكبيرة

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر. يقال: هو كبير، وكُبَار، وكبَّار»[(١)].

والكِبْر: الإثم وهو من الكبيرة واحدة الكبائر، كالخِطء من الخطيئة، والكِبْر: الإثم الكبير، والكِبْرة كالكِبْر، والتاء للمبالغة، والكبيرة: الفعلة القبيحة من الذنوب[(٢)].

التعريف شرعًا:

كل ما استوجبت حدًّا في الدنيا، أو حدًّا في الآخرة، أو تُوعِّد عليها بعقاب خاص في الدنيا، أو عقاب خاص في الآخرة، ففي الدنيا: كالجلد، والقتل، والرجم، والقطع، ونحوها، وأما في الآخرة: فكاللعنة، والغضب، ودخول النار، والحرمان من دخول الجنة، ونحوها، وهذا التعريف هو المتلقى من الشرع، وهو المأثور عن أئمة السلف رحمهم الله[(٣)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ۝٣٧﴾ [الشورى].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٣) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: لسان العرب (٥/ ١٢٩) [دار صادر، ط١]، والقاموس المحيط (٤٩٢) [مؤسسة الرسالة].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٦٥٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٥٢٥) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ [النجم: ٣٢].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[(١)].

وقال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئًا فجلس، فقال: **ألا وقول الزور وشهادة الزور**»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**. قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: **نعم؛ يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب»[(٤)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «الكبائر: هي ما فيها حد في الدنيا، أو في الآخرة؛ كالزنا، والسرقة، والقذف، التي فيها حدود في الدنيا، وكالذنوب التي فيها حدود في الآخرة، وهو الوعيد الخاص؛ مثل الذنب الذي فيه غضب الله، ولعنته، أو جهنم، ومنع الجنة، كالسحر، واليمين الغموس، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشرب الخمر، ونحو ذلك، هكذا روي عن ابن عباس، وسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من العلماء»[(٥)].

وقال الذهبي رحمه الله: «والذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب حوبًا من هذه العظائم، مما فيه حد في الدنيا؛ كالقتل، والزنا، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة؛ من عذاب، وغضب، وتهديد، ولعن فاعله على نبينا محمد ﷺ فإنه كبيرة، ولا بدَّ مع تسليم ذلك أن بعض الكبائر أكبر من بعض»[(٦)].

وقال السعدي رحمه الله: «وأحسن ما حدت به الكبائر أن الكبيرة ما فيه حد

(١) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٨٥٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٧).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٥٩٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩٠)، واللفظ له.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/٢٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده حسن.
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٦٥٨).
(٦) الكبائر وتبيين المحارم (١٠) [دار الكتاب العربي، ط ١٤٢٥هـ].

في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة أو غضب عليه»[(١)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ **المسألة الأولى: انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر:**

دل القرآن والسُّنَّة على أن الذنوب منها كبائر ومنها صغائر، فالأدلة السابقة من القرآن والسُّنَّة دلَّت على ذلك.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنَّى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه**»[(٢)].

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وقد دلَّ القرآن، والسُّنَّة، وإجماع الصحابة، والتابعين بعدهم، والأئمة على أن من الذنوب كبائر، وصغائر، قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، وفي الصحيحين عنه أنه قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** قلنا: بلى يا رسول الله، فقال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور**»[(٣)]، وفي الصحيحين عنه ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**، قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: **الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[(٤)]»[(٥)].

وقال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ يدلُّ على عدم المساواة، وأن بعض المعاصي كبائر، وبعضها صغائر، والمعروف عند أهل العلم: أنه لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[(٦)].

ـ **المسألة الثانية: مرتكب الكبيرة:**

وهو ما يسمَّى بالفاسق الملِّي، وهو الذي لم يقم بواجب الإيمان، فأقدم على ارتكاب المحرمات، وأخل بفعل الواجبات، فهو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، فلا يعطى اسم الإيمان المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، وهو تحت المشيئة يوم القيامة إن مات مصرًّا على الكبائر،

(١) تفسير السعدي (١٨٩) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان، رقم ٦٢٤٣)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٧).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) الداء والدواء (٢٨٩ ـ ٢٩١) [دار عالم الفوائد، ط١].
(٦) أضواء البيان (٧/٢١٣) [دار عالم الفوائد].

كما دلَّ على ذلك القرآن والسُّنَّة، وأجمع عليه أئمة السُّنَّة.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم مؤمنين، وجعلهم إخوة مع الاقتتال، وبغي بعضهم على بعض[١].

وقال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النسا: ٩٢]، ولو أعتق مذنبًا أجزأ عتقه بإجماع العلماء[٢].

يقول ابن تيمية ـ في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة ـ: «ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾»[٣].

ـ المسألة الثالثة: المصرُّ على الكبيرة:

وهو المستمرُّ عليها، والمداوم عليها إلى أن يموت دون توبة منها: وهذا حكمه عند أهل السُّنَّة والجماعة كحكم مرتكبي الكبيرة، سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن السُّنَّة عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**»[٤].

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ومن لقي الله بذنب يجب له به النار، تائبًا غير مصرّ عليه فإن الله عز وجل يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ومن لقيه، وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارة له، كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ، ومن لقيه مصرًّا غير تائب من الذنوب، التي استوجبت بها العقوبة، فأمره إلى الله عز وجل، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»[٥].

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: «ويعتقد أهل السُّنَّة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة، صغائر كانت أو كبائر، فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد على الإخلاص، فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالمًا غانمًا، غير مبتلى بالنار، ولا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧١).
(٢) انظر: المرجع السابق (٧/ ٦٧١).
(٣) المرجع السابق (٣/ ١٥١).
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).
(٥) أصول السُّنَّة ضمن شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/ ١٨٨) [مؤسسة الحرمين، ط٨، ١٤٢٤هـ].

معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه، وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذَّبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار»[(١)].

وليس المُصِر على الكبائر المعترف بحرمتها مستحلًّا لها؛ إذ الاستحلال معناه أن يعتقد حلّ ما حرمه الله، فتكفير المصرّ على الكبيرة بدعوى أنه مستحل لها هو عين مذهب النجدات من أكبر فرق الخوارج.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقالوا: من كذب كذبة صغيرة، أو عمل ذنبًا صغيرًا، أو أصرَّ على ذلك فهو كافر مشرك، وكذلك في الكبائر»[(٢)].

مذهب المخالفين:

أولًا: خالف بعض الطوائف ـ كالأشاعرة ومن وافقهم ـ في تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وجعلوا الكل كبائر، وقالوا: إن تقسيمها إلى كبائر وصغائر إنما يقال بالإضافة إلى ما هو أكبر منها.

قال ابن حجر الهيتمي الأشعري: «اعلم أن جماعة من الأئمة أنكروا أن في الذنوب صغيرة، وقالوا: بل سائر المعاصي كبائر، منهم: الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني، والقاضي أبو بكر الباقلاني، والجويني في الإرشاد، وابن القشيري في المرشد، بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة، واختاره في تفسيره؛ فقال: معاصي الله عَزَّ وَجَلَّ عندنا كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، ثم أوّل الآية الآتية: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء] بما ينبو عنه ظاهرها»[(٣)].

وقد تقدم تقرير أن الذنوب منقسمة إلى كبائر وصغائر، بما يبطل مذهب القوم من أصله.

ثانيًا: خالف في حكم واسم مرتكب الكبيرة ثلاثة من طوائف أهل الأهواء والبدع:

الأولى: الخوارج ومن وافقهم قالوا: إن مرتكب الكبيرة كافر كفرًا مخرجًا من الملة، فاستحلّوا دمه، وماله، وعرضه، وقالوا: حكمه في الآخرة خالد مخلد في نار جهنم، فخالفوا أهل السُّنَّة في الاسم والحكم.

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٨٢) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) الفِصل في الملل والأهواء والنِّحل (٥/٥٣) [دار الجيل، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/٨) [المكتبة العصرية، ط٢، ١٤٢٠هـ].

الثانية: المعتزلة ومن وافقهم قالوا: إن مرتكب الكبيرة له اسم بين الاسمين، فلا هو مؤمن، ولا هو كافر، وإنما يسمى فاسقًا، كما أن له حكمًا بين الحكمين، فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا يكون حكمه حكم المؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين، فلم يستحلوا، دمه، ولا ماله، ولا عرضه، لكن وافقوا الخوارج في حكمه في الآخرة، وأنه إن مات على الكبائر، دون توبة منها: فهو مخلد في نار جهنم[1].

الثالثة: وهم المرجئة بجميع أصنافهم، قالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وإن ارتكب المعاصي، وفرط في الواجبات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الناس في الفاسق من أهل الملة، مثل الزاني، والسارق، والشارب، ونحوهم ثلاثة أقسام: طرفان، ووسط:

أحد الطرفين: أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه، ولا يدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان.

ثم من هؤلاء من يقول: هو كافر؛ كاليهودي، والنصراني، وهو قول الخوارج.

ومنهم من يقول: نُنزله منزلةً بين المنزلتين، وهي منزلة الفاسق، وليس هو بمؤمن، ولا كافر، وهم المعتزلة.

وهؤلاء يقولون: إن أهل الكبائر يخلدون في النار، وإن أحدًا منهم لا يخرج منها، وهذا من مقالات أهل البدع، التي دل الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان على خلافها.

الطرف الثاني: قول من يقول: إيمانهم باق، كما لم ينقص؛ بناء على أن الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم، وهو لم يتغير، وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة، والجهمية، ومن سلك سبيلهم، وهو أيضًا قول مخالف للكتاب والسُّنَّة، وإجماع السابقين، والتابعين لهم بإحسان»[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الكبائر وتبيين المحارم»، الذهبي.

٢ ـ «الزواجر عن اقتراف الكبائر»، للهيتمي.

٣ ـ «الذخائر لشرح منظومة الكبائر»، للسفاريني.

٤ ـ «السُّنَّة»، لعبد الله بن أحمد.

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (٧٩٦) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ]، والمنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي (١٣) [ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٦٧٠، ٦٧١).

٥ ـ «السُّنَّة»، لأبي بكر الخلال.

٦ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٧)، لابن تيمية.

٧ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٨ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٩ ـ «كتاب الإيمان»، للقاضي أبي يعلى.

١٠ ـ «آراء المرجئة في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية»، لعبد الله بن محمد السند.

الكتابة (صفة لله تعالى)

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والتاء والباء أصل صحيح يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة»[١].

والكتابة اسم، وهي صناعة كالنجارة والعطارة[٢].

تقول: كتّبت الغلام تكتيبًا؛ إذا علمته الكتابة[٣].

التعريف شرعًا:

الكتابة صفة من الصفات الفعلية الخبرية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة[٤].

الأسماء الأخرى:

الْخَطُّ.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الحقيقة:

الكتابة المضافة إلى الله تعالى الواردة في النصوص على أنواع:

١ ـ أمر الله تعالى القلم بالكتابة: عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: **«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»**[٥].

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: المصباح المنير (٢/ ٥٢٤).

(٣) انظر: تاج العروس (٤/ ١٠٣).

(٤) انظر: صفات الله الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٢٨٩) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٤٥) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧/ ٣٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

٢ ـ كتابة الله التوراة بيده سبحانه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيَّبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟**»، فقال النبي ﷺ: «**فحج آدم موسى، فحج آدم موسى**» ثلاثًا. وفي رواية عند مسلم بلفظ: «**كتب لك التوراة بيده**»[(١)].

٣ ـ إذا قضى الله أمرًا فإنما يقول له كن فيكون: قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران].

وكتابة الله تعالى على قسمين:

الأول: كتابة شرعية دينية، وهذا لا يلزم منها وقوع المكتوب، فقد يقع وقد لا يقع، والله عز وجل يرضاها ويحب وقوعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

والثاني: كتابة كونية قدرية، وهذا يلزم منها وقوع المكتوب، ومنه ما يحبه الله ومنه ما لا يحبه الله عز وجل، منه قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقال عز وجل: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ [مريم: ٧٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين، ختم بهما سورة البقرة، لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب كتابًا**

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٨٢)، وأحمد (٣٠/٣٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٤٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٧٨٢)، والحاكم (كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٠٦٥) و(كتاب التفسير، رقم ٣٠٣١) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٨٨) [مكتبة المعارف، ط٥].

قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[(١)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم! أنت أبونا خيبتنا، وأخرجتنا من الجنة. فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟»**، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»** ثلاثًا، وفي رواية عند الإمام مسلم بلفظ: **«كتب لك التوراة بيده»**[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال كعب الأحبار: لم يخلق الله بيده غير ثلاث: خلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي. قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون][(٣)].

وقال حكيم بن جابر: «أخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وخلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده»[(٤)].

وقال ميسرة: «إن الله لم يمس شيئًا من خلقه غير ثلاث: خلق آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده»[(٥)].

وقال ابن أبي عاصم: «باب في ذكر قول ربنا عز وجل: سبقت رحمتي غضبي، وكتب ذلك بيده على نفسه»[(٦)].

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده»[(٧)].

وقال ابن منده: «بيان آخر يدل على أن الله عز وجل خط التوراة بيده»[(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٥٤)، واللفظ له، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الدارمي في رده على بشر المريسي (٩٩، ١٠٠)، رقم (٤٦) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٥) رقم (٧٥٩) [دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وصحح الألباني إسناده في مختصر العلو (١٣٠) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ] ضمن كلامه على الأثر رقم (١٠٤).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٣) رقم (٧٥٧)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السُّنَّة (١/ ٢٩٥) رقم (٥٧٠) [دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٦]، وأبو بكر النجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق (٦٧) رقم (٩٨) [مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت، ١٤٠٠هـ]؛ وذكره الذهبي في العلو للعلي الغفار (١٢٥) رقم (٣٣١) [أضواء السلف، ط١، ١٩٩٥م]، وصححه الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (٨٠) رقم (٧٧) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ١٤١٣هـ]؛ والألباني في مختصر العلو (١٣٠) رقم (١٠٤).

(٥) أخرجه الدارمي في رده على المريسي (٩٨، ٩٩) رقم (٤٥)، وقال الألباني في مختصر العلو (١٣٠): «رجاله ثقات».

(٦) كتاب السُّنَّة (١/ ٢٧٠) [المكتب الإسلامي، ط١].

(٧) كتاب الشريعة (٣/ ١١٧٧).

(٨) كتاب التوحيد لابن منده (٣/ ٩٤) [الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ].

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»[1].

وقال ابن القيِّم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد والخلق باليدين والمباشرة بهما، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده»[2].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: كتابة الله تعالى على قسمين:

الأول: كتابة شرعية دينية، وهذه لا يلزم منها وقوع المكتوب، فقد يقع وقد لا يقع، والله ﷻ يرضاها ويحب وقوعها، ومن الأمثلة على ذلك، فرضية الصلاة والصيام والقصاص، وغيرها من الأحكام الشرعية التي أمر الله بها عباده وكتبها عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة].

والثاني: كتابة كونية قدرية، وهذه يلزم منها وقوع المكتوب، ومنه ما يحبه الله ومنه ما لا يحبه الله ﷻ، ومن الأمثلة على الكتابة الكونية قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ [الأنعام: ١٢].

ـ المسألة الثانية: كتابة الله التوراة بيده:

ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «احتج آدم وموسى» في رواية عند الإمام مسلم بلفظ: «كتب لك التوراة بيده»[3]. قال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده»[4]، وقال ابن منده: «بيان آخر يدل على أن الله ﷻ خط التوراة بيده»[5].

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٧١) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) كتاب الشريعة (٣/١١٧٧).

(٥) كتاب التوحيد لابن منده (٣/٩٤).

ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»[(١)].

ـ المسألة الثالثة: ذُكر في الأسماء الحسنى: الكاتِب:

وقد ذكره القرطبي، وابن الوزير اليماني[(٢)]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء].

والصحيح أن هذا الاسم ليس من أسماء الله الحسنى، وإنما هو من صفات الأفعال، وليس كل ما يطلق على الله صفة وفعلًا يشتق له منه اسم[(٣)].

ـ المسألة الرابعة: الكتابة في باب القدر:

الكتابة في باب القدر هي المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر، قال ابن القيم: «مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، **وهي أربع مراتب:**

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.

المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.

المرتبة الثالثة: مشيئته لها.

الرابعة: خلقه لها»[(٤)]. فالقدر له أربع مراتب، والكتابة هي المرتبة الثانية منها، فنؤمن أن الله سبحانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج]، فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الله ﷻ علمه محيط بكل ما في السماء والأرض، وأنه لا يخفى عليه منها خافية، من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، متقدمها ومتأخرها. وذلك العلم المحيط بما في السماء والأرض قد أثبته الله في كتاب، وهو اللوح المحفوظ، فالآية جمعت في الدلالة على المرتبتين: العلم والكتابة[(٥)]، والله أعلم.

ـ المسألة الخامسة: حكم تعليق الآيات القرآنية المكتوبة للاستشفاء بها:

إنّ كتابة القرآن الكريم وتعليق المكتوب منه على المريض من باب الاستشفاء به ـ وهو ما يسمى بالتمائم ـ من المسائل المختلف فيها عند أهل

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٣٣).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١٩٦) [دار الصحابة، ط١]، وإيثار الحق على الخلق (١٦٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٣) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله للتميمي (٢٣٩) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٤) شفاء العليل (٥٥) [دار الكتب العلمية، ط٢].

(٥) انظر: المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام (٢/ ١٠٧٦ ـ ١٠٧٨) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٣١هـ].

العلم، فمنهم من منعه ومنهم من أجازه، والمنع هو الأولى، وذلك لما يلي:

أ ـ عموم النهي الوارد في تحريم التمائم؛ كحديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»(١).

وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة، وتركت هذا؟ قال: «**إن عليه تميمة**» فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: «**من علق تميمة؛ فقد أشرك**»(٢).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تعلَّق تميمة، فلا أتم الله له، ومن تعلَّق ودعة فلا ودع الله له**»(٣).

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، رقم ٣٨٨٣)، وابن ماجه (كتاب الطب، رقم ٣٥٣٠)، وأحمد (٦/ ١١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٩٠)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٨/ ٦٣٦، ٦٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥١٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠٣) [مكتبة القدسي]: (رجال أحمد ثقات)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/ ٦٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقى والتمائم، رقم ٦٠٨٦)، والحاكم (كتاب الطب، رقم ٧٥٠١) وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٢٦٦).

وهذه نصوص عامة لا مخصص لها. والقاعدة الأصولية تقول: إن العام يبقى على عمومه حتى يرد دليل التخصيص.

ب ـ لو كان هذا العمل مشروعًا لبيَّنه النبي ﷺ لأمته؛ إذ البيان لا يؤخر عن وقت الحاجة، والمتتبع للسُّنَّة النبوية يرى أن جميع الأحاديث الواردة في الأذكار والدعوات وردت بلفظ من قال كذا أو من قرأ كذا، ولم يرد في حديث واحد من كتب كذا أو علق كذا.

قال ابن العربي عن تعليق القرآن من باب الرقية والاستشفاء به: «ليس من السُّنَّة، وإنما السُّنَّة فيه الذكر دون التعليق»(٤).

ج ـ سدًّا للذريعة؛ فإنه يفضي إلى تعليق غير القرآن، ولأنه يفضي إلى إهانة المعلَّق والذهاب به إلى أماكن يجب إبعادها عنها مثل الحمامات ونحوها.

فالصحيح من قولَي أهل العلم هو عدم جواز تعليق التمائم من القرآن الكريم وغيره من الأذكار الصحيحة(٥)، والله تعالى أعلم بالصواب.

ـ المسألة السادسة: حكم كتابة القرآن وغسل الكتابة وشرب الغُسالة استشفاءً:

إن كتابة القرآن في جلد أو لوح

(٤) عارضة الأحوذي (٨/ ٢٢٢) [دار الكتب العلمية].

(٥) انظر للتفصيل: أحكام الرقى والتمائم (٢٤٣ ـ ٢٥٣) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

ونحوهما ثم غسل المكتوب وشرب الغسالة من باب الاستشفاء بالقرآن الكريم من المسائل المختلف فيها عند أهل العلم[(١)]، والأولى ترك ذلك؛ فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن «كتابة سورة أو آيات من القرآن في لوح أو طبق أو قرطاس وغسله بماء أو زعفران أو غيرهما وشرب تلك الغسالة رجاء البركة أو استفادة علم أو كسب مال أو صحة وعافية ونحو ذلك فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه فعله لنفسه أو غيره، ولا أنه أذن فيه لأحد من أصحابه أو رخص فيه لأمته مع وجود الدواعي التي تدعو إلى ذلك، ولم يثبت في أثر صحيح فيما علمنا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه فعل ذلك أو رخص فيه، وعلى هذا فالأولى تركه، وأن يستغن عنه بما ثبت في الشريعة من الرقية بالقرآن وأسماء الله الحسنى، وما صح من الأذكار والأدعية النبوية ونحوها مما يعرف معناه ولا شائبة للشرك فيه، وليتقرب إلى الله تعالى بما شرع، رجاء التوبة، وأن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويرزقه العلم النافع ففي ذلك الكفاية، ومن استغنى بما شرع الله أغناه الله عما سواه»[(٢)]. فالأولى ترك ذلك، والله أعلم بالصواب.

مذهب المخالفين:

الكتابة صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية.

ومن ذلك ما جاء في تعليق أحدهم على صحيح البخاري[(٣)] قوله: ««خط لك بيده»: أنزل عليك كتابه التوراة». وهذا من المعلق تأويل وتحريف للكلم عن مواضعه، فليس الخط في لغة العرب بمعنى الإنزال ولا هو من معانيه، والواجب إثبات هذه الصفة لله جل وعلا كما ثبتت في النصوص وبما تقتضيه لغتها العربية من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وإنكار المعطلة لخط الله وكتابته بيده هو فرع عن إنكارهم لصفة اليد

(١) انظر للتفصيل: التبرك أنواعه وأحكامه (٢٣٢ ـ ٢٣٥) [مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤٢١هـ]، وأحكام الرقى والتمائم (٦٦ ـ ٦٩).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ و٢٥٩، ٢٦٠) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٣، ١٤١٩هـ].

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٢٤٣٩) [دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ] والمعلق هو: (مصطفى ديب البغا). وانظر أيضًا في أقوال المخالفين: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٣/ ٢٤٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري (٩/ ٥٣٩) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

الثابتة لله ﷻ. والصحيح أنه يجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنَّة ولوجود أقوال السلف في ذلك، فهي كغيرها من الصفات الثابتة لله تعالى، والله تعالى أعلم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الرقى والتمائم»، لفهد السحيمي.

٢ ـ «التبرك أنواعه وأحكامه»، لناصر الجديع.

٣ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.

٤ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري» (ج٢)، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٥ ـ «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء».

٦ ـ «كتاب التوحيد» (ج٣)، لابن منده.

٧ ـ «كتاب السُّنَّة» (ج١)، لابن أبي عاصم الشيباني.

٨ ـ «كتاب الشريعة» (ج٣)، لأبي بكر الآجري.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٢)، لابن تيمية.

١٠ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، للموصلي.

١١ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

الكتابة (من مراتب القدر)

التعريف لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: «الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ. من ذلك الكِتَابُ والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أكْتبه كَتْبًا»[(١)].

يقال: كتبت البغلة؛ إذا جمعت شفرى رحمها بحلقة، والكُتَب: الخُرز، ومن الباب: الكتاب، وهو الفرض، ويقال للحكم: الكتاب، ويقال للقدر: الكتاب. والكاتِبُ عند العرب العالم، والمُكاتَب: العبد، يكاتب سيده على نفسه، وأصله من الكتاب[(٢)].

التعريف شرعًا:

الكتابة: هي كتابة الله ﷻ لكل شيء في اللوح المحفوظ، مما هو من أفعاله وكلامه، ومما هو كائن من خلقه إلى يوم القيامة[(٣)].

الأسماء الأخرى:

الكتاب، والقدر، والتقدير، والذكر.

(١) مقاييس اللغة (٥/١٢٨) [دار الجيل].

(٢) انظر: لسان العرب (١/٦٩٨) [دار صادر، ط١]، ومختار الصحاح (٥٨٦) [مكتبة لبنان، ١٤١٥].

(٣) انظر: شفاء العليل (٧٧) [دار الكتب العلمية، ط٣].

الحكم:

يجب الإيمان بكتابة الله تعالى لكل شيء في اللوح المحفوظ، والكتابة أحد مراتب الإيمان بالقدر، التي من لم يؤمن بواحدة منها لم يكن مؤمنًا بالقدر(١).

الحقيقة:

أن الله تبارك وتعالى هو العليم بكل شيء وبكل ما كان وما سيكون ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولكمال علمه وأن كل شيء بيده وفي تصرفه وتدبيره كتب في اللوح المحفوظ عنده كل ما كان وما سيكون، فيقع كل ما هو مكتوب كما كتب لا يختلف في قليل ولا كثير، وهذه حقيقة القدر: أن كل شيء إنما يصدر عن قدر سابق مكتوب.

الأهمية:

الكتابة علامة على إبرام الأمر نهائيًّا والفراغ منه؛ فإن الكتابة تأتي بمعنى القضاء المبرم؛ الذي لا عودة فيه قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة].

والفائدة في كتابة القدر السابق؛ مع تنزهه تعالى عن الخطأ والنسيان كما قال تعالى: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه]، هو هذا المعنى؛ أي: التأكيد والإبرام للقدر السابق؛ فالكتابة علامة على نفاذ الأمور المقدرة وإمضائها على النحو المكتوب من غير تبديل؛ والفراغ منها؛ كما قال النبي ﷺ: «**رفعت الأقلام، وجفَّت الصحف**»(٢).

الأدلة:

قد دلَّت الأدلة الشرعية على أن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها وأن كل ما يقع في الكون من صغير أو كبير فهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥﴾ [النمل]، وقوله

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/١٤٨) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل (٧٧)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٢/١٩٧) [دار ابن الجوزي، ط ٤، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٤/٤٨٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في تحقيقه للمشكاة (رقم ٥٣٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٣].

تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

ومن السُّنَّة حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**»، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم**»، قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان، قال: «قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»(٢).

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بنيّ، إنّك لن تجد طعم حقيقة الإِيمان حتّى تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن لِيصيبك، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إنّ أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: رب وماذا أَكتب؟ قال: اكتب مقادير كلّ شيء حتّى تقوم السّاعة**»، يا بُنيّ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس منّي**»(٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «**ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**» قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «**مَنْ كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة**»، فقال: «**اعملوا فكل ميسَّر، أما أهل السعادة فييسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسَّرون لعمل أهل الشقاوة**»، ثمّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).
(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٠) واللفظ له، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣١٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٣٧/ ٣٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٠١٨).

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل][1].

أقوال أهل العلم:

عن أبي الحارث قال: «سمعت أبا عبد الله، وسئل عن القدر، قيل له: إنهم يقولون: إن الله ﷻ لا يضل أحدًا هو أعدل من أن يضل أحدًا، ثم يعذبه على ذلك، فقال: أليس قال الله ﷻ: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [المدثر: ٣١]، فالله ﷻ قدر الطاعة والمعاصي، وقدر الخير والشر، ومن كتب سعيدًا فهو سعيد، ومن كتب شقيًّا فهو شقي»[2].

وقال الآجري: «إن الأنبياء إنما بعثوا مبشرين ومنذرين، وحجة على الخلق، فمن شاء الله تعالى له الإيمان آمن، ومن لم يشأ له الإيمان لم يؤمن، قد فرغ الله تعالى من كل شيء، قد كتب الطاعة لقوم، وكتب المعصية على قوم، ويرحم أقوامًا بعد معصيتهم إياه، ويتوب عليهم، وقوم لا يرحمهم، ولا يتوب عليهم: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء]»[3].

وقال ابن القيِّم: «وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنَّة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب، وقد دلَّ القرآن على أن الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله، وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله وكلامه»[4].

الأقسام:

قد دلَّت النصوص الشرعية على أن كتابة القدر على نوعين: عامة وخاصة، وأن الخاصة تتعدد مرات عديدة وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولًا: العامة: وهي كتابة المقادير كلها في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض:

جاءت الأدلة الشرعية الكثيرة تدل على أن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها ابتداءً في اللوح المحفوظ عند ما خلق الله ﷻ القلم قبل خلق السماوات والأرض، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾ [الحج]، قال ابن جرير رحمه الله في الآية: «ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السماوات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمُجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٤٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٧).

(٢) السُّنَّة للخَلَّال (٣/٥٣٧) [دار الراية ط١، ١٤١٠هـ].

(٣) الشريعة للآجُرِّي (٢/ ٧٣٠) [دار الوطن، ط٢].

(٤) شفاء العليل (٧٧).

في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جلّ ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة»[١].

ومن السُّنَّة حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السَّماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[٢].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له[٣]، وقوله: «**وعرشه على الماء**»؛ أي: قبل خلق السماوات والأرض والله أعلم»[٤].

وعبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب قال: ربّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلّ شيء حتّى تقوم السّاعة**»[٥].

وحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما المتقدم[٦]، فهذه الأحاديث ونحوها تدل على أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

(١) تفسير ابن جرير (١٨/ ٦٨١) [مؤسسة الرسالة ط١].
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) يعني: أن ذلك مرتبط بعلم الله عز وجل وعلمه أزلي.
(٤) شرح مسلم للنووي (١٦/ ٢٠٣).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.

ثانيًا: الكتابة الخاصة:

كتب الله عز وجل من تلك الكتابة الأولى كتابات خاصة مأخوذة من الكتابة الأولى، قال ابن القيم بعد أن ذكر التقادير المتعددة: «وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق»[٧]، وقد دلَّت النصوص على أربعة منها:

١ ـ الكتابة قبل خلق آدم عليه السلام بأربعين سنة:

كتب الله عز وجل على بني آدم كتابة خاصة وذلك قبل خلق أبينا آدم بأربعين سنة، دل على ذلك حديث محاجة آدم وموسى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجَّ آدم وموسى** عليهما السلام **عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيًّا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق، قال موسى: بأربعين عامًا، قال آدم: فهل وجدت فيها: وعصى آدم ربه فغوى، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملًا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال**

(٧) شفاء العليل (٤٣).

رسول الله ﷺ: «**فحجَّ آدم موسى**»[١].

فالحديث صريح بأن هذا التقدير وهذه الكتابة بعد الكتابة الأولى التي في اللوح المحفوظ ولا حاجة للنص عليها لو لم تكن لاحقة للكتابة الأولى.

٢ ـ كتابة أعمال الإنسان وهو في بطن أمه:

جاءت أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصّادق المصدوق، قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**»[٢].

٣ ـ الكتابة الحولية:

وهي أن الله عز وجل يكتب أعمال السنة كاملة في كل ليلة قدر من السنة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان]، قال ابن جرير رحمه الله: هي ليلة القدر، يقضي فيها أمر السنة كلها من يموت، ومن يولد، ومن يعزّ، ومن يذل، وسائر أمور السنة.

وروي بسنده عن ربيعة بن كلثوم، قال: كنت عند الحسن، فقال له رجل: يا أبا سعيد، ليلة القدر في كلّ رمضان؟ قال: إي والله، إنها لفي كلّ رمضان، وإنها الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله كلّ أجل وأمل ورزق إلى مثلها.

وروي عن مجاهد أنه قال: في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعايش والمصائب كلها[٣].

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٣).

(٣) تفسير ابن جرير (٢٢/٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٢٤٦).

٤ ـ نسخ المقادير من قبل الحفظة من اللوح المحفوظ، وهو التقدير اليومي.

قال حافظ الحكمي: «التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدِّرت لها فيما سبق»(١).

قد وكل الله ﷻ حفظة على بني آدم يكتبون أعمالهم وقد وردت أدلة تدل على أن الحفظة تنسخ أعمال بني آدم من اللوح المحفوظ وتطابقها على أفعالهم فيجدونها متطابقة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أوّلُ ما خلق الله تعالى القلم فأخذه بيمينه، وكلتا يديه يمين. قال: فكتب الدُّنيا وما يكون فيها من عمل معمول؛ برٍّ أو فجور، رطب أو يابس، فأحصاه عنده في الذكر، فقال: أقرؤوا إن شئتم:** ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ **فهل تكون النّسخة إلا من شيء قد فرغ منه**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ قَالَ: «الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب»(٣). وفي رواية عنه أنه قال في الآية: «كتب الله أعمال بني آدم وما هم عاملون إلى يوم القيامة. قال: والملائكة يستنسخون ما يعمل بنو آدم يومًا بيوم فذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾»(٤).

قال ابن بطة رحمه الله في بيان أن الكتبة ينسخون أعمال العباد عن اللوح المحفوظ: «وفي كتابة المقادير الأزلية جاء قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ [القلم]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٩﴾ فدلَّت الآية الأولى على أن الله تعالى أقسم بالقلم الذي سطر المقادير في الأزل، ودلَّت الآية الثانية على أن الملائكة الموكلين بحفظ أعمال العباد اليومي وكتابتها كانوا يستنسخون من الكتاب السابق الذي كتبه القلم في أم الكتاب أزلًا، فيكون عمل الرجل اليومي مطابقًا لما يستنسخ من اللوح المحفوظ، كما فسره بذلك حبر الأمة عبد الله بن

(١) معارج القبول (٣/ ٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ٤٩) [المكتب الإسلامي، ط١]، والفريابي في القدر (٢٣١) [أضواء السلف، ط١]، والآجري في الشريعة (٢/ ٧٥٩) [دار الوطن، ط٢]، وحسنه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٥٠).

(٣) أخرجه البيهقي في القضاء والقدر (١٢٥) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ]، وسنده ضعيف.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٣/ ٥٩٥) [دار طيبة، ط٨، ١٤٢٣هـ]، وسنده ضعيف جدًّا.

عباس رضي الله عنهما»[١][٢].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المحو والإثبات:

الله عز وجل هو العليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ولا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه وإرادته ومشيئته، وقد كتب سبحانه وتعالى مقادير الخلائق وما يقع منهم وما يقع عليهم، وقد سبق بيان الأدلة في ذلك، وهذا أمر متفق عليه بين أهل السُّنَّة لا خلاف فيه، وإنما اختلفوا فيما في اللوح المحفوظ وما في أيدي الملائكة من الصحف مما أطلعهم الله عليه، أيقع فيه محو، أم أنه قد ختم عليه فلا يقع فيه محو ولا تبديل ولا تغيير؟ وأساس الخلاف يرجع إلى الاختلاف في فهم قول الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد]، وقد ذكر أهل العلم أقوالًا عديدة في معنى الآية، بلغت عند بعضهم كالقرطبي رحمه الله الى ثمانية عشر قولًا، والذي يهمنا من ذلك هنا الأقوال المرتبطة بالمحو والإثبات مما كتب من المقادير، وهي ترجع إلى خمسة أقوال:

القول الأول: أنه لا محو ولا إثبات ولا تغيير لشيء من المكتوب، وإنما معنى الآيه في أمور أخرى خارجة عن تلك المعاني السابقة، قال ابن عطية رحمه الله: «وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ، والذي يتخلص به مشكلها: أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل، وهي التي ثبتت في (أُمُّ الْكِتابِ) وسبق بها القضاء، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره من أهل العلم، وأما الأشياء التي قد أخبر الله تعالى أنه يبدل فيها وينقل كعفو الذنوب بعد تقريرها، وكنسخ آية بعد تلاوتها واستقرار حكمها ففيها يقع المحو والتثبيت فيما يقيده الحفظة ونحو ذلك، وأما إذا رد الأمر للقضاء والقدر فقد محا الله ما محا وثبّت ما ثبّت. وجاءت العبارة مستقلة بمجيء الحوادث، وهذه الأمور فيما يستأنف من الزمان»[٣].

ومن قال بهذا القول اختلفوا في بيان ما يقع فيه المحو والإثبات ومما ذكروا في ذلك:

١ ـ أنّ الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وقال بهذا ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج ومال إليه شارح الطحاوية.

٢ ـ أنه يمحو من قد حان أجله،

(١) كما أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٦) [مكتبة الرشد، ١٤١٨]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٦٩٣) ورجال سند أبي عبيد ثقات.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣/ ١٥٤) [دار الراية].

(٣) المحرر الوجيز (٣/ ٣١٧) [دار الكتب العلمية، ط١].

ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله. وقال به الحسن البصري ومجاهد وهو الذي رجحه ابن جرير.

٣ ـ وقيل إن معنى الآية: يغفر ما يشاء من ذنوب عباده، فهذا المحو، ويترك ما يشاء فلا يغفر وهذا الإثبات، وعزاه ابن جرير لسعيد بن جبير.

القول الثاني: أن المحو والإثبات فيما يتعلق بالمقادير واقع في جميع المقدورات المكتوبات؛ لأن الأمر يعود لمشيئة الله ﷻ وإرادته ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وممن نسب له هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روى ابن جرير بسنده عن أبي عُثْمان النَّهدي قال: «سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول، وهو يطوف بالكعبة: اللَّهُمَّ إن كنت كتبتَني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت عليَّ الذّنب والشِّقوة فامحُني وأثبتني في أهل السّعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمّ الكتاب»[(١)]، ومثله روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وكعب الأحبار وأبي وائل شقيق بن سلمة والضحاك والكلبي[(٢)].

القول الثالث: أن المحو والإثبات في كل شيء إلا الشقاء والسعادة فلا محو ولا تغيير فيها، فقد مضى بها القدر وختم عليه لا تغيير ولا تبديل فيها، وعُزي هذا القول إلى ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾، قال: «كل شيء غير السعادة والشقاء، فإنهما قد فُرِغ منهما»[(٣)].

القول الرابع: أن المحو والإثبات في كل شيء إلا الشقاء والسعادة والموت والحياة فإنه قد فرغ منها فلا محو ولا إثبات فيها، وهو القول الأشهر عن ابن عباس وهو قول مجاهد.

القول الخامس: أنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت من الكتب والصحف التي بأيدي الملائكة، أما ما في أمّ الكتاب فلا يُغَيَّرُ منه شيء. وعزا ابن جرير هذا القول لابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة[(٤)].

وقد قال بمضمون هذا القول الأخير شيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع الأجل، فقد قال: «إن الله ﷻ يكتب للعبد أجلًا في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٦/٤٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن بطة في الإبانة (٤/١٣١) [دار الراية، ط١].

(٢) انظر أقوالهم في تفسير ابن جرير (١٦/٤٣٢).

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١٦/٤٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٤) تفسير ابن جرير (١٦/٤٣٢). وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٧٢)، وتفسير القرطبي (٩/٣٢٩)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٥٠١)، وشرح الطحاوية (١/١٤٤).

عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب... وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: اللَّهُمَّ إن كنت كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيدًا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت. والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالمًا به فلا محو فيه ولا إثبات. وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين[(١)].

ونحو هذا قال ابن حجر: «وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات، والعلم عند الله»[(٢)].

ـ المسألة الثانية: إثبات الكتابة فعلًا من أفعال الله ﷻ:

الكتابة فعل من أفعال الله ﷻ، ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجّ آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيّبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخطّ لك بيده، أتَلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النّبيّ ﷺ: «فحجَّ آدم موسى، فحج آدم موسى**».

وفي حديث ابن أبي عمر وابن عبدة، قال أحدهما: «خطّ»، وقال الآخر: «كتب لك التوراة بيده»[(٣)].

وفي تقرير هذا جاء كلام أهل العلم؛ قال ابن خزيمة رحمه الله «نقول: لله يدان مبسوطتان، ينفق كيف يشاء، بهما خلق الله آدم عليه السلام، وبيده كتب التوراة لموسى عليه السلام، ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدي المخلوقين مخلوقة»[(٤)].

وقال الآجري: «باب الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم عليه السلام بيده، وخط التوراة لموسى بيده...»[(٥)].

وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روي في الصحيحين، فمن أنكر ذلك فهو مخطئ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٩٠).

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٨٨). وانظر: تفسير السعدي (٤١٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٩٥) [مكتبة الرشيد ط٥، ١٩٩٤م].

(٥) كتاب الشريعة (٣/ ١١٧٧).

ضال، وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة»[(١)].

مذهب المخالفين:

الإيمان بالقدر هو الإيمان بأربع مراتب:

الأولى: العلم، الثانية: الكتابة، الثالثة: المشيئة، الرابعة: خلق الأعمال.

وكان غلاة القدرية المتقدمون ينكرون العلم والكتابة، ومنهم: معبد الجهني. الذي كان أول من نفى القدر من المسلمين في البصرة في أواخر عهد الصحابة بعد موت الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

وهذا المذهب قد انقرض وورثه المعتزلة بعد أن تخفف إنكارهم للقدر بالإقرار بالعلم والكتابة وإنكار المشيئة وخلق الأعمال.

الرد عليهم:

إن أنكار العلم وكتابة المقادير هو إنكار لعشرات النصوص من الكتاب والسُّنَّة التي جاء فيها تقرير ذلك صريحًا واضحًا لا لبس فيه ولا غموض، وقد سبق ذكر العديد من تلك النصوص الدالة على ذلك، وهي تتضمن الرد على هذه الطائفة من غلاة القدرية، كما أن كل من أقرَّ بعلم الله عز وجل بكل شيء وأن الله تعالى يعلم ما كان وما سيكون، فيجب أن يقر بالكتابة؛ لثبوتها بالنص؛ لأن الكتابة هي توثيق للمعلوم وتأكيد لوقوعه، فإنكارها لا مسوغ له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولكن لما اشتهر الكلام في القدر، ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد، صار جمهور القدرية يقرون بتقدم العلم، وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق. وعن عمرو بن عبيد في إنكار الكتاب المتقدم روايتان. وقول أولئك ـ يعني: منكري العلم والكتابة ـ كفّرهم عليه مالك، والشافعي، وأحمد وغيرهم»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إتحاف ذوي الألباب»، لمرعي الكرمي.

٢ ـ «الاحتجاج بالقدر»، لابن تيمية.

٣ ـ «إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان»، لمرعي الكرمي.

٤ ـ «القضاء والقدر»، للبيهقي.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٥٣٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٢٦١) [دار الراية، ط٢، ١٤١٨هـ].

٨ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.

٩ ـ «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

١٠ ـ «القضاء والقدر»، لعبد الرحمٰن المحمود.

الكُتب السماوية

التعريف لغةً:

الكُتب: جمع كتاب؛ وهو: اسم للصَّحيفة وما يُكتَب فيها؛ فيطلق الكتاب على المكتوب. والكاف والتاء والباء أصل صحيح يدلّ على جمع شيء إلى شيء، ومنه: الكتاب والكتابة. والكتاب: الفَرْض والحُكم والقَدَر[1].

السَّماويَّة: نسبة إلى السماء التي نزلت منها هذه الكتب من عند الله ﷻ. وكل عالٍ مُطلٍّ تسمِّيه العرب سماء؛ فالسين والميم والواو أصل يدلُّ على العُلُوِّ[2].

التعريف شرعًا:

الكتب السّماوية: هي الكتب التي أنزلها الله ﷻ على رسله عليهم الصلاة والسلام، بوحي منه ﷻ؛ لتكون لهم ولأقوامهم هدى ونورًا ورحمة وموعظة وشرعًا، ويصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة[3].

سبب التسمية:

سُمّي الوحي الذي أنزله الله ﷻ على رسله الكرام عليهم السلام بالكتب؛ إما على معنى الجمع؛ بمعنى: أنَّ هذا الوحي المنزّل عليهم مجموع ومكتوب في كتاب، وإما على معنى الفرض والإلزام؛ بمعنى: أن ما فيها من أحكام وشرائع مفروض على أقوامهم الذين بعثوا فيهم.

الأسماء الأخرى:

الكتب هي: الكتب السماوية، والكتب الإلٰهيّة، والكتب المنزّلة، ووحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أنّ الإيمان بالكتب السّماويّة المنزّلة من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله أصل وركن عظيم من أصول الإيمان والاعتقاد، معلوم من الدّين بالضَّرورة، اتفق على وجوبه جميع الأنبياء والمرسلين من لدن أبي البشر آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمّد ﷺ، ولا يتحقّق إيمان العبد إلا بالإيمان به؛ فمن جحد شيئًا منها كفر.

والإيمان بتلك الكتب يتضمّن عدّة أمور:

أولها: التصديق الجازم بأنّ جميعها

(١) انظر: الصحاح (١/٢٠٨) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومقاييس اللغة (٥/١٥٨) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٦٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/٩٨).

(٣) رسائل في العقيدة لابن عثيمين (٢٣).

وحي منزّل من عند الله تعالى على أنبيائه ورسله، وحق وصدق بغير شك ولا ارتياب، وأنّ الله تكلّم بها حقيقة؛ فهي كلام الله غير مخلوقة لا كلام غيره.

والثاني: اعتقاد أنّ جميع الكتب دعت إلى عبادة الله وحده ونبذ الشّرك به سبحانه.

الثالث: الإيمان بكلّ ما فيها من الشرائع، وتصديق ما صحَّ من أخبارها ـ كأخبار القرآن ـ وما لم يبدّل أو يحرّف من الكتب السابقة.

الرابع: أنّ جميع هذه الكتب يصدِّق بعضها بعضًا لا يكذّبه؛ فلا تناقض بينها ولا تعارض؛ لأنها كلّها من عند الله تعالى.

الخامس: أنّ نسخ الكتب بعضها ببعض حقّ؛ كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة، وكما نسخ القرآن كثيرًا من شرائع التوراة والإنجيل. كما أنّ نسخ بعض آيات القرآن أو تخصيص عامّها أو تفصيل مجملها بالكتاب والسُّنَّة حق.

السادس: الإيمان بما سمّى الله تعالى لنا من الكتب السّابقة إجمالًا في الإجمالي وتفصيلًا في التفصيليّ[1].

السابع: أنّ القرآن الكريم هو خاتم الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن علينا، والناسخ لها ولشرائعها، والجامِع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام الساعة.

فالإيمان بالكتب السابقة هو الإقرار بها بالقلب واللسان، أما القرآن فيتضمن الإقرار والاتباع.

الثامن: أنّ كتب أهل الكتاب السابقة للقرآن الكريم (وهي: التوراة والزبور والإنجيل) قد نالتها أيدي التحريف والتبديل والتغيير والكتمان؛ فلم يسلم منها شيء؛ فلا تجوز نسبة كل ما فيها إلى هؤلاء الرسل، وليست هي كتبهم الصحيحة المنزّلة من قبل الله تعالى؛ فالإيمان بها يعني: الإيمان بأصولها التي أنزلها الله تعالى.

أما القرآن الكريم فقد تكفّل الله تعالى بحفظه؛ فما بين الدفتين ـ مما هو مكتوب في المصحف ـ هو القرآن الكريم بغير ما ارتياب ولا شك[2].

---

(١) تفسير السعدي (٦١٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ١٣٤)، والجواب الصحيح له (٥/ ٦٤) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨، ٥٠١، ٣/ ١٢٩) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وشرح العقيدة الطحاويَّة لابن أبي العزّ (٢/ ٤٢٤) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ]، ومعارج القبول (٢/ ٦٧١) [دار ابن القيِّم بالدَّمَّام، ط١، ١٤١٠هـ]، وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة لابن عثيمين (٢٢) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ١٤١٠هـ]، والرُّسُل =

الحقيقة:

أُنزلت الكتب السماوية من عند الله تعالى كلها لغاية واحدة، وهدف واحد، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحًا ونورًا تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها؛ لكي يحظى الناس بسعادة الدنيا والآخرة[(١)].

المنزلة:

الكتب السماوية ذات منزلة عظيمة، فالإيمان بها يعدُّ أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام.

وقد أثنى الله عز وجل على الرسل الذين يبلِّغون عن الله كتبه ورسالاته فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، كما أخبر سبحانه أن الرسول والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومما يدل على منزلة هذه الكتب أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بها فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة].

ومما يدل على منزلتها أيضًا أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم بها، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [الأعراف]، كذلك من أنكر شيئًا مما أنزل الله فهو كافر كما قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء]، وقال الله جل جلاله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ

= والرِّسالات للأشقر (٢٢٩) [دار النفائس، ط١٢، ١٤٢٣هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/ ١٤٩) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض، ط٢، ١٤١٢هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء (١٢٧) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

(١) انظر: الرسل والرسالات (٢٣٥).

بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ [البقرة]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

وثبت في حديث جبريل عليه السلام المشهور، أنّه قال: «فأخبرني عن الإيمان؛ قال: **أن تؤمِن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**»[1].

وثبت في حديث دعاء النوم، أنّ النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ ربّ السماوات وربّ الأرض وربّ العرش العظيم، ربّنا وربّ كلِّ شيء، فالق الحبّ والنّوى، ومُنزِّل التوراة والإنجيل والفرقان؛ أعوذ بك من شرّ كلّ شيء**» الحديث[2]، وقد علَّمه ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها[3].

أقوال أهل العلم:

قال ابن بطة رحمه الله: «وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل فهو حق لازم، فلو أن رجلًا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئًا واحدًا كان بردِّ ذلك الشيء كافرًا عند جميع العلماء»[4].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزله الله من الكتب»[5].

وقال ابن كثير رحمه الله: «أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمّد ﷺ مفصلًا، وبما أنزل على الأنبياء المتقدِّمين مجملًا، ونصّ على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرّقوا بين أحد منهم؛ بل يؤمنوا بهم كلّهم»[6].

الأقسام:

وقد ذكر الله تعالى منها في القرآن الكريم خمسة كتب؛ وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، وصحف موسى، والزّبور، والإنجيل، ثم ختمت الكتب السماوية المنزّلة بأفضلها وأشرفها وهو سادسها؛ وهو: القرآن الكريم. فلو كانت صحف موسى هي نفسها التوراة، فتكون خمسًا.

أما صحف إبراهيم: فهي الكتب التي

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا لفظه.
وأخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الذِّكر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كما جاء في بعض روايات الحديث عند مسلم.

(٤) الشرح والإبانة (الإبانة الصغرى) (٢٣٢، ٢٣٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٥) الجواب الصحيح لمَن بدَّل دين المسيح (٢/ ٢٧١). وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٤).

(٦) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨).

أنزلها الله ﷻ على نبيه وخليله إبراهيم ﵇ بوحي منه ﷻ. وقد نزلت عليه جملة واحدة في أول ليلة من شهر رمضان.

والتوراة: هي اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وكليمه موسى ﵇، وألقاه إليه مكتوبًا في الألواح؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونورًا. وقد نزلت عليه جملة واحدة لستٍّ مضين من رمضان. واختلف؛ أهي صحف موسى أم غيرها؟

والزَّبور: هو اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه داود ﵇، بوحي منه ﷻ. وقد نزل عليه جملة واحدة لثمان عشرة خلت من رمضان.

والإنجيل: هو اسم كتاب الله ﷻ الذي أنزله على نبيه وعبده عيسى ﵇؛ ليكون لبني إسرائيل هدى ونورًا وموعظة للمتقين. وقد نزل عليه جملة واحدة لثلاث عشرة خلت من رمضان.

والقرآن الكريم: هو كلام الله ﷻ، المنزَّل على رسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل ﵇، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته. وقد نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة في السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان، ثم نزل على نبيّنا محمد ﷺ منجّمًا ومفرّقًا حسب الوقائع والأحداث.

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المفاضلة بين الكتب السماوية:

الكتب السماوية كلها من كلام الله تعالى، تكلم بها على الحقيقة، وكلام الله ﷻ يتفاضل بعضه على بعض ـ وإن كان كله ذا فضل وشرف ـ، وهذا التفاضل لا «باعتبار نسبته للمتكلّم؛ فإنه سبحانه واحد؛ ولكن باعتبار معانيه التي يتكلّم بها، وباعتبار ألفاظه المبينة لمعانيه»[(١)].

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ومن هذه الكتب: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، وأعظمها التوراة والإنجيل والقرآن، وأعظم الثلاثة وناسخها وأفضلها هو القرآن.

ولم يتكفل الله ﷻ بحفظ شيء من هذه الكتب عدا القرآن[(٢)]. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٢٩). وانظر: (١٧/٥٧، ١٣٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/١١ وما بعدها)، وفضائل القرآن الكريم (٣٠١، ٤٣٥)، والإيمان حقيقته: خوارمه ـ نواقضه ـ عند أهل السُّنَّة والجماعة (١٣٥) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٤هـ].

﴿إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، «فأخبر أنه أحسن الحديث، فدلَّ على أنه أحسن من سائر الأحاديث المنزلة من عند الله وغير المنزلة»[(١)]. وقال النبي ﷺ لأبيّ بن كعب رضي الله عنه: «**تحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها»؟** قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**كيف تقرأ في الصلاة»؟** قال: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»**[(٢)].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي ﷺ، سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[(٣)].

قال ابن كثير: «وقد علم بالضرورة لذوي الألباب: أنّ الله لم ينزِّل كتابًا من السّماء ـ فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه ـ أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ؛ وهو: القرآن»[(٤)].

ـ المسألة الثانية: أصولها واحدة:

أصول الكتب السماوية واحدة، فهي تتفق في وحدة المصدر، فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

كما أنها تتفق في الغاية، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

كما أنها تتفق في مسائل الاعتقاد:

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١١).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٨٧٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد (١٤/٣١١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠١٩) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٤٥٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٦/٢٤٣) [دار طيبة، ط٢].

فالكتب اشتملت على الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالغيب، والإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك.

كما تتفق في الدعوة إلى العدل والقسط ومكارم الأخلاق ومحاربة الفساد والانحراف وغير ذلك[(١)].

- المسألة الثالثة: حكم القراءة في الكتب السابقة:

ومن المسائل أيضًا: حكم النظر والاطلاع على الكتب المحرفة الموجودة بين أيدي اليهود والنصارى اليوم؛ فيقال: لا يجوز النظر في كتب أهل الكتاب عمومًا؛ لأنَّ النبي ﷺ غضب حين رأى مع عمر كتابًا أصابه من بعض أهل الكتاب، وقال: «**أمتهوّكون فيها يا ابن الخطّاب؟!**» الحديث[(٢)]، حتى وإن كانت مشتملة على الحق والباطل؛ لما في ذلك من ضرر فساد العقائد. اللَّهُمَّ إلا لمن كان متضلعًا بعلوم الكتاب والسُّنَّة، مع شدة التثبت وصلابة الدين والفطنة والذكاء؛ وكان ذلك للرد عليهم وكشف أسرارهم وهتك أستارهم[(٣)].

- المسألة الرابعة: نسخ الكتب السابقة:

الكتب السماوية السابقة كلها منسوخة بالقرآن الكريم المنزل على محمد ﷺ، فهو المهيمن على كل الكتب قبله، بمعنى: أنه مؤتمن وشاهد ورقيب، وحاكم وقاضي، ودال ومصدق، فالقرآن الكريم أمين على كل كتاب قبله، في أصله المنزل، يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما فيها من التحريف والتبديل، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل، فصارت له الهيمنة عليها من كل وجه. ثم ميز الله ﷻ القرآن الكريم عن سائر الكتب بأن تعهد بحفظه وجعله معجز بلفظه ومعناه[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبيَّن الأدلة والبراهين على ذلك، وقرَّر نبوة الأنبياء

(١) انظر: رسائل في العقيدة للحمد (٢٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٧) [مؤسسة قرطبة بمصر]، والدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٤٤٩)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. مجمع الزوائد (١/ ١٧٤) [مكتبة القدسي].
لكن له شواهد، حسنه بها الألباني في إرواء الغليل (٦/ ٣٤) [المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢].

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٢٥)، وكشاف القناع للبهوتي (١/ ٤٣٤) [دار الفكر، ١٤٠٢هـ]، ومطالب أولي النهى للرحيباني (١/ ٦٠٧) [المكتب الإسلامي ببيروت، ١٩٦١م]، وفتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٤٣٣).

(٤) انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٠٠) [دار العاصمة، ط١]، ولطائف المعارف (١٦٧، ١٦٨، ٣٠٩) [دار ابن كثير].

كلهم ورسالة المرسلين وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبيَّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبيَّن ما حرف منها وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات»[1].

ـ المسألة الخامسة: تحريفها:

الكتب السماوية المتقدمة على القرآن (السالم من التحريف والتبديل)، والتي أنزلها الله على رسله عليهم السلام قد فقدت واندثرت من زمن مبكر من تاريخ هؤلاء الرسل الكرام، ولا يعلم عنها شيء، ويتعذر الحصول عليها، وما وصل منها اليوم مما هو بين أيدي أهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى ـ (كالتوراة والزَّبور والإنجيل) قد وكَّل الله حفظها ـ بعد موت الأنبياء ـ إلى أهلها من الربانيين والأحبار والرهبان؛ فلم يمتثلوا الأمر ولم يحفظوا ما استحفظوه؛ بل خانوا الأمانة وضيعوا تلك الكتب عمدًا؛ فانطمست آثارها ومعالمها بما أوقعوه فيها من التحريف: بالتبديل، والزيادة والنقص، والكتمان والإهمال والنسيان، إضافة إلى ليِّ اللسان بها؛ ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره؛ فاختلط فيها الحق بالباطل؛ فلا تجوز نسبتها إلى هؤلاء الرسل، وليست هي كتبهم الصحيحة المنزّلة من قبل الله تعالى؛ بل هي مليئة بالحكايات والتواريخ، ومواعظ متأخّريهم، وكلام الكفرة والكهنة!

ويعتقد المسلم: أنّ أكثر هذا التحريف قد وقع في معاني تلك الكتب وشرائعها ـ عند ترجمتها، أو تفسيرها وشرحها وتأويلها ـ، عمدًا أو خطأً، ووقع أيضًا في بعض ألفاظها وحروفها أو كثير منها زيادة ونقصًا.

إلا أنه لا يزال فيها كثير من بقايا الوحي الإلٰهي المنزَّل على أنبياء الله عليهم السلام (كمثل بقاء آية الرّجم، وصفة النبي ﷺ إلى بعثته الشريفة)، ويعرف هذا بموافقتها لأصول الشرع، وما جاء في القرآن والسُّنَّة الصحيحة[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطيَّة (٣/ ١٣٠) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وتفسير الرازي (٣/ ٥٥٨) [دار إحياء التراث العربي ببيروت]، والجواب الصَّحيح لابن تيمية (٢/ ٣٨٠، ٣٨٨، ٤١٨، ٥/ ١٢٣)، ومجموع الفتاوى له (١٣/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، ودرء تعارُض العقل والنَّقل (٥/ ٧٨) =

ـ **المسألة السادسة: حكم سبّها:**

من المسائل المتعلقة بالكتب السماوية: حكم سبّ أو لعن الكتب السماوية المتقدمة (كالتوراة والإنجيل والزَّبور)؛ فيقال: «ليس لأحد أن يسب أو يلعن هذه الكتب، بل من أطلق سبّها أو لعنها فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل. وإن كان يعرف أنها منزّلة من عند الله، وأنه يجب الإيمان بها؛ فهذا يقتل بشتمه لها، ولا تقبل توبته في أظهر قولي العلماء. وأما إن لعن دين اليهود والنصارى الذي هم عليه في هذا الزمان فلا بأس به في ذلك؛ فإنهم ملعونون هم ودينهم، وكذلك إن سبَّ هذه الكتب التي عندهم بما يبيِّن أنّ قصده ذكر تحريفها؛ مثل أن يقال: نسخ هذه الكتب مبدّلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر؛ فهذا الكلام ونحوه حقّ لا شيء على قائله. والله أعلم»[1].

= [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ]، وإغاثة اللهفان (٢/ ٣٥١) [دار المعرفة ببيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ]، وهداية الحيارى (١١٤)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٦٥) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٢٣) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وأضواء البيان للشنقيطي (٢/ ١٢٠) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ]، وتعليق محقِّق كتاب تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل لصالح بن الحسين الجعفري (١/ ٢٨٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٩هـ].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٠٠)، بتصرُّف وزيادات. وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية لعبد العزيز العبد اللطيف (١٩٩) [مدار الوطن، ط٣، ١٤٢٧هـ].

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على الإيمان بالكتب:

١ ـ العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده ولطفه بهم؛ حيث أنزل لكلّ أمّة كتابًا يهديهم به إلى صراطه المستقيم، ويبيِّن لهم به سبيله القويم، ويرشدهم فيه إلى ما يحبُّه ويرضاه وما يبغضه ولا يرضاه؛ لعدم استقلال العقل البشريّ بمعرفة ذلك مع عظم الحاجة إليه[2].

٢ ـ ظهور حكمة الله تعالى في شرعه؛ حيث شرع في هذه الكتب لكلّ أمّة ما يناسب حالها؛ أمّا القرآن الكريم الخاتم فهو مناسب لجميع بني الإنسان، في مختلف العصور والأزمان، إلى قيام السّاعة[3].

٣ ـ شكر الله تعالى على هذه النّعمة العظيمة، والمنّة الكبرى بإنزال الكتب[4].

٤ ـ إثبات كلام الله تعالى بالوحي، وأنه ﷻ يتكلَّم حقيقة متى شاء كيف شاء بما شاء، وأنه يسمع من شاء من خلقه كلامه كما سمعه جبريل عليه السلام منه بلا واسطة، وكما سمعه موسى عليه السلام أيضًا.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لصالح الفوزان (٢/ ١٤٩). وانظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٠).

(٤) انظر: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة لابن عثيمين (٤٥)، وشرح الأصول الثلاثة له (٩٥).

ونثبت له هذه الصّفة من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل.

٦ ـ ومن الثمرات المترتبة على نزول الكتب على الأنبياء: إثبات علوّ الله تعالى على خلقه؛ كما دلَّت عليه آيات القرآن الكريم، والسُّنَّة المتواترة الصّحيحة، والفطرة السويّة، وصريح المعقول، وأجمعت عليه جميع الملل من اليهود والنّصارى والمسلمين.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، لصالح الفوزان.

٢ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٣ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج١، ٣)، لابن كثير.

٤ ـ «الجواب الصحيح» (ج٢، ٥)، لابن تيمية.

٥ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٥)، لابن تيمية.

٦ ـ «رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه»، لابن القيم.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج٢)، لابن أبي العز.

٨ ـ «عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٣، ١٤)، لابن تيمية.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، لحافظ الحكمي.

الكرام الكاتبون

التعريف لغةً:

الكرام: من (كرُم)، قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح، له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خُلق من الأخلاق والكرم في الخُلق يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب»[(١)]. والكرم: اسم للأخلاق والأفعال المحمودة، ولا يقال إلا في المحاسن الكبيرة[(٢)].

الكاتبون: من الكتابة، وهو ضم الشيء إلى الشيء، قال ابن فارس: «كتب: الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة. يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبًا»[(٣)].

التعريف شرعًا:

ملكان موكلان بمراقبة العبد وحفظ عمله وإحصائه وكتابته، لا يفارقانه حتى الموت[(٤)]. والوصف بالكرم وصف به

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥/١٧١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٠٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٥/١٥٨).

(٤) ينظر: نهاية المبتدئين (٥٣) [مكتبة الرشد، ط١، =

غيرهما من الملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذاريات]، وقال ﷻ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس].

الحكم:

الإيمان بالكرام الكاتبين يدخل ضمن الإيمان بالملائكة الذي هو من أصول الإيمان، وقد أجمع أهل السُّنَّة على الإيمان بهما، قال الطحاوي ﵀: «ونؤمن بالكرام الكاتبين، فإن الله قد جعلهم علينا حافظين»[(١)]. وقال ابن حمدان ﵀: «الرقيب والعتيد ملكان موكلان بالعبد نؤمن بهما، ونصدق بأنهما يكتبان أفعاله... ولا يفارقانه بحال، وقيل: بل عند الخلاء»[(٢)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

= ١٣٢٥هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٥٥٩ ـ ٥٦١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٣هـ].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٥٥٧).

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (٥٣).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون**»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: من صفاتهما:

وصف الله هذين الملكين بأن كل واحد منهما: (رقيب عتيد)، والرقيب: هو الحافظ للشيء، كما تقول: حفظت عليك ما تعمل. ورَقَبَ الشيءَ يَرْقُبُه، وراقَبَه مُراقَبةً ورِقابًا: حَرَسَه. ورقيب القوم: حارسهم. ومنه قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق]؛ أي: حارس، وقيل: حافظ لأعماله يحصيها عليه، وقيل: الرقيب هو المتتبع للأمور، وقيل: الشاهد. والترقب: الانتظار، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه]، معناه: لم تنتظر قولي. وارْتَقَبَه: انتظره ورصده[(٤)]. والعتيد: على وزن (فعيل)، من: عتَد بمعنى: هَيّأ، والتاء مبدلة من الدال

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٨٦)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٣٦١)، ولسان العرب (١/ ٤٢٤) [دار صادر]، وتفسير القرطبي (١٩/ ٤٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

الأولى؛ إذ أصله: عديد؛ أي: مُعَدّ، وأعْتَدَه إعتادًا؛ أي: أعدَّه ليوم. والعتيد الشيء الحاضر المهيأ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: ٣١]؛ أي: هيأت وأعدَّت. وقيل: العتيد: الحاضر الذي لا يغيب، وقيل: أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة[(١)]. ورقيب وعتيد وصفان للملكين، يدل عليه ظاهر الآية، حيث قال ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ولم يقل: رقيب وعتيد، بل كلا الملكين رقيب عتيد، فهو وصف لهما[(٢)].

ـ المسألة الثانية: عدد الملائكة الكاتبين ومكانهم:

ظاهر قوله ﷻ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، يدل على أنهما اثنان، واحد على اليمين، والآخر على الشمال، وهذا مروي عن جماعة من السلف وأئمة التفسير: فعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ملك عن يمينه، وآخر عن يساره»[(٣)]. وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا ابن آدم... وُكّل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك»[(٤)]. ويشهد لهذا القول حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قام أحدكم ـ أو قال: الرجل ـ في صلاته يقبل الله عليه بوجهه، فلا يبزقن أحدكم في قبلته ولا يبزقن عن يمينه، فإن كاتب الحسنات عن يمينه؛ ولكن ليبزقن عن يساره**»[(٥)]. وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن البصري وغيرهم من السلف[(٦)] أنهما اثنان، قال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المشهور أنهما اثنان لكل واحد»[(٧)].

وقد روي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن عدد الملائكة الكتبة أربعة، يتعاقبون بالليل والنهار، فقال: «جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل، وحافظين في النهار، يحفظان عليه عمله، ويكتبان أثره»[(٨)].

أما مكانهما؛ فقيل: إنهما على الكتفين، وقيل: على الذقن، وقيل: في الفم يمينه ويساره. قال السفاريني: «وقال [غير] واحد وهو المشهور: إن

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٥٤٥)، ولسان العرب (٣/٢٧٩) والجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٣٩).
(٢) ينظر: شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (٤٢٦) [مدار الوطن، ط١، ١٤٢٦هـ].
(٣) تفسير الطبري (٢٦/١٥٩) [دار الفكر، ١٤٠٥هـ].
(٤) المرجع السابق. وينظر: بقية أقوال السلف في الموضع نفسه.
(٥) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/١٧٦) [مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٥١).
(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٦/١٥٩).
(٧) لوامع الأنوار البهية (١/٤٤٩) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].
(٨) أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/٣٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وسنده ضعيف.

أحد الملكين على عاتق الإنسان الأيمن، وهو كاتب الحسنات، والآخر على عاتقه الأيسر»[(١)].

- المسألة الثالثة: نوع أعمال العباد التي يكتبها الملكان:

اختلف العلماء في عمل العبد الجائز الذي لا ثواب ولا عقاب عليه؛ أتكتبه الحفظة عليه أم لا؟ فقال بعضهم: إنهم يكتبون الطاعات والمعاصي والمباحات بأسرها، حتى الأنين في المرض، بدليل قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]، وهذا ظاهر قوله ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق]؛ لأن قوله: ﴿مِن قَوْلٍ﴾ نكرة في سياق النفي زيدت قبلها لفظة من، فهي نص صريح في العموم[(٢)].

وقال بعض العلماء: لا يكتب من الأعمال إلا ما فيه ثواب أو عقاب، وهو مروي عن جماعة من السلف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن هذه الآية: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨﴾ [ق]، فقال: «إنما يكتب الخير والشر، لا يكتب يا غلام أسرج الفرس، ويا غلام اسقني الماء، إنما يكتب الخير والشر»[(٣)]. وعن مجاهد رحمه الله، قال: «مع كل إنسان مَلكان: ملك عن يمينه، وملك عن يساره؛ فأما الذي عن يمينه، فيكتب الخير، وأما الذي عن يساره فيكتب الشرّ»[(٤)]. وكان عكرِمة رحمه الله يقول: «إنما ذلك في الخير والشرّ يكتبان عليه»[(٥)]. وقال الحسن البصري رحمه الله: «فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك؛ وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك»[(٦)]. وكلهم «مجمعون على أنه لا جزاء إلا فيما فيه ثواب أو عقاب، فالذين يقولون: لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب، والذين يقولون: يكتب الجميع متفقون على إسقاط ما لا ثواب فيه ولا عقاب، إلا أن بعضهم يقولون: لا يكتب أصلًا، وبعضهم يقولون: يكتب أولًا ثم يمحى»[(٧)].

- المسألة الرابعة: أعمال العباد التي يطلع عليها الملكان:

ورد في السُّنَّة ما يدل على علم

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٥٠).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٧/ ٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]، وأضواء البيان (٧/ ٦٩٠) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) علقه البخاري في الصحيح (كتاب التوحيد، ٩/ ١٦٠) [دار طوق النجاة، ط١] بصيغة الجزم، ووصله الحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم ٣٧٣٠)، وصححه.

(٤) تفسير الطبري (٢٦/ ١٥٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨) [دار طيبة، ط٤].

(٦) تفسير الطبري (٢٦/ ١٥٩).

(٧) ينظر: أضواء البيان (٧/ ٦٩٠).

الكتبة بفعل القلب بل وبهمّه وإرادته[(١)]:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا**»[(٢)]، والهم من أعمال القلب. وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوله ﷺ: «**إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة**» الحديث. فإذا كان الهم سرًّا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه؟ فأجاب رحمه الله: «الحمد لله. قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال: إنه إذا هم بحسنة: شم الملك رائحة طيبة. وإذا هم بسيئة: شم رائحة خبيثة. والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء، كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما في نفس الإنسان، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانًا ما في قلب الإنسان فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرِّفه الله ذلك»[(٣)].

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٧٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٠١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٢٨)، واللفظ له.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/٢٥٣).

ـ المسألة الخامسة: وقت كتابة الملكين لأعمال العباد:

ظاهر الأدلة يفيد أن العبد غير محاسب إلا بعد البلوغ، كما في قوله ﷺ: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل**»[(٤)]، فبعد بلوغ العبد سن التكليف يجري عليه القلم فيحفظ عليه عمله، قال السفاريني: «إن الطفل تكتب له الحسنات، ولا تكتب عليه السيئات إلا بعد البلوغ»[(٥)]، ويؤيده الحديث الوارد في حج الصبي: «فرفعت إليه امرأة صبيًّا فقالت: ألهذا حج؟ قال: **نعم ولك أجر**»[(٦)].

ـ المسألة السادسة: مبادرة الملك إلى كتابة الحسنات:

يكتب الملك الذي عن اليمين ما يعمله العبد من حسنات فور عمله إياها. أما الملك الذي عن الشمال، فلا يكتب على الفور، بل يرفع القلم لعل العبد يستغفر أو يتوب، فإن لم يفعل كتبها

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٠٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٢٣) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الطلاق، رقم ٢٠٤٢)، وأحمد (٢/٣٧٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ١٠٠٣)، والحاكم (كتاب الصلاة، رقم ٩٤٩) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣٥١٢).

(٥) ينظر لوامع الأنوار البهية (١/٤٥١).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٣٦).

عليه. فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات ـ وفي رواية: سبع ساعات ـ عن العبد المسلم المخطئ المسيء، فإن ندم واستغفر منها ألقاها عنه، وإلا كتبت واحدة**»(١). وعن إبراهيم التيميّ قال: «صاحب اليمين أمِير أو أمين على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك لعله يتوب»(٢). قال السفاريني رحمه الله: «إن كاتب الحسنات له إمارة على كاتب السيئات، فلا يمكّنه من كتبها إلا بعد مضي ست ساعات من غير توبة من المكلف، أو استغفار، أو فعل مكفر لها. مع مبادرته بكتب الحسنات فورًا»(٣).

ـ المسألة السابعة: كتابة الملكين لأعمال الكفار:

ذهب بعضهم إلى أن الملكين يوجدان مع كل كافر أيضًا، وأنهما يكتبان ما له وما عليه، باعتبار أن القول الراجح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة(٤)، كما دل عليه قوله جل جلاله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدثر]. كما أن قوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ [الطارق] يدل على العموم، فكل نفس من الأنفس مطلقًا معها من الملائكة من لا يفارقها لا مشارك لها في ذاتها(٥). ومما يشهد له قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفطار]، وقوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥﴾ [الحاقة]، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١﴾ [الانشقاق]، فأخبر جل وعلا أن لهم كتابًا وأن عليهم حفظة.

الآثار:

١ ـ أن يحرص العبد كل الحرص على أن يبتعد عن المعاصي والذنوب إذا علم أن الله قد وكَّل به ملكًا يكتب أقواله وأفعاله.

٢ ـ إذا علم العبد أن أعماله تحصى عليه وتكتب في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد يوم القيامة كان ذلك

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ٣٥٤) [الدار السلفية]، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما وثقوا. مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٨) [مكتبة القدسي].
وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٠٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٦/ ١٥٩).

(٣) لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٥٠).

(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٥١).

(٥) ينظر: تفسير الرازي (٣١/ ١٢٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، ونظم الدرر للبقاعي (٨/ ٣٨٥) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ].

أزجر له عن القبائح، قال الرازي: «إذا علم (المكلف) أن الملائكة موكلون به يحصون عليه أعماله ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر له عن القبائح»[(١)].

٣ ـ أن المكلف إذا علم أنه يدوّن عليه ما عمل، فإنه يحرص على الاستكثار من الأعمال الصالحة، وفعل القربات.

الحكمة:

قال الرازي: «واتفقوا على أن المقصود من حضور هؤلاء الحفظة ضبط الأعمال»[(٢)]، فالله تبارك وتعالى لا حاجة له لكتب الأعمال، فهو الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وإنما أمر بكتابة الحفظة للأعمال لإقامة الحجة على العبد يوم القيامة، كما أوضحه بقوله: ﴿...وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية]، وفي قوله عز وجل: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، وفي قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف]، وغيرها من الآيات.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الجامع لشعب الإيمان» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.

٣ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٤ ـ «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ ـ «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.

٧ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج١)، للسفاريني.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤، ٧)، ابن تيمية.

٩ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

١٠ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.

١١ ـ «نهاية المبتدئين في أصول الدين»، لابن حمدان.

(١) تفسير الرازي (١٣/ ١٥).
(٢) تفسير الرازي (١٣/ ١٥).

كرامات الأولياء

التعريف لغةً:

الكرامة: مأخوذة من الكَرَم، وهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر من الإنسان[(١)]. والأولياء: جمع ولي، والولي من الولاء، وهو القرب والدنو، وقيل: الولي ضد العدو، مشتق من الوَلاية: التي هي ضد العداوة[(٢)]، وأصل الولاية: المحبة والقرب[(٣)]. وقيل: الولي مشتق من الولاء وهو القرب، كما أن العدُوّ من العدْوِ وهو البعد[(٤)].

التعريف اصطلاحًا:

«الكرامة هي أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم»[(٥)].

(١) المصباح المنير (٤٣٢) [مؤسسة الرسالة]، وبصائر ذوي التمييز (٤/٣٤٣) [المكتبة العلمية].

(٢) ينظر: الصحاح (١٢٦٩) [دار الحديث، ١٤٣٠هـ]، والقاموس المحيط (١٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (١١) [دار المنهاج، ط٢، ١٤٣١]، والصحاح (١٢٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/٣٩٢) [المكتب الإسلامي].

الأسماء الأخرى:

من أسماء الكرامة: الآية، والمعجزة. لكن العلماء اصطلحوا على تسمية آية النبي بالمعجزة، وآية الولي بالكرامة. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «اسم (المعجزة) يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها: الآيات. لكن كثيرًا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل (المعجزة) للنبي، و(الكرامة) للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة»[(٦)].

الحكم:

يجب الإيمان بوقوع كرامات لبعض أولياء الله، ممن ظاهره الصلاح وسلامة الاعتقاد، واتباع الحق، كما جاءت به نصوص الكتاب والسُّنَّة.

الأدلة:

من الأدلة على وقوع كرامات الأولياء ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ

(٦) مجموع الفتاوى (١١/٣١١، ٣١٢).

حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم]، وما جاء في القرآن في قصة أصحاب الكهف، وغيرها من الآيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم، فإنه عمر بن الخطاب**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن حمدان رحمه الله: «كرامات الأولياء حق وتوجد في زمن النبوة وأشراط الساعة وغيرهما، ولا تدل على صدق من ظهرت على يده فيما يخبر به عن الله تعالى، أو عن نفسه، ولا على ولايته؛ لجواز سلبها، وأن تكون استدراجًا له، ومكرًا به. وتعم الرجال والنساء. والولي يسترها غالبًا ويسرها، ولا يساكنها، ولا يقطع هو بكرامته بها، ولا يدعيها، وتظهر بلا طلبه تشريفًا له ظاهرًا، ولا يعلم من ظهرت منه هو أو غيره أنه ولي لله تعالى غالبًا بذلك، وقيل: بلى. ولا يلزم من صحة الكرامات صدق من يدعيها بدون بيِّنة أو قرائن حالية تفيد الجزم بذلك، وإن مشى على الماء أو في الهواء أو سخرت له الجن والسباع، حتى تنظر خاتمته وموافقته للشرع في الأمر والنهي»[(٢)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسُّنَّة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم. لكن كثيرًا ممن يدعيها، أو تدعى له يكون كذابًا أو ملبوسًا عليه، وأيضًا فإنها لا تدل على عصمة صاحبها، ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله؛ بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحدًا ثم يحييه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة. ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩)، وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) نهاية المبتدئين في أصول الدين (٦٠، ٦١) [الرشد، ط١، ١٤٢٤هـ].

طار في الهواء، ومشى على الماء؛ لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي، الذي بعث الله به رسوله ﷺ»[(١)].

۞ الأقسام:

الكرامات نوعان:

١ ـ مكاشفات: أي: اطلاع على بعض المغيبات الجزئية بالإلهام أو المنام. وليس هذا من علم الغيب إطلاقًا.

٢ ـ تأثيرات: أي: إذا دعا الله تعالى لشفاء سقم وهلاك شخص؛ فقد يستجاب له مثلًا. وليس هذا من التصرف في الكون في شيء[(٢)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الكرامات تقع بحسب الحاجة:

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «مما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان، أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلوِّ درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته؛ ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة»[(٣)].

ـ المسألة الثانية: ليس كل من يظهر على يديه شيء من الخوارق يكون من أولياء الله:

قد تقع بعض الخوارق لبعض المشركين والمنافقين، والفسقة والعصاة، بل إن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يكن هذا دليلًا على ولايته، فإن الخوارق تقع على يد الكافر والملحد والفاسق كما تقع على يد المؤمن، وكرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، أما الأحوال الشيطانية فسببها ما نهى الله عنه ورسوله، من القول على الله بغير علم، والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد علم أن الكفار والمنافقين ـ من المشركين وأهل الكتاب ـ لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان، والسحرة، وعباد المشركين، وأهل الكتاب. فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليًّا لله، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله؛ فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطنًا

---

(١) المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ١٢٠) [ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية (٥٤٣) [دار الصديق، ط١، ١٤٣١هـ].

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (٢٣٠).

وظاهرًا؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة، أو يعتقد أن لأولياء الله طريقًا إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام، أو يقول: إن الأنبياء ضيقوا الطريق، أو هم قدوة العامة دون الخاصة، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية. فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الإيمان؛ فضلًا عن ولاية الله عز وجل، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم: كان أضل من اليهود والنصارى»[(١)].

الفروق:

الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

آيات الأنبياء اشتهرت بتسميتها معجزات؛ إلا أن الآيات أدل على المقصود من لفظ المعجزات؛ ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسُّنَّة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان[(٢)]. ومن الفروق بين الكرامة والمعجزة ما يلي:

١ ـ أن كرامات الأولياء لا تبلغ مبلغ معجزات الأنبياء عليهم السلام في جنسها وعِظمها، وذلك أن معجزات الأنبياء تنقسم إلى قسمين: معجزات كبرى، مثل: خروج الدابة من صخرة، وانفلاق البحر، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، والإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر. وهذه الآيات الكبرى مختصة بالأنبياء عليهم السلام لا يشاركهم فيها أحد. أما الآيات الصغرى فقد يقع نوعها لبعض الصالحين؛ لكنها لا تماثل معجزات الأنبياء بقدرها، وكيفيتها؛ بل معجزات الأنبياء فوق ذلك، مثل تكثير الطعام، فهذا قد وجد لغير واحدٍ من الصالحين، لكن لم يوجد كما وجد للنبيّ ﷺ أنّه أطعم الجيش من شيء يسير[(٣)]. فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم، لكن لا يماثلون في قدره، وكنار الخليل؛ فإنّ أبا مسلم الخولاني، وغيره صارت النار عليهم بردًا وسلامًا، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشاركٌ للخليل في جنس الآية؛ كما هو مشارك في جنس الإيمان محبة الله وتوحيده. ومعلومٌ أنّ الذي امتاز به الخليل من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم، وأمثاله[(٤)].

٢ ـ أن معجزات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس، يقول ابن تيمية رحمه الله: «وآيات الأنبياء لا يقدر

(١) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان (٦٨، ٦٩).
(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٥/ ٤١٢).
(٣) كما في حديث جابر رضي الله عنه عند البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤١٠٢)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٣٩).
(٤) ينظر: النبوات لابن تيمية (٢/ ٨٠٢، ٨٠٣) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ].

عليها جنّ ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها، فحيث كانت آيةً لله، تدلّ على مثل ما أخبرت به الأنبياء، وإن شئتَ قلت: هي آيات الله، يُدلّ بها على صدق الأنبياء تارة، وعلى غير ذلك تارة»[(١)].

٣ ـ إن معجزات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ودالة على صدق النبي المخبر بها. فدلالتها على النبوة قطعية، والنبي يعلم أنه نبي، في حين أن دلالة الكرامة على الولاية ظنية، فقد يعلم من ظهرت على يديه الكرامة أنه ولي، وقد لا يعلم؛ لاحتمال أن تكون استدراجًا له[(٢)]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «والتحقيق: أنّ آيات الأنبياء مستلزمة للنبوّة، ولصدق الخبر بالنبوّة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنّه رسول، لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة، وليست من جنس ما يقدر عليه؛ لا الإنس، ولا الجنّ؛ فإنّ ما يقدر عليه الإنس والجنّ يفعلونه، فلا يكون مختصًّا بالأنبياء»[(٣)].

٤ ـ أن كرامات الأولياء من آيات الأنبياء؛ وذلك أن الولي لم تحصل له هذه الكرامة إلا باتباعه للنبي، ولولا اتباعه للنبي لما حصلت له. قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أما كرامات الأولياء: فهي أيضًا من آيات الأنبياء؛ فإنّها إنّما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة، فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوّة»[(٤)].

الفرق بين الكرامات وخوارق أولياء الشيطان: الكرامة تظهر على يد عبد صالح، قائم بحقوق الله تعالى متبع لنبيه الصادق، واقفًا عند الأمر والنهي؛ وذلك أن كرامات الأولياء لا يكون سببها إلا الإيمان والتقوى، أما ما يظهر على يد ظاهر الفسق فهي خوارق شيطانية، سببها الكفر والفسوق والعصيان[(٥)].

الحكمة:

تقع الكرامة للمؤمن تثبيتًا له على الحق، ودافعًا له إلى الاجتهاد في طاعة الله تعالى، وحثًّا له على اتباع سنة نبيه محمد ﷺ، ظاهرًا وباطنًا، وتكريمًا له، وإظهارًا للحق الذي قام به، وغير ذلك مما فيه خير وصلاح للمؤمن.

مذهب المخالفين:

ذهبت الأشاعرة والماتريدية إلى إثبات الكرامات لعباد الله الصالحين؛ فما جاز وقوعه لنبي جاز وقوعه لولي، بل

(١) النبوات (٢/ ٨٠١)، وينظر منه (١/ ٥٠٢).

(٢) الفتاوى الحديثية (٣٠٥) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٣، ١٤٠٩هـ].

(٣) النبوات (٢/ ٨٠٠).

(٤) النبوات (٢/ ٨٠١، ٨٠٢)، وينظر منه (١/ ٦٠٣).

(٥) ينظر: النبوات (١/ ٥٠١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٥٨).

الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر والفرق عندهم هو في دعوى النبوة من النبي، ودعوى الصلاح من الولي[(١)]. وذهب ابن حزم[(٢)]، وبعض المعتزلة إلى منع وقوع خرق العادة لغير الأنبياء[(٣)]، قال ابن تيمية: «قالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان، وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة، وغيرهم كابن حزم»[(٤)].

والقول الراجح هو ما يشهد له الدليل من الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، ويؤكده الواقع والحوادث، على جواز وقوع الكرامات على أيدي الصالحين، ولكنها لا تصل إلى معجزات الأنبياء عليهم السلام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمنازع لهم ـ أي: للمعتزلة ـ يقول: هي موجودةٌ مشهودةٌ لمن شهدها، متواترةٌ عند كثير من الناس، أعظم ممّا تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء. وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف يكذّبون بما شهدوه، ويصدّقون بما غاب عنهم، ويكذّبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره»[(٥)].

وقال: «يقال المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثمّ كرامات الصالحين، ثمّ خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضلّال من المسلمين. أمّا الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها، فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء، وهي أيضًا من معجزاتهم بمنزلة ما تقدّمهم من الإرهاص. ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحدٍ قطّ إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم»[(٦)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السُّنِّي السلفي»، لعبد الرحمٰن دمشقية.

٢ ـ «بحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء»، للشوكاني.

٣ ـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (ج٥)، لابن تيمية.

(١) ينظر: الكامل من أصول الدين (٢/ ٧٧٤ ـ ٧٧٨) [دار السلام، ط١]، وتبصرة الأدلة في أصول الدين (١/ ٥٣٦ ـ ٥٣٨) [مكتبة الجفان والجابي، ط١، ١٩٩٠م].

(٢) ينظر: الكامل في الاستقصاء (٣٥٤ ـ ٣٧٦) [وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٢٠هـ].

(٣) ينظر: الدرة فيما يجب اعتقاده (١٩٤، ١٩٥) [مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٤) النبوات (١/ ١٢٩، ١٣٠).

(٥) النبوات (١/ ١٣٣).

(٦) النبوات (١/ ١٤١ ـ ١٤٣).

٤ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» (ج٩)، للالكائي.

٥ ـ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.

٦ ـ «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.

٧ ـ «كرامات الأولياء: دراسة عقدية في ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة»، لعبد الله العنقري.

٨ ـ «اللآلئ البهية في تقريب شرح العقيدة الطحاوية»، لمحمد بن عبد الرحمٰن الخميس.

٩ ـ «المستدرك على مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

١٠ ـ «النبوات» (ج١، ٢)، لابن تيمية.

١١ ـ «نهاية المبتدئين في أصول الدين»، لابن حمدان.

الكرسي

التعريف لغةً:

هو الشيء الذي يُعتمد ويُجلس عليه[(١)]، ويطلق على السرير[(٢)].

التعريف شرعًا:

الكرسي: بين يدي العرش كالمرقاة إليه[(٣)]، وهو موضع قدمي الله ﷻ[(٤)].

الحكم:

يجب الإيمان بأن الكرسي من أعظم المخلوقات، بين يدي العرش، وهو موضع القدمين لله ﷻ[(٥)].

الحقيقة:

دلَّ قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، على أن الكرسي يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيها، وهي إشارة إلى سعته وعظمته وعلوه، وذلك دليل على علو الله وعظمته[(٦)].

الأدلة:

ورد الكرسي في آية واحدة من كتاب الله تعالى، وهي قوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

وعن أبي ذر قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت رسول الله ﷺ وحده

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٣٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط١].

(٢) انظر: القاموس المحيط (٧٣٥).

(٣) البداية والنهاية (١/١٥)، وشرح الطحاوية (٣١٣).

(٤) انظر: أصول السُّنَّة لابن أبي زمنين (٢٩٢)، ومجموع الفتاوى (٥/٥٤)، ومختصر الصواعق (١/٢٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣/٣٧٨) [دار ابن الجوزي، ط١].

(٥) البداية والنهاية (١/١٥)، وشرح الطحاوية (٣١٣)، القول المفيد لابن عثيمين (٣/٣٧٨).

(٦) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (١/٢٨٨)، تفسير السعدي (١١٠) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قال: «**آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**»[(١)].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: «الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن أبي زمنين: «ومن قول أهل السُّنَّة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين»[(٣)].

وقال القرطبي: «والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه»[(٤)].

وقال ابن تيمية: «الكرسي ثابت بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماع جمهور السلف»[(٥)].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما هو: الكرسي ـ كما قال غير واحد من السلف ـ بين يدي العرش كالمرقاة إليه»[(٦)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الكرسي موضع القدمين:

يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أن الكرسي موضع القدمين، جاء ذلك عن ابن عباس وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكرسي موضع القدمين»، وهذا التفسير هو المحفوظ عن ابن عباس. وعن أبي موسى الأشعري قال: «الكرسي موضع القدمين»[(٧)]، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأنه لا مجال للاجتهاد فيه. فأهل السُّنَّة والجماعة عامتهم على أن الكرسي

(١) أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن بطة في الإبانة (٧/ ١٨١) [دار الراية، ط١]، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٩) [مكتبة السوادي، ط١]، ونقل ابن حجر نقل عن ابن حبان، وقال: (وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور في التفسير بسند صحيح عنه). فتح الباري (١٣/ ٤١١) [دار المعرفة]، وصححه الألباني أيضًا بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٩).

(٢) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٤١٢) [مكتبة الرشد، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٣٠١) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٨) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٤٨) [مكتبة الرشد، ط٥]، وغيرهم، وقال الذهبي في كتاب العلو (٧٦) [أضواء السلف، ط١]: «رجاله ثقات»، وصححه الألباني في مختصره (١٠٢) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٣) أصول السُّنَّة (٢٩٢).

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٢٧٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٥٨٤، ٥/ ٥٥).

(٦) شرح العقيدة الطحاوية (٣١٣).

(٧) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (١/ ٣٠٢) [دار ابن القيم، ط١]، وابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٣٥) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن جرير في التفسير (٥/ ٣٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في مختصر العلو (١٢٤) [المكتب الإسلامي، ط٢].

موضع قدمي الله تعالى[1].

۞ الآثار:

إن العبد إذا علم أن لله ﷻ هذه المخلوقات العظيمة، ومنها الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، فإنه يجعله يعظم الله تعالى خالق هذه الكائنات، وهو سبحانه العالي على كل شيء وهو بكل شيء محيط، فيدفعه ذلك لعبادته وإخلاص الدين له محبة وخوفًا ورجاء.

۞ مذهب المخالفين:

تعددت آراء المخالفين في حقيقة الكرسي، ومن ذلك:

١ ـ الكرسي بمعنى العلم، وهو قول الجهمية، فقد أوّلوا العرش بمعنى العلم، واستدلوا لذلك بما روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]، قال: «كرسيه علمه»[2].

٢ ـ الكرسي هو العرش، وهذا مروي عن الحسن البصري[3]. وقد روي فيه حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**ينزل الله فيه** ـ يعني: يوم القيامة ـ **على كرسيه يئط به كما يئط الرحل من تضايقه كسعة ما بين السماء والأرض**» الحديث[4].

٣ ـ الكرسي: هو قدرته التي يمسك بها السماوات والأرض.

٤ ـ الكرسي هو: الفلك الثامن، أو ما يسمونه بفلك البروج. وبه قال بعض المتكلمين.

والصحيح أن هذه الأقوال باطلة غير صحيحة، والذي دلَّت عليه النصوص الشرعية، وأقاويل السلف أن الكرسي جسم عظيم، مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين لله تبارك وتعالى.

وأما تأويله بالعلم، فالأثر فيه ضعيف، وما ثبت عن ابن عباس من أن الكرسي موضع القدمين يردُّ هذا القول،

---

(١) انظر: أصول السُّنَّة لابن أبي زمنين (٩٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٥٨٤)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٧١)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/ ٤٤٣، ٥٤٩، ٢/ ٥٣٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٣٩٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/ ٥٠٧) [دار ابن القيم، ط١]، وابن منده في الرد على الجهمية (٢١) [المكتبة الأثرية]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٠٨) [مكتبة السوادي، ط١].

قال ابن منده: «لم يتابع عليه جعفر، وليس هو بالقوي في سعيد بن جبير»، وضعفه الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٤١١) [مكتبة الرشد، ط١]، وابن الأنباري والذهبي، كما في العلو (١١٧) [أضواء السلف، ط١].

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١١).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٢)، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم ٣٣٨٥) وصححه، وتعقبه الذهبي في التلخيص، فبيَّن أن أحد رواته ضعيف، وقال الألباني: منكر. السلسلة الضعيفة (رقم ٦٣٣٣).

ويؤيد وهنه أن علم الله تعالى وسع كل شيء، وليس كما يفهم من تأويلهم للآية، قال ابن تيمية: «وأما تسمية العلم كرسيًّا فهذا لا يعرف في اللغة، ولكن بعضهم تكلف له من قولهم كراس. والكرَّاس غير الكرسي»[(١)]، وقال: «الكرسي ثابت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع جمهور السلف. وقد نقل عن بعضهم: أن (كرسيه): علمه، وهو قول ضعيف؛ فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السماوات والأرض، لم يكن هذا المعنى مناسبًا؛ لا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم والآثار المأثورة تقتضي ذلك»[(٢)].

قال أبو منصور الأزهري: «والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار»[(٣)].

ومن أوَّله بالعرش، فإن الحديث الوارد ضعيف، والأثر عن الحسن غير ثابت، قال ابن كثير: «وهذا لا يصح عن الحسن، بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره»[(٤)].

ثم إن الأدلة الصحيحة تردُّه، فإنها قد غايرت بين الكرسي والعرش كما في حديث أبي ذر وغيره.

وأما القول الثالث والرابع فهما مصادمان للنصوص الشرعية الواردة، ومخالفان لما عليه السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعانة المستفيد»، للفوزان.

٢ ـ «بيان تلبيس الجهمية»، لابن تيمية.

٢ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٣ ـ «الرسالة العرشية»، لابن تيمية.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ ـ «العرش»، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة.

٦ ـ «القول المفيد»، لابن عثيمين.

(١) بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٣٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٠/ ٥٤).

(٤) البداية والنهاية (١/ ١٣).

(٥) انظر: الرد على المريسي للدارمي (٧١)، والتنبيه والرد على أهل البدع للملطي (١٠٤)، وتفسير القرطبي (١/ ٢٧٦)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٦٠، ٦/ ٥٨٤، ٥٨٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠، ٦٨١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٣٦٨، ٣٦٩)، وموسوعة الألباني في العقيدة (٧/ ٧٠٥)]، وكتاب التوحيد مع القول المفيد (٢/ ٥٤٨)، والقول المفيد (١/ ٤٤٣، ٢/ ٥٤٩)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٤٥).

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.
٨ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.
٩ ـ «السُّنَّة»، لعبد الله بن أحمد.
١٠ ـ «الرد على الجهمية»، لابن منده.
١١ ـ «الرد على بشر المريسي»، للدارمي.

الكَرَم

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان؛ أحدهما: شرف في الشيء في نفسه أو شرف في خُلق من الأخلاق، والكرم في الخُلق، يقال: هو الصفح عن ذنب المذنب»[(١)].

والكرَمُ: ضدُّ اللُّؤم، يقال: كرُمَ كرامةً وكرَمًا وكَرَمَةً فهو كريمٌ وكريمَةٌ وكِرْمَةٌ ومُكْرَمٌ ومُكْرَمَةٌ وكُرَامٌ وكُرّامٌ وكرّامةٌ، الجمع: كُرماءُ وكِرامٌ وكَرائِمُ. وأكْرَمَهُ وكَرَّمَهُ: عظَّمَهُ ونَزَّهه. والكريمُ: الصَّفوحُ، والجواد، وكثير الخير. وأرضٌ مَكْرُمَةٌ وكَرَمٌ: كرِيمةٌ طَيِّبَةٌ. ورزْق كَريم: كثير. وقول كريم: سَهْل لَيِّن، والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد[(٢)].

التعريف شرعًا:

صفة ذاتية لله ﷻ، بأنه تعالى جواد كريم، واسع العطاء، كثير النعم ومبتدؤها، عظيم القدر، كثير العفو والمغفرة، عزيز، كامل الأسماء والصفات والأفعال[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن الكرم المضاف إلى الله تعالى هو على غاية ما يدل عليه اللفظ من كمال معنى، فيشمل كل معنى من معاني الكمال المتعلقة به، بخلاف الكرم المضاف إلى المخلوق، فهو مقيد بحدود ما هو عليه، وفيه من النقص ما هو راجع إلى نقص المخلوق.

الأسماء الأخرى:

الجود.

الحكم:

وجوب إثبات صفة الكرم لله تعالى على غاية الجلال والكمال، وبكل ما يدل عليه الوصف من تنوع في معاني الكمال[(٤)].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٧١، ١٧٢). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ٢٩٥) [مكتبة ابن تيمية ط٢].
(٢) القاموس المحيط (١٤٨٩)، والصحاح (٥/ ٢٩٧)، ولسان العرب (١٢/ ٥١٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٧١)، والحجة في بيان المحجة (١/ ١١٩).
(٣) الحجة (١/ ١١٩)، وتفسير السعدي (٥/ ٢٩٩)، واشتقاق أسماء الله تعالى للزجاجي (١٦٧)، ولسان العرب (١٢/ ٥١٠).
(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي (٧١)، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٤٥)، ومجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٨).

الحقيقة:

إن وصف الله سبحانه وتعالى بالكرم دال على أنه جل وعلا جواد كثير الخير، صفوح، فيكون معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه[١].

الأدلة:

والْكَرَمُ صفة ذاتية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسُّنَّة، فمن الكتاب قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل]، وقوله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار]، وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق].

ومن السُّنَّة حديث عوف بن مالك رضي الله عنه في الدعاء على الجنازة: «اللَّهُمَّ اغفر له، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نُزُلَه، ووسع مدخله»[٢]. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد. حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك»**[٣].

(١) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢، ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٨٤)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٨).

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي ـ في سياق ذكر اسم الله الكريم ـ: «ومن كرم الله تعالى أنه يبدأ بالنعمة قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء إن من كرم عفوه أن العبد إذا تاب عن السيئة محاها عنه وكتب له مكانها حسنة»[٤].

وقال البيهقي: «ولا شك في كثرة المنافع التي منّ الله عز وجل بها على عباده ابتداء منه وتفضلًا، فهو باسم الكريم أحق»[٥].

وقال ابن تيمية ـ في إثبات صفات الكمال لله تعالى بقياس الأولى ـ: «وكذلك إذا قيل: الكريم المحسن، إما أن يكون كرمه وإحسانه من نفسه، وإما أن يكون من غيره. ومن جعل غيره كريمًا محسنًا فهو أولى أن يكون كريمًا محسنًا وذلك من لوازم نفسه»[٦].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: تسمية الله تعالى بالأكرم:

الأكرم اسم تفضيل على وزن (أفعل)، مشتق من صفة (الكرم)، دال على الحصر والمبالغة في الكرم،

(٤) شأن الدعاء (٧١).

(٥) الأسماء والصفات (١/ ١٤٥).

(٦) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٨).

والأكرم هو الأحسن والأنفس والأوسع والأعظم والأشرف، والأعلى من غيره في كل وصف كمال.

والأكرم بصيغة التفضيل والتعريف اسم من أسماء الله الحسنى دال على اتصاف الله بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه.

وقد دلَّت النصوص الشرعية على ثبوت اسم الله (الأكرم)، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق]. وجاء عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنهما كانا يقولان بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم»[(١)]. وهذا مما لا مجال فيه للرأي فيكون له حكم المرفوع[(٢)].

قال أبو سليمان الخطابي: «والأكرم هو أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله فيه نظير، وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم)؛ فإنه لا يدل على الحصر، وقوله: ﴿ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ يدل على الحصر ولم يقل: (الأكرم من كذا)، بل أطلق الاسم؛ ليبين أنه الأكرم مطلقًا غير مقيد، فدل على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه»[(٤)].

وقال ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق]: «ثم أعاد الأمر بالقراءة مخبرًا عن نفسه بأنه الأكرم، وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليها، والكمال كله، والمجد كله له، فهو الأكرم حقًّا»[(٥)].

واسمه تعالى (الأكرم) يقتضي أنه أحق بجميع صفات الكمال، قال ابن تيمية: «فإن قوله: الأكرم، يقتضي أنه أفضل من غيره في الكرم، والكرم اسم جامع لجميع المحاسن، فيقتضي أنه أحق بجميع المحامد، والمحامد هي

---

(١) أخرجهما ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الحج، رقم ١٥٥٦٥، ١٥٥٧٠)، والبيهقي في الكبرى (كتاب الحج، رقم ٩٣٥١، ٩٣٥٢). وأخرج أثر ابن مسعود فقط: الطبراني في الدعاء (٢٧١، ٢٧٢) [دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٣هـ]. وقد صحح العراقي أثر ابن مسعود في تخريجه لإحياء علوم الدين (١/ ٣٢١) [دار االمعرفة]، وصحح الألباني الأثرَين كليهما في مناسك الحج والعمرة (٢٧) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: صفات الله عز وجل للسقاف (٢٤٨، ٢٤٩) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ].

(٣) شأن الدعاء (١٠٣، ١٠٤) [دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ]. وانظر: تفسير السمعاني (٦/ ٢٥٦) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٩٥) [مكتبة ابن تيمية ط٢].

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٨) [دار الكتب العلمية]. وانظر: تفسير السعدي (٩٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأضواء البيان (٩/ ١٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

صفات الكمال، فيقتضي أنه أحق بالإحسان إلى الخلق والرحمة، وأحق بالحكمة، وأحق بالقدرة، والعلم والحياة، وغير ذلك»[(١)].

- المسألة الثانية: اسم الله الكريم:

الكريم على وزن (فعيل) صفة مشبهة من الثلاثي (كَرُمَ)، وهذا الأصل يدل على شرف الشيء في نفسه أو في خلق من الأخلاق، وهو ضد اللؤم، وهو اسم جامع للمحاسن والمحامد كلها، فهو الأسماء الدالة على معاني عديدة لا على معنى مفرد فقط، وكلها تدور على وصف الله ﷻ بما لا يحصى من جلائل المعاني وكرائم الأوصاف[(٢)].

قال القرطبي: «فالكريم من له كرم، وكثر خيره وعم نفعه، وقيل: الكريم الصفوح، وقيل: الكريم العزيز، وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله ﷻ بها»[(٣)].

وقد دلّ النصّ على ثبوت اسم الكريم لله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار]. كما ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث الأسماء المشهور، سوى طريق عبد الملك الصنعاني[(٤)]، وعند جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها[(٥)].

الفروق:

الفرق بين اسم الله (الأكرم) واسمه (الكريم):

لأهل العلم في وجود فرق بينهما قولان:

القول الأول: أن بينهما فرقًا، «فالأكرم: الوصف الذاتي، والكريم: الوصف الفعلي»[(٦)]، ومعنى ذلك: أن اسم (الأكرم) يدل على شرف الله تعالى في ذاته وجلاله وصفاته، ووصفه بجميع المحامد، ونفي النقائص عنه، وهذا المعنى لا يقتضي مفعولًا، وعلى هذا يكون من أسماء الذات[(٧)]. وأما اسم (الكريم) فيدل على أنه جواد كثير الخير، صفوح، فيكون معنى كرمه ما يصدر عنه من الإفضال والإنعام على خلقه، فلا بدَّ له من متعلق يصفح عنه وينعم عليه، وعلى هذا يكون من أسماء الأفعال[(٨)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٦٠).

(٢) انظر: فقه الأسماء الحسنى (١٨٧).

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢).

(٤) أخرج طريقه ابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٦١).

وزيادة عد الأسماء في هذا الحديث مدرجة، كما ذكر أهل العلم، وتقدم نقل أقوالهم في مصطلح (الأسماء الحسنى).

(٥) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٨٠ ـ ٨٤، ١٦٣) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩]، وأسماء الله الحسنى للغصن (٣٣٥) [دار الوطن، ط١].

(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ١١٢، ١٣١) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٧) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢، ١٣١).

(٨) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢، ١٣١).

قال القرطبي: «إن الأكرم الوصف الذاتي، والكريم الوصف الفعلي، وهما مشتقان من الكرم، وإن اختلفا في الصيغة»[(١)].

القول الثاني: ليس بينهما فرق، فكلا الاسمين من الكرم، «والكرم اسم جامع لجميع المحاسن»[(٢)]، «والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه؛ فإن الإحسان إلى الغير تمام والمحاسن والكرم كثرة الخير ويسرته»[(٣)]. قال الخطابي في معنى (الأكرم): «وقد يكون (الأكرم) بمعنى الكريم كما جاء الأعز والأطول بمعنى: العزيز والطويل»[(٤)].

فكل المعاني التي يدل عليها اسم الكريم يدل عليها كذلك اسم الأكرم، إلا أن اسم الأكرم يدل على أن له منها الكمال من كل وجه، فإن كل المعاني التي يدل عليه اسم الكريم كذلك يدل عليها اسم الأكرم، فيكون معنى الأكرم هو الأكمل والأفضل في الشرف والكمال والجود والعطاء والصفح[(٥)].

وقال ابن القيِّم: «اسم (الأكرم) الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال وصفًا، ومن كل خير فعلًا، فهو (الأكرم) في ذاته، وأوصافه، وأفعاله»[(٦)].

۞ الآثار:

١ ـ تعظيم الله تعالى وإجلاله؛ فهو الكريم الذي له العزة والعلو، والعظمة والكبرياء.

٢ ـ حمد الله تعالى وشكره؛ فكل نعمة فهي من جوده وكرمه وسعة عطائه.

٣ ـ الالتجاء إلى الله تعالى، وإنزال الرجاء به؛ فهو الكريم الذي لا ينفد عطاؤه، ولا تعد نعمه وآلاؤه.

٤ ـ عدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى وفضله؛ فهو الكريم الذي يبتدئ النعم قبل استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة.

٥ ـ افتقار العبد في طاعته لربه ﷻ وعدم إعجابه بعمله ومنَّته به على ربه، فالله كريم غني عن طاعة كل مطيع.

٦ ـ اتصاف العبد بالكرم؛ فهو وصف يحبه الله تعالى، ووصف به نفسه وتسمى به.

٧ ـ ما أنزله الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام من كتب وشرائع، يكون بها أطيب الحياة، وأسعد النعم، وخاصة ما أنزله الله تعالى على

---

(١) انظر: المرجع السابق (١/ ١١٢، ١٣١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٦٠).
(٣) المرجع السابق (١٦/ ٢٩٣).
(٤) شأن الدعاء (١٠٣)، وكذا قاله البيهقي في الاعتقاد (٣٩).
(٥) الفروق للعسكري (١٤٣).
(٦) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤١) [دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ].

نبيه محمد ﷺ من كتاب كريم، وشرع محكم يسير.

٨ ـ ما أسبغه الله تعالى من نعم، وما سخره في السماوات والأرض، مما فيه أظهر الدلالة على جوده وكرمه.

٩ ـ إجابة الله تعالى دعوة من دعاه، وخاصة حال الاضطرار والافتقار؛ فهو الكريم الذي لا يخيب من رجاه، ولا يرد من سأله.

١٠ ـ إمهال الله تعالى لمن خالف أمره، وعدم معاجلته له بالعقوبة.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

٧ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٨ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «المنهاج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، لزيد بن محمد شحاتة.

الكُره

التعريف لغةً:

الكره: خلاف المحبة والرضا. قال ابن فارس: «الكاف والراء والهاء أصلٌ صحيحٌ واحد، يدلُّ على خلاف الرِّضا والمحبّة. يقال: كرِهتُ الشَّيء أكرَهُه كَرْهًا»[(١)].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى مقتضاها إبعاد المكروه ومعاداته وعدم الرضا عنه[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله ﷻ هو على غاية الكمال والجلال؛ فما يكرهه الله ﷻ فهو مكروه على الحقيقة، بخلاف ما يضاف إلى المخلوق من كره؛ فليس كل ما يكرهه يلزم أن يكون مكروهًا على الحقيقة، بل كثير من المخلوقين يكرهون أشياء يجتمع فيها أكمل أسباب المحبة، ككراهة الكفار والمنافقين لله ﷻ ورسوله ﷺ.

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٧٢).
(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٤/ ٢٧٢).

الأسماء الأخرى:

البغض، المقت.

الحكم:

وجوب الإيمان باتصاف الله تعالى بهذه الصفة، وأنه سبحانه متصف بها على وجه الكمال.

الحقيقة:

صفة الكره من الصفات الفعلية الثابتة لله تعالى تقتضي عدم الرضا عن المكروه، وإبعاده من رحمته، وتعرضه لعذابه وعقابه.

ولما كانت صفة الكره من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيدًا بما يدل على المدح والكمال المطلق.

فالكره من الله تعالى واقع على ما هو مكروه على الحقيقة، ولا يأتي الوصف إلا في سياق دال على هذا المعنى، وهذا كمال في الموصوف، بخلاف ما لو لم يتصف بذلك، فنفي الكراهة مطلقًا حتى مع قيام سببها ليس من مقامات المدح، وهذا مثل القول في الرضا والغضب، فالذي يوصف بالرضا والغضب أكمل ممن لا يوصف بهما، أو لا يوصف إلا بأحدهما؛ فوضع الشيء في موضعه هو محل التمدح والكمال[1].

(١) الرسالة الأكملية ـ ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٩٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله حَرَّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكرِه لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[2].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»[3].

أقوال أهل العلم:

قال ابن بطة: «باب الإيمان بأن الله عز وجل يغضب ويرضى ويحب ويكره»[4]، وذكر الرد على النفاة بذكر الأدلة على هذه الصفات.

وقال ابن تيمية: «ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير

(٢) أخرجه البخاري (كتاب في الاستقراض وأداء الديون، رقم ٢٤٠٨)، ومسلم (كتاب الأقضية، رقم ٥٩٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٨)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٦).

(٤) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٣/ ١٢٨).

تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل» وذكر أمثلة على هذه الصفات بالاستدلال عليها من القرآن، وذكر من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾[1].

وقال ابن القيِّم: «والغيرةُ عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية، كالحياء والفرح والغضب والسخط والمقت والكراهية، فيستحيل وصفه عندهم بذلك، ومعلوم أنّ هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلًا وشرعًا وعرفًا وفطرة، وأضدادها مذمومة عقلًا وشرعًا وعرفًا وفطرة»[2].

الآثار:

١ ـ التعبُّد لله تعالى بتحصيل أسباب محبته، واجتناب أسباب بغضه وكرهه.

٢ ـ الحذر من كره الله تعالى وبغضه للعبد؛ فبذلك ينقطع التوفيق، ويكون الهلاك والخسران.

٣ ـ محبة المؤمن لما يحبه ربه، وبغضه لما يبغضه.

٤ ـ التدبر في حكمة الله تعالى في شرعه، فما يكرهه تعالى، فقد قامت به معاني الكره والبغضاء على الحقيقة، وهذا يوجب على العباد أن يبغضوه.

٥ ـ عدم المعارضة بين أمر الله تعالى الكوني وأمره الشرعي، فليس كل ما خلقه وأراده كونًا يكون أحبه ورضيه، بل قد أخبر ﷻ عن أشياء مما خلق يكرهها ويبغضها، فيجب اتباع شرعه في بغضها، أما خلقه لها فهو لحكمة أرادها.

٦ ـ قيام شرع الله تعالى على غاية الجمال والجلال، وخلوِّه من كل شر ومكروه لذاته، بل الأخذ به سبب السعادة في الدنيا والآخرة.

٧ ـ العاقبة الحسنة والتمكين والقبول الذي وعده الله تعالى لمن أحبهم، والخسارة والعذاب والبغض على من كرههم الله تعالى.

٨ ـ انعدام الهداية والتوفيق للمنافقين وأمثالهم؛ إذ كره الله تعالى حالهم وشركهم ورياءهم، وما بهم من سوء ظاهر وباطن.

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصَّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه[3].

(١) العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى ٣/ ١٣٣).
(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٩٧).
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٨) [دار المعرفة، ط٢].

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء[(١)]، فيثبتون الكره باعتبار أثره، وهو المعنى المتعلق بمن كرهه الله.

ومخالفة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو عدم إرادة المحبة أو الخير ونحو ذلك، فتكون هذه الصفة عندهم متعلقة بوصف قديم لا يتجدد، وهو الإرادة[(٢)].

ولذلك أولوا الكراهة بما يجعله الله تعالى من الكراهة في الشيء المكروه[(٣)]، أو بمعنى عدم الإرادة[(٤)]، ونحو ذلك.

الرد عليهم:

- بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيًّا من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

- فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة إلخ، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعًا وعقلًا ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

- فأهل السُّنَّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة الكره.

وكذلك فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلًّا لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئًا من المخلوقات يحل في ذاته.

فنثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

- بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن

(١) شرح الأصول الخمسة (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط٣].
(٢) انظر: الإرشاد للجويني (١٠٢) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٥]، والمواقف للإيجي (٢٩١) [مكتبة المتنبي].
(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٦٣).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٦٤).

ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد.

ـ فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية»، لابن بطة.

٢ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٣ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٥ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

٦ ـ «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٧ ـ «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين».

٨ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٢/٥٧) [دار العطاء، ط١].

الكروبيون

يراجع مصطلح (حملة العرش).

الكريم

يراجع مصطلح (الكرم).

الكشف

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الكاف والشين والفاء أصل صحيح يدل على سُرُوِّ الشيء عن الشيء كالثوب يسرى عن البدن»[(٢)].

والكشف في اللغة بمعنى الإظهار، وهو رفع الشيء عما يواريه ويغطيه. يقال: كشف الشيءَ يكشفه كشفًا، ومنه قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النجم]؛ أي: لا يَكْشِفُ الساعةَ إلا ربُّ العالمين[(٣)].

التعريف اصطلاحًا:

قال الجرجاني: «الكشف

(٢) مقاييس اللغة (٥/١٨١) [دار الجيل، ط٢].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/١٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١]، ولسان العرب (٩/٣٠٠) [دار صادر، ط١].

في...الاصطلاح: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودًا وشهودًا»[(١)].

الأسماء الأخرى:

جاءت عدة ألفاظ عند الصوفية تقارب معنى الكشف، ومن ذلك: الخواطر[(٢)]، المطالعة[(٣)]، الواردات[(٤)]، التجلي[(٥)]، المحادثة[(٦)]، الإلهام[(٧)]، الإشراق[(٨)].

الحقيقة:

ترجع حقيقة الكشف عند الصوفية إلى الاطلاع على علم الغيب، ومعرفة الشرع.

ولهذا أدخلوا في الكشف:

١ ـ الاطلاع على أسرار الملكوت وحقائق الوجود[(٩)]، حتى يصل غلاتهم إلى القول بأن الولي يدرك بالكشف العوالم غير المتناهية، ويطلع على أخبار الماضي والمستقبل[(١٠)].

ويرى الغزالي أنه كلما ارتفعت الحجب بين القلب وبين اللوح المحفوظ رأى القلب الأشياء في اللوح المحفوظ! وتفجر العلم منه إلى القلب! فاستغنى عن الاقتباس بطريق الحواس، فللقلب عنده بابان، باب مفتوح على عالم المحسوس، وباب مفتوح على عالم الملكوت؛ أي: اللوح المحفوظ، وأنه يصل إلى الاطلاع على اللوح المحفوظ،

(١) التعريفات (٢٣٧) [دار الكتاب العربي، ط١]. وانظر: شفاء السائل لابن خلدون (٥١) [كلية الإلهيات، ١٩٥٨م] ومدارج السالكين (٣/ ٢٢١) [دار الكتاب العربي، ط٢]، وشرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية، للسراج الطوسي ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، للجبوري (٣٨)، وشرح ألفاظ واصطلاحات تدور بين الصوفية لعماد الدين القرشي ضمن نفس المجموع (١٧٢) [دار نينوى، ط٢، ١٣٢٩هـ].

(٢) انظر: التعريفات (١٢٩)، وتفسير ألفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها للقشيري (١٠٥) ضمن مجموع: معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٥٠) ضمن نفس المجموع.

(٣) انظر: شفاء السائل لابن خلدون (٥١)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٠٥) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٤) انظر: التعريفات (٣٢٢)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١١٥٠) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٥) انظر: شرح الألفاظ المشكلة الجارية في كلام الصوفية ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام (٥٣)، والمصطلح الصوفي للجلابي الهجويري ضمن نفس المجموع (١٣١)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي ضمن نفس المجموع (١٥٢)، والتعريفات (٧٣).

(٦) انظر: التعريفات (٢٦٢)، واصطلاحات الصوفية لابن عربي (١٥٢) ضمن مجموع معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام.

(٧) انظر: التعريفات (٥١).

(٨) انظر: أصول الفلسفة الإشراقية عند السهروردي لمحمد أبو ريان [مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٥٩م]، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٢٣١) [الشركة العالمية للكتاب، ط ١٤١٤هـ].

(٩) شفاء السائل لابن خلدون (٥١).

(١٠) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣)، عن: جناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤٩٠، ٤٩١) [دار ابن عفان، ط١، ١٤٠٨هـ].

وعليه فهو يرى أن علوم الأولياء تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، في حين أن علوم العلماء من أبواب الحواس[(١)].

٢ ـ معرفة الحلال والحرام من غير تعلم.

فيرون صحة أن يكتسب المرء المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد[(٢)]. ومن أجل هذا زعم بعض أئمة الصوفية أنهم ألفوا بعض كتبهم ـ الضلاليَّة أو الكفرية ـ من كَشْفٍ كُشِفَ لهم، لا من طريق النظر والفكر، كما زعمه ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية[(٣)]، والجيلي في كتابه الإنسان الكامل[(٤)]، وغيرهما.

والكشف يحصل عند الصوفية لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل يحصل ـ كما يزعمون ـ بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، والارتياض بالذكر والمجاهدات، وتفريغ القلب من شواغله[(٥)].

المنزلة:

لقد أنزل الصوفيةُ الكشفَ منزلةً مقدَّمةً على منزلة الوحي، فهم يرون أن العمدة في الاعتقاد ما يكشف لهم، فإذا كشف لهم أمر نظروا للكتاب والسُّنَّة، فما وافقه أثبتوه، وما خالفه حرَّفوه.

وبلغ بهم الحال أن ذمُّوا من يأخذ العلم من الكتاب والسُّنَّة، دون اعتماد طريق الكشف، وتنقَّصوا أهل الحديث من أجل ذلك؛ لأن أهل الحديث يأخذون علمهم عن ميِّتٍ عن ميِّت، وأما هم فيأخذونه ـ بزعمهم ـ عن الحي الذي لا يموت[(٦)].

ولأهمية الكشف عندهم يجعلونه طريقًا للمريد في أول سلوكه لطريق التصوف، حتى يزعمون أن المبتدئ يتعرض من أول طريقه للمكاشفات والمشاهدات، وأنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد![(٧)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو العباس القرطبي: «ذهب قوم من زنادقة الباطنية إلى سلوك طريق يلزم منه هدُّ الأحكامِ الشرعية، فقالوا: هذه

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢١ ـ ٢٢) [دار المعرفة]. وانظر: جامع كرامات الأولياء للشعراني (٢/٣٢٥).
(٢) إحياء علوم الدين (٣/٢٣).
(٣) انظر: الفتوحات المكية (١/١٣٦) (٣/٤٥٦) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤٠٥].
(٤) انظر: الإنسان الكامل (٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].
(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٩).
(٦) انظر: إحياء علوم الدين (٣/١٠٤)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (٣٩٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ]، وإيقاظ الوسنان للسنوسي (١٠٥، ١٠٦) [المطبعة الثعالبية، ط١٣٣٢هـ]، والإنسان الكامل للجيلي (٧، ٨).
(٧) المنقذ من الضلال (١٠٧) [دار الأندلس، ط٧].

الأحكام الشرعية العامة إنما يحكم بها على الأغنياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص فلا يحتاجون إلى تلك النصوص، بل إنما يراد منهم ما يقع في قلوبهم، ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم، قالوا: وذلك لصفاء قلوبهم عن الأكدار، وخلوِّها عن الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلٰهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكائنات، ويعلمون أحكام الجزئيات، فيستغنون بها عن أحكام الشرائع والكليات، كما اتفق للخضر، فإنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسى من تلك الفهوم.

قلتُ [القائل القرطبي]: وهذا القول زندقة وكفر يقتل قائله ولا يستتاب؛ لأنه إنكار ما علم من الشرائع، فإن الله تعالى قد أجرى سُنَّته، وأنفذ حكمته، فإن أحكامه لا تعلم إلا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه، وهم المبلغون عنه رسالاته وكلامه، المبينون شرائعه وأحكامه، اختارهم لذلك، وخصهم بما هنالك، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. . .

وعلى الجملة، فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري، وإجماع السلف والخلف: على ألا طريق لمعرفة أحكام الله تعالى التي هي راجعة إلى أمره ونهيه، ولا يعرف شيء منها إلا من جهة الرسل الكرام، فمن قال: إن هناك طريقًا آخر يعرف بها أمره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب، ثم هو قول بإثبات أنبياء بعد نبينا ﷺ الذي قد جعله الله خاتم أنبيائه ورسله فلا نبي بعده، ولا رسول»[(١)].

وقد بيَّن الإمام ابن أبي العز حال هؤلاء، فقال: «والرهبان وهم جهال المتصوفة المعترضون على حقائق الإيمان والشرع يعترضون على الشريعة بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان نبيه ﷺ، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحظوظ النفس»، وذكر أنهم يقولون: «إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع قدمنا الذوق والكشف»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/ ٢١٧ ـ ٢١٩) [دار ابن كثير، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٢) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ]، وقد تقدم نقل بعض أقوالهم في ذلك.

«من ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمدًا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفارًا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول إن محمدًا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة»[(١)].

الأقسام:

ذكر بعض أهل التصوف أن للكشف خمسة أقسام:

١ ـ كشف عقلي، وبه تدرك المعقولات.

٢ ـ كشف قلبي، وتدرك به أنوار مختلفة.

٣ ـ كشف سِرِّي، وتدرك به أسرار المخلوقات، وحِكَم خَلقِها.

٤ ـ كشف روحي، وبه يرتفع حجاب الزمان والمكان، ويدرك به العوالم غير المتناهية، ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل.

٥ ـ كشفٌ خفيّ، وهو أن ينكشف الله تعالى بالصفات، إما بالجلال أو الجمال، على حسب المقامات والحالات، ويسمى كشفًا صفاتيًّا[(٢)].

الحكم:

الحكم على ما ادعاه الصوفية ـ أو غيرهم ـ من الكشوفات يتضح من خلال ما يلي:

أولًا: لا ريب أن الأصل في معرفة الحقائق والشرائع عند أهل الحق ـ أهل السُّنَّة والجماعة ـ هو كتاب الله، وسُنَّة مصطفاه ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، فهو ما أمر الله عباده المؤمنين بالرد إليه عند الاختلاف، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء]، فما أتت به الرسل عن الله فهو الحق الذي ضمنت لنا عصمته، وأما ما لم تأت به ففيه حق وباطل، فكان الواجب رده إلى الحق الذي لا باطل فيه[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١١/٢٦٦).

(٢) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣)، عن: جناية التأويل الفاسد لمحمد أحمد لوح (٤٩٠ ـ ٤٩١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٩/٥) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

والله تعالى قد قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]

فتبيَّن أن الاكتفاء حاصل بالكتاب فهو الأصل والمرجع في الاستدلال، فمن جعل الكشف أصلًا مستقلًّا في معرفة الغيب أو الحلال والحرام فقد ابتدع في الدين، ولم يحقق هذا الاكتفاء.

فالميزان هو الشرع، وكل ما سواه ـ من الكشوف والمنامات والإلهامات المزعومة ـ يجب أن تُردَّ إليه، فما وافقه قبل، وما خالفه رُد.

ثانيًا: أن الكشوفات والإلهامات ـ من حيث الأصل ـ لا يمتنع وقوعها، فقد تقع للبعض، فإنه ليس من الممتنع وجود العلم بثبوت الصانع وصدق رسوله إلهامًا[(١)].

وهذا إنما يكون لمن صدق إيمانه، ومتابعته للرسالة، فإن المؤمن يتبين له ما لا يتبين لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله، وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف[(٢)].

(١) انظر: درء التعارض (٨/٤٦) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ].
(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/٤٥، ٤٦).

فالكشف الصحيح: هو أن يعرف المؤمنُ الحقَّ الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، معاينة لقلبه، ويجرد إرادة القلب له، وما خالف ذلك فغرور قبيح[(٣)].

ثالثًا: أن هذه الكشوف إذا وقعت فإنها لا تكون دليلًا من أدلة الشرع، فلا يجوز الحكم بمقتضاها في أحكام الشريعة وأخبارها، فضلًا عن جعلها حاكمة على الشريعة أو مستغنًى بها عن الكتاب والسُّنَّة، وإنما هي بشارة وتأنيس، كحال الرؤى، فلا بدَّ أن تعرض على الكتاب والسُّنَّة، وألّا يُعتمد منها إلا ما كان موافقًا للشرع[(٤)].

ولهذا جاء في الصحيح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[(٥)].

فغاية ما تفيده الرؤيا التبشير أو التحذير، أو الاستئناس بها إذا وافقت حكمًا ثابتًا بالشرع الصحيح المعصوم.

وأما الاحتجاج فقد اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح له[(٦)].

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٦٥، ٢٠٣).
(٥) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٦٩٩٠).
(٦) انظر: التنكيل للمعلمي (٢/٢٤١ ـ ٢٤٣) [المكتب الإسلامي، ط٢]، والمنهج السلفي للقوسي (٢٥٩، ٢٦٠).

رابعًا: وبهذا يقال: ليس النزاع مع المخالف في أصل وقوع الكشوفات، وإنما في منزلتها التي زعموها لها، حيث جعلوها حاكمة على الكتاب والسُّنَّة، مملية على أصحابها ما هو من أبطل الباطل، وأكفر الكفر، كعقيدة وحدة الوجود والعياذ بالله.

ولا أدلُّ على ذلك من حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو مُحدَّثُ هذه الأمة، ومع ذلك فقد كان يشاور الصحابة ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم بالكتاب والسُّنَّة، ويرجعون جميعًا إليهما، ويردون ما اختلفوا فيه إلى ما أمر الله بالرد إليه من الرد إلى الله سبحانه، وإلى رسوله ﷺ، فحقٌّ على الولي ـ وإن بلغ في الولاية إلى أعلى مقام وأرفع مكان ـ أن يكون متقيدًا بالكتاب والسُّنَّة، وازنًا لأفعاله وأقواله بميزان الشريعة المطهرة، واقفًا على الحد الذي رسم فيها، غير زائغ عنها في شيء من أموره، وإذا ورد عليه وارد يخالف الشريعة رده، واعتقد أنه من الشيطان[1].

فطريقة الكشف عند الصوفية باب من أبواب البدعة، بل إنها قد تصل بسالكها إلى الزندقة والإلحاد[2].

والحاصل أن ضلال المتصوفة في باب الكشف هو فيما يلي:

١ ـ طريقة تحصيل الكشف، حيث زعموا أن الكشف لا يحصل إلا برياضات شاقَّة، بطرق مبتدعة في الدين، وأذكار ما أنزل الله بها من سلطان[3].

٢ ـ حجيَّة الكشف ومنزلته، حيث جعلوه هو الأصل في معرفة الحقائق وأحكام الشرع، وجعلوا أدلة الكتاب والسُّنَّة تابعة له، بل حرَّفوها من أجله، وزعم بعضهم أنه قد تلقَّاه من النبي ﷺ، مع أن الرسالة انقطعت بموته ﷺ، وأنه قد يستغني بالكشف عن نصوص الشرع[4]، وتبع ذلك تزهيد كثير منهم في الوحي، وزعموا أن «من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف»[5].

ولا شك أن «هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة»[6].

٣ ـ ومن أكبر ضلالهم في هذا

---

(١) قطر الولي للشوكاني (٢٥٠، ٢٥١) بتصرف يسير. وانظر: مدارج السالكين (١/ ٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٦٦)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٦٥٥، ٦٦٨).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢١ ـ ٢٣).

(٤) المرجع السابق (٣/ ٢١ ـ ٢٢).

(٥) المرجع السابق (٣/ ١٠٤).

(٦) درء التعارض (٥/ ٣٤٨).

الباب: ضلالهم في كثير من العقائد التي زعموا أنهم تلقوها عن طريق الكشف، كالقول بوحدة الوجود، أو أن للولي منزلة تفوق منزلة النبي.

٤ ـ الغلوّ في قدرِه واستمراره، حيث جعلوا في مقدرة الولي أن يطلع ويدرك بالكشف العوالم غير المتناهية، ويطلع به على أخبار الماضي والمستقبل[(١)]، وجعلوه أمرًا مستمرًّا لمن زعموا فيهم الولاية، والحق أنه أمر عارض للمؤمنين، وليس مستمرًّا، بل يحصل في بعض الأحوال، كأن يكون فيه نصرة للدين، أو إغاثة كربة لمضطر ونحو ذلك.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: معنى حديث النبي ﷺ: «إن يكن في أمتي محدَّثون فعمر»:

الإلهام هو المقصود بالتحديث الذي جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يقول: **«قد كان يَكونُ في الأُمم قَبلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فإن يكن في أمّتي منهم أحد فإن عمر بن الخطّاب منهم»**[(٢)]. والتحديث المذكور هنا قد جاء تفسيره بالإلهام عن أحد رواة الحديث وهو ابن وهب، فقد قال بعد روايته: «تفسير مُحَدَّثُونَ: مُلْهَمُونَ»[(٣)]. وهذا التفسير هو الثابت عن أكثر أهل العلم[(٤)].

ومع ذلك فلم يكن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكم في أمر من شرع الله بمجرد ما يلقى في قلبه، بل كان يعرضه على الكتاب والسُّنَّة، فإن وافق ما يقع له من كشف وإلهام ما في الوحي قَبِلَه، وإن خالفه ردَّه[(٥)].

ـ المسألة الثانية: الجواب عن حديث: «فإنه ينظر بنور الله»:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتّقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله»**[(٦)]. وهذا الحديث ضعيف؛ ضعفه جمع من أهل العلم[(٧)]، فلا يصح الاعتماد عليه في

(١) تحفة السفرة إلى حضرة البررة لابن عربي (١٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٣٩٨)، واللفظ له.
وأخرجه البخاري أيضًا (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في رواية مسلم السابقة.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٥٠).

(٥) انظر منهاج السُّنَّة (٨/ ٧٠)، وبغية المرتاد (٣٨٧، ٣٨٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٤٩).

(٦) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٢٧) وقال: «حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٨٢١)، وستأتي الإشارة أيضًا إلى من ضعفه من أهل العلم. وقد روي من غير حديث أبي سعيد، وكلها ضعيفة لا تثبت، كما بيَّن الألباني في السلسلة الضعيفة (الموضع السابق).

(٧) ممن ضعَّفه: ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٣٣٢، ٣٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، والصغاني في الموضوعات له (٥١) [دار المأمون، ط٢، ١٤٠٥هـ]، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤/ ٢٩٩، رقم ١٨٢١).

إثبات مصدر للتشريع، ويبقى النظر فيما يبدو للمؤمن من كشوف وإلهامات بحسب ما تقدم، فما وافق الشرع قُبل، وما لم يوافقه رُدَّ وطُرح[(١)].

الآثار:

من الآثار الفاسدة للاعتماد على الكشف في أحكام الشريعة والعقيدة ما يلي:

١ ـ مخالفة الأمر الرباني، والطعن في أصل دين الإسلام، المقتضي للرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة في الاحتجاج الشرعي، والاستسلام لأمر الله، وهو ما ثبت بالتواتر والإجماع، وعلم بالضرورة من الدين، وذلك بالنظر لما يدعيه الغلاة من أن الكشف يصل بصاحبه إلى الاستغناء عن الوحي، حتى جعلوا الكشف مقدمًا على الوحي، والوحي تابع له عندهم.

٢ ـ مناقضة ما ثبت بالضرورة من الدين من تفرد الله بالعلم بالغيب؛ إذ يدعي أصحاب الكشف أنهم ينظرون في عالم الملكوت، واللوح المحفوظ، وهذا مما اختص الله بعلمه.

٣ ـ أن القول بالكشف يستلزم الاستغناء عن رسل الله، ذلك أن الكشف عندهم كاف في إثبات الأحكام ونفيها، فأي حاجة للأنبياء بعدها، وبطلان ذلك اللازم معلوم الفساد، بل هو من الكفر والإلحاد[(٢)].

٤ ـ الاضطراب والاختلاف في الدين، حيث إن ما يدَّعى من كشوفات باطلة تختلف من شخص إلى شخص، فكلٌّ يحلل ويحرم، ويثبت وينفي بحسب ما يدَّعيه كشفًا.

٥ ـ أن في الركون إلى الكشف فتحًا للباب لمن أراد أن يبتدع في الدين، ويغير من شريعة رب العالمين، ويبطل ما ثبت في الشرع، أو يزيد فيه، ويدَّعي أن ذلك كشف قد كشف له، وهذا ما وقع بالفعل، حيث أتى الغلاة بكثير من العقائد الكفرية المناقضة لما قرره الأنبياء، وادَّعوا أنها من طريق الكشف، كعقيدة الاتحاد والحلول ووحدة الوجود.

المصادر والمراجع:

١ ـ «التعريفات»، للجرجاني.

٢ ـ «جناية التأويل الفاسد»، لمحمد أحمد لوح.

٣ ـ «قطر الولي على حديث الولي»، للشوكاني.

٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠)، لابن تيمية.

٥ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيم.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٤٧٣) (١٣/ ٦٨، ٦٩)، والروح لابن القيم (٢٣٨) [دار الكتب العلمية، ط ١٣٩٥هـ]، ومدارج السالكين (١/ ١٢٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٢٦٦).

٦ ـ «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية»، لصادق سليم.

٧ ـ «معجم نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام»، لنظلة الجبوري.

٨ ـ «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان علي حسن.

٩ ـ «موقف ابن تيمية من الأشاعرة»، لعبد الرحمٰن المحمود.

الكفر

التعريف لغةً:

الكفر لغة: الستر والتغطية. قال ابن فارس: «الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفَر درعه. والمكفِّر: الرجل المتغطي بسلاحه»[(١)].

وقال ابن الأثير: «وأصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه»[(٢)]. ولذلك قيل للزارع: كافر؛ لأنه يغطي البذر بالتراب[(٣)]. وكل شيء غطى شيئًا فقد كَفَرهُ[(٤)].

(١) مقاييس اللغة (٥/١٩١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/١٨٧) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].
(٣) انظر: تهذيب اللغة (٧/١٣٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].
(٤) العين للفراهيدي (٥/٣٥٧) [مكتبة الهلال].

التعريف شرعًا:

«الكفر هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض»[(٥)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لما كان المعنى اللغوي لكلمة الكفر هو التغطية والستر، جاء المعنى الشرعي مستقًى منه، فالكافر إنما سمي كافرًا؛ لأن الكفر غطى إيمان قلبه.

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ الشرعية التي عبر بها عن الكفر: الشرك، والظلم، والفسق.

الحكم:

يجب على المسلم اجتناب الكفر، وكلّ سبب يؤدي إليه. وحكم من وقع في الكفر الأصغر: أن صاحبه يبقى في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله ﷻ بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقًّا للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه، بخلاف من وقع في الكفر الأكبر: فإن

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٦٣٩)، (١٢/٣٣٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط ١٤١٦هـ].
وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٨) [دار عالم الكتب، ط٧، ١٤١٩هـ]، ومفردات ألفاظ القرآن (٢/٣٠٤) [دار القلم]، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/١١٨) [دار المعرفة، ط٢]، والفروق للقرافي (٤/١١٥) [عالم الكتب]، ومختصر الصواعق (٥٩٦) [دار الحديث، ط١].

فاعله خارج عن الإسلام، وإذا مات على كفره أدخله الله النار خالدًا مخلدًا فيها. والكفر حكم شرعي ينطبق على من كفّره الله ورسوله ﷺ.

الحقيقة:

الكفر يكون بكل ما يناقض الإيمان، من اعتقاد أو قول أو عمل، فإن نقض أصل الإيمان كان هذا هو الكفر الأكبر، كالنفاق والجحود والاستهزاء والتكذيب ونحو ذلك، أو نقض كمال الإيمان الواجب فهذا هو الكفر الأصغر، كقتال المسلم لأخيه المسلم دون حق، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، ومن انتسب إلى غير أبيه ونحو ذلك مما سمّاه الشرع كفرًا وليس بالأكبر[(١)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرًا في الشرع، كما أنه ليس كل ما كان صوابًا في العقل تجب في الشرع معرفته»[(٢)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وهذه الآيات السابقة المراد منها: الكفر الأكبر.

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، وهذه الآية دخل فيها الكفر الأصغر، قال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها: «كفر دون كفر»[(٣)].

وأدلة السُّنَّة على إطلاق لفظ الكفر وأن المراد به الكفر الأكبر كثيرة، منها حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن**»[(٤)]. وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها**»[(٥)].

ومن أدلة السُّنَّة على الكفر الأصغر: حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٣٥٠)، و(١٢/ ٣٣٥)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٨).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٤٢) [جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه الطبري تفسيره (٨/ ٤٦٤) [دار هجر، ط١].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٨٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفرائض، رقم ١٦١٤).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٨).

النبي ﷺ قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: «**يضرب بعضكم رقاب بعض**» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارًا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر ومؤمن»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن حزم: «وهو ـ أي: الكفر ـ في الدين صفة من جحد شيئًا مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه، ببلوغه الحق إليه بقلبه دون لسانه، أو: بلسانه دون قلبه، أو: بهما معًا، أو: عمل عملًا جاء النص بأنه مُخرج له بذلك عن اسم الإيمان»[(٣)].

وقال أبو نصر المروزي: «إذ الكفر لا يكون إلا جحودًا بالقلب أو تكذيبًا بالقلب أو باللسان، أو إباء أو امتناعًا باستكبار واستنكاف»[(٤)].

وقال ابن القيِّم: «فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود»[(٥)].

وقال أيضًا: «الكفر جحد ما علم أن الرسول ﷺ جاء به، سواء كان من المسائل التي يسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دِقّ الدين وجلّه»[(٦)].

وقال السعدي رحمه الله: «حدّ الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده: هو جحد ما جاء به الرسول ﷺ أو جحد بعضه»[(٧)].

الأقسام:

ينقسم الكفر إلى قسمين:

ـ **القسم الأول**: الكفر الأكبر: هو الذي يناقض أصل الإيمان، فيَخرجُ صاحبُه من الإسلام بالكلية، ويخلُد في النار إن مات عليه، ولا تنفع فيه شفاعة الشافعين، وهو خمسة أنواع:

١ ـ **كفر التكذيب**: وهو اعتقاد كذب الرسل عليهم السلام، فمن كذبهم فيما جاؤوا به ظاهرًا أو باطنًا فقد كفر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى

(١) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٥).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٨).
(٣) التبصير في معالم الدين (١٦٢) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ].
(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/٧٤٩).
(٥) مدارج السالكين (١/٣٤٤) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ].
(٦) مختصر الصواعق (٦٢٠).
(٧) الإرشاد إلى معرفة الأحكام (٢٠٣، ٢٠٤) [مكتبة المعارف، الرياض، ط ١٤٠٠هـ].

لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت].

٢ ـ **كُفر الإباء والاستكبار**: وذلك بأن يكون عالمًا بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارًا وعنادًا، قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة].

٣ ـ **كفر الشك**، ويقال له كفر الظن: وهو ألا يجزم بصدق الرسول ولا بكذبه، بل يشك في أمره. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف].

٤ ـ **كفر الإعراض**: وهو الإعراض الكلي عن الدين، بأن يعرض بسمعه وقلبه وعلمه عما جاء به الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف].

٥ ـ **كفر النفاق**: وهو أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون][1].

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٣٤٦، ٣٤٧)، والدرر السنية (٢/٧٠، ٧١) [ط٦، ١٤١٧هـ].

ـ **القسم الثاني**: الكفر الأصغر: وهو الذي لا يخرج من الملة، وصاحبه مستحق للوعيد والعذاب في النار دون الخلود فيها، وقد تقدمت صوره والأدلة عليه.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: شعب الكفر:

إن للكفر شعبًا وخصالًا كما أن للإيمان شعبًا، فالمعاصي والذنوب كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. وشعب الكفر متفاوتة؛ منها ما يوجب الخروج من الإسلام، ومنها ما هو دون ذلك.

فقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، وكذلك الكذب، والحكم بغير ما أنزل الله، والمعاصي كلها من شعب الكفر. وشعب الكفر قسمان: قولية وفعلية. فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختيارًا وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف[2].

وأهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون أن العبد يجتمع فيه بعض شعب الإيمان، وبعض شعب الكفر أو النفاق التي لا تنافي أصل الإيمان وحقيقته[3]، قال الله

(٢) الصلاة وأحكام تاركها (٥٥، ٥٦) [مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣٥٠)، وتفسير القرآن =

تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

- المسألة الثانية: لا يلزم من التكفير ثبوت أحكام الردة:

ليس كل من قيل فيه: هو كافر، يجب أن تجري عليه أحكام المرتد ردة ظاهرة؛ لأن مَن لم يُظهر الكفر يعامل معاملة المنافقين فتُجرى عليه أحكام الإسلام في الظاهر، فقد ثبت أن الناس كانوا على عهد النبي ﷺ ثلاثة أصناف: مؤمن، وكافر مظهر للكفر، ومنافق مظهر للإسلام مبطن للكفر. ومع هذا فإنه لما كان يموت أحدُ المنافقين، كانت تجرى عليه أحكام المسلمين، فكان معصوم الدم، وإذا مات يرثه المسلمون، حتى تقوم السُّنَّة الشرعية على أحدهم بما يوجب عقوبته. وكذلك لما خرجت الخوارج زمن علي رضي الله عنه لم يحكموا بكفرهم ولا قاتلوهم حتى بدؤوهم بالقتال.

وفي المقابل صار البعض يظن أنه لا يطلق كفر أحد من أهل الأهواء؛ وإن كانوا قد أتوا من الإلحاد وأقوال أهل التعطيل والاتحاد. والتحقيق في هذا: أن القول قد يكون كفرًا كمقالات الجهمية، وقد يقول القول وهو متأول.

فإذا كان المتأول المخطئ في تلك لا يحكم بكفره إلا بعد البيان له واستتابته، كما فعل الصحابة في الطائفة الذين استحلوا الخمر، ففي غير ذلك أولى وأحرى، وعلى هذا يخرج الحديث الصحيح في الذي قال: «إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني في اليم، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين»[(١)]، وقد غفر الله لهذا مع ما حصل له من الشك في قدرة الله وإعادته إذا حرقوه؛ لأنه كان جاهلًا[(٢)].

- المسألة الثالثة: الكفر يكون بالفعل كما يكون بالقول والاعتقاد:

قرَّر علماء أهل السُّنَّة أن الكفر بعد الإسلام يقع بالفعل كالذبح لغير الله أو السجود لصنم كما يكون بالقول أو الاعتقاد.

وزعم البعض أنَّه لا يكفر إلا من اعتقد الكفر، أمّا من تلفّظ به أو عمل ما هو كفر صراحة فلا يكفر؛ إذ الكفر هو الاعتقاد فقط، وهذا هو مذهب المرجئة. والصحيح: أن من وقع في كفر عملًا أو قولًا ثم أقيمت عليه الحجة وبيِّن له أنَّ هذا كفر يخرج من الملة، فأصر على فعله طائعًا غير مكره، متعمّدًا غير مخطئ ولا متأوّل فإنَّه يكفر ولو كان

= العظيم (٢/ ١٦٠) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (١٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٧٨)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦١٧ ـ ٦١٩).

الدافع لذلك الشهوة أو أيّ غرض دنيوي[(١)].

- **المسألة الرابعة: إطلاق الكفر على المعاصي:**

جاء في الشرع جواز إطلاق الكفر على المعاصي، والمراد به: الكفر العملي، وذلك لقصد الزجر[(٢)]. كما في قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[(٣)]، وقوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(٤)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: «**يضرب بعضكم رقاب بعض**» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يسمون كفارًا تسمية مقيدة، ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل: كافر ومؤمن»[(٥)].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر**»[(٦)].

قال ابن بطال: «وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر التي يخلد صاحبها في النار»[(٧)].

- **المسألة الخامسة: ضابط بلد الكفر:**

بلد الكفر: هو كل بلد تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام، كالأذان، والصلاة جماعة، والأعياد، والجمعة على وجه عام شامل.

والبلد الذي تقام فيه شعائر الإسلام على وجه محصور كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام[(٨)].

- **المسألة السادسة: الكفار الأصليون ثلاثة أصناف:**

١ - أهل الكتاب.

٢ - من لهم شبهة كتاب.

٣ - من ليس لهم كتاب.

ولكل صنف أحكام تخصه.

وينقسم الكفار الأصليون في أحكام الدنيا باعتبار مسالمتهم وحربهم إلى: أهل الحرب، وأهل الذمة[(٩)].

---

(١) انظر: روضة الطالبين للنووي (١٠/ ٦٤) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢هـ]، ومجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٠)، والصارم المسلول (٥٢٣، ٥٢٤)، ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية (١/ ٦٥٩) [دار العاصمة، ط١، ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٤١) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٤).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١/ ٢٣٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الفرائض، رقم ٦٧٦٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٦٢).

(٧) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٥٥).

(٨) انظر: شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين (١٢٩، ١٣٠) [دار الثريا، ط٤، ١٤٢٤هـ].

(٩) انظر: روضة الطالبين للنووي (١٢١٧) [دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ]، والمغني لابن قدامة (٩/ ٥٤٦ فما بعدها) [دار هجر، ط١، ١٤٠٦هـ].

الفروق:

١ ـ الفرق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

الكفر الأصغر يظل صاحبه في دائرة الإسلام لا يخرج منها، وإذا لقي الله عز وجل بتلك الذنوب، فإنه يكون مستحقًّا للعقوبة، إلا أن يعفو الله عنه، بخلاف الكفر الأكبر، فإن فاعله خارج عن الإسلام، وإذا مات على كفره أدخله الله النار خالدًا مخلدًا فيها.

٢ ـ الفرق بين الكفر والشرك:

ـ الكفر والشرك قد يعبِّر بهما جميعًا في معنى واحد، كما في قوله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[(١)]، ولذا قال بعض العلماء أنهما كالإسلام والإيمان يعبر بأحدهما عن الآخر.

ـ كل شرك فهو كفر، وليس كل كفر شركًا؛ لأن المعرض عن الدين والمستهزئ به يوصف بالكفر لا بالشرك[(٢)].

٣ ـ الفرق بين الكفر والنفاق:

إن النفاق هو اعتقاد الكفر باطنًا وإظهار الإيمان، بخلاف الكفر فإن الكافر يعتقد الكفر ويظهره، ولذلك كان المنافق أشد جرمًا من الكافر؛ لأنه يتحقق فيه الكفر مع زيادة مخادعة المؤمنين بإظهار الإسلام[(٣)].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل العلم إلى حصر الكفر في الجحود[(٤)]، وهذا فيه نظر.

وذلك لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد أن الكفر يمكن أن يكون من غير جهة الجحود.

فقد يكون من جهة العناد، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ١٦﴾ [المدثر]، وهذا ككفر أبي طالب وأضرابه من أهل العناد مع علمهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق.

وقد يكون من جهة الكبر والإباء، ككفر إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة].

وقد يكون الكفر من جهة النفاق والزندقة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد يكون من جهة الكره لما أنزل الله، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨٢).

(٢) انظر: الفروق للعسكري (٢٣٠)، ومجموع فتاوى ابن باز (١/٣٣ ـ ٣٤) [دار الوطن، ط١، ١٤١٦هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٥٦)، وكتاب مصرع الشرك والخرافة لخالد الحاج (١٨١).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/٣٣٨) فما بعدها.

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣١٣) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد].

وقد يكون الكفر من جهة الطعن بالدين والاستهزاء به، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة].

وقد يكون من جهة التولي والإعراض عن الدين، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف].

وقد يكون الكفر من جهة الشك والظن بالله ظن الجاهلية، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية].

قال ابن تيمية: «المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم؛ فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا كان الكفر، يكون تكذيبًا، ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعًا بلا تكذيب، فلا بدَّ أن يكون الإيمان تصديقًا مع موافقة وموالاة وانقياد لا يكفي مجرد التصديق»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج١)، لابن تيمية.

٢ ـ «التكفير وضوابطه»، لإبراهيم الرحيلي.

٣ ـ «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (ج١، ٢).

٤ ـ «الصلاة وأحكام تاركها»، لابن القيم.

٥ ـ «الفروق» (ج٤)، للقرافي.

٦ ـ «الكفر مفهومه وأنواعه والغلاة فيه»، لسارة بنت فراج العقلاء.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٧)، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيم.

٩ ـ «نواقض الإيمان القولية والعملية»، لعبد العزيز العبد اللطيف.

١٠ ـ «نواقض الإيمان الاعتقادية»، لمحمد الوهيبي.

الكفيل

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكاف والفاء

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٢).

واللام أصل صحيح يدل على تضمن الشيء للشيء، من ذلك الكِفل: كساء يدار حول سنام البعير، وإنما سمِّي بذلك لما ذكرناه من أنه يدور على السنام، أو العجز، فكأنه قد ضُمّنه»[(١)].

والكفيل: الضامن، يقال: كَفَل يَكْفُل كِفْلًا وكفالة، والكافل: العائل، من يكفل إنسانًا يعوله، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]، وأكفلته المال: ضمنته إياه، وكفله وتكفّل بالشيء: ألزم نفسه به وتحمّله[(٢)].

التعريف شرعًا:

الكفيل: بمعنى الوكيل أو الشهيد، وهو القائم بأمور الخلائق، الراعي لهم، المتكفل بأقواتهم وأرزاقهم وجميع شؤونهم[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي للكفيل ومعناه الشرعي ظاهرة، فإن الله ﷻ هو القائم بجميع شؤون عباده فهو المتكفل بذلك الضامن له والعائل لهم، وهو مما ألزم به نفسه تفضلًا وتكرمًا منه ﷻ.

الحكم:

لم يثبت أن الكفيل من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو الكفيل، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالكفيل، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد الكفيل، لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله ﷻ.

الحقيقة:

إن الله ﷻ لما كان هو المتكفل بجميع شؤون خلقه إنما ذلك لفضله وكرمه وعظيم إحسانه، ولعجز العباد عن القيام بأمورهم من غير توفيق الله ﷻ وعونه وتيسيره لأسباب ذلك.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمًّى**» الحديث[(٤)].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/١٨٨) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٢٥٠ ـ ٢٥٣) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/١٨١٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧١٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والقاموس المحيط (١٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٤١) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، وتفسير البغوي (٥/٣٩) [دار طيبة، ط٢]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٣٨) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحوالات، رقم ٢٢٩١).

أقوال أهل العلم:

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ﴾: وكيلًا»[1].

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم: راعيًا، يرعى الموفي منكم بعهد الله، الذي عاهد على الوفاء به والناقض»[2].

وقال الحليمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكفيل؛ ومعناه: المتقبل للكفايات، وليس ذلك بعقد وكفالة ككفالة الواحد من الناس، وإنما هو على معنى أنه لما خلق المحتاج وألزمه الحاجة، وقدّر له البقاء الذي لا يكون إلا مع إزالة العلة وإقامة الكفاية، لم يخله من إيصال ما علّق بقاؤه به إليه، وإدراره في الأوقات والأحوال عليه، وقد فعل ذلك ربنا جل ثناؤه؛ إذ ليس في وسع مرتزق أن يرزق نفسه، وإنما الله تعالى يرزق الجماعة من الناس والدواب، والأجنة في بطون أمهاتها، والطير التي تغدو خماصًا، وتروح بطانًا، والهوام والحشرات والسباع في الفلوات»[3].

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ﴾: شهيدًا بالوفاء»[4].

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٣٤١).
(٢) المرجع السابق (١٤/ ٣٣٨).
(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٤) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩].
(٤) تفسير البغوي (٥/ ٣٩).

الفروق:

الفرق بين الكفيل والوكيل:

كلاهما من أسماء الجلال الدالة على القيام بأمور الخلق والتكفل بمصالحهم ومعاشهم وجميع شؤونهم، المدبر لجميع أمورهم، لكن بينهما فرق من جهة العموم والخصوص، فالوكيل أعم من الكفيل؛ لأن كل كفيل وكيل، وليس العكس[5].

الآثار:

آثار الإيمان بتكفّل الله عَزَّ وَجَلَّ بجميع أمور خلقه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأنه عَزَّ وَجَلَّ هو الوكيل الذي يُتوكل عليه ولا يُتوكل على أحد سواه.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى»، للغصن.
٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
٣ ـ «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.
٤ ـ «التوحيد»، لابن منده.
٥ ـ «الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات»، لصديق خان.
٦ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.
٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (٨٨٢).

٨ ـ «المستدرك على مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

كمال الإيمان

يراجع مصطلح (الإيمان).

الكَنَف

التعريف لغةً:

الكَنَفُ: بفتح الكاف والنون بعدها فاء. قال ابن فارس: «الكاف والنون والفاء أصل صحيح واحد يدل على ستر، من ذلك الكنيف، هو الساتر. وزعم ناس أن الترس يسمى كنيفًا؛ لأنه ساتر. وكل حظيرة ساترة عند العرب: كنيف، ومن الباب: كنفت فلانًا وأكنفته. وكنفا الطائر: جناحاه؛ لأنهما يسترانه. ويقال: حظرت للإبل حظيرة، وكنفت لها وكنفتها أكنفها»[(١)]. وقال الجوهري: «كَنَفْتُ الشيءَ أَكْنُفُه؛ أي: حطته وصنته. والكَنَف بالتحريك الجانب، وكنفا الطائر: جناحاه، وكنفة الإبل: ناحيتها»[(٢)].

فالكَنَفُ معناه الستر، وهو الأصل، ويأتي بمعنى الناحية والجانب، فكنف الإنسان: ناحيتاه عن يمينه وشماله، وكنفا الطائر: جناحاه، وهكذا كنف كل شيء حسب ما يناسبه.

التعريف شرعًا:

الكنف المضاف إلى الله عزّ وجل هو طرفه وناحيته وجانبه، وهو صفة من الصفات الذاتية الخبرية ثابتة لله جلّ وعلا كما يليق بجلاله وعظمته[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل[(٤)].

الحقيقة:

حقيقة الكنف المضاف إلى الله تعالى وهو ناحيته وطرفه وجانبه، وبه يستر الله عزّ وجل عبده المؤمن يوم القيامة حتى لا يفتضح أمام الخلق، ولذلك

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٢٦) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٤/١٤٢٤) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: صفات الله عزّ وجل للسقاف (٣٠١) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٥٤) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/١٨٤، ١٨٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، ومعارج القبول للحكمي (١/٤٧١، ٤٧٢) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط٨].

فسره كثير من السلف بالستر[(١)]، وهذا من معناه ومن لازمه.

الأدلة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي ربِّ، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى فيه نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود]»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: «نشر الله تعالى كنفه على المسلم يوم القيامة هكذا، وتعطَّف بيده وكُمِّه»[(٣)].

قال أحمد بن حنبل: «لا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك، ولا تبلغه صفة الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، وما وصف به نفسه من كلام، ونزول، وخلوة بعبده يوم القيامة، ووضعه كنفه عليه»[(٤)].

وقال إبراهيم الحربي: «قوله: «فيضع عليه كَنَفِه» يقول: ناحيته. قال إبراهيم: أخبرني أبو نصر، عن الأصمعي: يقال: نزل في كنف بني فلان؛ أي: ناحيتهم»[(٥)].

الآثار:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يعرف المؤمن بذنوبه يوم القيامة ولكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بمنه وكرمه يضع كنفه على المؤمن ويستره من الخلق حتى لا يفتضح أمامهم، وفي ذلك إكرام من الله للمؤمن وستر عليه، وكذلك فيه حث وترغيب ودعوة للناس على ستر عيوب الآخرين وعدم تشهيرها بين الناس.

مذهب المخالفين:

الكنف صفة ذاتية خبرية، ووضع الله كنفه يوم القيامة على عبده المؤمن وستره

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (١٣٤) [دار ابن القيم، ط١، ١٤٢٣هـ]، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٧٤) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ورياض الصالحين (١٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٢هـ]، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/ ٣٨٣، ٣٨٤) [دار العاصمة، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٤١)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٨).

(٣) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٣/ ٧٩) [جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٧١٠، ٧١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٥) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤).

عليه وخلوِّه به وكلامه إياه هذا كله من الصفات الفعلية الاختيارية، فهذا من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية.

ومنهم من يؤولها بالإنعام والرحمة[(١)]؛ فرارًا من إثبات هذه الصفة بدعوى التقديس والتنزيه، والنبي ﷺ الذي أخبرنا عن ذلك ووصف الله ﷻ بهذه الصفة أكثر الناس تنزيهًا وتقديسًا لله ﷻ، وفيه إكرام من الله ﷻ لعبده المؤمن وستر عليه وعفو عنه، وهذا كله مدح وكمال لله ﷻ، ولا يلزم من إثباتها شيء من النقص لله ﷻ، ولذا يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة السُّنَّة النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج٣)، لابن تيمية.

٢ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٣ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ ـ «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» (ج٣)، لمحمد بن أبي بكر المديني.

٦ ـ «معارج القبول» (ج١) لحافظ بن أحمد الحكمي.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.

٨ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

٩ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

الكهانة

التعريف لغةً:

الكاهن معروف، يقال: كَهَنَ له يَكْهُنُ كِهَانة[(٢)]، وتَكَهّن تَكُهّنًا: قضى له بالغيب، والكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، والكاهن أيضًا في كلام العرب الذي يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته، والقيام بأسبابه. والعرب تسمي كل من يتعاطى علمًا دقيقًا: كاهنًا، ومنهم من كان يسمي المنجم

(١) انظر: من كتب الأشاعرة: أساس التقديس للرازي (١٣٤) [مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ].

(٢) انظر: العين للفراهيدي (٣/ ٣٧٩) [مكتبة الهلال]، والصحاح (٦/ ٢١٩١) [دار العلم للملايين، ط٣].

والطبيب: كاهنًا[(١)].

التعريف شرعًا:

الكهانة الإخبار ببعض ما غاب عن الناس بالاستناد إلى معونة الجن، قال الخطابي: «الكاهِنُ هو الذي يدَّعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن»[(٢)]. وقال ابن الأثير: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار»[(٣)]. وقال ابن تيمية في معنى الكهانة: إنها «الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»[(٤)]. وقال ابن حجر: «والكهانة ـ بفتح الكاف ويجوز كسرها ـ ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض، مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن»[(٥)].

الأسماء الأخرى:

العرافة، التنجيم، الضرب بالحصى، الخط في الأرض، قراءة الفنجان، قراءة الكف، حروف أبي جاد.

الحكم:

ورد في السُّنَّة قوله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٦)]، وهذا الحديث يبيِّن بجلاء حكم الكهانة وأنها محرمة، فإذا كان قد أطلق الكفر على من يأتي الكاهن ويصدقه، فالكاهن نفسه أولى بذلك الحكم.

وقد اختلف الفقهاء في الكاهن والعراف؛ أيلحقون بالسحرة الذين يقتلون أم يعزَّرون فقط؟ والصحيح أن حكمهم حكم السحرة الذين يقتلون[(٧)]. قال ابن عثيمين في حكمهم: «إن حَكَمنا بكفرهم، فحكمهم في الدنيا أنهم يستتابون، فإن تابوا، وإلا قتلوا كفارًا. وإن حَكَمنا بعدم كفرهم ـ إما لكون السحر لا يصل إلى الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون؛ لأن المسألة فيها

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) [دار صادر]، القاموس (١٥٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ].
(٢) معالم السنن للخطابي (٤/ ٢١١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ]. وانظر: المفردات للراغب (٧٢٨) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].
(٣) النهاية في الغريب (٤/ ٢١٤) [المكتبة الإسلامية].
(٤) النبوات (١٣) [المطبعة السلفية].
(٥) فتح الباري (١٠/ ٢٢٧) [دار الفكر].
(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الطب، باب في الكاهن، رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (أبواب الطهارة، رقم ١٣٥)، وابن ماجه (كتاب الطهارة وسننها، رقم ٦٣٩)، وأحمد (١٥/ ٣٣١) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الطهارة، رقم ١١٧٦)، ونقل المناوي عن العراقي تصحيحه، كما في فيض القدير (٦/ ٢٣) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٤٣٣) [مكتبة المعارف، ط٥].
(٧) انظر في حكم الكاهن في: المغني (٩/ ٣٥ ـ ٣٧)، والفروع (٦/ ١٦٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ]، والإنصاف (١٠/ ٣٥١، ٣٥٢)، وحاشية ابن عابدين (٤/ ٢٤٠) [دار الفكر، ط٢، ١٣٨٦هـ].

خلاف ـ فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم؛ لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط، بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة: ٣٣]، فكل من أفسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام»[(١)].

الحقيقة:

الكاهن قيل: إنه لفظ عام، يدخل فيه كل من يدعي علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن في مستقبل الزمان، من طريق الجن أو غيرهم، ويدخل في ذلك العراف، والمنجم، والذي يضرب بالحصى أو يخط في الأرض، وقد يختص العراف بمن يدعي معرفة الأمور الماضية، والكاهن من يدعي علم الغيب من حيث معرفة الكوائن في مستقبل الزمان.

الأدلة:

قال النبي ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٢)].

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منّا رجالًا يأتون الكهان، قال: فلا تأتهم»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال الخطابي: «الكاهن هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن»[(٤)].

وقال البغوي: «الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل»[(٥)].

وقال ابن الأثير: «الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار»[(٦)].

وقال ابن تيمية في معنى الكهانة: إنها «الإخبار ببعض الغائبات عن الجن»[(٧)].

الأقسام:

الكهانة ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان وليٌّ من الجن

(١) القول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/٥٤٩، ٥٥٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣٧).

(٤) معالم السنن للخطابي (٤/٢١١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ]. وانظر: المفردات للراغب (٧٢٨).

(٥) انظر: القول المفيد لابن عثيمين (١/٤٠٦).

(٦) النهاية في غريب الحديث (٤/٢١٤).

(٧) النبوات (١٣).

يخبره بما يسترقه من السماء، وهذا القسم باطل من حين بعث النبي ﷺ.

الثاني: أن يخبره الجنيّ بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد.

الثالث: المنجمون، لكن الكذب فيه أغلب. ومن هذا الفن: العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها.

وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر، والطرق وهو الضرب بالحصا أو الخط في الرمل، والنجوم، وأسباب معتادة[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حكم سؤال العرّاف:

«سؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يسأل سؤالًا مجردًا فهذا حرام لقوله ﷺ: «**من أتى عرافًا...**» فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدقه ويعتبر قوله، فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن.

القسم الثالث: أن يسأله ليَخْبَره هل هو صادق أو كاذب لا لأجل أن يأخذ بقوله، فهذا لا بأس به ولا يدخل في الحديث. وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد فقال: «**إني قد خبأت لك خبيئًا**، قال: هو الدخ، فقال: **اخسأ فلن تعدو قدرك**»[(٢)]. فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له فأخبره به لأجل أن يختبره.

القسم الرابع: أن يسأله لينظر عجزه وكذبه فيمتحنه في أمور، وهذا قد يكون واجبًا أو مطلوبًا، وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجبًا، فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلَّت عليه الأدلة الشرعية الأخرى»[(٣)].

ـ المسألة الثانية: واجب ولاة الأمر نحو الكهان:

المقصد الأعظم للإمامة في الإسلام إقامة أمر الله ﷻ في الأرض على الوجه الذي شرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم ذلك وأوجبه حماية جناب التوحيد من كل ما يخدشه أو يدنسه فضلًا عن ما ينقصه أو يبطله.

---

(١) انظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/٧٦) [دار التراث]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٤/٢٢٣) [دار الفكر، ١٤٠١هـ]، نيل الأوطار للشوكاني (٧/٣٦٨) [دار الجيل، ١٩٧٣م]. والنهاية لابن الأثير (٣/١٢١)، وسنن أبي داود (٤/١٦) [دار إحياء السُّنَّة].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٠).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٥٢٣، ٥٢٤).

ولما كان خطر العرافة والكهانة عظيمًا وشرها مستطيرًا وضررها كبيرًا فإن واجب الولاة نحوها إبطالها وإنكارها والأخذ على أيدي أهلها أخذًا يقمعها ويردعها ويستأصل شأفتها.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ: «فهؤلاء ـ أي: الكهان ومن في حكمهم ـ يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك»[(١)].

ويقول أيضًا: «الواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين»[(٢)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «ويجب على ولي الأمر وكل قادر السعي في إزالة ذلك ـ أي: أعمال التنجيم والسحر والكهانة ـ ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات أو دخولهم على الناس في منازلهم لذلك»[(٣)].

وقال ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «فالواجب على ولاة الأمور وأهل الحسبة وغيرهم ممن لهم قدرة وسلطان إنكار إتيان الكهان والعرافين والإنكار عليهم أشد الإنكار»[(٤)].

فهذا ما قرَّره أهل العلم في بيان واجب ولاة أمور المسلمين نحو الكهنة والعرافين من الأخذ على أيديهم وقمعهم وحماية أديان الناس وأبدانهم من شرورهم وغوائلهم وخداعهم ومكرهم.

ـ المسألة الثالثة: حكم عمل القائف:

عمل القائف ليس من الكهانة في شيء، والقائف هو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، ويعرف الأنساب بالنظر إلى الأشخاص، ومعرفته بذلك ليست من قبل ادعاء الغيب؛ لأنه يستدل على ذلك بعلامات وأمارات تدل على ما يخبر به، ففعله هذا من جنس قولهم: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

وليس من معرفة الغيب؛ لأن الله تعالى أعطاهم القدرة على معرفة تلك الأمور بواسطة الحواس التي جعلها الله فيهم، كما أنه تعالى جعل لبعض الحيوانات كالكلاب قدرة على التعرف على الجناة ومعرفة ما معهم عن طريق الحواس التي أودعها الله فيها[(٥)].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٦٨).
(٢) المصدر السابق (٢/٧٦٧).
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٩٥).
(٤) حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها (٥، ٦).
(٥) علم الغيب في الشريعة الإسلامية (٣٦٠) لأحمد الغنيمان.

ـ المسألة الرابعة: حكم التنويم المغناطيسي:

من ضروب الكهانة في العصر الحديث ما يعرف باسم التنويم المغناطيسي، وهو الوصول بالمنوَّم إلى مرحلة وسطى بين النوم واليقظة، وفي هذه الحالة يمكن للمعالج أن يستخرج من المريض خفايا لا شعورية تعينه على علاجه[(١)].

وقد ورد سؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم التنويم المغناطيسي، فأجابت اللجنة بأن: «التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جنِّي حتى يسلطه المنوِّم على المنوَّم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوِّم وكان طوعًا له مقابل ما يتقرب به المنوِّم إليه، ويجعل ذلك الجني المنوَّم طوع إرادة المنوِّم بما يطلبه من الأعمال والأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم»[(٢)].

ـ المسألة الخامسة: معرفة الكسوف وأحوال الطقس ليس من الكهانة:

سئل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هل من الكهانة ما يخبر به الآن عن أحوال الطقس في أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟ فأجاب بقوله: «لا؛ لأنه يستند إلى أمور حسية وهي تكيُّف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم فيكون صالحًا لأن يمطر أو لا يمطر، ونظير ذلك في العلم البدائي إذا رأينا السماء وتجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب نقول: يوشك أن ينزل المطر، فالمهم أن ما استند إلى شيء محسوس فليس من علم الغيب، وإن كان بعض العامة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب ويقولون إن التصديق بها تصديق بالكهانة، والشيء الذي يدرك بالحس إنكاره قبيح كما قال السفاريني:

فكل معلوم بحسٍّ أو حِجا
فنكره جهل قبيح بالهجا

فالذي يُعلم بالحس لا يمكن إنكاره، ولو أن أحدًا أنكره مستندًا بذلك إلى الشرع لكان ذلك طعنًا في الشرع»[(٣)].

(١) فلسفة الماكرو بيوتيك لنجاح الظهار (١٧٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء (١/ ٥٩٤).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣١، ٥٣٢).

وقال الغنيمان: «وأما الإخبار عما يسمى بالطقس؛ أحوال الجو من أمطار أو رياح أو غيوم أو صحو أو غير ذلك فهي توقعات معينة على مقدمات مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة واليبوسة ونحو ذلك، ولهذا كثيرًا ما يكون الأمر على خلاف ما قالوا»[(١)].

والفرق بين معرفة الأمور بالكهانة ومعرفتها بالحساب أن ما يعلم بالحساب كسير الشمس والقمر والخسوف والكسوف ليس من ادعاء علم الغيب كما توهمه بعض الناس، فهو مثل العلم بأوقات الفصول التي قدَّرها الله ﷻ في هذا الكون ومكن بعض عباده من العلم بذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما ما يعلم بالحساب فهو مثل العلم بأوقات الفصول كأول الربيع والصيف والخريف والشتاء لمحاذاة الشمس أوائل البروج التي يقولون فيها: إن الشمس نزلت في برج كذا أي حاذته»[(٢)].

وقال أيضًا: «والهلال يستسرّ آخر الشهر إما ليلة أو ليلتين كما يستسرّ ليلة تسع وعشرين وثلاثين، والشمس لا تكسف إلا وقت استسراره وللشمس والقمر ليال معتادة من عرفها عرف الكسوف والخسوف، كما أنه من علم كم مضى من الشهر يعلم أن الهلال يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها، لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام يشترك فيه جميع الناس، وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف، فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانهما، وليس خبر الحاسب بذلك من باب العلم بالغيب، ولا من باب ما يخبره من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه، فإن ذلك قول بلا علم ثابت وبناء على غير أصل صحيح»[(٣)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس من الكهانة في شيء من يخبر من أمور تدرك بالحساب فإن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر فهذا ليس من الكهانة لأنه يدرك بالحساب»[(٤)].

وأما حكم العمل بما يقولون وتصديقهم في ذلك، فيقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعلم بوقت الكسوف والخسوف وإن كان ممكنًا لكن هذا المخبر المعين قد يكون عالمًا بذلك وقد لا يكون، وقد يكون ثقة في خبره وقد لا يكون، وخبر المجهول الذي

---

(١) شرح كتاب التوحيد صحيح البخاري (١/ ١١٢).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٤/ ٢٥٧).
(٣) المصدر السابق (٢٤/ ٢٥٦).
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٣١).

يوثق بعلمه وصدقه ولا يعرف كذبه موقوف، ولو أخبر مخبر بوقت الصلاة وهو مجهول لم يقبل خبره، ولكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطؤون، ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك، وإذا جوَّز الإنسان صدق المخبر بذلك أو غلب عليه ظنه فنوى أن يصلي الكسوف والخسوف عند ذلك واستعد لذلك الوقت لرواية ذلك كان هذا حقًّا من باب المسارعة إلى طاعة الله وعبادته»[1].

الفروق:

الفرق بين العراف والكاهن:

في الفرق بينهما أقوال:

القول الأول: أن الكاهن يدعي معرفة الأخبار عن الكائنات في المستقبل، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما مما هو في الماضي[2].

القول الثاني: أن العراف اسم عام للكاهن، والمنجم، والرمَّال، ونحوهم، ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع، فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي[3].

القول الثالث: أن الكاهن اسم يعم العراف وغيره. قال القاضي عياض وهو يبين أنواع الكهانة: «ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدّعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذا الفن هو العيافة بالياء، وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة عندهم»[4].

الآثار:

١ ـ الوقوع فيما حذر منه الرسول ﷺ وهو الكفر.

٢ ـ ضعف الإيمان، والتعلق بغير الله، بالتعلق بالكهنة والمشعوذين.

٣ ـ انتشار الدجل، والخرافة في المجتمع المسلم.

٤ ـ إفساد العلاقات الاجتماعية بين الناس بسبب الأكاذيب والتهم الباطلة التي يزورها الكهان.

٥ ـ الكهانة حدس وتخمين، وليست طريقًا شرعيًّا، ولا سببًا حقيقيًّا، فلن يحصل المرء على مراده من الكاهن.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٤/٢٥٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٥/٢٢)، ومغني المحتاج (٤/١٢٠).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/١٧٣، ١٩٣)، وفتح الباري (١٠/٢١٦) [دار الفكر].

(٤) إكمال المعلم (٧/١٥٣) [دار الوفاء، مصر، ط١].

۞ المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام الكهانة وسؤال العرافين»، لإبراهيم أباحسين.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «حكم السحر والكهانة»، لعبد العزيز بن باز.

٤ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٥ ـ «القول المفيد»، لابن عثيمين.

٦ ـ «الكهانة وموقف الإسلام منها»، لفهد السفياني [رسالة دكتوراه].

٧ ـ «موقف ابن تيمية من السحر والكهانة»، لخيرية القحطاني [رسالة دكتوراه].

٨ ـ «موقف الإسلام من السحر»، لحياة با أخضر.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

الكوثر

۞ التعريف لغةً:

الكوثر من مادة (ك ـ ث ـ ر)، والكاف والثاء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خِلاف القِلّة، من ذلك الشَّيء الكثير، وقد كَثُر. ثم يُزَاد فيه للزِّيادة في النّعت، فيقال: الكوثر، وهو (فَوْعلٌ) من الكَثْرة[1]، ومعناه: الخير الكثير[2].

۞ التعريف شرعًا:

نهر أعطيه النبي ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مجوَّف آنيته كعدد النجوم[3].

۞ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي لم يخرج عن الحقيقة اللغوية، إلا أنه نهر خاص بالنبي ﷺ في الجنة.

۞ سبب التسمية:

سمي الكوثر بذلك لما عليه من الخير الكثير، كما أبانته النصوص الآتية.

۞ الحكم:

الاعتقاد الجازم بوجوده الآن في الجنة، والتصديق بما ورد من صفاته، كما أخبرت به نصوص الكتاب والسُّنَّة.

۞ الحقيقة:

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أعطى نبيه ﷺ الكوثر، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]، وثبت عن أبي عبيدة بن عبد الله بن

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٦٠) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٠٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والنهاية في الغريب (٤/ ٣٨٢) [دار الفكر]، والمصباح المنير (٢/ ٥٢٦) [المكتبة العلمية].

(٣) كما سيأتي ذكره في الأدلة، وراجع تفسير الطبري (١٢/ ٧١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٢)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٢)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٤٤) [دار إحياء التراث، ط٤، ١٤٠٥هـ].

مسعود أنه سأل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن الكوثر، فقال: «سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه دُرٌّ مجوَّف آنيته كعدد النجوم»[١].

المنزلة:

أحد مفردات الجنة التي يكرم الله بها ساكنيها.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت علي آنفًا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]» ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّ وَجَلَّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك**» وفي لفظ: «**نهر وعدنيه ربي عَزَّ وَجَلَّ في الجنة، عليه حوض**»[٢].

وقال ﷺ: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر، حافَتاه قباب الدُّرِّ المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه ـ أو طيبه ـ مسكٌ أذفر**»[٣].

ولما سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر؟ قال: «**هو نهر أعطانيه الله عَزَّ وَجَلَّ في الجنة، ترابه المسك، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجُزُر**»، قال أبو بكر: يا رسول الله، إنها لناعمة، فقال: «**آكِلُها أنعم منها**»[٤].

أقوال أهل العلم:

سئل عطاء وهو يطوف بالبيت عن قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر] قال: «حوض أُعطيه رسول الله ﷺ»[٥].

قال ابن كثير: «روي عن أنس، وأبي العالية، ومجاهد، وغير واحد من السلف: أن الكوثر: نهر في الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٩٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٨١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة الجنة، رقم ٢٥٤٢) وحسنه، وأحمد (٢١/١٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٩٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٥١٤).

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/٦٤٨).

وقال عطاء: هو حوض في الجنة»[١].

وقال ابن أبي العز: «الذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر»[٢].

المسائل المتعلقة:

- موضع الكوثر:

ورد في الآثار المروية في تفسير الآية أن الكوثر في الجنة، وهو الذي قرره أهل العلم[٣].

- **المسألة الثانية: الفرق بين الحوض والكوثر.**

أوضح أهل العلم أن الكوثر نهر داخل الجنة، كما جاء مصرحًا في بعض الأحاديث، وماؤه يصبُّ في الحوض خارج الجنة، فالكوثر هو مادة الحوض، كما جاء في حديث أبي ذرّ قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنيةُ الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب[٤] فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل**»[٥]، ومن هذا الباب يطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمدّ منه، وبهذا يتبين أن الحوض مغاير للكوثر، ولكنه وثيق الصلة به، والله أعلم[٦].

قال ابن أبي العز رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ذلك: «والذي يتخلص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوضٌ عظيم، ومورد كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهرِ الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع»[٧].

مذهب المخالفين:

نسب بعض أهل العلم إلى المعتزلة إنكار الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة، ووجود حوض الكوثر، وأنكروا ما ورد في هذا الباب من الآثار والأخبار[٨].

وهذا المذهب باطل، فقد جاءت نصوص الكتاب والسُّنَّة دالة على إثبات الكوثر للنبي ﷺ، وهو ما قرره أهل العلم من السلف الصالح ومن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٢)، وراجع: تفسير الطبري (١٢/ ٧١٩)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٤٤).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠). وانظر: معارج القبول لحافظ الحكمي (٢/ ٨٧١).
(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ٧١٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٢)، فتح الباري (١١/ ٤٦٦، ٤٦٧).
(٤) الشخب: السيلان. انظر: النهاية (٢/ ٤٥٠).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٠).
(٦) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٦، ٤٦٧)، وراجع تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٨).
(٧) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٠، ٢٨١).
(٨) انظر: التبصير في الدين للإسفراييني (٦٦).

تبعهم بإحسان[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التذكرة»، للقرطبي.

٢ ـ «تفسير ابن كثير».

٣ ـ «تفسير الطبري».

٤ ـ «الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر»، لابن بشكوال.

٥ ـ «روح المعاني»، للألوسي.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٨ ـ «فتح الباري»، لابن حجر.

٩ ـ «ما روي في الحوض والكوثر»، لبقي بن مخلد.

١٠ ـ «معارج القبول»، لحافظ الحكمي.

الكوني والشرعي

التعريف لغةً:

الكوني: منسوب إلى (الكون)، وهو مصدر للفعل (كان). يقال: كان يكون كونًا؛ أي: وجد واستقر[(٢)]. قال ابن فارس: «الكاف والواو والنون أصل يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماض أو زمان راهن. يقولون: كان الشيء يكون كونًا؛ إذا وقع وحضر»[(٣)].

والكون: الحدث، والكائنة: الأمر الحادث. وكوّنه فتكوَّن: أحدثه فحدث. وكوّن الله الشيءَ: أحدثه وأوجده بأن أَخرجه من العدم إلى الوجود[(٤)].

والشرعي: منسوب إلى (الشرع)، قال ابن فارس: «الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك: الشريعة، وهي مورد الشاربة الماء. ويقال: أشرعت طريقًا؛ إذا أنفذته وفتحته»[(٥)]. والشرع: نهج الطريق الواضح[(٦)]. وشرع لهم يشرع شرعًا؛ أي: سنّ[(٧)]. والشريعة والشِّرعة: ما سن الله من الدين وأمر به[(٨)].

التعريف شرعًا:

الكوني: هو كل ما له تعلق بربوبية الله

(١) انظر: ما روي في الحوض والكوثر لبقي بن مخلد، والذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر لابن بشكوال.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢١١) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].

(٣) مقاييس اللغة (٥/ ١٤٨) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٠٥) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٥) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، وتاج العروس (٣٦/ ٧١) [وزارة الإعلام بالكويت، ط ١٤٠٨هـ].

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٢).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب (١/ ٥٣٢) [دار القلم].

(٧) الصحاح (٣/ ١٢٣٦) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م]. والقاموس المحيط (٧٣٢) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ].

(٨) لسان العرب (٨/ ١٧٦).

تعالى وخلقه وقضائه وقدره وفعله.

والشرعي: هو كل ما له تعلق بإلٰهيته وأمره ودينه.

فالله تعالى هو المختص بالخلق وبالأمر الكوني والشرعي[1].

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المرادفة للفظ (الكوني والشرعي): الخلق والأمر، الخلقي والديني.

الحكم:

يجب الإيمان بما وقع كونًا، ومحبة الأمر الشرعي والانقياد له وأنه جميعه من الله تعالى وتابع لحكمته، فكل ما قضاه الله كونًا، أو تعبد به خلقه شرعًا فإنه لحكمة، وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم، أو تقاصرت عقولنا عن ذلك، وإفراده سبحانه بالخلق وبالأمر الكوني والشرعي، من مقتضى وحدانيته في ربوبيته.

الحقيقة:

المراد بالكوني هو إحداث الشيء وإيجاده بأن يُخرج من العدم إلى الوجود، وهذا خاص بالله تعالى[2]، وهو صادر عن علمه الشامل وقدرته المطلقة. والكوني مطابق للمشيئة، والمقصود به:

(١) انظر: شفاء العليل (٢٨٠) [دار المعرفة، ١٣٩٨هـ].

(٢) تهذيب اللغة (١٠/٢٠٥)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٣٦٣ ـ ٣٦٥)، وتاج العروس (٣٦/٧١).

أن كل ما يحصل في هذا الكون فهو بمشيئة الله وقدرِه وخلقه. وهذا لا يخرج عنه شيء مهما صغُر ودقّ. وأما الشرعي فهو النهج الواضح والدين القويم الذي سنّه الله تعالى وأمر به[3]، والناس في الأخذ به متفاوتون[4].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء»[5].

وقال تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢]، «فكُتبه كلماته التي يأمر بها وينهى ويحل ويحرِّم، وكلماته التي يخلق بها ويكوّن»[6].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء**»[7].

(٣) لسان العرب (٨/١٧٦).

(٤) وانظر: طريق الهجرتين (١/٣٧ ـ ٣٩) [دار السلفية، ط٢، ١٣٩٤هـ].

(٥) تفسير السعدي (٢٩١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٦) شفاء العليل (٢٨٢).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**فهو فضلي أوتيه من أشاء**»(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده، قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها**»(٣) الحديث.

أقوال أهل العلم:

قال ابن عيينة رحمه الله: «فرّق الله بين الخلق والأمر، فمن جمع بينهما فقد كفر(٤)»(٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وأما لفظ (الكلمات)، فقال في الكلمات الكونية: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر**»(٦) الحديث.

وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر: هي التي كوَّن بها الكائنات فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته.

وأما كلماته الدينية: وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار. وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وجعله الديني، وإذنه الديني، وإرادته الدينية.

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر؛ فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب. وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه. وأعداؤه أولياء الشياطين وإن كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم»(٧).

(١) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة، رقم ٥٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٨).
(٤) ومراده رحمه الله: أن من جعل الأمر من جملة ما خلقه فقد كفر.
(٥) أورده القرطبي في تفسيره (٧/ ٢٢١) [دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ].
(٦) أخرجه أحمد (٢٤/ ٢٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، وذكر الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٢٧) [مكتبة القدسي]: أن رجال بعض أسانيده رجال الصحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٨٤٠) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].
(٧) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٠، ٢٧١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: «والله تعالى له الخلق والأمر، فلفظ الإرسال، والبعث، والإرادة، والأمر، والإذن، والكتاب، والتحريم، والقضاء، والكلام ينقسم إلى: خلقي، وأمري، وكوني، وديني»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من الديني فهو متعلق بإلٰهيته وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرًا وشرعًا.

ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين؛ فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي»[(٢)].

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/١٤٩) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٢) شفاء العليل (٢٨٠).

الأقسام:

ورد في الشرع ألفاظ عديدة تنقسم إلى معنيين؛ الكوني والشرعي، وهذه الألفاظ هي:

١ ـ القضاء:

ودليل القضاء الكوني قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [فصلت: ١٢]. ودليل القضاء الشرعي، قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي: أمر.

٢ ـ الأمر:

قال تعالى في الأمر الكوني: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس]. وأما الأمر الديني فمثل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

٣ ـ التحريم:

ودليل التحريم الكوني قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢]، وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي﴾ [المائدة: ٢٦]. وأما التحريم الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ﴾ [النساء: ٢٣].

٤ ـ الكلمات:

فالكلمات الكونية مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ

أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يونس]. ومنه قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود]. وأما الكلمات الشرعية فدليلها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

٥ ـ الإذن:

الإذن الكوني مثل قوله في السحرة: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. ودليل الإذن الشرعي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩].

٦ ـ الكتاب:

ودليل الكتاب الكوني قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١]. وقوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]. ودليل الكتاب الشرعي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٧ ـ الإرادة:

فدليل الإرادة الكونية، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى في الإرادة الدينية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء].

٨ ـ البعث:

فالبعث الكوني دليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]. وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. وأما البعث الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

٩ ـ الإرسال:

الإرسال الكوني دليله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ [مريم]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]. وأما الإرسال الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

١٠ ـ **الجعل:**

أما الجعل الكوني فدليله قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يــس]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]. وأما الجعل الشرعي فدليله قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]؛ أي: ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته.

١١ ـ **الإيتاء:**

أما الإيتاء الكوني فدليله قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. وأما الإيتاء الشرعي فكقوله تعالى: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

١٢ ـ **الآيات:**

أما الآيات الكونية فدليلها قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. وأما الآيات الشرعية فدليلها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٩٩﴾ [البقرة][1].

المسائل المتعلقة:

ـ التسوية بين الإرادة والمشيئة:

منشأُ الضلال الذي وقعت فيه القدرية والجبرية يكمن في التسوية بين المشيئة الكونية والإرادة الشرعية، حيث ظنُّوا أن المشيئة والإرادة (الكونية) مستلزمة للمحبة والرضا.

فالقدرية زعموا أن الكفر والفسوق والعصيان لا يمكن إدخالهم تحت إرادة الله وتقديره؛ لأن الأمر عندهم يستلزم الإرادة، فكل ما أمر به فقد أراده، والله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان، فهو غير مريد لها؛ لأن الله لا يحبها ولا يرضاها.

أما الجبرية؛ فزعموا أن الكفر والفسوق والعصيان مرادة له محبوبة له، وقد جبرهم عليها ولا خيار لهم في تركها؛ لأن الأمر عندهم لا يستلزم الإرادة، وإذا كان الله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان إلا أنه أراد ذلك وقدَّره وشاءه[2].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح (١/١٤٩ ـ ١٥٤)، وشفاء العليل (٢٨٠ ـ ٢٨٣).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٣٣٦، ٤٣١) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ]، والمحيط بالتكليف له (٣٤٠) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، والملل والنحل =

ومذهب أهل السُّنَّة قائم على التفريق بين المشيئة والمحبة والرضا، إذ إن النصوص دالة على أن كل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وإرادته، وهذا يشمل الطاعات والمعاصي، ثم إن النصوص دلَّت على أن الله لا يحب الكفر ولا المعاصي ولا الفساد، وقد اتفقت الأمة على أن الله يكره المنهيات دون المأمورات، ويحب المأمورات دون المنهيات، فالطاعات يريدها الله من العباد الإرادة المتضمنة لمحبته لها، ورضاه بها، إذا وقعت وإن لم يفعلها، والمعاصي يبغضها ويكره من يفعلها من العباد وإن شاء أن يخلقها هو لحكمة اقتضت ذلك، ولا يلزم إذا كرهها للعبد لكونها تضر بالعبد أن يكره أن يخلقها هو لما له فيه من الحكمة[1].

الفروق:

الفرق بين الكوني والشرعي:

- الكوني يكون فيما يحبه الله، وفيما لا يحبه، أما الشرعي فلا يكون إلا فيما يحبه الله خاصة.

- الكوني لا بدَّ أن يقع، فكل ما في هذا الكون، وكل ما يكون ويوجد، فإن الله أراده كونًا وقدرًا من خير وشر، وصحة وعافية، وعز وإذلال، وكفر وإيمان، وفقر وغنى، ومعصية وطاعة، وسعادة وشقاوة، أما الشرعي المتعلق بالأمر والنهي، وهو ما طلب الله من العباد تطبيقه والعمل به من الأحكام الشرعية، وهذا لا يستلزم الوقوع إذ قد يقع وقد لا يقع. فقد أمر الله أبا جهل بالإيمان ولم يؤمن[2].

ولا تلازم بين الأمرين الكوني والشرعي؛ بل قد يتعلق كل منهما بما لا يتعلق به الآخر، فبينهما عموم وخصوص من وجه. فالأمر الكوني أعم من جهة تعلقه بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنه لا يتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق. والأمر الشرعي أعم من جهة تعلقه بكل مأمور به واقعًا كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالأمر الكوني قد يكون غير مأمور به. والحاصل أن النوعين قد يجتمعان معًا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع.

وينفرد الأمر الكوني في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي. وينفرد الأمر الشرعي في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي[3].

= للشهرستاني (١/٨٧) [مؤسسة الحلبي]، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢١١).

(١) انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٣/١٥٦ ـ ١٦٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٤٠، ٤٧٦)، وشفاء العليل (٤٧، ٤٨)، وشرح الطحاوية (٦٩).

(٣) مراتب القضاء والقدر للدبيخي (٦٩) بتصرف. وانظر: شفاء العليل (٢٨٠).

مذهب المخالفين:

ضلّ في هذا الباب طائفتان؛ هما: القدرية والجبرية.

فالقدرية أثبتوا الإرادة الشرعية وأنكروا الإرادة الكونية، وزعموا أن الله لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فلا يدخل تحت إرادة الله وتقديره؛ لأن الأمر عندهم يستلزم الإرادة، فكل ما أمر به فقد أراده، والله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان، فهو غير مريد لها؛ لأن الله لا يحبها ولا يرضاها[(١)].

أما الجبرية فأثبتوا الإرادة الكونية وأنكروا الإرادة الشرعية وزعموا أن الكفر والفسوق والعصيان مرادة له محبوبة له، وقد جبرهم عليها ولا خيار لهم في تركها؛ لأن الأمر عندهم لا يستلزم الإرادة، وإذا كان الله تعالى لم يأمر بالكفر والفسوق والعصيان إلا أنه أراد ذلك وقدَّره وشاءه[(٢)].

الرد عليهم:

ما ذهبوا إليه مخالف للنصوص الشرعية التي دلَّت على الفرق بين المشيئة والمحبة وقد تقدم ذكر بعضها، ومذهب السلف قائم على التفريق بين الإرادتين وعدم التسوية بينهما، وأنه لا تلازم بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا، فالمعاصي داخلة تحت مشيئة الله الكونية؛ إذ لا يحصل في ملكه شيء خارج عن إرادته، لكنها غير داخلة تحت إرادته الشرعية ومحبته، وهذا جائز عقلًا وحسًّا ـ ولله المثل الأعلى ـ لهذا نجد أن المريض يشرب من الدواء بإرادته وهو لا يحبه، كذلك ما يحصل في الكون فهو بإرادة الله الكونية، وإن كان بعضه قد لا يحبه سبحانه، ولكنه أذن به ومكَّن العبد من فعله لحكمة ترجع إليه سبحانه، وهو قادر على منعه من ذلك إذا لم يرده إرادة كونية، فحصول المعاصي مراد لله كونًا وغير مراد شرعًا. فتعذيب العصاة على معاصيهم ليس ظلمًا لهم، وإن كانت مقدَّرة عليهم؛ لأنهم يعذبون على أعمالهم التي عملوها باختيارهم وإرادتهم بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وتحذيرهم منها[(٣)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإرادة الكونية والإرادة الشرعية في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية»، لنوال علي الزهراني.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٣٣٦، ٤٣١)، والمحيط بالتكليف (٣٤٠).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٧)، والفرق بين الفرق للبغدادي (٢١١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ٢٢٢)، ومنهاج السُّنَّة (٣/ ١٥٦، ١٥٧، ١٨٠)، وشفاء العليل (٤٤) وما بعدها، وشرح الطحاوية (٧١، ٧٢، ٢٢٨، ٢٢٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ]، والقضاء والقدر للمحمود (٣٤٧) وما بعدها [دار الوطن، ط٢]، ومراتب القضاء والقدر للدبيخي (٦١) وما بعدها.

٢ ـ «إيثار الحق على الخلق»، لابن الوزير.

٣ ـ «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٤ ـ «شفاء العليل»، لابن القيِّم.

٥ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيِّم.

٦ ـ «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، لابن تيمية.

٧ ـ «القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسُّنَّة ومذاهب الناس فيه»، لعبد الرحمٰن المحمود.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٨)، لابن تيمية.

٩ ـ «مراتب القضاء والقدر»، لسليمان الدبيخي.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٣)، لابن تيمية.

الكيد

التعريف لغةً:

الكاف والياء والدال أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة ثم يتسع الباب، وكله راجع إلى هذا الأصل، قال أهل اللغة: الكيد المعالجة، هذا هو الأصل في الباب، ثم سموا المكر كيدًا[(١)].

فيطلق الكيد على المكر، والاجتهاد، والاحتيال، كاده يكيده كيدًا ومكيدة، وكذلك المكايدة، وربما سميت الحرب كيدًا[(٢)].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى في مقابل كيد الكائدين، وردّ مكر الماكرين. وحقيقتها إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده.

وصفة الكيد: هي كيده سبحانه بأهل الكيد مقابلة لهم بفعلهم، وجزاء لهم بجنس عملهم[(٣)].

وهي بمعنى التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها[(٤)].

ولذلك فوصف الله تعالى بها جاء مقيدًا بما يفيد الكمال والعظمة، والعدل والحكمة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على جهة الكمال الذي لا يعتريه نقص

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٤٩).

(٢) انظر: الصحاح (٢/ ٥٩)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٣)، القاموس المحيط (٤٠٣).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (١/ ٣٨٨، ٢/ ١١٤). وراجع: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٢٩).

(٤) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٣٥).

بوجه من الوجوه، ولذلك لا يأتي إلا مقيدًا بما يفيد المدح والحمد، بخلاف ما قد يوصف به المخلوق من الكيد، فإنه قد يكون تعدِّيًا وظلمًا.

الحكم:

وجوب إثبات ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من صفة الكيد على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأن يؤتى بذلك مقيدًا كما ورد في النصوص الشرعية، بما يفيد الكمال، ويزيل إيهام النقص.

الحقيقة:

إن الله ﷻ يوصف بالكيد على وجه الكمال، فإنه ﷻ عادل في عباده، وموقعه بأهله، ومن يستحقه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق][1].

ولما كانت صفة الكيد ـ من حيث الإطلاق ـ من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيدًا بما يدل على المدح والكمال المطلق.

فالكيد حين يتعلق بمن يستحق الكيد وفي المواقف الموجبة له يعدُّ مدحًا لدى كل عاقل.

وذلك أن الكيد إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان كيدًا حسنًا، وإلا كان كيدًا سيئًا.

والله سبحانه إنما يمكر ويكيد ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب[2].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق]، وقال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٣].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «وهكذا وصف نفسه بالمَكْر والكيد، كما وصف عبده بذلك، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق]، وليس المَكْر كالمَكْر ولا الكيد كالكيد»[3].

وقال ابن القيِّم: «وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم، فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده. فمن المحمود: مكره تعالى بأهل

(١) انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (٦/ ١٢٩).

(٣) التدمرية (٢٦). وانظر: غريب الحديث للحربي (١/ ٩٤) [جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٥هـ].

المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم، وكذلك الكيد ينقسم إلى نوعين، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف]»[1].

وقال ابن كثير: «ولهذا قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة»[2].

الآثار:

١ ـ التعبُّد لله تعالى بالخوف منه، وعدم أمن مكره وكيده، مع رجائه وحسن الظن به.

٢ ـ التجاء المؤمن إلى ربه ﷻ في رد كيد الكائدين، وصرف أذى المبطلين.

٣ ـ الحذر من الكيد المؤدي إلى إحقاق باطل، أو إبطال حق؛ فمن كاد للباطل يكيد الله عليه للحق.

٤ ـ يقين المؤمنين بنصر الله تعالى؛ فهو جاعل العاقبة للمتقين، وهو لا يهدي كيد الخائنين.

٥ ـ قيام ما خلق الله تعالى بالعدل والحكمة؛ فمن كاد ظلمًا وعدوانًا لا يدوم له كيد وإن فرح به زمنًا؛ فالله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، وكيده الحق هو الغالب على كل كيد.

٦ ـ ما يكون لرسل الله وأنبيائه وأوليائه من النصر والعاقبة الحسنة، مع قلة ذات يد لديهم؛ لكنه نصر الله تعالى الذي يكيد لهم ويمكر لهم.

٧ ـ ما يقع على الظالمين من العقوبة والعذاب، فهم وإن فرحوا بكيدهم واعتدائهم زمانًا إلا أن المآل القريب هلاك وخسران، فهم يكيدون كيدًا، والله يكيد كيدًا، والله غالب على أمره.

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصَّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه[3].

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء[4]، فيثبتون الكيد باعتبار أثره، ويؤوِّلونه بإنزال العقوبة[5].

(١) إغاثة اللهفان (١/٣٨٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٠١).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٩٨) [دار المعرفة، ط٢].

(٤) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: تنزيه القرآن عن المطاعن لعبد الجبار (٣٥٨).

ومخالفة الأشاعرة مبنية على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وكذلك توهم النقص في إثبات هذه الصفة نظرًا لجانب النقص الذي يحتمله إثباتها، فأولوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو بمعنى الكيد الواقع على المكيد[(١)].

الرد عليهم:

- بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيٌّ من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة إلخ، ومن ذلك صفة الكيد، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه والتنقص الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعًا وعقلًا ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

فأهل السُّنَّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة الكيد.

وكذلك فإن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلًّا لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئًا من المخلوقات يحل في ذاته.

فنثبت فعله سبحانه بمشيئته واختياره بثبوت الدليل الشرعي عليه، ولا نرد دلالة الدليل باللوازم الباطلة.

بل إن نفي المشيئة والاختيار في أفعاله تعالى هو النقص الذي يجب أن ينزه عنه، فإثبات الكمال والحمد له أنه يخلق ما يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويفعل ما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد.

فمسألة الصفات الاختيارية هي من تمام حمده، فمن لم يقر بها لم يمكنه الإقرار بأن الله محمود ألبتة، ولا أنه رب العالمين؛ فإن الحمد ضد الذم والحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، والذم هو الإخبار بمساوئ المذموم مع البغض له.

والله تعالى يحمد نفسه بأفعاله، فإذا

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٤١٩).

لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم.
٢ ـ «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.
٣ ـ «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.
٤ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.
٥ ـ «صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.
٦ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية، ضمن جامع الرسائل (٢/٥٧) [دار العطاء، ط١].



لا إله إلا الله

التعريف لغةً:

شهادة التوحيد وكلمة الإخلاص (لا إلٰه إلا الله) مشتملة على جزأين في المعنى، النفي في قول: (لا إلٰه)، والإثبات في قول: (إلا الله)، وبيان كل منهما من جهة اللغة والشرع في غاية الأهمية.

الإلٰـه: هو الله تعالى؛ قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد: وهو التعبد، فالإلٰه: الله تعالى، وسمِّي بذلك؛ لأنه معبود، ويقال: تألَّه الرجل: إذا تعبَّد»(١).

الله: مشتق من (إلاه) على وزن (فِعال)، يقال: ألِهَ يَألَه إلَهَةً وأُلوهِيَةً وأُلْهانية، فهو إلاه، بمعنى مألوه؛ فِعال بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتَّألُّه: التَّعَبُّد، فلما دخلت عليه الألف واللام حُذفت الهمزة تخفيفًا؛ لكثرته في الكلام، وقُطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيمًا لهذا الاسم(٢).

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: العين (٤/ ٩٠) [مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٣م]، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٢٢) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٦/ ٢٢٢٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

التعريف شرعًا:

لا إلٰه إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، أو لا معبود يستحق العبادة إلا الله تعالى.

قال الطبري: «فإنه لا إلٰه إلا هو. يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله»(٣).

وقال الشوكاني: «قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا معبود بحق إلا هو»(٤).

وقال سليمان بن عبد الله: «ومعنى (لا إلٰه إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا إلٰه واحد، وهو الله وحده لا شريك له»(٥).

الأسماء الأخرى:

(لا إلٰه إلا الله) أسماء عديدة جاءت بها نصوص الكتاب والسُّنَّة النبوية، فهي تسمى بكلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، وكلمة الحق، والكلمة الباقية، وكلمة السواء، وشهادة التوحيد، والقول

(٣) تفسير الطبري (١٢/ ٣٢).
(٤) فتح القدير (١/ ٤٦٦) [دار الوفاء، ط١، ١٤٢٨هـ].
(٥) تيسير العزيز الحميد (١/ ١٧٧) [دار الصميعي، ط١].

الثابت، إلى غير ذلك من الأسماء.

الحكم:

شهادة (لا إلٰه إلا الله) هي أصل الإيمان، وهي ركن من أركان الإسلام، وقاعدة الدين، ومبنى العقيدة الإسلامية، فبقولها يدخل العبد الإسلام فيعصم دمه، وماله، وبجحدها أو الامتناع من قولها يكون العبد كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام، وهي أول واجب على المكلف، وأول ما دعت إليه الرسل كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين، وعلماء المسلمين؛ فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول: أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين، سواء كان معطلًا، أو مشركًا، أو كتابيًّا، وبذلك يصير الكافر مسلمًا، ولا يصير مسلمًا بدون ذلك»[1].

الحقيقة:

حقيقة كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله): النفي والإثبات:

١ ـ نفي في قول: لا إلٰه.

٢ ـ إثبات في قول: إلا الله.

و(لا إلٰه): نفت الألوهية عن كل من سوى الله عَزَّ وَجَلَّ من مَلَك مقرَّب أو نبي مرسل، فضلًا عن غيرهم، فليسوا بإلٰه ولا لهم من العبادة شيء.

و(إلا الله): تثبت الألوهية لله وحده لا شريك له، فهو الإلٰه الحق، وما اتخذ من دونه من آلهة فكلها باطلة كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

وتتمثل حقيقة لا إلٰه إلا الله في إخلاص العبادة لله عَزَّ وَجَلَّ وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه، والقرآن الكريم والسُّنَّة النبوية حافلان بالنصوص التي تقرر هذه الحقيقة.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقة تفسير التوحيد العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له، وذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: نفي الألوهية كلها عن غير الله بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلٰهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له، وتفرده بمعاني الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده

(١) درء التعارض (٨/٧) [جامعة الإمام، ط٢].

حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان، وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصدًا بذلك وجه الله وطالبًا رضوانه وثوابه، ويعلم أن من تمام تفسيرها وتحقيقها البراءة من عبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبهم كحب الله أو يطيعهم كطاعة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافي معنى (لا إلٰه إلا الله) أشد المنافاة، فتبين بذلك أنه لا بدَّ من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقادًا ونطقًا، ولا بدَّ من القيام بعبودية الله وحده طاعة لله وانقيادًا، ولا بدَّ من البراءة مما ينافي ذلك عقدًا وقولًا وفعلًا، ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الشرك ومعاداتهم، ولا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوي الخالية من الحقيقة، بل لا بدَّ أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل، فإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلَّف واحد منها تخلفت البقية، والله أعلم»[1].

المنزلة:

كلمة التوحيد والإخلاص (لا إلٰه إلا الله) أعلى شعب الإيمان وأصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته، وهي الكلمة التي قامت بها السماوات والأرض وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وأرسل بها جميع الرسل، وشرعت لأجلها الشرائع، وأقيم الجهاد ونصبت الموازين، وبها انقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفار ومتقين وفجار، وهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وهي حق الله تعالى على العباد، وعنها يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: (ماذا كنتم تعبدون؟)، و(ماذا أجبتم المرسلين؟)، وجواب الأولى: بتحقيق (لا إلٰه إلا الله) معرفة وإقرارًا وعملًا، وجواب الثانية: بتحقيق أن (محمدًا رسول الله) معرفة وانقيادًا وطاعة[2].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّست الملة، ونصبت القبلة، وجرِّدت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر، وعذاب النار، وهي المنشور

(١) القول السديد للسعدي (٣/١٦، ١٧) ضمن المجموعة الكاملة [مركز صالح بن صالح الثقافي، ط٢].

(٢) لا إلٰه إلا الله معناها ومكانتها وفضلها للفوزان (٦، ٧).

الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسُّنَّة»[1].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء].

وقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة»[2].

وقال ﷺ: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؛ إلا حرَّمه الله على النار**»[3].

وقال ﷺ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله**»[4].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**» الحديث[5].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الإلهية له؛ فلا يجوز أن يتأله القلب غيره، لا بحب، ولا خوف، ولا رجاء، ولا إجلال، ولا إكرام، ولا رغبة، ولا رهبة، بل لا بدَّ أن يكون الدين كله لله»[6].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب ـ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جدّه، ولا إله غيره ـ بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل،

---

(١) الداء والدواء لابن القيم (٤٥٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ١٢٨)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٢)، واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٢٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٢).

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٤٣) [مكتبة الرشد].

والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعًا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجى سواه، ويجتمع ذلك كله في حرف واحد، وهو أنه لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا تحقيق شهادة أن لا إلٰه إلا الله»[(١)].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إلٰه إلا الله يقتضي أن لا إلٰه له غير الله، والإلٰه: الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالًا، ومحبة وخوفًا ورجاء، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلٰهية، كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إلٰه إلا الله، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق، بحسب ما فيه من ذلك»[(٢)].

الشروط:

المراد بشروط (لا إلٰه إلا الله): الأمور التي يجب على العبد لزومها وتحقيقها حتى تتحقق شهادة (لا إلٰه إلا الله)، وصحة الشهادة بها مُعلّقة بوجود تلك الشروط واجتماعها، والتزامها والقيام بها علمًا وعملًا، وهذه الشروط بمنزلة الأسنان للمفتاح كما قال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن سأله: أليس (لا إلٰه إلا الله) مفتاح الجنة؟ فقال: «بلى؛ ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»[(٣)].

وقد بلغت بالتتبع والاستقراء لنصوص الكتاب العزيز والسُّنَّة النبوية ثمانية شروط نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع
محبة وانقياد والقَبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما
سوى الإلٰه من الأنداد قد أُلِّها

فهذه الشروط الثمانية لا ينتفع قائل: (لا إلٰه إلا الله) إلا باجتماعها والتزامها، وبيانها فيما يلي:

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، وهو ما تدل عليه (لا إلٰه إلا الله).

الرابع: الصدق المانع من النفاق، فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

(١) الداء والدواء (٤٥٧).
(٢) كتاب التوحيد لابن رجب (٤٩) [دار القاسم، ط١].
(٣) ذكره البخاري في صحيحه معلقًا (كتاب الجنائز، ص٢٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣١هـ].

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلَّت عليه، والسرور بذلك بخلاف ما عليه المنافقون.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله وطلبًا لمرضاته، وهذا هو مقتضاها.

السابع: القبول المنافي للرد، وذلك بالتزام أوامر الله وترك ما نهى عنه.

الثامن: الكفر بما يُعبد من دون الله، وهو البراءة من دين المشركين[(١)].

وهذه الشروط يتفاوت الناس في تحقيقها زيادة ونقصانًا؛ لأنها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص كما هو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، وليس الشأن في حفظها، إنما الشأن في تحققها في قلب العبد ووجود كمالها الواجب في قلبه ولسانه وجوارحه، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له: اعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع في كثير مما يناقضها[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: إعراب (لا إلٰه إلا الله):

عُني العلماء ببيان إعراب (لا إلٰه إلا الله) من جهة علم النحو؛ ليتضح معناها الذي شرع النطق بها من أجله والعمل بمقتضاه، وإعرابها فيما يلي:

لا: نافية للجنس.

إلٰه: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب، والخبر مرفوع مقدر تقديره (حق)؛ أي: لا إلٰه حق، ومن زعم أن الخبر المقدر لفظة (موجود) كما قدره المتكلمون فذلك باطل؛ فإن الآلهة الموجودة كثيرة فيلزم على ذلك كذب المعنى، كما أن تقدير الخبر (بموجود) يدل على معنى باطل، وهو أن كل موجود فهو الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ وهذا مذهب أهل الحلول والاتحاد.

إلا: أداة استثناء والاستثناء هنا مفرغ.

الله: اسم الله بدل من لفظ (إلٰه) وهو بدل بعض من كل، والجملة مع خبرها المقدر: لا إلٰه حق إلا الله[(٣)].

ـ المسألة الثانية: هل يكفي مجرد النطق بـ(لا إلٰه إلا الله)؟

من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن مجرد النطق بكلمة (لا إلٰه إلا الله) من غير اعتقاد القلب لها والعمل بمقتضاها ليس كافيًا لاستحقاق الجنة والنجاة من النار؛ إذ لو كان الأمر كذلك لتساوت

(١) انظر: معارج القبول (٢/٥١٦ ـ ٥٢٨) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ]، والشهادتان معناها وما تستلزم كل منهما للفوزان (١٠٣ ـ ١٠٨).

(٢) معارج القبول (٢/٥١٦).

(٣) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري (٣٣٧).

منزلة المؤمنين والمنافقين عند الله ﷻ، وليس الأمر كذلك؛ فإن الله تعالى أخبر عن مآل المنافقين في الآخرة، أنهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء]، مع أنهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله، وكان منهم من يصلي ويصوم ويزكي ويتصدق، فاستبان بذلك أنه لا بدَّ مع النطق بها من اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، وهذا ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها[(١)].

وبما أنه وردت نصوص قد يتوهم منها ما توهمه المرجئة وغيرهم: أن مجرد التلفظ ب (لا إله إلا الله)، يكفي في دخول الجنة، أو النجاة من النار وإن لم يعمل أي عمل، كقول النبي ﷺ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله**»[(٢)]، وكذلك ما جاء من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل، فقال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار**»[(٣)]، وقال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ لا يلقى بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة**»[(٤)]، وغيرها من الأحاديث.

والقول الصواب فيها: أن من قال هذه الكلمة، عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله تعالى مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به فهذا هو المسلم حقًّا، فإن عمل بها ظاهرًا من غير اعتقاد فهو المنافق، وإن عمل بخلافها مع الشرك فهو الكافر ولو قالها بلسانه، فجماع القول في هذه المسألة: أنه لا بدَّ من الإتيان بشروط (لا إله إلا الله)، حتى يفوز العبد بالجنة، وينجو من النار.

قال ابن القيِّم رحمه الله: «وما جاء من الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظن بعضهم منسوخة، وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي، واستقرار الشرع، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال المعنى: لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة. والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد قول اللسان، فإن هذا خلاف

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/٢٠٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ فإن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بدَّ من قول القلب، وقول اللسان، وقول القلب يتضمن معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته، من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلٰهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب: علمًا، ومعرفة، ويقينًا، وحالًا، ما يوجب تحريم قائلها على النار»[١].

الثمرات:

من أعظم وأجلّ ثمرات كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله) أنها تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة، وكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة الطيبة، فمثلها كمثل شجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي ثمرها وأكلها كل حين، ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في قلب المؤمن، ومحبة القلب له، وإخلاصه فيها، وقيامه بحقوقها، وقد أخبر الله تعالى أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وأخبر أن الكلمة الطيبة تثمر لقائلها الأعمال الصالحة كل وقت وحين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٢].

الآثار[٣]:

لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهرًا وباطنًا واستجمعت شروطها آثار حميدة وثمرات يانعة وفوائد جمة وعواقب مرضية على الفرد والجماعة في العاجل والآجل، **ومن أهم آثارها وأبرزها:**

١ ـ اجتماع الكلمة التي تحقق القوة للمسلمين، والانتصار على عدوهم؛ إذ هم يدينون بدين واحد وعقيدة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢ ـ توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الواحد الذي يدين بمقتضى (لا إلٰه إلا الله).

٣ ـ حصول السيادة والاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

٤ ـ حصول الطمأنينة النفسية

(١) مدارج السالكين (١/٢٧٩) [مؤسسة المختار، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٢/٢٩٩، ٣٠٠) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) انظر: (لا إلٰه إلا الله) للفوزان (٣٦ ـ ٤١).

والاستقرار الذهني لمن قال: (لا إلٰه إلا الله) وعمل بمقتضاها؛ لأنه يعبد ربًّا واحدًا يعرف مراده فيفعل ما يرضيه ويعرف ما يسخطه فيتقيه.

٥ ـ حصول السموّ والرفعة لأهل (لا إلٰه إلا الله) في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج].

٦ ـ عصمة الدم والمال والعرض لقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه**»[(١)].

هذه نبذة يسيرة من آثارها وإلا فليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة والعواقب الحميدة مثل ما لكلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله)، فهي جماع كل خير في الدنيا والآخرة.

مذهب المخالفين:

فسَّر أهل الكلام كلمة التوحيد (لا إلٰه إلا الله)؛ بمعنى: أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، وهذا التفسير قاصر؛ إذ يجعل معناها محصورًا في توحيد الربوبية، وهذا ما فسره البغدادي وهو من أعلام المتكلمين، ونسبه إلى أبي الحسن الأشعري فيقول: «واختلف أصحابنا في معنى (الإلٰه)؛ فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلٰهية وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري، وعلى هذا يكون مشتقًّا من صفة، وقال القدماء من أصحابنا: إنه يستحق هذا الوصف لذاته»[(٢)].

فأهل الكلام إذًا يجعلون توحيد الربوبية هو مدلول شهادة أن لا إلٰه إلا الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أهل الكلام: «يجعلون معنى الإلٰهية القدرة على الاختراع، ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث إليهم محمد ﷺ لم يكونوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهم كانوا مقرين بالقدر، وهم مع هذا مشركون»[(٣)].

وقال أيضًا: «وليس المراد بالإلٰه هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين؛ حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع وأن من أقر بأن لا إلٰه إلا هو القادر على الاختراع دون غيره، فقد شهد أن لا إلٰه إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا وهم مشركون»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٣٩٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠).

(٢) أصول الدين للبغدادي (١٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٩٨).

(٤) المصدر السابق (٣/١٠١).

وتفسير أهل الكلام للإلٰه بالقادر على الاختراع باطل، وبطلانه من وجوه:

أولها: أن هذا القول لا يعرف في لغة العرب وليس من استعمالهم، والقرآن جاء بلسان عربي مبين فلا يصح أن يفسر بغير لغته.

ثانيها: أن هذا القول مخالف لما جاء في القرآن من مدلول هذا اللفظ.

ثالثها: أن قولهم مخالف لأقوال الصحابة والتابعين وأهل السُّنَّة والجماعة.

رابعها: أنه ترتب على هذا القول الاكتفاء بتوحيد الربوبية دون الألوهية، وهذا من أعظم الباطل لمخالفته للقرآن والسُّنَّة ودعوات الأنبياء وحال المشركين، وعلى هذا فتفسيرهم للإلٰه بالقادر على الاختراع بدعة محدثة في اللغة وفي الشرع فبطلانه في غاية الوضوح والظهور[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ رسالة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يجيب فيها عن سؤال حول معنى «لا إله إلا الله».

٢ ـ «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، للصنعاني.

٣ ـ «الشرك ومظاهره»، لمبارك الميلي.

٤ ـ «الشهادتان وما يستلزمه كل منهما»، لابن جبرين.

٥ ـ «كلمة الإخلاص»، لابن رجب.

٦ ـ «عقيدة التوحيد»، للفوزان.

٧ ـ «لا إلٰه إلا الله معانيها مكانتها فضلها»، للفوزان.

٨ ـ «منهج أهل السُّنَّة والجماعة ومنهج الأشاعرة»، لخالد عبد اللطيف.

٩ ـ «المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية»، لإبراهيم البريكان.

١٠ ـ «معارج القبول»، لحافظ حكمي.

الله

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللهُ: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد: وهو التعبُّد، فالإلٰه: الله تعالى، وسمِّي بذلك لأنه معبود، ويقال: تألَّه الرجل؛ إذا تعبَّد»[(٢)].

فالله مشتق من: إلٰه على وزن: فِعال، يقال: أَلِهَ يَأْلَه إِلٰهَةً وأُلوهِيَّةً وأُلْهانية، فهو إلاه بمعنى مألوه فعال بمعنى مفعول؛ أي: معبود، والتَّألُّه التَّعَبُّد، فلما دخلت عليه الألف واللام حُذفت الهمزة تخفيفًا لكثرته في الكلام، وقُطعت الهمزة في

(١) حقيقة التوحيد بين أهل السُّنَّة والمتكلمين لعبد الرحيم السلمي (٤٧٧) [دار المعلمة].

(٢) مقاييس اللغة (١/١٢٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

النداء للزومها تفخيمًا لهذا الاسم[١].

التعريف شرعًا:

فلفظ (الله) هو المألوه المعبود المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الكمال[٢].

التعريف اصطلاحًا:

الله عَلَمٌ على ذات الباري جل وعلا، المستجمع لسائر صفات الكمال، التي لا تنبغي لأحد سواه، والتي يستحق عليها غاية الحمد والثناء[٣].

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله تعالى، وأنه دال على جميع الأسماء الحسنى إجمالًا، مستلزم لجميع معانيها، وأسماؤه سبحانه وتعالى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية، التي اشتق منها اسم الله[٤].

(١) انظر: العين (٤/ ٩٠) [مكتبة هلال، ط١، ١٩٩٣م]، وتهذيب اللغة (٦/ ٤٢٢) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٦/ ٢٢٢٣) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) انظر: قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦، ٤٧) [أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وقاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له (٦٦) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٨هـ]، ومنهاج السُّنَّة (٣/ ٣٣٤، ٣٣٥) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وبدائع الفوائد (٢/ ٢١٢) [دار الخير، ط١، ١٤١٤هـ].

(٣) انظر: تيسير العزيز الحميد (١٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة لمحمد خليل هراس (١٥٠) [دار الكتاب والسُّنَّة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٢، ٣٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه]، وقال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر].

ومن السُّنَّة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»[٥].

أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[٦].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩٢)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٧).

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ١٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وضعف إسناده أحمد شاكر في تعليقه على التفسير.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله: هو الإلٰه المعبود، فهذا الاسم أحق بالعبادة، ولهذا يقال: الله أكبر، الحمد لله، سبحان الله، لا إلٰه إلا الله»[1].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاسم الله دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث: فإنه دال على إلٰهيته، المتضمنة لثبوت صفات الإلٰهية له، مع نفي أضدادها عنه، واسم الله دالٌّ على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا، وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته، ورحمته، المتضمنين لكمال الملك، والحمد»[2].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الله: هو المألوه، المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»[3].

وقال محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما دام لفظ الجلالة ـ كما قلنا ـ علَمًا على الذات المتصفة بسائر صفات الكمال، المختصة بها، يكون مشتملًا على جميع الأسماء الحسنى إجمالًا، وتكون هي بمنزلة التفصيل لذلك الإجمال، فمن قال: (الله) فقد دخل فيه كل اسم سمى به نفسه، أو سمَّاه به رسول الله، وهذا هو السر في أن الأسماء الحسنى كلها تجري أوصافًا عليه؛ لأنه متضمن لها، مشتمل عليها»[4].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اشتقاق اسم (الله):

اختلف أهل العلم في اسم الجلال (الله)؛ أهو مشتق أم لا؟

المذهب الأول: قال جماعة من أهل العلم بأن اسم الجلالة: (الله) غير مشتق[5].

وحجتهم: أن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق[6].

المذهب الثاني: ذهب المحققون من أهل العلم إلى أن اسم الله مشتق، وهو قول ابن جرير الطبري[7]، ورواية عن الخليل بن أحمد[8]، وبه قال سيبويه[9]،

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٢).
(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٢، ٣٣).
(٣) تفسير السعدي (٢٧) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ].
(٤) عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة لهراس (١٥٠).
(٥) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٢٥) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء (٣٥) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، ولوامع البينات للرازي (١١٤) [دار الكتاب العربي، ط٢]، وتفسير القرطبي (١/ ١٥٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وبدائع الفوائد (١/ ٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].
(٦) انظر: نتائج الفكر للسهيلي (٤٠، ٤١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٢٢).
(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].
(٨) أشار إلى ذلك ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٨، ٩) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ].
(٩) انظر: الكتاب (٢/ ١٩٥) [مكتبة الخانجي، ط٣].

وابن تيمية[(١)]، وابن القيّم وغيرهم.

وأجابوا عن حجتهم بأن قالوا: إن أسماء الله ﷻ تدلُّ على الصفات وهي مشتقة منها، وصفاته دلَّت على أسمائه.

وهذه القاعدة من أبرز القواعد التي قام عليها معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب، فأسماء الله ﷻ الحسنى أعلام وأوصاف، ليست مجرد أعلام محضة لا تدل على معان؛ بل هي بالعكس من ذلك إنما كانت حسنى وموصوفة بغاية الحسن والكمال والعظمة والجلال؛ لما دلَّت عليه من المعاني البالغة في الحسن غايته.

قال ابن تيمية: «وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ومعلوم أن الأسماء إذا كانت أعلامًا جامدات لا تدل على معنى لم يكن فرقٌ فيها بين اسم واسم، فلا يلحد أحد في اسم دون اسم، ولا ينكر عاقل اسمًا دون اسم؛ بل قد يمتنع عن تسميته مطلقًا، ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من أسمائه، وإنما امتنعوا عن بعضها. وأيضًا فالله له الأسماء الحسنى دون السوأى، وإنما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيِّئ بمعناه؛ فلو كانت كلها بمنزلة الأعلام الجامدات التي لا تدل على معنى، لا تنقسم إلى حسنى وسوأى»[(٢)].

فإن أسماء الله لو كانت أعلامًا محضة لم يكن هناك فرقٌ بين اسم واسم، والفرق بين المعاني التي يدل عليها كل اسم من أسماء الله معلوم بالاضطرار، كما أن تضمنها للصفات هو مقتضى وصفها بأنها حسنى، فإنها إنما كانت حسنى لأجل معاني الكمال ونعوت الجلال التي تدل عليها[(٣)].

وقال ابن القيم: «زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل؛ ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا أَلَمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا

---

(١) انظر: رسالة في الرد على بعض أتباع ابن حمويه ضمن جامع المسائل (٤/٤١٤، ٤١٥) [دار عالم الفوائد، ط٢].

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (١٠٧) [مكتبة الرشد، ط١].

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (١٩، ٢٠، ٢٢)، ومجموع الفتاوى (٦/١٤٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١]، ومنهاج السُّنَّة (٢/١٥٩ ـ ١٦١) و(٥/٤٠٩)، وبيان تلبيس الجهمية (٣/٢٩٨، ٢٩٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١]، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٦، ٧) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٤هـ]، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٠٠، ٨٠١) [مكتبة الرشد، ط٤، ١٤١٤هـ]، والتسعينية (٢/٤٤٢ ـ ٤٤٥، ٤٥٤ ـ ٤٥٨، ٣/٨١١) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ].

أنه دال على صفة له تعالى، وهي: الإلٰهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والغفور، والسميع، والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله»[(١)].

ـ المسألة الثانية: خصائص اسم الله:

ذكر أهل العلم جملة من الخصائص التي اختص بها اسم الجلال (الله)، ومن ذلك:

١ ـ اسم (الله) عز وجل من الأسماء المختصة به جل جلاله، فلم يتسمَّ به غيره[(٢)].

٢ ـ أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله، وسائر الأسماء مضافة إليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأضاف سائر الأسماء إليه، وأجراها على اعتبار أنها صفات له، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمٰن الرحيم الملك القدوس كلها أسماء الله تعالى، ولا يقال: الله اسم الرحمٰن الرحيم. فدل على أن هذا الاسم هو الأصل[(٣)].

٣ ـ أن هذا الاسم دالٌّ على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ وذلك لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالٌّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلٰهية التي اشتق منها اسم الله. واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا، تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد. وإلاهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله[(٤)].

الآثار:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى اسم (الله): «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[(٥)].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٢، ٢٣). وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٠/ ٤١٩، ٤٢٠)، ورسالة في الرد على بعض أتباع ابن حمويه ضمن جامع المسائل (٤/ ٤١٤، ٤١٥)، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد (٢/ ١٢٧، ١٢٨) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ]، وشرح القصيدة النونية لهراس (١/ ٤٢١) [دار الكتب العلمية، ط٣].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٢٢)، تفسير المنار لرشيد رضا (١/ ٣٧).

(٣) انظر: شأن الدعاء (٢٥)، قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات (٤٦، ٤٧)، منهاج السُّنَّة (٣/ ٣٣٤، ٣٣٥)، ودرء التعارض (٤/ ١٤ ـ ١٨)، ومجموع الفتاوى (١٦/ ١١٧)، وبدائع الفوائد (٢/ ٢١٢)، ومدارج السالكين (١/ ٤١)، وطريق الهجرتين (٨٠، ٨١) [دار بن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٢)، ومعنى لا إلٰه إلا الله (١٢١) [دار الاعتصام، ط١]، والدر المنظم في الاسم الأعظم للسيوطي، ضمن الحاوي للفتاوي (١/ ٣٨١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٢، ٣٣).

(٥) تقدم تخريجه.

وقد جمع هذا التفسير جميع المعاني المتعلقة بهذا الاسم، وذلك من جانبين:

الأول: ما يتعلق بالله ﷻ، وهو وصفه ﷻ بالألوهية الذي دلّ عليه اسم (الله)، فاستحق بهذا الوصف أن يكون الإلٰه الذي لا يشاركه أحد في هذا الوصف العظيم، فأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال والعظمة والجلال، والكرم والبرّ والإحسان، المنزهة من كل عيب أو نقصان، وهذه الصفات هي التي يستحق أن يُؤله ويُعبد لأجلها، فهي متضمنة لجميع معاني أسمائه وصفاته كما مرّ.

الثاني: ما يتعلق بجانب العبد، وهو العبودية، فالعباد يألهونه ويعبدونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزُّخرُف: ٨٤]، يألهه أهل السماء، ويألهه أهل الأرض طوعًا وكرهًا، عبودية الخضوع لعظمته والانقياد لإرادته ومشيئته، وعزته وقيوميته، كما يعبده ويألهه عباده المخلصون بقلوبهم وأقوالهم وجوارحهم، حسب مقاماتهم ومراتبهم في هذا التألُّه والتعبُّد.

مذهب المخالفين:

خالف بعض أهل البدع؛ كالصوفية وغيرهم في مسألة الذكر باسم (الله) مفردًا أو مضمرًا.

وذلك بتكرار هذا الاسم مجردًا مثل قولهم: (الله، الله، الله) بالمد أحيانًا وبدونه أخرى، أو الاقتصار على الذكر بتكرار الضمير (هو).

وهذا صنيع بعض المتأخرين من المنتسبين إلى التصوف[1]، وقد يضمون إليه دعوى أن الذكر بالجمل التامة كـ(لا إلٰه إلا الله)، و(الحمد لله)، و(سبحان الله)، ونحوها ذكر العامة، وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد (الله)، وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر (هو)[2]، وقد أبطل شيخ الإسلام رحمه الله هذه الدعوى من عدة أوجه، فقال: «فأما الاسم المفرد مظهرًا، مثل: (الله، الله)، أو مضمرًا، مثل: (هو، هو)، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سُنَّة، ولا هو مأثور أيضًا عن أحد من سلف الأمة، ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم، وإنما لهج به قوم من ضلَّال المتأخرين»[3].

فبيَّن أن هذا الأمر غير مشروع لا في كتاب الله ﷻ ولا في سُنَّة رسوله ﷺ، ولم ينقل عن أحد من سلف هذه الأمة الأخيار ذكره لله ﷻ بهذه الطريقة، ولا فعله الأئمة المعتبرون، وإنما هو صنيع

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).
(٢) نسب شيخ الإسلام هذا القول إلى أبي حامد الغزالي في رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية، ضمن مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٦).
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦).

بعض المتأخرين من المنتسبين إلى التصوف.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله وصفاته»، للأشقر.

٢ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، لابن سعدي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، لأبي سليمان الخطابي.

٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٧ ـ «عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة»، للهراس.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة»، لابن تيمية.

١٠ ـ «قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات»، لابن تيمية.

اللطف

التعريف لغةً:

اللام والطاء والفاء، أصل يدل على رفق، فاللطف: الرفق في العمل، يقال: هو لطيف بعباده؛ أي: رؤوف رفيق[1].

ومعانيه دائرة حول العديد من المعاني، منها:

الأول: الرِّفق والرأفة والرحمة، يقال: لَطَف الله لك، إذا أوصل إليك مرغوبك برفق، وأمٌّ لطيفة بولدها رحيمة به، ومنه اللَّطَف: البر والتكرمة، والملاطفة المبارَّة، والتلطف للأمر الرفق له، واستلطف الشيء قرَّبه منه وألصقه بجنبه.

الثاني: الصغر والخفاء والدقة والرِّقة، والحركة الخفيفة، وتعاطي الأمور الدقيقة، واللطيف من الكلام ما غمض معناه وخفي[2].

التعريف شرعًا:

لطف الله تعالى له معنيان:

الأول: أنه لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت.

الثاني: أنه البر بعباده، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها[3].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٣٤٧) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٩٥٤) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٤/ ١٤٢٦، ١٤٢٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧٤٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٢٦) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/ ٢٢٨).

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي لِلطف الله تعالى لا يخرج عن بعض المعاني اللغوية، إلا أن ذلك مختص بالله تعالى، فالله سبحانه وتعالى باللطف الذي هو غاية ما يكون من الجلال والكمال، وهو جل وعلا منزه عن كل نقص وعيب.

الحكم:

وجوب إثبات اللطيف اسمًا لله تعالى على غاية الكمال والجلال، بلا تكييف ولا تمثيل، وإثبات اسمه اللطيف كما ثبت ذلك في النصوص.

الحقيقة:

وصف الله عز وجل باللطف يأتي على معنيين:

الأول: أنه لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].

وهذا المعنى مأخوذ من اللطف الذي هو الدقة والغموض، فلا يخفى على الله شيء مهما صغر ودق وخفي.

الثاني: أنه البر بعباده، الموصل إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه من طرق لا يشعرون بها، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى].

وفي بيان هذين المعنيين، يقول ابن القيم:

«وهو اللطيف بعبده ولعبده
واللطف في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة
واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه
والعبد في الغفلات عن ذا الشان»[(١)]

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام].

قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما كان النبي صلى الله عليه وسلم عندها ثم خرج إلى البقيع ثم خرجت على أثره دون أن يشعر، وفيه أنه قال لها: «**ما لك يا عائش حشيًا رابية؟**» قالت: قلت: لا شيء. قال: «**لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**» الحديث[(٢)].

(١) انظر: توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/٢٢٨)، وراجع: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٣٢)، وشفاء العليل (١/١٤٧)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٥)، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للنجدي (١/٢٦١).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٤).

أقوال أهل العلم:

قال البغوي: «وحقيقة اللطيف: الذي يوصل الإحسان إلى غيره بالرفق»[(١)].

وقال أبو سليمان الخطابي: «اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون»[(٢)].

وقال السعدي: «اللطيف الذي يدرك بواطن الأشياء، وخفياتها، وسرائرها، الذي يسوق إلى عبده الخير، ويدفع عنه الشر بطرق لطيفة تخفى على العباد، ومن لطفه، أنه يُري عبده عزته في انتقامه وكمال اقتداره، ثم يظهر لطفه بعد أن أشرف العبد على الهلاك»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

لطف الله ﷻ بعباده له **أوجه كثيرة ومتعددة**[(٤)]:

فهو الذي خلقهم من غير حول لهم ولا قوة، وتكفل بأرزاقهم وجميع ما يحتاجون في معاشهم ومصالح دنياهم.

ومن لطفه الخاص بعباده المؤمنين هدايتهم إلى الحق وتوفيقهم إليه وتثبيتهم على الطاعة والاستقامة، ونصرهم على عدوهم ابتداء من أنفسهم الأمّارة بالسوء، وأعداءهم من الجن والإنس وغير ذلك من أوجه اللطف.

فيجب على العبد أن يعلم أن الله هو اللطيف على الكمال، وأن كل لطف إنما هو من عنده سبحانه وتعالى، وكما يحب أن يلطف الله به فعليه أن يكون لطيفًا بإخوانه المؤمنين، وأن يوصل إليهم بقدر طاقته ما عليه من بر وإحسان[(٥)].

كم هو نافع للعبد أن يعرف معاني هذا الاسم العظيم ودلالاته، وأن يجاهد نفسه على تحقيق الإيمان به والقيام بما يقتضيه من عبودية الله ﷻ به، متحريًا في جميع الأحوال الفوز بالعواقب الحميدة والمآلات الرشيدة، واثقًا بربه اللطيف الخبير، الذي بيده الخير وحده، والله ذو الفضل العظيم.

الآثار:

١ ـ دعاء المؤمن ربه تبارك وتعالى باسمه اللطيف، فيوقن في دعائه أن الله تعالى أرحم به، وأعلم بمصالحه، لا يخفى عليه ما يغيب، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فيكون المؤمن بذلك أسعد بالدعاء، وأيقن بالإجابة، حاضر القلب لا غافلًا ولا لاهيًا.

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٨١).

(٢) شأن الدعاء (٦٢).

(٣) تفسير السعدي (٥/ ٣١٨).

(٤) انظر في هذه الأوجه بالتفصيل: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٢٥ ـ ٢٣٤)، وفقه الأسماء الحسنى (١٣٩ ـ ١٤١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٥) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٣٦).

٢ ـ ما يورثه التفكر في اسم الله اللطيف من زيادة محبة لله تعالى؛ فهو الرحيم بعباده، الموصل لهم كل خير من حيث لا يحتسبون.

٣ ـ توكل المؤمن على ربه تبارك وتعالى؛ لعلمه ويقينه بلطف الله تعالى به، وأنه الهادي إلى أحسن الأحوال وأهدى السبل.

٤ ـ الرضا بقضاء الله تعالى وقدره؛ ففي قدره اللطف والحكمة، ولا يكون للمؤمن قضاء من ربه إلا وهو له خير.

٥ ـ التعبد لله تعالى بعلمه بكل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأراضين، فيظل المؤمن مراقبًا لربه في جميع أحواله.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم»، لابن عيسى.

٤ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٨ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٩ ـ «كتاب النعوت، الأسماء والصفات»، للنسائي.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١١ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

اللطيف

يراجع مصطلح (اللطف).

اللعن

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «اللام والعين والنون أصل صحيح يدلُّ على إبعاد وإطراد»[(١)]. وقال الجوهري: «اللعن: الطرد والإبعاد من الخير»[(٢)].

التعريف شرعًا:

اللعن صفة من الصفات الفعلية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، والله ﷻ يلعن ويطرد من رحمته الكفار والفجار وغيرهم من شاء من خلقه إذا شاء[(٣)].

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٧٨) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].
(٢) الصحاح (٦/٢١٩٦) [دار العلم للملايين، ط٤].
(٣) انظر: صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة =

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

الحقيقة:

حقيقة لعن الله عز وجل هو طرده وإبعاده من رحمته سبحانه من شاء من خلقه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

استشهد ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] على إثبات صفة الغضب واللعن لله تعالى.

وقال محمد خليل الهرَّاس عن هذه الآية وغيرها: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من: الرضا، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق... واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة، أو دعي عليه بها»[(٤)].

وقال عبد العزيز السلمان: «تضمنت

= للسقاف (٣٠٥) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٦٣) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(١) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٣)، ومسلم (كتاب الحدود، رقم ١٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل المدينة، رقم ١٨٦٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٦٦).

(٤) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على الواسطية للسلمان (٧٢ ـ ٧٤) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١٣].

هذه الآيات الكريمات إثبات بعض الصفات الفعلية من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والأسف والمقت، وهذه الصفات يثبتها أهل السُّنَّة والجماعة حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته يفعلها متى شاء»[(١)].

وقال الفوزان: «الشاهد من الآيات: أن فيها وصف الله بالغضب والرضا واللعن والانتقام والكراهية والأسف والمقت، وهذه كلها من صفات الأفعال التي يفعلها ﷻ متى شاء إذا شاء كيف شاء. وأهل السُّنَّة يثبتون ذلك لله كما أثبته لنفسه على ما يليق بجلاله»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اللعن المطلق لا يستلزم لعن المعين:

اللعن هنا عام لكل من اتصف بصفة من تلك الصفات المذكورة في النصوص، ولكن ذلك لا يدل على جواز لعن الشخص المعيَّن المتصف بصفة من تلك الصفات، فإن الحكم الخاص يختلف عن الحكم العام؛ ولذلك يجب التفريق بين الحكم العام المطلق وبين الحكم الخاص المقيد.

فقد جاء عن النبي ﷺ؛ أنه لعن في شأن الخمر عشرة أصناف من الناس؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له**»[(٣)].

فالنبي ﷺ لعن في شأن الخمر عشر مجموعات من الناس لعنًا عامًّا مطلقًا من غير تعيين، ولكن لما جيء إليه بشارب الخمر أمر رسول الله ﷺ بضربه وتأديبه، ولما لعنه بعض القوم؛ نهاهم عن ذلك؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ أن رجلًا على عهد النبي ﷺ كان اسمُه عبدَ الله، وكان يُلَقَّبُ حِمَارًا، وكان يُضْحِك رسولَ الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فَجُلِدَ، فقال رجل من القوم: اللَّهُمَّ العنه، ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله! ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله**»[(٤)].

فالنبي ﷺ لعن في شأن الخمر عشرة أصناف لعنًا عامًّا مطلقًا من غير تعيين، ولكن لما جيء إليه بشارب الخمر الذي قد سبق أن جلده في الشراب نهى

---

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٥٣) [مطابع المدينة، ط١٣، ١٤٢١هـ].

(٢) شرح العقيدة الواسطية للفوزان (٤٨) [الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٨، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٢٩٥) وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجه (كتاب الأشربة، رقم ٣٣٨١)، والضياء في المختارة (٦/١٨١) [دار خضر، ط١]، وصححه الألباني في غاية المرام (رقم ٦٠) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الحدود، رقم ٦٧٨٠).

رسول الله ﷺ عن لعنه، وهذا شخص معيَّن، ففي لعنه ﷺ عشرة أصناف في شأن الخمر لعنًا عامًّا مع نهيه عن لعن هذا الشارب المعين دلالة على وجوب التفريق بين اللعن العام المطلق واللعن الخاص المعين وبين الحكم العام والحكم الخاص، والله أعلم[(١)].

- **المسألة الثانية: لعن المسلم:**

المسلم إذا ارتكب شيئًا جاءت النصوص بلعن فاعله، فهو يلعن على وجه العموم كما جاءت النصوص، مثل: لعن الله السارق، ولعن الله آكل الربا[(٢)]، ولعن الله الواصلة، ولعن الله من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا، ولعن الله الكاسيات العاريات[(٣)] ونحوها، فصاحبها يلعن كما جاءت به النصوص؛ أي: على وجه الصفة والجنس، ولكن لا يلعن على وجه التعيين والتشخيص، وهذا واضح جدًّا لمن نظر وتأمل صنيع الرسول ﷺ مع شارب الخمر حين جيء به إليه، مع لعنه ﷺ عشرة أصناف من أجل الخمر؛ فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا يجوز لعن المسلم المعين[(٤)].

- **المسألة الثالثة: لعن عموم الكفار:**

لعن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين على سبيل العموم جائز ومشروع من أجل التحذير من أفعالهم، وقد دلَّت على ذلك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفيما يلي ذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود].

وعن عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال ـ وهو كذلك ـ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». يحذر ما صعنوا[(٥)]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٠٤٤) [بيت الأفكار الدولية].

(٢) كما عند البخاري (كتاب الطلاق، رقم ٥٣٤٧)، ومسلم (كتاب المساقاة، رقم ١٥٩٧).

(٣) كما عند أحمد (١١/ ٦٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الحظر والإباحة، رقم ٥٧٥٣)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٣٤٦) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٦٨٣).

(٤) انظر: مجموع فتاوى لابن تيمية (٢٠/ ٢٨٧، ٢٨٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٣١).

فهذه النصوص من الكتاب والسُّنَّة تدل على جواز لعن الكفار على وجه العموم من باب التحذير من أفعالهم والإبعاد والتنفير من صنيعهم[(١)].

- المسألة الرابعة: لعن الكافر المعين:

ذهبت طائفة من أهل العلم إلى عدم جواز لعن الكافر المعين الحي، وذلك لأننا لا ندري ما يختم الله له، وقد جاء عن عبد الله بن عمر؛ أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر، يقول: «**اللَّهُمَّ العن فلانًا وفلانًا وفلانًا**» بعدما يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران][(٢)].

وذهب آخرون إلى جواز لعن الكافر المعيَّن، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ في شارب الخمر حين لعنه أحد الحاضرين: «**لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله**»[(٣)]، فهذا دليل على جواز لعن من لا يحب الله ورسوله، والكافر لا يحب الله ورسوله، وهذا أمر معلوم، ولكن الأفضل تركه، فإن فيه تنفيرًا لهم عن الإسلام، والمسلم لا يكون طعانًا، ولا لعانًا، ولا سبابًا، واللَّعان لا يصل درجة الشهداء والشفعاء عند الله يوم القيامة، ولكن إذا تعدى الواحد منهم حده وبلغ أذاه المسلمين فلا بأس في لعنه بالتعيين والدعاء عليه[(٤)].

الآثار:

إن إيمان العبد بلعن الله ﷻ وطرده من رحمته ﷻ كل من اتصف بتلك الصفات المقتضية للعن يُوَلِّد في قلب المؤمن النفور من تلك الصفات والاجتناب من تلك الأفعال، فيبتعد المؤمن من تلك القبائح والمعاصي كل الابتعاد ويحذرها كل الحذر حتى لا يتعرض للعن الله ﷻ.

مذهب المخالفين:

اللعن صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٤٠٤ ـ ٤٠٦) [وزارة الأوقاف بالمغرب، ١٤١٢هـ]، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٣/١٣٧ ـ ١٣٨) [المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢]، وشرح صحيح مسلم للنووي (٥/١٧٧ و١٦/٧٣، ٧٤) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٠٦٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٤٠٤ ـ ٤٠٦)، وشرح السُّنَّة للبغوي (١٣/١٣٧ ـ ١٣٨)، واللعن في القرآن الكريم لعبد القادر الجزائري (١٩، ٢٠) [مكتبة الرشاد، الجزائر، ١٤٢٧هـ] ورفع اللثام عن أحكام اللعان لمراد محمد شحرور (٣٣ ـ ٣٥) [ط١، ١٤٢٩هـ].

جملة الصفات التي أنكرتها الكلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية. وهذه الصفة كغيرها من الصفات التي جاءت النصوص بإثباتها، فيجب إثباتها لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ ـ «التمهيد» (ج١٧)، لابن عبد البر.

٢ ـ «شرح السُّنَّة» (ج١٣)، للبغوي.

٣ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج٥ و١٦)، للنووي.

٤ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، للفوزان.

٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٦ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ ـ «فتح الباري» (ج١)، لابن حجر العسقلاني.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١٠ و٢٠)، لابن تيمية.

٩ ـ «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز المحمد السلمان.

١٠ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعامر عبد الله فالح.

١١ ـ «وسطية أهل السُّنَّة بين الفرق»، لمحمد باكريم محمد باعبد الله.

اللَّفْظ بالقرآن

التعريف لغةً:

اللَّفظ: اللام والفاء والظاء كلمةٌ صحيحة تدلُّ على طرح الشَّيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لَفَظ بالكلام يَلفِظ لَفْظًا، ولفظتُ الشّيءَ من فمي[(١)]. واللَّفظ يُطلق على: المصدر الذي هو فِعْل اللافظ من صوته وحركة لسانه، ويُطلق على: الملفوظ الذي لفظه اللافِظ، مثل ما يُعبَّر بالتلاوة والقراءة عن: المتلو والمقروء[(٢)].

القرآن: مصدر للفِعل (قرأ) يقرأ قراءةً وقرآنًا؛ أي: تلا وجمعَ وضمَّ بعضَه إلى بعضٍ، سُمي القرآن بذلك لأنه يجمع السور فيضمها[(٣)].

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٩) [دار الفكر، ط٢].

(٢) انظر: خَلْق أفعال العِباد للبخاري (١٠٥) [دار المعارف الرياض، ١٣٩٨هـ]، ومجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٠، ١٩٧، ٥٦٧)، ودَرء التعارض (١/ ٢٦٤) [جامعة الإمام، ط٢، ١٤١١هـ]، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البريَّة لعبد الله الجديع (٢٠٩) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٥هـ]، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم لمحمد هشام بن لعل محمد طاهري (١/ ١٢٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: الصحاح (١/ ٦٦)، والقاموس المحيط (٦٢).

التعريف شرعًا:

اللَّفظ بالقرآن: هو أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق[(١)].

الحكم:

يجب على المسلم أن يتقيد بالألفاظ الشرعية، مع اجتناب كلّ محدث من القول. ومسألة اللفظ بالقرآن: من المسائل المحدثة المبتدعة، التي لم يتكلم بها السلف الصالح.

وقد حكم الأئمة على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ـ وأراد باللفظ: الكلام الملفوظ به، المتلو المقروء ـ بأنه جهمي.

ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فقد وقع في البدعة؛ لأن السلف من أهل السُّنَّة لم يتكلموا في باب اللفظ، ولم يحوجهم الحال إليه، وإنما حدث الكلام في اللفظ من أهل البدع، ولأنه يدخل في هذه العبارة أفعال المخلوقين وحركاتهم وأصواتهم وهذه مخلوقة، والقول بأنها غير مخلوقة من الإحداث في الدين[(٢)].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٩٧ ـ ١٩٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) انظر: صريح السُّنَّة للطبري (٢٥، ٢٦) [دار الخلفاء، ط١، ١٤٠٥هـ]، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (١٧٢، ١٧٣) [دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق (٤/١٣٥١ ـ ١٣٥٢) [مكتبة أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومجموع الفتاوى (١٢/٢٣٨).

الحقيقة:

لفظ القارئ بالقرآن وتلاوته وقراءته له وكتابته، أو قوله: لفظي بالقرآن وتلاوتي له وقراءتي له وكتابتي له؛ فهذه ألفاظ مجملة لا يصح إطلاق القول بها؛ **فهي تطلق على معنيين**:

المعنى الأول: الملفوظ به والمتلو والمقروء والمكتوب، وهو القرآن الكريم، وهو كلام الله، ليس فعلًا للعبد ولا مقدورًا له.

والمعنى الثاني: التلفّظ والتلاوة والقراءة والكتابة، وكلّها من فعل العبد وكسبه وسعيه.

فاللّفظ والتلاوة والقراءة والكتابة إذا أضيفت إلى القرآن؛ صارت معاني مشتركة بين الملفوظ والمتلو والمقروء والمكتوب وهو كلام الله، والتلفّظ والتلاوة والقراءة والكتابة التي هي فعل العبد.

وهذا بخلاف صوت القارئ، فلا محذور في إطلاق القول بأنَّه مخلوق؛ لأنَّ الصَّوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت ألبتة؛ فالكلام كلام الباري ﷻ والصّوت صوت القارئ.

فظهر بهذا أن من أطلق هذا القول نفيًا أو إثباتًا فقال: (لفظي بالقرآن مخلوق)، أو قال: لفظي بالقرآن غير

مخلوق؛ فقد وقع في المحذور لا محالة؛ لأنَّه لو أطلق لفظ (الخلق) وقصد به المعنى الثاني شمل المعنى الأول وهذا قول الجهميَّة، ولو قال: (غير مخلوق) شمل المعنى الثاني، وهو أن أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا باطل.

ولهذا اشتدّ نكير الأئمّة ـ كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ـ على إطلاق هذا القول نفيًا أو إثباتًا؛ فقالوا: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهميّ، ومن قال: غير مخلوق؛ فهو مبتدع»[(١)]؛ لما في هذا الإطلاق من الإجمال والإيهام والتباس الحقِّ بالباطل، ولكونها من المسائل المحدثة المبتدعة التي لم يؤثر فيها القول عن أحد من سلف الأمّة، ولكونها ذريعة إلى قول أهل البدع بخلق القرآن؛ فأرادوا حسم المادة وصون القرآن أن يوصف بذلك.

فاللفظ المجمل مردود على صاحبه على كل حال[(٢)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ وجه الدَّلالة من الآية: أنَّ الله تعالى أثبت أنَّ المسموع من الرسول ﷺ أو من المؤمنين ـ وهو المتلو والملفوظ بألسنتهم ـ هو كلام الله، وكلام الله غير مخلوق.

وتوعَّد سبحانه بالنار من قال عن المسموع من النبيِّ ﷺ الملفوظ منه: إنّه قول البشر؛ فقال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدَّثر]؛ فدلَّ هذا على أنَّ الملفوظ المسموع كلام الله تعالى لا كلام البشر ـ وإلا لما توعَّدهم على ذلك ـ، وكلامه ﷻ غير مخلوق.

---

(١) أخرجه عن الإمام أحمد: ابن جرير الطبري في صريح السُّنَّة (٣٧) [مكتبة غراس، ط٢، ١٤٢٦هـ]، وعنه: اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٢/ ٣٩٢) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٦هـ]. وانظر: السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (١٦٣) [دار ابن القيِّم بالدمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، ومجموع الفتاوى (٣/ ١٧١، ١٩٧، ١٢/ ٧٤، ٣٢٥، ٤٢٣، ٥٧٣)، والجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح (٤/ ٣٤٨) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ].

(٢) انظر: السُّنَّة لعبد الله بن أحمد (١٦٣)، والاختلاف في اللَّفظ لابن قُتيبة (٥٧) [دار الراية بالرياض، ط١، ١٤١٢هـ]، والسُّنَّة للخلال (٧/ ٦٣) [دار الراية بالرياض، ط١، ١٤١٥هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٢/ ٣٨٥)، والحُجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٣٢٩) [دار الراية بالرياض، ط١، ١٤١٩هـ]، ومجموع الفتاوى لابن تيميَّة (٦/ ٥٢٧، ١٢/ ٥٣، ٧٤، ٧٩، ١٧٠، ٢٣٧، ٤٢١، ٤٣٢، ٥٣٤، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٨٢)، والجواب الصَّحيح (٤/ ٣٤٥)، ودَرء التعارض (١/ ٢٥٦)، ومختصر الصواعق (٤/ ١٣٥١، ١٣٥٢)، ومعارج القبول (١/ ٢٩٢) [دار ابن القيِّم بالدَّمَّام، ط١، ١٤١٠هـ]، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البريَّة للجديع (٢٠٥)، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (١/ ١١٩، ٥٦٥)، والمسائل العقديَّة التي حكى فيها ابن تيميَّة الإجماع لعلي بن جابر العلياني (٧١٤) [دار الفضيلة بالرياض، ط١، ١٤٢٨هـ].

وثبت في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: «**استذكروا القرآن؛ فلهو أشدُّ تفصِّيًا من صدور الرجال من النَّعَم بعُقُلِها**»[1]؛ فأثبت ﷺ أنّ المحفوظ في صدور الرجال هو القرآن الكريم، وهو كلام الله غير مخلوق.

وفي السنن عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف؛ فيقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإنّ قريشًا قد منعوني أن أبلّغ كلام ربي**»[2]؛ فبيَّن ﷺ أنَّ الكلام الذي يبلِّغه ويتلوه هو كلام الله تعالى لا كلامه، وكلام الله غير مخلوق، وإن كان يبلّغه بأفعاله وصوت نفسه؛ كما قال ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[3]؛ فبيَّن أنّ الأصوات التي يقرأ بها القرآن هي أصوات العباد وهي مخلوقة، وفرَّق بينها وبين القرآن المتلو الذي هو كلام الله تعالى؛ فالقرآن كلام الباري عز وجل والصّوت صوت القارئ. إلى غير ذلك من الأدلَّة الكثيرة[4].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى، ولا تابعي قضى، إلا عمن في قوله الغناء والشفاء، وفي اتباعه الرشد والهدى، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «اللفظية جهمية لقول الله جلَّ اسمه: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فممن يسمع»؟ ثم سمعت جماعة من أصحابنا ـ لا أحفظ أسماءهم ـ يذكرون عنه أنه كان يقول: «من قال: لفظي

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٣٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين، رقم ٧٩٠) واللَّفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٢٣/ ٣٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الوتر، رقم ١٤٦٨)، والنسائي (كتاب الافتتاح، برقمَي ١٠١٥، ١٠١٦)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصَّلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٣٤٢)، وأحمد (٣٠/ ٤٥١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٥٤٣)، من حديث البراء بن عازِب رضي الله عنه، وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٢) [دار طيبة، ط٢]، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٢٠) [مؤسسة غراس، ط١].

(٤) انظر: صريح السُّنَّة (٣٧)، والسُّنَّة للخلال (٧/ ٦٣)، والحُجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٣٢٩)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/ ٥٣، ١٣٦، ٢٥٨، ٤٦٢، ٥٣٤، ٥٨٢)، والجواب الصحيح (٤/ ٣٤٨)، ودَرء التعارض (١/ ٢٥٨)، والتسعينيَّة (٣/ ٩٧١) [مكتبة المعارف بالرياض، ط١]، والعقيدة السلفية في كلام ربِّ البريَّة للجديع (٢٤٠)، والقرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم (١/ ٥٧١).

بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: هو غير مخلوق فهو مبتدع». ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله، إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع»[(١)].

وقال ابن تيمية: «كان أحمد وغيره من السّلف ينكرون على من يقول: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؛ يقولون: من قال: هو مخلوق فهو جهميّ، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع. فإنَّ (اللَّفظ) يراد به: مصدر لفظ يلفظ لفظًا، ويراد باللَّفظ: الملفوظ به، وهو: نفس الحروف المنطوقة. وأما أصوات العباد ومداد المصاحف؛ فلم يتوقف أحد من السلف في أنَّ ذلك مخلوق. وقد نصَّ أحمد وغيره على أنَّ صوت القارئ صوت العبد، وكذلك غير أحمد من الأئمّة. وقال أحمد: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن؛ فهو جهمي. فالإنسان وجميع صفاته مخلوق: حركاته وأفعاله وأصواته مخلوقة، وجميع صفاته مخلوقة، فمن قال عن شيء من صفات العبد: إنَّها غير مخلوقة أو قديمة؛ فهو مخطئ ضال، ومن قال عن شيء من كلام الله أو صفاته: إنّه مخلوق؛ فهو مخطئ ضال»[(٢)].

وقال الذهبي ـ تعليقًا على قول الإمام أحمد بن صالح: «من قال: لفظي به مخلوق فهو كافر» ـ: «إن قال: لفظي، وعنى به: القرآن؛ فنعم. وإن قال: لفظي، وقصد به: تلفُّظي وصوتي وفعلي أنّه مخلوق؛ فهذا مصيب؛ فالله تعالى خالقنا وخالق أفعالنا وأدواتنا. ولكن الكفّ عن هذا هو السُّنَّة، ويكفي المرء: أن يؤمن بأنّ القرآن العظيم كلام الله ووحيه وتنزيله على قلب نبيِّه ﷺ، وأنَّه غير مخلوق»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حقيقة قول الإمام أحمد والبخاري في مسألة اللفظ، والفرق بينهما:

المتواتر عن الإمام أحمد أنَّه كان ينكر إطلاق هذا اللَّفظ نفيًا وإثباتًا. وإنما كان يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف[(٤)].

وأما ما نسب إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاريّ رَحِمَهُ اللهُ بأنه قال بقول اللفظية، فهو غلط عليه وحسد من بعض أقرانه، وإنما غاية ما قال رَحِمَهُ اللهُ: «سمعت عبد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: ما زلت أسمع من

(١) صريح السُّنَّة (٢٥، ٢٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٥٦٧).
(٣) سير أعلام النُّبلاء (١٢/١٧٧). وانظر: ميزان الاعتدال (١/٥٤٤).
(٤) انظر: السُّنَّة للخلال (٧/٩٣ ـ ٩٦).

أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة.

قال أبو عبد الله البخاري: حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق»[(١)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ رادًّا على من نسب إليه القول باللفظ: «من نقل عنّي أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فقد كذب! وإنَّما قلت: إنَّ أفعال العباد مخلوقة»[(٢)]، فنجد أن الإمام البخاري كان يفرق في هذه المسألة بين ما كان متعلِّقًا بكلام الله وبين ما كان من فعل العبد، فالقراءة عنده غير المقروء، وقد ثبت عنده عن الإمام أحمد أنه قال: ما سمعت عالمًا يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق.

فكلا الإمامين ينكران أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، فالإمام أحمد سدَّ الذريعة حيث منع إطلاق لفظ (المخلوق) نفيًا وإثباتًا على اللفظ، والبخاري فصل مقالته؛ لئلا تستغل ممن يقول بأنَّ أفعال العباد غير مخلوقة[(٣)]. فلا تعارض حقيقة بين القولين، فكلام الإمام أحمد أسدّ وأصلح من جهة عموم أهل الإيمان وتثبيت جمل الاعتقاد، وكلام الإمام البخاري أوضح وأمتن من جهة أهل العلم والتحقيق[(٤)].

ـ **المسألة الثانية: حقيقة مذهب (اللفظية المثبتة): حقيقة قولهم أنهم يقولون: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، والتلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء.**

وهذا مخالف لقول السلف وسائر الأئمة، فهم لا يقولون: مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقًا ولا غير المتلو مطلقًا.

وذلك أن التلاوة والقراءة كاللفظ؛ قد يراد به مصدر تلا يتلو تلاوة، وقرأ يقرأ قراءة، ولفظ يلفظ لفظًا، ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة، واللفظ مخلوق وليس ذلك هو القول المسموع الذي هو المتلو. وقد يراد باللفظ الملفوظ، وبالتلاوة المتلو، وبالقراءة المقروء، وهو القول المسموع، وذلك هو المتلو، ومعلوم أن القرآن المتلو الذي يتلوه العبد ويلفظ به غير مخلوق، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين. فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع[(٥)].

---

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ٧٠) [دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٠٣، ٥٣٥).

(٣) وهم القدرية.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٦٤ ـ ٢٦٦، ٣٧٣، ٣٩٥، ٤٢١، ٤٣٠)، ومختصر الصواعق (٥١٢) [دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيميَّة (١٢/ ٣٧٣، ٤٢١).

ـ المسألة الثالثة: أول من تكلم بمسألة اللفظ:

أوَّل من ابتدع هذه المسألة[١] هو: حسين الكرابيسي ـ وتابعه: تلميذُه داود بن علي الأصبهاني الظاهريّ وطائفة ـ، وبدّعه الإمام أحمد بن حنبل، ووافقه على تبديعه علماء الأمصار؛ مثل: الإمام إسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم، وأحمد بن صالح المصري، وابن منده، وغيرهم كثير رحمهم الله.

وهذه المقالة المحدثة أتوا بها ليتذرعوا بها إلى القول بخلق القرآن، فكانت هذه المقالة أضر على الناس مما فيه تصريح بالقول بخلق القرآن، فصارت اللفظية شرًّا من الجهمية كما قرر ذلك أئمة السلف وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل[٢].

۞ الفروق:

الفرق بين قول أهل السُّنَّة ممن يرى التفريق بين اللفظ والملفوظ وبين قول الأشاعرة:

أهل السُّنَّة الذين يفرقون بين اللفظ والملفوظ وبين التلاوة والمتلو، أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليس هي كلام الله، ولا أصوات العباد هي صوت الله، وهذا مقصود صحيح.

أما الأشاعرة فيقولون: اللفظ غير الملفوظ وهو مخلوق، يريدون باللفظ: القرآن العربي، وبالملفوظ: المعنى القائم بالذات. فالله تعالى عندهم لم يتكلم بالقرآن العربي بل عندهم أن القرآن العربي مخلوق[٣].

۞ مذهب المخالفين:

خالف في المعتقد الحقّ في هذه المسألة: الجهمية القائلون بخلق القرآن؛ فكانوا يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ويعنون: أنَّ كلام الله مخلوق؛ تسترًا واحتماء بهذا القول عن إظهار بدعتهم![٤].

وخالف في هذا أيضًا: اللّفظية النافية (الخَلقيَّة)، الذين يقولون: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة غير قديمة، والتلاوة غير المتلو، والقراءة غير المقروء، والكتابة غير المكتوب. ويقولون: المنزل إلى الأرض من الحروف والمعاني ليس هو نفس كلام الله؛ بل ربما سموها حكاية

(١) انظر: مقالات الإسلاميِّين للأشعري (٦٠٢) [دار إحياء التراث العربي، ط٣]، والحُجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٣٤٠)، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٧٧، ١٢/ ٥٧٣)، وسير أعلام النُّبلاء (١١/ ٢٨٩، ٥١٠، ١٣/ ١٠٠)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٩٢).

(٢) انظر: السُّنَّة للخلال (٧/ ٨٤)، وطبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ١٧٣، ٣٢٨) [دار المعرفة]، ومجموع الفتاوى لابن تيميَّة (٨/ ٤٠٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٤)، ومختصر الصواعق المرسلة (٥٠٩) [دار الحديث، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيميَّة (٧/ ٦٥٥، ١٢/ ٢٠٦)، ودَرء التعارض (١/ ٢٦٠).

عن كلام الله كما يقوله ابن كُلاب أو عبارة عن كلام الله كما يقوله الأشعري. وقالوا: ليس كلام الله إلا مجرد المعنى وإن الحروف ليست من كلام الله[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاختلاف في اللّفظ»، لابن قتيبة.

٢ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيمي.

٣ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٤ ـ «السُّنَّة» (ج٧)، للخلال.

٥ ـ «السُّنَّة»، لعبد الله بن أحمد.

٦ ـ «شرح أصول الاعتقاد» (ج٢)، للالكائي.

٧ ـ «الشريعة»، للآجري.

٨ ـ «صريح السُّنَّة»، لابن جرير الطبري.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣، ٦، ٧، ٨، ١٢)، لابن تيمية.

١٠ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

لقاء الله

يراجع مصطلح (الرؤية).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٥، ٣٧٦).

اللوح المحفوظ

التعريف لغةً:

اللوح: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «اللام والواو والحاء أصل صحيح معظمه مقاربة باب اللَّمعان، يقال: لاح الشيء يلوح؛ إذا لمح ولمع، والمصدر اللوح»[(٢)].

اللوح: الذي يكتب فيه، وهو صفيحة من صحائف الخشب، والكتف إذا كتب عليه سمي لوحًا، واللوح: كل عريض، ولهذا يقال: الألواح من الجسد كل عظم فيه عرض[(٣)].

المحفوظ: قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحاء والفاء والظاء أصل صحيح واحد يدل على مراعاة الشيء؛ يقال: حفظت الشيء حفظًا»[(٤)].

والمحفوظ: من حفظت الشيء؛ أي: حرسته، وحفظته بمعنى: استظهرته، والمحافظة: المراقبة، والحفظ: نقيض النسيان، وهو التعاهد، وقلة الغفلة[(٥)].

(٢) مقاييس اللغة (٦/ ١٣١) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٥/ ٢٤٨) [الدار المصرية للتأليف والترجمة]، ومقاييس اللغة (٦/ ١٣١)، والصحاح للجوهري (١/ ٤٠٢) [دار العلم للملايين، ط٣].

(٤) مقاييس اللغة (٢/ ٨٧).

(٥) انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١١٧٢)، ولسان العرب (٣/ ٢٤٢).

التعريف شرعًا:

هو الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق، وأثبت فيه كل شيء، وما هو كائن، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[(١)]. قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[(٢)].

سبب التسمية:

سمي باللوح المحفوظ؛ لأن الشياطين لا يمكنهم التنزُّلُ به؛ لأن محله محفوظ أن يصلوا إليه، وهو في نفسه محفوظ أن تقدر الشياطين على الزيادة فيه والنقصان، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حفظ محلَّه، وحفظه من الزيادة والنقصان، والتبديل[(٣)].

الأسماء الأخرى:

أمُّ الكتاب، الكتاب، الذكر، إمام مبين، الزبر[(٤)]، الكتاب المكنون، الكتاب المسطور.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ١٣٤) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ]، وشفاء العليل (١/ ١٦٣) [دار العبيكان، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) الرد على المنطقيين (٥١٨) [مؤسسة الريان، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٥٩٢) [دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ]، والتبيان في أيمان القرآن (١٥٦) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) انظر: شفاء العليل (١/ ١٦٣)، والمباحث العقدية المتعلقة باللوح المحفوظ لعادل بن حجي (١٣٢ ـ ١٤٨) [رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة].

وكل هذه الأسماء دلَّ عليها القرآن الكريم في غير ما آية.

الحكم:

يجب الإيمان باللوح المحفوظ، وأن الله كتب فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[(٥)].

الحقيقة:

حقيقة اللوح المحفوظ هو مما استأثر الله بعلمه، فلا يعلم حقيقته وكيفيته إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اللوح المحفوظ لا نعرف ماهيته من أي شيء، أمن خشب، أم من حديد، أم من ذهب، أم من فضة، أم من زمردة؟ فالله أعلم بذلك، إنما نؤمن بأن هناك لوحًا كتب الله فيه مقادير كل شيء، وليس لنا الحق في أن نبحث وراء ذلك، لكن لو جاء في الكتاب والسُّنَّة ما يدلنا على شيء، فالواجب أن نعتقده»[(٦)].

المنزلة:

الإيمان باللوح المحفوظ هو من الإيمان بالقدر؛ لأن من مراتب الإيمان بالقدر: الإيمان بأن الله كتب كل شيء

(٥) انظر: الرسالة الوافية للداني (٦١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) شرح العقيدة الواسطية (٣/ ١٤٨، ١٤٩) [دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤١٧هـ].

عنده في اللوح المحفوظ، فلا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بالقدر ومراتبه التي دلَّ عليها القرآن والسُّنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السُّنَّة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله عَزَّ وَجَلَّ عليم بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلًا: فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء»[1].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝٣٩﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر]

ومن السُّنَّة: حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح ذكر كل شيء»**[2].

وفي لفظ آخر: قال رسول الله ﷺ: **«كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض»**[3].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء»**[4].

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللوح المحفوظ حق، تستنسخ منه أعمال العباد، مما سبقت فيه المقادير والقضاء»[5].

وقال أبو عمرو الداني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن

(١) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/١٤٨، ١٤٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط٢].

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: أحمد (٣٣/١٠٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في اجتماع الجيوش الإسلامية (٦٨) [دار البيان، ط٤]: «حديث صحيح، أصله في البخاري».

(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣١٩١).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٣).

(٥) السُّنَّة للإمام أحمد (٤٧) [مكتبة السُّنَّة المحمدية القاهرة، ط١٣٧٥هـ]

قولهم: إن الإيمان باللوح المحفوظ وبالقلم واجب، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج][1].

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه، وقلمه، والصحف المذكورة في الأحاديث كل ذلك يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك، وصفته فعلمها إلى الله تعالى، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء»[2].

الحكمة:

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «فإن قال قائل: وما وجه إثباته في اللوح المحفوظ، والكتاب المبين ما لا يخفى عليه، وهو بجميعه عالم لا يخاف نسيانه؟

قيل له: لله تعالى فعل ما شاء، وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانًا منه لحفظته، واختبارًا للمتوكلين بكتابة أعمالهم؛ فإنهم ـ فيما ذكر ـ مأمورون بكتابة أعمال العباد، ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك في اللوح المحفوظ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم، وقيل: إن ذلك معنى قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية]، وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك، مما هو أعلم به، إما بحجة يحتج بها على بعض ملائكته، وإما على بني آدم، وغير ذلك»[3].

مذهب المخالفين:

خالف فلاسفة الصوفية في حقيقة اللوح المحفوظ، وادعوا أنه النفس الفلكية، وقالوا: إن العارف قد يطلع على اللوح المحفوظ، ونحو ذلك مما يعلم بطلانه بدلالة الشرع والعقل.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن ابن سينا وأمثاله يدعون أن ما يحصل للنفوس البشرية من العلم، والإنذارات، والمنامات إنما هو فيض العقل الفعال، والنفس الفلكية، وإذا أرادوا أن يجمعوا بين الشريعة والفلسفة قالوا: إن النفس الفلكية هي اللوح المحفوظ، كما يوجد مثل ذلك في كلام أبي حامد في كتاب الإحياء[4]، والمضنون، وغير ذلك من كتبه، وكما يوجد في كلام من سلك سبيله من الشيوخ المتفلسفة المتصوفة، يذكرون اللوح المحفوظ، ومرادهم به النفس الفلكية، ويدعون أن العارف قد يقرأ ما في اللوح المحفوظ، ويعلم به»[5].

---

(١) الرسالة الوافية (٦١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/ ٤١٣، ٤١٤) [دار المعرفة، ط١٠، ١٤٢٥هـ].

(٣) تفسير الطبري (٧/ ٢٦٧، ٢٦٨).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣) [دار الكتب العلمية].

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٣٩٨).

وهذا ظاهر البطلان بما تقدم تقريره في المفهوم الشرعي للوح المحفوظ من أدلة القرآن، وأقوال أهل العلم.

قال ابن تيمية: «وهذا باطل مخالف لدين المسلمين، وغيرهم من أتباع الرسل»[(١)].

وتفرع عن هذا القول ما ادعاه البوصيري في بردته من أن النبي ﷺ يعلم ما في اللوح المحفوظ، فقال:

«فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم»[(٢)]

وتبعه أحمد شوقي في هذا الغلو فقال:

«خططت للدين والدنيا علومهما
يا قارئ اللوح بل يا لامس القلم»[(٣)]

وهذا ظاهر البطلان، بل هو كفر صريح، لا يقره النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، والأدلة على بطلان هذه الأقوال كثيرة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى في حق نبيّه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف]

قال ابن تيمية: «فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، واللوح المحفوظ لا يطلع عليه غير الله»[(٤)].

وقال سليمان بن عبد الله معلّقًا على كلام البوصيري: «فجعل الدنيا والآخرة من جوده، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ وكل ذلك كفر صريح»[(٥)].

وقال ابن باز: «اللوح المحفوظ لا يطّلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا من كلام مخرفي الصوفية، الذين يلبّسون على الناس ويغشونهم، نسأل الله العافية، فاللوح المحفوظ لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، هو الذي جعله، وهو الذي يطلع عليه، ومن زعم أنه يعلم ما فيه فهو كافر يستتاب من ولاة الأمور، فإن تاب، وإلا وجب قتله؛ حماية للمسلمين من شره وفتنته»[(٦)].

---

(١) الرد على المنطقيين (٥١٩).

(٢) قصيدة البردة (٨) [دار الفكر].

(٣) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ (٨) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) الرد على المنطقيين (٥١٨، ٥١٩).

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢٦٣) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٦) فتاوى نور على الدرب لابن باز (٢٤١/١) [دار الوطن، ط١، ١٤١٨هـ].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج٨)، للقاضي عياض.

٢ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لأبي القاسم التيمي.

٤ ـ «الرد على المنطقيين»، لابن تيمية.

٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٧ ـ «العقيدة الواسطية»، لابن تيمية.

٨ ـ «العقيدة الطحاوية مع شرحها»، لابن أبي العز.

٩ ـ «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد حكمي.

١٠ ـ «المباحث العقدية المتعقلة باللوح المحفوظ والقلم»، لعادل بن حجي.

لوط عليه السلام

اسمه ونسبه:

لوط هو: ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام؛ هاران بن آزر(١).

(١) انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٠/٣٠٦) [دار الفكر،١٤١٥هـ]، والمنتظم في التاريخ (١/٢٦٢) [دار الكتب العلمية، ط١]، والبداية والنهاية (١/

معنى اسمه لغة:

اختلف في لفظ (لوط)؛ أهو عربي أم أعجمي؟ **على قولين:**

القول الأول: أنه اسم عربي مشتق من: لاط الشيء بقلبه؛ إذا تعلق به. قال ابن فارس: «اللام والواو والطاء كلمة تدل على اللصوق. يقال: لاط الشيء بقلبي؛ إذا لصق»(٢).

وقال الراغب: «لوط: اسم علم، واشتقاقه من: لاط الشيء بقلبي يلوط لوطًا وليطًا... وهذا أمر لا يلتاط بصفري؛ أي: لا يلصق بقلبي، ولطت الحوض بالطين لوطًا: ملطته به»(٣).

القول الثاني: أنه اسم أعجمي، قال الجوهري: «ولوط: اسم ينصرف مع العجمة والتعريف»(٤). وأورده الجواليقي في (المعرّب)، وذكر أنه اسم أعجمي معرب ولم يذكر له معنى(٥). وبه احتج الدكتور ف. عبد الرحيم على أن لوطًا اسم أعجمي، فقال: «الصحيح أنه

٣٤٦، و٤٠٨) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/١٥٧) [دار طيبة، ط٢].

(٢) مقاييس اللغة (٥/٢٢١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ] وانظر: تهذيب اللغة (١٤/١٨، ١٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١]، والصحاح للجوهري (٣/١١٥٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) المفردات في غريب القرآن (٧٥٠، ٧٥١) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ].

(٤) الصحاح للجوهري (٣/١١٥٨).

(٥) انظر: المعرَّب من كلام الأعجمي (٥٦٣) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ].

معرَّب، قال الجوهري: «لوط اسم ينصرف مع العجمة والتعريف». وهو بالعبرية: (לוֹט)، وبالسريانية: (ܠܘܛ)[١]. وممن رجح القول الثاني بدر الدين العيني، فقال: «وذكر الله لوطًا في القرآن في سبعة عشر موضعًا، وهو اسم أعجمي، وفيه العَلَمية والعجمة، ولكنه صُرف لسكون وسطه، وقيل: اسم عربي من: لاط؛ لأن حبه لاط بقلب إبراهيم ﷺ؛ أي: تعلق ولصق»[٢].

مولده ونشأته:

الظاهر: أن لوطًا ولد في أرض الكلدانيين، وهي أرض بابل، ونشأ بها، لما ذكره ابن كثير[٣] من أن إبراهيم ولد في أرض الكلدانيين، وأن أخاه هاران توفي فيها، فهاجر منها آزر بابنه إبراهيم وابن ابنه لوط إلى أرض الكنعانيين، وهي بلاد بيت المقدس، ومعلوم أن إبراهيم أكبر من لوط، وأنه اهتدى على يديه، كما قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت]، ثم أشار إليه إبراهيم أن ينزل إلى سدوم، فنزل بها[٤]، وفيها وفي إقليمها أرسل بعد ذلك في حياة إبراهيم[٥]، والله أعلم.

نبوته:

ذكر الله نبوة لوط عليه السلام ورسالته بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣﴾ [الصافات].

دعوته:

دعا لوط قومه إلى الله عز وجل؛ أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم أحد من الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث[٦].

كما حكاه الله تعالى عنه بقوله سبحانه: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٤ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشعراء].

وبقوله سبحانه: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ

---

(١) المعرب من كلام الأعجمي (٥٦٣) الحاشية.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ٢٦٧) [دار إحياء التراث العربي، بيروت].

(٣) انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٢٥).

(٤) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/ ٢٨٣)، والبداية والنهاية (١/ ٣٢٥)، وقصص الأنبياء لابن كثير (١/ ٢٥٤) [دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ]، وصحيح قصص الأنبياء لسليم الهلالي (١٥٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٣).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٥٧).

لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النمل].

وبقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود].

وبقوله عز وجل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

قال ابن كثير في هذه الآية: «يقول تعالى مخبرًا عن نبيِّه لوط عليه السلام أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم. وكانوا مع هذا يكفرون بالله، ويكذبون رسوله ويخالفونه ويقطعون السبيل؛ أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم»[(١)].

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٦).

وقال السعدي: «أرسل الله لوطًا إلى قومه، وكانوا مع شركهم، قد جمعوا بين فعل الفاحشة في الذكور، وتقطيع السبيل، وفشو المنكرات في مجالسهم، فنصحهم لوط عن هذه الأمور، وبيَّن لهم قبائحها في نفسها، وما تؤول إليه من العقوبة البليغة»[(٢)].

قومه وموقفهم منه:

قوم لوط كانوا أمة عظيمة، قد بعثه الله إليهم في حياة إبراهيم، وكانوا يسكنون في (سدوم)[(٣)] وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، بينها وبين بلاد الكرك والشوبك[(٤)]. قال ابن الجوزي: «بُعث إلى أهل سدوم، فكانوا أهل كفر بالله وركوب الفاحشة»[(٥)].

ولذا واجهوا نبيّهم لوطًا عليه السلام بالتكذيب والتهديد بالإبعاد إن لم يكف عن دعوتهم إلى توحيد الله وطاعته ونبذ الشرك، والخضوع له، ونهيهم عن الفواحش، لا سيما التي انفردوا بها عن العالمين، كما حكاه الله سبحانه عنهم

(٢) تفسير السعدي (٦٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٣) سدوم: هي إحدى مدائن قوم لوط. انظر: معجم البلدان للحموي (٣/ ٢٠٠) [الناشر: دار صادر].
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٠، و٥/ ٣٥٤، و٦/ ١٥٧).
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/ ٢٨٣).

فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الحج]، وقال: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل]، وقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت].

وبعد إصرارهم على الشرك والكفر، والتكذيب لنبي الله لوط، وتحديهم إياه بالإتيان بالعذاب إن كان من الصادقين، وتهديده وتوعده بالانتقام، ويأسه منهم، وعلمه باستحقاقهم العذاب، لجأ لوط إلى ربه بطلب النصر والتأييد، ودعا على هؤلاء المفسدين[1]، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت]، فاستجاب الله دعاءه وأرسل إليه الملائكة لإهلاكهم، وأنجاه وأهله إلا امرأته، وأهلك أهل الكفر والتكذيب والعناد، كما قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [العنكبوت]، وقال: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾ [هود].

ولمّا أراد الله إهلاك قوم لوط أمر الملائكةُ لوطًا أن يسري بأهله ليلًا، ولما أصبحوا قلب الله عليهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل متتابعة حتى أبادتهم وأهلكتهم، فصاروا سَمَرًا من الأسمار، وعبرة من العِبر[2].

قال ابن كثير: «إن الله تعالى أهلكهم عن آخرهم؛ بتكذيبهم نبي الله لوطا عليه السلام

(١) وانظر: تفسير السعدي (٦٣٠).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٦٣٠).

وإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين»[(١)].

وفاته:

قيل: إن لوطًا عليه السلام توفي عن ثمانين سنة، وعلى هذا القول تكون وفاته قبل نبي الله إبراهيم عليه السلام بسنين[(٢)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حكم تسمية عمل قوم لوط باللواطة:

هذه التسمية غير جائزة لأمرين:

الأمر الأول: أن لوطًا لا صلة له بهذه الفاحشة النكراء، فنسبة فاعلها إليه في غاية الشناعة.

الأمر الثاني: أن في تسمية عمل قوم لوط باللواطة ترويج لهذه الفاحشة وتسمية لها بغير اسمها؛ لأن عمل قوم لوط في غاية الفساد في الأرض، وأما اللواطة فمن معانيها الإصلاح، كما جاء في حديث خروج الدجال وفيه: «**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**»[(٣)]، وعليه فلا ينبغي أن يسمى إلا باسمه الذي سماه به النبي ﷺ، كما في حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»[(٤)]، لهذه الأمور كلها لا يجوز نسبة فاعل عمل قوم لوط إلى لوط عليه السلام[(٥)].

وأما استعمالات بعض أهل العلم لهذا المصطلح فلا حجة فيه؛ لأن الحجة في قول الله ورسوله ﷺ، وقد علم مخالفة هذا المصطلح للشرع واللغة، واستعمالات العلماء لهذا المصطلح مبني على اجتهاد مأجورين عليه، لا سيما وأن هناك روايات ضعيفة فيها هذه التسمية، ولا حجة فيما لم يصح، والله أعلم.

ـ المسألة الثانية: خيانة امرأة لوط عليه السلام لزوجها وبيان نوع هذه الخيانة:

لقد تقدم بيان هلاك زوج نبي الله لوط ونجاة بقية أهله، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٥٧﴾ [النمل]، وجاء في النصوص الشرعية بيان سبب هلاكها ودخولها في النار، وهو خيانة زوجها في

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٧٤).

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٠).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٤٦٢)، والترمذي (أبواب الحدود، رقم ١٤٥٦)، وابن ماجه (كتاب الحدود، رقم ٢٥٦١)، وأحمد (٤/ ٤٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٩) وصححه، وصححه ابن عبد الهادي في المحرَّر (١/ ٦٢٤) [دار المعرفة، ط٣]، والألباني في الإرواء (٨/ ١٦) [المكتب الإسلامي، ط٢].

(٥) انظر: معنى لفظ (لوط) اللغوي المتقدم، ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد (٤٦١) [دار العاصمة، ط٣] وفبهداهم اقتده لعثمان الخميس (٢٦٠) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ].

قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم].

والمراد بهذه الخيانة هنا: هي خيانة الدين وهي الكفر برسالتهما وتكذيب نبوتهما وشريعتهما، وعدم الدفاع عنهما، فقد أخرج ابن جرير بسند حسن[(١)] عن قتادة؛ أنه قال في الآية: «هاتان زوجتا نبيَّي الله، لما عصتا ربهما لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئًا»[(٢)]. ولم تكن هذه الخيانة بالزنا، وإنه لم تزن زوجة نبي قط[(٣)]، قال ابن كثير: (﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾؛ أي: في الإيمان، لم يوافقاهما على الإيمان، ولا صدقاهما في الرسالة، فلم يُجد ذلك كله شيئًا، ولا دفع عنهما محذورًا؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [التحريم]؛ أي: لكفرهما، ﴿وَقِيلَ﴾؛ أي: للمرأتين: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ وليس المراد: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحشة، بل في الدين؛ فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء، كما قدمنا في سورة النور»[(٤)].

- **المسألة الثالثة: عصمة الأنبياء:**

اتفق أهل العلم على أن الأنبياء معصومون بعد النبوة من الشرك وكبائر الذنوب[(٥)]، ومعصومون في التبليغ عن الله، ومن الصغائر الخسيسة[(٦)]، وأما ما دونها من الصغائر فيجوز وقوعها منهم، لكنهم لا يقرون عليها، بل يتوبون منها وأن الله يسددهم[(٧)].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بعدما حكى الخلاف بين الأصوليين في عصمة الأنبياء من الصغائر: «الذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية، ولا يستوجب خطأً منهم، ولا نقصًا فيهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ، ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب؛ لأنهم يتداركون ما

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور لحكمت بشير ياسين (٤/٥١٢) [دار المآثر، المدينة النبوية، ط١].

(٢) تفسير الطبري (٢٣/١١٤) [دار هجر، ط١].

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/٤٦) [دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٤/٣٢٧)، وتفسير السعدي (٨٧٤).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/١٧١).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٦٩)، وإرشاد الفحول للشوكاني (١/١٩٠) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢١هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/٣٠٩)، وفبهداهم اقتده لعثمان الخميس (٣٣).

(٦) انظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (فقرة: ٣٨٦ وما بعدها) [دار الأنصار، القاهرة]، وفبهداهم اقتده لعثمان الخميس (٣٣).

(٧) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/٢٥٣) [ط٦، ١٤١٧هـ].

وقع منهم بالتوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى درجاتهم، فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئًا من ذلك. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿...وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه]، فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه واجتبائه؛ أي: اصطفائه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى»[(١)].

وأما قبل النبوة فهل كانوا على عقيدة أقوامهم من الشرك ونحوه أم لا؟ وهل يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم]، ففي الآية الأولى أن لوطًا آمن، وفي الثانية أن الأنبياء هُدّدوا؛ إما بالإخراج من القرية وإما العودة إلى ملة أقوامهم وهم لم يدخلوا فيها أصلًا، وقد أجاب الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن على هذا الإشكال، وهو العودة إلى ملة الأقوام، فقال: «فاعلم أن المسألة شاعت وذاعت واشتهرت وانتشرت، والخلاف فيها قديم بين أهل السُّنَّة والمعتزلة، وبين أهل السُّنَّة بعضهم لبعض، والذي روى ابن أبي حاتم عن عطية عن ابن عباس: «كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ويدعونهم إلى العودة إلى ملتهم، فأبى الله لرسله والمؤمنين أن يعودوا في ملتهم وفي ملة الكفر، وأمرهم أن يتوكلوا عليه»[(٢)]، وقد رواه السدي عن أشياخه، وتأوله عطية على أنه العود إلى السكوت كما كان الرسل قبل الرسالة؛ وأنهم كانوا أغفالًا قبل؛ أي: لا علم بما جاءهم من عند الله، قال: وذلك عند الكفار عود في ملتهم. وهذا الذي رأيته منصوصًا عن أئمة السلف»[(٣)].

وبعضهم فرّق بين حال نبيّنا محمد الذي كان معصومًا من الوقوع في الشرك، كما هو معروف من سيرته، وغيره من الأنبياء، فذكروا أنه لا يستحيل أن يكون على ملة قومه، ولا يلزم أن يكون قد عبد الأصنام، بل يظل على السكوت وعدم الإنكار عليهم[(٤)].

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ١١٩).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٣٧) [مكتبة نزار الباز، ط٣].
(٣) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل لعبد اللطيف آل الشيخ (١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٤) [مكتبة الرشد، ط١].
(٤) المرجع السابق (١/ ٣٤٢) الحاشية رقم (٥).

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير الطبري» (ج٢٣).

٢ ـ «تاريخ دمشق» (ج٥٠)، لابن عساكر.

٣ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج١)، لابن الجوزي.

٤ ـ «تفسير القرطبي» (ج٩).

٥ ـ «البداية والنهاية»» (ج١)، لابن كثير.

٦ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٦).

٧ ـ «قصص الأنبياء» (ج١) لابن كثير.

٨ ـ «صحيح قصص الأنبياء»، لسليم الهلالي.

٨ ـ «معجم المناهي اللفظية»، لبكر أبو زيد.

٩ ـ «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام»، لعثمان الخميس.

١٠ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم السلام»، لإبراهيم العلي.



المؤخِّر

يراجع مصطلح (المقدم المؤخر).

المؤمن

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان؛ أحدهما: الأمانة، التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان»[(١)].

المُؤمن اسم فاعل من الإيمان، ومن معانيه التصديق والثقة والاطمئنان الذي هو ضد الخوف، يقال: آمَن يُؤْمِن إيمانًا فهو مؤمن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧﴾ [يوسف]؛ أي: بمصدّق لنا التصديق الذي يكون معه أمن[(٢)].

التعريف شرعًا:

المؤمن: هو المصدِّق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والمؤمِّن خلقه من أن يظلمهم، والمؤمِّن عباده المؤمنين من عذابه يوم القيامة[(٣)].

وكل هذه الأقوال قد جاءت بها الآثار عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة التفسير[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

يشترك مدلول اسم المؤمن الشرعي

(١) مقاييس اللغة (١/ ١٣٣) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٥١٠ ـ ٥١٦) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٨٦، ٨٧) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/ ٢٠٧١، ٢٠٧٢) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٩٠، ٩١) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥١٨) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (١/ ٢٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (٤٥، ٤٦) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، وتفسير البغوي (٨/ ٨٧) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وتفسير السعدي (١٠٠٧) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ]، ومعارج القبول (١/ ٣٦) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ]، وعقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة لمحمد هراس (١٦٠) [دار الكتاب والسُّنَّة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والتوحيد لابن منده (٢/ ٦٨) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط٢]، وتفسير البغوي (٨/ ٨٧)، وزاد المسير (٨/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ]، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤٥) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/ ٨١) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (١٨٠، ١٨١) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

مع العديد من معانيه في اللغة، فالله ﷻ هو المؤمن الذي أعطى الأمن والأمان لعباده المؤمنين، وأمّنهم في الدنيا والآخرة، وهو الذي صدّق رسله وأنبيائه بالحجج والأدلة والبراهين القاطعات، والمؤمّن في اللغة: واهب الأمن.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم المؤمن لله تعالى، وأنه من أسمائه الحسنى، وأنه متضمن لمعانٍ جليلة، تليق بجلاله وعظمة سلطانه.

الحقيقة:

حقيقة المؤمن تتضمن معانيَ عظيمة وجليلة، **تتلخص فيما يأتي**:

المؤمن: هو الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال، ومن هذا قول مجاهد بن جبر رحمه الله: «المؤمن: هو الذي وحّد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]»[١].

والمؤمن: تصديقه سبحانه للشاهدين له بالتوحيد، والشهادة لهم بأن ما قالوه حق وصدق، وهذا معنى قول قتادة رحمه الله: «المؤمن: آمن لقوله أنه حق»[٢].

والمؤمن: من أمّن خلقه من أن يظلمهم، وأمن عباده المؤمنين من عقابه وعذابه، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: «هو الذي أمّن الناس من ظلمه، وآمن من آمن به من عقابه»[٣].

والمؤمن: تصديقه لأنبيائه ورسله بالحجج والبراهين، لما جاؤوا به من البينات والهدى.

والمؤمن: أن يصدق عباده ما وعدهم من التمكين، والنصر في الدنيا، وأن يصدق ما وعد عباده المؤمنين من الثواب في الآخرة.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وورد في السُّنَّة ما يدل على معناه، منه ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي قتل نفسه وفيه أنهم قالوا: «يا رسول الله صدَّق الله حديثك»[٤].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «وقلّما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول»[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٥٠) [عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ]، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/ ٣٩١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٢) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/ ٥٠٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٢١هـ].

(٣) تفسير البغوي (٨/ ٨٧) [دار طيبة، ط١٤١٢هـ]، وتفسير ابن كثير (١٣/ ٥٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٢٠٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١١١).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم =

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: يعني بالمؤمن: الذي يؤمِّن خلقه من ظلمه»[(١)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أسمائه المؤمن: وهو في أحد التفسيرين: المصدِّق، الذي يصدق الصادقين، بما يقيم لهم من شواهد صدقه، فهو صدَّق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دلَّ بها على صدقهم، قضاء وخلقًا»[(٢)].

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات، والبراهين وصدق رسله بكل آية وبرهان، يدل على صدقهم وصحة ما جاؤوا به»[(٣)].

وقال حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن: الذي آمن أولياءه من خزي الدنيا، ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في الدنيا حسنة، وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية»[(٤)].

= ٢٤٦٨)، ومسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٧٩)، واللفظ له.

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٤٤) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٩) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٤) معارج القبول (١/ ٣٦) [دار ابن الجوزي، ط٦].

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم أن العبد المؤمن إذا أحسن لا يخاف لديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ظلمًا ولا هضمًا، أو أن يضيع له مثقال ذرة؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ وعد ـ وهو الصادق في وعده ـ بتوفية العاملين المحسنين أجورهم، وإن كان مثقال ذرة؛ بل يضاعف الحسنات ويجزل المثوبات، كما أن المسيء لا يجازى إلا بمثل إساءته، ووعده إن هو تاب وأناب واستغفر بمحو السيئات والتجاوز عن الزلات، فسبحانه من جواد محسن كريم وهاب.

وعلى المؤمن أن يكون صادقًا في أقواله وأفعاله، ويتحرى الصدق والتصديق، حتى يكتب عند الله صدِّيقًا مصدقًا.

وإذا وفى العبد بالأمانة التي حُمّلها وأداها على أكمل وجه، فيكون بذلك قد آمن واستحق أن يسمى بالمؤمن[(٥)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «التوحيد»، لابن منده.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٣ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٤ ـ «شرح أسماء الله»، للقحطاني.

(٥) انظر في هذه الآثار: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٢٤١، ٢٤٢)، وفقه الأسماء الحسنى (١٨٢).

٥ ـ «عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة»، لمحمد هراس.

٦ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى»، لغريب بن محمد.

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج٣)، لابن القيم.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد خليفة التميمي.

الماجد

يراجع مصطلح (المجيد).

مالك

التعريف لغةً:

مالك مشتق من المُلك، وهو القوة والشدة[١]. قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ في الشيء»[٢]. وقال ابن القيم: «مالك هو اسم مشتق من الملك، وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه»[٣].

التعريف شرعًا:

هو خازن النار المؤتمن عليها، الحافظ لها بأمر الله تعالى، والموكل هو والخزنة بإيقاد النار وتعذيب أهلها[٤].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

القيام بأمر النار يحتاج إلى قوة وشدة، ولذا كان من معاني (مالك) في اللغة: القوة والشدة، يشهد له قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

الحكم:

يجب الإيمان بمالك عليه السلام كما ورد به النص، والإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة عليهم السلام.

المنزلة:

الإيمان بمالك عليه السلام يدخل في الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

ورد ذكره عليه السلام في قول الله تعالى:

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٠/٤٩١) [دار صادر].

(٢) مقاييس اللغة (٥/٣٥١) [دار الفكر، ١٣٩٩هـ].

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/٢٢٢) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٣٢هـ].

(٤) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (٤٦، ٤٧، ١٥١ ـ ١٥٣).

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف]، وقد جاء في السُّنَّة ذكر مالك وأنه خازن النار ورؤية النبي ﷺ له، فعن سمُرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني قالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل**»[(١)]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**رأيت ليلة أسري بي موسى،... ورأيتُ مالكًا خازن النار**»[(٢)].

المسائل المتعلقة[(٣)]:

ـ المسألة الأولى: أعوان خازن النار:

لمالك خازن النار أعوان من الملائكة عليهم السلام، وهم خزنة النار، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر]، وقال عز وجل: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر].

وخزنة النار عليهم السلام موصوفون بالشدة والغلظة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، قال ابن كثير: «أي: طباعهم غليظة، قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله، ﴿شِدَادٌ﴾ أي: تركيبهم في غاية الشدة والكثافة، والمنظر المزعج»[(٤)]. ووصف النبي ﷺ مالكًا في رؤياه التي ذكرها للصحابة رضي الله عنهم: «**فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلًا مرآةً، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق**»، وفيه: «**وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم**»[(٥)].

ـ المسألة الثانية: أسماء خزنة النار:

من أسماء خزنة النار: الزبانية، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل بن

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٦).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٥).
(٣) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٥١ ـ ١٥٣).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/١٦٨) [دار طيبة، ط٤].
(٥) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٤٧).

هشام فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا؟ ـ وَتَوعَّده ـ فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديًا! فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ [العلق]، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته الزبانية»[1].

- المسألة الثالثة: عدد خزنة النار:

خزنة النار كُثر، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، يشهد له حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[2]. ورؤساؤهم تسعة عشر، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر].

المصادر والمراجع:

١ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج١)، للسفاريني.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «البدور السافرة في أمور الآخرة»، للسيوطي.

٤ ـ «البعث»، لأبي داود السجستاني.

٥ ـ «البعث والنشور»، للبيهقي.

٦ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ج١)، لابن القيم.

٧ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٨ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٩ ـ «عالم الملائكة الأبرار»، للأشقر.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

١١ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، للعقيل.

١٢ ـ «يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار»، لصدّيق حسن خان.

المالك

يراجع مصطلح (المُلك).

مالك الملك

يراجع مصطلح (المُلك).

مالك الناس

يراجع مصطلح (المُلك).

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٤٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وصحح الألباني إسناده في تعليقه على جامع الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٢).

مالك يوم الدين

يراجع مصطلح (المُلك).

المانع

يراجع مصطلح (المعطي المانع).

مباينة الله

يراجع مصطلح (العلو).

المُبِين

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الباء والياء والنون أصل واحد؛ وهو بعد الشيء وانكشافه، فالبيْن: الفراق وبان الشيء وأبان؛ إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان؛ أي: أوضح كلامًا منه»[(١)].

المبين (فعيل) من صيغ اسم الفاعل، من الفعل الثلاثي: بان، وهو من الأضداد التي تطلق على الوصل والفراق، يقال: بان يبين بينًا وبينونة، وأبان يبين إبانة؛ إذا اتضح وانكشف، ومبين بمعنى بيِّن[(٢)].

التعريف شرعًا:

المُبِين: هو البيِّن أمره، البيِّن في ربوبيته، وملكوته، الذين أبان للخلق ما احتاجوا إليه، المبين للناس يوم القيامة حقائق ما كان يعدهم في الدنيا وكذلك الله عَزَّ وَجَلَّ بائن عن خلقه مفارق لهم بذاته مستو على عرشه عال على جميع مخلوقاته[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتجلى العلاقة بين المعنى اللغوي لاسم المبين ومعناه الشرعي في الارتباط الواضح بين العديد من معاني (المبين) في اللغة ومعناه الشرعي، فهو في اللغة دال على الجلاء والوضوح والانكشاف وكذلك الله عَزَّ وَجَلَّ بيّن لعباده لا يخفى على ذوي الفطر السليمة، والمبين في اللغة الذي يُبيّن، والله عَزَّ وَجَلَّ أبان لعباده سبل النجاة والفلاح وطرق الوصول إلى مرضاته، وجزاء كل من التزم بذلك أو خالفه غاية البيان والوضوح.

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم الله المبين،

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٣٢٧، ٣٢٨) [دار الجيل].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٩٥ ـ ٥٠٠) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/ ٢٠٨٢، ٢٠٨٣) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (١٥٧، ١٥٨) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥٢٥، ١٥٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (١/ ٧٩، ٨٠) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ١٤١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٣، ١٤٤) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]

على ما يليق بجلاله تعالى، وعظمة سلطانه.

الحقيقة:

المبين هو الذي لا يخفى ولا ينكتم، والباري ﷻ ليس بخاف ولا منكتم؛ لأن له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى[(١)]، وهو سبحانه وتعالى المبين الذي أبان لعباده سبيل الرشاد، والموضح لهم الأعمال التي يستحقون الثواب على فعلها والأعمال التي يستحقون العقاب عليها، وبيَّن لهم ما يأتون، وما يذرون[(٢)]، وهو تعالى البيّن أمره في الوحدانية، في ألوهيته وربوبيته وملكوته، فهو الإله الحق المبين لا شريك له[(٣)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور]، وقال تعالى في غير ما آية: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور]: «ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذٍ الشكُّ فيه عن أهل النفاق، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون»[(٤)].

وقال أبو القاسم التيمي: «ومن أسمائه تعالى: المبين: وهو البيِّن أمره، وقيل: البيِّن الربوبية، والملكوت، يقال: أبان الشيء معنى تبين، وقيل: أبان للخلق ما احتاجوا إليه»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

- اسم الله الحق المبين:

يظهر من صنيع بعض أهل العلم أنهم أثبتوا اسم الله الحق المبين؛ أي: جعلوهما من الأسماء المقترنة؛ لورود النص بذلك، فلم يفصلوا بين الحق والمبين، وعلى ذلك يدل صنيع ابن عثيمين رحمه الله.

---

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ١٨٩) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٦) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وشرح أسماء الله الحسنى (٢٠٤) [دار الإيمان]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٤) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) انظر: شأن الدعاء (١٠٢) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٣، ١٤٤) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢١٤).

(٤) تفسير الطبري (١٩/ ١٤١) [مؤسسة الرسالة، ط١].

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٣، ١٤٤).

قال ابن عثيمين: «وقد جمعنا بين الحق المبين، والحي القيوم، والأول والآخر، والظاهر والباطن، لوروده هكذا في كتاب الله»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «اشتقاق أسماء الله»، للزجاجي.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج١)، للتيمي.

٤ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٥ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٦ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.

٨ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة»، للرضواني.

المتانة

يراجع مصطلح (المتين).

(١) شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٩٤) [دار الآثار، ط١، ١٤٢٣هـ].

المتعال

يراجع مصطلح (العلو).

المتكبر

التعريف لغةً:

المتكبِّر: (متفعِّل) من صيغ اسم الفاعل من الكِبْر. والكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على خِلاف الصِّغَر. يقال: هو كَبيرٌ، وكُبَار، وكُبَّار. والكِبْر العظَمة، وكذلك الكِبرياء[(٢)].

يقال: كَبُر يَكْبُر؛ أي: عَظُم يعظم من العظمة، فهو كبير وكُبَار وكُبَّار، وجمعه: كِبار، ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر؛ أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعزّ. والمتكبّر من اتصف بالكبرياء، وأصله الامتناع والترفُّع[(٣)].

التعريف شرعًا:

اسم المتكبِّر يدل على وصف الله ﷻ بالكبرياء الدال على العظمة والامتناع

(٢) مقاييس اللغة (٨٨٣) [دار الفكر].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٠٩ ـ ٢١٥) [الدار المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٩١٥، ٩١٦)، والصحاح (٤/ ٨٠١، ٨٠٢) [دار العلم للملايين، ط٢]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩٧، ٦٩٨) [دار القلم، ط٢]، والقاموس المحيط (٦٠١، ٦٠٢) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٧٢، ٧٧٣) [دار الدعوة، ط٢].

والترفع، فالله ﷻ مترفع عن الاتصاف بكل نقص وعيب وسوء، ومترفع عن مماثلة ذاته لذوات المخلوقين، وصفاته لصفات المخلوقين، وأفعاله لأفعالهم، وهذا متضمن لثبوت الكمال له سبحانه وتعالى في ذاته، وصفاته، وأفعاله[(١)].

ولذلك نجد الآثار في تفسير هذا الاسم تدور حول الإشارة إلى تكبُّره؛ أي: ترفعه وتعاظمه وامتناعه عن كل سوء ونقص وعيب[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي لاسم المكتبِّر تتضح من خلال اتفاق المعنى الشرعي لهذا الاسم مع المعنى اللغوي المأخوذ منه، فمن المعاني الشرعية لهذا الاسم أنه ذو الكبرياء، الذي يدل في اللغة على الامتناع والترفع، فالله ﷻ ـ لعظمته وجليل صفاته وأفعاله ـ قد امتنع عن كل نقص وترفّع عنه، والتاء في المتكبِّر ليست تاء التعاطي والتكلف كما هي في الأصل اللغوي للكلمة، وإنما هي تاء التفرد والاختصاص؛ لهذا جاءت تفاسير هذا الاسم كلها بالإشارة إلى اختصاص الله ﷻ بهذه الصفة وانفراده بها، وعدم استحقاق غيره لها إلا على الوجه المذموم، وأنها لا تُحمد إلا في حق الله ﷻ وحده لا شريك له[(٣)].

الحكم:

اسم (المتكبر) من الأسماء الحسنى الثابتة بنص القرآن الكريم وإجماع أهل العلم، وهو دالٌّ على وصف الله تعالى بالكبرياء، كما يليق بالله تعالى، دون تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الأدلة:

ورد اسم المتكبر في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما في الحديث القدسي: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»[(٤)].

---

(١) انظر: شأن الدعاء (٤٨) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٧) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٥) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٦٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٤، ٣٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير البغوي (٨/ ٨٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، وزاد المسير (٨/ ٢٢٧، ٢٢٨) [المكتب الإسلامي، ط٣]، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤٧) [دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٨/ ٨٠) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٩٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٥)، وشأن الدعاء (٤٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠).

أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «وربنا الجبار المتكبر، فقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ [الحشر: ٢٣]»(١).

وقال السعدي عند تفسير الآية: «اشتملت على أسماء الله الحسنى وأوصافه العلا»، وذكر منها: المتكبر، وقال: «الذي له الكبرياء والعظمة المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور»(٢).

وقال قوّام السُّنَّة الأصبهاني: «أثبت الله العِزَّة والعَظَمَة والقدرة والكِبر والقوة لنفسه في كتابه»(٣).

وقال ابن تيمية: «فالكبرياء والعظمة له بمنزلة كونه حيًّا قيومًا قديمًا واجبًا بنفسه، وأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه العزيز الذي لا ينال، وأنه قهار لكل ما سواه»(٤).

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: التكبّر من الصفات المختصة بالله ﷻ ولا تليق بأحد سواه:**

فالله ﷻ هو وحده الملك وما سواه مملوك، وهو وحده الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وحده وما سواه مخلوق، المتفرّد ﷻ بصفات الكمال والجمال والعظمة والجلال، لا يلحقه فيها نقص بحال من الأحوال.

وأما العبد فهو كاسمه عبد مملوك مربوب مخلوق، مقامه الذل والخضوع والعبودية لربه وحده لا شريك له.

وأعظم ما قد يتكبر عنه العبد تكبره عن عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، والخضوع والإذعان لأوامره تبارك وتعالى، كما هو شأن إمام المتكبرين إبليس، قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة].

فكان ذلك سببًا في هلاكه وشقائه في الدنيا والآخرة، وكان سبب في هلاك وشقاء كل من استكبر عن عبادة الله ﷻ وطاعته من الأمم والطغاة والعتاة الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم.

وقد توعّد الله كل مستكبر عن عبادته وطاعته، بالخلود في العذاب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٦﴾ [غافر].

وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته**»(٥).

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/٦٣).
(٢) تفسير السعدي (٨٥٤).
(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/١٩٦).
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٦/١٣٨).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب اللباس، رقم ٤٠٩٠)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤١٧٤)، وأحمد (١٤/٤٧٣) =

- **المسألة الثانية: معنى قوله ﷺ: «يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري»:**

لمّا كانت العظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة، لذلك جعلها بمنزلة الرداء - وهو أشرف -، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار.

كما أن الكبرياء لمّا كانت أعظم وأوسع من العظمة كانت أحق باسم الرداء، فإنه سبحانه الكبير المتعال[1].

۞ **الآثار:**

من علم أن الله ﷻ هو وحده المستحق لصفة التكبّر وآمن بمقتضى هذا الاسم تواضع لله ﷻ، ونفى عن نفسه أوصاف التعاظم والتعالي، فأخلص في عبادته لله، وتواضع لخلقه، ولم ير نفسه إلا عبدًا ذليلًا لخالقه ومولاه، وليس له على خلقه مزية ولا فضل إلا بما فضله ﷻ به من العلم أو الإيمان، أو الجاه والسلطان، فكل ذلك يرجع في حقيقته إلى ربه المنعم المتفضل وحده ﷻ.

= [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٢٨)، بلفظ: (فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣١١). وقد جاء الحديث عند مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٠) بلفظ: **«العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته»**.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/١٩٦، ٢٥٣)، والفوائد لابن القيم (١٨٢).

ومن أثر الإيمان بهذا الاسم أيضًا تحقق الخوف من حصول الوعيد الشديد الذي توعّد الله ﷻ ورسوله ﷺ كل متكبّر، كما مرّ في بعض الآيات السابقة، وفي قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[2]، فيبتعد العبد العاقل عن هذا الوصف المذموم.

۞ **المصادر والمراجع:**

١ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٢ - «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٣ - «التوحيد»، لابن خزيمة.

٤ - «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.

٥ - «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ - «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٧ - «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ - «الفوائد»، لابن القيم.

٩ - «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ - «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩١).

المتكلم

يراجع مصطلح الكلام

المتين

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والتاء والنون أصل صحيح واحد يدل على صلابة في الشيء مع امتداد وطول»[(١)].

والمتين بوزن (فعيل) صفة مشبهة، أصله الثلاثي: (متن) الدال على صلابة في الشيء مع امتداد وطول، يقال: مَتُن يمتن متانة فهو متين؛ إذا قوي واشتد وصلب، والمتن من الأرض ما صلب وارتفع وانقاد، وجمعه: مِتان ومتون، ومَتْنُ كل شيء ما ظهر منه.

والمتين من كل شيء: القوي الشديد، يقال: حبل متين، ورأي متين. ومتَّن الشيء: صيّره متينًا.

والمماتنة: المباعدة في الغاية، يقال: سار سيرًا مماتنًا؛ أي: بعيدًا، ويقال أيضًا: ماتن فلان فلانًا؛ إذا عارضه في جدل وخصومة[(٢)].

التعريف شرعًا:

المتين: هو القوي الشديد المتناهي في القوة والقدرة، الذي لا تتناقص قوته ولا تضعف قدرته، والذي لا يلحقه في أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب[(٣)].

ومن فسَّره بنفس معنى اسمه تعالى (القوي) لا يعني أنه مرادف له من كل وجه؛ فإن القوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة.

فالله ﷻ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين[(٤)].

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم (المتين)، وما دلَّ عليه من صفة المتانة؛ لدلالة القرآن الكريم على ذلك، ويجب إثبات ذلك لله تعالى، كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٩٧) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٤/٣٠٥، ٣٠٦) [الدار المصرية]، والصحاح (٦/٢٢٠٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٥٨) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥٩١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٨٥٣) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٥) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، شأن الدعاء (٧٧) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، فقه الأسماء الحسنى (١٥٥) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٤) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٩٩، ١٠٠) [دار الكتب العلمية]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٨) [دار الكتاب العربي، ط٢].

تعطيل، ولا تمثيل[(١)].

۞ الأدلة:

ورد اسم المتين في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أقرأني رسول الله ﷺ: «**إني أنا الرزاق ذو القوة المتين**»[(٢)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾: «الشديد»[(٣)]. قال ابن عثيمين معلقًا على قول ابن عباس المذكور: «أي: الشديد في قوته، الشديد في عزته، الشديد في جميع صفات الجبروت، وهو من حيث المعنى توكيد للقوي»[(٤)].

وقال ابن جرير الطبري: «والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ رفعًا على أنه من صفة الله جلَّ ثناؤه؛ لإجماع الحجة من القراءة عليه»[(٥)].

وقال البغوي: «﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ هو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة»[(٦)].

وقال ابن عثيمين: «في هذه الآية إثبات اسمين من أسماء الله، هما: الرزاق والمتين، وإثبات ثلاث صفات، وهي: الرزق والقوة، وما تضمنه اسم المتين»[(٧)].

وقال عبد العزيز السلمان: «ومن أسمائه تعالى المتين، والمتانة تدل على القوة، فالله تعالى بالغ القوة والقدرة»[(٨)]. وقال أيضًا: «وما يؤخذ من الآية إثبات المتانة وهي من الصفات الذاتية»[(٩)].

(١) انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٤٣) [دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ]، ومختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٤٤) [مطابع المدينة، ط١٣، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٥) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط٦، ١٤٢١هـ].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الحروف والقراءات، رقم ٣٩٩٣)، والترمذي (أبواب القراءات، رقم ٢٩٤٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٦/ ٢٨٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٢٩٨٣) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٤٩٣، رقم ٣٩٩٣) [مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ].

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (٩/ ٧٦٤٢) [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ]، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣١٣) [المكتبة العصرية، ١٤١٩هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١١٨) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، كما في الصحيح المسبور (٤/ ٣٩٢) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٥).

(٥) تفسير الطبري (٩/ ٧٦٤٢).

(٦) تفسير البغوي (٥/ ١٤٣) [دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٧) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٥).

(٨) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٤٤).

(٩) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (١٤٤) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط١١، ١٩٨٢م].

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: حكم الإخبار عن الله بأنه شديد:**

المتين معناه: الشديد، البالغ في الشدة والقوة غايتها، ولكن المتين من أسماء الله تعالى دون الشديد؛ لورود الأول في النص دون الثاني، ولكن يجوز الإخبار به؛ لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء، قال ابن عثيمين: «يجوز أن نخبر عن الله بأنه شديد، ولا نسمي الله بالشديد، بل نسميه بالمتين؛ لأن الله سمى نفسه بذلك»[(١)]. فباب الأسماء والصفات توقيفي، ويجب الوقوف في هذا الباب على ما جاء به الكتاب والسُّنَّة، ويجب التقيد بألفاظهما، ولا يتجاوز القرآن والحديث.

الفروق:

الفرق بين القوي والمتين:

هناك فرق بين اسم الله تعالى القوي والمتين؛ فإن المتين فيه زيادة معنى عن القوي؛ فالقوة تدل على القدرة التامة، والمتانة تدل على شدة القوة.

فالله ﷻ من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين[(٢)].

الثمرات:

إن الله قوي متين، بالغ في القوة والقدرة والشدة غايتها، وأي قوة مهما عظمت فلن تقابل قوة الله تعالى، فهو سبحانه لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه راد، فمن نصره الله فهو منصور، ومن خذله الله فهو مخذول، وهذا يوجب الخضوع لله، والانكسار بين يديه، والخوف منه، واللجوء إليه، والاعتصام به، والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، والتبرؤ من الحول والقوة إلا به سبحانه[(٣)]، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

قال ابن عثيمين: «الفائدة المسلكية في الإيمان بصفة القوة والرزق: أن لا نطلب القوة والرزق إلا من الله تعالى، وأن نؤمن بأن كل قوة مهما عظمت، فلن تقابل قوة الله تعالى»[(٤)].

الآثار:

لا شكَّ أن الله ﷻ قوي متين، ومن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٩٩، ١٠٠) [دار الكتب العلمية]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٨).

(٣) انظر: فقه أسماء الله الحسنى لعبد الرزاق البدر (١٥٧) [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٢٠٥).

شواهد قوته الكاملة وقدرته التامة المشار إليها في الآية المذكورة: أنه سبحانه تكفَّل بإيصال الرزق إلى جميع العالمين، ولا يستطيع ذلك أحد سواه، بل لا يستطيع أحد أن يضيق عطاء الله لأحد أو يمنع عنه ما أراد الله له، ولو اجتمع لذلك الخلق كله، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى[(١)].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض من فسّر هذا الاسم إلى أن إطلاق هذا اللفظ في حق الله مجاز، بناءً على أن المدلول اللغوي لهذا الاسم يدور حول الغلظة والشدة والصلابة، وهذا في حق الله محال؛ وإنما المراد به وصف الله بالقوة والمبالغة في ذلك[(٢)].

والصواب: أنه لا داعي لهذا التأويل؛ لأن حبر هذه الأمة فسّر المتين بالشديد، وكذلك وافقه على ذلك الكثير من الشراح والمفسرين، وهذا المعنى هو أحد المعاني المباشرة التي يدل عليها هذا الاسم في اللغة، وتفسيره باللازم مع دعوى أن حقيقته مجاز خطأ لا محالة؛ لأن الله ﷻ غاير بين الوصفين، فوصف نفسه بالقوة وبالمتن في هذه القوة، وهو يفيد كمال هذه الصفة والمبالغة فيها وحصول الغاية والنهاية فيها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٦ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٧ ـ «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «الكواشف الجلية عن معاني الواسطية»، لعبد العزيز السلمان.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

المثل الأعلى

التعريف لغةً:

المثل: قال ابن فارس: «الميم والثاء

---

(١) انظر: تفسير السعدي (١١٣) [دار الصميعي، ط١، ١٤١٨هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (١٢٨، ١٢٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢٩٩).

واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا؛ أي: نظيره، والمِثل والمِثال في معنى واحد»[(١)].

المثل: في اللغة يطلق على عدة معان؛ **أحدها**: الصفة، فمثل الشي: صفته. **الثاني**: الشبيه والنظير. **الثالث**: المثل المضروب، وهو القول السائر، الممثل مضربه بمورده غالبًا[(٢)].

الأعلى: قال ابن فارس: «العين واللام والحرف المعتل ـ ياء كان أو واوًا أو ألفًا ـ أصل واحد يدل على السمو والارتفاع لا يشذ عنه شيء، ومن ذلك: العلاء والعلو، ويقولون: تعالى النهار؛ أي: ارتفع»[(٣)].

الأعلى: أفعل تفضيل، وهو مشتق من الفعل علا، والأعلى: ذو العلاء والعُلا، والعلا: جمع اسم الأعلى، وهو بمعنى العالي، والعلاء: الشرف، وذو العلاء صحاب الصفات العلا[(٤)].

التعريف شرعًا:

المثل الأعلى: هو الصفة العليا، وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن مثل السوء هو العدم وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى: وهو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية، والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان أعلى من غيره»[(٥)].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولله المثل الأعلى؛ أي: الكمال المطلق من كل وجه، وهو منسوب إليه»[(٦)].

الحكم:

يجب إثبات المثل الأعلى لله عَزَّ وَجَلَّ، والإيمان به، وأنه مختص به، دون ما سواه، مع تنزيهه عن النقص والعيب، والتمثيل بالمخلوقات[(٧)].

الحقيقة:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن قلت: ما حقيقة المثل الأعلى؟ قلت: قد أشكل هذا على جماعة من المفسرين، واستشكلوا قول السلف فيه، قلت: المثل الأعلى يتضمن الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي،

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٢٩٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٩٥) [الدر المصرية للتأليف]، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٣٩)، والصحاح (٥/ ١٨١٦) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ].
(٣) مقاييس اللغة (٤/ ١١٢).
(٤) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١١٨، ١١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (٩/ ٣٨٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤١٩هـ].
(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٩٥) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ]
(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٤) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].
(٧) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٠) [مكتبة ابن تيمية، ط٢].

والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه»[(١)].

الأهمية:

معرفة المثل الأعلى من مُهِمَّات العقيدة؛ لأن الرب تبارك وتعالى تمدح بالتفرد به، وجعله طريقًا لمعرفته، وبرهانًا على توحيده، وأدلة التوحيد دائرة مع المثل الأعلى وجودًا وعدمًا، ولهذا جعل الله مثل السوء المتضمن لكل عيب ونقص للمشركين، وآلهتهم المزعومة، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لجميع صفات الكمال لله وحده، وهذا التلازم يدل على بطلان الشرك، وصحة التوحيد ضرورة[(٢)].

الأدلة:

وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى، فقال عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

أقوال أهل العلم:

قال البغوي رحمه الله: «ولله المثل الأعلى الصفة العليا، وهي التوحيد، وأنه لا إلٰه إلا هو، وقيل: جميع صفات الجلال، والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات، قال ابن عباس: مَثَل السوء: النار، والمثل الأعلى: شهادة أن لا إلٰه إلا الله»[(٣)].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «قد علمنا بطريق خبر الله عز وجل عن نفسه، بل وبطريق الاعتبار أن لله المثل الأعلى، وأن الله عز وجل يوصف بصفات الكمال، موصوف بالحياة والعلم والقدرة، وهذه صفات كمال، والخالق أحق بها من المخلوق، فيمتنع أن يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق»[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «ولما كان الرب هو الأعلى، ووجه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وهو أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان؛ لأنهما إن تكفآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل ونظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال، على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة»[(٥)].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٩٦ ـ ٣٩٨).

(٢) انظر: حقيقة المثل الأعلى لعيسى السعدي (١٢٠، ١٢١) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٣) تفسير البغوي (٣/٧٣) [دار المعرفة].

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٣٥٠).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٢/٣٩٦ ـ ٣٩٨).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: «وهو كل صفة كمال، والكمال من تلك الصفة، والمحبة، والإنابة التامة الكاملة في قلوب عباده المخلصين، والذكر الجليل، والعبادة منهم، فالمثل الأعلى: هو وصفه الأعلى، وما يترتب عليه»[(١)].

الثمرات:

معرفة الرب وعبادته هي الثمرة العظمى للمثل الأعلى، وهي ثمرة فطرية عقلية، فالإيمان بها مستقر في قرارة القلوب، وأدلتها ظاهرة في الأنفس والآفاق.

وكمال العلم بمثل الرب الأعلى وصفات كماله يثمر في حياة المؤمن صدق العبادة والاستعانة، وهما أصلا السعادة في الدنيا والآخرة، وكل نوع من صفات الكمال يثمر عبادات قلبية خاصة تدفع الجوارح لفعل الطاعة وترك المعصية، وتصونها عن الشرك بمظاهره وأنواعه[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد»، لسعود بن عبد العزيز العريفي.

٢ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٣ ـ «التدمرية»، ابن تيمية.

٤ ـ «التحفة المهدية شرح التدمرية»، لفالح آل مهدي.

٥ ـ «الجواب الصحيح» (ج٤)، لابن تيمية.

٦ ـ «حقيقة المثل الأعلى وآثاره»، لعيسى بن عبد الله السعدي.

٧ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٨ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، لابن القيم.

٩ ـ «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات»، لمحمد الأمين الشنقيطي.

١٠ ـ «المقارنة بين المثل الأعلى لله عَزَّ وَجَلَّ وبين قياس الأولى في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، لمحمد أبو سيف الجهني.

١١ ـ «النفي في باب صفات الله عَزَّ وَجَلَّ بين أهل السُّنَّة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي سعيداني.

المجد

يراجع مصطلح (المجيد).

المجيء والإتيان

التعريف لغةً:

المجيء: قال ابن فارس: «الجيم والياء والهمزة كلمتان من غير قياس بينهما. يقال: جاء يجيء مجيئًا. ويقال:

---

(١) تفسير السعدي (٧٥١) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ]، وانظر منه: (٥١٤).

(٢) انظر: حقيقة المثل الأعلى وآثاره (١٢٠، ١٢١).

جاءاني فجئته؛ أي: غالبني بكثرة المجيء، فغلبته. والجيئة: مصدر جاء. والجيئة: مجتمع الماء حوالي الحصن وغيره. ويقال: هي جِيّة؛ بالكسر والتثقيل»[(١)]. والمراد هنا هو المعنى الأول، فالمجيء في اللغة هو الإتيان، يقال: جاء يجيء مجيئًا، ويقال: جاءاني فجئته؛ أي: غالبني بكثرة المجيء فغلبته[(٢)].

والإتيان: الهمزة والتاء والواو أصل يدل على مجيء الشيء وإصحابه وطاعته، تقول: أتاني فلانٌ إتْيانًا وأَتْيًا وأَتْيَةً وأَتْوَةً واحدة[(٣)].

التعريف شرعًا:

المجيء والإتيان: صفتان فعليتان خبريتان، ثابتتان لله ﷻ بالكتاب والسُّنَّة، فهو سبحانه يجيء ويأتي يوم القيامة للفصل والقضاء بين عباده، بمشيئته وقدرته، وذلك كما يليق بجلاله وعظمته[(٤)].

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الحقيقة:

يوصف الله تعالى بالإتيان والمجيء حقيقة كما يليق بجلاله وعظمة سلطانه، مع انتفاء المماثلة بينه وبين خلقه، فهو سبحانه يأتي إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ويأتي إلى السماء الدنيا عشية يوم عرفة ويباهي بهم الملائكة، ويأتي يوم القيامة للقضاء بين عباده حقيقة، ولا يعلم كيفية إتيانه ومجيئه إلا هو سبحانه وتعالى؛ لأن الخوض في الكيفية خوض فيما لا مدرك للعقل فيه، ولا يمكن الوصول إليه، إلا بوحي منزل، وقد جاء القرآن والسُّنَّة بإثبات ذلك على المعلوم المعهود من لغة العرب، ولم يأت بذكر الكيفية، فوجب الكف عن الخوض فيها[(٥)].

الأدلة:

ما جاء بلفظ المجيء: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٢٥٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٢٥٥)، والصحاح (١/ ٤٢) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) مقاييس اللغة (١/ ٤١)، ولسان العرب (١/ ٣٦).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية لهراس (١١٢) [دار الهجرة]، والصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي (٢٤٨ ـ ٢٥٧) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط١، ١٤٠٨هـ]، وصفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة للسقاف (٤٥ و٣١٠) [دار الهجرة الرياض، ط٣].

(٥) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧)، والفتوى الحموية الكبرى (٤٥ ـ ٥٦) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ].

ما جاء بلفظ الإتيان: قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارُّون في القمر ليلة البدر؟**». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «**فهل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا، يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها** ـ شك إبراهيم ـ **فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه**» الحديث(١).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه قال: «**إذا تقرب العبد إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإذا تقرب إلي ذراعًا تقربت منه باعًا، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة**»(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفًّا صفًّا»(٤).

وقال أبو نعيم الأصبهاني: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥٣٦)، وأخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٧).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (٢٣٦) [الجامعة الإسلامية بالمدينة، ط٢، ١٤٢٧هـ].

والملائكة صفًّا صفًّا، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر]، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين ويعذب من يشاء»[1].

وقال أيضًا: «وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفًّا صفًّا، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر]، وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده، فيغفر لمن يشاء من مذنبي الموحدين ويعذب من يشاء»[2].

وقال أبو عثمان الصابوني في بيانه لعقيدة السلف: «وكذلك يثبتون ما أنزله الله عزَّ اسمه في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله عزَّ اسمه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر]»[3].

وقال ابن عبد البر: «وقول رسول الله ﷺ: «**يَنْزِل ربُّنَا إلى السماء الدنيا**»[4] عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر]، كلهم يقول: ينزل ويتجلّى ويجيء، بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلّى؟ وكيف ينزل؟ ولا من أين جاء؟ ولا من أين تجلّى؟ ولا من أين ينزل؟ لأنه ليس كشيءٍ من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شريك له»[5].

وقال ابن تيمية: «وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش. وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر»[6].

وقال ابن القيم: «وصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان، وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافيًا لإلٰهيتها»[7].

(١) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٥ ـ ٥٦) [دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) نقله عنه ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى (٤٥، ٥٦).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٩٤)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٥٨).

(٥) التمهيد (٧/١٥٣) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ١٣٩٩هـ].

(٦) مجموع الفتاوى (٥/٤٦٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٧) الصواعق المرسلة (٣/٩١٥، ٩١٦) [دار العاصمة الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: إثبات المجيء والإتيان لله تبارك وتعالى لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق:

إثبات المجيء والإتيان وعدُّها من صفات الله تعالى الفعلية الخبرية، لا يستلزم مماثلتها لمجيء الخلق وإتيانهم، بل هو إتيان ومجيء خاص به ﷻ لا يماثله فيه شيء، والاتفاق في الأسماء لا يستلزم الاتفاق في الصفات، والاتفاق في الاسم الكلي المطلق لا يستلزم الاتفاق بعد الإضافة والتقييد والتخصيص، فكما أن ذاته ﷻ لا يماثلها شيء من الذوات فكذلك صفاته تعالى لا يماثلها شيء لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

ـ المسألة الثانية: الإتيان والمجيء من الله تعالى نوعان: مطلق ومقيد:

إذا كان مجيء رحمته أو عذابه كان مقيدًا، كما في الحديث حتى جاء الله بالرحمة والخير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف]، والنوع الثاني: المجيء والإتيان المطلق؛ كقوله ﷻ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] وهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه[(١)].

ـ المسألة الثالثة: لا بد من النظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرائن والدلالات:

هذا أصل عظيم ونافع جدًّا في فهم الكتاب والسُّنَّة والاستدلال بهما، فالنصوص الدالة على مجيء الله تعالى وإتيانه سبحانه قد يراد بها مجيء الله وإتيانه، وقد يراد بها غير ذلك. قال ابن تيمية: «وينظر في النص الوارد، فإن دلَّ على هذا حمل عليه، وإن دلَّ على هذا حمل عليه، وهذا كما في لفظ الإتيان والمجيء، وإن كان في موضع قد دلَّ عندهم على أنه هو يأتي، ففي موضع آخر دلَّ على أنه يأتي بعذابه، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، وقوله: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] فتدبر هذا، فإنه كثيرًا ما يغلط الناس في هذا الموضع»[(٢)]. فالإتيان والمجيء قد يراد بهما إتيان الرب تعالى ومجيئه سبحانه، وقد يراد بهما إتيان عذاب الله أو آياته، فلا بد من النظر في النص الوارد في ذلك وما احتفت به من القرائن والأحوال والسياق والسباق.

۞ الآثار:

من آثار الإيمان بصفة الإتيان لله ﷻ الخوف من هذا المقام في ذلك المشهد

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٣٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ١٤).

العظيم الذي يأتي فيه الرب ﷻ للفصل بين عباده وتنزل الملائكة وتصطف، ولا منجى يومئذ إلا برحمة الله، فالإيمان بهذه الصفة يولد للإنسان رهبة وخوفًا من الله ﷻ واستقامة على دينه[(١)].

مذهب المخالفين:

المجيء صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية[(٢)].

ونفاة هذه الصفة يؤوِّلون النصوص الواردة فيها بظهور آياته أو إتيان بأسه وعذابه ونقمته، وهذا كله من التأويلات البعيدة يردها النظم القرآني؛ لأن الله تعالى ذكر في القرآن الكريم مجيئه ومجيء الملائكة، بل ذكر إتيانه وإتيان الملائكة وإتيان بعض آياته في آية واحدة، فإن كان الذي يأتي ملكًا فهو داخل في مجيء الملائكة، وإن كان شيئًا غير الملك فهو آية من آيات الله فيكون داخلًا في إتيان الآيات، ولذلك تفسير إتيان الرب في الآيات المذكورة بمجيء أمره وعذابه وآياته دون إتيان الرب ﷻ تفسير خاطئ وتأويل باطل، وكلام الله تعالى منزه عن الحشو والركاكة والتكرار المستهجن.

والقول الحق: أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنَّة على ذلك.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الحجة في بيان المحجة» (ج٢)، للتيمي.

٢ ـ «رسالة إلى أهل الثغر»، لأبي الحسن الأشعري.

٣ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ ـ «عقيدة السلف أصحاب الحديث»، للصابوني.

٦ ـ «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.

٧ ـ «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، لابن عثيمين.

---

(١) انظر: شرح الواسطية للعثيمين (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر من كتب أهل السُّنَّة: نقض الدارمي على المريسي (١٥٤ ـ ١٦١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ]، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٩)، وانظر من كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٢٢٩، ٢٣٠) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ]، وتفسير الكشاف للزمخشري (١/ ٤١٩ و٢/ ٤١٥ و٦/ ٣٧٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/ ١٠٠ و٣٥٤ و٤/ ٣٣٨).

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٥ و٦)، لابن تيمية.

٩ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، لابن القيم.

١٠ ـ «نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، للدارمي.

المجيد

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والجيم والدال أصل صحيح يدلُّ على بلوغ النهاية، ولا يكون إلا في محمود، منه المجد: بلوغ النهاية في الكرم، والله الماجد والمجيد، لا كرم فوق كرمه»[(١)].

وقال الجوهري: «المجد: الكرم، والمجيد: الكريم»[(٢)].

والمجيد: بوزن (فعيل) صيغة مبالغة من الثلاثي (مَجُدَ) الدالُّ على بلوغ النهاية والغاية في الشيء، ولا يكون إلا في المحمود، يقال: مَجُد يمجُد مَجدًا وتمجيدًا فهو ماجد ومجيد، وفلان ماجَدَ فلانًا في المجد فمَجَدَه؛ إذا غلبه في المجد، وهو: الشرف والنبل والسعة في المكارم والجلال، وتماجد القوم: إذا تفاخروا وأظهروا المجد فيما بينهم، وأمجد عطاءه ومجَّد؛ إذا كثَّره، والماجد والمجيد: الشريف الكثير الخير[(٣)].

التعريف شرعًا:

المجيد: من الأسماء الدَّالة على أوصاف كثيرة، ومعناه: ذو المجد، وهو السعة في الشرف والكرم والجود، فالله عز وجل هو المجيد في أوصافه وأفعاله وأقواله، فالمجد يرجع إلى عظمة أوصافه وكثرتها وسعتها، وإلى عظمة ملكه وسلطانه، وإلى تفرده بالكمال المطلق، والجلال المطلق، والجمال المطلق، ولا يمكن للعباد أن يحيطوا بشيء من ذلك كله[(٤)].

الحكم:

وجوب الإيمان بأن المجيد من أسماء الله الحسنى، وأن المجد صفة ذاتية ثابتة لله جل وعلا كما يليق بجلاله

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٩٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٢/٥٣٦) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/٦٨٢، ٦٨٣) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/٥٣٦، ٥٣٧) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٧٦٠، ٧٦١) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/٨٥٤) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٦، ٢٣٧) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٠٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩]، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٤٣١) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في الكتاب والسُّنَّة[(١)].

الحقيقة:

اسم الله المجيد يتضمن عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته[(٢)].

الأدلة:

ورد اسم المجيد في موضعين من القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾﴾ [هود]، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج].

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علَّمنا كيف نسلم عليكم، قال: **«قولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللَّهُمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن قتيبة: «مجد الله: شرفه، وكرمه»[(٤)].

وقال ابن الأثير: «المجد في كلام العرب: الشرف الواسع»، وقال عن اسم الله المجيد بأنه «يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم»[(٥)].

وقال ابن القيم: «وأما المجد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال؛ كما يدل عليه موضوعه في اللغة؛ فهو دالٌّ على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام، والله سبحانه ذو الجلال والإكرام، وهذا معنى قول العبد: (لا إلٰه إلا الله، والله أكبر)؛ فـ (لا إلٰه إلا الله) دال على ألوهيته وتفرده فيها، فألوهيته تستلزم محبته التامة، و(الله أكبر) دالٌّ على مجده وعظمته، وذلك يستلزم تمجيده وتعظيمه

---

(١) انظر: صفات الله عز وجل للسقاف (٣١٠) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ] ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٨١) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٢٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٧٠)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٦).
وانظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩ ـ ٨٢) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩].

(٤) غريب القرآن (١٩) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢٩٨) [المكتبة العلمية، بيروت].

وتكبيره؛ ولهذا يقرن سبحانه بين هذين النوعين في القرآن كثيرًا؛ كقوله: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود]»[(١)].

وقال السعدي: «(المجيد) الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه، الحكيم الكامل في حكمته، إلى بقية أسمائه وصفاته»[(٢)]. وقال أيضًا: «هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: اسم الماجد.

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بالحديث القدسي الذي فيه: **«يقول الله تعالى: إني جواد ماجد واجد، إنما أمري إذا أردت شيئًا أن أقول له كن فيكون»**[(٤)].

ومـمـن أورد هذا الاسم ابن منده، والأصبهاني، وابن تيمية[(٥)].

والصحيح: أن الاسم لا يثبت لعدم صحة إسناد الرواية التي ورد فيها ذكر هذا الاسم، والله أعلم.

ـ المسألة الثانية: اقتران المجيد باسم الحميد:

ورد في بعض النصوص اقتران اسم الجلال المجيد باسمه الحميد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالحمد يتناول جنس المحامد، والثناء يقتضي تكريرها وتعديدها والزيادة في عددها، والمجد يقتضي تعظيمها وتوسيعها والزيادة في قدرها وصفتها، فهو سبحانه مستحق للحمد والثناء والمجد، ولا أحد يحسن أن يحمده كما يحمد نفسه، ولا يثني عليه كما يثني على نفسه، ولا يمجّده كما يمجّد نفسه»[(٦)].

---

(١) جلاء الأفهام (٣٦٧) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ].

(٢) الحق الواضح المبين (٢٢٨) [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٣) تفسير السعدي (٥/٦٢٢)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٩٥) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٧)، وأحمد (٣٥/٢٩٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٥٣٧٥)، والحديث أصله في صحيح مسلم، وليس فيه جملة: (إني جواد ماجد).

(٥) انظر: التوحيد لابن منده (٢/١٧٨) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط٢]، والحجة في بيان المحجة (١/١٦٢) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، ودرء التعارض (٤/١٨) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].

(٦) درء التعارض (٤/١٧، ١٨)، وانظر: التبيان في أقسام القرآن (١٢٥، ١٢٦) [دار إحياء العلوم، ط١، ١٤٠٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٩٠) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

ـ المسألة الثالثة: ختم التشهد باسم المجيد:

أشار الإمام ابن القيم إلى المعنى اللطيف الذي من أجله خُتم التشهد باسمه تعالى: المجيد، فقال: «وتأمَّل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله؛ كما علَّمناه ﷺ؛ لأنه في مقام طلب المزيد؛ والتعرُّض لسعة العطاء وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسمٍ يقتضيه»[(١)].

لأن المجد يدلُّ على كثرة أوصاف الكمال، وكثرة أفعال البر والخير، وتعدد العطايا والنوال، فناسب أن يكون ذلك ختامًا لأحد أعظم المطالب.

الفروق:

الفرق بين الماجد والمجيد:

الفرق بين الماجد والمجيد حصول المبالغة في معنى المجيد الذي هو مطابق لمعنى الماجد، لغة.

الآثار:

أثر هذا الاسم على العبد يتجلى في أن يَعْظُم الله ﷻ في قلبه، بما استحقه تعالى من كمال الصفات وجلال النعوت وجمال الفعال والخصال.

وعلى العبد أن يكون في قوله وفعله مترفعًا عن النقائص والعيوب؛ طلبًا لحصول الكمال، وحتى يصل بتوحيده إلى الفردوس الأعلى في درجة الأنبياء والصدِّيقين والشهداء والأبرار والصالحين.

المصادر والمراجع:

١ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٤)، لابن تيمية.

٢ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيم.

٣ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٤ ـ «تفسير السعدي».

٥ ـ «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.

٦ ـ «شرح القصيدة النونية المسمَّاة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، للسعدي.

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ ـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، لابن القيم.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

١٠ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن حمود النجدي.

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٤) [دار الخير، ط١، ١٤١٤هـ].

محاسبة الكفار

يراجع مصطلح (الحساب).

المحب

يراجع مصطلح (المحبة).

المحبة

التعريف لغةً:

الحاء والباء أصل يدلُّ على اللزوم والثبات، ومنه: الحُبُّ، والمحبة، فالحب اشتقاقه من أحبه؛ إذا لزمه[١].

والحُبُّ: نَقِيضُ البُغْضِ. والحُبُّ: الودادُ والمَحَبَّةُ. وأَحَبَّهُ فهو مُحِبٌّ، وهو مَحْبُوبٌ[٢].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى، لا يعتريه نقص، ولا يرد عليه تشبيه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، إلا أن المعنى الشرعي المتعلق بوصف الله تعالى هو على غاية الكمال، فلا نقص فيه بوجه من الوجوه، وليس فيه أي معنى من معاني الاحتياج والافتقار إلى المحبوب.

الحكم:

وجوب إثبات المحبة وصفًا فعليًّا لله ﷻ على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، بلا تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل[٣].

الحقيقة:

حقيقة المحبة معروفة محسوسة، لا يُفسرها شيء مثل لفظها، فهو سبحانه يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين، ومحبته ﷻ سالمة من عوارض المحبة للمخلوق؛ من كونها محبة حاجة أو تملق أو انتفاع[٤].

فهي صفة فعلية ثابتة لله تعالى، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه، وهذا تفضل وإنعام على من أحبه، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى، لا يعتريه نقص، ولا يرد عليه تشبيه.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٢٦).

(٢) لسان العرب (١/ ٢٨٩)، القاموس المحيط (٩٠).

(٣) انظر: نقض الدارمي على بشر المريسي (٢/ ٨٦٨)، الرسالة التدمرية (١٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦).

(٤) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٥٦)، بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٨٢)، الحق الواضح المبين لابن سعدي (٦٩)، وشرح العقيدة الواسطية لصالح الفوزان (٤٥).

وقد فسَّر أهل العلم من السلف محبة الله بلفظها ومعناها دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه[(١)]. قال ابن القيم: «محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق؛ من كونها محبة حاجة إليه أو تملق له أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها»[(٢)].

الأدلة:

أما أدلة الكتاب الكريم: فمنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة]، وأيضًا ورد في آيات عدة أنه يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المتقين.

ومن السُّنَّة المطهرة: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»**[(٣)].

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**إنَّ الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي**»[(٤)].

أما الإجماع: فقد حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام»[(٥)].

أقوال أهل العلم:

ذكر النسائي بعض ما يوصف الله تعالى به فقال: «الحب والكراهية»[(٦)]، وقال: «الحب والبغض»[(٧)]، وذكر الأدلة في إثبات ذلك.

وقال الدارمي في ردِّه على المريسي إنكاره بعض الصفات ومنها الحب: «وسنقص عليه بعض ما روي في بعض هذه الأبواب من الحب والبغض والسخط والكراهية وما أشبهه»[(٨)]، ثم ذكر الأدلة.

وقال أبو العباس ابن تيمية: «ووصف نفسه بالمحبة ووصف عبده بالمحبة

(١) انظر: تفسير الطبري (٦/ ١٨٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٥٨).

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١١٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٠٩)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٦٥).

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢/ ٣٥٤).

(٦) كتاب النعوت (٣٥٩).

(٧) المصدر السابق (٣٦٣).

(٨) نقض الدارمي على بشر المريسي (٢/ ٨٦٨).

فقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] ومعلوم أن مشيئة الله ليس مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته، ولا محبته مثل محبته، ولا رضاه مثل رضاه»[1].

وقال ابن أبي العز: «ولكن محبة الله وخلَّته، كما يليق به تعالى، كسائر صفاته»[2].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: إطلاق اسم (المُحب) على الله:

اشتق بعض أهل العلم من صفة المحبة اسمًا لله وهو (المحب)، والمحب (مُفعِل) من أبنية اسم الفاعل، من: أحب يحبّ حبًّا ومحبة فهو محبّ.

ولا يصح إطلاق اسم المُحبّ على الله ﷻ، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلًا يصح اسمًا، والله أعلم[3].

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. ومن المعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية، ولم يثبت نص صحيح في إثباته اسمًا لله تعالى، ولم يرد هذا الاسم في أي من طرق حديث تعيين الأسماء المشهور[4].

ولم يورد هذا الاسم من أهل العلم سوى ابن العربي المالكي[5]، والشرباصي[6].

ـ المسألة الثانية: علامة محبة العبد لله تعالى:

أن يحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يسخطه الله، فيمتثل أوامره، ويجتنب مناهيه، ويوالي أولياءه، ويعادي أعداءه[7].

ـ المسألة الثالثة: من أسباب محبة الله تعالى لعبده أمور عدة:

أ ـ اتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران].

ب ـ عبادة الله وحده لا شريك له وعدم الإشراك به.

ج ـ فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ومن ذلك:

---

(١) الرسالة التدمرية (١٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٣٩٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٦) [دار الكتب العلمية، ط١]، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (١٠٩، ٢٤١) [أضواء السلف، ط١].

(٤) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٧٩ ـ ٨٤).

(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٦).

(٦) انظر: موسوعة (له الأسماء الحسنى) (٢/) [دار الجيل، ط٣، ١٩٩٦م].

(٧) انظر: أعلام السُّنَّة المنشورة للحكمي (٩)، ومعارج القبول له (٢/ ٤٢٤).

توبة العبد إلى الله تعالى، والتطهر، والثبات أمام العدو، وغيرها من الأمور.

د ـ التقرب إلى الله تعالى بالنوافل مع فعل الواجبات.

هـ ـ دوام ذكر الله تعالى، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم، وصراطها الأقوم[(١)].

الفروق:

الفرق بين الإرادة والمحبة:

الإرادة قد تكون للشيء دون رضًا له، بخلاف المحبة التي تقتضي الرضا عن المحبوب دومًا.

فما أراده الله تعالى قضاءً وقدرًا ليس من لازمه أن يحبه ويرضاه، وذلك راجع للحكمة البالغة التي يكون بها فعل الله تعالى وتقديره، فالإرادة ملازمة للحكمة، فما أراده الله تعالى فهو غاية الحكمة، والحكمة حين تتعلق بإيجاد شيء مبغوض في نفسه فهذا يعني أنه مراد لغيره، وما يحصل من إيجاده من حكم وغايات محمودة خارجة عنه، كخلق إبليس، فالله أراد إيجاده لحكم يريدها، وإن كان هو في نفسه مبغوضًا إلى الله تعالى.

فالإرادة والمحبة بينهما من الاتفاق والاختلاف ما يرجع تحديده إلى دلالة السياق.

فما يقع في هذا الوجود فهو مما أراده الله ﷻ كونًا، سواء أحبه أو لم يحبه.

وما أراده الله شرعًا فهو ما يحبه ويرضاه سواء وقع أو لم يقع[(٢)].

الثمرات:

١ ـ ما يورثه التفكر في الصفة من زيادة محبة لله ﷻ؛ فهو مع غناه وعظمته سبحانه يحب عبده المتقي، بل يحب عبده المذنب المقصر في حقه حين يعود إليه ويتوب! فسبحانه من رب رؤوف رحيم، جعل السبيل إلى محبته اليسير من القول والعمل، ولكن العباد يجنون على أنفسهم بالبعد والإعراض.

٢ ـ مسارعة المؤمن في أسباب محبة الله تعالى للعبد، وخاصة حين يعلم مدى اليسر والسهولة فيها، مما فيه الدلالة الظاهرة على لطف الله تعالى، ورحمته بعباده.

٣ ـ إلحاح المؤمن في الدعاء أن يرزقه الله تعالى محبته، والرضا عنه، كما في الحديث: «**أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب**

---

(١) انظر: الزهد والورع لابن تيمية (٤٣)، والوابل الصيب لابن القيم (٦١)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/٨)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/٢٨٧).

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (١/٤٢٣)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٨/١٨٨)، ومدارج السالكين (١/٢٥١).

إلى حبك»[١].

٤ ـ التعبد لله ﷻ بمحبة كل ما يحبه الله، ومن يحبه الله، وبغض كل ما يبغضه الله سبحانه، ومن ذلك موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

٥ ـ تواضع كل المحبوبات والمرغوبات أمام محبة الله تعالى، فيطيب المؤمن عيشًا بذلك، ويزكو نفسًا، فليس دون محبة الله ﷻ شيء يزاحم مطلبه الأعلى، ومقصده الأسمى.

الآثار:

١ ـ القلوب الطاهرة والنفوس المطمئنة التي سمت وعلت بمحبة الله تعالى، فكانت نورًا يضيء للسالك الطريق، وشاهدًا جليًّا على أن العزة والرفعة لمن أحبه الله ﷻ.

٢ ـ شرع الله تعالى اليسير الموصل إلى أعظم ما يقصده المؤمنون، وهو محبة الله تعالى.

٣ ـ التوفيق والحفظ والنصر والعاقبة الحسنة التي يجعلها الله تعالى للمؤمنين مما هو ظاهر الدلالة على محبته لهم.

٤ ـ عاقبة السوء والهلاك الواقع على الظالمين؛ وهذا من عدم محبة الله تعالى لهم؛ فهو سبحانه لا يحب الظالمين، ولا يحب الكافرين، ولا يحب المعتدين.

مذهب المخالفين:

المحبة: صفة من الصفات الفعلية الاختيارية التي أنكرها منكرو الصفات بالكلية من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة المعطلة، كما أنكرها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية، وهذا بناء على ما أصَّلوه في نفي الصفات، بحجة التشبيه والتجسيم.

وقالوا في المحبة: إنها ضعف ولين في القلب، وإنها ميل المحب إلى ما يناسبه، والله تعالى منزه عن ذلك، فالله ﷻ عندهم لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، وأوّلوا نصوص الكتاب والسُّنَّة التي تذكر المحبة بإرجاعها إلى الإرادة؛ فيفسرون المحبة بإرادة الإنعام أو إرادة الرحمة[٢]. أو بإرجاعها إلى صفة الكلام فتكون محبة الله لعباده الله هي مدحه إياهم وثناؤهم عليهم[٣]، فأوَّلوا المحبة بإرادة الثواب كما هو عند الأشاعرة، أو إلى نفس الثواب المعطى للمحبوب كما هو عند المعتزلة[٤].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد (٣٦/ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، ونقل عن البخاري أنه قال فيه مثل ذلك.

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٣٣).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٢٩ و٦/ ٣٥٠).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٦٨٠) تفسير قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه)، ومفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٢٣) تفسير قوله تعالى: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير).

وهو تأويل باطل، فالمحبة لها حقيقة غير حقيقة الإنعام والرحمة وإن كان بين هذه الصفات دلالات تضمُّن واستلزام.

الرد عليهم:

أن أهل الحق يثبتون المحبة صفة حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصًا ولا تشبيهًا، كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته[(١)].

وأما تأويلهم لها بصفة الإرادة أو بالثواب نفسه، فيقال لهم: يلزمكم في إثبات الإرادة نظير ما يلزمكم في إثبات المحبة؛ لأن للمخلوق إرادة، فإثبات الإرادة لله تعالى يستلزم التشبيه على قاعدتكم، وإذا فسَّرتموها بالثواب، فالثواب مخلوق مفعول لا يقوم إلا بخالق فاعل، والفاعل لا بد له من إرادة الفعل، وإثبات الإرادة مستلزم للتشبيه على قاعدتكم.

ثم يقال: إثباتكم إرادة الثواب أو الثواب نفسه مستلزم لمحبة العمل المثاب عليه، ولولا محبة العمل ما أثيب فاعله، فصار تأويلكم مستلزمًا لما نفيتم؛ فإن أثبتموه على الوجه المماثل للمخلوق ففي التمثيل وقعتم، وإن أثبتموه على الوجه المختص بالله واللائق به أصبتم ولزمكم إثبات جميع الصفات على هذا الوجه[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٢ ـ «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين»، للسعدي.

٣ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لصالح الفوزان.

٤ ـ «قاعدة في المحبة»، لابن تيمية.

٥ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٦ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٧ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة التيمي.

٨ ـ «تقريب التدمرية»، لابن عثيمين.

٩ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

١٠ ـ «نقض الدارمي على بشر المريسي».

المُحَدَّث

التعريف لغةً:

المُحَدَّث: اسم مفعول من الفِعل الثلاثي المزيد المبني للمجهول (حُدِّث)، من (التحديث)؛ يعني: الكلام. و(الحديث) هو: الخبر، قليلًا كان أو كثيرًا؛ فهو كلامٌ يحدث منه الشيء بعد الشيء، ومنه قولهم: رجل حِدْث نساء؛

(١) شرح الواسطية للهراس (١٣٥).

(٢) انظر: تقريب التدمرية (٢٧).

إذا كان يتحدَّث إليهنَّ[١].

التعريف شرعًا:

المُحَدَّث: «هو الذي يُحَدَّث في سِرِّه وقلبه بالشيء؛ فيكون كما يُحَدَّث به»[٢].

سبب التسمية:

سمّي المُحَدَّث بهذا الاسم؛ لأنه يخبر بما يلقى في رُوعه من الحديث؛ فكأن غيره ـ من الملائكة أو الملأ الأعلى ـ حدّثه بشيء فقاله؛ فهو يُكلَّم ويُحَدَّث من غيره.

الأسماء الأخرى:

المُحَدَّث هو: المُلهَم، والمتفرِّس، والمتوسِّم.

الحكم:

التحديث ليس حجة شرعيّة تعارض به نصوص الكتاب والسُّنَّة، أو تبنى عليه الشرائع والأحكام؛ وإنّما هو صالح للاستئناس والاستشهاد به، لا أنّه عمدة وأصل؛ فهو يستدلّ له بالكتاب والسُّنَّة لا به!

فالمُحدَّث ـ وغيره من البشر ممن ليس بنبي ـ ليس معصومًا من الغلط، ولا يجب على المسلم قَبول ما يقوله إن لم يدل عليه الكتاب والسُّنَّة، بل هو لا يجوز له العمل بما يلقى في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسُّنَّة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك رده؛ لأنّه لا يتيقن أنّه من عند الله تعالى، وقد يكون من دسيسة الشّيطان! وهذا كان حال عمر رضي الله عنه؛ فلم يكن يعتبر آراءه حقًّا وصوابًا؛ بل كان يتهم نفسه ولا يبرّئها من الخطأ.

«وبالجملة؛ فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام: أنَّه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرّب إليه به ـ من فعل وترك ـ إلا عن طريق الوحي. فمن ادّعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربّه عن الرسل وما جاؤوا به، ولو في مسألة واحدة؛ فلا شكّ في زندقته. والآيات والأحاديث الدالة على هذا لا تحصى»[٣].

الحقيقة:

المُحدَّث: هو الرجل المُلهَم المُخاطَب، الصادق الظنّ، المصيب، الذي ألقي في رُوعه الصّواب والحقّ من قبل الله تعالى أو الملأ الأعلى؛ فيخبر به حدسًا وفراسة ـ ولا يعلم أنَّه من عند الله تعالى ـ فيكون كالذي حدَّثه غيره بشيء فقاله[٤].

---

(١) انظر: الصحاح (١/٢٧٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٢/٣٦) [دار الفكر، ط٢].

(٢) مدارج السالكين (١/٣٩) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٤/٢٠٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٤) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي (١٤/٨٣) [المكتب =

التَّحديث هو المرتبة الرابعة من مراتب هداية الله تعالى لخلقه ـ بعد: التكليم يقظة بلا واسطة، والوحي، وإرسال الرسول الملكيّ؛ وثلاثتها لا تكون إلا للأنبياء ـ، وهو دون مرتبة الوحي الخاصّ، بل هو إلهام خاص ـ وهو: الوحي لغير الأنبياء ـ، يخص الله به من يشاء من عباده، تفضّلًا وتكرّمًا.

وقد اشتهر به من بين الصحابة رضي الله عنهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وعليه نصَّ الحديث؛ فهو أول المُحَدَّثين والمُخاطَبين الملهَمين من هذه الأمّة وسيّدهم وأفضلهم، وخصه النبي صلى الله عليه وسلم بالذِّكر دون غيره؛ لكثرة إصاباته وإلهاماته التي وافق فيها الحق.

وليس هذا خاصًّا بعمر رضي الله عنه؛ فإمكان تحقق ووجود التّحديث والإلهام في غيره وارد ومعروف.

= الإسلامي، دمشق، ١٤٠٣هـ]، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٣٥٠) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٤٧٦، ٢٠/ ٤٦، ٢٤/ ٣٧٧)، والجواب الصحيح لمَن بدَّل دين المسيح (٢/ ٤٠١) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]، وجامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٩٩) [مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ]، وإعلام الموقعين (٤/ ١٤٢) [دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م]، وبدائع الفوائد (١/ ٨٠) [مكتبة نزار الباز، ط١، ١٤١٦هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٥٠) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وفيض القدير للمناوي (٤/ ٥٠٧) [دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ]، وعقيدة خَتم النُّبوَّة لأحمد بن سعد الغامدي١٢٤ [دار طيبة، ط١، ١٤٠٥هـ].

المنزلة:

مرتبة التحديث ذات منزلة عالية، لكنها دون مرتبة الصدّيقيّة؛ فالصِّدِّيق الذي يأخذ من مشكاة النّبوة أكمل وأفضل وأتم مقامًا من المُحَدَّث؛ لأنّه استغنى ـ بكمال صدّيقيته ومتابعته، وكمال مشربه من حوض النّبوة، وتمام رضاعه من ثدي الرّسالة ـ عن التّحديث والإلهام والكشف؛ فالصّدّيق سلّم قلبه وسرّه وظاهره وباطنه للرَّسول المعصوم صلى الله عليه وسلم الذي لا يتطرّق إليه الخطأ؛ فاستغنى به عمّا دونه؛ فالذي يتلقّاه من مشكاة النبوّة أتمّ مما يتلقاه غيره من التّحديث!

الأدلة:

دلَّ على ثبوت التحديث: ما ثبت في الصحيحين؛ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنّه عمر**»، زاد مسلم: قال ابن وهب [وهو أحد رواة الحديث عنده]: «تفسير مُحَدَّثون: مُلهَمون»[1].

وفي رواية للبخاري: «**لقد كان فيمن كان قبلَكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء؛ فإن**

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٨٩)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٣٩٨)، من حديث عائشة.

يكن من أمّتي منهم أحد فعمر»[١].

أقوال أهل العلم:

قال الطحاوي: «معنى قوله ﷺ: «محدَّثون» أي: مُلهمون، وكذلك يُحدَّثون؛ أي: يُلهمون حتى تنطق ألسنتهم بالحكمة كما كان لسان عمر رضي الله عنه ينطق بما كان ينطق به منها»[٢].

- وقال الآجري: «ومعناه - أي: حديث الباب - عند العلماء - والله أعلم -: أن الله عز وجل يلقي في قلبه الحق، وينطق به لسانه، يلقيه الملك على لسانه وقلبه من الله عز وجل خصوصًا خصَّ الله الكريم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال علي رضي الله عنه: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر[٣]»[٤].

وقال ابن تيمية: «يجب على المحدَّث المُلهَم المكاشف من هذه الأمّة أن يزن ذلك بالكتاب والسُّنَّة، فإن وافق ذلك صدَّق ما ورد عليه، وإن خالف لم يلتفت إليه؛ كما كان يجب على عمر رضي الله عنه - وهو سيد المحدَّثين - إذا ألقي في قلبه شيء وكان مخالفًا للسُّنَّة لم يقبل منه؛ فإنّه ليس معصومًا؛ وإنّما العصمة للنبوّة. ولهذا كان الصّدّيق أفضل من عمر؛ فإنّ الصّدّيق لا يتلقى من قلبه؛ بل من مشكاة النّبوة - وهي معصومة -، والمحدَّث يتلقّى تارة عن قلبه، وتارة عن النّبوة، فما تلقاه عن النّبوة فهو معصوم يجب اتّباعه، وما ألهم في قلبه: فإن وافق ما جاءت به النّبوة فهو حق، وإن خالف ذلك فهو باطل»[٥].

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: زيادة: (ولا مُحَدَّث) بعد (ولا نبيّ) في قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ **في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما:**

روى إسحاق بن راهويه في مسنده وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنَّه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾ [الحج] بزيادة: (ولا مُحَدَّث) بعد (ولا نبيّ)[٦]. والآية - على هذه

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، بعد الحديث رقم ٣٦٨٩).

(٢) شرح مشكل الآثار (٤/٣٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٣٨٠)، وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٢/٥٨٢) [دار ابن القيم، ط١] وغيرهما.

(٤) الشريعة للآجري (٤/١٨٩١) [دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) مجموع الفتاوى (٢٤/٣٧٧)، بتصرُّفٍ يسير.

(٦) أخرجه البخاري معلَّقًا مجزومًا (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٣/١٦) [المكتبة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ]، ووصلَه: إسحاقُ بن راهويه في مسنده (٢/٤٨٠) [مكتبة الإيمان بالمدينة المنوَّرة، ط١، ١٤١٢هـ]، والطحاويُّ في شرح مشكل الآثار (٤/٣٤١) [مؤسسة الرسالة، بيروت، =

القراءة ـ مشكلة؛ إذ معناها: أنّ المُحَدَّث مرسل من عند الله تعالى أو يوحى إليه!

والجواب: «هذه القراءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة، ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول الدين. وإن كانت صحيحة؛ فالمعنى: أنّ المُحَدَّث كان فيمن كان قبلنا وكانوا يحتاجون إليه، وكان ينسخ ما يلقيه الشيطان إليه كذلك، وأمة محمد ﷺ لا تحتاج إلى غير محمد ﷺ»[1].

ـ المسألة الثانية: كون عمر بن الخطاب رضي الله عنه محدَّثًا:

تقدم أن التحديث: إلهام خاص، يخص الله به من يشاء من عباده، تفضلًا وتكرمًا.

وقد اشتهر به من بين الصحابة رضي الله عنهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وعليه نصَّ الحديث الذي أخرجه الشيخان في «صحيحيهما» أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**»[2]؛ قال الحميدي معقبًا على هذا الحديث: «المُلْهَم للصواب. تفرد بهذه الفضيلة عمر، لم يشركه فيها غيره»[3]، فهو أول المُحَدَّثين والمُخاطَبين الملهَمين من هذه الأمة وسيدهم وأفضلهم، وخصَّه النبي ﷺ بالذكر دون غيره؛ لكثرة إصاباته وإلهاماته التي وافق فيها الحق.

ـ المسألة الثالثة: التزام المحدَّث بشريعة النبي ﷺ وعدم الخروج عليها:

لا يسع أحدًا ـ مهما كان حاله ومنزلته ـ الخروج عن شريعة النبي ﷺ وأحكام الدين، ولا أن يعارضها بكشف أو تحديث أو إلهام، أو يبني على ذلك شرائع أو أحكامًا؛ فرأيه يستدل له لا به؛ إذ «غير المعصوم لا ثقة بخواطره؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان! وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الخواطر والإلهامات»[4].

فجميع المكلفين مأمورون بوزن أقوالهم وأعمالهم واعتقاداتهم بالكتاب والسُّنَّة، بما فيهم المُحَدَّث المُلهم عمر رضي الله عنه؛ فما وافقها قُبل وعمل به، وإلا رُدَّ ولم يلتفت إليه، فكيف بمن دون عمر!؟

فالواجب «على جميع الخلق: اتباع

= ط١، ١٤١٥هـ]، من حديث عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصحّح الحافظ ابن حجر إسنادَه إلى ابن عباس رضي الله عنهما في الفتح (٧/ ٥١) [دار المعرفة].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيميَّة (١٥٩). وانظر: شرح مشكل الآثار (٤/ ٣٤٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ٨٠)، وعقيدة خَتم النُّبوَّة للغامدي (١٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب أهل السُّنَّة (٩٨) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٤/ ٢٠٤).

الرسول ﷺ وطاعته في جميع أموره الباطنة والظاهرة، ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسُّنَّة؛ لكان مستغنيًا عن الرسول ﷺ في بعض دِينه! وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول ﷺ كالخضر مع موسى، ومن قال هذا فهو كافر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٢﴾ [الحج]؛ فقد ضمن الله للرسول والنبي أن ينسخ ما يلقي الشيطان في أمنيته ولم يضمن ذلك للمُحَدَّث»[١].

ـ المسألة الرابعة: كثرة المحدثين في الأمم السابقة، وقلَّتهم في هذه الأمة:

يقول رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنّه عمر**»[٢]؛ فالنبي ﷺ جزم بوجود المحدَّثين في الأمم السابقة، وتعليقه وجودهم في أمته بحرف الشرط (إن) يدل على كمال أمته على من قبلهم ـ لا نقصانها ـ باستغنائها بالوحي عن التَّحديث، وأنّها أفضل الأمم؛ «فإنّها لكمالها وكمال نبيّها ﷺ وكمال شريعته لا تحتاج الى مُحدَّث؛ بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد، لا أنّه عمدة؛ لأنها في غنية ـ بما بعث الله تعالى به نبيّها ﷺ ـ عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث! وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المُحدَّثون. وهذا دالٌّ على أنّ رسول الله ﷺ أكمل خلقه، وأكملهم شريعة، وأنّ أمته أكمل الأمم»[٣].

الفروق:

الفرق بين النبيّ والمُحَدَّث[٤]:

النبي: يوحى إليه بوحي يعلم يقينًا أنّه وحي من عند الله تعالى؛ فلا يحتاج إلى عرضه على وحي سابق لبيان صحته. وهو معصوم من الخطأ في التبليغ عن الله ﷻ، وإن أخطأ ـ برأيه واجتهاده ـ نزل عليه الوحي بالحق والصواب.

أما المُحَدَّث: فهو المُلْهَم المُخَاطَب، الذي يُحَدَّث في سره وقلبه بالشيء؛ فيكون كما يُحَدَّث به، ولا يعلم أنه من عند الله تعالى.

ـ الفرق بين التَّحديث والإلهام:

يشترك التَّحديث والإلهام في أنّ كلًّا

(١) المرجع السابق (١١/ ٦٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) مفتاح دار السَّعادة (٢/ ١٨٢)، بتصرُّف. وانظر: مدارج السالكين (١/ ٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦)، والجواب الصحيح (٢/ ٣٨٢)، والصَّفديَّة (١/ ٢٥٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٥٠).

(٤) انظر: عقيدة خَتم النُّبوَّة للغامدي (١٢٤).

منهما موهبة مجردة لا تنال بكسب ألبتة. ويفترقان في أنّ الإلهام أعم من التَّحديث؛ فهو عام للمؤمنين بحسب إيمانهم؛ فكل مؤمن قد ألهمه الله رشده الذي حصل به الإيمان. أمّا التحديث فهو إلهام خاص لا يكون لكلّ أحد. فبين الإلهام والتَّحديث عموم وخصوص؛ فكل تحديث هو إلهام، من غير عكس[1].

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتبة على منزلة التَّحديث في الشَّرع ومدى حجيتها، وتفضيل مرتبة الصّديقية عليها: أنَّه على قدر متابعة العبد للكتاب والسُّنَّة يكون قدر الولاية لله؛ فكلّما كان الولي أعظم اختصاصًا بالرسول وأخذًا عنه وموافقة له كان أفضل؛ إذ الولي لا يكون وليًّا لله إلا بمتابعة الرسول باطنًا وظاهرًا[2]؛ ولذا كان الصّديق أفضل وأكمل وأتم مقامًا من المُحَدَّث.

ومن الثمرات أيضًا: أنّ قول النبي ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فإنّه عمر**»[3]، وجزمه بوجود المحدَّثين في الأمم السابقة، وتعليقه وجودهم في أمته بحرف الشرط (إن)؛ يدل على: كمال أمته على من قبلهم ـ لا نقصانها ـ باستغنائها بالوحي عن التَّحديث، وأنها أفضَل الأمم؛ «فإنها لكمالها وكمال نبيّها ﷺ وكمال شريعته لا تحتاج الى مُحَدَّث؛ بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد، لا أنه عمدة؛ لأنها في غنية ـ بما بعث الله تعالى به نبيها ﷺ ـ عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث! وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المحدَّثون. وهذا دالٌّ على أنّ رسول الله ﷺ أكمل خلقه، وأكملهم شريعة، وأنّ أمته أكمل الأمم»[4].

مذهب المخالفين:

سبق تقرير أنَّ التحديث والإلهام ليس حجة شرعية تعارض به نصوص الكتاب والسُّنَّة، أو تبنى عليه الشرائع والأحكام، وقد خالف في ذلك بعض الطوائف ـ كالصوفية والاتحادية منهم وغيرهم ـ؛ فارتقوا بالإلهام والكشف والذوق وجعلوها حجّة تجاوزوا بها حدود الشرع، وخرجوا بها عن أحكام الدين!

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٢٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ١٨٢)، بتصرّف. وانظر: مدارج السالكين له (١/ ٣٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٦)، والجواب الصحيح (٢/ ٣٨٢)، والصّفدية (١/ ٢٥٩)، وشرح العقيدة الأصفهانية كلها لابن تيمية (١٥٩)، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٥٠).

فحكّموا خواطرهم وهواجسهم وقدّموها على الكتاب والسُّنَّة، وجعلوها معصومة من الخطأ والضلال، وأطلقوا عليها اسم: العلم اللّدنّي! وهذا من تلبيس إبليس وكيده بهم! فترى قائلهم يقول: «حدثني قلبي عن ربّي»، و«نحن أخذنا عن الحي الذي لا يموت، وأنتم أخذتم عن الوسائط»، و«أنتم تأخذون علمكم ميتًا عن ميت»، و«نحن أخذنا بالحقائق وأنتم اتبعتم الرسوم»[(١)]!

«ومن ظن أنه يستغني عما جاء به الرسول ﷺ بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس؛ فهو من أعظم الناس كفرًا، وكذلك إن ظن أنّه يكتفى بهذا تارة وبهذا تارة.

فما يلقى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، ويشهد له بالموافقة؛ وإلا فهو من إلقاء النفس والشَّيطان»[(٢)].

وقد ارتقى بعض غلاة الشيعة بالإلهام والتحديث فجعلوه بمنزلة الوحي؛ فأثبتوه لأئمّتهم بدعوَى نزول الوحي عليهم[(٣)]! وهذا خروج عن عقيدة ختم النّبوة ـ المتواترة تواترًا قطعيًا، والمعلومة من دين الإسلام بالضرورة ـ، وفهم باطل فاسد للتَّحديث ومدى حجّيته في الشرع! وفيما تقدم كفاية في الرّد عليهم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بغية المرتاد»، لابن تيمية.

٢ ـ «الجواب الصحيح» (ج٢)، لابن تيمية.

٣ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٤ ـ «الصفدية» (ج١)، لابن تيمية.

٥ ـ «عقيدة ختم النّبوة»، لأحمد الغامدي.

٦ ـ «فتح الباري» (ج٧)، لابن حجر.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيم.

٩ ـ «مفتاح دار السعادة» (ج٢)، لابن القيم.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٦)، لابن تيمية.

(١) انظر مثلًا: الفتوحات المكيَّة لابن عربي (١/ ٣٦٥)، والجواهر والدّرر للشعراني (٢٦٨) [بهامش الإبريز، طبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر]، وفيض القدير للمناوي (٥/ ٤٠١) [دار المعرفة ببيروت، ط٢، ١٣٩١هـ].

(٢) إغاثة اللهفان (١/ ١٢٣) [دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ]. وانظر: تلبيس إبليس (٢٨٥، ٣٢٩، ٣٣٠) [دار الفكر، ط١، ١٤٢١هـ]، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢١٨)، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٤٥).

(٣) انظر: أصول الكافي للكليني (١/ ١٧٦، ٢٧١) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ]، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٦/ ٦٨، ٧٣) [دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وبصائر الدَّرجات الكبرى للصَّفّار (٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]. ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/ ٣١٠).

المُحْسِن

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن: الحاء والسين والنون أصل واحد، فالحُسن ضد القبح؛ يقال: رجل حَسَن، وامرأة حسناء، وحسَّانة»[(١)].

المُحسن: اسم فاعل من الفعل: أحسن يحسن إحسانًا فهو محسن، والحُسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، والحسنة والحسنى: يعبّر بها عن كل ما يسرّ من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وضدها السيئة، وجمعها حسنات ومحاسن. والإحسان: يطلق على الإنعام على الغير، ويطلق على إتقان الفعل وتجويده، والإحسان أعمّ من الإنعام؛ لأنه دالٌّ على إعطاء أكثر مما عليه، فالمحسن: المنعم على غيره، والمتقن المجوّد لفعله[(٢)].

التعريف شرعًا:

المحسن: هو المنعم، والمكرم، والإحسان وصف لازم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يخلو موجود عن إحسانه وإنعامه، وجوده، وكرمه، ومنّه وعطائه[(٣)]، وهو مع كونه وصفًا لازمًا له، فهو من الصفات الفعلية المتعدية، كالخلق، ونحوه.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الشرعي لاسم الجلال المحسن علاقة مطابقة لدلالة هذا الاسم في الشرع على ما يدل عليه في اللغة من الإنعام والجود والكرم والإتقان ونحوها من المعاني التي بلغت غاية الكمال والجمال في حق الله عَزَّوَجَلَّ.

الحكم:

يجب إثبات اسم الله المحسن، كما ثبت ذلك في السُّنَّة، على ما يليق بعظمته وسلطانه، دون تحريف، أو تأويل أو تمثيل أو تعطيل[(٤)].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٥٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٣١٤ ـ ٣١٧) [الدار المصرية]، والصحاح (٥/ ٢٠٩٩ ـ ٢١٠٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٢٣٥، ٢٣٦) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (١/ ١٧٤) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٢/ ٥١٢، ٥١٣) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٧٢) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٤) انظر: شرح القواعد المثلى لابن عثيمين (٩٤) [دار الآثار، ط١، ١٤٢٣هـ].

﴿خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة]، ونحوها من الآيات.

ومن السُّنَّة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب الإحسان**»[1].

وحديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ اثنتين، قال: «**إن الله محسن يحب الإحسان إلى كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحدّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته**» الحديث[2].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكان شيخ الإسلام الهروي قد سمَّى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى، وكذلك أهل بيتنا غلب على أسمائهم التعبيد لله؛ كعبد الله، وعبد الرحمٰن، وعبد الغني، والسلام، والقاهر، واللطيف، والحكيم، والعزيز، والرحيم، والمحسن»[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: «فتأمل هذه الجلالة وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام وأحسن سياق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [الناس]، وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمَّنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمُّنها لمعاني أسمائه الحسنى فإن الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن... إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى»[4].

وقال ابن القيم في نونيته[5]:

«صدرت عن البر الذي هو وصفه
فالبر حينئذ له نوعان
وصف وفعل فهو بر محسن
مولى الجميل ودائم الإحسان»

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الديات (٥٦) [مطبعة التقدم، ط١، ١٣٢٣هـ]، والطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٤٠) [دار الحرمين، ط١، ١٤١٥هـ]، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٧٥، ٧٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٥٦) [دار الفكر، ١٤١٢هـ]: «رجاله ثقات»، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٤٦٩) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٢هـ].

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب المناسك، رقم ٨٦٠٣)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٧٥) [مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٤هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٩٧) [مكتبة القدسي]: (رجاله ثقات)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٣٧٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١٤٢٥هـ].

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٧٨٢) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٥) الكافية الشافية (٤/ ١٨١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

الأقسام:

إحسان الله لخلقه نوعان[(١)]:

إحسان عام لجميع الخلق: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]؛ فإنه يشترك فيه البر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض، والمكلفون، وغيرهم.

وإحسان خاص بالمتقين: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف].

الآثار:

- أوجه إحسان الله لخلقه التي يقتضيها اسمه: المحسن، وهذه الأوجه كثيرة ومتعددة لا تقع تحت الحصر، **ومنها:**

أعظمها وأفضلها وأكثرها نفعًا للعبد: أن وفقه الله ﷻ وهداه للإسلام، وشرح صدره لعبادته وطاعته.

ومنها: إخراجه من العدم، في أحسن صورة، وأكمل خلقة، وضمن له رزقه، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤﴾ [غافر].

وفي بيان بعض أوجه إحسان الله ﷻ إلى عباده التي يقتضيها اسم الجلال: المحسن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل السُّنَّة يقولون: هو محسن إلى العبد، متفضل عليه، بأن أرسل إليه الرسول ﷺ، وأن جعل له السمع والبصر، والفؤاد الذي يعقل به، وأن هداه للإيمان، وأن أماته عليه، فكل هذا إحسان منه إلى المؤمن وتفضل عليه، وإن كان هو قد كتب على نفسه الرحمة، وكان حقًّا عليه نصر المؤمن، وحق العباد عليه إذا وحَّدوه ألا يعذبهم، فذاك حق أوجبه بنفسه، بكلماته التامات، وبما تستحقه نفسه المقدسة من حقائق الأسماء والصفات، لا أن شيئًا من المخلوقات أوجب عليه شيئًا، أو حرم عليه شيئًا»[(٢)].

- إن الله ﷻ يحب من عباده أن يتقربوا إليه بمقتضى أسمائه، فلما كان هو المحسن فإنه يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة].

- ولمّا كان الربُّ تعالى هو (المحسن): كان التوسُّل إليه بإحسانه من

(١) انظر: شرح القصيدة النونية للهراس (٢/١٠٨) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٢) درء التعارض (٧/٤٦٠). وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/٣٢) (١٠/١١٥) (١٨/٢٠٢ ـ ٢٠٤)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٢/٣١٠، ٣١١). وانظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥١٣ ـ ٥١٧)، فقد نقل القرطبي كلامًا مطولًا للإقليشي توسع في بيان الجود والفضل والإحسان وأنواعه على الخلق.

أحبِّ الوسائل، كما قال ابن القيم: «أحبُّ الوسائل إلى المحسن: التوسّل إليه بإحسانه، والاعتراف له بأن الأمر كلَّه محض فضله وامتنانه»[(١)].

ـ كما امتدح الله ﷻ من عباده من وصل إلى مرتبة الإحسان التي هي أعلى مراتب الدين، وجاء تفسيرها في حديث النبي ﷺ لما سأله جبريل عليه السلام ما الإحسان؟ فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(٢)].

وهذا الإحسان في عبادة الله ﷻ، والنوع الآخر من الإحسان الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه، ويجزل عليه المثوبة والعطاء، إحسان العبد إلى غيره، بإيصال جميع أنواع الخير لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة]، وهذا الإحسان إلى الغير من أعظم أسباب انشراح الصدر، وطمأنينة القلب[(٣)].

ومن أعظم الإحسان إلى الخلق: تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، من علوم الكتاب والسُّنَّة، والعلوم النافعة.

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢٣٠) [دار القلم، ط١، ١٤١٦هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/٢٥، ٢٦) [مؤسسة الرسالة، ط/٢٧، ١٤١٥هـ]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٧٣).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٤ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ ـ «شرح القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٦ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٧ ـ «إثبات أن المحسن من أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

١٠ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

المُحكم والمتشابه

التعريف لغةً:

المُحكم: الإحكام هو الإتقان والمنع. وأحكم الأمر؛ إذا أتقنه، والحكيم: المتقِنُ للأمور، وحَكَمَ الشيء

وأحكمه: منعه من الفساد[(١)].

قال الراغب الأصفهاني: «حكم أصله: منع منعًا لإصلاح. فقيل: حكمت الدابة: منعتها بالحِكمة وأحكمتها: جعلت لها حَكَمة»[(٢)].

والتشابه: التماثل والتناسب. قال ابن منظور: «الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْل، وَالجمع أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله. والشبهة: الالتباس. وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضًا»[(٣)]. وقال ابن فارس: «الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا، والمشبهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا»[(٤)].

التعريف شرعًا:

المحكم: ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، والمتشابه ما يحتمل وجوهًا، فإذا ردت إلى وجه واحد وأبطل الباقي، صار المتشابه محكمًا[(٥)].

وقيل: المحكم: الواضح المعنى الظاهر الدلالة، إما باعتبار نفسه أو باعتبار غيره، والمتشابه ما لا يتضح معناه، أو لا تظهر دلالته لا باعتبار نفسه ولا باعتبار غيره[(٦)].

قال الإمام أحمد: «المحكَمُ: الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون في موضعٍ كذا، وفي موضع كذا»[(٧)].

وقال ابن تيمية: «المحكم: يميز الحقيقة المقصودة، والمتشابه يشبه هذا ويشبه هذا»[(٨)].

الحكم:

يجب سلوك طريق أهل العلم الراسخين، الذين يؤمنون بالكتاب كله؛ محكمه ومتشابهه، وأن كلًّا من عند الله، وأن نصوص الكتاب والسُّنَّة يُعمل بمحكمها مع الإيمان بمتشابهها.

ويردون النصوص المتشابهة ـ التي احتملت في دلالتها على ما يوافق الآيات المحكمة، وعلى ما يخالفها ـ إلى النصوص المحكمات الواضحات بنفسها، حتى يتبين المقصود منها، ويتعين وجه الصواب فيها[(٩)].

---

(١) انظر: الصحاح (٥/ ١٩٠١) [دار العلم، ط٤، ١٩٩٠م]، ولسان العرب (١٢/ ١٤٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١/ ٢٥١) [دار القلم].

(٣) لسان العرب (١٣/ ٥٠٣، ٥٠٤).

(٤) مقاييس اللغة (٣/ ٢٤٣) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].

(٥) انظر: قضية المحكم والمتشابه وأثرها على القول بالتفويض لمحمود عبد الرزاق (١٠).

(٦) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة لعثمان علي حسن (٢/ ٤٧٧) [مكتبة الرشد، ط٥، ١٤٢٧هـ].

(٧) انظر: العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى (٢/ ٦٨٥) [ط٢، ١٤١٠هـ].

(٨) حاشية مقدمة التفسير لابن قاسم (٥٨) [ط٢، ١٤١٠هـ].

(٩) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٤/ ١٧١، ١٧٢) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء].

۞ الحقيقة:

للإحكام والتشابه إطلاقان: عام وخاص:

أولًا: الإطلاق العام:

فالمحكم: هو البيِّن الواضح الذي لا يفتقر في بيان معناه إلى غيره، وذلك لوضوح مفرداته وإتقان تركيبها، والمتشابه: يقال لكل ما غمض ودق، فهو يحتاج في فهم المراد منه إلى تفكر وتأمل؛ إذ إنه محتمل لمعانٍ كثيرة ومختلفة، فهو كالمشكل؛ لأنه دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله[(١)].

ثانيًا: الإطلاق الخاص:

فالتشابه الخاص: هو مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر، بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو، أو هو مثله وليس كذلك. والإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر، وهذا التشابه إنما يكون في القدر المشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

ثم من الناس من لا يهتدي إلى الفصل بينهما، فيكون مشتبهًا عليه، ومنهم من يهتدي إلى ذلك، فالتشابه الذي لا يتميز قد يكون من الأمور النسبية الإضافية، بحيث يشتبه على بعض الناس دون بعض، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم (الراسخون فيه) ما يزيل عنه هذا الاشتباه، كما إذا اشتبه على بعض الناس ما وُعِدوا به في الآخرة بما يشاهدونه في الدنيا فظن أنه مثله، فعلم العلماء أنه ليس مثله وإن كان مشابهًا له من بعض الوجوه.

وقد يكون المتشابه من الأمور التي لا يعلمها أحد من العباد، بل استأثر الله بعلمها، كما استأثر الله بالعلم بالقدر المميز بين حقائق الدنيا وحقائق الآخرة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[(٢)].

۞ الأدلة:

من الأدلة على أن القرآن محكم كله قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود].

والدليل على أنه متشابه كله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

والدليل على أنه محكم وبعضه متشابه، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران].

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد (٢/ ٤٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٦١).

ومن السُّنَّة: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ⑦﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمع النبي ﷺ قومًا يتدارؤون[(٢)]، فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: «المحكم: الذي ليس فيه اختلاف، والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا وفي موضع كذا»[(٤)].

وقال الطبري رحمه الله: «وأما المحكمات: فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل، وعظة وعبر، وما أشبه ذلك، ثم وصف جلَّ ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن هنَّ أم الكتاب، يعني بذلك. أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم، وإنما سمَّاهن أمُّ الكتاب؛ لأنهن معظم الكتاب، وموضع مَفزع أهله عند الحاجة إليه. وأما قوله: (متشابهات) فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾؛ يعني في المنظر، مختلفًا في المطعم»[(٥)].

وقال ابن رجب رحمه الله: «وإنما القطعيات ما جاء عن الله ورسوله من

(١) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

(٢) أي: يتمارون في القرآن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (المقدمة، رقم ٨٥)، وعبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠٣٦٧) واللفظ له، وعنه أحمد (١١/ ٣٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ]، والبخاري في خلق أفعال العباد (٦٣) [دار المعارف، الرياض]، وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ١٤) [دار العربية، ط٢]، وحسنه الألباني في تعليقه على المشكاة (رقم ٢٣٧) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٥هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/ ١٨٨ ـ ١٩٢) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ].

الآيات المحكمات البينات، والنصوص الواضحات، فترد إليها المتشابهات، وجميع كتب الله المنزلة متفقة على معنى واحد، وإنما فيها محكمات ومتشابهات، فالراسخون في العلم يؤمنون بذلك كله، ويردون المتشابهة إلى المحكم، ويكلون ما أشكل عليهم فهمه إلى عالمه، والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فيضربون كتاب الله بعضه ببعض، ويردون المحكم، ويتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة، ويحرِّفون المحكم عن مواضعه، ويعتمدون على شبهات وخيالات لا حقيقة لها، بل هي من وسواس الشيطان وخيالاته، يقذفها في القلوب.

فأهل العلم والإيمان يمتثلون في هذه الشبهات ما أمروا به من الاستعاذة بالله، والانتهاء عما ألقاه الشيطان، وقد جعل النبي ﷺ ذلك من علامات الإيمان، وأما غيرهم فيصغون إلى تلك الشبهات، ويعبِّرون عنها بألفاظ مشتبهات، لا حرمة لها في نفسها، وليس لها معنًى يصح، فيجعلون تلك الألفاظ محكمة لا تقبل التأويل، فيردون كلام الله ورسوله إليها، ويعرضونه عليها، ويحرفونه عن مواضعه لأجلها»[(١)].

(١) فتح الباري لابن رجب (٧/ ٢٣٩، ٢٤٠) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٧هـ].

الأقسام:

التشابه والإحكام قسمان:

الأول: تشابه وإحكام بالمعنى العام.

فالإحكام يطلق بمعنى: الإتقان، فإحكام الكلام: إتقانه ووضوح معناه فيتميز به الصدق من الكذب في الأخبار، والرشد من الغي في الأوامر.

والتشابه في الكلام يطلق على تماثله وتناسبه، بمعنى: أنه يصدِّق بعضه بعضًا في أوامره، فلا يأمر بشيء في موضع وينهى عنه في موضع آخر، ويصدق بعضه بعضًا في أخباره، فإذا أخبر بثبوت شيء في موضع لم يخبر بنفيه في موضع آخر؛ والتشابه بهذا المعنى لا ينافي الإحكام بالمعنى العام، بل يصدق كل منهما الآخر ولا يتناقضان.

الثاني: التشابه بالمعنى الخاص؛ هو مشابهة الشيء غيره من وجه ومخالفته له من وجه، فيلتبس المقصود منها على كثير من الناس، فإن رد التشابه بهذا المعنى الخاص إلى المحكم تبين المقصود منه وتعين وجه الصواب[(٢)].

المسائل المتعلقة:

- نصوص الصفات ليست من المتشابه:

أخبر الله تعالى أنه أنزل القرآن ليعقله الناس ويتدبروه، حيث قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢١).

﴿قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وقال: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الحشر]، فحضَّ على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئًا. ونصوص الصفات من ذلك، لها معان صحيحة مفهومة، فإنا نفهم من قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٢٣١﴾ معنى، ونفهم من قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٥٩﴾ معنى ليس هو الأول، ونفهم من قوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ معنى، ونفهم من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤٧﴾ معنى. وصبيان المسلمين بل وكل عاقل يفهم هذا.

ومن أدخل صفات الله أو بعض ذلك في المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، فهو مخالف لاعتقاد السلف رحمهم الله الذين أجمعوا على أن كلام الله له معان صحيحة، وقالوا في أحاديث الصفات: «تُمَرُّ كما جاءت»، ونهوا عن تأويلات الجهمية ـ وردُّوها وأبطلوها ـ التي مضمونها تعطيل النصوص عما دلت عليه[1].

فالذي ذهبت إليه المعطلة من أن نصوص الصفات الإلٰهية من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، ينتج عنه استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به، وهذا مخالف لمنهج السلف القائم على الإيمان بمعاني نصوص الصفات وأنها من المحكمات، وأما الكيفيات الغيبية فهي من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله[2].

الحكمة:

فإن قيل: ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن؟

فالجواب:

١ ـ أن الحكمة من ذلك: ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه من الشاك الجاهل الزائغ، فالصادق في إيمانه الراسخ في علمه الذي يؤمن بالله وكلماته، ويعلم أن كلام الله ﷻ ليس فيه تناقض ولا اختلاف، فيرد ما تشابه منه إلى ما كان محكمًا، ليصير كله محكمًا. وأما الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٠، ٩٢١).

فيضل ويضل، ويكون إمامًا في الضلال والشقاء فيفتن الناس في دينهم، ويوقعهم في الشك والحيرة، ويفتن بعضهم ببعض[(١)].

٢ ـ وقيل: إن الحكمة من ذلك أن القرآن لو كان كلُّه ظاهرَ المعنى مكشوفَ الدلالة حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر. ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ويرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإتقان في علوم القرآن» (ج٣)، للسيوطي.

٢ ـ «أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات»، للكرمي.

٣ ـ «الإكليل في المتشابه والتأويل»، لابن تيمية.

٤ ـ «تأويل مشكل القرآن»، لابن قتيبة.

٥ ـ «التدمرية»، لابن تيمية.

٦ ـ «دراسات في علوم القرآن»، لمحمد بكر إسماعيل.

٧ ـ «الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

٨ ـ «فتح الباري» (ج٧)، لابن رجب.

٩ ـ «مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات»، لأحمد عبد الرحمٰن القاضي.

١٠ ـ «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة» (ج٢)، لعثمان علي حسن.

محمد ﷺ

اسمه ونسبه:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[(٣)].

(١) تقريب التدمرية (٨٢).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٥٨) [دار الكتب العلمية]، وتقريب التدمرية (٨٢).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه فقال: «باب مبعث النبي ﷺ» فسرده في الترجمة دون إسناد. انظر: صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار، باب مبعث النبي...) وابن هشام في السيرة (١/١، ٢) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ]، والطبقات لخليفة بن خياط (٣) [دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ] والبيهقي في دلائل النبوة (٢/١٧٩) [دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١، =

ونسب النبي ﷺ إلى عدنان على هذه الكيفية متفق عليه بين جميع أهل السير والأنساب[(١)]، قال ابن الجوزي: «ولا يختلف النسابون إلى عدنان»[(٢)].

وقال ابن كثير بعد أن سرد نسب النبي ﷺ على مثل ما تقدم: «وهذا النسب بهذه الصفة، لا خلاف فيه بين العلماء، فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب؛ ولذا ذكر ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى]: لم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ نسب يتصل بهم[(٣)]، وصدق ابن عباس رضي الله عنهما»[(٤)].

وأما ما فوق عدنان من النسب فمختلف فيهم؛ في أسمائهم وعددهم، مع اتفاق الجميع على أن عدنان من صريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[(٥)].

وقد حفظ الله نسب نبيّه ﷺ، فجعله من خير الناس نسبًا، وأزكاهم نسلًا، وأطهرهم عرقًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه**»[(٦)]، وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»[(٧)].

معنى اسمه لغة:

ـ من أسمائه:

أ ـ محمد، ولفظ (محمد) اسم مفعول، من (حمد) فهو محمَّد؛ لكثرة نعوته التي يمدح بها. قال ابن فارس: «الحاء والميم والدال كلمة واحدة وأصل واحد يدل على خلاف الذم. يقال: حمدت فلانًا أحمده. ورجل محمود ومحمَّد؛ إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة»[(٨)].

وقال ابن القيم: «أما محمد، فهو

= ١٤٠٨هـ]، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ١٩٥) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]

(١) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري (٣٩) [دار الهلال، بيروت، ط١]، والسيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (١/ ٩٠) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ].

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٨).

(٤) البداية والنهاية (٣/ ٣٦٠) [دار هجر، ط١]. وانظر: صحيح السيرة النبوية للألباني (٩، ١٠) [المكتبة الإسلامية، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) انظر: الرحيق المختوم (٣٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٥٧).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٦).

(٨) مقاييس اللغة (٢/ ١٠٠) [دار الفكر ١٣٩٩هـ]. وانظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٢) [دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١]، والقاموس المحيط (٢٧٨) [مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ].

اسم مفعول من (حمد) فهو محمد؛ إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها، ولذلك كان أبلغ من (محمود)، فإن (محمودًا) من الثلاثي المجرد، و(محمد) من المضاعف؛ للمبالغة، فهو الذي يُحمد أكثر مما يُحمد غيره من البشر، ولهذا ـ والله أعلم ـ سمي به في التوراة؛ لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها، هو ودينه وأمته في التوراة»[(١)].

ب ـ أحمد، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ومن السُّنَّة الحديثان الآتيان عن جبير بن مطعم وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

ج ـ الماحي.

د ـ الحاشر.

هـ ـ العاقب.

وهذه الأسماء الثلاثة فسَّرها النبي ﷺ كما في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد**»[(٢)].

هـ ـ المقفي.

و ـ نبي التوبة.

ز ـ نبي الرحمة.

يدل عليها ما ثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماءً، فقال: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»[(٣)].

والمقفِّي: هو المبعوث آخر الأنبياء وخاتمهم[(٤)].

ح ـ الرؤوف.

ط ـ الرحيم.

ويدل عليهما قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

ـ ومن ألقابه وأوصافه:

أ ـ الشاهد.

ب ـ المبشر.

ج ـ النذير.

د ـ السراج.

هـ ـ المنير.

يدل عليها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]. قال ابن كثير:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٨٧).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨٩٦)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٤).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٥٥).
(٤) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (١/ ٢٣٢) [دار الفكر، ١٤٠٩هـ].

«وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: بشيرًا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرًا للكافرين من وبيل العقاب. وقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك. ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق؛ كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند»[(١)]. وقد جاء في تفسير هذه الآية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب] وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكّل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إلٰه إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غلفًا»[(٢)].

مولده ونشأته:

أ ـ مولده:

ولد رسول الله ﷺ في يوم الاثنين؛ لما ثبت من حديث أبي قتادة الطويل، وفيه أن رسول الله ﷺ: سئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «**فيه وُلدت، وفيه أنزل عليّ**»[(٣)].

في عام الفيل؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ولد النبي ﷺ عام الفيل»[(٤)].

وجاء نحوه من حديث قيس بن مخرمة، قال: «ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، كنا لِدَين»[(٥)]. وهو المجمع عليه كما يقول خليفة بن خياط[(٦)]، وقال ابن القيم: «لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة، وأن مولده كان عام الفيل»[(٧)].

واختلف في تاريخ يوم الولادة وشهره على عدة أقوال[(٨)]، ولعل الراجح هو

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب البيوع، رقم ٢١٢٥).
(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصيام، رقم ١١٦٢).
(٤) أخرجه البزار في مسنده (١١/ ٦٤) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/ ٢١٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب تواريخ المتقدمين، رقم ٤١٨٠) وصححه، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٥٢).
(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٤٨) [دار الفكر، ط١]، ومن طريقه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٦١٩) وحسنه، وأحمد (٢٩/ ٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥٩١٩)، وضعف سنده الألباني، لكن حسَّنه بشاهده السابق. انظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٣١٥٢).
وقوله: «كنا لدين»؛ أي: مولودين في وقت واحد. انظر: الصحاح (٢/ ٥٥٤) [دار العلم للملايين].
(٦) تاريخ خليفة بن خياط (٥٣) [دار القلم، ومؤسسة الرسالة، ط٢]. وانظر: صحيح السيرة للألباني (١٣).
(٧) زاد المعاد (١/ ٧٦). وانظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٧٧).
(٨) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧)، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٨٠).

اليوم الثامن من ربيع الأول. قال الألباني معلّقًا على هذه الأقوال المختلفة في تحديد تاريخ يوم الولادة وشهره: «وأما تاريخ يوم الولادة فقد ذكر فيه وفي شهره أقوال ذكرها ابن كثير في الأصل، وكلها معلقة ـ بدون أسانيد ـ يمكن النظر فيها ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث، إلا قول من قال: إنه في الثامن من ربيع الأول، فإنه رواه مالك[(١)] وغيره بالسند الصحيح، عن محمد بن جبير بن مطعم، وهو تابعي جليل، ولعله لذلك صحح هذا القول أصحاب التاريخ واعتمدوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه أبو الخطاب بن دحية، والجمهور على أنه في الثاني عشر منه والله أعلم»[(٢)].

وذكر بعض الفلكيين أنهم توصلوا إلى أن تاريخ يوم ولادته ﷺ هو اليوم التاسع من ربيع الأول؛ اعتمادًا على علم الفلك، وذلك عن طريق تحويل السنين الرومية إلى الأيام، ثم تحويل الأيام إلى سنين قمرية، فينتج عنه ذاك التاريخ[(٣)].

وأشار ابن عثيمين إلى صنيع بعض الفلكيين هذا في أثناء ردِّه على أصحاب المولد بقوله: «وقد حقق بعض الفلكيين المتأخرين ذلك، فكان في اليوم التاسع، لا في اليوم الثاني عشر»[(٤)].

وعلى كلٍّ فالقول المستند إلى الرواية والسند أقرب للصواب من غيره فيما يبدو، والله أعلم.

ب ـ نشأته:

ولد النبي ﷺ يتيم الأب؛ فقد توفي والده عبد الله وهو في بطن أمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى]، وكانت قابِلته الشفاء أم عبد الرحمٰن بن عوف، وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية، وممن أرضعته ثويبة أَمَة عمه أبي لهب، كما ثبت من حديث أم حبيبة بنت أبي سفيان ﵄؛ أنها قالت: «يا رسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: **أوتحبين ذلك؟** فقلت: نعم لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: **إن ذلك لا يحل لي**، قلت: فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: **بنت أم سلمة؟** قلت: نعم، فقال: **لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي؛ إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبةُ، فلا**

(١) كما في السيرة لابن كثير (١٩٩) [دار المعرفة].
(٢) صحيح السيرة النبوية للألباني (١٣).
(٣) انظر: تقويم الأزمان، بواسطة كتاب: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية لمحمد العوشن (٨) [دار طيبة]، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لرزق الله (١٠٩، ١١٠) [مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ].
(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/ ٣٨٢) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

تعرضْنَ علي بناتكنَّ ولا أخواتكنّ»[1].

ثم أخذته حليمة السعدية لترضعه، فانتقلت به إلى بادية بني سعد، ومكث هناك أربع سنين، ثم أرجعته إلى أهله. فواصل نشأته تحت رعاية أمه وكفالة جده عبد المطلب، ثم عمه أبي طالب، ولما بلغ عمره ﷺ ست سنين توفيت والدته بالأبواء، في أثناء عودتها من زيارتها لأخوال أبيه بالمدينة، فأتت به حاضنته أم أيمن إلى جده عبد المطلب بمكة، وأخذ يحوطه بعنايته إلى أن توفي، وللنبي ثمان سنين، فأوصى به عمه أبا طالب، فأخذه أبو طالب، وأحاطه برعايته، وكان يحبه ويدنيه منه ويخصه ببعض الأمور، وقد حفظ الله نبيّه من أقذار الجاهلية، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خُلُقًا، وأعظمهم حلمًا وأمانة، وأصدقهم حديثًا، وأبعدهم من الفحش والأخلاق المدنسة للرجال. ولما بلغ الأربعين بعثه الله تعالى نبيًّا رسولًا، فصدع بأمر ربه. ولما أراد المشركون النيل منه وقف عمه سدًّا منيعًا أمامهم، ولم ينالوا من النبي ﷺ شيئًا في حياة عمه أبي طالب، وكان يحوطه إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين[2].

(١) أخرجه البخاري (كتاب النكاح، رقم ٥١٠٧)، ومسلم (كتاب الرضاع، رقم ١٤٤٩).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٥٨ ـ ١٦٩، و١٧٩)، والدلائل للبيهقي (١/ ٥٥ ـ ٥٨)، وزاد المعاد (١/ ٨٢)، وتاريخ الإسلام للذهبي (١/ ٤٨٣، و٤٩٥ ـ ٤٩٧) [دار الغرب الإسلامي، ط١]، والبداية والنهاية (٣/ ٤٤٤) وما بعدها، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ٩٣ ـ ١٠٣)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله (١٠٩ ـ ١١٥).

نبوته:

ذكر الله نبوته ورسالته في غير آية من كتابه الكريم، قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب]، وقال الله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قومًا فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فصبَّحهم الجيش فاجتاحهم**»[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤٨٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلت لي الغنائم، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة**»(١).

۞ دلائل نبوته:

دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ كثيرة، منها:

أ ـ القرآن الكريم: حجة الله الخالدة على خلقه، الذي أعجز البلغاء والشعراء الفصحاء من العرب الأقحاح عن الإتيان بمثله؛ بل عن الإتيان بعشر سور من مثله مفتريات؛ بل تحداهم الله أن يأتوا بسورة واحدة، فانقطعوا عاجزين، ووقفوا مُفحَمين مبهَتين، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء]، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة].

ب ـ انشقاق القمر: طلب المشركون من النبي ﷺ أن يريهم آية تدلهم على صدقه في دعوته؛ ليؤمنوا به، فأراهم انشقاق القمر نصفين، قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر]. وعن أنس رضي الله عنه: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما»(٢).

ج ـ حماية جنود الله له: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: **لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**»»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٨)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٦٨)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٧).

د ـ حنين جذع النخل له ﷺ: كما جاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أنه قال: «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت»[(١)].

هـ ـ اهتزاز جبل أُحد له ولمن معه: فقد ثبت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ صعد أُحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: «**اثبت أُحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**»[(٢)].

و ـ نبع الماء من بين أصابعه الشريفة: كما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: «أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاث مائة أو زهاء ثلاث مائة»[(٣)].

وعنه رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الوضوء فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم»[(٤)].

ز ـ تكثير الطعام القليل: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «**آرسلك أبو طلحة؟**» فقلت: نعم، قال: «**بطعام؟**»، فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**»، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «**هلمي يا أم سليم ما عندك**»، فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففتَّ وعصرت أم سليم

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ٣٦٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٢)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٩).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٩).

عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «**ائذن لعشرة**»، فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا»(١).

كتابه:

هو القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣﴾ [الإنسان].

وجاء من حديث المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه...**»(٢).

ومن أسمائه:

الكتاب: كما في هذا الحديث، وفي قوله تعالى أيضًا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥].

والفرقان: كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان].

وكان نزوله في شهر رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، في اليوم الرابع والعشرين منه، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٧٨)، ومسلم (كتاب الأشربة، رقم ٢٠٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٤)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٦٤) وحسنه، وأحمد (٢٨/٤١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٢٦٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨/١٩١) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/١١١) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ]، وقال الهيثمي في المجمع (١/١٩٧) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داور القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات)، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/١٠٤، رقم ١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط١].

دعوته:

لقد أرسل الله نبيَّه محمدًا بأمرين اثنين؛ هما: العلم النافع والعمل الصالح، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، فالهدى: العلم النافع، ودين الحق: العمل الصالح، لذا النبي ﷺ دعا أمته إلى توحيد الله وإخلاص الدين له، ونبذ الشرك بشتى أنواعه، وإلى تقوى الله والبر وصلة الأرحام، وغير ذلك مما جاء في شريعة الإسلام، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]. قال ابن كثير في تفسيرها: «يقول الله تعالى لعبد ورسوله إلى الثقلين؛ الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله؛ أي: طريقه ومسلكه وسُنَّته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي»(١).

ومما يبين هذا إجابة أبي سفيان لما سأله هرقل عن دعوة النبي ﷺ بقوله: «ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم، واتّقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب**»(٣).

قومه وموقفهم منه:

قومه هم أهل مكة من قريش وغيرهم، لما جاءهم من عند الله كفر به كثير منهم ونسبوه إلى السحر ورموه بالكذب، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]، وقال

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (باب بدء الوحي، رقم ٧)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٩٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩).

تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦﴾ [الحجر]، واشترطوا للإيمان به شروطًا تعجيزية كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [يونس].

وكفروا بالقرآن الكريم، وزعموا أنه أساطير الأولين اكتتبها محمد ﷺ، كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ [الفرقان].

ومنعوا النبي ﷺ من تبليغ دين الله للناس، وضيقوا عليه بعد وفاة عمه أبي طالب، وأخذ يعرض نفسه الشريفة على الناس في المواسم، كما جاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: «**ألا رجل يحملني إلى قومه؛ فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[(١)].

وقد بيَّن الله بطلان جميع ادعاءاتهم، وأن هؤلاء الكفار ضارعوا الكفار الأولين في هذه الافتراءات، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣﴾ [فصلت]، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ۝٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾ [الحاقة].

وبعد صبر النبي ﷺ وأصحابه في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، دخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٣٤)، والترمذي (أبواب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٢٠١)، وأحمد (٢٣/ ٣٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب فضائل القرآن، رقم ٣٣٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٤٧).

وفاته:

توفي النبي ﷺ في العام الحادي عشر، يوم الاثنين دون خلاف[(١)]، في الثاني عشر من ربيع الأول على المشهور من أقوال أهل العلم[(٢)]، قال ابن خياط: «توفي ﷺ بالمدينة يوم الاثنين، لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ويقال: لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: حادثة شق صدره ﷺ:

وقعت للنبي ﷺ حادثة شق الصدر **مرتين:**

الأولى: وقعت له وهو صغير، وهي أنه ﷺ جاءه جبريل، فشق صدره واستخرج منه علقة سوداء، وقال: إنها حظ الشيطان منه، ثم غسله بماء زمزم، ولأَمَه[(٤)] كما كان، فقد ثبت من حديث أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني: ظئره ـ فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[(٥)]، وكانت هذه الأولى من باب التخلية.

الثانية: وقعت له ليلة الإسراء والمعراج، وكانت هذه من باب التحلية، يدل عليها حديث مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ قال: «**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ سمعت قائلًا يقول: أحد الثلاثة بين الرجلين، فأتيت فانطلق بي، فأُتيت بطست من ذهب فيها من ماء زمزم، فشرح صدري إلى كذا وكذا** ـ قال قتادة: فقلت للذي معي: ما يعني؟ قال: إلى أسفل بطنه ـ **فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم حُشي إيمانًا وحكمة، ثم أتيت بدابة أبيض يقال له: البراق، فوق الحمار ودون البغل...**»[(٦)].

وهذان الحديثان وما في معناهما

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٢٩).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٢٩)، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لمهدي رزق الله (٦٨٧)، والسيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٥٥٣).

(٣) طبقات ابن خياط (٣).

(٤) لأمه: من التئام الجرح؛ إذا التصق الجسم المقطوع بعضه ببعض. قال ابن فارس في المقاييس (٥/ ٢٢٦): «لأمت الجرح، ولأمت الصدع؛ إذا سددت».

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

يدلان على وقوع حادثة شق صدر النبي ﷺ، ويفهم منهما وقوع ذلك مرتين، خلافًا لمن توهم وجود التعارض بين الحديثين، كما أفاده ابن كثير بقوله: «ولا منافاة؛ لاحتمال وقوع ذلك مرتين؛ مرة وهو صغير، ومرة ليلة الإسراء؛ ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى، ولمناجاة الرب، والمثول بين يديه تبارك وتعالى»[(١)].

ـ المسألة الثانية: فيما يتعلق بأبوي النبي ﷺ:

توفي والدا النبي ﷺ قبل الإسلام، أما والده عبد الله فقد توفي والنبي ﷺ في بطن أمه، وأما والدته فقد توفيت وهو في السنة السادسة من عمره، لذا هما لم يدركا الإسلام، ولكن أخبر النبي ﷺ عن حالهما في بعض الأحاديث، منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رجلًا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «**في النار**»، فلما قفى دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**»[(٢)].

قال النووي: «فيه: أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين... وقوله ﷺ: «**إن أبي وأباك في النار**» هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**»[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: حكم سب النبي ﷺ:

ويمكن إيضاحها من ثلاث جهات:

الجهة الأولى: فيما يتعلق بالحكم عليه.

الجهة الثانية: فيما يتعلق بعقوبته وحده.

الجهة الثالثة: في حكمه إذا تاب.

أما الجهة الأولى: فمعلوم «أن كل ساب وشاتم فمستخف بالمشتوم مستهزئ به، فالاستخفاف والاستهزاء شيء واحد»[(٥)]. فمن «سبَّه أو تنقَّصه ﷺ فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره»[(٦)]؛ لقول الله تعالى: ﴿...قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) البداية والنهاية (٣/٤١٨).
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٠٣).
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٧٩) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٧٦).
(٥) المحلى لابن حزم (١١/٤١٢) [إدارة الطباعة المنيرية، مصر، ط١، ١٣٥٢هـ].
(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/٢٢٣).

﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب]. فبيّن الله تعالى أن من فعل ذلك فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة، ومتوعد بأليم العذاب وشديد العقاب، وعليه فهذه النصوص وما في معناها تدل على كفر ساب النبي ﷺ من غير مرية، وعلى هذا فقهاء الملة، وعلماء الأمة وسائر أهل السُّنَّة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ كفر ظاهرًا وباطنًا، وسواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلًّا له، أو كان ذاهلًا عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السُّنَّة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

وقد قال الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه، وهو أحد الأئمة يعدل بالشافعي وأحمد: قد أجمع المسلمون أن من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًّا بما أنزل الله»(١).

ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي بكر الفارسي ـ أحد أئمة الشافعية ـ قوله: «إن من سب النبي ﷺ مما هو قذف صريح كفر باتفاق العلماء»(٢).

وأما الجهة الثانية: وهي المتعلقة بعقوبته، فقد دلَّت النصوص من الكتاب الكريم والسُّنَّة الصحيحة عن النبي ﷺ ومأثور سلف الأمة، وإجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين على قتل سابِّ النبي ﷺ مسلمًا كان أو كافرًا(٣). قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة].

ووجه الاستدلال بها هو أننا «أمرنا بقتالهم إلى أن يعطوا الجزية وهم صاغرون، فلا يجوز الإمساك عن قتالهم، إلا إذا كانوا صاغرين حال إعطائهم الجزية، ومعلوم أن إعطاء الجزية من حين بذلها والتزامها إلى حين تسليمها وإقباضها، فإنهم إذا بذلوا الجزية شرعوا في الإعطاء ووجب الكف عنهم إلى أن يقبضوناها فيتم الإعطاء، فمتى لم يلتزموها، أو التزموها أولًا وامتنعوا من تسليمها ثانيًا، لم يكونوا معطين للجزية؛ لأن حقيقة الإعطاء لم

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/ ٩٥٥، ٩٥٦) [مكتبة رمادي، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٨١).

(٣) انظر: زاد المعاد (٥/ ٥٨ ـ ٦٠) [مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، ط٢٦، ١٤٢٢هـ].

توجد، وإذا كان الصَّغار حالًا لهم في جميع المدة، فمن المعلوم أن من أظهر سبَّ نبينا في وجوهنا، وشتم ربنا على رؤوس الملأ منا، وطعن في ديننا في مجامعنا، فليس بصاغر؛ لأن الصّاغر: الذليل الحقير، وهذا فعل متعزز مراغم؛ بل هذا غاية ما يكون من الإذلال لنا والإهانة»[(١)].

وجاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله** ﷺ، فقال محمد بن مسلمة: أنا، فأتاه فقال: أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، فقال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهن أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللَّأمة ـ قال سفيان: يعني السلاح ـ فوعده أن يأتيه، فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه»[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المِغْوَل فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس فقال: **أنشد الله رجلًا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام**. فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبي ﷺ: **ألا اشهدوا أن دمها هدر**»[(٣)].

قال ابن القيم بعد أن ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في هذا المعنى: «وفي ذلك بضعة عشر حديثًا ما بين صحاح وحِسان ومشاهير، وهو إجماع الصحابة»[(٤)].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «من سبَّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله، هذا مذهب عليه عامة أهل

(١) الصارم المسلول (٢/ ٣٢، ٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرهن، رقم ٢٥١٠)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٨٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الحدود، رقم ٤٣٦١)، والنسائي (كتاب تحريم الدم، رقم ٤٠٧٠)، والحاكم في المستدرك (كتاب الحدود، رقم ٨٠٤٤)، وصححه على شرط مسلم، وكذا قال الألباني في الإرواء (٥/ ٩٢) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ].

(٤) زاد المعاد (٥/ ٥٥).

العلم. قال ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن حدَّ من سبَّ النبي ﷺ القتل. وممن قاله: مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي، قال: وحكي عن النعمان: لا يقتل ـ يعني: الذمي ـ الذي هم عليه من الشرك أعظم.

وقد حكى أبو بكر الفارسي من أصحاب الشافعي إجماع المسلمين على أن حدّ من سبَّ النبي ﷺ القتل، كما أن حدّ من سبَّ غيره الجلد، وهذا الإجماع الذي حكاه هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة والتابعين، أو أنه أراد به إجماعهم على أن سابّ النبي ﷺ يجب قتله إذا كان مسلمًا، وكذلك قيده القاضي عياض، فقال: أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابّه[(١)]، وكذلك حُكي عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ أو دفع شيئًا مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبيًّا من أنبياء الله ﷻ أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًّا بكل ما أنزل الله. وقال الخطابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

وتحرير القول فيها: أن السابّ إن كان مسلمًا فإنه يكفر، ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك من الأئمة مثل إسحاق بن راهويه وغيره، وإن كان ذميًّا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة... وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث، وقد نصَّ أحمد على ذلك في مواضع متعددة»[(٢)].

ويقول في موضع آخر بعد أن ذكر بعض ألفاظ السب: «فهذا كله إذا صدر من مسلم، أو معاهد، فهو سب، فأما المسلم فيقتل به بكل حال، وأما الذمي فيقتل بذلك إذا أظهره»[(٣)].

الجهة الثالثة: في حكمه إذا تاب.

اختلف في ذلك على أقوال، كما حكاها غير واحد، منهم ابن تيمية، حيث قال عن الحنابلة: «إن أصحابنا حكوا في الساب إذا تاب ثلاث روايات:

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٢١١).

(٢) الصارم المسلول لابن تيمية (٢/ ١٣ ـ ١٦).

(٣) المصدر نفسه (٣/ ١٠٠٥).

إحداهن: يقتل بكل حال، وهي التي نصروها كلُّهم، ودلَّ عليها كلام الإمام أحمد في نفس هذه المسألة، وأكثر محققيهم لم يذكروا سواها.

والثانية: تقبل توبته مطلقًا.

والثالثة: تقبل توبة الكافر، ولا تقبل توبة المسلم. وتوبة الذمي التي تقبل إذا قلنا بها أن يسلم، فأما إذا أقلع وطلب عقد الذمة له ثانيًا لم يعصم ذلك دمه رواية واحدة»[(١)].

وقال ابن القاسم عن مالك: «أن من شتم النبي ﷺ من المسلمين قتل ولم يستتب»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «وأما مذهب مالك رضي الله عنه فقال مالك في رواية ابن القاسم ومطرف: من سبَّ النبي ﷺ قتل ولم يستتب، قال ابن القاسم: من سبَّه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق، وقال أبو مصعب وابن أبي أويس: سمعنا مالكًا يقول: من سبَّ النبي ﷺ أو شتمه أو عابه أو تنقصه قُتل، مسلمًا كان أو كافرًا، ولا يستتاب، وكذلك قال محمد بن عبد الحكم: أخبرنا أصحاب مالك أنه قال: من سبَّ النبي ﷺ أو غيره من النبيين، مسلمًا كان أو كافرًا قُتل ولم يستتب. قال: وروى لنا مالك إلا أن يسلم الكافر، قال أشهب عنه: من سبَّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب. فهذه نصوصه نحو من نصوص الإمام أحمد، والمشهور من مذهبه أنه لا تقبل توبة المسلم إذا سب النبي ﷺ»[(٣)]. ويقتل عندهم حدًّا لا كفرًا[(٤)].

قال القاضي عياض: «فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدًّا لا كفرًا إن أظهر التوبة منه، ولهذا لا تقبل عندهم توبته... وقال ابن سحنون: من شتم النبي ﷺ من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تُزل توبته عنه القتلَ»[(٥)].

وأما الذمي إذا سبَّ النبي ﷺ ثم تاب وأسلم، فهل إسلامه يُسقط عنه القتل أم لا؟ لهم فيه روايتان[(٦)].

وأما الشافعية فلهم وجهان في ساب النبي ﷺ:

الوجه الأول: أنه كالمرتد، إذا تاب سقط عنه القتل.

---

(١) المصدر نفسه (٣/ ٥٦٣).

(٢) النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (١٤/ ٥٢٦) [دار الغرب الإسلامي، ط١].

(٣) الصارم المسلول (٣/ ٥٧١ ـ ٥٧٣). وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢١٦، ٢١٧).

(٤) انظر: مختصر الصارم المسلول للبعلي (٩٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٦) انظر: الصارم المسلول (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٥)، والمجموع شرح المهذب للنووي (١٩/ ٤٢٧)، ومختصر الصارم المسلول للبعلي (٩٤).

الوجه الثاني: أنه يقتل، ولا يسقط عنه القتل بالتوبة[١].

وأما السابّ إذا كان ذميًّا فقد اختلف أصحاب الشافعي فيه على قولين؛ فـ«منهم من قال: يجب قتل الساب حتمًا وإن خير في غيره. ومنهم من قال: هو كغيره من الناقضين للعهد، وفيه قولان: أضعفهما أنه يلحق بمأمنه، والصحيح منهما جواز قتله»[٢].

لكن المنصوص عن الشافعي نفسه أنه ينتقض عهده بسبّه النبي ﷺ ويُقتل[٣].

قال الخطابي في سابِّ النبي ﷺ: «لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله، ولكن إذا كان الساب ذميًّا فقد اختلفوا فيه، فقال مالك بن أنس: من شتم النبي ﷺ من اليهود والنصارى قتل، إلا أن يسلم، وكذلك قال أحمد بن حنبل، وقال الشافعي: يقتل الذمي إذا سب النبي ﷺ وتبرأ منه الذمة»[٤].

وأما أبو حنيفة فقد نقل **عنه قولان**:

أحدهما: أنه يقول بقتل سابِّ النبي ﷺ، ولا يقبل توبته كبقية الأئمة؛ مالك، والشافعي في المنصوص عنه، وأحمد وغيرهم. قال القاضي عياض: «قال أبو بكر بن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سبَّ النبي ﷺ يقتل، وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي، قال القاضي أبو الفضل: وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلمين، لكنهم قالوا: هي ردة، وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك، وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقَّصه ﷺ أو برئ منه أو كذبه، وقال سحنون فيمن سبَّه: ذلك ردة كالزندقة، وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره، وهل قتله حد أو كفر»[٥].

وأما قوله الآخر: فيوافق قول الشافعية في الوجه الأول، وهو أن سابَّ النبي ﷺ إذا كان مسلمًا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كالمرتد، وأما إذا كان ذميًّا فيرى أبو حنيفة أنه لا ينتقض عهده، ولكن يعزر على إظهار ذلك[٦].

ويشير ابن تيمية إلى اتفاق هذه

(١) انظر: الصارم المسلول (٣/ ٥٧٥ ـ ٥٧٧)، والمجموع شرح المهذب للنووي (١٩/ ٤٢٧)، وتقريب الصارم المسلول لصلاح الصاوي (١٨٨).

(٢) انظر: الصارم المسلول (٢/ ٢٩، ٣٠، و٣/ ٥٥٦).

(٣) انظر: الصارم المسلول (٢/ ٢٦).

(٤) معالم السنن للخطابي (٣/ ٢٩٦).

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢١٥). وانظر: حاشية ابن عابدين (٤/ ٢١٥) [دار الفكر، ١٤٢١هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥/ ١٩٢) [مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ]، والصارم المسلول (٢/ ٣١، و٣/ ٥٥٦).

الأقوال في وجوب قتل سابِّ النبي ﷺ مع الاختلاف في سبب حكم قتله، فيقول: «فهذا الباب كله مما عدَّه العلماء سبًّا وتنقّصًا يجب قتل قائله ولم يختلف في ذلك متقدمهم ومتأخرهم وإن اختلفوا في سبب حكم قتله[1].

وكذلك قال أبو حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه أو برئ منه أو كذبه: إنه مرتد. وكذلك قال أصحاب الشافعي: كل من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة، فهو كالسبِّ الصريح؛ فإن الاستهانة بالنبي ﷺ كفر، وهل يتحتم قتله أو يسقط بالتوبة؟ على الوجهين، وقد نص الشافعي على هذا المعنى.

فقد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أن التنقص له كفر مبيح للدم، وهم في استتابته على ما تقدم من الخلاف»[2].

وقال ابن عثيمين ردًّا على سؤال: «هل تقبل توبة من سبَّ الله ﷻ أو سب الرسول ﷺ؟» فأجاب بقوله: «اختلف في ذلك **على قولين**:

القول الأول: أنها لا تقبل توبة من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ، وهو المشهور عند الحنابلة، بل يقتل كافرًا، ولا يصلى عليه، ولا يدعى له بالرحمة، ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين.

القول الثاني: أنها تقبل توبة من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ إذا علمنا صدق توبته إلى الله، وأقر على نفسه بالخطأ، ووصف الله تعالى بما يستحق من صفات التعظيم، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، ومن الكفار من يسب الله ومع ذلك تقبل توبتهم، وهذا هو الصحيح، إلا أن سابّ الرسول ﷺ تقبل توبته ويجب قتله، بخلاف من سبَّ الله، فإنها تقبل توبته ولا يقتل؛ لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد، بأنه يغفر الذنوب جميعًا. أما ساب الرسول ﷺ فإنه **يتعلق به أمران**:

أحدهما: أمر شرعي؛ لكونه رسول الله ﷺ وهذا يقبل إذا تاب.

الثاني: أمر شخصي، وهذا لا تقبل التوبة فيه؛ لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه، وعلى هذا فيقتل، ولكن إذا قتل غسلناه، وكفناه، وصلينا عليه، ودفناه مع المسلمين.

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية... فإن قيل: أليس قد ثبت أن من الناس من سبَّ الرسول ﷺ في حياته وقبل النبي ﷺ توبته؟

---

(١) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢١٩).
(٢) الصارم المسلول (٣/ ٩٨٢، ٩٨٣).

أجيب: بأن هذا صحيح، لكن هذا في حياته ﷺ، والحق الذي له قد أسقطه، وأما بعد موته فإنه لا يملك أحد إسقاط حقه ﷺ، فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبه»[(١)].

- المسألة الرابعة: وجوب الاقتداء به ﷺ:

لقد دلَّت النصوص من الكتاب والسُّنَّة على وجوب الاقتداء بالنبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [الحشر]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾ [آل عمران]، وقال ﷻ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف].

قال شيخ الإسلام في هذه الآيات وأمثالها: «فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ، فلا يعبدون إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا بغيرها»[(٢)]. وقال في موضع آخر: «فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأمته، فهو الداعي إلى الله بإذنه، الهادي إلى صراطه الذي من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، فهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي»[(٣)].

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾: «أي: اسلكوا طريقه واقتفوا أثره: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾؛ أي: إلى الصراط المستقيم»[(٤)].

وقد مدح الله المقتدين بالرسول ﷺ فيما جاءهم به، وحصر الفلاح فيهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٥٧﴾ [الأعراف].

وثبت من حديث جابر رضي الله عنه؛ أنه قال: «رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: **لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**»[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون**

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٥٠، ١٥١).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/ ٥٢٣).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٨٦).
(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩١).
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٩٧).

الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[(١)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق**»[(٢)].

والآثار السلفية المؤكدة على ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ كثيرة جدًّا، منها ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: «يا معشر القراء استقيموا؛ فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا»[(٣)].

قال ابن حجر موضحًا كلام حذيفة رضي الله عنه هذا: «والمراد: أنه خاطب بذلك من أدرك أوائل الإسلام، فإذا تمسك بالكتاب والسُّنَّة سبق إلى كل خير؛ لأن من جاء بعده إن عمل بعمله، لم يصل إلى ما وصل إليه من سبقه إلى الإسلام، وإلا فهو أبعد منه حسًّا وحكمًا، قوله: «فإن أخذتم يمينًا وشمالًا» أي: خالفتم الأمر المذكور. وكلام حذيفة منتزع من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»[(٤)].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة»[(٥)].

وجملة القول: إن الاقتداء بالنبي ﷺ والإتيان بالعبادة على وفق هديه، هو أحد شرطي قبول العبادة؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، قال ابن كثير في هذه الآية: «ولم يقل: أكثر عملًا، بل: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ولا يكون العمل حسنًا حتى يكون خالصًا لله عز وجل على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحدًا

(١) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٢٨٣)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، رقم ٧٢٨٢).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٥٧).

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (كتاب العلم، رقم ٢١١)، ووكيع في الزهد (٥٩٠) [مكتبة الدار، ط١]، والمروزي في السُّنَّة (٢٨) [مؤسسة الكتب الثقافية، ط١] وغيرهم.

من هذين الشرطين بطل وحبط»[(١)]، فالطرق كلها والسبل جميعها منذ مبعث النبي ﷺ إلى قيامة الساعة مسدودة على الخلق إلا طريق المصطفى ﷺ، فطريقه هو الموصل إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى].

- المسألة الخامسة: حكم من لم يؤمن به ﷺ:

من يوم بعث الله محمدًا ﷺ نبيًّا ورسولًا، نسخت كل الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأصبح الناس جميعًا مخاطبين بشريعة الإسلام التي جاء بها نبيُّنا محمد ﷺ، وأمره الله أن يعلن للناس بأنه رسول الله إليهم كافة، وأن يدعوهم إلى الله جميعا، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف].

وكل من بلغته رسالة النبي محمد ﷺ ولم يؤمن بها، وبما جاء به من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة فهو كافر به وبجميع الرسل عليهم السلام، ومكذب لله ورسوله ﷺ فيما أخبرا به، وإن مات على هذا فهو خالد مخلد في النار وبئس القرار، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢﴾ [النساء].

قال ابن كثير: «فحكم عليهم بالكفر المحقق؛ إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم»[(٢)].

قال السعدي: «هنا قسمان قد وضحا لكل أحد: مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله.

وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٠٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤١).

يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجيه من عذاب الله، إن هذا إلا مجرد أماني؛ فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله؛ لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحدًا من رسله عليهم السلام فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ الآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل؛ بل بالرسول الذي يزعم أنه به مؤمن، ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ﴾؛ وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر»[(١)].

وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ؛ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «سيرة» (ج١)، لابن هشام.

٢ ـ «الطبقات»، لخليفة بن خياط.

٣ ـ «تاريخ خليفة بن خياط».

٤ ـ «دلائل النبوة» (ج٢)، للبيهقي.

٥ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج٢)، لابن الجوزي.

٦ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد» (ج١)، لابن القيم.

٧ ـ «البداية والنهاية» (ج٣)، لابن كثير.

٨ ـ «صحيح السيرة النبوية» للألباني.

٩ ـ «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، لمهدي رزق الله.

١٠ ـ «السيرة النبوية الصحيحة» (ج١)، لأكرم ضياء العمري.

المحو والثبات

يراجع مصطلح (الكتابة).

المُحيي

يراجع مصطلح (المحيي المميت).

المدح

التعريف لغةً:

المَدْحُ: نقيض الهجاء، وهو: الثناء الحسن، يقال: مَدَحَهُ وامتدَحه بمعنًى، والمَدْح المصدر والمِدْحَة الاسم، والجمع: مِدَحٌ، وهو المَدِيحُ، والجمع: المَدائحُ والأَماديح، ونظيره في الأماديح حَديثٌ وأَحاديثُ[(٣)].

(١) تفسير السعدي (ص٢١٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٣).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٣٠٨) [دار الجيل، ط١]، ولسان العرب (٢/ ٥٨٩) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

والمدح من قولهم: انمدحت الأرض؛ إذا اتسعت، وتمدحت خواصر الماشية؛ أي: اتسعت شبعًا، فكأن معنى مدحته: وسعت شكره[(١)].

التعريف شرعًا:

المدح: هو كل ما يدل على الإخبار عن محاسن الغير، مع التجرد عن الحب والتعظيم[(٢)].

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفه، **فقيل**:

١ ـ هو الإخبار عن كون الممدوح مستحقًّا؛ لأن يفعل به ما يفرح به أو يتلذذ به، نقله ابن القيم عن بعض المتكلمين[(٣)].

٢ ـ **وقيل**: هو كل ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل، قاله السفاريني وغيره[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

لمّا كان المدح في اللغة يطلق على الثناء الحسن، والتوسع في ذلك، أطلق في الشرع على هذا المعنى، وتوسع في ذلك حتى شمل كل ما يدل على اختصاص الممدوح بأي نوع من الفضائل والمحاسن.

الأسماء الأخرى:

الثناء.

الحكم:

١ ـ حكم المدح في حق المخلوق:

ورد التحذير من المدح والتزكية في عدد من النصوص، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: نزلت في ذم التمادح والتزكية»[(٥)].

وعن المقداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أن رجلًا جعل يمدح عثمان، فجثا المقداد على ركبتيه فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما شأنك؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**»[(٦)]. قال أبو سليمان الخطابي: «المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادةً، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح»[(٧)].

وقد اختلف العلماء في حكم مدح المخلوق على **ثلاثة أقوال**:

القول الأول: التحريم مطلقًا، لظاهر

(١) انظر: الصحاح (١/٤٠٣) [دار الملايين، ط٣، ١٤٠٤هـ]، والمصباح المنير للفيومي (٤٦٢).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/٩٣) [دار الكتاب العربي]، وتفسير الرازي (١/١٣١) [دار الفكر للطباعة، ط١].

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٤/١٤٧١) [دار العاصمة].

(٤) انظر: لوامع الأنوار (١/٣٣٢).

(٥) تفسير ابن كثير (١/٥٦١) [دار الفيحاء، ط١، ١٤١٣هـ].

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقاق، رقم ٣٠٠٢).

(٧) معالم السنن للخطابي (٤/١١١) [المكتبة العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ].

حديث المقداد رضي الله عنه وغيره من الأحاديث، واختار ذلك بعض العلماء أخذًا بظاهر الأحاديث، وهو وظاهر كلام ابن الجوزي[(١)].

القول الثاني: الكراهة مطلقًا، إلا في بعض الحالات التي يكون فيها، كذب أو إطراء فيحرم، ورجح ذلك البغوي وغيره[(٢)].

القول الثالث: القول بالجواز لما ورد من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك، وأما ما ورد مما يدل على التحريم كحديث المقداد رضي الله عنه ونحوه، فيحمل على ما كان فيه إطراء ومجازفة، أو من يخاف عليه الفتنة بالمدح ونحو ذلك، وقد رجح ذلك جمع من العلماء المحققين؛ كالخطابي وابن بطال والنووي وابن حجر وغيرهم، بل قد نسبه النووي إلى العلماء[(٣)].

وقال ابن حجر: «قال ابن بطال: حاصل النهي: أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العجب؛ لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير؛ اتكالًا على ما وصف به، وأما من مدح بما فيه فلا يدخل في النهي، فقد مدح ﷺ في الشعر والخطب والمخاطبة، ولم يحث في وجه مادحه ترابًا انتهى ملخصًا»[(٤)].

٢ ـ حكم مدح الله تعالى:

إن الثناء على الله تعالى ومدحه وتسبيحه وتعظيمه وتقديسه من الطاعات والقربات التي ندب إليها سبحانه وتعالى في كل وقت وفي أكثر من موضع، ومن غير تقييد، ومدح الله يكون بالثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا والتمعن في معانيها التامة، فكل اسم وصفة ثبت في الكتاب والسُّنَّة شرع للمسلم مدحه بها والعمل بمقتضاها، ويكون أيضًا بذكر أفعاله الحسنة وجوده وكرمه على عباده ولطفه وصبره وحلمه على كفرهم وأذاهم وعدله مع أعدائه وفضله على أوليائه. ويكون أيضًا بالاشتغال بذكر الحمد والتسبيح والتمجيد والتهليل والمداومة على ذلك عند تجدد النعم ونزول النقم[(٥)].

۞ الحقيقة:

المدح: هو الإخبار عن محاسن الغير، إما أن يكون إخبارًا مجردًا من حب وإرادة، وإما مقرونًا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٤٥٣).
(٢) انظر: شرح السُّنَّة (١٣/ ١٥١).
(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/ ١٢٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٧٧) [دار الريان، ط٢، ١٤٠٩هـ].
(٥) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٩٣)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٤/ ١٤٥٢) وما بعدها.

فإنه خبر مجرد[(١)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: المدح في حق الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**لا أحد أغير من الله، ولذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه**»[(٢)].

فالله - تعالى وتقدس - يحب أن يمدحه العباد، ولهذا مدح نفسه بالصفات التي هو بها أهل، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكماله المطلق مدح نفسه؛ لأنه أهل المدح والثناء، ولأن الخلق لا يقدرون على مدحه بما يستحق، كما قال الرسول ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان العباد يحمدونه ويثنون عليه ويحبونه فهو سبحانه أحق بحمد نفسه، والثناء على نفسه، والمحبة لنفسه، كما قال أفضل الخلق: «**لا أحصي ثناء عليك أنت، كما أثنيت على نفسك**»، فلا ثناء من مُثْنٍ أعظم من ثناء الرب على نفسه، ولا ثناء إلا بحب، ولا حب من محبوب لمحبوب أعظم من محبة الرب لنفسه، وكل ما يحبه من عباده فهو تابع لحبه لنفسه...»[(٤)].

- المسألة الثانية: المدح في حق النبي ﷺ:

محبة النبي ﷺ ومدحه والثناء عليه، وتعظيمه وتوقيره بما هو أهله، واجب على كل مسلم، قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[(٥)].

وقد أخبرنا ﷺ بعظيم قدره عند ربه، فقال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم**»[(٦)]، وهذا فيه مدح له ﷺ، قال ابن أبي العز الحنفي: «وإنما أخبر ﷺ أنه سيّد ولد آدم؛ لأنا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، ولهذا أتبعه بقوله: «**ولا فخر**»[(٧)]»[(٨)].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٩٣) [دار الكتاب العربي، بيروت].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٦٣٤)، ومسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٨٦).

(٤) منهاج السُّنَّة النبوية (٥/٢٨٢٧). وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/١١١) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف]، والصواعق المرسلة (٤/١٤٥٦)، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٢٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ١٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٤٤).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٢٧٨).

(٧) وردت هذه اللفظة في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أخرجه الترمذي (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٨)، وأحمد (١٧/١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٨) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ].

وقد امتدح النبيَّ ﷺ شعراء الصحابة رضي الله عنهم؛ كحسان بن ثابت وغيره، بما وصفه الله به من الفضائل العظيمة، وسمعها النبي ﷺ وأقرها، لخلوها من الغلو والإطراء[(١)].

وأما المدائح والقصائد المشتملة على الغلو والإطراء في حقه ﷺ، كالتي تقال في المولد النبوي ونحوه، من أمثال (البردة) للبوصيري، وما قيل على نسجها من القصائد، فقد اشتملت على غلو أفضى بأصحابه إلى الكفر والشرك، بل بلغ ببعضهم الغلو في مقامه ﷺ إلى وصفه بملك كل شيء، من الدنيا والآخرة واللوح والقلم، فلم يتركوا لله شيئًا[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: مدح العصاة والمبتدعة:

مدح العصاة والمبتدعة والثناء عليهم على وجه التزكية لهم والرضا بما هم عليه من معصية وانحراف، ومعاملتهم كأتقياء المؤمنين لا يجوز؛ لأنهم ليسوا بمنزلة المؤمنين الأتقياء؛ لذا وجب إنزال الناس منازلهم وعدم التسوية بين المؤمنين والفجار، فلا يساوى العبد الصالح التقي بالعبد الفاجر الفاسق. فعدم المساواة بينهما من العدل الذي يحبه الله عز وجل، أما المساواة بينهما فهو من الظلم الذي نفاه الله تعالى عن نفسه، قال جل وعلا: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية].

وإنما يمنع من مدحهم والثناء عليهم حتى لا يظن في أنفسهم أنهم على خير فيتمادوا في غيّهم وضلالهم، ولئلا يغتر الناس بهم، وهذا له دور كبير في تنبيه العصاة والمبتدعة وتخويفهم لعلهم يقلعوا عن ذنبهم ويثوبوا إلى رشدهم ويستقيموا على أمر ربهم[(٣)].

ـ المسألة الرابعة: مدح الكفار والمنافقين:

ذكر ما عند الكفار من أخلاق محمودة على وجه الإعجاب بهم وتعظيم شأنهم والمدح لهم بلا موجب شرعي حرام؛ لأن ذلك مناقض لحكم الله فيهم والله قد ذمهم وتوعدهم وشبههم بالأنعام، كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد]، وهذا شأن جميع أصناف الكفار.

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٧٧).

(٢) انظر: إعانة المستفيد (٢/ ٣١٢) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ]، وتيسير العزيز الحميد (٢٢١) [المكتب الإسلامي، ط٦، ١٤٠٥هـ]، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل للأنصاري (٢٩٧) [الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ].

(٣) انظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة لسعود الخلف (٥١) [طبعة: ١٤٢٠هـ ـ ١٤٢١هـ].

وأما إن كان الثناء عليهم ومدحهم بسبب وموجب شرعي أو على الأقل يكون على وجه لا يدعو للفتنة بهم ولا موالاتهم فلا بأس بذلك، ومنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه لما اشتد أذى قريش لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**»[(١)][(٢)].

الفروق:

ـ الفرق بين الإطراء والمدح:

المدح أعم من الإطراء، والإطراء أخص، بحيث يقال: كل إطراء مدح، ولا عكس، وذلك أن الإطراء: هو المبالغة في المدح، ومجاوزة الحدّ فيه حتى يصل إلى الكذب، ومنه قوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده؛ فقولوا: عبد الله ورسوله**»[(٣)]. قال ابن الأثير: «الإطراء: مجاوزة الحدّ في المدح، والكذب فيه»[(٤)].

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢١٣) [دار الفكر، ط١]، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (كتاب السير، رقم ١٧٧٣٤)، وجوَّد إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦٩٠) [دار ابن حزم، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٧٨).

(٢) الولاء والبراء والعداء في الإسلام للبدراني (٦٣، ٦٤). وانظر: السيف البتار على من يوالي الكفار للأهدل (١٠).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٥).

(٤) النهاية في الغريب (٣/١٣٣) [دار الكتب العلمية].

ـ الفرق بين المدح والحمد:

الفرق بين المدح والحمد من وجوه:

١ ـ أن المدح يكون للحي ولغير الحي؛ كاللؤلؤ واليواقيت الثمينة ونحوهما، والحمد لا يكون إلا للحي فقط.

٢ ـ أن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، والحمد إنما يكون بعد الإحسان.

٣ ـ أن المدح قد يكون منهيًّا عنه، كما قوله ﷺ: «**احثوا في وجه المداحين التراب**»[(٥)]، والحمد مأمور به مطلقًا[(٦)].

الآثار:

آفات المدح:

والمدح منهي عنه لأن فيه ست آفات؛ أربع في المادح، واثنتان في الممدوح.

أما آفات المادح فهي:

الأولى: أنه قد يفرط في المدح فينتهي به إلى الكذب.

الثانية: أنه قد يدخله الرياء؛ فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد يكون مُظهرًا له لا معتقدًا لجميع ما يقوله، فيصير به مرائيًّا منافقًا.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) انظر: تفسير الرازي (١/١٣١).

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق، وذلك غير جائز، بل الظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

أما آفتا الممدوح فهما:

أحداهما: أنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا، وهما مهلكان.

الأخرى: أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح به، وفتر ورضي عن نفسه، وقلَّ تشمره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرًا، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إحياء علوم الدين»، للغزالي.

٢ ـ «الآداب الشرعية والمنح المرعية»، لابن مفلح.

٣ ـ «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد»، للفوزان.

٤ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٥ ـ «تيسير العزيز الحميد»، لسليمان بن عبد الله.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٧ ـ «شرح صحيح مسلم»، للنووي.

٨ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، للغنيمان.

٩ ـ «فتح الباري» لابن حجر.

١٠ ـ «القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل»، للأنصاري.

١١ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

المُذل

يراجع مصطلح (المعز المذل).

مراتب المؤمنين

التعريف لغةً:

المراتب: قال ابن فارس: «والرَّتب: ما أشرف من الأرض كالدَّرج، تقول: رَتَبَةٌ ورَتَبٌ، كقولك درجة ودَرج»[(٢)].

فالمراتب جمع مرتبة، وهي المنزلة، ويقال: الرَّتَب، وتطلق في الأصل على الشيء العالي، فالمرتبة المرقبة، وهي أعلى الجبل، ويقال كذلك الرَّتَب بفتح الراء والتاء، وهي الصخور المتقاربة، وبعضها أرفع من بعض، وواحدتها رَتَبة[(٣)].

والمؤمنون: هم أهل الإيمان؛ أي: المتصفون بصفات وخصال الإيمان.

التعريف اصطلاحًا:

مراتب المؤمنين هي أقسامهم ومنازلهم في الدنيا بحسب أعمالهم وإيمانهم.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٩/١٦٢٧) [دار الشعب]، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٤٧٧).

(٢) مقاييس اللغة (٢/٤٨٦) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ].

(٣) انظر: لسان العرب (١٠/١٥١) [دار صادر، ط١].

فهم ثلاثة أقسام: السابق بالخيرات، والمقتصد، والظالم لنفسه.

السابق بالخيرات هو: المقرّب المحسن، الذي يعبد الله كأنه يراه، ويتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، فيفعل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات، مع تورعه عن بعض الجائزات خوفًا من أن يكون سببًا لارتكاب المنهيات.

والمقتصد: هو فاعل الواجب وتارك المحرم، أو هو: من امتثل الأمر، واجتنب النهي، ولم يزد على ذلك، أو هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم.

والظالم لنفسه: هو تارك المأمور فاعل المحظور، أو هو: المضيع للواجبات والمنتهك للمحرمات، وقيل: هو صاحب الذنوب المصر عليها[1].

الأسماء الأخرى:

من الأسماء المرادفة في الحقيقة لاسم السابقين بالخيرات: المقربون، والمحسنون[2].

ومن الأسماء التي تطلق على المقتصدين: الأبرار، وأصحاب اليمين، كما سيأتي بيانه.

ومن الأسماء المرادفة للظالم لنفسه: المؤمن العاصي، أو الفاسق الملي.

الحكم:

أصناف المؤمنين الثلاثة كلهم موعودون بالجنة على القول الراجح والصحيح من أقوال أهل المعتبرين[3]، وذلك إما ابتداء؛ أي يدخلون الجنة بدون حساب ولا عقاب؛ وهم السابقون بالخيرات في الدنيا، وهم المقربون في الآخرة أو المحسنون، وكذلك المقتصدون وإن حوسبوا حسابًا يسيرًا، وإما انتهاءً؛ أي: وإن عوقبوا أو عذبوا، وأدخلوا النار فلا يخلدون فيها؛ بل يخرجون منها ويدخلون الجنة؛ وهم

(١) انظر لهذه التعاريف: تفسير الطبري (٢٠/٤٦٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/١٦١) و(٦/٣٩١) و(٧/٣٥٨) و(١١/١٨٠ ـ ١٨٣) و(١٣/٣٣٧، ٣٨٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، وطريق الهجرتين (٢٩١ ـ ٣١٤) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/٥٤٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ]، وأضواء البيان (١/٤١٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٤٦٨)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٣٥٨).

(٣) ذكر اختلاف أهل العلم في ذلك جمع من أئمة التفسير، وممن أطال في ذلك الإمام ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين (١/٤٠٨ ـ ٤٤١) ورجح القول المذكور، لكن المتأمل في القول الثاني وهم من قالوا: إن الظالم لنفسه غير موعود بالجنة، فسروا الظالم بما يناسب ذلك؛ حيث قالوا فيه: إنه الكافر، وبعضهم قال: هو المنافق، وهذا قطعًا ليس من أهل الجنة، وفسروا المقتصد: بالمؤمن العاصي، وهذا عندهم موعود بالجنة، فتحقق والله أعلم أنهم متفقون على أصل المسألة، وهو أن المؤمن العاصي موعود بالجنة، وهذا مما اتفق عليه أهل السُّنَّة قاطبة.

الظالمون لأنفسهم، وذلك بنص آية الاصطفاء؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر]. رُوي عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**كلهم في الجنة**»[(١)].

وروى ابن جرير الطبري بسنده عن كعب الأحبار رضي الله عنه؛ أنه قال: «إن الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم في الجنة»[(٢)].

وروى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: «هم أمة محمد، ورّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»[(٣)].

وروى بسنده عن محمد ابن الحنفية رحمه الله؛ أنه قال: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»[(٤)].

قال ابن جرير: «وإذ كان ذلك كذلك: فبيِّنٌ أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته، وأما الظالم لنفسه، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر؛ وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾، فعمَّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ إنما عنى به المقتصد والسابق. قيل له: وما برهانك أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة بأن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد، وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد. قيل له: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره، أنهم يدخلون جنات عدن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها، وظلمه نفسه فيها، بالنار أو بما

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٣/ ٦٨١) [دار هجر، ط١]، والبيهقي في البعث والنشور (٨٣، ٨٤) [مركز الأبحاث والخدمات الثقافية، ط١، ١٤٠٦هـ]، من طرق ضعيفة الأسانيد.

قال الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٧٥) [دار هجر، ط١]: «وقد روي عن رسول الله بنحو الذي قلنا من ذلك أخبار، وإن كان في أسانيدها نظر، مع دليل الكتاب على صحته، على النحو الذي بيَّنت».

(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٨)، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٨٥) رقم (٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٣٦٨) [دار هجر، ط١].

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٣٧٠).

شاء من عقابه، ثم يُدخله الجنة فيكون عمَّه خبر الله جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾»(١).

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والواو ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ شاملة للظالم، والمقتصد، والسابق على التحقيق، ولذا قال بعض أهل العلم: حُقَّ لهذه الواو أن تكتب بماء العينين؛ فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين»(٢).

الحقيقة:

أصناف المؤمنين الثلاثة سائرون إلى الله تعالى، وإلى دار السلام، موقنون بالرجعى إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن هم متفاوتون في التزود، وفي نفسِ السير، وسرعته وبطئه، فحقيقة الظالم لنفسه: مقصر في الزاد، غير آخذ منه ما يبلغه المنزل، لا في قدره، ولا في صفته، ومع ذلك فهو متزود ما يتأذى به في طريقه، ويجد غبَّ أذاه إذا وصل المنزل، بحسب ما تزود من ذلك المؤذي الضار. وحقيقة المقتصد: اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم، لكن فاته المتاجر الرابحة. وحقيقة السابق بالخيرات: همه في تحصيل الأرباح، وشدِّ أحمال التجارات الرابحة، لعلمه بمقدار الربح الحاصل، فيرى خسرانًا أن يدخر شيئًا مما بيده، ولا يتجر فيه، فيجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم(٣).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر].

وعن أبي الدّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنّه قال: قال ﷺ: «**قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾. **فأمّا الّذين سبقوا بالخيرات فأولئك الّذين يدخلون الجنّة بغير حساب، وأمّا الّذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأمّا الّذين ظلموا أنفسهم فأولئك الّذين يحبسون في طول**

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٣٧٤، ٣٧٥).
(٢) أضواء البيان (٦/ ١٨٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].
(٣) انظر: طريق الهجرتين (١/ ٤٠٤)، وجامع العلوم والحكم (٢/ ٨٦٧) [دار السلام، ط٢، ١٤٢٤هـ] فقد أطال الكلام في بيان حقيقتهم.

المحشر، ثمّ هم الّذين تلافاهم الله برحمته، فهم الّذين يقولون: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر]»[(١)].

وقد جاء ذكر السابق بالخيرات والمقتصد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: «**إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش فيها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمه الله: «القول الجامع: أن الظالم لنفسه هو المفرِّط بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد: القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق بالخيرات: بمنزلة المُقَرَّب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق»[(٣)].

وقال الشنقيطي رحمه الله: «وأظهر الأقوال في المقتصد والسابق والظالم: أن المقتصد هو من امتثل الأمر واجتنب النهي ولم يزد على ذلك، وأن السابق بالخيرات هو من فعل ذلك، وزاد بالتقرب إلى الله بالنوافل، والتورع عن بعض الجائزات خوفًا من أن يكون سببًا لغيره، وأن الظالم هو المذكور في قوله: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، والعلم عند الله تعالى»[(٤)].

الأقسام:

لم يُذكر أي تقسيم للأصناف الثلاثة فيما تم الوقوف عليه إلا في السابق بالخيرات، فذكر بعض أهل العلم أنهم على قسمين في الدنيا والآخرة.

فأما في الدنيا فيقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وأهل هذه الدرجة على **قسمين**:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/٥٧) [مؤسسة الرسالة]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٩٥) [مكتبة القدسي]: «رواه أحمد بأسانيد، رجال أحدها رجال الصحيح»، لكنَّ في سنده انقطاعًا، كما ذكر محققو المسند.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٢).
وقد أفاد بذلك ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/٧).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/١٦١). وانظر: المرجع السابق (٦/٣٩١) و(١١/١٨٣) و(١٣/٣٣٧، ٣٨٤)، وطريق الهجرتين(٢٩١ ـ ٣١٤) [دار ابن القيم، ط٢].

(٤) أضواء البيان (١/٤١٧) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]. وانظر: المرجع السابق (٥/٤٩٠)، وتفسير ابن كثير (٦/٥٤٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتفسير السعدي (٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ].

منهم من يقتصرُ من الدُّنيا على قدر ما يسدُّ الرَّمق فقط، وهو حالُ كثيرٍ من الزُّهَّادِ.

ومنهم من يفسح لنفسه أحيانًا في تناول بعض شهواتِها المباحةِ؛ لتقوى النَّفسُ بذلك، وتنشَط للعملِ، كما روي عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ أنَّه قال: «**حُبِّبَ إليَّ من دنياكمُ النِّساءُ والطِّيبُ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة**»[(١)](٢).

وأما تقسيمهم في الآخرة فيقول ابن القيم رحمه الله: «وأما السابقون بالخيرات فهم نوعان: أبرار، ومقربون»(٣).

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأبرار هم من أصحاب اليمين، وهم المقتصدون؛ أي يكون لقب الأبرار قسيمًا للسابقين بالخيرات؛ إذ ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان]، فهذا في حق الأبرار، وأما في حق السابقين بالخيرات فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان]، وعباد الله هم المقربون، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين]؛ ففرق بين من يشرب منها، ويشرب بها؛ فالأول قد يشرب الشارب ولا يروى، بخلاف الثاني فإنه يشرب مع الري، فالمقربون يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها، فلهذا يشربون منها صرفًا، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجًا؛ كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف حيث قالوا: «يمزج لأصحاب اليمين مزجًا، ويشرب بها المقربون صرفًا»(٤)، وهو كما قالوا(٥).

والذي يظهر أن لقب أصحاب اليمين له إطلاقان:

أحدهما: عام، ويدخل فيه جميع أهل الجنة؛ كالسابقين بالخيرات، والمقتصدين، والظالمين لأنفسهم.

والثاني: إطلاق خاص بالمقتصدين، وهذا الذي يدل عليه كلام ابن القيم في مواضع، كقوله: «وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل اليمين: وهم المقتصدون، والأبرار، والمقربون، وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، كما أنه لا يسمى مؤمنًا عند الإطلاق، وإن كان مصيره ومآله مصير المؤمنين، بعد أخذ الحق منه»(٦).

---

(١) أخرجه النسائي (كتاب عشرة النساء، رقم ٣٩٣٩)، وأحمد (١٩/٣٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب النكاح، رقم ٢٦٧٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٣١٢٤) [المكتب الإسلامي].

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٨٧٦).

(٣) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٠٧).

(٤) ذكره الطبري.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٧٦ ـ ١٨٠).

(٦) انظر: طريق الهجرتين (١/٤٠٧).

وأما تخصيصهم بالمقتصدين فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما مرتبة أصحاب اليمين: فأداء الواجبات وترك المحرمات، مع ارتكاب المباحات وبعض المكروهات وترك بعض المستحبات.

وأما مرتبة المقربين فالقيام بالواجبات والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، زاهدين فيما لا ينفعهم في معادهم متورعين عما يخافون ضرره، وخاصتهم قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنية»[(١)].

وهذا الأخير هو الذي تجد ابن تيمية كثيرًا ما يقرره؛ من ذلك قوله: «فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المكروهات والمحرمات»[(٢)].

المراتب:

تفاوت مراتب المؤمنين في الدنيا يلزم منه تفاوتهم في الجنة، فأعلى مرتبة في الجنة هي مرتبة السابقين بالخيرات، ودونها مرتبة المقتصدون، ودونها مرتبة الظالمين لأنفسهم.

تقدم ما روي عن ابن الحنفية أنه قال: «إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنان عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله»[(٣)].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة]: «أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

مراتب المؤمنين في الدنيا خاصة بأمة محمد ﷺ، كما روي ذلك عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**كلهم من هذه الأمة**»[(٥)].

وروى ابن جرير بسنده عن ابن

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٠٧، ١٠٨) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٨٤).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (١٩/ ٣٧٠).

(٤) تفسير السعدي [دار السلام، ط٢، ١٤٢٢هـ].

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ١٦٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، والبيهقي في البعث والنشور (٨٤) [مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٦) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وهو سيِّئ الحفظ.

عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: «هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب»[(١)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «لكن هذه الأصناف الثلاثة في هذه الآية هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر]، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة، وليس ذلك مختصًّا بحُفاظ القرآن؛ بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء، وقسمهم إلى: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق، بخلاف الآيات التي في الواقعة، والمطففين، والانفطار فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة، كافرهم، ومؤمنهم، وهذا التقسيم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

مذهب المخالفين:

خالف أهل الأهواء والبدع أهل السُّنَّة والجماعة في مسمَّى الظالم لنفسه وحكمه، **وهم صنفان:**

الصنف الأول: الخوارج ومن وافقهم، كفَّروه فسلبوه اسم الإيمان بالكلية، وحكموا عليه بالخلود في نار جهنم يوم القيامة، ووافقهم المعتزلة في حكمه في الآخرة، لكن خالفوهم في اسمه في الدنيا وما يترتب عليه من أحكام دنيوية، فحكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين؛ أي: هو عندهم بين منزلتي الإيمان والكفر، وسموه فاسقًا، فلا هو مؤمن بحال من الأحوال ولا هو كافر.

والصنف الثاني: المرجئة الذين أعطوه اسم الإيمان الكامل، فقالوا: هو مؤمن كامل الإيمان، وحكموا عليه في الآخرة بأنه من أهل الجنة ابتداءً.

فهاتان الطائفتان كل منهما على طرفي نقيض؛ إذ إن الظالم لنفسه لا يعطى اسم الإيمان الكامل، ولا ينفى عنه اسم الإيمان بالكلية؛ إذ معه أصل الإيمان، الذي ينجيه من الخلود في نار جهنم، وهذا الذي يدل عليه الكتاب والسُّنَّة، وعليه وإجماع أهل السُّنَّة:

فمن الكتاب: آية الاصطفاء التي هي أصل المسألة؛ قال ابن تيمية: «ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد به من اجتنب الكبائر، والتائب من جميع من الذنوب، فذلك مقتصد، أو سابق؛ فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، لكن من تاب كان مقتصدًا أو سابقًا، كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات؛ كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ

(١) تقدم تخريجه.
(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ١٨٣).

عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]، فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه، موعود بالجنة، ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [الحجرات: ٩]، فسمَّاهم مؤمنين مع وقوعهم في كبيرة القتل، فلم يسلبهم اسم الإيمان بالكلية.

وقد تواترت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ من أنه يخرج أقوام من النار بعدما دخلوها، وهم الظالمون لأنفسهم، وأن النبي ﷺ يشفع في أقوام دخلوا النار، وهذا مما يبطل مذهب الخوارج الذين حكموا عليهم بالخلود في نار جهنم؛ **منها**:

حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين**»[(٢)].

وحديث الشفاعة الطويل وفيه: «**فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان فأخرجه**»[(٣)].

وحديث: «**إنِّي لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا**»[(٤)].

وأما مذهب المرجئة الذين وصفوا الظالم لنفسه بالمؤمن الكامل ففيه مخالفة ظاهرة للقرآن والسُّنَّة كذلك:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال].

فهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بالمؤمنين حقًّا، هم من أتوا بتلك الأعمال الظاهرة والباطنة على وجه الكمال والتمام، فلا يدخل فيهم من أخل بالواجبات، وارتكب المحرمات، وإن كانوا يدخلون في خطاب أهل الإيمان.

قال الفضيل بن عياض: «إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمنًا حقًّا فهو من أهل الجنة، فمن لم يشهد أن المؤمن حقًّا من أهل الجنة فهو شاكٌّ في كتاب الله عز وجل، مُكذِّب به، أو جاهل لا يعلم، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقًّا، مستكمل الإيمان، ولا يُستكمَل الإيمان إلا بالعمل، ولكن لا يستكمل

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٦٦).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٥١٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٣).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٦).

عبد الإيمان، ولا يكون مؤمنًا حقًّا، حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول: أنا مؤمن حتى تقول: أنا مؤمن حقًّا مستكمل الإيمان! والله لا تكون مؤمنًا حقًّا مستكمل الإيمان، حتى تؤدِّي ما افترض الله عَزَّ وَجَلَّ عليك، وتجتنب ما حرَّم عليك، وترضى بما قسم الله عَزَّ وَجَلَّ لك، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله عَزَّ وَجَلَّ منك»[(١)].

ويقول ابن تيمية - في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة -: «ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء: ٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات]. قال ابن تيمية: «فدلَّ البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب: هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار، بل قد يكون معه أحدهم مثقال ذرة من إيمان، ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار، وبتحقق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضع»[(٣)].

ومن السُّنَّة: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**»[(٤)].

فهذا الحديث أورده مسلم وعنون له النووي بقوله: «باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كمال»؛ أي: مقصوده: أنه نفى عنه الاسم المطلق، الذي هو الإيمان المطلق، فليس هو بمؤمن كامل الإيمان، بل هو ناقص الإيمان.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السُّنَّة (٣٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب المظالم والغصب، رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٥٧).

قال الإمام ابن عبد البر: «يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد به نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإحسان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لأحمد الغامدي.

٢ ـ «الإحسان في ضوء القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة»، لرياض محمود جابر.

٣ ـ «أضواء البيان»، للشنقيطي.

٤ ـ «بحر العلوم»، للسمرقندي.

٥ ـ «تفسير الطبري».

٦ ـ «تفسير القرطبي».

٧ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٨ ـ «الدر المنثور»، للسيوطي.

٩ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

المراقبة

التعريف لغةً:

المراقبة: من الرقب. وهو: الانتصاب لمراعاة شيء. من ذلك: الرقيب. وهو: الحافظ والحارس والمنتظر[(٢)].

قال الجوهري: «تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبًا، ورِقبةً، ورِقبانًا بالكسر فيهما؛ إذا رصدته. وراقب الله في أمره؛ أي: خافه. والترقب: الانتظار، وكذلك الارتقاب»[(٣)].

فالمراقبة إذن هي: الانتصاب لمراعاة شيء ورصده وانتظاره؛ حفظًا لأمره وحراسةً له.

التعريف شرعًا:

المراد بالمراقبة: ملاحظة العبد ربَّه سبحانه وتيقنه باطلاعه على ظاهره وباطنه، واستحضار ذلك استحضارًا يثمر اجتناب المناهي وفعل الأوامر[(٤)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

تضمُّن المعنى الاصطلاحي للمعنى اللغوي للمراقبة ظاهر، فإن مراقبة الله هي انتصاب القلب للنظر في أوامر الرب سبحانه وحفظه فيها ومجاهدة النفس على التزام حدودها.

الحكم:

يجب على العبد مراقبة الله ﷻ في كل أحواله حتى لا يضيع أمر الله، وحتى

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد (٩/ ٢٤٣) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٧) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٩/ ١٢٨) [الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، ١٣٨٤هـ]، والقاموس المحيط (٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].

(٣) الصحاح (١/ ١٣٧، ١٣٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٦٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ]، ومدارج السالكين (٢/ ٧٩، ٨٠) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٦هـ].

لا يقع فيما نهى عنه الله؛ لأن هذه المراقبة هي أساس الأعمال القلبية كلها من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ونحوها[(١)]، وهذه الأعمال القلبية هي المحركة لأعمال الجوارح.

وتتأكد هذه المراقبة في الخلوات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى، وقد جاء الوعيد الشديد لمن لا يراقب الله في خلواته، كما في حديث ثوبان؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله ﷻ هباء منثورًا**». قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جَلِّهم لنا؛ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم. قال: «**أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**»[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة المراقبة: ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقب فلانًا ويراعى جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالًا في الجوارح وفي القلب.

أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه.

وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك.

فهذه المعرفة إذا صارت يقينًا وخلت عن الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته استَجَرَّت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه.

والمؤمنون في مراقبة ربهم على درجات متفاوتة كتفاوتهم في الإيمان، فمنهم الصديقون السابقون، ومنهم المقتصدون أصحاب اليمين، ومنهم المقصر الظالم لنفسه[(٣)].

فالعبد لا يخلو؛ إما أن يكون في طاعة، أو في معصية، أو في مباح:

فمراقبته في الطاعة: بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٤٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٤٦) [دار العربية، ط١]: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٣٤٦) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦).

وإن كان في معصية: فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر.

وإن كان في مباح: فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها.

ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها، ونعمة لا بد له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة(١).

وهذه المراقبة هي تعبُّد لله بأسمائه: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، اللطيف، الخبير. فمن عقل هذه الأسماء وتعبَّد بمقتضاها: حصلت له المراقبة(٢).

المنزلة:

منزلة المراقبة من منازل السالكين في طريقهم إلى ربهم المرسوم لهم في قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، فهي منزلة جليلة، والحاجة إليها ملحة عظيمة، بل هي «أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به، ولقد جمع النبي ﷺ أصول أعمال القلب وفروعها كلها في كلمة واحدة وهي قوله في الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه**»(٣).

(١) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٣٥٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٨١).

(٣) سيأتي تخريجه في الأدلة.

فتأمل كل مقام من مقامات الدين وكل عمل من أعمال القلوب كيف تجد هذا أصله ومنبعه!»(٤).

والتعبد لله ﷻ بهذه المنزلة (المراقبة) هو تعبد له باسم من أسمائه الحسنى، فإنه سبحانه القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض تحركت أو سكنت، المحاسِب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت، وتنظر فيما قدَّمت وأخَّرت؛ فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقَبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت، والله ﷻ قد قال في محكم كتابه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء]، فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في

(٤) إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٥).

الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة، ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات، ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه، وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيامة وقفاته، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته[(١)].

الأدلة:

من القرآن: قوله تعالى: (﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

ومن السُّنَّة: ما جاء في حديث جبريل عليه السلام، أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال له: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[(٣)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالِق الناس بخُلق حسن**»[(٤)].

أقوال أهل العلم:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٧، ٣٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦٦٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣١).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب البر والصلة، رقم ١٩٨٧) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٣٥/ ٢٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٢٦٥٥) [مكتبة المعارف، ط٥].

منكم خافية»[١].

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة»[٢].

وقال عبد الله بن المبارك لرجل: «راقب الله تعالى. فسأله عن تفسيرها، فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله عَزَّ وَجَلَّ»[٣].

الثمرات:

مراقبة الله جَلَّ وَعَلَا تثمر تحقيق مرتبة الإحسان، التي هي إتقان كل أعمال الإسلام والإيمان الظاهرة والباطنة، وبها تحصل الخصلة الجامعة لكل خير: تقوى الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن أفراد تلك الثمرات ما يلي:

١ ـ تحريك القلوب بأعمالها الجليلة. فكلما اشتدت هذه المراقبة أوجبت له من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء والخشية والهيبة والتعظيم ما لا يحصل بدونها، فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلها وعمودها الذي قيامها به[٤].

٢ ـ النُّصح في العبادة، وبذل الجُهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها[٥].

٣ ـ إيثار ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله[٦].

٤ ـ «مراقبة الله تعالى في الخواطر سبب لحفظها في حركات الظواهر؛ فمن راقب الله في سره حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته»[٧].

٥ ـ دعاء الله سبحانه بأسمائه الحسنى: الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، اللطيف، الخبير، فمن عقل هذه الأسماء ودعا الله بها دعاء عبادة ودعاء مسألة: حصلت له المراقبة[٨].

٦ ـ الفرحة والنعيم واللذة التي يجدها في تلك المراقبة والمناجاة لله عَزَّ وَجَلَّ، فإن سرور القلب مع الله وفرحه به وقرة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا ألبتة، وليس له نظير يقاس به وهو حال من أحوال أهل الجنة[٩].

٧ ـ محبة الله لعبده وقربه منه ومعيِّته له[١٠].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٠٣) [دار الكتب العلمية]، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد، رقم ٣٤٤٥٩).
(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٦).
(٣) المصدر نفسه (٤/ ٢٩٧).
(٤) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٢٥٥)، وجامع العلوم والحكم (٤٩).
(٥) انظر: جامع العلوم والحكم (٤٩)، وشرح النووي على مسلم (١/ ١١٢) [دار المعرفة، ط١٠، ١٤٢٥هـ].
(٦) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٨٠).
(٧) المرجع السابق (٢/ ٨١).
(٨) انظر: المصدر نفسه.
(٩) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٨٢).
(١٠) انظر: صيد الخاطر (٢٣٠) [اليمامة، ط٢، ١٤٢٣هـ].

٨ ـ الفوز برضا الله وجنته والنجاة من سخطه وناره.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إحياء علوم الدين» (ج٤)، للغزالي.

٢ ـ «إعلام الموقعين» (ج٤)، لابن القيم.

٣ ـ «إغاثة اللهفان»، لابن القيم.

٤ ـ «بستان الواعظين»، لابن الجوزي.

٥ ـ «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب.

٦ ـ «الزهد»، لأحمد بن حنبل.

٧ ـ «صيد الخاطر»، لابن الجوزي.

٨ ـ «مختصر منهاج القاصدين»، لابن قدامة.

٩ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيم.

١٠ ـ «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»، لعبد العزيز الجليل.

مرتكب الكبيرة

يراجع مصطلح (الكبيرة).

المرشد

يراجع مصطلح (الرشيد).

المريد

يراجع مصطلح (الإرادة).

مريم عليها السلام

التعريف لغةً:

مريم: اسمُّ أم عيسى عليه السلام، وهو اسم عبراني، نُقِلَ للعربية على حاله لخِفَّته، ولا معنى لمريم في العربيَّة غير العَلَميَّة، إلا أنَّ العرب المتنصِّرة عاملوه معاملة الصِّفة في معنى: المرأة المتباعدة عن مشاهدة النساء؛ لأن هذه الصِّفة اشتهرت بها مريم؛ إذ هي أول امرأة عبرانية خدمَت بيت المقدس؛ فلذلك يقولون: (امرأةٌ مريمٌ)؛ أي: مُعْرِضَة عن صفات النساء، أو تكثِر مجالسة الرِّجال، كما يقولون: رجل حاتم؛ بمعنى: جوَاد، وذلك معلوم منهم في الأعلام المشتهرة بالأوصاف.

وقيل: بل هو عربيٌّ، مشتقٌّ من (رام، يَريم).

وقيل: هو معرَّب (مارية).

وهما ضعيفان؛ والصحيح أنه عبرانيٌّ.

وينبغي أن يكون وزنها: (فَيْعَل) بفتح الفاء، وإنْ كان نادرًا، بل قيل: ليس في كلام العرب (فَيْعَل) بفتح الفاء والياء[1].

---

(١) انظر: الاشتقاق لابن دُرَيد ـ مع تعليق محقِّقه ـ (٣٤٧) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ]، وجمهرة اللغة له (باب: فَيْعَل، من أبواب: ما يُلحَق بالرُّباعيّ بحرفٍ من حروف الزَّوائد)، والصحاح (٥/ ١٩٤٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتاج =

التعريف شرعًا:

مريم: هي الصِّدِّيقة، أم عيسى عليه السلام، مريم بنت عمران بن ماتان بن المعازر بن اليود من بني إسرائيل[(١)].

الحكم:

يجب على المسلم الإيمان بأن مريم بنت عمران هي والدة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وأن الله خصَّها بما لم يؤته أحدًا من النِّساء؛ وذلك أنَّ رُوح القُدُس كلَّمها، وظهر لها، ونفخ في دِرعها، ودنا منها للنَّفخة؛ فحملت بعيسى عليه السلام دون أن يمسها بشر، وأنها صدَّقت بكلمات ربِّها، ولم تسأل آيةً عندما بُشِّرت بعيسى عليه السلام؛ ولذلك سمَّاها الله في تنزيله صِدِّيقة فقال: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم]؛ فشهد لها بالصِّدِّيقية، وشهد لها بالتَّصديق لكلمات البشرى، وشهد لها بالقنوت[(٢)].

المنزلة:

وقد مدحها الله عز وجل وأثنى عليها وذكر فضلها في مواضع عديدة من القرآن الكريم؛ **منها**:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ [آل عمران]، وقوله جل جلاله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾ [المائدة: ٧٥]؛ فوصفها بمقام الصِّدِّيقية؛ لفرط صدقها ومبالغتها في امتثال ما يكلِّفها الله تعالى به، لا يصدها عن ذلك شيء؛ يوضحه قوله تعالى عنها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم]. إلى غير ذلك من الآيات.

وصح في فضائلها عليها السلام غير حديث؛ **منها**:

قوله صلى الله عليه وسلم: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون**»[(٣)]، وغير ذلك من الأحاديث.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ

= العروس (٣٢/ ٣٠٢) [مطبعة حكومة الكويت]، والتحرير والتنوير (١/ ٥٩٤، ٣/ ٢٤٣) [دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م].

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١/ ٣١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٤٣١)، من حديث أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه.

بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ [التحريم].

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد؛ فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها**»[1]، وقوله ﷺ: «**خير نسائها: مريم ابنة عمران، وخير نسائها: خديجة**»[2].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: تسمية مريم عليها السلام بأخت هارون:

استشكلَ البعضُ قولَ الله تعالى عن مريم عليها السلام حكايةً عن قومِها: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم]؛ ظنًّا منهم أنَّ هارون أخاها - المذكور في الآية - هو أخو موسى عليه السلام، وموسى كان قبل ابنها عيسى عليه السلام بأكثر من ألف وستمائة سنة؛ فلا يتصور أن تكون أختًا لهارون عليه السلام!

وطعن بعض المستشرقين من نصارى العصر الحديث في القرآن الكريم لأجل هذه الآية![3].

وهذه «مجازفة! فإن النصارى لا يعرفون اسم أبي مريم أم عيسى عليه السلام! فليس في كتبهم ذكر لاسمه ولا لمولدها، ولكن قصتها تبتدئ فجأة بأن عذراء في بلد النّاصرة مخطوبة ليوسف النّجار قد حملت من غير زوج»[4].

وهذا الاستشكال قديم؛ سبقهم إليه أهل نجران في عهد النبي ﷺ؛ كما ثبت في «صحيح مسلم»، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: لمَّا قدمت نجران سألوني فقالوا: إنَّكم تقرؤون: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك؛ فقال: «**إنّهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصّالحين قبلهم**»[5]؛ وفي بيانه ﷺ هذا «تجهيل لأهل نجران أن طعنوا في القرآن، على توهم أن ليس في القوم من اسمه هارون إلا هارون الرسول أخا موسى»[6]!

فظهر بهذا الجواب عن هذا الاستشكال؛ وأنّ هارون المذكور في الآية ليس هو هارون أخا موسى - فمريم من نسله -؛ وإنّما هو أخ لها «اسمه هارون، كان صالحًا في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ؛ أي: ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك!»[7].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٤٨)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٢)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، رقم ٢٤٣٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ٧٢).

(٤) المرجع السابق، وانظر منه: (٣/ ٢٤٣).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٣٥).

(٦) التحرير والتنوير (١٦/ ٩٦).

(٧) المرجع السابق (١٦/ ٩٥). وانظر: تفسير الفخر =

- **المسألة الثانية: هل هي نبيَّة:**

الصّحيح - وحكي إجماعًا - أنّها ليست نبيّة، وأنّه ليس في النساء نبيّة؛ إنّما غاية ما انتهى إليه أمرها هو الصّدّيقية؛ كما وصفها الله تعالى في كتابه الكريم في معرض بيان غاية فضلها دفعًا لغلو النصارى فيها، ولم تثبت نبوّتها بدليل صريح لا من الكتاب ولا من السُّنَّة.

- **المسألة الثالثة: المفاضلة بينها وبين نساء هذه الأمة:**

تقدم أن مريم الصدِّيقة والدة المسيح عليه السلام لم تكن نبيّة، إنما ميزها الله تعالى بأمور فضَّلها بها على نساء العالمين، من ذلك: تبشير الله لها بعيسى على لسان الملائكة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران]، وبشّرها أيضًا على لسانهم بالاصطفاء على نساء العالمين والتَّطهير، والمراد بنساء العالمين؛ أي: اللاتي كنّ وقت زمانها؛ كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران]، وكلَّمها جبريل عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم]. وقال رسول الله ﷺ في حقها: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون**»[(١)]؛ فالمراد: بلوغها النِّهاية في جميع الفضائل التي لنساء زمانها.

وإذا نظرنا في النصوص الواردة في تفضيل نساء هذه الأمة بعضهن على بعض، وجدنا أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي ﷺ هي أفضل نساء هذه الأمة[(٢)]، بدليل أن اللفظ الوارد في تفضيل خديجة وهو قوله ﷺ: «**خير نسائها خديجة**»[(٣)]. إنما يتضح تمام معناه بمعرفة الضمير على أي شيء يعود، وقد ورد ما يفسِّر ذلك صريحًا فقد قال ﷺ: «**لقد فضلت خديجة على نساء أمتي**»[(٤)]. فهذا النص في

= الرازي (٢١/٥٣٠) [دار إحياء التراث العربي، بيروت]، وتفسير القرطبي (١١/١٠٠)، وتفسير ابن كثير (٥/٢٢٦) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والبداية والنهاية له (١/٣١٩)، وروح المعاني للآلوسي (١٦/٨٨) [إدارة الطباعة المنيرية، مصر].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: عارضة الأحوذي لابن العربي (١٣/٢٥٣). قال ابن حجر: «وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة، ورُد بأن الخلاف ثابت قديمًا وإن كان الراجح أفضلية خديجة» فتح الباري (٧/١٣٩). ولمزيد اطلاع على الخلاف الوارد في تفاضل الصحابيات، انظر: كتاب مباحث المفاضلة في العقيدة لمحمد أبو سيف (٢٧٥) [دار ابن عفان].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البزار في مسنده (٤/٢٥٥) [مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ]، والطبري في التفسير (٦/٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٢٣) [مكتبة القدسي]: (فيه أبو يزيد الحميري، ولم =

خديجة رضي الله عنها يدل على أنها أفضل نساء هذه الأمة. وكذلك قوله ﷺ لعائشة ـ لما تكلمت على خديجة ـ: «**ما أبدلني الله عز وجل خيرًا منها**»[(١)].

فلم يبق إذًا إلا المفاضلة بين مريم الصدِّيقة وبين خديجة رضي الله عنها.

وإذا عرضنا النصوص الواردة في شأنهما رضي الله عنهما، والتي منها قوله ﷺ: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها خديجة**»[(٢)].

يظهر المساواة بينهما في الفضيلة، وأن كلّ واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه. والله أعلم[(٣)].

قال ابن حجر: «فعلى هذا: مريم خير نساء الأمم الماضية، وخديجة خيرُ نساء الأمم الكائنة»[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إمتاع الأسماع» (ج١٠)، للمقريزي.

٢ ـ «تاريخ دمشق» (ج٧٠)، لابن عساكر.

٣ ـ «تهذيب الأسماء واللُّغات» (ج٢)، للنووي.

٤ ـ «الجامع لأحكام القرآن» (ج٤، ١١)، للقرطبي.

٥ ـ «الجواب الصحيح» (ج٢)، لابن تيمية.

٦ ـ «فتح الباري» (٦، ٧)، لابن حجر.

٧ ـ «صحيح البخاري».

٨ ـ «صحيح مسلم».

٩ ـ «مختصر الفتاوى المصرية»، للبعلي الحنبلي.

١٠ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية» (ج٨)، لابن تيمية.

المستعان

يراجع مصطلح (المعين).

= أعرفه، وبقية رجاله وثقوا)، وضعفه أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤١/٣٥٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٢٠): «تفرد به أحمد أيضًا، وإسناده لا بأس به».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/١٩٨) [دار إحياء التراث العربي، ط٢]، وتفسير القرطبي (٤/٨٣، ١٣/٢٥٠) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ]، والأذكار للنووي (١٠٠)، والجواب الصَّحيح (٢/٣٤٩) [دار العاصمة، ط١]، ومجموع الفتاوى (٤/٣٩٦، ١١/٣٦٤، ١٨/٢٦٦)، والصَّفديَّة (١/١٩٨)، وتفسير ابن كثير (٣/١٥٨، ٤/٤٢٢)، والبداية والنهاية (٢/٧٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، وفتح الباري لابن حجر (٦/٤٧١، ٧/١٣٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ]، وتحفة الأحوذي (١٠/٢٦٥)، وإمتاع الأسماع للمقريزي (١٠/٢٧٠) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٨/١٠٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ].

مستقر الأرواح

يراجع مصطلح (الروح).

المسح

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والسين والحاء أصل صحيح، وهو إمرار الشيء على الشيء بسطًا، ومسحته بيدي مسحًا»[(١)].

التعريف شرعًا:

ورد في الحديث الصحيح أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام مسح ظهره، وعلى هذا يعتبر المسح من الصفات الفعلية الخبرية[(٢)].

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة الحديث النبوي عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

(١) مقاييس اللغة (٢/٥١٠) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: صفات الله عز وجل للسقاف (٣١٥) [دار الهجرة، الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٠) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

الحقيقة:

هو إمرار الله عز وجل يده المباركة بسطًا على ظهر آدم عليه السلام.

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة**» الحديث[(٣)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون...**» الحديث[(٤)].

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٣٩) [مكتبة المعارف، ط١].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٠٣)، والترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٥) وحسَّنه، وأحمد (١/٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومالك في الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٧)، =

أقوال أهل العلم:

قال ابن سريج: «وقد صحَّ وتقرر واتضح عند جميع أهل الديانة والسُّنَّة والجماعة من السلف الماضين، والصحابة والتابعين من الأئمة المهتدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن جميع الآي الواردة عن الله تعالى في ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في الله وفي صفاته التي صحَّحها أهل النقل، وقبِلها النقاد الأثبات، يجب على المرء المسلم المؤمن الموفق، الإيمان بكل واحد منه كما ورد، وتسليم أمره إلى الله سبحانه وتعالى كما أمر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وغير ذلك من صفاته المتعلقة به المذكورة في الكتاب المنزل على نبيِّه ﷺ. وجميع ما لفظ به المصطفى ﷺ من صفاته كغرسه جنة الفردوس بيده[1]، وخط التوراة بيده[2]... وأن كلتا يديه يمين[3]، واختيار آدم قبضة اليمنى[4]، وحديث القبضة وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من جهنم فيدخلهم الجنة[5]، ولما خلق آدم عليه الصلاة والسلام مسح ظهره بيمينه فقبض قبضة فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي أصحاب اليمين، وقبض قبضة أخرى وقال هذه للنار ولا أبالي أصحاب الشمال، ثم ردَّهم في صلب آدم»[6].

وقال أبو الحسن الكرجي: «فلنعتقد أن لله أسماء وصفات قديمة غير مخلوقة جاء بها كتابه وأخبر بها الرسول أصحابه، فيما رواه الثقات وصححه النقاد الأثبات، ودلَّ القرآن المبين والحديث الصحيح المتين على ثبوتها... ونحو قوله: «**ثلاث حثيات من حثيات الرب**»[7]، وقوله: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره بيمينه**»»[8].

= وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٦)، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٢٥٦) وصححه، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ٣٠٧١).

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٣٦٨) وحسَّنه، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦١٦٧)، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٢١٤) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٩).

(٥) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٦) ذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (١٢٧، ١٢٨) [مكتبة دار البيان، دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ].

(٧) أخرجه الترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٧) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٨٦)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٦٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٥١٣) [مؤسسة الريان] من طريقين: وقال في الأول منهما: «وهذا إسناد جيد»، وقال في الآخر: «وهذا أيضًا إسناد حسن»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٦١٤) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٨) نقله عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ١٧٥ ـ ١٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

وقال ابن القيم: «ورد لفظ اليد في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودًا متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقة، من الإمساك والطي والقبض والبسط وأنه مسح ظهر آدم بيده، ثم قال له ويداه مقبوضتان: اختر. فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يديه يمين مباركة»[1].

مذهب المخالفين:

يعتبر المسح صفة من الصفات الفعلية الاختيارية، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية[2].

ولكن جاء ذكرها وبيانها ووصف رب العالمين بها على لسان رسول الله ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة**» الحديث[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون...**» الحديث[4].

والنبي ﷺ أعرف الناس بالله جل وعلا وأكثرهم تعظيمًا وتقديسًا وتسبيحًا له سبحانه، فالأخذ بما جاء وثبت عن النبي ﷺ هو الواجب المتعيّن، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.

٣ ـ «شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري»، لعبد الله بن محمد الغنيمان.

٤ ـ «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ١٧١) [مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٣٤٩هـ].

(٢) انظر من كتب المعتزلة: تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار (١٥٣) [دار النهضة الحديثة، بيروت]، والكشاف للزمخشري (٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣١) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ]، ومن كتب الماتريدية: مدارك التنزيل للنسفي (١/ ٦١٦، ٦١٧) [دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

٥ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤)، لابن تيمية.

٦ ـ «مختصر الصواعق المرسلة» (ج٢)، لابن القيم.

٧ ـ «المسائل العقدية المتعلقة بآدم عليه السلام» (ج١ ـ ٣)، لألطاف الرحمٰن بن ثناء الله.

٨ ـ «معارج القبول» (ج١، ٣)، لحافظ الحكمي.

٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

المُسَعِّر

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «السين والعين والراء أصل واحد يدل على اشتعال الشيء، واتقاده، وارتفاعه؛ من ذلك السعير: سعير النار، واستعارها: توقدها»[(١)].

المسعِّر: اسم فاعل من التسعير، والسّعر: الذي يقوم عليه الثمن؛ لأنه يعلو ويرتفع، جمعه أسعار، ومنه سَعَّر يُسَعِّر تسْعيرًا، فهو مُسَعِّر؛ إذا قدَّر الثمن وحدده[(٢)].

التعريف شرعًا:

المُسَعِّر: هو تقدير الله عز وجل لارتفاع السلع وانخفاضها، وغلائها ورخصها، وتقديره وتدبيره لأسباب ذلك كله[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي علاقة مطابقة، فإن المُسَعِّر في اللغة هو الذي يُحَدِّد أثمان السلع رخصًا وغلاء، وكذلك الله عز وجل هو الذي يحدد ذلك بما يهيئه سبحانه وتعالى من أسباب غلاء السلع أو رخصه بمقتضى قضائه وقدره عز وجل.

الحكم:

لم يثبت أن المُسعِّر من أسماء الله عز وجل، لكن يخبر عن الله عز وجل أنه هو المسعر، فلا تسوغ تسمية الله عز وجل بالمسعِّر، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد المسعِّر؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله عز وجل[(٤)].

الأدلة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٧٥) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ٨٧، ٨٨) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/ ٦٨٤، ٦٨٥) [دار العلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (٥١٨) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (١/ ٤٣٠، ٤٣١) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٠٣) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٩٢٩) [المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ]، وفيض القدير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، وسبل السلام (٢/ ٢٥) [مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٣٧٩هـ].

(٤) انظر: لقاء الباب المفتوح ـ موقع الشيخ ابن عثيمين ـ رقم الشريط (٦٩)، الوجه الثاني: (١١:٣).

السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله سعِّر لنا. فقال: «**إن الله هو القابض الباسط الرازق المسعّر، وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه، في دم ولا مال**»[١].

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالغلاء بارتفاع الأسعار، والرخص بانخفاضها، هما من جملة الحوادث التي لا خالق لها إلا الله وحده، ولا يكون شيء منها إلا بمشيئته وقدرته، لكن هو سبحانه قد جعل بعض أفعال العباد سببًا في بعض الحوادث، كما جعل قتل القاتل سببًا في موت القاتل، وجعل ارتفاع الأسعار قد يكون بسبب ظلم العباد، وانخفاضها قد يكون بسبب إحسان بعض الناس، ولهذا أضاف من أضاف من القدرية والمعتزلة، وغيرهم الغلاء والرخص إلى بعض الناس، وبنوا على ذلك أصولًا فاسدة»[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ مجيبًا عن سؤال: هل المسعر من أسماء الله؟: «الذي يظهر لي أن هذه صفة من صفات الأفعال؛ يعني: أن الله هو الذي يغلي الأشياء ويرخصها، فليس من الأسماء، هذا الذي يظهر لي والله أعلم، لكن نقول كما قال الرسول»[٣].

وقال الشيخ عبد المحسن العباد: «الذي ذكره أنه من أسماء الله هو القرطبي، وغيره ما ذكره؛ يعني: لم أقف على أحد ذكره غير القرطبي، الذين عدُّوا أسماء الله الحسنى، مثل ابن حزم[٤]، ومثل ابن حجر، وكذلك ابن عثيمين، وغيرهم ما ذكروا هذا الاسم، ولكن يخبر عن الله به، ولا يوصف ولا يسمَّى؛ لأنه إذا سمِّي؛ إذا حصل تسمية، فإن الصفة تؤخذ من الأسماء؛ لأن كل اسم تشتق منه صفة، الصفات تشتق من الأسماء، والأسماء لا تشتق من الصفات»[٥].

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لا يطلق على الله أنه المسعر، لكن يلحق ـ وهو من باب الوصف ـ أن الله هو المسعِّر؛

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب البيوع، رقم ٣٤٥١)، والترمذي (أبواب البيوع، رقم ١٣١٤) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب التجارات، رقم ٢٢٠٠)، وأحمد (٢٠/٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب البيوع، رقم ٢٥٨٧)، وابن حبان (كتاب البيوع، رقم ٤٩٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٨٤٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٥٢٠) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ].

(٣) لقاء الباب المفتوح ـ موقع الشيخ ابن عثيمين ـ رقم الشريط (٦٩) الوجه الثاني: (٣:١١).

(٤) بل ذكره ابن حزم من جملة الأسماء الحسنى كما في المحلى (٨/٣١) [إدارة الطباعة المنيرية، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٥) شرح كتاب البيوع من سنن الترمذي باب ما جاء في التسعير ـ موقع الشيخ عبد المحسن العباد، رقم الشريط (١٥٣)، الدقيقة: (٤٧:١٨).

المتصرف في...، كما تقول: إن الله هو المتصرف في الكون، ليس المتصرف من أسماء الله، لكن هذا من باب الوصف»[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «المحلى»، لابن حزم.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، للعظيم آبادي.

٤ ـ «سبل السلام بشرح بلوغ المرام»، للصنعاني.

٥ ـ «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي.

٦ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٧ ـ «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير.

٨ ـ «نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار»، للشوكاني.

٩ ـ «أسماء الله الحسنى في الكتاب والسُّنَّة»، للرضواني.

١٠ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

(١) شرح كتاب البيوع من بلوغ المرام ـ موقع الشيخ صالح الفوزان ـ رقم الشريط (٣) الدقيقة (٠١:٠٨:٣٠).

مسلمة الفتح

يراجع مصطلح (الصحابة).

المسيح الدجال

التعريف لغةً:

المَسْحُ: إمرار اليد على الشيء، وإزالة الأثر عنه[٢]. ويقال: رجل ممسوح الوجه، ومسيح، وهو أن لا يبقى على أحدِ شِقَّيِّ وجهه عين ولا حاجب إلا استوى[٣]. قال ابن فارس: «المسيح الذي أحدِ شقَّيِّ وجهه ممسوح، لا عين ولا حاجب، ومنه سمي الدجال مسيحًا؛ لأنه ممسوح العين»[٤].

والدجال أصله من: دجل، والدجل هو التمويه والتغطية والخلط، ودِجْلة: نهر ببغداد، سُميت بذلك؛ لأنها تغطي الأرض بمائها، وهذا المعنى أيضًا في الدجال؛ لأنه يغطي الأرض بكثرة أتباعه. والدجال: الكذاب؛ لأنه يموِّه ويغطي الحق بالباطل[٥].

(٢) ينظر: لسان العرب (٢/٥٩٣) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ].

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، وإكمال المعلم (١/٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

(٤) مقاييس اللغة (٩٤٨) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ].

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥٧)، وإكمال المعلم =

التعريف شرعًا:

الدجال: رجل من بني آدم له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث؛ لتعريف الناس به وتحذيرهم من شره، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به، وخروجه من علامات الساعة الكبرى[١].

سبب التسمية:

سمِّي الدجال مسيحًا؛ لأنه يمسح الأرض عند خروجه ويقطع أكثر نواحيها في أربعين يومًا. وقيل: سمي الدجال بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة[٢]. وسمي بالدجال؛ لأنه يموه ويغطي الحق بالباطل، ولأنه يغطي الأرض بكثرة أتباعه، فأصل الدجل كما مر معنا هو التمويه والتغطية[٣].

الأسماء الأخرى:

يسمَّى الدجال: مسيح الضلالة، والمسيح الأعور، كما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال في زمن عيسى عليه السلام عند نزوله: «**حتى يهلك في زمانه مسيح الضلالة الأعور الكذاب**»[٤]. ولا يطلق عليه المسيح إلا موصوفًا، فيقال: المسيح الدجال، والمسيح الأعور، وهكذا[٥].

الحكم:

يجب الإيمان بظهور الدجال في آخر الزمان. وظهوره من العلامات الكبرى للساعة، والإيمان بها يدخل ضمن الإيمان باليوم الآخر الذي هو ركن من أركان الإيمان.

الحقيقة:

الدجال: رجل من بني آدم يمتحن الله به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه. فمن استجاب له يأمر الدجال السماء لتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وترجع إليهم سمانًا. ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره، تصيبهم السنة والجدب والقحط والعلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، ويقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس تمويهًا بل حقيقة يمتحن الله به عباده في ذلك الزمان،

= (١/ ٥٢٠)، وشرح سنن أبي داود للعيني (٤/ ٩١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ].

(١) كما سيأتي في الأحاديث الصحيحة الآتي ذكرها.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ]، وإكمال المعلم (١/ ٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٣٥٧)، وإكمال المعلم (١/ ٥٢٠)، وشرح سنن أبي داود (٤/ ٩١).

(٤) أخرجه أحمد (١٥/ ٣٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨١٢)، وقوَّى شعيب الأرنؤوط إسناد ابن حبان.

(٥) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٧٦٧)، وإكمال المعلم (١/ ٥٢٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٨٦٩).

فيضل به كثيرًا ويهدي به كثيرًا، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا، يمكث فترة من الزمن حتى يقتله عيسى عليه السلام[(١)]. قال ابن القيم موضحًا حقيقة الدجال: «ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعي الإلٰهية، فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله، ويُظهِر للخلائق أنه كان كاذبًا مفتريًا. ولو كان إلٰهًا لم يقتل، فضلًا عن أن يُصلَب ويُسمر ويُبصق في وجهه»[(٢)].

الأهمية:

لا شكَّ في أن فتنة الدجال أكبر فتنة وأعظم بلاء يبتلى به العبد، وسينخدع به كثير من البشر إلا من عصم الله تعالى، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»[(٣)]. ونقل عن الإمام أبي محمد عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي أحد أتباع التابعين قوله: «ينبغي أن يدفع هذا الحديث ـ يقصد حديث الدجال ـ إلى المؤدِّب حتى يعلمه الصبيان في الكتّاب»[(٤)]، ونقل السخاوي عن النووي وغيره من العلماء قولهم: «كان السلف يستحبون أن يلقن الصبيان أحاديث الدجال ليحفظوها، وترسخ في قلوبهم ويتوارثها الناس»[(٥)].

الأدلة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة... فإذا رجل أحمر[(٦)]، جسيم، جعد الرأس، أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال**»[(٧)].

وعنه رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «**إن الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة**»[(٨)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/١٢١) [دار الكتب الحديثة، ط١] بتصرف يسير.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٣٤٥) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٦).

(٤) ذكره ابن ماجه في (كتاب الفتن، عند الحديث رقم ٤٠٧٧).

(٥) القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (١٠) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٦) الأحمر: الأبيض المائل إلى الحمرة، والعرب تقول لمن علا لونه البياض: أحمر، وتسمِّي العجم الحمراء؛ لغلبة البياض على ألوانهم. ينظر: لسان العرب (٤/٢٠٨، ١٣/٤٣١).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب التعبير، رقم ٧٠٢٦)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧١).

(٨) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر**»، وفي لفظ: «**الدجال مكتوب بين عينيه: ك ف ر؛ أي: كافر**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم عن الدجال حديثًا ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه**»(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارًا، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد. وإن الدجال ممسوح العين؛ عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»(٣).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**»، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**»، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**»، قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذُرًى، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس**

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٣١)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٣٣٨)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغَرَض، ثم يدعوه فيُقبِل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مَهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله»[(١)].

۞ أقوال أهل العلم:

قال الآجري: «استعاذ النبي ﷺ من الدجال[(٢)]، وعلَّم أمته أن يستعيذوا بالله من فتنة الدجال، فينبغي للمسلمين أن يستعيذوا بالله العظيم منه. وقد حذر أمته ـ في غير حديث ـ الدجالَ، ووصفه لهم، فينبغي للمسلمين أن يحذروه، ويستعيذوا بالله من زمان يخرج فيه الدجال، فإنه زمان صعب، أعاذنا الله وإياكم منه. وقد روي أنه قد خلق، وهو في الدنيا موثق بالحديد إلى الوقت الذي يأذن الله ﷻ بخروجه»[(٣)].

وقال أبو عمرو الداني: «إن الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك: خروج الكذاب الأعور الدجال، وفتنته، وأن له جنة ونارًا، فجنته نار، وناره جنة، وأن عيسى عليه السلام يقتله فيهلك ومن معه من أهل الكفر والضلال»[(٤)].

وقال ابن تيمية: «وأعظم الدجاجلة فتنة الدجال الكبير الذي يقتله عيسى ابن مريم، فإنه ما خلق الله من لدن آدم إلى قيام الساعة أعظم من فتنته، وأمر المسلمين أن يستعيذوا من فتنته في صلاتهم»[(٥)].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: صفاته:

١ ـ أعور العين: جاء في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال**»[(٦)]. وفي حديث له رضي الله عنه:

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٣٢)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٩).

(٣) الشريعة (٣/١٩٧) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٤) الرسالة الوافية (٢٤٣) [دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٢١هـ].

(٥) جامع الرسائل (١/١٩٧) [مطبعة المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ].

(٦) تقدم تخريجه.

«**أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافئة**»[(١)]. وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى**»، وفي رواية: «**وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة**»[(٢)]. والظفرة: هي جلدة أو لحمة تغشى البصر تنبت عند المآقي[(٣)]. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء**»[(٤)]. ومطموس العين؛ أي: ممسوحها من غير بخص[(٥)]، والطمس: استئصال أثر الشيء، والجحراء: الذي قد انخسفت فبقي مكانها غائرًا كالجحر، يقول: إن عينه سادَّة لمكانها مطموسة؛ أي: ممسوحة ليست بناتئة ولا منخسفة[(٦)]، قال القاضي عياض: «قوله: «**أعور العين اليمنى**» وهو المشهور، وفي رواية أخرى: «**أعور العين اليسرى**»، وقد ذكرهما معًا مسلم، وتصح الروايتان جميعًا بأن تكون المطموسة، والممسوحة، والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز، والعين اليمنى على ما جاء هنا. وتكون الجاحظة، والتي كأنها كوكب، وكأنها نخاعة، هي الطافية ـ بغير همز ـ العين الأخرى. فتجتمع الروايات والأحاديث ولا تختلف، وعلى هذا تجتمع رواية أعور العين اليمنى مع أعور العين اليسرى؛ إذ كل واحدة منهما بالحقيقة عوراء؛ إذ الأعور من كل شيء المعيب، ولا سيما بما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء. فالممسوحة والمطموسة والطافئة بالهمز عوراء حقيقة، والجاحظة التي كأنها كوكب وهي الطافية بغير همز معيبة عوراء لعيبها، فكل واحدة منهما عوراء، إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها»[(٧)].

٢ ـ كثير الشعر، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى، جفال**

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٣٩)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/٦٣) [دار إحياء التراث، ط٢].

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم، رقم ٤٣٢٠)، وأحمد (٣٧/٤٢٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (٨/٢٦٤) [دار خضر، ط٣]، وقال الألباني: إسناده جيد. قصة المسيح الدجال (٦٨) [المكتبة الإسلامية].

(٥) بخص العين: هو لحم عند الجفن الأسفل يظهر من الناظر عند التحديق إذا أبصر شيئًا فأنكره أو تعجب منه. ينظر: غريب الحديث للخطابي (٣/١٤٦) [جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ].

(٦) ينظر: معالم السنن (٤/٣٢٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ]، والنهاية في غريب الحديث (٥٦٨).

(٧) إكمال المعلم (١/٥٢١، ٥٢٢). وينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٢١).

الشعر، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار»[١]. وجفال الشعر؛ أي: كثيره[٢].

٣ ـ رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس، فعن عبد الله بن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة؛ فإذا رجل أحمر، جسيم، جعد الرأس... قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال**»[٣].

٤ ـ ومن صفاته أنه هِجَانٌ أَزْهَر، جاء في الحديث عن ابن عباس ﵄، عنه ﷺ؛ أنه قال في الدجال: «**أعور، هِجَانٌ، أَزْهَر، كأن رأسه أَصَلَةٌ، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هَلَكَ الهُلَّك، فإن ربكم ليس بأعور**»[٤].

٥ ـ رأس الدجال يشبه رأس الأَصَلَة، كما دلَّ عليه الحديث السابق[٥].

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٤).
(٢) ينظر: إكمال المعلم (٨/٤٧٨)، والقناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة (٢١).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه أحمد (٤/٤٨، ٤٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٧٩٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١١٩٣).
والهجان: الأبيض، والعرب تعد البياض من الألوان هجانًا. ينظر: لسان العرب (١٣/٤٣٣). والأزهر: هو الأبيض فيه حمرة. ورجل أزهر؛ أي: أبيض مشرق الوجه، والأزهر: الأبيض المستنير. ينظر: لسان العرب (٤/٣٣٢).
(٥) الأَصَلَةُ: جنس من الحيات وهو أخبثها، وهي حية ضخمة قصيرة، شبَّه رأس الدجال بها لعظمه واستدارته. ينظر لسان العرب (١١/١٧).

٦ ـ ومن صفاته: أنه قصير، أفحج؛ أي: أنه إذا مشى باعد بين رجليه[٦]، فعن عبادة بن الصامت ﵁؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن مسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين ليس بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور**»[٧].

٧ ـ ومن صفاته: أنه أجلى الجبهة عريض النحر، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وأما مسيح الضلالة، فإنه أعور العين، أجلى الجبهة، عريض النحر، فيه دفأ**»[٨]. والجلاء: ذهاب الشعر إلى نصف الرأس، وأجلى الجبهة؛ أي: انحسر الشعر عن جبهته، والدفأ: الانحناء[٩].

٨ ـ الدجال عقيم لا يولد له، كما دلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري ﵁

(٦) ينظر: معالم السنن (٤/٣٢٠).
(٧) تقدم تخريجه.
(٨) أخرجه أحمد (١٣/٢٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٣٤٦) [مكتبة القدسي]: (فيه المسعودي، وقد اختلط)، وأشار إلى ذلك الألباني أيضًا. انظر: السلسلة الصحيحة (٧/١٧١٤).
وجاء بنحوه من حديث الفلتان بن عاصم ﵁: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الفتن، رقم ٣٧٤٥٨)، والبزار (٩/١٤٣) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، وقال الهيثمي: (رجاله ثقات). مجمع الزوائد (٧/٣٤٨).
(٩) ينظر: النهاية في غريب الحديث (١٦٢، ٣٠٩).

في قصته مع ابن صياد، حينما قال له الأخير: ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه لا يولد له؟**» قال: بلى[١].

٩ ـ مكتوب بين عيني الدجال كلمة (كافر) وهي كتابة حقيقية على ظاهرها، قال النووي: «الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقة جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك»[٢].

وقال ابن حجر: «وقوله: «**يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**» إخبار بالحقيقة، وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره، وإن كان لا يعرف الكتابة. ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم لأن ذلك الزمان تنخرق فيه العادات»[٣].

ـ المسألة الثانية: علامات خروجه:

جاء في حديث الجسَّاسة الذي ترويه فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيه أن الدجال يسأل تميمًا الداري رضي الله عنه وأصحابه: «فقال: أخبروني عن نخل بَيْسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر[٤]. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني؛ إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج»[٥].

ـ المسألة الثالثة: مكان خروجه:

يخرج من جهة المشرق، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلدًا إلا دخله ما عدا

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٢٧).
(٢) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٨١).
(٣) فتح الباري (١٣/ ١٠٧).
(٤) زغر قرية بمشارف الشام. ينظر: معجم البلدان للحموي (٣/ ١٤٣) [دار الفكر].
(٥) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٢).

مكة والمدينة. فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة**»[(١)]. وجاء في حديث الجسَّاسة الذي ترويه فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي قال: «**ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن؛ لا بل من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو**». وأومأ بيده إلى المشرق[(٢)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة، حتى ينزل دبرَ أُحُد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك**»[(٣)]. وفي حديث النواس بن سمعان: «**إنه خارج خلة بين الشأم والعراق**»[(٤)]. وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأن قالوا: إن مبدأ خروجه من خراسان، من ناحية أصبهان، ثم يخرج إلى الحجاز فيما بين العراق والشام»[(٥)].

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٣٧) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٢)، وأحمد (١/ ١٩٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٠٨) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٩١).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٣٨٠).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ينظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣١٠) [دار المنهاج، ط١].

ـ المسألة الرابعة: وقت خروجه:

الذي دلَّت عليه الأحاديث أن خروجه بعد خروج المهدي، وقبل نزول عيسى عليه السلام[(٦)].

ـ المسألة الخامسة: مدة مكث الدجال في الأرض:

يمكث أربعين يومًا، جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: **أربعون يومًا: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**. قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: **لا. اقدروا له قدره**»[(٧)].

ـ المسألة السادسة: سرعة المسيح الدجال في الأرض:

جاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه: «قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: **كالغيث استدبرته الريح**»[(٨)].

ـ المسألة السابعة: أتباعه:

من أتباع المسيح الدجال اليهود، كما ثبت في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا**»[(٩)]. ومن

(٦) كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) هو الحديث السابق نفسه.

(٩) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٤).

أتباعه: قبائل من المشرق من الترك والخوز وغيرهم، كما جاء في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة**»[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم. حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر**»[2]. قال ابن حجر: «الترك قيل: إن بلادهم ما بين مشارق خراسان إلى مغارب الصين، وشمال الهند إلى أقصى المعمور. قال البيضاوي: شبَّه وجوههم بالترسة لبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها»[3]. ومن أتباعه الأعراب، كما جاء في حديث أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**إن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك**»[4].

ومن أتباعه أيضًا: المشركون، والمنافقون الذين في جزيرة العرب، دلَّ عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق**»[5].

- **المسألة الثامنة: امتحانه للناس:**

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال، فيتوجه قِبَله رجل من المؤمنين؛ فتلقاه المسالح**[6] **مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال**

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٥٩٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩١٢).

(٣) فتح الباري (٦/٧٠٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٤٦١) [دار طيبة، ط٢]: (هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٨٧٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٢٤)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٣).

(٦) المسالح جمع مسلح، وهو: موضع السلاح، وكل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة، والمسالح: قوم معهم سلاح يرتبون في المراكز كالخُفراء، سموا بذلك لحملهم السلاح. ينظر: المعجم الوسيط (١/٤٤٢) [دار الدعوة]، وشرح صحيح مسلم للنووي (١٨/٧٢، ٧٣) [دار إحياء التراث العربي، ط٢].

به فَيُشبَحُ[(١)]، فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا. قال: فيقول: أوما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار[(٢)]، من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم فيستوي قائمًا. قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه؛ فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا فلا يستطيع إليه سبيلًا. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[(٣)]. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونارًا. فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق. وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب»[(٤)].

ومع هذا كله؛ إلا أن المؤمن الصادق لا يعبأ بهذه الخوارق التي مع الدجال ولا يجزع منها، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «ما سأل أحدٌ النبيَّ ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: **ما يضرك منه؟** قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبز، ونهر ماء. قال: **هو أهون على الله من ذلك**»[(٥)]. قال القاضي عياض في معنى الحديث: «هو أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه الله تعالى على يده مضلًّا للمؤمنين، ومشككًا لقلوب الموقنين؛ بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وليرتاب الذين في قلوبهم مرض، والكافرون، كما قال له الذي قتله ثم أحياه: ما كنت قط فيك أشد بصيرة مني الآن»[(٦)].

- المسألة التاسعة: الدجال لا يدخل مكة والمدينة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال؛ إلا مكة والمدينة، وليس نقب**

(١) الشبح: أن يمد كالمصلوب، ينظر: الفائق في غريب الحديث (٢/ ٢١٩).

(٢) «يؤشر بالمئشار» هكذا في صحيح مسلم، ومعناها: ينشر بالمنشار، قال النووي: «هكذا الرواية: (يؤشر) بالهمز، والمئشار بهمزة بعد الميم، وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمزة فيهما، فيجعل في الأول واوًا، وفي الثاني ياء. ويجوز (المنشار) بالنون، وعلى هذا يقال: نشرت الخشبة، وعلى الأول يقال: أشرتها». ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٨/ ٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٣٨).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٥٠)، ومسلم (كتاب الفتن، رقم ٢٩٣٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الفتن، رقم ٧١٢٢)، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٥٢).

(٦) إكمال المعلم (٨/ ٤٩٢).

من أنقابها إلا عليه الملائكة صافِّين تحرسها، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[(١)].

ـ المسألة العاشرة: مقتل الدجال:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة» الحديث، وفيه قصة نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال: «**فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات. ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله**»[(٢)]. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في خفقة**[(٣)] **من الدين، وإدبار من العلم**» الحديث، وفيه: «**ثم ينزل عيسى ابن مريم فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني! فينطلقون، فإذا هم بعيسى ابن مريم، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم. فإذا صلى صلاة الصبح خرجوا إليه، قال: فحين يراه الكذاب ينماث**[(٤)] **كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله؛ حتى إن الشجرة والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي. فلا يترك ممن كان يتبعه أحدًا إلا قتله**»[(٥)].

ـ المسألة الحادية عشرة: لماذا لم يذكر الدجال في القرآن؟

قال ابن كثير رحمه الله: «لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له، حيث يدعي الإلٰهية وهو بشر، ينافي حاله جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يُذكر، وأصغر وأدخر من أن يُجلى عن أمر دعواه ويحذر؛ ولكن انتصر الرسل لجناب الرب عز وجل، فجلَّوا لأممهم عن أمره، وحذروهم ما معه من الفتن المضلة والخوارق المنقضية المضلة، فاكتفى بإخبار الأنبياء، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء، عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال الله في القرآن العظيم، ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم. فإن قلت: فقد ذكر فرعون في القرآن، وقد ادعى ما ادَّعاه من الكذب والبهتان، **والجواب**: أن أمر

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) الخفقة: النعسة، شبَّه الدين في ذلك الزمن بالنائم. ينظر: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢٩١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٥م].
(٤) ينماث: يذوب، ينظر: الفائق في الغريب (٣/ ٣٩٧) [دار المعرفة].
(٥) أخرجه أحمد (٢٣/ ٢١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٤) [دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ]: «رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح»، وكذا ذكر الألباني، لكنه قال: «إلا أن أبا الزبير مدلس، وقد عنعنه». قصة المسيح الدجال (٧٣) [المكتبة الإسلامية].

فرعون قد انقضى، وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل. وهذا أمر سيأتي وكائن فيما يستقبل فتنة واختبارًا للعباد، فترك ذكره في القرآن احتقارًا له وامتحانًا به، إذ الأمر في كذبه أظهر من أن ينبه عليه ويحذر منه، وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه فالدجال ظاهر النقص، واضح الذم، بالنسبة إلى المقام الذي يدعيه، ويرومه من الربوبية، فترك الله ذكره والنص عليه؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين أن مثل هذا لا يهيضهم ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا لله ورسوله، وتصديقًا للحق وردًّا للباطل»[(١)].

- **المسألة الثانية عشرة: ما يعصم من فتنة الدجال:**

١ - حفظ آيات من سورة الكهف، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»[(٢)]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدجال**»، وفي رواية: «**من آخر الكهف**»[(٣)].

٢ - التعوذ من فتنة الدجال، وخاصة في الصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم، فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[(٤)].

٣ - الفرار من الدجال، ويفضّل سكنى مكة والمدينة؛ لأنه لا يدخل الحرمين.

الآثار:

للإيمان بوجود الدجال آثار عدة، منها: التمسك بالإسلام، ومعرفة صفات الله جل جلاله وأسمائه الحسنى، فيعلم الإنسان أن الدجال بشر يأكل ويشرب والله جل جلاله منزه عن ذلك، وأن الدجال أعور، والله ليس بأعور، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت، والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم.

الحكمة:

من الحكمة في ظهور الدجال: امتحان من الله جل وعلا لعباده، وابتلاء لهم؛ ليحق الله الحق، ويبطل الباطل، ثم يفضحه تعالى، ويظهر للناس عجزه وضعفه، قال القاضي: «هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة

(١) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ١٢٣، ١٢٤).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٨٠٩)، باللفظين كليهما.
(٤) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٨٨).

وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى، من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يُعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، هذا مذهب أهل السُّنَّة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار»[(١)].

مذهب المخالفين:

أنكر وجود الدجال الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة وزعموا «أن أمره لو كان صحيحًا كان قدحًا في النبوة. وقد وهم جميعهم؛ فإنه لم يأت بدعوى النبوة فيكون ما جاء به كالتصديق له، ولأنه لو صح منه لم يفرق بين النبي والمتنبئ فيطعن ذلك على النبوة، وإنما جاء بدعوى الإلٰهية، وهو في نفس دعواه لها مكذب لدعواه بصورة حاله ونقص خلقه، وظهور سمات الحدث به وشهادة كذبه وكفره المكتتبة بين عينيه، وعجزه عن تحسين صورته، وإزالة العور والشَّين عن نفسه»[(٢)].

وذهب بعض المعاصرين[(٣)] إلى أن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح، التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها، وأن الدجال رمز للشر، واستعلائه وصولة جبروته، وتطاير أذاه وفتنته، إلى أن تنطفئ جذوته وتموت جمرته بسلطان الحق. كما زعم بعضهم أن المراد بقتل عيسى عليه السلام للدجال هو محق الباطل بصولة الحق[(٤)]. وهذا زعم باطل، فالأحاديث الصحيحة صريحة في أن الدجال رجل بعينه، وليس هناك ما يدل على أنه رمز للخرافات والدجل الباطل، وقد صحَّت الأحاديث عن النبي ﷺ بخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال[(٥)]. كما أن محق الباطل بصولة الحق سُنَّة كونية وقعت ولا تزال تقع. أما الدجال فيظهر في آخر

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٧٩).

(٢) إكمال المعلم (٨/ ٤٧٥).

(٣) أمثال محمد عبده، ينظر: تفسير المنار (٣/ ٣١٧)، وأبو رية في كتابه: أضواء على السُّنَّة المحمدية (٢١٣)، وأبو عبية في تعليقاته عل كتاب الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ١١٨، ١١٩).

(٤) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ٨٥) [دار الصميعي، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٥) ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ٨٥)، وأشراط الساعة للوابل (٣١٦) [ابن الجوزي، ط٢٧، ١٤٣٠هـ].

الزمان عند قرب قيام الساعة فتنة للناس وامتحانًا لهم، والله أعلم.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لصديق خان.

٢ ـ «الأسئلة الفائقة بالأجوبة اللائقة»، لابن حجر.

٣ ـ «الإشاعة لأشراط الساعة»، للبرزنجي.

٤ ـ «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (ج٨)، للقاضي عياض.

٥ ـ «البحور الزاخرة» (ج١)، للسفاريني.

٦ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج٣)، للقرطبي.

٧ ـ «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، لمحمد أنور الكشميري.

٨ ـ «شرح سنن أبي داود» (ج٤)، للعيني.

٩ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج١٨)، للنووي.

١٠ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، للسخاوي.

١١ ـ «معالم السنن» (ج٤)، للخطابي.

١٢ ـ «النهاية أو الفتن والملاحم» (ج١)، لابن كثير.

المشيئة

التعريف لغةً:

المشيئة: مصدر من شاء، يقال: شاء يشاء مشيئة، جاء في لسان العرب: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشاؤه شيئًا ومشيئة ومشاءة ومشاية»[(١)]، وقال الفارابي: «شاءَ مَشيئةً، وهي أخص من الإرادة»[(٢)].

التعريف شرعًا:

إن الله عز وجل موصوف بالمشيئة، وهي صفة من صفات الله الذاتية من حيث النوع، وصفة من صفات الله الفعلية من حيث الأفراد، وهي ثابتة لله جل وعلا بنصوص الكتاب والسُّنَّة، كما يليق بجلاله وعظمته[(٣)].

الأسماء الأخرى:

الإرادة.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة

(١) لسان العرب (١/١٠٣) [دار صادر]. وانظر: تهذيب اللغة (١١/٣٠٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م]، والصحاح (١/٥٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) ديوان الأدب (٤/٢١٨) [مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٣) انظر: صفات الله عز وجل للسقاف (٥٧) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ]، وكتاب صفات الله عز وجل لصالح المسند (١٢٩، ١٣٠) [دار المدني، جدة، ط٢، ١٤١٢هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٢) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل(١).

الحقيقة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة، فما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ومشيئته سبحانه شاملة لكل ما يجري في الكون، فلا يخرج شيء عن مشيئته تعالى، ولا يحدث في الكون شيء من غير مشيئته سبحانه(٢).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتجَّت النار والجنة، فقالت هذه: يدخلني الجبارون والمتكبرون. وقالت هذه: يدخلني الضعفاء والمساكين. فقال الله عز وجل لهذه: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**»(٣).

وعن قتيلة ـ امرأة من جهينة ـ أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون، وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «**ورب الكعبة**». ويقولون: «**ما شاء الله، ثم شئت**»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رجلًا أتى النبي ﷺ فكلمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «**أجعلتني لله عدلًا! قل: ما شاء الله وحده**»(٥).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٠) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٣هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٨٥٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٦)، واللفظ له.

(٤) أخرجه النسائي (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٣٧٧٣)، وأحمد (٤٥/ ٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الأيمان والنذور، رقم ٧٨١٥) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الكفارات، رقم ٢١١٧)، وأحمد (٣/ ٣٣٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبخاري في الأدب المفرد (٧٧٤) [دار البشائر الإسلامية، ط٣]، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٤٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢] واللفظ له، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٠٥٦) [دار ابن حزم، ط١]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩).

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الأشعري: «جملة ما عليه أهل الحديث والسُّنَّة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله لا يردون من ذلك شيئًا، وأن الله سبحانه إلٰه واحد فرد صمد، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وإن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان، وما لا يشاء لا يكون»(١).

وقال أيضًا: «وأجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل، لم يزل بها حيًّا وإرادة لم يزل بها مريدًا»(٢).

وقال أبو بكر الإسماعيلي: «ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، ويقولون: لا سبيل لأحد أن يخرج عن علم الله ولا أن يغلب فعلُه وإرادتُه مشيئةَ الله، ولا أن يبدل علم الله، فإنه العالم لا يجهل ولا يسهو، والقادر لا يغلب عليه»(٣).

وقال ابن تيمية: «وكذلك وصف نفسه بالمشيئة، ووصف عبده بالمشيئة، وكذلك وصف نفسه بالإرادة، ووصف عبده بالإرادة، ومعلوم أنَّ مشيئة الله ليست مثل مشيئة العبد، ولا إرادته مثل إرادته»(٤).

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: المشيئة من مراتب القدر:

الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان، والقدر له مراتب ودرجات، والمشيئة، هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، قال ابن القيم: «المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان. وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أوَّلِهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»(٥).

فنحن معشر المسلمين نؤمن بأن الله

(١) مقالات الإسلاميين (٢٩١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣].
(٢) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٣) [الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٧هـ].
(٣) اعتقاد أئمة أهل الحديث (٥١) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٢هـ].
(٤) مجموع الفتاوى (٣/١٣).
(٥) شفاء العليل (٨٠) [دار الكتب العلمية، ط٢].

قد شاء كل ما في السماوات والأرض، ولا يكون شيء فيهما إلا بمشيئته تعالى، ومن الأدلة الكثيرة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨] فلو شاء الله لجعلكم تبعًا لشريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، ابتلاء واختبارًا لكم، فكنتم على الحالة التي أنتم عليها، فمشيئة الله مطلقة، والنافذ هو ما يشاؤه سبحانه، فهذا دليل واحد من الأدلة الكثيرة الدالة على مرتبة المشيئة من مراتب القضاء والقدر[(١)].

ـ المسألة الثانية: حكم قول: ما شاء الله وشاء فلان:

الواجب على العبد أن يعظِّم الله تعالى حق التعظيم، وأن ينزهه تعالى عن جميع شوائب الشرك حتى في الكلمات والألفاظ، فلا يجوز أن يقول قائل لأحد من المخلوقين: ما شاء الله وشئتَ، أو: ما شاء الله وشاء فلان، ونحو ذلك من العبارات، فإنها من التنديد والتشريك في مشيئة الله تعالى، وقد نهى عنه النبي ﷺ بألفاظ واضحة صريحة، وعده أهل العلم من الشرك الأصغر، فالحذر الحذر من ذلك، وإن كان قائلًا ولا بد فليقل: ما شاء الله ثم شئت، وما شاء الله ثم شاء فلان، كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: المشيئة لا تستلزم المحبة:

ما يحصل في هذا الكون من صلاح وفساد وخير وشر لا يكون إلا بمشيئة الله تعالى، فلا يقع في ملكه إلا ما شاء، ولكن الله لا يحب الشر والفساد، وإنما يحب البر والصلاح والخير الذي أمر به وشرعه على ألسنة رسله عليهم السلام، فمحبته تعالى ورضاه متعلقة بالإرادة الدينية الشرعية، وليس بالإرادة الكونية القدرية التي هي بمعنى المشيئة[(٣)].

ـ المسألة الرابعة: متى تجتمع المشيئة والقدرة؟

إن مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لا يكون، ليس لعدم قدرته عليه؛ فإن الله على كل شيء قدير، وإنما ذلك لعدم مشيئته سبحانه[(٤)]؛

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٣٣ ـ ١٣٨) [مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٤١٩هـ].

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب مع شروحه (باب قول: ما شاء الله وشئت).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٨/ ١٨٧، ١٨٨)، وشفاء العليل (٨٨، ٨٩)، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٣/ ١٦٥) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط١].

(٤) انظر: شفاء العليل (٨٨، ٨٩)، والقضاء والقدر للأشقر (٣٢، ٣٣) [دار النفائس، عمان، ط١٣، ١٤٢٥هـ].

فسبحان الله العظيم الرب الكريم، الذي ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

الفروق:

الفرق بين المشيئة والإرادة:

المشيئة: لم ترد في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ إلا كونية، فتكون المشيئة من هذا الوجه أخص من الإرادة، وقال إسحاق بن إبراهيم الفارابي: «شاءَ مَشيئةً، وهي أخص من الإرادة»[1]، وتكون الإرادة أعم من المشيئة؛ لأنها وردت في كتاب الله تعالى وفي سُنَّة رسوله ﷺ على **قسمين**:

القسم الأول: الإرادة القدرية الكونية التي هي مرادفة للمشيئة، ولا تتعلق بها محبة الله ورضاه.

القسم الثاني: الإرادة الدينية الشرعية، وهذه الإرادة الشرعية مختصة بما يحبه الله ويرضاه من أمور الشرع[2].

مذهب المخالفين:

المشيئة: صفة من صفات الله الذاتية من حيث النوع وصفة من صفات الله الفعلية من حيث الآحاد، فهي من جملة الصفات التي أنكرتها الفلاسفة والجهمية والمعتزلة الذين ينكرون الصفات بالكلية، ومن جملة الصفات التي أنكرتها الكُلابية ومن وافقهم الذين ينكرون صفات الأفعال الاختيارية[3].

والحق الذي لا ريب فيه أنها صفة ثابتة لله تعالى، فما شاء كان وما شاء لم يكن، وهذا الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة، وهو الذي يقتضيه العقل السليم والفطرة المستقيمة، فلا عبرة ولا التفات إلى ما خالف ذلك.

هذا وقد زعمت المعتزلة القدرية أن الشرك والكفر والمعاصي إنما هي تحصل باختيار العباد وإرادتهم وحدهم من غير مشيئة الله تعالى وإرادته، ولا شك أنه قول باطل وزعم فاسد مخالف لأدلة الكتاب والسُّنَّة؛ بل هو مخالف لأدلة العقل السليم والفطرة المستقيمة[4]، فزعمت المعتزلة القدرية أن المعاصي تحصل من غير إرادة الله ومشيئته.

والذي أوقعهم في هذا المأزق الخطير أنهم لم يفرقوا بين الأمر الكوني والأمر الشرعي، ولا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، وقد نبَّه على ذلك العلامة ابن القيم فقال: «وههنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له، وبمعرفته تزول إشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علمًا، وهو أن الله سبحانه له

(١) ديوان الأدب (٤/٢١٨).

(٢) انظر: شفاء العليل (٨٨، ٨٩).

(٣) انظر من كتب المعتزلة: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٦) و(٤/ ٧١٣، ٧١٤) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ].

(٤) انظر: شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٨١٦، ٨١٧) [دار طيبة، الرياض، ط٨، ١٤٢٣هـ].

الخلق والأمر، وأمره سبحانه نوعان: أمر كوني قدري، وأمر ديني شرعي. فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني، وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكرهه، كله داخل تحت مشيئته، كما خلق إبليس وهو يبغضه، وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها، فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله، وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وُجِدَ منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعًا، فهو محبوب للرب واقع بمشيئته؛ كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني، ولم تتعلق به مشيئته، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته، ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته، فلفظ المشيئة كوني، ولفظ المحبة ديني شرعي، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية، فتكون هي المشيئة، وإرادة دينية فتكون هي المحبة. إذا عرفت هذا فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره، فإن المحبة غير المشيئة، والأمر غير الخلق»[(١)]. وبذلك يعلم بطلان ما ذهب إليه المعتزلة القدرية في هذا الباب، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

١ ـ «اعتقاد أئمة أهل الحديث»، لأبي بكر الإسماعيلي.
٢ ـ «رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب»، للأشعري.
٣ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» (ج٤)، لأبي القاسم اللالكائي.
٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية» (ج١)، لابن أبي العز.
٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.
٦ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.
٧ ـ «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.
٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣)، لابن تيمية.
٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.
١٠ ـ «مقالات الإسلاميين»، للأشعري.

(١) شفاء العليل (٨٨، ٨٩).

مشيئة العبد

التعريف لغة

المشيئة: مصدر من شاء، يقال: شاء يشاء مشيئة، جاء في لسان العرب: «المشيئة: الإرادة، شئت الشيء أشاؤه شيئًا ومشيئة ومشاءة ومشاية»[(١)]. وقال الفارابي: «شاءَ مَشيئةً، وهي أخص من الإرادة»[(٢)].

التعريف شرعًا:

مشيئة العبد: هي إرادته التي بها يفعل أفعاله الاختيارية[(٣)].

الحكم:

يجب الإقرار بأن العبد له مشيئة وإرادة، وبناءً عليها كان التكليف، وهذه الإرادة والمشيئة تابعة لمشيئة الله ﷻ[(٤)].

الحقيقة:

للعبد مشيئة وهي إرادته واختياره في الفعل، لكن مشيئته موقوفة على مشيئة الرب تعالى، ولا يقع الفعل منه حتى يشاءه الله سبحانه وتعالى، ومع هذا فلا بدَّ من إرادة الفعل منه، حتى يريد من نفسه إعانته وتوفيقه[(٥)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان]. وقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

وعن حذيفة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**»[(٦)].

فهذه النصوص ظاهرة الدلالة في إثبات مشيئة العبد وإرادته، وأنه تابع في مشيئته لمشيئة الله ﷻ.

أقوال أهل العلم:

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «قال الله ﷻ

---

(١) لسان العرب (١/١٠٣) [دار صادر]. وانظر: تهذيب اللغة (١١/٣٠٦) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م]، والصحاح (١/٥٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٢) ديوان الأدب (٤/٢١٨) [دار الشعب، القاهرة، ط١].

(٣) مفردات القرآن للراغب (٢٧١).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/٨١).

(٥) انظر: شفاء العليل (٩٦).

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٩٨٠)، وابن ماجه (كتاب الكفارات، رقم ٢١١٨)، وأحمد (٣٨/٢٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/١٣٧) [دار العربية، ط٢]: (رجاله ثقات على شرط البخاري، لكنه منقطع)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٧).

في كتابه العزيز: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فأعلم الله ﷻ خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن لا مشيئة لهم إلا أن يشاء الله ﷻ»[(١)].

وقال الشافعي أيضًا:

«فما شئتَ كان وإن لم أشأ
وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقتَ العباد على ما علمتَ
وفي العلم يجري الفتى والمُسِن»

قال ابن عبد البر ؒ بعد أن ذكر هذه وأبيات بعدها: «كل ما في هذه الأبيات معتقد أهل السُّنَّة ومذهبهم في القدر لا يختلفون فيه»[(٢)].

وقال السمعاني ؒ: «رد مشيئتهم إلى مشيئته، والمعنى: لا يريدون إلا بإرادة الله، وهو موافق لعقائد أهل السُّنَّة، أنه لا يفعل أحد شيئًا ولا يختاره ولا يشاؤه إلا بمشيئة الله»[(٣)].

وقال ابن تيمية ؒ: «فمن قال: إن العبد لا مشيئة له ولا اختيار، أو قال: إنه لا قدرة له، أو: أنه لم يفعل ذلك الفعل، أو: لا أثر لقدرته فيه، ولم يحدث تصرفاته؛ فقد أنكر موجب الضرورة»[(٤)].

وقال السعدي ؒ عن مشيئة الله ﷻ: «فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها ردٌّ على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلًا، وجعل ذلك تابعًا لمشيئته»[(٥)].

مذهب المخالفين:

خالف في مشيئة العبد فرقتان؛ بناء على قولهم في خلق أفعال العباد:

الفرقة الأولى: **الجبرية**، حيث نفوا مشيئة العبد بناء عل نفي فعل العبد وإضافته إلى الرب تعالى[(٦)]، ومنهم الجهم بن صفوان حكى عنه الأشعري أنه يقول: إنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله ﷻ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختيارًا له منفردًا له بذلك كما خلق له طولًا كان به طويلًا

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٨/ ٢٥٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ].
(٢) الاستذكار لابن عبد البر (٨/ ٢٦٥).
(٣) تفسير السمعاني (٦/ ١٢٤) [دار الوطن، ط١].
(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨). وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٩).
(٥) تفسير السعدي (٨٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١].
(٦) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥) [مؤسسة الحلبي].

ولونًا كان به متلونًا[(١)].

الفرقة الثانية: **المعتزلة القدرية**، وهؤلاء أثبتوا مشيئة العبد وغلو في ذلك، فنفوا أن تكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ﷻ، وأنكروا ذلك مدَّعين أن ذلك جبر يتنافى مع التكليف[(٢)].

وفي بيان بطلان هذه المذاهب يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب، وبعضهم أقرب إلى الخطأ، وأدلة كل منهم وحججه إنما تنهض على بطلان خطأ الطائفة الأخرى، لا على إبطال ما أصابوا فيه، فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، لا يستثنى من هذا العموم فردٌ واحد من أفراد الممكنات، وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرًا مريدًا فاعلًا بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، وأنها قائمة به لا بالله، وكل دليل صحيح يقيمه القدرية، فإنما يدل على أفعال العباد فعل لهم قائم بهم، واقع بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، وأنهم مختارون غير مضطرين ولا مجبورين، وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادرًا على أفعالهم، وهو الذي جعلهم فاعلين»[(٣)].

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢١٩) [المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ].

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ليحيى العمراني (١/٢٩٤) [أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ]، وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٨٨).

المصادر والمراجع:

١ ـ «منهاج السُّنَّة النبوية».

٢ ـ «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.

٣ ـ «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.

٤ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ ـ «قدرة الله وقدرة العبد بين السلف ومخالفيهم»، لأحمد بن صالح الزهراني.

٧ ـ «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.

٨ ـ «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

٩ ـ «القضاء والقدر»، لعبد الرحمٰن المحمود.

١٠ ـ «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

مشيئة الله

التعريف لغة

المَشِيئةُ: الإرادةُ، وهي مصدر شاءَ

(٣) شفاء العليل (٩٤).

يَشاءُ مَشِيئةً، وقالوا: كلُّ شيءٍ بِشِيئةِ الله ـ بكسر الشين مثل شِيعةٍ ـ؛ أَي: بمَشِيئتِه، وقد شِئتُ الشيءَ؛ أردته مَشِيئَةً وَمَشَاءَةً ومشَائِيَةً، وَقيل: المشيئة هِيَ الإِرَادَة المتعلّقة بأحد الطَّرفَيْن، وقيل: هي صفة مخصصة لأحد طرفَي الْمُقدر بالوقوع[1].

التعريف شرعًا:

مشيئة الله: هي إرادته الكونية القدرية التي هي موجبة لوقوع المراد ولا يمكن تخلفه عنها، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[2].

الأسماء الأخرى:

الإرادة الكونية القدرية.

الحكم:

يجب الإيمان بمشيئة الله تعالى وأنها الموجبة لكل شيء؛ وإثبات عموم مشيئة الله ﷻ هي المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر الذي لا يصح الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بها. وذلك بالإيمان بأن الكون كله صغيره وكبيره ودقيقه وجليله خاضع لتلك المشيئة، فلا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلم الله ﷻ ومَشيئته، ولا تكون حركة ولا سكون إلا بعلم الله ﷻ ومشيئته، ولا تكون طاعة ولا معصية ولا يقع خير ولا شر إلا بعلم الله ﷻ ومشيئته؛ إذ هو المتصرف في الكل والمدبر له[3].

الحقيقة:

إن مشيئة الله تعالى نافذة؛ فما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، ومشيئته سبحانه شاملة لكل ما يجري في الكون، فلا يخرج شيء عن مشيئته تعالى، ولا يحدث في الكون شيء من غير مشيئته سبحانه[4].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].

---

(١) انظر: لسان العرب (١/١٠٣)، تاج العروس للزبيدي (١/٢٩٣)، والفروق اللغوية للعسكري.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢، ١٤٢٥هـ]، وشفاء العليل (٩٠) [دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤١٣هـ].

(٣) انظر: منهاج السُّنَّة (٥/٣١١)، وشفاء العليل (٨٠).

(٤) انظر: شفاء العليل (٨٠).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه حين ناموا عن الصّلاة، قال النبيّ ﷺ: «**إنّ الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء**» فقضوا حوائجهم، وتوضؤوا إلى أن طلعت الشمس وابيضت، فقام فصلى[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلّ نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة**»[(٢)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه السّائل قال: «**اشفعوا فلتؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كل ما هو آت قريب إلا أن البعيد ما ليس بآت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس، ما شاء الله لا ما شاء الناس، يريد الله أمرًا ويريد الناس أمرًا، ما شاء الله كان ولو كره الناس، لا مقرِّب لما باعد الله، ولا مُبعِد لما قرَّب الله، ولا يكون شيء إلا بإذن الله»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٤)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٧٦)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٢٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (جامع معمر، رقم ٢٠١٩٨)، ومن طريقه ابن بطة في الإبانة (٤/٨٦) [دار الراية، ط١].

وقال أحمد بن حنبل: «الاستطاعة لله والقوة. ما شاء الله كان من ذلك، وما لم يشأ لم يكن، ليس كما يقول هؤلاء؛ يعني: المعتزلة: الاستطاعة إليهم»[(٥)].

وقال ابن بطة: «فإن أهل الإثبات من أهل السُّنَّة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة: بأن الإيمان قول وعمل ونية، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون»[(٦)].

وقال ابن تيمية: «وأما الدرجة الثانية؛ فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة؛ وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد»[(٧)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الاحتجاج بمشيئة الله:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا

(٥) السُّنَّة للخلال (٣/٥٥٩) [دار الراية، الرياض].

(٦) الإبانة لابن بطة (٢/٥٥٧).

(٧) الواسطية (٣/١٤٩) [ضمن مجموع الفتاوى].

﴿ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ١٤٨ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٤٧﴾ [يس]، فهذه الآيات فيها احتجاج المشركين بالمشيئة، ولم يكذبهم الله ﷻ في كون شركهم واقع بمشيئته؛ بل النصوص الكثيرة تدل على أن كل ما وقع في هذا الكون إنما وقع بمشيئة الله ﷻ، وعليه فما الجواب عن معنى هذه الآيات التي جعلت قول المشركين ما قالوه سببًا في عذابهم كما في آية الأنعام، وعقب الله ﷻ بعدها بقوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ مؤكدًا أن الهداية بيده سبحانه وتعالى.

الجواب عن ذلك: أن مقولة المشركين هي من باب (كلمة حق أريد بها باطل)؛ فهم ما قالوا ما قالوه على وجه الإقرار لله ﷻ بعموم المشيئة والتدبير، وإنما قالوه ردًّا للحق ودعوة الرسل عليهم السلام، ومرادهم بقولهم هذا: إما أنهم يقولون: إن مشيئته دليل على رضاه عن فعلنا وقبوله لشركنا، بدليل أنه لو كرهه لهدانا لغيره، فاستدلوا بالقدر على رضا الله ﷻ عن فعلهم. وإما أنهم أرادوا أن فعلهم حلال وليس محرمًا أصلًا، بدليل أنه لو كان محرمًا عليهم لصرفهم عنه؛ فإنه يفعل ما يشاء ويتحكم بعباده وفق ما يريد. وإما أنهم أرادوا معارضة الشرع بالقدر، فهم بين أنهم استدلوا بالمشيئة على رضا الله ﷻ عن فعلهم، أو استدلوا بالمشيئة على صحة فعلهم، أو عارضوا الشرع بالقدر.

قال شارح الطحاوية مبيّنًا وجه إنكار الله ﷻ لقولهم: «إنه أنكر عليهم ذلك؛ لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسخطه لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فردَّ الله عليهم ذلك، أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به، أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه؛ كفعل الزنادقة، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر»[(١)].

الفروق:

الفرق بين المشيئة والإرادة:

تأتي المشيئة بمعنى الإرادة، لكن استخدام الشارع حدد فرقًا واضحًا بينهما؛ فالمشيئة لم تأت كما يقول

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٠٥).

الجرجاني: «إلا لإيجاد المعدوم أو إعدام الموجود»[(١)]، وهي التي يسميها أهل العلم: الإرادة الكونية القدرية؛ أي: التي يكوّن الباري عندها الأشياء أو يمنع وجودها.

أما الإرادة فتأتي على معنيين: الإرادة الكونية القدرية، والإرادة الدينية الشرعية،

فالمشيئة أعم من جهة وقوعها، فتشمل ما يحب الله ﷻ وما لا يحب. أما الإرادة فهي أعم من جهة معناها، فهي تشمل المشيئة وتشمل الإرادة الدينية.

قال الجرجاني: «فالمشيئة أعم من وجه من الإرادة ومن تتبع مواضع استعمالات المشيئة والإرادة في القرآن يعلم ذلك، وإن كان بحسب اللغة يستعمل كل منهما مقام الآخر»[(٢)].

مذهب المخالفين:

خالف في إثبات المشيئة: المعتزلة نفاة القدر؛ فإنهم أنكروا صفات الله ﷻ ومنها: الإرادة وزعموا أن إرادة الله ﷻ مخلوقة لا في محل، وهم لا يفرقون بين الإرادة والمشيئة، ويجعلونها من باب واحد، وإنكارهم للقدر هو إنكارهم للمشيئة وخلق الأعمال، وإنكارهم للقدر مبني على قولهم بالعدل الذي هو عندهم: استيفاء الحق من الغير، وأن من القبيح عقلًا أن يأمر الله ﷻ بالشرع ثم يقدر على العبد خلافه[(٣)].

الرد عليهم:

إن النصوص التي سبق ذكرها في الأدلة على المشيئة، وكذلك الأدلة التي سبق ذكرها في مصطلح القدر ترد على منكري القدر، وهي أدلة صريحة واضحة، وكذلك خالفوا الإجماع في ذلك، وهذا كله دليل على بطلان مذهبهم؛ بل بطلانه وفساده معلوم بضرورة الشرع والعقل والفطرة.

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذه المرتبة ـ يعني: المشيئة ـ قد دلَّ عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما

---

(١) التعريفات للجرجاني (٢٧٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ].

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٧٧). وانظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٣/ ١٨٢).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (١٣٢، ١٣٣، ٤٤٠، ٤٥٧، ٤٥٨)، والمغني في العدل والتوحيد (٦/ ٢١٨)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٥٣)، والفرق بين الفرق (١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ١٦٩).

لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع، وإن كان منهم في موضع آخر، فجوَّزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله بالكلية، ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيارًا أوجد بها الخلق»[1].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أقوم ما قيل في القضاء والقدر»، لابن تيمية.

٢ ـ «التكليف في ضوء القضاء والقدر»، لأحمد علي عبد العال.

٣ ـ «خلق أفعال العباد»، للبخاري.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٥ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٦ ـ «قدرة الله وقدرة العبد بين السلف ومخالفيهم»، لأحمد بن صالح بن حسن الزهراني.

٧ ـ «القضاء والقدر»، لأبي الوفا درويش.

٨ ـ «القضاء والقدر في الإسلام»، لفاروق أحمد الدسوقي.

٩ ـ «القضاء والقدر»، لعبد الرحمٰن المحمود.

١٠ ـ «القضاء والقدر»، لعمر سليمان الأشقر.

(١) شفاء العليل (٨٠).

مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة

التعريف لغةً:

المصدر: من مادة (صَدَرَ)، وهو أصل يدل على خلاف الوِرْد، يُقال: صَدَرَ عن الماءِ، وصَدَرَ عن البِلاد، إذا كان وَرَدَها ثمَّ شَخَصَ عنها[2].

ويسمَّى الموضع الذي صُدِرَ عنه: مَصْدَرًا، ومنه سمِّيت مصادر الأفعال بذلك؛ لأن المصادر كانت أول الكلام، كقولك: الذّهاب والسَّمْع والحِفْظ، وإنما صَدَرَتِ الأَفعال عنها[3].

التلقِّي: بمعنى الاستقبال، وفلان يتلقَّى فلانًا؛ أي: يستقبله[4].

التعريف اصطلاحًا:

يقصد بمصادر التلقي عند أهل السُّنَّة ـ في مجال العقيدة ـ: الأصول التي يرجع إليها أهل السُّنَّة في استمداد المسائل والأحكام الاعتقادية، ويردُّون القول إليها عند النزاع، وهي: الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع[5].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٣٣٧) [دار الجيل، ط٢].

(٣) انظر: لسان العرب (٤/ ٤٤٩) [دار صادر، ط١].

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٢٢٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١هـ]، ولسان العرب (١٥/ ٢٥٦).

(٥) انظر: الإحكام لابن حزم (١/ ٩٥) [دار الحديث، ط١، ١٤٠٤هـ]، وذم التأويل لابن قدامة (٢٢) =

الأسماء الأخرى:

الاتباع، القرآن، الرد إلى الكتاب والسُّنَّة، الإجماع، السمع.

الحكم:

اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على وجوب الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، وما أجمع عليه سلف الأمة، في تلقي مسائل العقيدة، والرد إليها عند النزاع، والاكتفاء بها في أبواب التوحيد والغيبيات[(١)].

الحقيقة:

الأصول المعتبرة عند أهل السُّنَّة والجماعة في علم الاعتقاد هي: القرآن، والسُّنَّة، والإجماع.

فالقرآن: هو كلام الله تعالى، المنزل على نبيِّه محمد ﷺ بلفظه ومعناه بواسطة جبريل، المُعجز، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

والسُّنَّة: هي كل ما نقل عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقِيَّة، أو خُلُقيَّة.

= [الدار السلفية، ط١، ١٤٠٦هـ]، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني (٥٩٣) [مكتبة العبيكان، ط٣، ١٤٠٨هـ]، ومصادر الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٧) [دار الوطن، ط١، ١٤١٣هـ].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٠٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني (٥٩٣).

والسُّنَّة المحتج بها: ما كانت صحيحة، متواترة كانت أو آحادًا، دون ما كان ضعيفًا، فالعقيدة لا يحتج فيها بالضعيف.

والمراد بالإجماع: إجماع السلف الصالح دون من عداهم.

والرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة في العقيدة لا بد أن يكون منضبطًا بأصول؛ **من أهمها**[(٢)]:

١ ـ أن يكون الفهم للكتاب والسُّنَّة على وفق ما فهمه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين، فلا يخرج عن أقوالهم فيما اتفقوا عليه[(٣)].

٢ ـ أن يكون الفهم للكتاب والسُّنَّة موافقًا لقواعد اللغة العربية؛ وذلك أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وكان إنزاله بهذا اللسان المبين سبيلًا لتدبره وفهم معانيه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]. وعامة الشبه والبدع إنما دخلت على أصحابها من قِبَل جهلهم بلسان

(٢) انظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السُّنَّة والمبتدعة لأحمد الصويان (٤٥ ـ ٥٤) [المنتدى الإسلامي، ط٢، ١٩٩٩م].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٧/٣٥٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، ورسالة في علم الباطن والظاهر له ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (١/٢٣٦) [المطبعة المنيرية، ط١، ١٣٤٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢١٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١١هـ].

العرب[(١)].

ولا بدَّ من التنبُّه إلى أن دلالة الشرع قد تخصص دلالة اللغة وتقيدها، فلا يرجع إلى دلالة اللغة رجوعًا مجردًا عن النظر للقائل، وبيان النبي ﷺ لذلك النص، وتفاسير الصحابة والسلف.

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن أكثر ما يقع الخطأ في التفسير من **جهتين**:

«**إحداهما**: قوم اعتقدوا معاني ثمّ أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثّانية: قوم فسّروا القرآن بمجرّد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به»[(٢)].

٣ ـ جمع النصوص الواردة في الباب الواحد.

وهذا الجمع هو السبيل لفهم المسألة الشرعية على وجهها، ولذا يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»[(٣)].

(١) انظر: الرسالة للشافعي (٥٠) [دار الكتب العلمية]، وجامع بيان العمل وفضله لابن عبد البر (٢/١٦٨) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٣٣٥). وانظر منه: (١٩/٢٣٦).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٢١٢) [مكتبة المعارف، ط٢]. وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٣١٦ ـ ٣١٧)، والموافقات للشاطبي (١/٢٤٥ ـ ٢٤٦) [دار المعرفة].

المنزلة:

لقد كان التزام أهل السُّنَّة والجماعة بمصادر التلقي في مسائل الاعتقاد (الكتاب والسُّنَّة والإجماع) على وفق فهم السلف الصالح هو الفارق الأساس الذي فارقوا به سائر الطوائف المبتدعة، وكان هذا الالتزام هو الضابط الذي يميز أهل السُّنَّة والجماعة عمَّن عداهم من فرق الضلال.

كما دلَّ على ذلك حديث الافتراق الذي قال فيه ﷺ: «... **وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النّار إلا واحدة، وهي الجماعة**»[(٤)]، وفي رواية: «**كلها في النار إلا ملة واحدة**. فقيل له: ما الواحدة، قال: **ما أنا عليه وأصحابي**»[(٥)].

فمن فرَّط في هذه المصادر الثلاثة، أو زاد عليها العقل ونحوه فقد فارق مذهب أهل السُّنَّة.

قال ابن تيمية في شرحه لحديث الافتراق: «وشعار هذه الفرق ـ يعني:

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، ٤٥٩٧)، وأحمد (٢٨/١٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/٧٦) [المكتب الإسلامي، ط١]، وحسنه الحافظ ابن حجر، كما في السلسلة الصحيحة (١/٤٠٥)، وله عدة شواهد أشار إليها الألباني في السلسلة الصحيحة، في الموضع السابق.

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٤١)، والحاكم (كتاب العلم، رقم ٤٤٤)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٣٤، رقم ٢١٢٩) [المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ].

الخارجة عن أهل السُّنَّة ـ مفارقة الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسُّنَّة والإجماع كان من أهل السُّنَّة والجماعة»[(١)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٖ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

ودلَّ على الإجماع قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وروى مالك في الموطأ؛ أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسُنَّة نبيه»**[(٢)].

أقوال أهل العلم:

عقد اللالكائي لكتابه في العقائد بابًا بعنوان: (شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم).

ومما ذكره في مقدمته قوله: «فإن أوجب ما على المرء: معرفة اعتقاد الدين، وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلايل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله وصحابته ﷺ الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون»[(٣)].

وقال ابن عبد البر: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت

(١) شرح حديث الافتراق ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/٣٤٦).

(٢) الموطأ (كتاب القدر، رقم ٣٣٣٨) [مؤسسة زايد بن سلطان، ط١]، وفي سنده انقطاع ظاهر بين مالك والنبي ﷺ.
لكن له شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم (كتاب العلم، رقم ٣١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/١٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/٩) [دار طيبة، ١٤٠٢هـ].

مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة

عليه الأمة»[(١)].

وبيَّن ابن تيمية الميزان الذي توزن به أقوال الناس وأعمالهم، مشيرًا إلى العلاقة بين اعتمادهم الإجماع في الاستدلال، وبين تسميتهم بأهل الجماعة، فقال: «وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»[(٢)].

الثمرات:

لقد كان لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة في التزامهم بالمصادر الشرعية للتلقي آثار حميدة، **يجمل أهمها فيما يلي**[(٣)]:

١ ـ التحقيق التام لما أمر به الشرع من الردِّ إلى الكتاب والسُّنَّة، والقبول لما فيهما، قولًا وعملًا واعتقادًا، والاستغناء بهما عما سواهما.

٢ ـ عصمة الأصول التي بنوا عليها عقائدهم، فكانت عقائدهم يقينية الثبوت، سالمة من الاختلاف والتناقض، في مقابل الاختلاف والتناقض والتنقل والشك الذي كان لازمًا لأهل البدع.

٣ ـ تعظيم نصوص الكتاب والسُّنَّة، وإجماع السلف الصالح.

٤ ـ توقفهم عن إثبات ما لم يأت في النصوص من الأمور العقدية، فكانت طريقتهم أسلم وأعلم وأحكم.

٥ ـ التزام منهج أهل السُّنَّة ـ بتوحيد المرجعية إلى الكتاب والسُّنَّة ـ كفيل بجمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، فالوحي قد ضمن فيه الهدى، ونفى عنه الاختلاف، وأما العقول المجردة والأهواء، فمن شأنها الاضطراب والاختلاف مما ينتج عنه الافتراق. قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران].

قال السمعاني: «السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسُّنَّة وطريق النقل، فأورثهم

---

(١) جامع بيان العلم (٢/ ٩٦) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ].

(٢) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣/ ١٥٧). وانظر: المرجع السابق (١١/ ٤٣٧)، الإبانة للأشعري (٢٩) [دار الأنصار، ط١، ١٣٩٧هـ]، الحجة في بيان المحجة لقوام السُّنَّة الأصبهاني (١/ ٢١٠) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ]، درء التعارض (٧/ ١٠٥) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، الصواعق المرسلة (٣/ ٨٣٣ ـ ٨٣٥) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٨هـ]، المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع (٥٢) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة، د. عثمان علي حسن (٢/ ٧٣٠).

الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء، فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما يختلف، وإن اختلف في لفظ أو كلمة فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، وأما دلائل العقل فقلما تتفق؛ بل عقل كل واحد يري صاحبه غير ما يري الآخر، وهذا بَيِّنٌ والحمد لله»[1].

مذهب المخالفين:

الفِرق المخالفة المبتدعة لم يحققوا الأصل الشرعي في مسألة مصادر التلقي؛ بل إنهم ضلوا فيه طردًا وعكسًا، **فضلالهم من ناحيتين:**

الناحية الأولى: ضلالهم فيما يتعلق بالمصادر المعتبرة للاستدلال العقدي (الكتاب، والسُّنَّة والإجماع).

فإنهم قد فرَّطوا في هذه الأصول الثلاثة، تفريطًا يخرجها عن أن تكون مصادر للتلقي في العقيدة.

ومن أوجه ضلالهم في ذلك:

١ ـ الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، فيؤمنون بما يظنونه مؤيدًا لبدعتهم، ويغضون الطرف عما كان صريحًا في إبطالها، فيكتمونه ويكرهون روايته[2].

٢ ـ تحريف النصوص وصرفها عن معانيها الظاهرة، إما تحريف لفظٍ أو معنى[3].

فما خالف اعتقادهم مما جاء في كتاب الله فإنهم قد سلطوا عليه: طاغوت التأويل، وطاغوت المجاز[4]، وطاغوت تقديم العقل على النقل[5].

٣ ـ اتباع المتشابهات، وضرب بعض النصوص ببعض، وهجر النصوص الواضحة المحكمة، واتباع النصوص المشكلة.

٤ ـ تصريح غلاتهم بأن نصوص الكتاب والسُّنَّة ظنية الدلالة، ولا تفيد اليقين، فلا يحتج بها في أبواب الاعتقاد[6].

بل إن من الفرق المبتدعة من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسُّنَّة أصل

---

(١) الانتصار لأصحاب الحديث (٤٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ١٧٢، ١٧٣) (١٢/ ١٥) (٢٠/ ١٦١)، ودرء التعارض (٥/ ١٧٢، ١٧٣) [دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ]، والاعتصام للشاطبي (١/ ٢٢٢) [دار المعرفة، ١٤٠٢هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٦٧) (٤/ ٦٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٨٢، ٢٣٢) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩١هـ].

(٤) انظر: درء التعارض (١/ ٥)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٦٩٠) وما بعدها [دار أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومنهج الأشاعرة في العقيدة للحوالي.

(٥) انظر: قانون التأويل للغزالي (١٠) [المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠٦م]، وأساس التقديس للرازي (١٧٢، ١٧٣)، والمطالب العالية له (١/ ٣٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٦) انظر: المحصول للرازي (١/ ٥٤٧ ـ ٥٧٦)، ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين له (١٤٣).

من أصول الكفر ـ وبعضهم خففها، فقال: هو أصل الضلالة[١]، عياذًا بالله من قولهم.

٥ ـ عدم اعتبار بعضهم للسُّنَّة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، كما حكي ذلك عن بعض الخوارج وغلاة المعتزلة[٢].

٦ ـ الكذب على النبي ﷺ لتأييد البدعة، وقد وقع في ذلك كثير من الرافضة وغيرهم[٣].

٧ ـ الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة لتأييد البدعة، وهذا منهج قلَّ أن يسلم منه أحد من أهل الأهواء والبدع[٤].

٨ ـ عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، وإنما يحتج بالمتواتر فقط[٥].

وهم يُعَرِّفون المتواتر بتعريف يجعل عامة سُنَّة المصطفى ﷺ من قسم الآحاد، ولا يدخل في تعريفهم للمتواتر إلا أحاديث معدودة على الأصابع[٦]، فهذا موقفهم من المصدر الثاني من مصادر الاعتقاد.

٩ ـ مخالفة أهل البدع لكثير من إجماعات السلف في غالب أبواب العقيدة من الصفات والقدر والوعد والوعيد وغيرها مما لا يتسع المجال لتفصيله.

ومن هذه الأوجه وغيرها يتبين للناظر مقدار الانحراف الذي بلغه هؤلاء في مصادر التلقي الشرعية[٧].

الناحية الثانية: ضلالهم في إحداث مصادر بدعية للتلقي في العقيدة.

فإن الفرق المبتدعة لم يُقَصِّروا في تحقيق هذه الأصول الثلاثة فحسب

---

(١) انظر: شرح الكبرى للسنوسي (٨٢، ٨٣)، وشرح أم البراهين له، مطبوع مع حاشية الدسوقي (٣٨٠ ـ ٣٨٣).

(٢) انظر: أصول الدين للبغدادي (١١) [مطبعة الدولة، إستانبول، ط١، ١٣٤٦]، والصارم المسلول (١٨٤) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ]، ومجموع الفتاوى (١٩/٧٣).

(٣) انظر: الجامع لأخلاق الراوي (١/١٣٨)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (١/٥٩) [مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٩٥، ٩٦)، الاعتصام للشاطبي (١/٢٢٤، ٢٢٥).

(٥) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني (٣٨٦)، وتمهيد الأوائل له (٤٤٥)، والتفسير الكبير للرازي (٢٥/١٧)، والمحصول له (١/٢٨٥) (٢/١٥٦) (٤/ ٢٣٠) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٠هـ]، وأساس التقديس له (١٢٧ ـ ١٢٩) [دار الجيل، ط١، ١٤١٣هـ]، والإحكام للآمدي (٢/٤٧ ـ ٥٥) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٤هـ]، وغاية المرام له (٣٤٩) [طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٣٩٠هـ]، وشرح المواقف (١/١٤٨، ١٥٠) [دار الجيل، ط١]، والتقرير والتحبير لابن أمير الحاج (١/٣٧٧) (٢/٣١٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) انظر: مقدمة ابن الصلاح (٢٦٧)، والغاية في شرح الهداية للسخاوي (١٤٠)، وفتح المغيث له (٣/٤٢) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ]، وتدريب الراوي للسيوطي (٢/١٧٨) [مكتبة الرياض الحديثة].

(٧) انظر: منهج التلقي والاستدلال بين أهل السُّنَّة والمبتدعة لأحمد الصويان (٥٥ ـ ٧٧).

(الكتاب والسُّنَّة والإجماع)؛ بل إنهم قد ابتدعوا أصولًا أخرى للتلقي في أبواب الاعتقاد ما أنزل الله بها من سلطان، وجعلوها مقدمة على ما سواها[1].

وأشهر ما ابتدعوه في هذا الباب: تلك القوانين والأدلة الكلامية الفلسفية، المولَّدة من أصول الفلاسفة القدماء - كدليل الأعراض والحوادث والتركيب - هذه القوانين التي سموها زورًا وبهتانًا: دليل العقل، أو: القواطع العقلية، والتي أبطلوا بها نصوص الوحيين، وكذا ما أحدثه أهل التصوف ونحوهم من الرجوع إلى الكشف والإلهام والرؤى والمنامات في إثبات أحكام الدين[2].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاعتصام»، للشاطبي.

٢ ـ «اعتقاد أهل السُّنَّة»، للإسماعيلي.

٣ ـ «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر.

٤ ـ «خصائص أهل السُّنَّة والجماعة»، لصالح الدخيل.

٥ ـ «ذم الكلام»، للهروي.

٦ ـ «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة»، للالكائي.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ ـ «الفرق المنهجي بين أهل السُّنَّة وأهل الأهواء»، لعبد الله بن عبد العزيز العنقري.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد»، لعثمان حسن

١١ ـ «منهج التلقي والاستدلال بين أهل السُّنَّة والمبتدعة»، لأحمد الصويان.

المُصوِّر

التعريف لغةً:

المُصَوِّر: اسم فاعل من التصوير، مشتق من الأصل الثلاثي (صور) الدال على إمالة الشيء إليك، هذا القول الأول، وعليه تكون الصورة هي الشكل المائل إلى الأحوال المطابقة للمصلحة والمنفعة.

وقيل: إنه مشتق من صار يصير، وعليه تكون الصورة هي منتهى الأمر ومصيره[3].

وفعله: صوَّر يصوِّر تصويرًا وصورة فهو مصَوِّر ومُصَوَّر، إذا جعل له هيئة وصورة، والصورة الهيئة والخِلْقة

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/ ١٣٤).

(٢) انظر: الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (٤٤، ٨٢)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣٥٥) (١٣/ ١٤٣)، منهاج السُّنَّة النبوية (٧/ ٣٧).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٥٨٠) [دار الفكر، ط٢]، ولوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات (٢١٧) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ].

والشكل، وما يُنتقش به الأعيان، والتصوير: نقش صورة الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط ونحوه بالقلم أو بآلة التصوير[(١)].

التعريف شرعًا:

المصور له معنيان:

١ ـ أن الله ﷻ هو الذي أمال خلقه وعدّلهم إلى الأشكال والهيئات التي توافق تقديره وعلمه ورحمته، والتي تتناسب مع مصالح الخلق ومنافعهم[(٢)].

٢ ـ أن الله ﷻ هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة، على غير مثال سابق، كل أحد بصورته الخاصة التي صار وانتهى إليها[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بأن من أسماء الله سبحانه: المصوِّر، وما دلَّ عليه من صفة التصوير، ويكون إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد دلَّت النصوص الشرعية على ذلك.

الحقيقة:

إن الله ﷻ أعطى كل شيء صورة معينة، وهذه الصور توافق تقديره سبحانه وعلمه ورحمته، وهي متناسبة مع مصالح الخلق ومنافعهم، فالله ﷻ صوّر جميع الموجودات، وأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة خاصة يتميز بها عن غيره من الموجودات مع كثرتها وتعدد أنواعها.

الأدلة:

ورد اسم المصوِّر مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر].

وأما صفة التصوير فقد وردت في نصوص عدة؛ منها قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن]، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٢/٢٢٧ ـ ٢٢٩) [الدار المصرية]، والصحاح (٢/٧١٦، ٧١٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٤٩٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (١/٢٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٢) هذا باعتبار إرجاع اشتقاقه إلى إمالة الشيء. انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، تفسير البغوي (٨/٣٥٦) [دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ]، النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (١/١٦٨، ١٦٩) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٣) هذا باعتبار اشتقاقه من المصير والمنتهى. انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٧) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، شأن الدعاء (٥١) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، الحجة في بيان المحجة (١/١٣١) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٤٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، تفسير ابن كثير (٨/٨٠) [دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (١٧٠) [مجلة الجامعة الإسلامية، ع: ١١٢، ١٤٢٣هـ].

رسول الله ﷺ؛ أنه كان إذا سجد قال: «**اللَّهُمَّ لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: هو المعبود الخالق، الذي لا معبود تصلح له العبادة غيره، ولا خالق سواه، البارئ الذي برأ الخلق، فأوجدهم بقدرته، المصوّر خلقه كيف شاء، وكيف يشاء»[(٢)].

وقال البغوي: (﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾ المقدِّرُ والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره، كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، يقال: هذه صورة الأمر؛ أي: مثاله، فأولًا يكون خلقًا ثم برءًا ثم تصويرًا»[(٣)].

وقال السعدي: «﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾: الذي خلق جميع الموجودات، وبرأها، وسواها بحكمته، وصوَّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم»[(٤)].

المسائل المتعلقة:

- حكم التصوير:

وردت أحاديث كثيرة تدلُّ على تحريم التصوير من حيث العموم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصوِّرون**»[(٥)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٦)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: سمعت محمدًا ﷺ يقول: «**من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**»[(٧)].

وعن سعيد بن أبي الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها. فقال له: ادن مني. فدنا منه. ثم قال: ادن مني. فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبئك بما

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧١).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٥٥) [دار هجر، ط١].

(٣) معالم التنزيل (٥/ ٢٢٠) [دار الفكر، ط١].

(٤) تفسير السعدي (٥/ ٦٢٤)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير [مركز صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٠)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٩).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥١)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٨).

(٧) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٦٣)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

سمعت من رسول الله ﷺ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صوَّرها نفسًا فتعذبه في جهنم**» وقال: إن كنت لا بد فاعلًا، فاصنع الشجر، وما لا نَفْسَ له[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: «**يا عائشة! أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**». قالت عائشة: فقطعناه، فجعلنا منه وسادة أو وسادتين[2].

وللعلماء تفصيلات عدة في أحكام التصوير، إلا أنهم يرون أن نحت التماثيل محرم شرعًا.

وكثير من أهل العلم على تحريم الصور عمومًا إلا ما دعت الضرورة إليه؛ كالصور اللازمة للتعريف بالشخص في الرخص والبطاقات وجوازات السفر وغير ذلك من المستجدات، أما تصوير ما لا روح فيه كالشجر والجبل والسيارات ونحو ذلك فلا حرج فيه، والله أعلم[3].

(١) أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب اللباس، رقم ٥٩٥٤)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٧).

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٦) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ]، وفتاوى كبار العلماء في التصوير [مكتبة الرضوان، ط٣، ١٤٢٩هـ].

الفروق:

الفرق بين الخالق، والبارئ، والمصوّر:

هذه الأسماء الحسنى الثلاثة وردت في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وكلها متقاربة في المعنى، إلا أن أهل العلم تكلموا في الفرق بينها، ومدار كلامهم ينصب حول الترتيب الذي بين هذه الأفعال الدالة عليها هذه الأسماء، فالله ﷻ هو الخالق بمعنى: أنه المقدِّر للأشياء بمقتضى حكمته، البارئ بمعنى: أنه أوجدها بعد العدم، المصوِّر بمعنى: مشكِّل ومهيئ ما أوجده على هذه الأشكال والهيئات التي صارت إليها وفق تقديره وحكمته، فإن اسمي الجلال: (البارئ المصوِّر) هما تفصيل لمعنى اسمه: (الخالق)[4].

المصادر والمراجع:

١ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٣ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٤ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

(٤) انظر: شفاء العليل لابن القيم (١/ ٣٦٦)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٨٠)، وفقه الأسماء الحسنى (٩٥).

٥ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، لسعيد بن القحطاني.

٦ ـ «شفاء العليل»، لابن القيم.

٧ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ ـ «فتاوى كبار العلماء في التصوير»، جمع وإعداد: عبد الرحمٰن بن سعد الشثري.

٩ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١١ ـ «معجم ألفاظ العقيدة، لعالم عبد الله فالح.

١٢ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، للنجدي.

المضاف إلى الله تعالى

التعريف لغةً:

المضاف: من مادة (ض ـ ي ـ ف)، والضاد والياء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيح، يدلُّ على مَيل الشيء إلى الشيء. يقال: أَضَفْتُ الشَّيءَ إلى الشَّيء: أمَلْتهُ إليه، وأنزلته عليه، وأضفته إلى كذا: ألجأته[١].

والمضاف في الكلام: هو كل اسم أضيف إلى اسم آخر، فإن الأول يجر الثاني، ويسمى الجار مضافًا، والمجرور: مضافًا إليه[٢].

التعريف شرعًا:

المضاف إلى الله تعالى: على نوعين وردا في النصوص الشرعية؛ **أحدهما**: إضافة الصفة إلى الموصوف، **والثاني**: إضافة المخلوق إلى الخالق.

أما إضافة الوصف إلى الله فهي: ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به.

وأما إضافة المخلوق إلى الله تعالى: فهي كل ما يضاف إلى الله، ويكون عينًا قائمة بنفسها، أو حالًا في ذلك القائم بنفسه[٣].

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أن المضاف إلى الله تعالى منه ما هو إضافة الصفة إلى الموصوف، ومنه ما هو إضافة المخلوق إلى الخالق، ويفرق بينهما كما ورد ذلك في نصوص الكتاب والسُّنَّة[٤].

الحقيقة:

إن ما ذُكِر في القرآن الكريم من

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٢/١١٣)، مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٩٨)، الصحاح للجوهري (٤/١٣٩٢، ١٣٩٣).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني (١٠١).

(٣) انظر: الصفات الإلٰهية للتميمي (٢٥).

(٤) الجواب الصحيح (٢/١٥٥ ـ ١٥٧). وانظر: مجموع الفتاوى (١٧/١٥١).

الإضافة إلى الله تعالى، إن كان عينًا قائمة بنفسها، أو أمرًا قائمًا بتلك العين كان مخلوقًا؛ كقول الله تعالى في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها، ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة له، مثل: القول، والعلم. وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه، وعلم الله، وبين عبد الله وبيت الله وناقة الله.

وهذا أمر معقول في الخطاب، فإذا قلت: علم فلان وكلامه ومشيئته لم يكن شيئًا بائنًا عنه، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، إذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره[(١)].

الأدلة:

النصوص الدَّالة على إضافة الصفة إلى الموصوف كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات]، وقوله ﷻ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وفي الحديث الصحيح: «**اللَّهُمَّ إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك**»[(٢)].

والنصوص الدَّالة على إضافة المخلوق إلى الخالق كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقوله سبحانه: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣﴾ [الشمس]، وقوله ﷻ: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج].

أقوال أهل العلم:

قال ابن خزيمة: «فما أضاف الله إلى نفسه على **معنيين**:

أحدهما: إضافة الذات، **والآخر**: إضافة الخلق، فتفهَّموا هذين المعنيين»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «والمضاف إلى الله نوعان؛ فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة، وإما أن يكون عينًا قائمة بنفسها:

فالأول: إضافة صفة كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ

(١) انظر: شرح الأصفهانية لابن تيمية (٦٦، ٦٧)، مجموع الفتاوى (١٧/ ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٨٢).

(٣) التوحيد (١/ ٩٢).

ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصّلت: ١٥].

والثاني: إضافة عين؛ كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج]، وقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ [الشمس]، وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان].

فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بائنة عنه، والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصَّه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق»[1].

وقال ابن القيم: «المضاف إلى الله ﷻ **نوعان:**

صفات لا تقوم بأنفسها؛ كالعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه، وكلامه، وإرادته، وقدرته، وحياته، صفات له غير مخلوقة، وكذلك وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه؛ كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، ومصنوع إلى صانعه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصًا وتشريفًا يتميز به المضاف عن غيره؛ كبيت الله، وإن كانت البيوت كلها ملكًا له، وكذلك ناقة الله، والنوق كلها ملكه وخلقه، لكن هذه إضافة إلى إلٰهيته تقتضي محبته لها، وتكريمه وتشريفه، بخلاف الإضافة العامة إلى ربوبيته حيث تقتضي خلقه وإيجاده، فالإضافة العامة تقتضي الإيجاد، والخاصة تقتضي الاختيار، والله ﷻ يخلق ما يشاء ويختار مما خلقه»[2].

الأقسام:

المضاف إلى الله تعالى أنواع:

أحدهما: إضافة الصفة إلى الموصوف.

ويكون المضاف في هذا القسم صفة لا تقوم بنفسها؛ كقدرة الله، وعزة الله، وعلم الله، وهذا في النصوص كثير جدًّا.

والثاني: إضافة المخلوق إلى الخالق.

ويكون المضاف عينًا قائمة بنفسها، أو قائمة بغيرها، وهذه الإضافة إضافة مخلوق إلى خالقه، **وهي على مرتبتين:**

أ ـ أن تضاف إليه من جهة كونه

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧)، ومختصر الصواعق (٢/ ٤٢٢).

(٢) الروح (١٥٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

سبحانه خلقها وأبدعها، وهذا شامل لجميع المخلوقات.

ب ـ أن تضاف إليه لما خصَّه الله بها مما يحبه ويرضاه ويأمر به، والله لا يضيف إليه شيئًا من المخلوقات إضافة تخصيص إلا لاختصاصه بأمر يوجب الإضافة، وإلا فمجرد كونه مخلوقًا مملوكًا لا يوجب أن يخص بالإضافة.

ومثال **المرتبة الأولى**: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

ومثال **المرتبة الثانية**: قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣﴾ [الشمس]، وقوله ﷻ: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج].

وضابط هذا الباب: أن المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمًا به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عينًا قائمة بنفسها؛ كعيسى وجبريل وأرواح بني آدم، امتنع أن تكون صفة لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره[1].

ج ـ وقد يضيف الله ﷻ إليه بعض ما يقوم بخلقه كما في قوله: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ١٧] قال ابن القيم: «فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه، إذ هو بأمره»[2].

ومن خلال السياق والقرائن المحتفة به يتبين ما يقوم بالله ويكون صفة له سبحانه، وما يكون من صفات خلقه أضافه إليه ﷻ من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته، وإن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله، أو بعض صفات ذاته لا يوجب أن يكون ذلك هو مدلول اللفظ، حيث ورد حتى يكون ذلك طردًا للمثبت ونقضًا للنافي؛ بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات، فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسُّنَّة والاستدلال بهما مطلقًا»[3].

مذهب المخالفين:

أنكر المعطلة من الجهمية والمعتزلة

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤٤ ـ ١٥١، ٩/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)، درء تعارض العقل والنقل (٧/ ٢٦٥ ـ ٢٧٠)، والجواب الصحيح (٢/ ١٥٥ ـ ١٦٣)، ومختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٢)، وبدائع الفوائد (٢/ ١٨٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٤٢)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٦٦)، والصفات الإلٰهية للتميمي (٢٥).

(٢) مختصر الصواعق (٣/ ١٢٥٠) [دار أضواء السلف ١٤٢٥هـ].

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨).

صفات الله عز وجل كلها، ولذلك جعلوا الإضافة إلى الله تعالى هنا كلها من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، ولم يعترفوا بالنوع الآخر منها، وهو إضافة الصفة إلى الموصوف.

وأما الكُلابية وقدماء الأشاعرة وغيرهم، فإنهم لم يثبتوا الصفات الاختيارية المتعلقة بالمشيئة؛ كصفة الكلام، والغضب، والرضا ونحوها، بل إما أن يجعلوها من الصفات القديمة الواجبة، وإما أن يكون مخلوقًا منفصلًا عنه، ويمتنع أن يقوم به نعت أو حال أو فعل أو شيء ليس بقديم[(١)].

وقد دلَّت نصوص الكتاب والسُّنَّة على إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، وعليه إجماع سلف هذه الأمة وأئمتها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.

٢ ـ «التوحيد»، لابن خزيمة.

٣ ـ «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٥ ـ «الروح»، لابن القيم.

٦ ـ «شرح الأصفهانية»، لابن تيمية.

٧ ـ «شرح القصيدة النونية» لمحمد خليل هراس.

٨ ـ «الصفات الإلٰهية»، للتميمي.

٩ ـ القول المفيد، لابن عثيمين.

١٠ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١١ ـ «مختصر الصواعق المرسلة»، لابن القيم.

مطلق الإيمان

يراجع مصطلح (الإيمان).

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

اسمه ونسبه:

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، أمير المؤمنين، وكاتب الوحي، ملك الإسلام، أبو عبد الرحمٰن، القرشي الأموي[(٢)].

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/٣٣٥، ٦/١٤٤ ـ ١٥١)، والجواب الصحيح (٢/١٦١)، شرح القصيدة النونية لهراس (١/١٢٠، ١٣٨، ١٣٩)، والقول المفيد لابن عثيمين (١/٤١٤)، والصفات الإلٰهية (٣٥).

(٢) ينظر: تهذيب الكمال (١٣/١١٩) و(٣٢/١٤٥) و(٣٣/٣٦١) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ]، والإصابة (٦/١٥١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ]، والبداية والنِّهاية (٣/٤٧) و(٥/٣٥٤) و(٧/٩٥) و(٨/٢٠) و(٨/١١٧) و(٨/٢٢٦) و(١٣/٢٠٦) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ]، وتاريخ الأمم والملوك (٣/٢٦٣) وما بعدها [دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ]، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٩/٥٧) [دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ].

مولده ووفاته:

مولده: ولد معاوية رضي الله عنه: قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاث عشرة، والأوَّل أشهر[(١)].

وفاته: اتَّفقت المصادر التي ترجمت لمعاوية بن أبي سفيان على أنَّ وفاته رضي الله عنه كانت في دمشق، في يوم الخميس، وفي شهر رجب، من سنة ٦٠هـ[(٢)]، وقد نقل الإمام ابن جرير الإجماع على أن وفاته كانت في رجب من سنة ٦٠هـ[(٣)].

إسلامه:

لا خلاف بين أهل العلم في إسلام معاوية رضي الله عنه، ولا يشك في ذلك إلا رجل أعمى الله بصره وبصيرته[(٤)]، بل إنّ إسلامه رضي الله عنه متواتر لا شك فيه.

وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان هذه المسألة المهمة، حين سئل: «عن إسلام معاوية بن أبي سفيان متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا؟ وما قيل فيه غير ذلك؟».

فأجاب: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ثابت بالنقل المتواتر[(٥)]، وإجماع أهل العلم على ذلك؛ كإيمان أمثاله ممن آمن عام فتح مكة... وأما إسلامه عام الفتح... فمتفق عليه بين العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم أنه عيَّر أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث... وكان معاوية أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم...»[(٦)].

ومن الأدلة على ثبوت إسلامه رضي الله عنه: ما ثبت في «صحيح مسلم»[(٧)] في قصة زواج فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وفيها: قالت: «فلما حللت ذكرت له - أي: للنّبي ﷺ - أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: **«أمّا أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه[(٨)]،**

(١) الإصابة (٦/ ١٥١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: التاريخ الكبير (٧/ ٣٢٦) [دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن]، وطبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٦)، وطبقات خليفة (٢٩٧)، وتاريخ دمشق (١٩/ ٢٣٧ - ٢٤١)، والكاشف (٢/ ٢٧٥) [دار القبلة، ط١، ١٤١٣هـ]، وغيرها.

(٣) تاريخ الطبري (٣/ ٢٦١).

(٤) اعترف الرَّافضة بإسلام معاوية رضي الله عنه وهم ألد خصومه، ينظر: تذكرة الفقهاء للحلِّي (٩/ ٢٩٠)، وجواهر الكلام للجواهري (٢١/ ٢٣٥)، والجوهر النَّقي للمارديني (٢/ ٣٦٣)، ومكاتيب الرَّسول للأحمدي الميانجي (٣/ ٤٩١) و(٣/ ٧٤١)، وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه لمير محمدي زرندي (١١٦)، وبنور فاطمة اهتديت لعبد المنعم حسن (١٧٩).

(٥) ينظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ٦٢) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٦٦ - ٤٧٢) [طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤١٦هـ].

(٧) أخرجه مسلم (كتاب الطلاق، رقم ١٤٨٠).
والحديث له طرقٌ وألفاظٌ تنظر في: التَّلخيص الحبير (٣/ ٣٢٠، ٣٢١)، تحت الحديث (رقم١٤٩٣) - حاشية المحقق - [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ].

(٨) قد جاء تفسيرها في الرِّواية الأخرى: «أبو الجهم منه =

وأمَّا معاوية فصعلوك لا مال له[(١)]، **انكحي أسامة بن زيد»**، فكرهته، ثم قال: «**انكحي أسامة**»، فنكحته، فجعل الله فيه خيرًا، واغتبطت».

وقد اختلف أهل العلم في تحديد تاريخ إسلام معاوية بن أبي سفيان؛ على قولين مشهورين، وقد حكى ابن عساكر رحمه الله بعض أقوال أهل العلم في ذلك[(٢)].

القول الأوَّل: أنه أسلم رضي الله عنه قبل الفتح[(٣)].

- سواء كان ذلك عام الحديبية، وهو العام الذي صُدّ فيه النّبي ﷺ عن البيت في السنة السادسة من الهجرة.

- أو في عمرة القضاء، في السنة السابعة من الهجرة.

قال الحافظ أبو نعيم: «أسلم قبيل الفتح، وقيل: عام القضية[(٤)]، وهو ابن ثماني عشرة»[(٥)].

وقد جزم الذهبي بأن ذلك كان في عمرة القضاء؛ فقال: «أسلم قبل أبيه في عمرة القضاء، وبقي يخاف من الخروج إلى النبي ﷺ من أبيه... وأظهر إسلامه يوم الفتح»[(٦)].

القول الثاني: أنه أسلم يوم فتح مكة؛ هو وأبوه وأمه وأخوه يزيد رضي الله عنهم[(٧)].

ومرد الاختلاف بين أهل العلم في تحديد تاريخ إسلام معاوية رضي الله عنه يعود - والله أعلم - إلى كون معاوية رضي الله عنه كان يخفي إسلامه، ولذلك حكم من حكم من أهل العلم بأنَّه أسلم يوم فتح مكة؛ لأن هذا هو الذي ظهر من حاله في ذلك اليوم، وأما قبل ذلك فهو على ما عرف

= شدَّة على النِّساء أو يضرب النِّساء»، بعد هذه الرواية في صحيح مسلم، قال النووي: «فيه تأويلان مشهوران؛ **أحدهما:** أنَّه كثير الأسفار، **والثَّاني:** أنَّه كثير الضَّرب للنِّساء وهذا أصح، بدليل الرِّواية التي ذكرها مسلم بعد هذه أنَّه ضرَّاب للنِّساء»، شرح صحيح مسلم (١٠/ ٩٧) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ]، وينظر: الاستذكار (٣/ ٩٤)، و(٦/ ١٤٩ ـ ١٥٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والتَّلخيص الحبير (٣/ ٣٢١).

(١) قد جاء تفسيرها في الرواية الأخرى: «إنَّ معاوية تَرِبٌ خفيف الحال»، في الرِّواية التي بعدها في صحيح مسلم، قال النَّووي: «قليلُ المال جدًّا»، ينظر: شرح صحيح مسلم (١٠/ ٩٨)، وتحفة الأحوذي (٤/ ٢٤١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ]، وشرح الزُّرقاني على الموطأ (٣/ ٢٧٠) [مكتبة الثقافة الدينية، ط١].

(٢) تاريخ ابن عساكر (٥٩/ ٥٧) وما بعدها.

(٣) ينظر: فتح الباري (٧/ ١٠٤) [دار المعرفة، ط١].

(٤) نقل قوام السُّنَّة في سير السَّلف الصَّالحين (٢/ ٦٦٣) [دار الراية، ط١، ١٤٢٠هـ] رواية عن معاوية رضي الله عنه قال فيها: «أسلمت عام القضيَّة، لقيت النَّبي ﷺ فقبل إسلامي»، وينظر: تاريخ الطَّبري (٥/ ٣٢٨)، والبداية والنِّهاية (٨/ ٢١)، والاستيعاب (٣/ ٣٩٥)، وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٢).

(٥) معرفة الصَّحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ٢٤٩٦) [دار الوطن، ط١، ١٤١٩هـ].

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٣٠٨) [دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م]. وينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٠).

(٧) ينظر: الاستيعاب (٣/ ٣٩٥)، والإصابة (٣/ ٤٣٣)، ومنهاج السُّنَّة (٤/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩)، و(٤/ ٤٣٦ ـ ٤٣٩)، والبداية والنهاية (٨/ ١١٨)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٨/ ٢٣١).

من حاله، وأنّه على دين قومه.

لكن الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أنّه أسلم قبل الفتح وكان يخفي إسلامه، حتى كان يوم الفتح فأظهر إسلامه، **ويدل على ذلك أمران:**

الأمر الأول: قول معاوية رضي الله عنه نفسه: «لما كان عام الحديبية وصدت قريش رسول الله ﷺ عن البيت، ودافعوه بالرّاح، وكتبوا بينهم القضيَّة، وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي هند بنت عتبة، فقالت: «إيّاك أن تخالف أباك، أو أن تقطع أمرًا دونه فيقطع عنك القوت»، وكان أبي يومئذ غائبًا في سوق حُبَاشة، قال: فأسلمت وأخفيت إسلامي، فوالله لقد رحل رسول الله ﷺ من الحديبية وإني مصدق به، وأنا على ذلك أكتمه من أبي سفيان، ودخل رسول الله ﷺ مكّة عام عمرة القضيَّة وأنا مسلم مصدِّق به، وعلم أبو سفيان بإسلامي، فقال لي يومًا: «لكن أخوك خير منك، وهو على ديني»، فقلت: لم آل نفسي خيرًا، قال: فدخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، فأظهرت إسلامي، ولقيته فرحب بي، وكتبت له»[(١)].

فهذا الكلام من معاوية رضي الله عنه فيه دليل واضح على أنه أسلم قبل فتح مكة، ويؤكد هذا القول منه رضي الله عنه الأمر التالي.

الأمر الثَّاني: جاء في «الصحيحين»[(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن معاوية رضي الله عنه قال: «قصَّرت عن رسول الله ﷺ بِمِشْقَص».

وقد أطال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث وتحقيق القول في هذا الحديث؛ بذكر الأقوال الواردة في شرحه وتأويله، وتوجيهها[(٣)].

فضائله:

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من جملة أصحاب النّبي ﷺ الذين ثبتت لهم الفضائل العامَّة الواردة في الكتاب والسُّنَّة، وفي هذا المقام نشير إلى الأحاديث التي ثبتت له على وجه الخصوص، **ومن ذلك:**

ما ثبت عن النَّبي ﷺ أنه ذكر معاوية رضي الله عنه، فقال: «**اللَّهُمَّ اجعله هاديًا مهديًّا، واهْدِ به**»[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطَّبقات الكبرى (متمم الصحابة/١٠٦) [مكتبة الصديق]، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/٦٧) [دار الفكر]، وفي سنده أبو بكر بن أبي سبرة، وقد رمي بالوضع.
وينظر: تاريخ دمشق (٥٩/٥٧) قول ابن سعد، و(٥٩/ ٦٠) قول أبي نعيم، و(٥٩/٦٢) قول أبي بكر الخطيب.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحج، رقم ١٧٣٠)، ومسلم (كتاب الحج، رقم ١٢٤٦).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣/ ٥٦٥، ٥٦٦)، وعمدة القاري (١٠/ ٦٦، ٦٧) [دار إحياء التراث العربي]، ونيل الأوطار (٥/ ١٣٠، ١٣١) [دار الحديث، ط١]، فإنهما لخَّصا كلام ابن حجر في هذه المسألة.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، رقم ٣٨٤٢) وحسنه، وأحمد (٢٩/ ٤٢٦) [مؤسسة الرسالة، =

يقول ابن حجر الهيتمي: «فتأمّل هذا الدعاء من الصَّادق المصدوق وأنَّ أدعيته لأمَّته ـ لا سيما أصحابه ـ مقبولة غير مردودة، تعلم أن الله سبحانه استجاب لرسول الله ﷺ هذا الدعاء لمعاوية؛ فجعله هاديًا للنّاس مهديًّا في نفسه، ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيّل فيه ما تقوله عليه المبطلون، ووصمه به المعاندون، معاذ الله لا يدعو رسول الله ﷺ بهذا الدعاء الجامع لمعالي الدنيا والآخرة المانع لكلّ نقص نسبته إليه الطّائفة المارقة الفاجرة، إلّا لمن علم ﷺ أنّه أهل لذلك حقيق بما هنالك...»[(١)].

وثبت عن العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ أنَّه قال: سمعت النَّبي ﷺ ـ وهو يدعو إلى السّحور في شهر رمضان ـ يقول: **«هلمّ إلى الغداء المبارك»**، ثمّ سمعته يقول: **«اللَّهُمَّ علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب»**[(٢)].

وقد نقل ابن أبي يعلى الفراء في ترجمة أبي حفص عمر بن إبراهيم العكبري قوله: «سألني سائل: عن رجل حلف بالطلاق الثّلاث إنَّ معاوية رحمه الله في الجنّة؟ فأجبته: إنّ زوجته لم تطلق فليقم على نكاحه، وذكرت له أنّ أبا بكر محمّد بن عسكر سئل عن هذه المسألة بعينها؟ فأجاب بهذا الجواب. قال: وسئل شيخنا ابن بطّة عن هذه المسألة بحضرتي، فأظنه ذكر جواب محمّد بن عسكر فيها. وسمعت الشيخ ابن بطّة يقول: سمعت أبا بكر بن أيوب يقول: سمعت إبراهيم الحربي وسئل عن هذه المسألة فقال: لم تطلق زوجته فليقم على نكاحه، قال[(٣)]: والدّليل على ذلك ما روى العرباض بن سارية؛ أنّه سمع النّبي ﷺ يقول لمعاوية بن أبي سفيان: **«اللَّهُمَّ علِّمه الكتاب والحساب وقه العذاب»**، فالنّبي مجاب الدعاء فإذا وقي

= ط١]، وغيرهم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٩٦٩).
وللحديث طرق ومخارج، ينظر تفصيل تخريجها والكلام عليها في: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السُّنَّة والجماعة والرد على شبهات الطاعنين فيه، لأمير بن أحمد قروي (١/ ٣٧٢ ـ ٣٨٤) [دار منار التوحيد، ط١].

(١) تطهير الجنان واللسان (١٤) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٨٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصيام، رقم ١٩٣٨)، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٢١٠)، وقال الهيثمي: (فيه الحارث بن زياد، ولم أجد من وثقه، ولم يرو عنه غير يونس بن سيف، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف). مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦) [مكتبة القدسي].
لكن ذكر الألباني له عدة شواهد في السلسلة الصحيحة رقم (٣٢٢٧).
وللحديث طرق ومخارج، ينظر تفصيل تخريجها والكلام عليها في: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السُّنَّة والجماعة لأمير قروي (١/ ٣٨٥ ـ ٤٠٢).

(٣) الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن القائل هنا صاحب الترجمة أبو حفص العكبري، ويحتمل أن ترجع إلى آخر قائل؛ وهو إبراهيم الحربي.

العذاب فهو من أهل الجنّة...»[(١)].

- وثبت عن النّبي ﷺ أنَّه قال لمعاوية رضي الله عنه ناصحًا له: «**يا معاوية، إن وليت أمرًا فاتّق الله عز وجل واعدل**»، قال: «فما زلت أظن أنّي مبتلى بعمل لقول النّبي ﷺ حتى ابتليت»[(٢)].

هذا الحديث من فضائل خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان؛ كيف وقد جاء في أوّله في بعض طرقه: أنَّه رضي الله عنه أخذ الإداوة يتتبّع النّبي ﷺ، فبينا هو يوضّئ النّبي ﷺ قال له ذلك، ثمّ تخصيصه ﷺ لمعاوية رضي الله عنه بهذه الوصية دليل على مكانته وجليل قدره، ولذا عدّه غير واحد من أهل العلم من الأحاديث الواردة في فضائله رضي الله عنه، ومن أولئك: الآجري[(٣)]، واللّالكائي[(٤)]، وقوام السُّنَّة[(٥)]، والعلائي[(٦)]، والذهبي[(٧)]، وابن كثير[(٨)]، وابن حجر[(٩)]، والصَّالحي[(١٠)]، وغيرهم، كما عدّه البيهقي[(١١)] والسّيوطي[(١٢)] من دلائل نبوّته ﷺ.

- كما أخبر رسول الله ﷺ أنّ مُلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مُلك ورحمة؛ إذ يقول ﷺ: «**أوّلُ هذا الأمر نبوّة ورحمة، ثمّ يكون خلافة ورحمة، ثمَّ يكون ملكًا ورحمة...**»[(١٣)]، «فكانت نبوّة النّبي ﷺ نبوة ورحمة، وكانت خلافة الخلفاء الراشدين خلافة نبوة ورحمة، وكانت إمارة معاوية ملكًا ورحمة، وبعده وقع ملك عضوض»[(١٤)]، وقد «اتَّفق العلماء على أنّ معاوية أفضل ملوك هذه الأمّة؛ فإنّ الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوّة وهو أوّل الملوك؛ كان ملكه ملكًا

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣) [دار المعرفة، بيروت]، وينظر: المقصد الأرشد لابن مفلح (٢/ ٢٩١) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ].

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ١٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأبو يعلى (١٣/ ٣٧٠) [دار المأمون، ط١]، وفي سند أحمد انقطاع، وفي سند أبي يعلى راوٍ ضعيف، كما أشار محققو المسند.
وانظر: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السُّنَّة والجماعة لقروي (١/ ٣١٠ ـ ٣١٢).

(٣) ينظر: الشريعة (٥/ ٢٤٧٧) وما بعدها.

(٤) ينظر: شرح الأصول (٨/ ١٤٣٩) [دار طيبة، ط ٨].

(٥) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٠٢، ٤٠٣) [دار الراية، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٦) ينظر: تحقيق منيف الرتبة (٨٩، ٩٠) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٠هـ].

(٧) ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣١).

(٨) ينظر: البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠)، و(٨/ ٢٠)، و(٨/ ١٢٣) وغيرها.

(٩) ينظر: الإصابة (٦/ ١٥٣).

(١٠) ينظر: سبل الهدى والرشاد (١٠/ ٨٧)، و(١١/ ٣٩٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٤هـ].

(١١) ينظر: دلائل النبوة (٦/ ٤٤٦) [دار النفائس، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(١٢) كما في الخصائص الكبرى (٢/ ١٩٨، ١٩٩) [دار الكتب العلمية].

(١٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٨٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٩٠) [مكتبة القدسي]: رجاله ثقات. وجود الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢٧٠).

(١٤) أفاده ابن تيمية في سؤال في يزيد بن معاوية، في جامع المسائل (٥/ ١٥٤) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٤هـ].

ورحمة... وكان في ملكه من الرّحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم أنّه كان خيرًا من ملك غيره»[١].

- وثبت عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ أنّه قال: «كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب، قال: فجاء فَحَطَأَنِي حَطأَةً[٢]، وقال: **اذهب وادع لي معاوية**، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: **اذهب وادع لي معاوية**، قال: فجئت، فقلت: هو يأكل فقال: **لا أشبع الله بطنه**»[٣].

وهذا الحديث هو أصح ما روي في فضل معاوية رضي الله عنه، كما ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر[٤]، وقد أورد الإمام مسلم هذا الحديث بعد أحاديث من هذا القبيل؛ والتي تتعلق بدعاء النّبي ﷺ على أشخاص وهو عليه الصلاة والسلام لا يريد الدعاء عليهم، وإنما هو دعاء لهم في الحقيقة؛ ولذلك بوّب عليها النّووي رحمه الله بقوله: «باب من لعنه النّبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلًا لذلك؛ كان له زكاة وأجرًا ورحمة»[٥]، **ومن تلك الأحاديث التي أوردها الإمام مسلمٌ** رحمه الله:

١ - عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل على رسول الله ﷺ رجلان، فكلّماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه، فلعنهما وسبّهما، فلما خرجا، قلت: يا رسول الله، من أصاب من الخير شيئًا ما أصابه هذان، قال: **وما ذاك؟**، قالت، قلت: لعنتهما وسببتهما قال: **أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللَّهُمَّ إنّما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرًا**»[٦].

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إني أتّخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه؛ فإنّما أنا بشر، فأيّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة**»[٧].

قال النّووي: «وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أنّ معاوية لم يكن مستحقًّا للدّعاء عليه، فلهذا أدخله في

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٧٨). وينظر: منهاج السُّنَّة (٧/٤٥٣).

(٢) حَطَأَه، ضرب ظهره بيده مبسوطة. ينظر: مختار الصحاح (٦٠) [المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ]، ولسان العرب (١/٥٧) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٤).

(٤) تاريخ دمشق (٥٩/١٠٦). وينظر: البداية والنهاية (٨/١٢٢).

(٥) صحيح مسلم (٤/٢٠٠٧).

(٦) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠٠).

(٧) أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٠١).

هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية؛ لأنّه في الحقيقة يصير دعاء له»[(١)].

مكانته:

لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما مكانة عالية رفيعة عند أهل السُّنَّة والجماعة، من زمن أصحاب النبي ﷺ وإلى يوم الناس هذا[(٢)]، ومن تلك الأقوال المأثورة عن سلف الأمة وعلمائها، ما يلي:

يقول الإمام الأوزاعي رحمه الله: «أدركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، لم ينتزعوا يدًا من طاعة، ولا فارقوا جماعة»[(٣)].

وقال أيضًا: «أدركت خلافة معاوية رضي الله عنه عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: سعد، وأسامة، وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد، ورافع بن خديج، وأبو أمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر ممّن سمّينا بأضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله ﷺ تأويله.

ومن التّابعين لهم بإحسان ـ إن شاء الله ـ منهم: المسور بن مخرمة[(٤)]، وعبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزّبير، وعبد الله بن مُحَيرِيز، في أشباه لهم، لم ينزعوا يدًا عن مجامعةٍ في أمّة محمَّدٍ ﷺ»[(٥)].

ولم يكن هذا شأنهم فحسب، بل ثبتت عنهم كلمات رائقة رائعة في الثّناء على خال المؤمنين رضي الله عنه، ومما جاء عنهم في ذلك:

ما قاله الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعجبون من دهاء هرقل وكسرى، وتدعون معاوية»[(٦)]، وفي لفظ عنه رضي الله عنه: «تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما؛ وعندكم معاوية»[(٧)].

وقال أيضًا قبيل موته رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ إنّي أشهدك على أمراء الأمصار، وإنّي إنّما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم، وليعلموا الناس دينهم وسنّة نبيّهم ﷺ، ويقسموا فيهم فيئهم، ويرفعوا إليّ ما

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٥٦).

(٢) وفي كتاب: منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ٤٢٣ ـ ٤٧٣) تتبع لتلك الأقوال التي تثبت وتبيِّن تلك المكانة والمنزلة، فليرجع إليه للاستزادة.

(٣) الاستيعاب (٣/ ١٤٢٠).

(٤) الصحيح أنَّه صحابي جليل رضي الله عنه.

(٥) ينظر: تاريخ أبي زرعة (٧، ٢٧) [مجمع اللغة العربية، دمشق]، وتاريخ دمشق (٥٩/ ١٥٨).

(٦) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٩/ ١١٩)، من طريق ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن عمر به، وعلقه الذهبي في السير (٣/ ١٣٤)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٣١١)، عن ابن أبي ذئب به.

(٧) أخرجه الطبري في التاريخ (٣/ ٢٦٤)، بسنده عن ابن أبي ذئب به بمثل الإسناد السابق، وينظر: الكامل في التاريخ (٣/ ٣٧٣).

أشكل عليهم من أمرهم»[(١)].

وهو الذي يقول رضي الله عنه: «والله ما آلو أن أختار خياركم»[(٢)]، وقد جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه الشّام كلها، وأقرّه عثمان بن عفان رضي الله عنه على ذلك[(٣)]، قال الذهبي رحمه الله: «حسبك بمن يؤمّره عمر، ثمّ عثمان على إقليم ـ وهو ثغر ـ فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضي الناس بسخائه وحلمه»[(٤)]، وقال ابن تيمية رحمه الله: «ولا استعمل عمر قطّ؛ بل ولا أبو بكر على المسلمين منافقًا»[(٥)].

وقال سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا بعد عثمان أقضى بحقٍّ من صاحب هذا الباب»؛ يعني: معاوية[(٦)].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «إنّي لأتمنّى أن يزيد الله عز وجل معاوية من عمري في عمره»[(٧)].

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ وقد قيل له: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة ـ، فقال رضي الله عنه: «أصاب؛ إنه فقيه»[(٨)]؛ أي: «يعرف أبواب الفقه»[(٩)].

وثبت عنه رضي الله عنه ـ في رواية ـ أنه قال: «ليس أحد منَّا أعلم من معاوية»[(١٠)].

وقد قيل له رضي الله عنه: إنّ معاوية لم يوتر حتّى أصبح، فأوتر بركعة، فقال: «إنّ أمير المؤمنين عالم»[(١١)].

قال أبو إسحاق السّبيعي رحمه الله: «كان معاوية، وما رأينا بعده مثله»[(١٢)]، وكان يقول ذلك كلّما ذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله[(١٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٦٧).

(٢) أخرجه أبو عبيد في الأموال (٧١٣) (برقم١٩٢٠) [دار الفكر، بيروت].

(٣) كما قال خليفة بن خياط رحمه الله في تاريخه (١٥٥، و١٧٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٦٥).

(٦) ينظر: تاريخ دمشق (٥٩/ ١٦٠، ١٦١)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٥٤٤) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ]، والسير (٣/ ١٥٠).

(٧) أخرجه أبو عروبة كما في المنتقى من الطبقات (٦٨) [دار البشائر، ط١، ١٩٩٤م].

(٨) أخرجه البخاري (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٧٦٥)، وفي رواية (رقم ٣٧٦٤) أنه قال: «دعه؛ فإنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم».

(٩) ينظر: عمدة القاري (١٦/ ٢٤٨).

(١٠) أخرجه الشافعي في مسنده (٨٦) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٧٠هـ]، وعبد الرزاق في مصنفه (كتاب الصلاة، رقم ٤٦٤١).

(١١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (متمم الصحابة/ ١٢٦) [مكتبة الصديق]، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٥٩/ ١٦٥)، ويشهد له ما سبق.

(١٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٢٢، ١٢٣)، برقم (٤٧)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ١٧٢)، قال: أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، فذكره، وهذا إسناد [كوفي] صحيح، كما قال محقق الطبقات.
وأخرجه الخلال في السُّنَّة (٢/ ٤٣٨) (برقم٦٧٠)، والأثرم ـ كما في منهاج السُّنَّة (٦/ ٢٣٤) ـ من طريق محمد بن العلاء، عن أبي بكر بن عياش، عن أبي إسحاق، فذكره، وهذا إسناد [كوفي] صحيح أيضًا، كما قال محقق السُّنَّة.

(١٣) كما قال أبو بكر بن عياش في رواية ابن سعد السابقة.

وذكر رحمه الله معاوية رضي الله عنه، فقال: «لو أدركتموه - أو أدركتم زمانه -؛ كان المهدي»[(١)].

وقال مجاهد بن جبر رحمه الله: «لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي؛ من فضله»[(٢)].

وقال إبراهيم بن ميسرة رحمه الله: «ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قطّ، إلا إنسانًا شتم معاوية؛ فضربه أسواطًا»[(٣)].

وقال أبو توبة الرَّبيع بن نافع الحلبي رحمه الله [٢٤١هـ]: «معاوية ستر لأصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم فإذا كشف الرجل السِتر اجترأ على ما وراءه»[(٤)].

إلى غير ذلك من النقول العظيمة في بيان مكانة ومنزلة هذا الصحابي الجليل.

۞ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: كتابة معاوية رضي الله عنه للوحي:

لقد كان لمعاوية رضي الله عنه مكانة عالية، ومنزلة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلته كاتبًا بين يديه صلى الله عليه وسلم، أمينًا على وحي ربه عز وجل؛ فقد روى مسلم[(٥)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أنه قال: «خرج معاوية على حَلْقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه، فقال: **ما أجلسكم؟** قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا، قال: **آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟** قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: **أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة**». وفي رواية زيادة: «إنكم لا

(١) أخرجه الخلال في السُّنَّة (٢/ ٤٣٩) برقم (٦٧٢)، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبو سعيد الأشج، قال: ثنا أبو أسامة [حماد بن أسامة]، قال: حدثني الثقة، عن أبي إسحاق، فذكره، وقد ضعفه محقق السُّنَّة؛ لأجل إبهام شيخ حماد.

(٢) أخرجه الخلال في السُّنَّة (٢/ ٤٣٨) برقم (٦٦٩)، والبغوي في معجم الصحابة (٥/ ٣٦٨) برقم (٢١٩١)، وأبو عروبة الحراني كما في المنتقى من الطبقات (٦٧)، والآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٦٥) برقم (١٩٥٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح الأصول (٧/ ١٢٦٥، ١٢٦٦) برقم (٢٣٨٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢١١)، من طريق ابن المبارك، عن محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة، فذكره، وينظر: الصارم المسلول (٣/ ١٠٥٩) [رمادي للنشر، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٩/ ٢٠٩)، وينظر: البداية والنهاية (٨/ ١٣٩).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧٠١).
وقد بوّب عليه الآجري في الشريعة (٥/ ٢٤٥٩): «باب ذكر صحبة معاوية رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم، ومنزلته عنده».

تجدون رجلًا منزلته من رسول الله ﷺ منزلتي، أقل حديثًا عنه مني، كنت خَتَنَه[1]، وكنت في كتّابه، وكنت أُرَحِّل له ناقته»[2].

وقد وردت عدة نصوص تدل على ثبوت كتابة معاوية رضي الله عنه للوحي، **من ذلك:**

١ ـ ما أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: «يا نبي الله، ثلاث أعطنيهن، قال: «**نعم**». قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها، قال: «**نعم**». قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك، قال: «**نعم**». قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «**نعم**»[3].

قال الإمام أحمد رحمه الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول إنه خال المؤمنين؛ فإنه أخذها بالسيف غصبًا: «هذا قول سوء رديء، يجانَبون هؤلاء القوم، ولا يجالَسون، ونبيِّن أمرهم للناس»[4].

قال ابن تيمية رحمه الله: «استكتبه النبي ﷺ لخبرته وأمانته»[5].

وقال أيضًا: «وأما قول الرافضي: «وسموه كاتب الوحي، ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي»، فهذا قول بلا حجة ولا علم؛ فما الدليل على أنه لم يكتب له كلمة واحدة من الوحي، وإنما كان يكتب له رسائل.

وقوله: «إن كُتَّاب الوحي كانوا بضعة عشر أخصهم وأقربهم إليه علي»، فلا ريب أن عليًّا كان ممن يكتب له أيضًا، كما كتب الصلح بينه وبين المشركين عام الحديبية، ولكن كان يكتب له أبو بكر وعمر أيضًا، ويكتب له: زيد بن ثابت بلا ريب... ومعاوية رضي الله عنهم»[6].

وقال أيضًا: «هو واحد من كُتَّاب الوحي»[7].

وقال النووي رحمه الله: «معاوية بن أبي سفيان الخليفة أحد كتاب الوحي..»[8].

ـ المسألة الثانية: حرص معاوية رضي الله عنه على حديث النبي ﷺ:

لقد كان معاوية رضي الله عنه ـ إضافة إلى

(١) ختن الرجل؛ المتزوج بابنته أو أخته. انظر: لسان العرب (١٣/١٣٨).

(٢) أخرجها ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/٣٨٠) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ]، والآجري في الشريعة (٥/٢٤٦١) [دار الوطن، ط٢]، وقال محقق الشريعة: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠١).

(٤) أخرجه الخلال في السُّنَّة (٢/٤٣٤) برقم (٦٥٩)، وصححه المحقق.

(٥) منهاج السُّنَّة النبوية (٤/٤٣٩).

(٦) المصدر السابق (٤/٤٢٧، ٤٢٨).

(٧) المصدر السابق (٤/٤٤٢).

(٨) المجموع شرح المهذب (١/١١٤) [دار الفكر].

كتابته للوحي ـ أحد رواة الحديث عن النبي ﷺ، وهذا أمر ثابت مسطر في كتب الحديث وغيرها، **ومما يشهد لذلك:**

أن وَرَّادًا مولى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «كتب معاوية إلى المغيرة: اكتب إلي ما سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى علي المغيرة، قال: سمعت النبي يقول خلف الصلاة: **«لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»»**، وقال ابن جريج: أخبرني عبدة أن ورّادًا أخبره بهذا، ثم وفدت بعد إلى معاوية فسمعته يأمر الناس بذلك القول[(١)].

وكتب معاوية بن أبي سفيان مرة إلى مسلمة بن مخلد: «أن سل عبد الله بن عمرو بن العاص، هل سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا قدّست أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير مضطهد»**، فإن قال: نعم، فاحمله إلي على البريد، فسأله فقال: نعم، فحمله على البريد من مصر إلى الشام، فسأله معاوية فأخبره، فقال معاوية رضي الله عنه: وأنا قد سمعته، ولكن أحببت أن أُثَبِّت»[(٢)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٣).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/ ٣٨٧) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ٢٠٩) [مكتبة القدسي]: «رواه الطبراني ورجاله ثقات». والحديث المرفوع في هذه القصة ثابت، وهو مروي عن غير واحدٍ من الصحابة. انظر: السلسلة الضعيفة (١٤/ ٣٥٦)، وصحيح الجامع (٢/ ٨٤٣).

وعنه أنه قال: «إياكم وأحاديث؛ إلا حديثًا كان في عهد عمر؛ فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل، سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما أنا خازن، فمن أعطيته عن طيب نفس فيبارك له فيه، ومن أعطيته عن مسألة وشره، كان كالذي يأكل ولا يشبع»**»[(٣)].

وكتب معاوية رضي الله عنه إلى عبد الرحمٰن بن شبل رضي الله عنه: «أن علِّم الناس ما سمعت من رسول الله ﷺ»[(٤)].

- **المسألة الثالثة: خلافته عمومًا** رضي الله عنه:

«كانت مدة خلافة معاوية رضي الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبًا، منذ أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنهما، في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين إلى أن توفي في رجب سنة ستين.

وكانت خلافة معاوية رضي الله عنه خيرًا للمسلمين، حيث زال تفكير الأعداء باستعادة المراكز التي تخلَّوا عنها، إذ

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

(٤) أخرجه أحمد (٢٤/ ٤٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم في المستدرك (كتاب النكاح، رقم ٢٧٧٣) وصححه، وقوى إسناده ابن حجر في الفتح (٩/ ١٠١) [دار المعرفة]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٦٦).

رجع المسلمون فوجهوا قوتهم إلى مناطق الثغور، وانطلقوا للجهاد والدعوة والعمل، فعادت أيام الفتح، وقطع الروم بخاصة أملهم بالرجوع إلى الأماكن التي فقدوها، لذا عُرف بدء خلافته بعام الجماعة؛ إذ توحدت كلمة المسلمين بعد اختلاف، واجتمعت جيوشهم بعد افتراق فكان ذلك خيرًا لهم، وسرورًا لأنفسهم»[(١)]، وتحقق بذلك قول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[(٢)].

«وقد خرج مصداق هذا القول فيه بما كان من إصلاحه بين أهل العراق وأهل الشام وتخليه عن الأمر؛ خوفًا من الفتنة، وكراهية لإراقة الدم، ويسمى ذلك العام: سنة الجماعة، وفي الخبر دليل على أن واحدًا من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام؛ إذ قد جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين»[(٣)].

قال ابن كثير رحمه الله: «انعقدت الكلمة على معاوية، وأجمعت الرعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين، فلم يزل مستقلًّا بالأمر في هذه المدة إلى هذه السنة التي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل، وصفح وعفو»[(٤)].

موقف المخالفين منه:

من الأمور اللافتة أن معاوية رضي الله عنه قد طعن فيه من طوائف كثيرة من أهل البدع، ولم يسلم إلا من أهل السُّنَّة والجماعة، وهذا من توفيق الله لهم، وفيما يلي بعض النقول اليسيرة الكاشفة لمواقف أبرز تلك الطوائف المنحرفة في هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه:

- **الخوارج**: قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان رضوان الله عليهم في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يُحَكِّم، وينكرون إمامته لمّا أجاب إلى التحكيم، ويُكَفِّرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري»[(٥)].

- **الشيعة الإمامية الاثني عشرية**: فهم أكبر الوالغين في عرض معاوية رضي الله عنه، ومن جملة ما قالوه في حقه رضي الله عنه:

(١) انظر: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأسرته لمحمود شاكر (١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المناقب، رقم ٣٦٢٩).

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي (٧/ ٣٧) [المطبعة العلمية، ط١، ١٣٥١هـ].

(٤) انظر: البداية والنهاية (٨/ ١١٩).

(٥) مقالات الإسلاميين (١٢٥) [دار فرانز شتايز، ط٣، ١٤٠٠هـ].

- أنه لم يسلم إلا بالاسم[١]، وأنه بقي على جاهليته الأولى[٢].

- ولم يمت حتى علق الصليب في عنقه[٣].

- وأنه أحد أصحاب التوابيت التي في أسفل درك الجحيم[٤].

- وأنه يعذب في نار جهنم منذ مات، وينسبون إلى عدد من الأئمة أنهم رأوه مغلولًا في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا في واد من أودية جهنم[٥].

- ويزعمون أيضًا أنه كان شرًّا من إبليس[٦].

- وأنه إمام من أئمة الكفر[٧].

- وأنَّه كان طليقًا، منافقًا، معاندًا لله ولرسوله وللمؤمنين[٨].

- وأنه كان من أعداء آل محمد، وخاصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه منهم[٩]، إلى غير ذلك من الأقوال الساقطة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

- **المعتزلة**: يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: «... إنا نعلم من حال الصحابة، وخاصة من حال علي بن أبي طالب عليه السلام، أنهم كانوا لا يعظمون صاحب الكبيرة، ولا يوالونه في الله عز وجل، بل يلعنونه ويستخفون به، ولهذا فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول في قنوته: «اللَّهُمَّ العن معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص»...»[١٠].

ويقول عالمهم ومقدمهم أحمد بن يحيى بن المرتضى المعتزلي - وهو يحكي معتقد المعتزلة -: «وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمرو بن العاص»[١١].

سبحانك هذا بهتان عظيم؛ فإنه من المعلوم أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من خيار أصحاب رسول الله ﷺ كما شهدت بذلك النصوص، والتي سبق إيراد شيء منها، وأن إسلامه مما لا يشك فيه رجل يؤمن بالله واليوم الآخر؛ وقد أبدع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان هذه المسألة المهمة، حين سئل: عن إسلام

(١) انظر: ظلال التشيع لمحمد علي الحسني (٢٨٦).
(٢) انظر: مقدمة مرآة العقول للعسكري (١/٣٨).
(٣) انظر: الصراط المستقيم للبياضي (٣/٥٠).
(٤) انظر: الخصال للصدوق (٢/٤٥٨، ٤٨٥)، والبرهان للبحراني (٤/٥٢٨)، ومقدمة البرهان للعاملي (٢٦٣).
(٥) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصفار (٣٠٤ - ٣٠٧)، والاختصاص للمفيد (٢٧٥ - ٢٧٧)، وتفسير الصافي للكاشاني (٢/٤٩١).
(٦) انظر: منهاج الكرامة للحلي (١١٦).
(٧) انظر: الشافي للمرتضى (٢٨٧)، وتلخيص الشافي للطوسي (٤٦٢).
(٨) انظر: المصباح للكفعمي (٥٥٢)، والشيعة والحاكمون لمحمد مغنية (٣٩)، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي (٥١).
(٩) انظر: الجمل للمفيد (٤٩)، ومنهاج الكرامة للحلي (١١٦)، والكشكول للآملي (١٦٠)، والشيعة في الميزان لمغنية (٢٥٥).
(١٠) شرح الأصول الخمسة (١٤٠، ١٤١).
(١١) كتاب طبقات المعتزلة (٨)، وكتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل (٦).

معاوية بن أبي سفيان متى كان؟ وهل كان إيمانه كإيمان غيره أم لا؟ وما قيل فيه غير ذلك؟

فأجاب رحمه الله: «إيمان معاوية بن أبي سفيان ثابت بالنقل المتواتر[١]، وإجماع أهل العلم على ذلك... وأما إسلامه عام الفتح... فمتفق عليه بين العلماء؛ سواء كان أسلم قبل ذلك أو لم يكن إسلامه إلا عام فتح مكة؛ ولكن بعض الكذابين زعم: أنه عيَّر أباه بإسلامه، وهذا كذب بالاتفاق من أهل العلم بالحديث... وكان معاوية أحسن إسلامًا من أبيه باتفاق أهل العلم...»[٢].

فكيف يحكم بردته والعياذ بالله بعد ذلك؟ فضلًا عن أنه لم يسلم قط، أو يطعن في عدالته وفضله؟ وقد ثبت عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: سمعت النّبي ﷺ - وهو يدعو إلى السَّحور في شهر رمضان -: «**هلمَّ إلى الغداء المبارك**»، ثم سمعته يقول: «**اللَّهُمَّ علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب**»[٣].

وقال ﷺ: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**»[٤]؛ أي: «فعلوا فعلًا وجبت لهم به الجنة، أو أوجبوا لأنفسهم المغفرة والرحمة»[٥].

قال ابن عبد البر رحمه الله: «لم يختلف أهل السّير فيما علمت أن غزاة معاوية هذه المذكورة في حديث هذا الباب، إذ غزت معه أمّ حرام كانت في خلافة عثمان»[٦].

وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن خالته أمِّ حرام رضي الله عنها: «نام النبي ﷺ يومًا قريبًا مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك؟ قال: «**أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة**»، قالت: فادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت من الأولين**»، فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيًا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها، فصرعتها فماتت»[٧].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وفيه فضل لمعاوية رحمه الله؛ إذ جعل من غزا تحت رايته من الأولين»[٨].

(١) انظر: منهاج السُّنَّة (٢/ ٦٢).
(٢) انظر: الجواب بطوله في الفتاوى (٤/ ٤٦٦ - ٤٧٢).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٩٢٤).
(٥) فيض القدير (٣/ ٨٤).
(٦) التمهيد (١/ ٢٤٢).
(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٢٧٨٨)، ومسلم (الإمارة، رقم ١٩١٢).
(٨) التمهيد (١/ ٢٣٥). وانظر: الشريعة للآجري (٥/ ٢٤٤٠، ٢٤٤١) (برقم١٩٢٢)، وشرح أصول اعتقاد =

فتكفي هذه النصوص ونحوها في إبطال دعاوى المخالفين الطاعنة في هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، والله المستعان.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب»، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة»، لابن حجر العسقلاني.

٣ ـ «تحقيق منيف الرتبة»، للعلائي.

٤ ـ «تطهير الجنان واللسان»، لابن حجر الهيتمي.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٦ ـ «سؤال في يزيد بن معاوية من جامع المسائل»، لابن تيمية.

٧ ـ «سير السَّلف الصَّالحين»، لقوام السُّنَّة الأصبهاني.

٨ ـ «الصارم المسلول»، لابن تيمية.

٩ ـ «فضائل الصَّحابة»، لأحمد بن حنبل.

١٠ ـ «المقصد الأرشد» (ج٢)، لابن مفلح.

١١ ـ «منزلة معاوية بن أبي سفيان عند أهل السُّنَّة والجماعة والرد على شبهات الطاعنين فيه»، لأمير بن أحمد قروي.

= أهل السُّنَّة (٨/١٤٣٨)، برقم (٢٧٧٢)، فقد عدًّا الحديث من فضائل معاوية رضي الله عنه.

المعجزة

التعريف لغةً:

المُعْجِزَة: اسم فاعل من الفِعل الثلاثي المزيد (أعجزَ)؛ ومعناها: ما أُعْجِزَ به الخصم عند التَّحدِّي، والهاء للمُبالغة. والعين والجيم والزاي أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الضَّعْف؛ يُقال: عَجزَ عن الشيء يعجز عَجْزًا فهو عاجز؛ أي: ضعيف، ويُقال: أعجزني فلانٌ؛ إذا عَجَزتُ عن طلبه وإدراكه[(١)].

التعريف اصطلاحًا:

المعجزة: هي «أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدلّ على صدقه وصحّة رسالته»[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يدور المعنى اللّغوي للمعجزة حول: الضعف وعدم القدرة على طلب الشيء

(١) انظر: الصحاح (٣/٨٨٣) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومقاييس اللغة (٤/٢٣٢) [دار الفكر، ط٢]، والقاموس المحيط (٦٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط٥].

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان (٢/١٥٧) [الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ]. وانظر: المعرفة في الإسلام لعبد الله القرني (١٤١) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٩هـ]، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة لنخبة من العلماء (١٩٩) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالسعودية، ١٤٢١هـ].

وإدراكه، وهذه حقيقة المعجزة

في اصطلاح الشَّرع؛ فالمقصود منها: إثبات عجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بها أو بمثلها أو ما يقاربها، أو معارضتها؛ للدلالة على صدق الرسول ﷺ والرسالة واتباعهما. فيظهر بهذا أنّ بين المعنى اللغوي والشرعيّ تناسبًا وتوافقًا واضحًا.

سبب التسمية:

سمِّيت المعجزة بهذا الاسم؛ لعجز الخلق وضعفهم عن الإتيان بها أو بمثلها أو ما يقاربها، أو معارضتها.

الأسماء الأخرى:

المعجزة هي: البيّنة، والبرهان، وآيات النبوّة، وعلاماتها، وأعلامها، وأدلّتها، والخارق للعادة.

الحكم:

يجب على المسلم أن يعتقد أنّ الله ﷻ أرسل رسله عليهم السلام لدعوة النّاس إلى توحيده ودينه، وأنّه أيّدهم ـ بعلمه وقدرته وغناه ـ بدلائل النّبوة الكثيرة المتنوعة، والتي منها: الآيات والبينات والبراهين ـ والتي سماها المتأخرون بالمعجزات ـ المناسبة لأهل زمانهم؛ للدلالة على صدق نبوتهم وأنّهم مرسلون من عند الله تعالى حقًّا؛ ولذا يتبعها دائمًا نصرهم وحصول العاقبة لهم ولأتباعهم، وإهلاك أعدائهم، مع قلة العَدد والعُدد!

فالمعجزات أمر كبير، وبرهان منير، ما طرق العالم له معارض ألبتة، خصوصًا مع قدم النبوات وتواترها.

الحقيقة:

المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه عليهم السلام حق وصدق، ليست من قبيل سحر السحرة والمتنبّئين والكذّابين وشعوذتهم ودجلهم؛ بل هي تأييد من الله تعالى، وبرهان ساطع على صدق أنبيائه ورسله وصحة رسالتهم، فإنكارها وجحدها تكذيب للشرع وخروج عن الدين.

وهذه المعجزات مختصّة بالأنبياء لا يشركهم فيها أحد غيرهم، وأنّها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، ولا يتصور وجودها مع انتفاء صدقهم؛ لأنّ من ادّعى النّبوة إمّا أن يكون صادقًا فيؤيّده الله بالآيات، وإما أن يكون كاذبًا فلا يؤيّده بها. فهي ملازمة للنّبوة؛ فتدل عليها ولو كان النبي ميّتًا أو غائبًا. ولا بدّ أن تكون في نفسها خارقة للعادة، لا يقدر عليها إلا الله تعالى، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن لأحد أن يعارضها، لا بمثلها ولا بأقوى منها.

ومعجزات الأنبياء ـ زيادة على أنّها تأييد للرسل ودلالة على صدقهم ـ هي من دلائل وجود وربوبية محدثها وموجدها ﷻ وإثبات وحدانيته؛ بل هي من أقوى الطرق ـ التي دلَّ عليها القرآن

وأرشد إليها العباد ـ التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده وأصحها وأوثقها، وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر.

ودلائل النّبوة ومعرفة صدق النبيّ ليست محصورة في المعجزات ـ التي هي الخوارق ـ؛ بل تكون بالمعجزات وغيرها من الطرق الكثيرة المتنوعة ـ خلافًا لمن خالف في ذلك من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم ـ؛ مثل: النظر في أحوال الأنبياء وما اشتهروا به من الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والنظر فيما جاؤوا به من التشريعات والأخبار وما فيها من إحكام وإتقان، ينتظم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مما يعلم أنّ مثله لا يصدر إلا من نبيّ صادق بارّ، وتأييد الله تعالى لهم تأييدًا مستمرًا لا ينقطع، وجعل العاقبة لهم ولأتباعهم ولو بعد حين، إلى غير ذلك من الدلائل المعروفة[1].

الأدلة:

أمّا الأدلة على تأييد الله تعالى لأنبيائه عليهم السلام بالمعجزات (الآيات، والبينات، والبراهين)، وأنّها دالةٌ على صدقهم وصحة رسالتهم؛ فمنها: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١]. والآيات في هذا الباب أكثر من أن تحصر، ودلالتها على المقصود ظاهرة بيّنة. والحمد لله.

وثبت في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحيًا**

---

[1] انظر: الشِّفا للقاضي عياض (١/ ٣٤١) وما بعدها، (٥٢٣) [مطبعة عيسى البابي الحلبي]، والنُّبُوَّات (١٢، ٣٦، ١١٢، ١١٤، ١٦٥، ٢٠٢ ـ ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٩٩)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥، ٣١١، ٣٧٩)، والجواب الصحيح (١/ ٣٩٩، ٤١٧، ٤١٨، ٥/ ١٤٠، ٤٠٥، ٤١٢، ٤١٩، ٦/ ٤٠٠، ٤٠١، ٥٠٠)، وشرح العقيدة الأصفهانية (١٢٠، ٢٠٨) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، والصَّواعِق المُرسَلَة (٣/ ١١٩٧)، والبداية والنهاية (٢/ ٩٩، ٦/ ٧٧، ٢٨٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ]، والفصول في سيرة الرَّسول صلى الله عليه وسلم (٢٢٨، ٢٨٧) [مؤسسة علوم القرآن بدمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وشرح الطحاويَّة لابن أبي العزّ (١/ ١٤٠، ٢/ ٧٤٦) [مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٧هـ].

أوحاه الله إليّ؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[(١)]. والقرآن ذكر أدلة وافرة على معجزات الأنبياء بأعيانهم، لم نذكرها هنا طلبًا للاختصار.

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «آيات الأنبياء هي التي تعلم أنّها مختصة بالأنبياء، وأنّها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحدًا أن يعارضها. لكن كونها خارقة للعادة ولا يمكن معارضتها هو من لوازمها، ليس هو حدًّا مطابقًا لها. والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضروريًا؛ كانشقاق القمر، وجعل العصا حية، وخروج الناقة؛ فمجرد العلم بهذه الآيات يوجب علمًا ضروريًا بأنّ الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها؛ وذلك يستلزم أنّها خارقة للعادة، وأنه لا يمكن معارضتها؛ فهذا من جملة صفاتها، لا أنّ هذا وحده كاف فيها»[(٢)].

وقال السعدي: «إن المعجزة هي ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله لتصديق ما بعثهم به، ويؤيدهم بها سبحانه؛ كانشقاق القمر، ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة الرسول على الإطلاق، وكحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: لفظ (المعجزة) لا يعرف في الكتاب والسُّنَّة:

من المسائل المتعلقة بالمعجزة: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنّ: لفظ (المعجزات) لا يعرف في الكتاب والسُّنَّة؛ وإنّما في القرآن لفظ: الآية، والبينة، والبرهان، وهذه الأسماء تدلُّ على مقصود آيات الأنبياء، وتختص بها ولا تقع على غيرها، بخلاف: (المعجزة) و(خرق العادة)، وإن كان ذلك من بعض صفاتها؛ فهي لا تكون آية وبرهانًا حتى تكون قد خرقت العادة وعجز الناس عن الإتيان بمثلها. وسبق ذكر كثير من الآيات التي فيها هذه الألفاظ في (الأدلة)؛ فراجعها.

ثم إنّ إطلاق (المعجزة) على ما كان للأنبياء من خوارق العادات، و(الكرامة) على خرق العادة للأولياء؛ لم يكن

(١) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٤٩٨١)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٢).

(٢) النُّبوَّات (٢٠٣)، بتصرُّفٍ يسيرٍ. وانظر منه: (٢٢٠).

(٣) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (١٠٧).

(٤) انظر: الجواب الصحيح (٥/٤١٢)، والنُّبُوَّات (٢٢٠).

معروفًا عن السّلف والأئمة المتقدمين ـ كالإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره ـ؛ فقد كانوا يسمّون هذا وهذا معجزات، بخلاف المتأخرين من أهل الكلام؛ فالمعجزة في اللغة وعرف المتقدمين تعمّ كل خارق للعادة، ويقولون لخوارق الأولياء: إنّها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك، بخلاف ما كان آية وبرهانًا على نبوة النبيّ فهذا يجب اختصاصه.

وقد يسمّون (الكرامات) آيات؛ لكونها تدل على نبوّة من اتّبعه الوليّ؛ فهذه الكرامات إنّما حصلت ببركة اتباع هذا النبيّ؛ فهي في الحقيقة تدخل في معجزاته ـ فكرامات الأولياء معجزات للأنبياء ـ، والدليل مستلزم للمدلول، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول؛ فكذلك ما كان آية وبرهانًا ـ وهو الدليل والعلم على نبوة النّبي ـ يمتنع أن يكون لغير النّبي[1].

ـ المسألة الثانية: كل معجزة لنبي من الأنبياء هي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ:

ومن المسائل المتعلقة أيضًا: ما ذكره غير واحد من العلماء[2] من أنّ: كل معجزة لنبيّ من الأنبياء فهي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ؛ وذلك أنّ كلًّا منهم بشر بمبعثه، وأمر بمتابعته؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران]؛ فما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه العهد والميثاق: لئن بعث محمد ﷺ وهو حيّ ليؤمننّ به وليتّبعنه ولينصرنّه.

ـ المسألة الثالثة: كل معجزة لنبيّ فلنبيّنا ﷺ أمثالها:

ومن المسائل المتعلقة أيضًا: ما ذكره بعض العلماء[3] من: أنّ كلّ معجزة لنبيّ فلنبيّنا أمثالها؛ فمن ذلك مثلًا: نجاة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في السّفينة بالمؤمنين، ولا شكّ أنّ حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السّلوك عليه في السّفينة ـ لأنّ حمل الماء للسّفينة معتاد ـ، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء؛ فهذا أبلغ من ركوب السّفينة، وأبلغ أيضًا من فلق البحر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنّ معجزته انحسار الماء، وها هنا صار الماء جسدًا يمشون عليه كالأرض. وكرامات الأولياء معجزة للأنبياء؛ فهذه المعجزة منسوبة

(١) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤١٩)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٣١١). وانظر منه (١١/ ٢٧٥) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشَّيطان، والبداية والنهاية لابن كثير (٦/ ١٦٩، ٢٦٦، ٢٨٩).

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٨٩).

(٣) المرجع السابق.

إلى النبي ﷺ وبركة اتباعه.

ـ **المسألة الرابعة: دلائل النبوة لا تنحصر بالمعجزة:**

دلائل النّبوة ومعرفة صدق النبيّ ليست محصورة في المعجزات التي هي الخوارق؛ بل تكون بالمعجزات وغيرها من الطرق الكثيرة المتنوعة، خلافًا لمن خالف في ذلك من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم؛ مثل: النّظر في أحوال الأنبياء وما اشتهروا به من الصّدق والأمانة ومكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والنظر فيما جاؤوا به من التشريعات والأخبار وما فيها من إحكام وإتقان، ينتظم مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مما يعلم أن مثله لا يصدر إلا من نبيّ صادق بار، وتأييد الله تعالى لهم تأييدًا مستمرًّا لا ينقطع، وجعل العاقبة لهم ولأتباعهم ولو بعد حين، إلى غير ذلك من الدلائل المعروفة.

ـ **المسألة الخامسة: معجزات الأنبياء من دلائل وجود وربوبية محدثها:**

معجزات الأنبياء ـ زيادة على أنّها تأييد للرّسل ودلالة على صدقهم ـ هي من دلائل وجود وربوبية محدثها وموجدها ﷻ وإثبات وحدانيته، بل هي من أقوى الطرق ـ التي دلَّ عليها القرآن وأرشد إليها العباد ـ التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده وأصحها وأوثقها، وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر، ودلالتها ضرورية بنفسها؛ ولذا يسميها الله تعالى في غير موضع من القرآن الكريم: (آيات بيّنات)؛ فهي تدل بنفسها على ثبوت الصانع كسائر الحوادث، وهي تزيد على عموم الحوادث بأنّ دلالة الحوادث الغريبة غير المعتادة ليست كالحوادث المعتادة، فإذا اقترن خرق العادة مع دعوى الرسالة دلَّ ذلك على وجود رب قادر على كل شيء، وأنه سبحانه أراد أن يؤيد بهذه المعجزة نبيِّه، وأن يقيم بها الحجة على مخالفيه، وأمر باتباعه وطاعته، ولا وجه لوقوعها غير ذلك؛ فيكون التلازم بين وقوعها والدلالة على صدق النبي ضروريًّا.

وبتعبير آخر نقول: لمَّا ثبتت النبوة بحصول المعجزة؛ وجب تصديق النبي، وقبول سائر ما يخبر به عن الله تعالى واليوم الآخر والأمور الغيبية، والاستجابة لما يدعو إليه، وأعظم ما يدعو إليه: إثبات ربوبية الله تعالى، ووحدانيته، ولزوم طاعته وشرعه؛ فدل ذلك على أن المعجزات من أعظم دلائل ربوبية الله ﷻ ووحدانيته. والحمد لله.

ـ **المسألة السادسة: معجزات الأنبياء منها الظاهر البيّن ومنها ما ليس كذلك:**

دلائل النبوة والمعجزات ـ كدلائل الربوبية ـ منها الظاهر والبين لكلّ أحد (كالمعجزات الحسية)؛ لحاجة الناس

إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله، ومنها ما يختص به من عرفه (كإعجاز القرآن مثلًا)؛ فلا يلزم ضرورة أن تكون كل آية ومعجزة صالحة لكل أحد؛ بل يستدل لكل واحد بما يناسبه من الآيات والدلائل.

- **المسألة السابعة: مقارنة بين معجزاته ﷺ ومعجزات غيره من الأنبياء:**

أنبياء الله ﷻ عندما أرسلهم إلى أممهم وأقوامهم، أنزل معهم معجزات حتى يصدقهم الناس ويؤمنوا برسالاتهم، ويعلمون أنهم أنبياء من عند الله تعالى حقًّا. واختلفت معجزات الأنبياء، وكانت معجزة كل نبيٍّ مناسبة لمن أرسل إليهم من أقوامهم، وهي معجزاتٌ وقتية حِسّية يراها الناس فيؤمنون بها ويستجيبون لرسولهم، وهذه المعجزات تنتهي بموتهم، وسبب ذلك أن الأنبياء والمرسلين قبل نبيّنا محمد ﷺ جاؤوا لأقوامهم خاصة، أما نبوة محمد ﷺ ورسالته فهي عامة للبشرية جميعًا؛ لأنه آخر الأنبياء والرسل فلا نبي بعده، ولأجل هذا كان لا بد أن تكون معجزته معجزة عالمية دائمة ومستمرة حتى بعد وفاته ﷺ، يصلح التحدي بها وإظهار إعجازها في كل زمان ومكان؛ فكانت تلك المعجزة هي كتاب الله تعالى، القرآن الكريم.

الفروق:

الفرق بين دلائل النّبوة والمعجزات:

تقدم بيان أنّ المعجزات نوع من أنواع دلائل النّبوة الكثيرة، وأنّ دلائل النبوّة لا تنحصر في المعجزات؛ فبينهما إذن عموم وخصوص؛ فكل معجزة هي من دلائل النبوّة، ولا عكس.

الثمرات:

من أبرز الثمرات المترتّبة على الإيمان بمعجزات الأنبياء: إثبات وجود الله ﷻ، وربوبيته ووحدانيته سبحانه، وإثبات حياته وقدرته وإرادته، وعلمه بالكليات والجزئيات، وصدق رسالة الرسل الكرام، والمبدأ والمعاد، كما تقدم تفصيله.

ومن الثمرات أيضًا: بيان شدة اعتناء رب العالمين ﷻ بأنبيائه ورسله ﵈، وتكريمه وتعظيمه لهم؛ بتأييدهم بالآيات والمعجزات الباهرات، والبراهين والبينات الواضحات.

ومن الثمرات أيضًا: بيان كمال حكمة الله تعالى، وعظيم فضله على الناس ورحمته بهم؛ بإقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل، وتأييدهم بالمعجزات التي لا تدع لمتشكك مقالًا، ولا لراغب في الحق حيرة وضلالًا إلا أبدلتها نورًا وبرهانًا.

الحكمة:

تقدم أنّ الحكمة من معجزات

الأنبياء: الدلالةُ على صدق نبوتهم وصحة رسالتهم واتباعهم، وتمييزهم عن المتنبئين الكذّابين.

مذهب المخالفين:

حصر المعتزلة والأشاعرة والماتريديّة - خلافًا لأبي منصور الماتريدي نفسه - دلائل النبوة في المعجزات؛ فلم يصحّحوا طريقًا يقينيًّا لإثبات صدق الأنبياء وصحة رسالتهم إلا بالمعجزات[1]! وهذا باطل عقلًا ونقلًا؛ فدلائل النّبوة ومعرفة صدق النبيّ كثيرة متنوعة، والمعجزات إحداها وطريق من طرقها الصّحيحة.

وقد عرَّفوا جميعًا المعجزة وحدُّوها بأنها: «أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي يظهر على يد نبيّ، سالِم من المعارضة»[2]. وقد تقدم تقرير أنّ معجزات الأنبياء مختصة بهم لا يشركهم فيها غيرهم، مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وأن خرقها للعادة وسلامتها من المعارضة من لوازمها وجملة صفاتها، لا أنَّ هذا وحده كاف فيها؛ فشرط الشيء ولوازمه قد يكون أعم منه؛ فلا يصح أن يجعل مسمى المعجزة وخرق العادة هو الحد المطابق لها طردًا وعكسًا.

ثم افترقوا فريقين: فأنكر المعتزلة خوارق العادات لغير الأنبياء؛ فنفوا كرامات الأولياء والسّحر؛ لئلا تشتبه عندهم بالمعجزات، فيؤدّي إلى التباس النبيّ بالوليّ بالساحر، وليسلم لهم دليل النّبوة[3]! وهذا أيضًا باطل ومجازفة، مصادم للكتاب والسُّنَّة وما تواتر نقل الناس له عبر العصور من إثبات الكرامات والسّحر.

أما الأشاعرة والماتريدية؛ فيثبتون كرامات الأولياء والسّحر، ويرون أنّها والمعجزات من جنس وحقيقة واحدة! ويفترقان في دعوى النّبوة والتحدي بالمثل[4]؛ فيجيزون أن يكون كل خرق

(١) انظر للمعتزلة: المغني للقاضي عبد الجبار (١٥/ ١٤٧) [المؤسسة المصرية العامة للتأليف]، وشرح الأصول الخمسة له (٥٦٨) [مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٤هـ]. وللأشاعرة: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني (٣٧)، والإنصاف له (٦١) [مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤١٣هـ]، والإرشاد للجويني (٢٦٠) [مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ]. وللماتريدية: التوحيد للماتريدي (١٨٨) [دار المشرق ببيروت]، وأصول الدِّين للبزدوي (٩٧) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٣هـ]، والتمهيد في أصول الدين لأبي المعين النسفي (٤٤) [دار الثقافة، القاهرة، ١٤٠٧هـ].

(٢) انظر للمعتزلة: المغني (١٥/ ٥٦٩)، وشرح الأصول الخمسة (٥٦٩). وللأشاعرة: البيان للباقلاني (٣٥، ٤٥)، وأصول الدِّين للبغدادي (١٧٠) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ]. وللماتريدية: التمهيد للنسفي (٤٦).

(٣) انظر: المغني لعبد الجبار (١٥/ ١٨٩، ٢٤١)، وأعلام النُّبوَّة للماوردي (٦٢) [دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ].

(٤) انظر للأشاعرة: البيان للباقلاني (٩١، ٩٦)، =

لعادة من معجزات الأنبياء، حتى لو كان من جنس خوارق الشياطين! وهذا ظاهر البطلان، معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل؛ فقولهم هذا لم يجعل «لآيات الأنبياء ومعجزاتهم خاصة تتميز بها عن السّحر والكهانة، وعما يكون لآحاد المؤمنين! ولم يجعلوا للنبيّ مزيّة على عموم المؤمنين، ولا على السحرة والكهان من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه! وهذا افتراء عظيم على الأنبياء وعلى آياتهم، وتسوية بين أفضل الخلق وشرار الخلق، بل تسوية بين ما يدل على النّبوة وما يدل على نقيضها؛ فإنّ ما يأتي به السحرة والكهان لا يكون إلا لكذاب فاجر عدو لله؛ فهو مناقض للنبوة! فلم يفرقوا بين ما يدل على النّبوة وعلى نقيضها، وبين ما لا يدل عليها ولا على نقيضها! فإنّ آيات الأنبياء تدل على النّبوة، وعجائب السحرة والكهان تدل على نقيض النّبوة، وأن صاحبها ليس ببر ولا عدل ولا وليّ لله، فضلًا عن أن يكون نبيًّا، بل يمتنع أن يكون السّاحر والكاهن نبيًّا؛ بل هو من أعداء الله، والأنبياء أفضل خلق الله، وإيمان المؤمنين وصلاحهم لا يناقض النّبوة ولا يستلزمها؛ فهؤلاء سووا بين الأجناس الثلاثة؛ فكانوا بمنزلة من سوّى بين عبادة الرحمٰن وعبادة الشيطان والأوثان!»[1].

ولئن كان جميع هؤلاء يثبتون اختصاص الأنبياء عليهم السلام بالمعجزات الدَّالة على صدقهم وصحة رسالتهم؛ فإن الشيعة الإمامية الاثني عشرية يسوون بين الأنبياء وأئمتهم في التأييد بالمعجزات؛ فيثبتون المعجزات أيضًا لأئمتهم تأييدًا من الله لهم ـ بزعمهم ـ لإثبات الإمامة وإقامة الحجة على الخلق بهؤلاء الأئمة، ويدعون أن أئمتهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء[2]! فالأئمة ـ عندهم ـ هم حجة الله على الخلق ولولاهم ما عُبِد الله[3]! ولعل هذا مرتبط أيضًا باعتقادهم في نزول الوحي على أئمتهم[4]؛ فيحتاج الأئمة مع كل هذا

= والإرشاد للجويني (٢٦٩). وللماتريدية: التمهيد للنسفي (٤٦).

(١) النُّبوَّات لابن تيميَّة (١٥٣).

(٢) انظر: ينابيع المعاجز وأصول الدَّلائل لهاشم البحراني (٢) [دار الكتب العلمية بقُم]، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٧/ ٢٩) [دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٠٣هـ]، وقلائد الخرائد في أصول العقائد للقزويني (٧٢) [مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٢م]، وعيون المعجزات لحسين بن عبد الوهاب (١٧، ٢٢، ٢٥، ٣٢، ٥٧، ٨٠) [مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٣، ١٤٠٣هـ].

(٣) انظر: أصول الكافي (١/ ١٧٧، ١٩٢) [دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٨٨هـ].

(٤) انظر: أصول الكافي للكليني (١/ ١٧٦، ٢٧١، ٢٤٠)، وبحار الأنوار للمجلسي (١٧/ ١٥٥، ٢٦/ ٤٤، ٦٨، ٧٣، ٥٤/ ٢٣٧)، وبصائر الدَّرجات الكبرى للصَّفَّار (٤٣، ٩٣) [المختصر، طبعة النجف، ١٣٧٠هـ]، والشِّفا للقاضي عياض =

إلى معجزة تؤكد صدق دعواهم! فالأئمة عندهم ـ على هذا ـ أفضل وأعلم من جميع الأنبياء والمرسلين، بما فيهم أولو العزم من الرسل[1]! وقد تعدت هذه الاعتقادات الصورة النظرية فاتخذت صورة واقعية، تمثلت في نسبة الخوارق والمعجزات لغائبهم المنتظر، ثم تجاوزوا بها إلى ادعاء حصولها عند قبور أئمتهم وأضرحتهم! ففتحوا على أنفسهم وأتباعهم أبوابًا واسعة من الشرك بالله[2]؛ فالله المستعان.

المصادر والمراجع:

١ ـ «آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية»، لمحمد بن عبد العزيز الشايع.

٢ ـ «الجواب الصحيح» (ج١، ٥، ٦)، لابن تيمية.

٣ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٨، ٩)، لابن تيمية.

٤ ـ «شرح العقيدة الأصفهانية»، لابن تيمية.

٥ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العزّ الحنفيّ.

٦ ـ «الصفدية» (ج١)، لابن تيمية.

٧ ـ «الفصول في سيرة الرسول ﷺ»، لابن كثير.

٨ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١١، ١٥)، لابن تيمية.

٩ ـ «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» (ج٣)، لعبد الرحمٰن المحمود.

١٠ ـ «النّبوات»، لابن تيمية.

المُعِزّ

يراجع مصطلح (المعز المذل).

المُعطي المانع

التعريف لغةً:

المُعطي: اسم فاعل من العطاء، وأصله الثلاثي (ع ـ ط ـ و) الدَّال على الأخذ والمناولة، يقال: عطا وأعطى يعطي عطاء وإعطاءً وعطية فهو معطٍ، والأعطية جمعها أعطيات: الهبة، وما يعطى من الهدايا، ورجل معطاء: كثير العطاء.

وتعاطي الشيء: الجرأة على تناول ما لا يجوز تناوله، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفع اليدين ليأخذه،

= (٢/ ١٠٧٠). ولمزيد من التفصيل راجع: أصول مذهب الشيعة للقفاري (١/ ٣١٠، ٢/ ٥٨٦، ٦١٢، ٦٢٣)، وعقيدة خَتم النُّبوَّة للغامدي (١٤٣) [دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ].

(١) انظر: بصائر الدرجات الكبرى للصَّفَّار (٥/ ٢٤٧) [طبعة إيران، ١٢٨٥هـ]، والفصول المهمة في أصول الأئمة للحرّ العاملي (١٥١) [مكتبة بصيرتي بقم]، وعيون أخبار الرضا لابن بابويه (١/ ٢٦٢) [طبعة إيران، ١٣١٨هـ]، والحكومة الإسلامية للخميني (٥٢) [الحركة الإسلامية، إيران، ومطبعة الخليج، الكويت]. وانظر: أصول مذهب الشِّيعة للقفاري (٢/ ٦١٣).

(٢) انظر: أصول مذهب الشِّيعة للقفاري (٢/ ٦٢١ ـ ٦٢٩).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر][1].

المانع: اسم فاعل من المنع، أصله الثلاثي مَنَع الدَّال على خلاف الإعطاء.

قال ابن فارس: «الميم والنون والعين أصلٌ واحد هو خلاف الإعطاء. ومنَعتُه الشَّيءَ منعًا، وهو مانِعٌ ومَنّاع. ومَكانٌ منيع. وهو في عِزٍّ ومَنْعَة»[2].

يقال: منع يمنع منعًا فهو مانع ومنّاع، فالمنع: أن تحول بين شخص وشيء ما، ومنعه الشيء: حرمه منه، ومنّاع: بخيل بالأعطية، قال تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ق].

ومانعه: نازعه، وامتنع عن الشيء: كفّ عنه، منعته فامتنع، وامتنع عليه الشيء: تعذّر حصوله.

ومكان منيع: حصين، والمناعة: الحصانة، وهو في عزة ومنعة: حماية وممتنع عمن يروم، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١][3].

التعريف شرعًا:

اسم الجلال **(المعطي)** من الأسماء المتقابلة التي لا يُثنى على الله ﷻ بها إلا مع ذكر مقابلها، اسم الجلال **(المانع)**؛ ولهذا نجد كثيرًا من أهل العلم ممن أثبتها يوردون تفسيرها في سياق واحد، فقالوا:

إن الله ﷻ هو المعطي المانع: لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، الممكن من نعمه، والحائل دونها، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن شاء تفضلًا، ويمنعها من يشاء عدلًا وابتلاء، وكل ذلك بحكمته ورحمته، لا راد لحكمه وقضائه[4].

قال السعدي في شرح اسمَي (المعطي، المانع): «لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها،

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٠٢ ـ ١٠٣) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٧٨٨) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٦/ ٢٤٣٠ ـ ٢٤٣١) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (١٦٩٢) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ٦٠٩) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٢٧٨) [دارالجيل، ط٢].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ١٩) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٩٦٦) [دار الفكر، ط٢]، والصحاح (٣/ ١٢٨٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٧٩) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (٢/ ٨٨٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٦٣) [دار الثقافة العربية، ط١]، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٦) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩]، ومدارج السالكين (١/ ١٠٣) [دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ]، جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام (٦٣١) [دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته»[١].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

بالرجوع إلى المعنى اللغوي لاسم المعطي والمانع يتبين أن معناهما الشرعي متصل بالمعنيين الأصليين اللذين دلّ عليهما اسما المعطي والمانع بطريق المطابقة، فكلاهما دالٌّ على العطاء والمنع، فالله عَزَّ وَجَلَّ يعطي ويهب من يستحق العطاء من خلقه، ويمنع من لا يستحق العطاء فيحرمه بحكمته، إلا أن معنى هذا الاسم الذي يتصف به الله تعالى هو خاص به لا يشاركه فيه أحد من المخلوقين.

الحكم:

اسم **(المعطي المانع)** من الأسماء الثابتة لله تعالى، كما وردت بذلك السُّنَّة الصحيحة.

الحقيقة:

دلَّ اسم المعطي المانع أن الله تعالى متفرد بالعطاء والمنع، وأن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك؛ بل هو سبحانه المتفرد بها لا يشركه فيها أحد[٢].

الأدلة:

دلَّت النصوص من السُّنَّة النبوية على ذلك، **منها**:

حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»[٣].

حديث المغيرة بن شعبة؛ أنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلَّم: «**لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللَّهُمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ**»[٤].

أقوال أهل العلم:

ذكر ابن القيم بعض الأسماء الحسنى وقال: «منها ما لا يطلق مفرده، بل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله بالمعطي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو...»[٥].

---

(١) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٢) جلاء الأفهام (٤٦٠) [دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١١٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٣٧).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٨٤٤)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٩٣).

(٥) بدائع الفوائد (١/١٧٧).

وقال السعدي في شرح اسمَي (المعطي، المانع): «لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته»[(١)].

وذكر ابن عثيمين أن من الأسماء «الذي لا يطلق إلا مقرونًا بغيره؛ لكون الكمال لا يحصل إلا به؛ كالضار النافع، والمنتقم والعفو، والمانع المعطي، إذ كمال التصرف لا يحصل إلا به»[(٢)].

أورد هذا الاسم معظم من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها من أهل العلم، ولم يسقطه من جمعه سوى: الزجاجي، وابن العربي، وابن الوزير، وابن حجر، وصديق حسن خان، ومحمد حمود النجدي.

وبعض أهل العلم أثبت اسم المعطي دون المانع ومن بينهم: ابن حزم[(٣)]، وابن عثيمين[(٤)]، والقحطاني[(٥)]، وعبد الرزاق البدر[(٦)].

ومن غريب ما يشار إليه هنا: أن بعض أهل العلم أورد اسم المانع دون المعطي ومن بينهم: الزجاج[(٧)]، والخطابي[(٨)].

المسائل المتعلقة:

اسمَي الجلال (المعطي والمانع) من الأسماء المتقابلة التي ينبغي أن يُثنى على الله بها مجموعة في سياق واحد؛ لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، وهذا لا يعني ألا يذكر اسم المعطي لوحده مطلقًا، وإنما اسم (المانع) الدَّال على المنع، الذي يتضمن بعض معاني النقص في بعض الأحوال إذا كان مطلقًا غير مضاف، أما إذا أُضيف إلى الله ﷻ فإن منعه تبارك وتعالى كله خير وحكمة، لا يمنع إلا لما فيه خير العباد ومصلحتهم، وفي كل منع له حكمة قد يدركها البشر وقد لا يدركونها؛ ولهذا قال أهل العلم بأن اسم (المانع) لا يُثنى به على الله ﷻ إلا بذكر مقابله (المعطي)، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: فإن هذه الأسماء المتقابلة لا يظهر الكمال المطلق فيها إلا باجتماع الوصفين، فالإعطاء المطلق من غير منع قد يكون فيه نقص وضرر،

(١) تفسير السعدي (٩٤٨).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧/٢٤٦).

(٣) انظر: المحلى (٨/٣١) [إدارة المطبعة المنيرية، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٤) انظر: القواعد المثلى (٢٠) [دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ].

(٥) انظر: شرح أسماء الله الحسنى (١٩٧) [دار الإيمان].

(٦) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٣٢٣) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٧) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى (٦٣) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م].

(٨) انظر: شأن الدعاء (٩٣) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ].

والمنع المطلق من غير إعطاء قد يكون فيه نقص وضرر على العباد، والكمال في اجتماع الإعطاء والمنع وفق الحكمة والمصلحة، وذلك شأن رب العالمين[(١)].

الآثار:

١ ـ إيمان العبد بأن الله هو المعطي والمانع، وأنه لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، يدفعه إلى التوجه الصادق إلى مولاه، وإخلاص العبادة له، والتقرب إليه بالصالحات، رغبة فيما عنده من الخيرات وسائر البركات والرحمات، وخشية من الحرمان؛ لأنه تعالى هو المتفرد بالعطاء والمنع، فلا يلتفت العبد إلى غير الله بالسؤال وطلب الخيرات، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، بل يطلب ذلك كله من مالكه وواهبه سبحانه.

٢ ـ يجب على من علم أن الله هو المعطي المانع أن يقطع من قلبه من الخلق المطامع، وأن يقف مع الله بقلب راضٍ قانع، فإن أغناه صرف في طاعته غناه، وإن منعه علم أنه لم يمنعه من بخل ولا عدم؛ بل ليكون منعه معقبًا له ما هو أشرف وأكرم من الغنى الذي لا ينصره، فإن جاءه من أحد من الخلق سبب من أسباب الرزق فليرد ذلك إلى الواحد الحق، وإن منعه أحد من الناس فلا يرى المانع إلا الله، فيضرب عن الأسباب صفحًا، ويجعل الله هو الكل، وكل موجود مع القدرة كالظل، لا حكم له في الفعل، فلا يذم مانعًا بوجه، ويمدح معطيًا إلا من حيث ينظر إلى الله فيمدحه لمدح الله إياه، إذ جرت بالخير يداه على ما أجراهما الله[(٢)].

٣ ـ كما ينبغي للعبد أن يعلم يقينًا أن العطاء لله ﷻ أحب إليه من المنع، كما أن العفو أحب إليه من الانتقام، فلا يتعرض لأسباب سخطه وغضبه حتى ينال منه عطاء لا منع فيه، وجودًا وكرمًا لا انقطاع له، وإن هو وقع في مساخطه ومناهيه «فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر، وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه، وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه، وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه، فاستدعى بمعصيته من أفعالهما سواه

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٦)، مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤، ٩٥) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤١٦هـ]، ومنهاج السُّنَّة (٥/ ٤١٠) [جامعة الإمام، ط١، ١٤٠٦هـ]، وبيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٠٠، ٣٠١) (٤/ ٣٧ ـ ٣٩) (٧/ ٤٦٥، ٤٦٦) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤٢٦هـ]، والرسالة الأكملية (٣٩) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤).

(٢) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٥٧) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

أحب إليه منه، وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان[(١)].

٤ ـ كما أن مُشاهدة العبد بقلبه تفرُّدَ الله ﷻ بالعطاء والمنع؛ وتعبُّده بمقتضاهما: يجعل حظَّه منهما الشكر عند العطاء؛ والافتقار عند المنع، ولا يرى أنه تركَ شيئًا؛ ولا أخذَ شيئًا؛ بل الله وحده هو: المُعطي المانع[(٢)].

مذهب المخالفين:

خالف في هذا الباب طوائف من أهل البدع؛ كالصوفية وسائر القبورية، فلم يفردوا الله بالعطاء والمنع، ولم يخصوا الله سبحانه بأنه المعطي المانع، فقد اعتقدوا في بعض المخلوقين ممن يسمونهم بالأولياء أنهم يملكون النفع والضر، والعطاء والمنع، واخترعوا لإثبات ذلك قصصًا ممجوجة وحكايات باردة؛ كمثل ما ذكر في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني من أن أحد خدامه توفي فجاءت زوجته تتضرع وتستغيث بالشيخ وتلتجئ إليه، فتوجه الشيخ إلى المراقبة فرأى في عالم الباطن ملك الموت وهو يصعد بالأرواح المقبوضة، فلحقه الشيخ وقال له: أرجع روح خادمي، فامتنع ملك الموت، فسحب منه الشيخ الظرف الذي فيه الأرواح، وكان على هيئة الزنبيل، فتفرقت الأرواح وعادت إلى أبدان أصحابها، فشكى ملك الموت ذلك إلى ربه، فقال له: لم تعطه روح خادمه؟ فبسبب روح واحدة ذهبت الأرواح كلها[(٣)].

وجاء في الكتاب نفسه أن رجلًا جاء إلى الغوث الأعظم ـ يعني: الجيلاني ـ وقال: «هذا الباب العالي قبلة الحاجات وملجأ النجاة، فأنا ألتجئ إليه، وأطلب ولدًا ذكرًا» ثم ذكر أن الشيخ أخبره بأنه سيأتيه ما طلب فلازمه الرجل حتى ولدت له أنثى، فأخذها وجاء بها إلى الشيخ وقال له: ما هكذا الطلب، فقال له الشيخ: لفها وارجع بها إلى البيت وسترى ما يظهر من وراء أستار الغيب ففعل الرجل ذلك فإذا هي ولد[(٤)].

فتوجهوا انطلاقًا من هذا وأمثاله إلى غير الله بطلب المدد، والمال والصحة والولد، وتفريج الكرب، وإنجاح الطلبات، وتحقيق الرغبات، والاستغاثة بهم فيما لا يقدر عليه أحد إلا الله

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢١٢، ٢١٣) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ]. وانظر: نفس المصدر (١/٢١١، ٢١٢)، فقه الأسماء الحسنى (٣٢٦) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/٢٠)، الفوائد (٧٩) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٣٩٣].

(٣) انظر: تفريج الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر لعبد القادر محيي الدين (٢١، ٢٢) [أصل الكتاب بالفارسية لمحمد صادق القادري، ترجمه إلى العربية عبد القادر محيي الدين، وسمَّاه: تفريج الخاطر].

(٤) تفريج الخاطر في ترجمة الشيخ عبد القادر (٢٢).

الواحد الأحد سبحانه، وصرفوا إليهم أنواعًا من القربات؛ كالذبح والنذر والطواف حول القبور والأضرحة، والتمسح بتربتها، وغير ذلك، فوقعوا بذلك في الشرك الصريح، قال الله تعالى: ﴿...ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾؛ «أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها»[(١)].

وقال الله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

قال السعدي في تفسيرها: «أي: هل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء؛ أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم، كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم، أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئًا من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٤ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٥ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.

٦ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

٧ ـ «الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال»، لابن تيمية.

٨ ـ «صفات الله عزّ وجل الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٩ ـ «طريق الهجرتين»، لابن القيم.

١٠ ـ «مدارج السالكين» (ج١)، لابن القيم.

١١ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

(١) تفسير ابن كثير (٦/٥٤١) [دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) تفسير الشيخ عبد الرحمٰن السعدي (٦٠٨).

١٢ ـ «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

معيَّة الله عَزَّوَجَلَّ

التعريف لغةً:

الميم والعين كلمةٌ تدلُّ على اختلاطٍ، كما تفيد المصاحبة واجتماع شيئين وضم الشيء إلى الشيء وما أشبه ذلك، وتكون بمعنى (عند)، وأصلها: معًا، تقول: كنا معًا؛ أي: جميعًا[(١)].

التعريف شرعًا:

معيَّة الله عَزَّوَجَلَّ: أن الله سبحانه مع خلقه بعلمه وإحاطته بهم كافة، وليس مخالطًا لهم، ومع أوليائه بالنصر والحفظ[(٢)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى الشرعي مرتبط بالمعنى اللغوي من ناحية أن المعية مطلق المصاحبة، إلا أن المعنى الشرعي يفيد أن معية الله عَزَّوَجَلَّ لخلقه ليس فيها امتزاج ولا اختلاط، وإنما هي عامة لكل الخلق، لا يخفى عليه من أحوالهم شيءٌ، وتدبيره وتصرفه بهم لا يحول دونه شيء، ولا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد تكون خاصة بنصره أولياءَه وحفظهم وتأييدهم.

الحكم:

إثبات صفة المعية لله تعالى وأنها معية عامة لعموم خلقه، لا يخفى عليه من أحوالهم شيءٌ، ولا يغيب عن علمه وتصرفه قليل ولا كثير من شؤونهم، وإثبات المعية الخاصة لمن شاء من خلقه بالتأييد والنصرة والإعانة والحفظ والرعاية منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[(٣)].

الحقيقة:

صفة المعية ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثبتها له أهل العلم تبعًا لذلك، والمفهوم منها لغة وشرعًا هو مطلق المصاحبة والمقارنة، ثم تتحدد حسب متعلقاتها الواردة في النص الشرعي، فقد تكون معية علم وإحاطة، وقد تكون معية تأييد وتوفيق، وقد تكون معية نصرة وإعزاز، وقد تكون معية حفظ ورعاية، فتتحدد معانيها حسب متعلقاتها، ولا تعني بحال أن معية الله معية اختلاط وامتزاج بخلقه، فإن ذلك معنى مرفوض ومردود شرعًا وعقلًا؛ إذ إن علو الله على خلقه علو ذاتي فهو على عرشه بائن من خلقه سبحانه، ونصوص المعية تثبت معيته

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٢٧٣)، والقاموس المحيط (٩٨٧)، المعجم الوسيط (٨٧٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٩٦)، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/١٢٤٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٩٦)، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/١٢٤٦) وما بعدها.

سبحانه لخلقه فليس بينهما تعارض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة»[(١)]، فيثبت له سبحانه العلو المطلق والعلو الذاتي، وتثبت له المعية العامة والمعية الخاصة على ما يأتي بيانه في الأقسام، وليس في ذلك تعارض؛ إذ إن المعية لا يلزم منها الاختلاط ولا الامتزاج لغة ولا شرعًا، فتقول: سرت والقمر، وسرت والنجم، ولا يعني ذلك أن القمر بجانبك وملاصق لك، وإنما هو في مكانه وأنت في مكانك، والمفهوم من ذلك أنك سرت مصاحبًا له ومصاحبًا لك.

الأهمية:

إن معية الله لخلقه من لوازم ربوبيته سبحانه وقيوميته على كل نفس، فهو مطلع على أحوالهم محيط بهم، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهي من لوازم الربوبية والألوهية.

الأدلة:

وردت صفة المعية في القرآن الكريم على معنيين:

المعنى الأول: المعية العامة.

وقد وردت في مواضع من القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس]

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف]

المعنى الثاني: المعية الخاصة.

وقد وردت في القرآن الكريم في مواطن كثيرة؛ **منها:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١٠٣).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو عمر الطلمنكي رحمه الله: «وأجمع المسلمون من أهل السُّنَّة على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله ﷻ فوق السماوات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء»[(٢)].

وقال ابن أبي زيد القيرواني المالكي: «وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»[(٣)]

قال الإمام أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب «الاعتقاد»: «وفي كثير من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إنما أراد به بعلمه لا بذاته»[(٤)].

قال ابن رجب بعد ذكره لآيات المعية: «ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده وإحاطته بهم وقربه من عابديه وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية لله وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه، ثم حدث بعدهم من قلَّ ورعه وانتكس فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره، وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان كما حكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي الله عنهم، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد حذر النبي ﷺ منهم في حديث عائشة المتفق عليه[(٥)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٢/٣٨).

(٣) رسالة ابن أبي زيد القيرواني [مطبعة مصطفى الحلبي، ط٢، ١٣٦٨هـ].

(٤) الاعتقاد للبيهقي (١١٤، ١١٥)، [دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١، ط١].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٥٤٧)، ومسلم (كتاب العلم، رقم ٢٦٦٥).

وتعلقوا أيضًا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. فقال من قال من علماء السلف حينئذ: «إنما أراد أنه معهم بعلمه»، وقصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن ... وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾: أن المراد علمه، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال إنه تعالى بذاته في كل مكان»[(١)].

الأقسام:

معية الله تعالى لخلقه قسمان:

١ ـ **معية عامة**: وهي بمعنى العلم والإحاطة، وهذه للخلق كافة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة].

٢ ـ **معية خاصة**: ومعناها النصرة والتأييد والحفظ، وهذه لأوليائه أهل طاعته، ومنها قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل][(٢)]. وقال ابن عثيمين: «المعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص. فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عامًّا. فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وسلطانًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد»[(٣)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: لوازم المعية العامة والخاصة:

إن لازم المعية هو العلم والإحاطة والسمع والبصر والتدبير بالنسبة للمعية العامة، أما المعية الخاصة فلازمها مع ما سبق النصر والحفظ والتأييد والإعانة، والنصوص الشرعية السابقة تدل على ذلك، وكلام أهل العلم في هذا كثير مدوّن في مظانه، وأهل السُّنَّة مجمعون على أن معية الله لخلقه لا تعني بحال اختلاطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهم ولا ممازجته لهم، بل هو سبحانه فوق عرشه مستوٍ عليه بائن من خلقه، وعلمه محيط بهم، وأكدوا أن

(١) فتح الباري لابن رجب (٢/٣٣١).

(٢) انظر: مختصر الصواعق (٣/١٢٤٦) وما بعدها.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٤٠١) [دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤١٥هـ].

اللغة العربية لا يلزم منها إثبات المعية في أمر الاختلاط والامتزاج وإنما مطلق المصاحبة، كما سبق ذكره في المعنى اللغوي.

- المسألة الثانية: تفسير المعية بالعلم ليس تأويلًا:

تفسير أهل السُّنَّة للمعية بالعلم أو غيره من المعاني التي يدل عليها السياق ليس من باب التأويل؛ إذ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر؛ وهنا في المعية ليس فيه صرف للفظ عن ظاهره، وإنما هو من باب تفسير اللفظ ببعض معانيه وما يدل عليه السياق؛ قال قوّام السُّنَّة الأصبهاني رحمه الله «فإن قيل: قد تأولتم قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]، قلنا: ما تأولنا ذلك، وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم؛ لأنه قال في آخرها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾»[(١)].

الثمرات:

١ - الإيمان بإحاطة الله ﷻ بكل شيء، وأنه مع علوه فهو مع خلقه، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم أبدًا.

٢ - أن هذه المعية إذا استحضرها العبد في كل أحواله؛ فإنه يستحيي من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفتقده حيث أمره، فتكون عونًا له على اجتناب ما حرم الله، والمسارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهرًا وباطنًا، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقل حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه[(٢)].

مذهب المخالفين:

المخالفون في المعية ثلاث طوائف:

أولًا: الجهمية ومن قال بقولهم في نفي الصفات كالمعتزلة وغيرهم في نفي صفة العلم عن الله ﷻ ونفي سمعه وبصره سبحانه[(٣)]، والذين ينكرون علوَّ الله ﷻ على خلقه واستواءه على عرشه فينكرون إحاطته بخلقه علمًا وبصرًا وسمعًا وقدرة، فهؤلاء كلهم ينكرون معية الله لخلقه على المفهوم الذي ورد في النصوص[(٤)].

ثانيًا: أهل الحلول، فهم يقولون: إنه في كل مكان ولا يخلو منه مكان،، وعزاه الأشعري إلى طائفة من المعتزلة، وعزاه السجزي وابن عبد البر والعمراني

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٩١).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٤١٩، ٤٢٠).

(٣) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥) [دار المعرفة، ١٤٠٤هـ].

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٣٥) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣].

إلى بشر المريسي، وذكر هذا ابن عبد البر بسنده عن وكيع قال: «كفر بشر المريسي في صفته هذه، قال: هو في كل شيء، قيل له: وفي قلنسوتك هذه؟ قال: نعم. قيل له: وفي حمارك؟ قال: نعم». ونسب هذا القول إلى النجارية الشهرستاني وعزاه ابن تيمية إليهم وإلى صوفية وعباد الجهمية. وهو قول ينسجم مع الدعوى الكفرية، وهي دعوى الحلول وكذلك دعوى وحدة الوجود(١).

ثالثًا: قول من يقول: إن الله بذاته في كل مكان وهو مستوٍ على عرشه، عزاه الأشعري إلى زهير الأثري وأبي معاذ التومني، وعزاه ابن تيمية إلى أبي طالب المكي وأتباعه وأبي الحكم بن برجان من السالمية(٢).

الرد عليهم:

شبهة الذين يقولون: إن الله في كل مكان أو إن الله بذاته في كل مكان وهو مستو على عرشه: ظنهم أن قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] أن المعية لا تعني إلا المخالطة أو المصاحبة في المكان!!

والرد عليهم من وجوه:

أولًا: أن ظاهرها ليس كما ذكرتم؛ إذ لو كان الظاهر كما ذكرتم؛ لكان في الآية تناقض أن يكون مستويًا على العرش، وهو مع كل إنسان في أي مكان! والتناقض في كلام الله تعالى مستحيل.

ثانيًا: قولكم: إن المعية لا تعقل إلا مع المخالطة أو المصاحبة في المكان! هذا ممنوع؛ فالمعية في اللغة العربية اسم لمطلق المصاحبة، وهي أوسع مدلولًا مما زعمتم؛ فقد تقتضي الاختلاط، وقد تقتضي المصاحبة في المكان، وقد تقتضي مطلق المصاحبة وإن اختلف المكان؛ **فهذه ثلاثة أشياء:**

١ ـ مثال المعية التي تقتضي المخالطة أن يقال: اسقوني لبنًا مع ماء؛ أي: مخلوطًا بماء.

٢ ـ ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان قولك: وجدت فلانًا مع فلان يمشيان جميعًا وينزلان جميعًا.

٣ ـ ومثال المعية التي لا تقتضي الاختلاط ولا المشاركة في المكان: أن يقال: فلان مع جنوده. وإن كان في

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٢٨٦، ٣٥١)، ورسالة السجزي إلى أهل زبيد [الجامعة الإسلامية، ط٢]، والتمهيد لابن عبد البر (٧/١٤٣٩)، والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية للعمراني (٢/٦٠٩) [أضواء السلف، ١٤١٩هـ]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٧٧)، ومجموع الفتاوى (٢/٢٩٨).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/٣٥١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٩٩).

غرفة القيادة، لكن يوجههم. فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان. ويقال: زوجة فلان معه. وإن كانت هي في المشرق وهو في المغرب. فالمعية إذًا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكما هو ظاهر من شواهد اللغة: مدلولها مطلق المصاحبة، ثم هي بحسب ما تضاف إليه، فإذا قيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل]، فلا يقتضي ذلك لا اختلاطًا ولا مشاركة في المكان، بل هي معية لائقة بالله عز وجل، ومقتضاها النصر والتأييد.

ثالثًا: نقول: وصفكم الله عز وجل بهذا من أبطل الباطل وأشد التنقص لله عز وجل، والله عز وجل ذكره عن نفسه متمدحًا؛ أنه مع علوه على عرشه؛ فهو مع الخلق، وإن كانوا أسفل منه، فإذا جعلتم الله عز وجل في الأرض؛ فهذا نقص، إذ جعلتم الله عز وجل بذاته معكم في كل مكان، وأنتم تدخلون الكنيف، ويكون الإنسان في بعض أحواله في مكان يستنكف أن يكون هو فيه مع غيره أو غيره معه فيه، فكيف يقال ذلك عن الله جل وعلا. هذا أعظم التنقص، حاشا ربنا من ذلك!

رابعًا: يلزم على قولكم هذا أحد أمرين لا ثالث لهما، وكلاهما ممتنع: إما أن يكون الله متجزئًا، كل جزء منه في مكان. وإما أن يكون متعددًا؛ يعني: كل إلٰه في جهة ضرورة تعدد الأمكنة.

خامسًا: أن نقول: قولكم هذا أيضًا يستلزم أن يكون الله حالًّا في الخلق؛ فكل مكان في الخلق؛ فالله تعالى فيه، فصار هذا القول متفقًا مع قول الحلولية وأهل وحدة الوجود[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الآثار المروية في صفة المعية»، لمحمد التميمي.

٢ ـ «إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله لخلقه ذاتية»، لحمود التويجري.

٣ ـ «رسالة المعية»، لابن باز.

٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣، ٥)، لابن تيمية.

٥ ـ «بيان تلبيس الجهمية» (ج١)، لابن تيمية.

٦ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيم.

٧ ـ «الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد»، للبيهقي.

٨ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.

٩ ـ «شرح العقيدة الواسطية» (ج١)، لابن عثيمين.

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٩).

١٠ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

المُعين

التعريف لغةً:

المُعين: اسم فاعل من العون، وفعله: عان يعين عونًا فهو معين وجمعه أعوان، وأعان يعين عونًا ومعونة فهو معين، وتقول: أعنته إعانة، وتعاونوا وعاونوا: أعان بعضهم بعضًا، من التعاون وهو التظاهر والمساعدة، ورجل مِعوان: حسن المعونة، وكثير المعونة للناس، والماعون: التعاون قال عزّ وجل: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون][1].

التعريف شرعًا:

المُعين: هو المستعان، وهو الذي لا يُطلب العون إلا منه؛ لأنه سبحانه وتعالى غني عن الظهير والمعين والشريك والوزير؛ بل كل إعانة وعون فمنه وبه سبحانه لا إله إلا هو[2].

الحكم:

لم يثبت أن المعين من أسماء الله عزّ وجل، لكن يخبر عن الله عزّ وجل أنه هو المعين، فلا تسوغ تسمية الله عزّ وجل بالمعين، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد المعين، لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله عزّ وجل.

الحقيقة:

المُعين: هو الذي لا يحتاج في شيء من أموره إلى مُعين، وما له من المخلوقين من ظهير، وليس له ولي من الذل، فهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله، ويصل إليه وحده، لا يعينه أحد[3].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾ [الأنبياء].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ أنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**يا معاذ والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**، ثم قال: **أوصيك يا معاذ، لا تدعنّ في دبر كل صلاة تقول: اللَّهُمَّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[4].

(١) انظر: تهذيب اللغة (٣/٢٠٢ ـ ٢٠٤) [الدار المصرية]، والصحاح (٦/٢١٦٨، ٢١٦٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (٥٩٨) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥٧١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٦٣٨) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٣٥٠) [دار الكتب العلمية، ط١]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٥٤٥) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ].

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١/٣٨).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٢٢)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٣)، وأحمد =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**رب أعني ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ**»[١].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية رحمه الله: «وهو سبحانه بالغ أمره، فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله، ويصل إليه وحده، لا يعينه أحد، ولا يعوقه أحد، لا يحتاج في شيء من أموره إلى معين، وما له من المخلوقين ظهير، وليس له ولي من الذل»[٢].

سئل ابن عثيمين رحمه الله عن بعض الأسماء ـ ومنها اسم المعين ـ فقال: «والمعين كذلك ليس من أسماء الله، ولكنه من صفاته، فهو الذي يعين من شاء من عباده، ومن العلماء من قال: إنه من أسماء الله؛ لأنه دالٌّ على معنى حسن، وليس فيه نقص بوجه من الوجوه»[٣].

الآثار:

إذا تحقق العبد من أنه لا معين إلا الله تعالى، فإنه يبعثه على تحقيق الاستعانة به وحده لا شريك له، فيستعين به في أمور الدين والدنيا، وهذا تحقيقٌ لقوله جل وعلا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، فالاستعانة بالله تعالى هي أحد ركني العبادة، ولهذا كان أنفع الدعاء طلب الإعانة.

قال ابن القيم رحمه الله: «فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها»[٤].

ومن تحقق من أنه لا معين إلا الله وحده، استغنى عن الخلق أجمعين، ففي ذلك صلاحه ونفعه في الدنيا والآخرة، ولهذا كانت الاستعانة بغيره تعالى فيها المضرة والهلاك والفساد[٥].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٢ ـ «أحكام القرآن»، لأبي بكر ابن العربي.

= (٣٦/ ٤٣٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن خزيمة (كتاب الصلاة، رقم ٧٥١)، والحاكم (كتاب معرفة الصحابة، رقم ٥١٩٤) وصححه، وصححه النووي في الخلاصة (١/ ٤٦٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (رقم ١٣٦٢) [مؤسسة غراس، ط١].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥١٠)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٥١) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٣٠)، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٩٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (رقم ١٣٥٣) [مؤسسة غراس، ط١].

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (١/ ٣٨).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٠٨).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٧٥) [دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ٢٩).

٣ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١)، لابن تيمية.

٤ ـ «مدارج السالكين»، لابن القيم.

٥ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٦ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

٧ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.

٨ ـ «أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسُّنَّة»، للرضواني.

٩ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

١٠ ـ «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين».

المُغني

يراجع مصطلح (الغني).

المُغيث

التعريف لغةً:

المُغيث: اسم فاعل من الإغاثة، ومادته (غ ـ و ـ ث) الدالة على الإعانة والنصرة عند الشدة. يقال: استغثته فأغاثني فهو مغيث وغِيَاث، قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وغَوَّث الرجلُ: صرخ: واغوثاه، واستغاث: استنصر وطلب الغوث والإعانة، ومنه الاستغاثة: طلب الغوث؛ أي: النصرة والإعانة والنجدة.

والغويث: ما أغثت به المضطر من طعام أو نجدة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، يصح أن يكون من الغوث، وهو النصرة، ويصح أن يكون من الغيث، وهو المطر[(١)].

التعريف شرعًا:

المغيث: هو المنقذ من الشدائد الفادحة والكروب والمشقات، فهو سبحانه المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها وتقع في الشدائد والكربات يطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلص مكروبهم، وينزل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، ويجيب إغاثة اللهفان[(٢)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/١٧٦، ١٧٧) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٧٠٨) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (١/٢٨٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦١٧) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٢٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٦٦٥) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٧، ٢٣٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

۞ **الحكم:**

لا يصح إطلاق اسم المغيث على الله ﷻ، لافتقاره إلى الدليل الصريح على ثبوته، وإنما هو من باب الأفعال، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وليس كل ما يصح إطلاقه فعلًا يصح اسمًا، والله أعلم.

كما أن هذا الاسم لم يورده في جمعه سوى قلة من أهل العلم المعتنين بجمع الأسماء الحسنى وشرحها[(١)].

۞ **الحقيقة:**

إن الله تعالى هو الذي يغيث العباد عند الشدائد، فيطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويخلصهم من كربات الدنيا، ويجيب دعاء الخائف الملهوف.

۞ **الأدلة:**

استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله ﷺ في خبر الاستسقاء: **«اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا»**[(٢)].

۞ **أقوال أهل العلم:**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «لهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى: يجب على كلّ مكلف أن يعلم أن: لا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلَّا الله سبحانه وتعالى، وأنّ كلّ غوث من عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره؛ فالحقيقة له سبحانه، ولغيره مجاز. قالوا: ومن أسمائه تعالى: المغيث والغياث. وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة، قالوا: واجتمعت الأمة على ذلك»[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله:

«وهو المغيث لكل مخلوقاته
وكذا يجيب إغاثة اللهفان»[(٤)]

وقال السعدي رحمه الله: «ومن أسمائه المغيث وهو المنقذ من الشدائد الفادحة والكروب: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣]. فالمغيث يتعلق بالشدائد والمشقات، فهو المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها وتقع في الشدائد والكربات؛ يطعم جائعهم ويكسو عاريهم ويخلص مكروبهم وينزل الغيث عليهم في وقت الضرورة والحاجة، وكذلك يجيب إغاثة اللهفان أي دعاء من دعاه في حالة اللهف والشدة والاضطرار، فمن استغاثه أغاثه، وفي الكتاب والسُّنَّة من ذكر تفريجه للكربات وإزالته الشدائد وتيسيره للعسير شيء كثير جدًّا معروف»[(٥)].

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (١٠٩ ـ ١١١) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الاستسقاء، رقم ١٠١٤). ومسلم (كتاب صلاة الاستسقاء، رقم ٨٩٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١/١١٠، ١١١).

(٤) متن القصيدة النونية لابن القيم (٢٠٨).

(٥) الكافية الشافية (٣٨٤)، والحق الواضح المبين =

المسائل المتعلقة:

- **المسألة الأولى: إطلاق اسم الغياث على الله ﷻ:**

«**الغياث**: وأكثر ما يقال: غياث المستغيثين، ومعناه: المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه، ومريحهم ومخلصهم»[1]. وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب[2].

ولم يرد فيه نصٌّ صحيح صريح بإطلاقه، لذا لا يعتبر من الأسماء، وإنما يصح من باب الإخبار فيقال: إن الله غياث المستغيثين ومغيثهم وغوثهم.

ومن ذكر أنه اسم من أسماء الله تعالى استدل بقول النبي ﷺ في خبر الاستسقاء الطويل: «**اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا، اللَّهُمَّ أغثنا**»[3]، وهو حديث صحيح لكن ورد من باب الطلب والدعاء والأفعال لا الأسماء، وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقال شيخ الإسلام: «وأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى؛ فهو غياث المستغيثين لا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره، لا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم، ونزول الرحمة بهم إلى الثلاثمائة، والثلاثمائة إلى السبعين، والسبعين إلى الأربعين، والأربعين إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك»[4].

- **المسألة الثانية: حكم تسمية النبي ﷺ أو أحد من البشر بالغياث أو المغيث:**

لا يجوز تسمية الرسول ﷺ بالغياث أو المغيث أو الغوث؛ لأنه من الغلو والإطراء المنهي عنه، ومن باب أولى عدم جواز تسمية غيره. وكذلك لا يجوز الاستغاثة بغير الله تعالى؛ لأنه شرك وباطل[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك عنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا يسمونهم (النجباء) فينتقى منهم سبعون هم (النقباء)، ومنهم أربعون هم (الأبدال)، ومنهم سبعة هم (الأقطاب)، ومنهم أربعة هم (الأوتاد)، ومنهم واحد هو (الغوث)، وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم

= (٢٤٧)، كلاهما ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي [مركز صالح الثقافي، ١٤١٢هـ].

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٢٥) [مكتبة السوادي].

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ١١١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٧). وانظر: معجم المناهي اللفظية لبكر أبي زيد (٤٠٥) [دار العاصمة، ط٣، ١٤١٧هـ].

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١٠١)، ومنهاج السُّنَّة (١/ ٤٨) [مؤسسة قرطبة].

ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، وأولئك يفزعون إلى السبعين، والسبعون إلى الأربعين، والأربعون إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة والأربعة، إلى الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب، فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم: إنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت، واسم خضره على قول من يقول: منهم إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضرًا، فإن لهم في ذلك قولين، وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سُنَّة رسوله، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم، ومعلوم أن سيدنا رسول ربِّ العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة»[(١)][(٢)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

٢ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٣ ـ «الدعوات الكبير»، للبيهقي.

٤ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٩٧ ـ ١٠٠).

(٢) معجم المناهي اللفظية لبكر أبي زيد (٣٦٢).

٥ ـ «الاستغاثة في الرد على البكري»، لابن تيمية.

٦ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٧ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٨ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

١٠ ـ «الحق الواضح المبين»، للسعدي.

المغيرة بن شعبة رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معقب[(٣)] بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، أبو عيسى، أو أبو محمد، أو أبو عبد الله[(٤)].

مولده ووفاته:

مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه سنة خمسين من الهجرة، وجزم به ابن كثير

(٣) في طبعة دار هجر [تحقيق التركي]: (معتّب). انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٠/ ٣٠٠) [دار هجر، ط١].

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/ ٥٤٩) [دار الغرب الإسلامي، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٣/ ٢١) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢٠) [دار هجر، ط١] والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٩٧) [دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ].

وذكر أنه المشهور[(١)]، وعزاه ابن حجر إلى أكثر أهل العلم[(٢)]، وحكى الخطيب البغدادي الإجماع عليه بقوله: «المغيرة مات سنة خمسين، أجمع العلماء على ذلك، ولم يختلفوا أن وفاته كانت بالكوفة»[(٣)]. وقيل: توفي المغيرة رضي الله عنه سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة إحدى وخمسين[(٤)]، وقيل: سنة ثمان وخمسين[(٥)]، عن سبعين سنة[(٦)]، ودفن بموضع يقال له: الثوية[(٧)].

إسلامه:

أسلم قبيل الحديبية[(٨)]، وشهد المغيرة رضي الله عنه أيضًا اليمامة، وفتوح الشام، واليرموك، والقادسية. وولّاه عمر رضي الله عنه البصرة، فافتتح ميسان، وافتتح دستميسان، وأبزقباذ، وسوق الأهواز، وهمذان، وشهد فتح نهاوند[(٩)].

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٠).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٠/ ٣٠١) [دار هجر].

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/ ٥٤٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٠/ ٣٠١) [دار هجر].

(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٠).

(٦) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/ ٥٥١)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢٠).

(٧) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١/ ٥٥١).

(٨) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٩٥) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، وتاريخ بغداد (١/ ٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٩٨).

(٩) انظر: المعارف (٢٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٩٨) [دار الجيل].

فضائله:

- أنه ممن شهد بيعة الرضوان التي وقعت في الحديبية[(١٠)]، وقد جاء في فضل أهلها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**»[(١١)].

قال ابن كثير: «وشهد الحديبية، وكان واقفًا يوم الصلح على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف صلتًا»[(١٢)]، ويدل على ذلك ما جاء في حديث صلح الحديبية الطويل من رواية المسور بن مخرمة ومروان، وفيه: «فقام عروة بن مسعود... فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخّر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غُدَر ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء**»»[(١٣)]. قال ابن هشام: «أراد عروة

(١٠) انظر: المعارف (٢٩٥)، وتاريخ بغداد (١/ ٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ١٩٨).

(١١) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٦).

(١٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٢٠) [دار هجر].

(١٣) أخرجه البخاري (كتاب الشروط، رقم ٢٧٣١).

بقوله هذا: أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلًا من بني مالك، من ثقيف، فتهايج الحيَّان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر»[(١)].

وقال ابن كثير: «أسلم عام الخندق بعد ما قتل ثلاثة عشر رجلًا من ثقيف مرجعهم من عند المقوقس، وأخذ أموالهم، فغرم دياتهم عروة بن مسعود»[(٢)].

مكانته:

كان المغيرة من كبار الصحابة رضي الله عنهم، أولي الشجاعة والسياسة والحنكة والدهاء والمهابة[(٣)]، وله منزلة كبيرة، يدل عليها إسناد النبي ﷺ إليه بعض المهام، وكذا من بعده الخلفاء الراشدون، فمن ذلك: إرسال النبي ﷺ إياه مع أبي سفيان بن حرب إلى الطائف لهدم اللات[(٤)]، وبعثه أبو بكر الصديق إلى البحرين، وولَّاه أمير المؤمنين عمر الفاروق فتوحًا كثيرة، وجعله سعد بن أبي وقاص رسوله إلى رستم.

قال ابن كثير: «كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها... وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب، فهدما اللات، وقد قدمنا كيفية ذلك، وبعثه الصديق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك، فأصيبت عينه يومئذ، وقيل: بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة، فذهب ضوء عينه. وشهد القادسية، وولّاه عمر فتوحًا كثيرة، منها همذان وميسان، وهو الذي كان رسول سعد إلى رستم، فكلمه بذلك الكلام البليغ، فاستنابه عمر على البصرة... وولاه الكوفة، واستمر به عثمان حينًا، ثم عزله، فبقي معزولًا حتى كان أمر الحكمين، فلحق بمعاوية، فلما قتل علي وصالح الحسن معاوية ودخل الكوفة، ولّاه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتى مات»[(٥)].

ومما يدل على فطنة المغيرة وذكائه ما ساقه الحافظ ابن عساكر بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه: «أن عمر بن الخطاب استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه وأبغضوه، قال: فعزله عنهم، قال: فخافوا أن يرده عليهم، قال: فقال دهقانهم: إن فعلتم ما آمركم

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٣، ٣١٤) [مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ].

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٢٠).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٣١٣) [دار صادر، ط١]، الطبري في التاريخ (٣/ ١٠٠) [دار التراث، ط٢]، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٣٠٣) [دار الكتب العلمية، ط١]، من عدة طرق، وكلها مرسلة أو معضلة.

(٥) انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٢٠، ٢٢١).

به لم يرد علينا، قالوا: مرنا بأمرك، قال: تجمعوا مائة ألف، حتى أذهب بها إلى عمر، فأقول: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إلي، قال: فدعا عمر المغيرة، فقال: ما يقول هذا؟ قال: كذب ـ أصلحك الله ـ إنما كانت مائتي ألف، قال: فما حملك على ذلك؟ قال: العيال والحاجة، قال: فقال عمر للعلج: ما تقول؟ قال: لا والله لأصدقنك ـ أصلحك الله ـ والله ما دفع إلي قليلًا ولا كثيرًا، قال: فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟ قال: الخبيث كذب علي، فأحببت أن أخزيه»[١].

موقف المخالفين منه:

الرافضة: وجَّه الروافض إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه جملة من الطعون[٢]، فذكروا أنه هامان الأمة، وأنه من المنافقين ومن رؤوس الضلال[٣].

الرد عليهم:

لا شكَّ أن اتهامات الروافض للمغيرة رضي الله عنه بتلك الطامات العظمى خالية تمامًا عن الدليل والبرهان، فهم عندما أطلقوا هذه التهم لم يذكروا مستندًا، لا صحيحًا ولا واهيًا، وإنما عمدتهم الكذب والافتراء النابعين عن الحقد والكراهية لهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، وما كان كذلك فهو في غاية الفساد والبطلان؛ بل إن هذا الصنيع الشائن يناقض صريح الكتاب الكريم والسُّنَّة النبوية الشريفة، لما هو معلوم من أن المغيرة بن شعبة هو ممن شهد بيعة الرضوان، وقد أخبر الله في كتابه بأنه رضي عن أهل بيعة الرضوان كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح]. وثبت من حديث أم مبشر؛ أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**»[٤].

فالطعن في هذا الصحابي رضي الله عنه بتلك الطامات الكبرى تكذيب صريح لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرا به في هذين النصين وما في معناهما، وهو كفر لا يشوبه إيمان، وأمارة ظاهرة على الخذلان والعياذ بالله.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٦)، لابن حجر.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٠/ ٣١) [دار الفكر].

(٢) انظر: موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة لعبد القادر عطا صوفي (١٤٠٤ ـ ١٤٠٧).

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٦) [مؤسسة انتشارات]، والحدائق الناضرة للبحراني (٤/ ١٤٤) [مؤسسة النشر الإسلامي].

(٤) تقدم تخريجه.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١١)، لابن كثير.

٣ ـ «تاريخ بغداد» (ج١)، للخطيب البغدادي.

٤ ـ «تاريخ دمشق» (ج٦٠)، لابن عساكر.

٥ ـ «تفسير محمد بن مسعود العياشي» (ج٢).

٦ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٣)، للذهبي.

٧ ـ «سيرة ابن هشام» (ج٢).

٨ ـ «فتح الباري» (ج٥)، لابن حجر.

٩ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

١٠ ـ «موقف الشيعة الاثني عشرية من الصحابة»، لعبد القادر عطا صوفي.

المفاضلة بين الأنبياء

يراجع مصطلح (النبوة).

المقام المحمود

التعريف لغةً:

المقام: مكان القيام، والإقامة بالمكان. قال الجوهري: «المُقام والمَقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم، وقوله تعالى: ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾؛ أي: لا موضع لكم. وقرئ: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣] بالضم؛ أي: لا إقامة لكم»[(١)].

المحمود: اسم المفعول من حمد، قال ابن فارس: «الحاء والميم والدال كلمةٌ واحدة وأصلٌ واحد يدلّ على خلاف الذمّ. يقال: حَمِدْتُ فلانًا أحْمَدُه. ورجل محمود ومحمّد؛ إذا كثُرت خصاله المحمودة غيرُ المذمومة»[(٢)].

التعريف شرعًا:

المقام الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس؛ ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم[(٣)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

المعنى اللغوي عام، والمعنى الشرعي خاص بنبيِّنا محمد ﷺ.

سبب التسمية:

أن مقام الشفاعة العظمى يحمد فيه الخلائقُ كلهم الأولون والآخرون

(١) الصحاح (٥/٢٠١٧) [دار العلم للملايين].

(٢) مقاييس اللغة (٢٨١) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٣) تفسير الطبري (٩/١٧٧) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ]، وإثبات الشفاعة (٢٠) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير القرطبي (١٣/١٤٧) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير ابن كثير (٩/٥٥) [دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٥هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٨٣) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ].

المسلمون والكفار محمدًا ﷺ[(١)]، فلذلك يسمى المقام مقامًا محمودًا.

الحكم:

يجب الإيمان بالمقام المحمود، وقد وعد الله به نبيِّنا محمدًا ﷺ، فيستحب طلبه من الله له بعد الأذان، لقوله ﷺ: «**من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مَقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلَّت له شفاعتي يوم القيامة**»[(٢)].

الحقيقة:

حقيقة المَقام المحمود أنه درجة عظمى يكرم الله بها عبده محمدًا ﷺ، فيشفع للخلائق كلهم لبدء حسابهم، وليريحوا من كرب الموقف.

المنزلة:

هي منزلة عظمى لا ينالها إلا عبد الله ورسوله محمد ﷺ، فيغبطه الأولون والآخرون.

الأدلة:

من الأدلة على المقام المحمود للنبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء]، وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية فقال: «**هي الشفاعة**»[(٣)].

ومن الأدلة قول النبي ﷺ: «**إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ، فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقامًا محمودًا يحمده أهل الجمع كلهم**»[(٤)]، وقوله ﷺ: «**يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم... فيأتوني فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمدُ، وقل يُسمع، واشفع تُشفّع، وسل تُعط، قال: ثم تلا هذه الآية:** ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء]، قال: **وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ**»[(٥)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا، كل أمة تتبع نبيّها، يقولون: يا فلان اشفع يا فلان

---

(١) انظر: جلاء الأفهام (١٩٢)، وتفسير ابن كثير (٩/٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الأذان، رقم ٦١٤).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣١٣٧) وقال: «حديث حسن»، وأحمد (١٥/٤٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصحّحه الألباني لشواهده في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٣٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٤٠).

اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»[(١)]، وثبت رفعه عن ابن عمر عند البخاري[(٢)]، وأدلة الشفاعة العظمى التي هي المقام المحمود كثيرة جدًّا[(٣)].

أقوال أهل العلم:

اختلفت أقوال أهل العلم في المقام المحمود، فقال الجمهور: هو الشفاعة العظمى، ونقل ابن القيم عن جمع من أهل العلم أنه: إقعاد الله ﷻ نبيَّه محمدًا ﷺ على العرش[(٤)]، ومن العلماء من قال: لا منافاة بين القولين، فيمكن الجمع بينهما، بأن كليهما من ذلك[(٥)].

المسائل المتعلقة:

ذكر بعض العلماء في معنى المقام المحمود: أنه إقعاد الله ﷻ نبيَّه محمدًا على عرشه، واستدلوا على ذلك بأثر عن مجاهد، قال فيه الطبري: «غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنَّه لا خبر عن رسول الله، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التَّابعين بإحالة ذلك»[(٦)]، وقال ابن تيمية: «حديث قعود الرسول ﷺ على العرش، رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة، وهي كلها موضوعة، وإنما الثابت أنه عن مجاهد وغيره من السلف»[(٧)]، وضعّف كثير من العلماء ما روي عن مجاهد في ذلك[(٨)]، قال الألباني بعد أن بيّن ضعف قول مجاهد: «إن ذلك لم يثبت عن مجاهد، بل صح عنه ما يخالفه، إن قول مجاهد هذا ـ وإن صح عنه ـ لا يجوز أن يتخذ دينًا وعقيدة ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسُّنَّة»[(٩)].

الفروق:

الفرق بين المقام المحمود ولواء الحمد:

والمقام المحمود غير لواء الحمد[(١٠)]

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٧١٨).
(٢) أخرجه البخاري بمعناه (كتاب الزكاة، رقم ١٤٧٥)، وقد تقدم قريبًا.
(٣) من مظانها: التذكرة للقرطبي (٢/ ٥٩٧) وما بعدها، وشرح النووي على مسلم (٣/ ٥١) وما بعدها [دار المعرفة، ط١٢، ١٤٢٧هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٥١٩) وما بعدها [دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية (٢٨٢) وما بعدها [دار عالم الكتب، ط٣]، والشفاعة للوادعي (٢٥) [دار الآثار، ط٣، ١٤٢٠هـ].
(٤) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٧٩، ١٣٨٠) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، ونونية ابن القيم (٨٤) [مطبعة التقدم العلمية، مصر، عام ١٣٤٤هـ].
(٥) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (٢/ ١٣٦) فتوى (٤٥١) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ].
(٦) تفسير الطبري (٩/ ١٨٢). وانظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٤/ ١٣٧٩، ١٣٨٠) والنونية له (٨٤)، فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (٢/ ١٣٦).
(٧) درء التعارض (٥/ ٢٣٧) [جامعة الإمام، ط٢].
(٨) انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٤٣٩)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٨٧٠، ٨٧١) [مكتبة المعارف].
(٩) مختصر العلو (١٩، ٢٠) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ].
(١٠) الفرقان (٦) [مكتبة المعارف، ط ١٤٠٢هـ].

الذي يعقد للنبي ﷺ يوم القيامة، كما ورد في بعض ألفاظ الحديث: «**بيدي لواء الحمد**، وفي بعضها: **أحمل لواء الحمد، أعطي لواء الحمد**»، ويحشر تحته آدم عليه السلام ومن دونه، ولواء الحمد والمقام المحمود كلاهما ذكرا في حديث: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي... فيقال لي: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله**: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩﴾ [الإسراء]»[١].

الآثار:

يبدأ الحساب بعد أن يقوم النبي محمد ﷺ مقامًا محمودًا، يشفع عند ربه تعالى ليقضي بين العباد؛ فيرتاح الخلائق من أهوال الموقف.

الحكمة:

إظهار رحمة الله بعباده؛ إذ يأذن لنبيِّه محمد ليشفع في الخلائق؛ ليخلصهم من كربات الموقف وأهواله، وإظهار فضل نبيّه ﷺ على الأولين والآخرين، وإظهار منزلته العظيمة، ودرجته العالية على رؤوس الخلائق يوم القيامة[٢]، وسبب اختصاصه ﷺ بالمقام المحمود، وهو عموم رسالته، وكونه سببًا في امتلاء الأرض من الهدى والإيمان والعلم والعمل الصالح[٣].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إثبات الشفاعة»، للذهبي.

٢ ـ «التذكرة» (ج٢)، للقرطبي.

٣ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٩).

٤ ـ «تفسير الطبري» (ج٩).

٥ ـ «تفسير القرطبي» (ج١٣).

٦ ـ «جلاء الأفهام»، لابن القيم.

٧ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٨ ـ «الشفاعة»، لمقبل الوادعي.

٩ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

١٠ ـ «فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم» (ج٢).

١١ ـ «القيامة الكبرى»، للأشقر.

١٢ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج٣)، للنووي.

المقت

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والقاف والتاء

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (أبواب التفسير، رقم ٣١٤٨) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٤٣) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٢) انظر: القيامة الكبرى (٢٣٧).

(٣) جلاء الأفهام (١٧٩).

كلمة واحدة تدل على شناءة وقبح، ومقته مقتًا فهو مقيت وممقوت»[(١)]. وقال الجوهري: «مَقَتَه مقتًا، أبغضَه»[(٢)]. وقال ابن الأثير: «المقت في الأصل: أشد البغض»[(٣)]. فالمقت: هو البغض الشديد من أجل أمر قبيح.

التعريف شرعًا:

المَقت: صفة من الصفات الفعلية الخبرية الاختيارية ثابتة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد جاء بيان ذلك وإثباته في كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ[(٤)].

الأسماء الأخرى:

هناك ألفاظ أخرى قريبة من لفظ المقت، وجاءت بها النصوص الشرعية وأضافتها إلى الله تعالى، وذكرها السلف، وهي: الكره والسخط والبغض والغضب؛ فهي أيضًا من صفات الله الفعلية مثل صفة المقت.

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة؛ لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [غافر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

عن عياض بن حمار المجاشعي؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدًا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمَت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض؛ فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»** الحديث[(٥)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن تيمية: «إنّ الله لا يُحبّ الشرك، ولا تكذيب الرسل، ولا يرضى ذلك، بل هو يُبغض ذلك ويمقته ويكرهه؛ كما ذكر الله في سورة بني

---

(١) مقاييس اللغة (٥١٨/٢) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٢٦٦/١) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/٤) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٤) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٢١) [دار الهجرة، ط٣، ١٤٢٦هـ]، وصفات الله ﷻ للمسند (١١٦ ـ ١٢٠) [دار المدني، جدة، ط٢، ١٤١٢هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٣٩٩، ٤٠٠) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٥).

إسرائيل ما ذكره من المحرّمات، ثمّ قال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ [الإسراء]»[١].

وقال أيضًا: «وكذلك وصف نفسه بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمَقْت، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠﴾ [غافر]، وليس المَقْت مثل المَقْت»[٢].

وقال ابن القيم: «إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة، والرضا، والفرح، والغضب، والبغض، والسخط من أعظم صفات الكمال؛ إذ في العقول أنا إذا فرضنا ذاتين:

إحداهما: لا تحب شيئًا، ولا تبغضه، ولا ترضاه، ولا تفرح به، ولا تبغض شيئًا، ولا تغضب منه، ولا تكرهه، ولا تمقته.

والذات الأخرى: تحب كل جميل من الأقوال والأفعال والأخلاق والشيم، وتفرح به، وترضى به، وتبغض كل قبيح يسمى، وتكرهه، وتمقته، وتمقت أهله، وتصبر على الأذى، ولا تجزع منه، ولا تتضرر به، كانت هذه الذات أكمل من تلك الموصوفة بصفات العدم والموات والجهل الفاقدة للحس؛ فإن هذه الصفات لا تسلب إلا عن الموات أو عمن فقد حسه أو بلغ في النهاية والضعف والعجز والجهل إلى الغاية التي لم تدع له حبًّا ولا بغضًا ولا غضبًا»[٣].

وقال الشيخ محمد خليل هرَّاس عن هذه الآية وغيرها: «تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل لله من الرضا، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت والأسف، وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق»[٤].

وقال الشيخ عبد العزيز السلمان: «تضمنت هذه الآيات الكريمات إثبات بعض الصفات الفعلية من الرضا والغضب واللعن والكره والسخط والأسف والمقت، وهذه الصفات يثبتها أهل السُّنَّة والجماعة حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته يفعلها متى شاء»[٥].

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: «وعقوبته للعصاة والظلمة وأعداء رسله بأنواع العقوبات المشهودة تدلُّ على صفة

(١) كتاب النبوات (١/ ٢٨٨) [أضواء السلف، ط١].

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ].

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٤٥١) [دار العاصمة الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ].

(٤) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢ ـ ٧٤) [الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١٣، ١٤٢٠هـ].

(٥) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية (٥٣) [مطابع المدينة، ط١٣، ١٤٢١هـ].

الغضب والسخط، والإبعاد والطرد والإقصاء يدل على المقت والبغض»[(١)].

۞ مذهب المخالفين:

المقت صفة من صفات الله الفعلية، وقد اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على إثباتها لله ﷻ، وخالف في ذلك غلاة المعطلة الذين ينكرون جميع الأسماء والصفات، وهم الفلاسفة والجهمية وغلاة الصوفية، ووافقهم على ذلك المعتزلة الذين ينفون عن الله ﷻ قيام الصفات بذاته سبحانه، والكلابية يثبتون هذه الصفة ونحوها من الصفات الفعلية ولكنهم جعلوها صفة ذاتية واحدة أزلية، وبذلك خالفوا مذهب السلف، والأشاعرة والماتريدية لا يثبتون هذه الصفة، ويؤولونها بالإرادة أو يفوضونها[(٢)]، ولكن من تأويلهم لها بالإرادة يلزمهم مثل ما يلزمهم من إثبات صفة المقت، فإن المخلوق أيضًا عنده إرادة، فالمعنى الذي صرفوا إليه ألفاظ النصوص مثل المعنى الذي صرفوا عنه، فإن جاز هذا جاز ذلك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك، ونصوص الكتاب والسُّنَّة ترد على من أوَّل هذه الصفة بغيرها أو نفاها عن الله ﷻ، والحق الذي لا ريب فيه أنه يجب إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلال الله وعظمته، لدلالة الكتاب والسُّنَّة على ذلك، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

۞ المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٢ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٣ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لمحمد خليل هراس.

٤ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٥ ـ «الصواعق المرسلة» (ج٤)، لابن القيم.

٦ ـ «صفات الله ﷻ»، لصالح علي المسند.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣)، لابن تيمية.

٨ ـ «مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية»، لعبد العزيز المحمد السلمان.

٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

---

(١) فتاوى ورسائل عبد الرزاق عفيفي (٢/ ٥٤) [دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٤٦٩، ٤٧٠) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٨٤ ـ ٦٨٩) [مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ]، ومن كتب المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (١٨٢، ١٨٣) [مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ].

١٠ ـ «النبوات» (ج١)، لابن تيمية.

المقتدر

يراجع مصطلح (القدرة).

المقتصد

يراجع مصطلح (مراتب المؤمنين).

المقدِّم المؤخِّر

التعريف لغةً:

المُقدِّم: بوزن (مُفَعِّل)، اسم فاعل للفعل (قدَّم)، يقال: قدَّم يُقَدِّم تقديمًا فهو مُقَدِّم، وأَقْدَمه وقدَّمه بمعنى واحد، قال ابن فارس: «القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف»[(١)]؛ والرعف معناه: التقدم[(٢)].

ومصدر الفعل (قدَّم) هو: التقدُّم، **والتقدم على أربعة أوجه:**

الأول: في المكان، وهو بحسب الإضافة، يقال: فلان متقدم على فلان باعتبار المكان.

الثاني: في الزمان، نحو: عهد النبوة متقدم على الخلافة الراشدة.

الثالث: في المنزلة، نحو: فلان متقدم على فلان؛ أي: أشرف منه.

الرابع: في الترتيب الصناعي، تعلم الهجاء مقدم على تعلم الخط.

والمقدِّم نقيض المؤخّر، وقدَّام نقيض وراء[(٣)].

المؤخِّر: ضد المقدِّم، وهو اسم فاعل للفعل أَخَّرَ يُؤَخِّر تأخيرًا، والتأخير ضد التقديم، وهو جعل الشيء بعد موضعه. قال ابن فارس: «الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التقدم»[(٤)]. يقال: أَخَّرْته فتأخَّر واستأخر، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. ومُؤَخَّر الشيء ضد مقدَّمه، والمطروح من شيء أو شخص[(٥)].

التعريف شرعًا:

المقدم والمؤخر: من أسمائه الحسنى المزدوجة المتقابلة التي لا يطلق واحد بمفرده على الله إلا مقرونًا بالآخر؛ فإن

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٨٩) [دار الكتب العلمية، ط١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٧٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٤٥، ٤٦، ٤٩) [الدار المصرية]، مقاييس اللغة (٨٧٨) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، الصحاح (٥/٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، مفردات ألفاظ القرآن (٦٥٣، ٦٦٠، ٦٦١) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، المعجم الوسيط (٢/٧٢٦، ٧٢٧) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

(٤) مقاييس اللغة (١/ ٤٢).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٧/٥٥٦، ٥٥٧) [الدار المصرية]، ومقاييس اللغة (٦٣) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٢/٥٧٦، ٥٧٧) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٩) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والمعجم الوسيط (١/٨، ٩) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢].

الكمال من اجتماعهما، فهو تعالى المقدم لمن شاء والمؤخر لمن شاء بحكمته[(١)].

۞ العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

معنى المقدِّم والمؤخِّر في الشرع مأخوذ من معناه اللغوي المباشر، الذي هو ضد التقديم والتأخير، وجعل الشيء قبل غيره أو بعده، فهو اسم فاعل لما يجري بيد الله ﷿ من تقديم أشياء وأشخاص وتأخير أشياء وأشخاص، وفقًا لمشيئته وحكمته النافذة التابعة لحكمته.

۞ الحكم:

اسما الجلال (المقدِّم والمؤخِّر) من الأسماء الثابتة بصريح السُّنَّة النبوية. وهما من أسماء الجلال المزدوجة المقترنة التي لا يطلق واحد منها على الله ﷿ إلا مقرونًا بالآخر؛ لأن الكمال في اجتماعهما[(٢)].

۞ الحقيقة:

يدل الاسمان (المقدِّم المؤخِّر) على أنه سبحانه هو المنزل الأشياء منازلها، الذي يقدّم ما يجب تقديمه حكمًا وفعلًا، على ما أحب وكيف أحب، ويؤخِّر ما يجب تأخيره حكمًا وفعلًا على ما أحب وكيف أحب، بحكمته ﷿، وما قدّمه فهو مقدّم، وما أخرّه فهو مؤخرّ، تعالى الله علوًّا كبيرًا[(٣)].

كما أن هذين الاسمين هما من الأسماء المتقابلة التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا مقرونة مع الأخرى؛ لأن المدح المحض والكمال المطلق في اجتماع الاسمين، ففي اقترانهما واجتماعهما دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وانفراده سبحانه بالملك التام والتصرف الكامل والتدبير الشامل[(٤)].

۞ الأدلة:

ورد هذان الاسمان في السُّنَّة النبوية في أحاديث عدة، **منها**:

حديث أبي موسى الأشعري ﵁ عن

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد١١٢، ١٤٢٣هـ].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٨٦) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٧٣) [دار الصحابة، ط١، ١٤١٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٥٩) [دار الثقافة العربية، ط١، ١٩٧٤م]، وشأن الدعاء (٨٦)، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٨) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩]، الأسماء والصفات (١/ ٢١٠) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٣/ ٥٥، ٥٦) [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٥٨ و٢٦٤)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩)، كلاهما من مطبوعات [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: **«اللَّهُمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللَّهُمَّ اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللَّهُمَّ اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر وأنت على كل شيء قدير»**[١].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: **«اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيّم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت»**[٢].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٩٨)، ومسلم (كتاب الذِّكْر والدُّعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٩)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

أقوال أهل العلم:

قال ابن القيم: «أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى، فإن الربَّ هو القادر الخالق البارئ المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى»[٣].

وقال أيضًا:

«وهو المقدم والمؤخر ذانك الصْـ
ـصِفَتان للأفعال تابعتان
وهما صفات الذات أيضًا إذ هما
بالذات لا بالغير قائمتان»[٤]

وذكر الاسمين في الأسماء الحسنى ابن عثيمين في القواعد المثلى[٥].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: اقتران اسمي الجلال (المقدّم والمؤخّر):

المقدم والمؤخر من أسماء الله المزدوجة المقترنة، التي تجرى مجرى الاسم الواحد ولا يفصل بينهما، ولا تطلق على الله بمفردها، بل لا بد أن تكون مقرونة بمقابلها؛ لأن الكمال المطلق في اقتران كل منهما بما يقابله[٦].

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤٧٣).

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٣/ ٧٣٨) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٥) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ٢٧٨)

(٦) انظر: شأن الدعاء (٨٦)، والأسنى (١/ ٣٧٣)، =

والضابط في ذلك: ما كان دالًّا على المدح والكمال المطلق فهو يمكن أن يستقل وحده دون اقتران، وأما ما كان دالًّا على غير المدح المحض، فهذا لا بد أن يكون مقرونًا بما يقابله؛ وذلك لأن في اجتماع الاسمين والوصفين المتقابلين دلالة على كمال ربوبية الله تعالى وشموليتها[(١)].

ـ المسألة الثانية: التقديم والتأخير من الله ﷻ قد يكون كونيًّا، وقد يكون شرعيًّا، فهو من هذا الوجه على قسمين:

أ ـ التقديم والتأخير الكوني: وهو تقدير الله في خلقه وتكوينه وفعله، فقد قدَّم الله بعض المخلوقات على بعض، وأخر بعضها عن بعض في الخلق والتقدير، وقدم الله الأسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها، وأنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير بحر لا ساحل له.

ب ـ التقديم والتأخير الشرعي: وهو متعلق برضا الله ومحبته سبحانه لمكان أو شخص أو قول أو فعل، فقد فضل الله المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد، وفضل المساجد على غيرها من الأماكن والبقاع، وفضل الصف الأول من المساجد للرجال والصف الأخير للنساء على غيرها من الصفوف، وفضل الأركان والواجبات على المستحبات والمندوبات، وفضل الأنبياء على الخلق ثم فضل بعضهم على بعض، وفضل العلماء والصالحين على غيرهم، وقدمهم في العلم والإيمان والعمل والأخلاق وسائر الأوصاف، وأخَّر من أخر منهم بشيء من ذلك، وكل هذا تبع لحكمته سبحانه، يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخِّر من يشاء عن ذلك بعدله[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: علاقة اسمي الجلال المقدّم والمؤخّر بمغفرة الذنوب:

لقد ورد ذكر الاسمين الكريمين: المقدم والمؤخر في الأحاديث في سياق طلب المغفرة للذنوب كلها، ماضيها ومستقبلها، وسرها وجهرها وخطئها وعمدها، وفي ذلك إشعار قوي ودليل واضح على أن الذنوب والمعاصي والسيئات من أسباب التخلف والتأخر؛

= وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩].

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٤، ٢٩٥) [دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٥هـ]، والحق الواضح المبين للسعدي (٢٦٤)، وتوضيح الكافية الشافية له (٣٨٩)، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي (٢٦٤ و٤١١ ـ ٤١٦) [دار إيلاف، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: الحق الواضح المبين للسعدي (٢٦٤)، وفقه الأسماء الحسنى للبدر (٢٨٠) [مطابع الحميضي، ط١، ١٤٢٩هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٢١٨، ٢١٩) [مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

بل من أسباب الهلاك والدمار والعذاب في الدنيا والآخرة، وأن توبة العبد إلى ربه، وأوبته إليه سبحانه، وطلبه المغفرة منه ﷻ، وعفو الله له، وستره عليه من أسباب التقدم والارتقاء والسعادة والهناء والرخاء، والحياة الطيبة الآمنة المطمئنة في الدنيا والآخرة[(١)].

الآثار:

١ ـ إن الله ﷻ حكيم في أفعاله، وهو المقدِّم والمؤخِّر، فما قدَّمه كان الكمال في تقديمه، وما أخَّره كان الكمال في تأخيره[(٢)].

فعلى العبد أن يعتقد أن الله ﷻ هو وحده المقدم والمؤخر بمشيئته وإرادته التابعة لعلمه وحكمته، لا شريك له في ذلك، وهذا يثمر كمال الذل بين يديه ﷻ، وشدة الطمع فيما عنده، والخوف منه سبحانه، وعدم اليأس من روحه، وعدم الأمن من مكره، وحسن الالتجاء إليه رغبًا ورهبًا، وخوفًا وطمعًا.

كما يثمر الإيمان بهذا الاسم الحرص على تقديم ما قدمه الله ﷻ وتأخير ما أخَّره، في المنزلة والمحبة والبغض، وذلك أوثق عرى الإيمان[(٣)].

٢ ـ إن إيمان العبد بأن الله وحده هو المقدم والمؤخر يثمر كمال الذل بين يديه، وقوة الطمع فيما عنده، والخوف منه ﷻ، وعدم اليأس من روحه وعدم الأمن من مكره، وحسن الالتجاء إليه رغبًا ورهبًا وخوفًا وطمعًا وحرصًا ومسابقة إلى الخيرات والأعمال الصالحات[(٤)].

٣ ـ الإيمان بهذين الاسمين وما دلّا عليه من صفة التقديم والتأخير لله ﷻ يقتضي تقديم ما قدمه الله وتأخير ما أخره الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ شديد التحري لذلك، قال ابن القيم: «والنبي ﷺ كان شديد التحري لتقديم ما قدَّمه الله والبداءة بما بدأ به، فلهذا بدأ بالصفا في السعي وقال: «**نبدأ بما بدأ الله به**»[(٥)]، وبدأ بالوجه ثم اليدين ثم الرأس في الوضوء، ولم يُخِل بذلك مرة واحدة، بل كان هذا وضوءه إلى أن فارق الدنيا، لم يقدم منه مؤخرًا ولم يؤخر منه مقدمًا قط، ولا يقدر أحد أن ينقل عنه خلاف ذلك»[(٦)]. وقال أيضًا: «كان يحافظ على تقديم ما قدَّمه الله وتأخير ما أخَّره، كما بدأ بالصفا وقال: «**أبدأ بما بدأ الله به**»،

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٨)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٠) [جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ].

(٣) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٣٧٥)، وفقه الأسماء الحسنى (٢٨١، ٢٨٢)، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٣/ ٦١، ٦٢).

(٤) انظر: فقه الأسماء الحسنى (٢٨١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الحج، رقم ١٢١٨).

(٦) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٥).

وبدأ في العيد بالصلاة ثم جعل النحر بعدها، وأخبر أن من ذبح قبلها فلا نسك له؛ تقديمًا لما بدأ الله به في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، وبدأ في أعضاء الوضوء بالوجه، ثم اليدين، ثم الرأس، ثم الرجلين؛ تقديمًا لما قدَّمه الله، وتأخيرًا لما أخَّره، وتوسيطًا لما وسطه، وقَدَّمَ زكاة الفطر على صلاة العيد تقديمًا لما قَدَّمه في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى]، ونظائره كثيرة»[1].

وهكذا كان شأن النبي ﷺ في جميع أمور الدين، فقد كان يقدم ما قدمه الله ويؤخر ما أخره الله، ولنا جميعًا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فيجب على كل مسلم أن يقدم شرع الله وسُنَّة رسوله ﷺ ومنهج حياته على كل منهج ودستور وقانون، وأن لا يقدم عليه عقله وهواه، وأن يراعي ما قدمه الله وما أخره في أحكامه وتشريعاته، وأن يطبق هذا التقديم والتأخير في جميع شؤونه وفي كل شُعَب حياته، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.

٤ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للسعدي.

٥ ـ «درء تعارض العقل والنقل»، لابن تيمية.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

٩ ـ «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب.

١٠ ـ «المنهاج في شعب الإيمان»، للحليمي.

١١ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.

المُقسِط

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القاف والسين والطاء أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد؛ فالقِسط: العدل، ويقال منه: أقسط يقسط. والقَسط بفتح القاف: الجَور، والقسوط: العدول عن الحق»[2].

والمُقْسِط: اسم فاعل من القِسْط،

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٥١) [مؤسسة الرسالة، ط٢٦، ١٤١٢هـ].

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٨٥) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].

بمعنى: العدل في القسمة والحكم، والقِسْط: النّصيب بالعدل، والإقساط: هو العدل، والقسطاس: الميزان، يعبر به عن العدالة، وأما القَسْط بفتح القاف وسكون السين فيدل على خلاف معنى القِسط بكسر القاف، وهو الجور والظلم[1].

التعريف شرعًا:

المُقسط: هو القائم بالقسط، وهو العادل في قوله وفعله، والعادل الذي لا يحيف ولا يجور[2].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

تتضح العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي في تطابق المعنيين؛ إذ كلاهما دالٌّ على معنى العدل، وهو في حق الله ﷻ بالغ غايته وكماله، أو ما اختص به بعض عباده من الخير دون غيرهم بمقتضى حكمته وعدله.

الحكم:

لم يثبت أن المقسط من أسماء الله ﷻ، لكن يخبر عن الله ﷻ أنه هو المقسط، فلا تسوغ تسمية الله ﷻ بالمقسط، أو دعاؤه به، أو التعبيد به فيقال: عبد المقسط؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله ﷻ.

الحقيقة:

المقسط: هو العادل في قوله وعمله، فهو من جماع صفات الكمال لله تعالى، فالله سبحانه وتعالى لم يزل متكلمًا بالعدل، مخبرًا به، آمرًا به، وقيامه بالقسط يتضمن أنه يقول الصدق، ويعمل بالعدل، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ [هود]، وهذا بمنزلة قوله تعالى: ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]؛ فإن الاستقامة والاعتدال متلازمان، فمن كان قوله وعمله بالقسط كان مستقيمًا، ومن كان قوله وعمله مستقيمًا كان قائمًا بالقسط[3].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالى:

(١) انظر: تهذيب اللغة (٨/ ٣٨٨، ٣٨٩) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٨٨٧) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٣/ ١١٥٢) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٧٠) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (٨٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٣٤) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: شأن الدعاء (٩٢) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والحجة في بيان المحجة (١/ ١٤٨) [دار الراية، ط١]، ومدارج السالكين (٣/ ٣٣٨) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٩هـ].

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٤/ ١٧٥ ـ ١٧٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١٤٢٥هـ]، ومدارج السالكين لابن القيم (٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٩).

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور** ـ وفي رواية: **النار** ـ **لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(١).

أقوال أهل العلم:

قال قوّام السُّنَّة التيمي رحمه الله: «واسمه تعالى المقسط؛ أي: العادل في حكمه، الذي لا يحيف والذي ولا يجور»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والله وتر يحب الوتر، جميل يحب الجمال، مقسط يحب المقسطين»(٣).

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: «المقسط: الذي أرسل رسله بالبينات، وأنزل معهم الكتاب، والميزان ليقوم الناس بالقسط، وما للظالمين من نصير»(٤).

وقال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله: «ومن أسمائه الحسنى سبحانه: المقسط، والجامع: أما المقسط: فهو اسم فاعل؛ من أقسط: بمعنى عدل»(٥).

المصادر والمراجع:

١ ـ «بدائع الفوائد»، لابن القيم.
٢ ـ «تفسير أسماء الله الحسنى»، للزجاج.
٣ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
٤ ـ «الرسالة الأكملية»، لابن تيمية.
٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.
٦ ـ «شرح أسماء الله الحسنى»، للقحطاني.
٧ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
٨ ـ «الطريقة المثلى لإحصاء أسماء الله الحسنى»، لغريب بن محمد.
٩ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
١٠ ـ «النهج الأسمى»، للنجدي.

مقلّب القلوب

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رحمه الله: «القاف واللام والباء أصلان **صحيحان؛ أحدهما**: يدل على خالص شيء وشريفه، **والآخر**:

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٩).
(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٨) [دار الراية، ط١، ١٤١١هـ].
(٣) الرسالة الأكملية (٤٨) [مطبعة المدني، ١٤٠٣هـ].
(٤) معارج القبول (١/٤٣) [دار ابن الجوزي، ط٦، ١٤٣٠هـ].
(٥) انظر: عقيدتنا عقيدة القرآن والسُّنَّة (٢٣٥) [دار الكتاب والسُّنَّة، ط١، ١٤٢٧هـ].

على ردِّ شيء من جهة إلى جهة»[١].

مقلّب: اسم فاعل من التقليب مأخوذ من أصله الثلاثي قَلَبَ، والقلوب: جمع قَلْب وهو أيضًا مأخوذ من الأصل الثلاثي قَلَبَ، والقاف واللام والباء أصلان صحيحان يدل أحدهما على خالص شيء وشريفه، وإليه يرجع معنى القلب والقلوب، ويدل على رد شيء من جهة إلى جهة وإليه يرجع معنى مقلّب. وقيل: سُمي القلب قلبًا؛ لكثرة تقلبه، فيرجع إلى الأصل الثاني، وتقليب الأمور: تصريفها وتدبيرها والنظر فيها، ومنه القليب: البئر قبل أن تطوى، والقلوب والقُلَّب: المتقلِّب وكثير التقلّب[٢].

التعريف شرعًا:

مقلِّب القلوب: مصرِّفها من حال إلى حال، ومن رأي إلى رأي، من الطاعة إلى المعصية، ومن المعصية إلى الطاعة، وهكذا من حال إلى حال[٣].

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٧) [دار الجيل، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٧٢ ـ ١٧٦) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٦٨١، ٦٨٢) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٦٢، ١٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/ ٧٥٣) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٣) انظر: فتح الباري (١٥/ ٢٦٦) (١٧/ ٣٣٧) [دار طيبة، ط١، ١٤٢٧هـ]. وانظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٣٤٩) [دار الفكر].

الحكم:

يجب الإيمان بثبوت اسم مقلب القلوب من أسماء الله تعالى المضافة، وأنه متضمن لصفة التقليب، من الصفات الفعلية الحقيقية، على ما يليق بجلاله، وعظمة سلطانه، دون تمثيل أو تحريف أو تعطيل[٤].

الحقيقة:

مقلب القلوب: مصرفها ومغيرها من حال إلى حال، من الطاعة إلى المعصية، ومن الإيمان إلى الكفر، والعكس، وفق إرادته سبحانه وتعالى ومشيئته، وقلوب العباد كلها بين إصبعين من أصابعه، كقلب واحد، يصرفها حيث يشاء، بقدرته سبحانه وتعالى، ولا يتوهم في ذلك تمثيل ولا تشبيه، الذي يؤدي إلى التعطيل، فهو القادر على كل شيء، وصفاته كلها صفات كمال، تليق بجلاله وعظمة سلطانه.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أكثر ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلف: «**لا ومقلب القلوب**»[٥].

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤١٦هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٣٩١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[(٢)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن منده رحمه الله ـ ضمن أسماء الله عز وجل المضافة إلى صفاته وأفعاله ـ: «ذو القوة المتين، ذو العرش المجيد مقلب القلوب»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمًا: السبُّوح، وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت في الكتاب والسُّنَّة»[(٤)].

الآثار:

من آثار الإيمان بهذا الاسم هو المبادرة إلى الطاعات، واجتناب المعاصي والمحرمات، والخوف من العاقبة، وسوء الخاتمة، واللجوء إلى الله في كل وقت وحين، وسؤاله الثبات على الدين إلى الممات، وبخاصة عند ظهور الفتن وكثرتها وغلبتها.

وكذلك البعد عن تزكية النفس، ومجاهدتها في ترك الغرور، والاعتداد بالأعمال وحدها؛ بل على المرء أن يحرص على أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أحكام القرآن»، لأبي بكر ابن العربي.

٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٣ ـ «أسماء الله الثابتة في الكتابة والسُّنَّة»، للرضواني.

٤ ـ «كتاب التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

٥ ـ «تفسير السعدي».

(١) أخرجه الترمذي (أبواب القدر، رقم ٢١٤٠) وحسَّنه، وأحمد (١٩/ ١٦٠) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٦هـ]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٤).

(٣) انظر: التوحيد (٢/ ٢٠٣) [مكتبة الغرباء الأثرية، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٤).

٦ ـ «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين.

٧ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٢٢)، لابن تيمية.

٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

المكر

التعريف لغةً:

المكر: يدل على الاحتيال، والخديعة، والمَغْرَة، والتدبير على العدو[1].

التعريف شرعًا:

صفة فعلية ثابتة لله تعالى في مقابل مكر الماكرين، وردّ كيد الكائدين، يتصف الله بها على وجه الكمال تقتضي مدحًا للموصوف.

وهي بمعنى: إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، والتوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم، وهي في محلها صفة كمال يحمد عليها[2].

ولذلك فوصف الله تعالى بها جاء مقيدًا بما يفيد الكمال والعظمة، والعدل والحكمة.

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

العلاقة ظاهرة بين المعنيين، لكن المعنى المتعلق بوصف الله تعالى هو على جهة الكمال الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه، ولذلك لا يأتي إلا مقيدًا بما يفيد المدح والحمد، بخلاف ما قد يوصف به المخلوق من المكر، فإنه قد يكون تعديًّا وظلمًا.

الحكم:

وجوب إثبات ما أضافه الله تعالى إلى نفسه من صفة المكر على وجه الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وأن يؤتى بذلك مقيدًا ـ كما في القرآن ـ بما يفيد الكمال، ويزيل إيهام النقص.

الحقيقة:

لما كانت صفة المكر من الصفات المنقسمة التي تقبل المدح وتقبل الذم، جاء وصف الله تعالى بها مقيدًا بما يدل على المدح والكمال المطلق. فالمكر حين يتعلق بمن يستحق المكر وفي المواقف الموجبة له يعد مدحًا لدى كل عاقل.

قال ابن تيمية ـ في تسمية فعل الله

---

(١) انظر: الصحاح (٢/٣٨٣)، ومقاييس اللغة (٥/٣٤٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٧٧٤)، والقاموس المحيط (٦١٣)، والمصباح المنير (٢/٥٧٧)، والفروق اللغوية للعسكري (٢٠٦).

(٢) انظر: إعلام الموقعين (٣/٢٢٩)، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٣٣٥)، والقول المفيد لابن عثيمين (٢/٦٤)، وراجع: مجموع الفتاوى (٧/١١١).

سبحانه بالماكرين والكائدين والمستهزئين مكرًا وكيدًا واستهزاء ـ: «بل تسميته مكرًا وكيدًا واستهزاءً وسيئة وعقوبة على بابه؛ فإن المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان مكرًا حسنًا، وإلا كان مكرًا سيئًا، بل إن كان ذلك الشر الواصل حقًّا لمظلوم كان ذلك المكر واجبًا في الشرع على الخلق، وواجبًا من الله بحكم الوعد، إن لم يعف المستحق، والله سبحانه إنما يمكر ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب»[(١)].

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل].

أقوال أهل العلم:

قال ابن جرير الطبري: «وأما الذين زعموا أن قول الله تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، إنما هو على وجه الجواب، وأنه لم يكن من الله استهزاء ولا مكرٌ ولا خديعة، فنافُون عن الله عز وجل ما قد أثبته الله عز وجل لنفسه، وأوجبه لها»[(٢)].

وقال أبو إسحاق الحربي: «والكيد من الله خلافه من الناس، كما المكر منه خلافه من الناس»[(٣)].

وقال ابن تيمية: «وهكذا وصف نفسه بالمَكْر والكيد، كما وصف عبده بذلك، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق]، وليس المَكْر كالمَكْر ولا الكيد كالكيد»[(٤)].

وقال ابن القيم: «وكذلك المكر ينقسم إلى محمود ومذموم فإن حقيقته إظهار أمر وإخفاء خلافه ليتوصل به إلى مراده، فمن المحمود: مكره تعالى بأهل المكر مقابلة لهم بفعلهم وجزاء لهم»[(٥)].

المسائل المتعلقة:

إذا كانت الصفة كمالًا في حال، ونقصًا في حال، لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتًا مطلقًا، ولا تُنْفَى عنه نفيًا مطلقًا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالًا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصًا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ١٢٩).
(٢) تفسير الطبري (١/ ٣٠٦).
(٣) غريب الحديث للحربي (١/ ٩٤) [جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٥هـ].
(٤) التدمرية (٢٦).
(٥) إغاثة اللهفان (١/ ٣٨٨).

كمالًا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها؛ لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران][1].

الآثار:

١ ـ التعبد لله تعالى بالخوف منه، وعدم أمن مكره وكيده، مع رجائه وحسن الظن به.

٢ ـ التجاء المؤمن إلى ربه عز وجل في ردِّ مكر الماكرين، وصرف أذى المبطلين.

٣ ـ الحذر من المكر المؤدي إلى إحقاق باطل، أو إبطال حق؛ فمن مكر للباطل مكر الله به للحق.

٤ ـ يقين المؤمنين بنصر الله تعالى؛ فهو جاعل العاقبة للمتقين، يمكر لهم لا عليهم في ردِّ مكر كل مبطل.

٥ ـ قيام ما خلق الله تعالى بالعدل والحكمة؛ فمن مكر ظلمًا وعدوانًا لا يدوم له مكر وإن فرح به زمنًا؛ فالله تعالى لا يهدي كيد الخائنين، ومبطل بمكره مكر المبطلين.

٦ ـ ما يكون لرسل الله وأنبيائه وأوليائه من النصر والعاقبة الحسنة، مع قلة ذات اليد لديهم؛ لكنه نصر الله تعالى الذي يكيد لهم ويمكر لهم.

٧ ـ ما يقع على الظالمين من العقوبة والعذاب، فهم وإن فرحوا بمكرهم واعتدائهم زمانًا، إلا أن المآل القريب هلاك وخسران، فهم يكيدون كيدًا، والله يكيد كيدًا، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

مذهب المخالفين:

خالف عموم المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة في إثبات هذه الصفة، وهذا بناء على ما أصَّلوه في نفي الصفات.

فمخالفة الجهمية بناء على أصلهم الفاسد في أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه[2].

ومخالفة المعتزلة بناء على أصلهم في نفي الصفات؛ لاستلزامها التشبيه، ولأن تعدد الصفات يلزم منه تعدد القدماء[3]، فيثبتون المكر باعتبار أثره، ويجعلونه استعارة لأخذ العبد من حيث لا يحتسب[4].

---

(١) انظر: القواعد المثلى (٢٩) [مكتبة السُّنَّة، ط٢].

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٢١) [دار التراث]، والملل والنحل للشهرستاني (١/٩٨) [دار المعرفة، ط٢].

(٣) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار المعتزلي (١٦٢) [مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ].

(٤) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/٣٧٧).

ومخالفة الأشاعرة بناء على أصلهم في نفي الصفات الفعلية؛ لأن إثباتها يستلزم حلول الحوادث في ذات الله تعالى، وكذلك توهم النقص في إثبات هذه الصفة نظرًا لجانب النقص الذي يحتمله إثباتها، فأوّلوها إلى صفة الإرادة التي يثبتونها ضمن الصفات العقلية السبع التي يثبتونها، فتكون الصفة عندهم بمعنى إرادة العقوبة، أو بمعنى العقوبة الواقع على الممكور به[(١)].

الرد عليهم:

١ ـ بنفي ما أحدثوه من لوازم باطلة، فإثبات الصفات لا يلزم منه تعدد القدماء، ولا التشبيه، ولا أيًّا من اللوازم الباطلة التي يجعلها النفاة مانعة لإثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

فالله تعالى أثبت لنفسه صفات، وأثبتها لخلقه؛ كالعلم، والقدرة، والإرادة، والعظمة، ومن ذلك صفة مكره بالماكرين، ولم يلزم من هذا الإثبات أي معنى للتشبيه والتنقص الذي يزعمه هؤلاء النفاة، بل المتقرر شرعًا وعقلًا ما أخبر به تعالى عن نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

٢ ـ وأهل السُّنَّة والجماعة في إثباتهم لجميع ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ يقررون هذا الأصل الجامع لكل الصفات، المانع من أي ظن كاذب أو لازم باطل، ومنها صفة المكر.

٣ ـ ثم إن إثبات الصفات الفعلية لا يلزم منه أن تكون ذاته محلًّا لحوادث مخلوقة، فهو لم يزل ولا يزال فعالًا لما يريد، والنصوص الدالة على تعدد أفعاله وتنوعها لا تكاد تحصى، وليس في شيء منها ما يدل على أن شيئًا من المخلوقات يحل في ذاته[(٢)].

٤ ـ يقال لمنكر صفة الاستهزاء والمكر: إن الله ﷻ أخبرنا أنه مكر بقوم مضوا قبلنا لم نرهم، وأخبر عن آخرين أنه خسف بهم، وعن آخرين أنه أغرقهم، فصدّقنا الله تعالى ذكره فيما أخبرنا به من ذلك، ولم نفرق بين شيء منه.

فما برهانك على تفريقك ما فرقت بينه بزعمك أنه قد أغرق وخسف بمن أخبر أنه أغرق وخسف به، ولم يمكر بمن أخبر أنه قد مكر به؟ ثم نعكس القول عليه في ذلك، فلن يقول في أحدهما شيئًا إلا ألزم في الآخر مثله.

فإن لجأ إلى أن يقول: إن الاستهزاء عبث ولعب، وذلك عن الله ﷻ منفي.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١/١٢٩، ١٤/١٥١).

(٢) انظر: رسالة في الصفات الاختيارية لابن تيمية ضمن جامع الرسائل (٢/٥٧) [دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ].

قيل له: إن كان الأمر عندك على ما وصفت من معنى الاستهزاء، أفلست تقول: (الله يستهزئ بهم) و(سخر الله منهم) و(مكر الله بهم) وإن لم يكن من الله عندك هزء ولا سخرية؟ فإن قال: لا. كذّب بالقرآن، وخرج عن ملة الإسلام. وإن قال: بلى. قيل له: أفتقول من الوجه الذي قلت: (الله يستهزئ بهم) و(سخر الله منهم): يلعب الله بهم ويعبث؟ ـ ولا لعب من الله ولا عبث ـ. فإن قال: نعم؛ وصف الله بما قد أجمع المسلمون على نفيه عنه، وعلى تخطئة واصفه به، وأضاف إليه ما قد قامت الحجة من العقول على ضلال مضيفه إليه. وإن قال: لا أقول: يلعب الله بهم ولا يعبث، وقد أقول: (يستهزئ بهم) و(يسخر منهم). قيل: فقد فرقت بين معنى اللعب والعبث، والهزء والسخرية، والمكر والخديعة. ومن الوجه الذي جاز قيل هذا، ولم يجز قيل هذا، افترق معنياهما. فعلم أن لكل واحد منهما معنى غير معنى الآخر[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين»، لابن القيم.

٢ ـ «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، لابن القيم.

٣ ـ «جامع الرسائل»، لابن تيمية.

٤ ـ «الرسالة التدمرية»، لابن تيمية.

٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٦ ـ «صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي السقاف.

٧ ـ «الفتاوى الكبرى»، لابن تيمية.

٨ ـ «القواعد المثلى»، لابن عثيمين.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

(١) انظر: تفسير الطبري (١/٣٠٦).

الملائكة

التعريف لغةً:

الملائكة: جمع مَلَك، وهو تخفيف الملأك، اجتمعوا على حذف همزه، قال الكسائي: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، يقال: ألكني إليه؛ أي: أرسلني إليه، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: ملأك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل: ملك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك[(٢)]. ويأتي بمعنى المُلْك، قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة... والاسم الملْك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة»[(٣)].

(٢) ينظر: لسان العرب (١٠/٤٨١) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٥/٣٥١، ٣٥٢).

التعريف اصطلاحًا:

الملائكة خلق من مخلوقات الله، حجبهم الله عنا، فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون[(١)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

معنى الملائكة في اللغة: هو الرسل، ولا شكَّ أن الملائكة عليهم السلام هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام، وإلى من شاء من خلقه جل جلاله، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وعلى القول بأنه مشتق من الملك، وهو الأخذ بقوة؛ فلأن الملائكة أولو قوة وشدة في القيام بأداء ما أوكل الله إليهم القيام به.

(١) ينظر: تفسير اللباب (١/ ١٢١) [دار الكتب العلمية]، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٥/ ١٢٣) [دار إحياء التراث العربي]، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٦٥).

الحكم:

الإيمان بالملائكة واجب، وهو ركن من أركان الإيمان في الإسلام، لا يتحقق الإيمان إلا به.

الحقيقة:

خلق الله الملائكة عليهم السلام من نور، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصِفَ لكم**»[(٢)]. وخَلْقُ الملائكة كان قبل آدم عليه السلام قطعًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الحجر].

المنزلة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا بتحقيقه.

الأهمية:

يدل على أهمية هذا الركن أن القرآن الكريم مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، والأمر بالإيمان بهم، والتحذير من الكفر بهم، وبيان أحوالهم مع الله تعالى ومع الناس، وبيان مراتبهم وأعمالهم، حتى أن بعض سور القرآن قد

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٩٦).

سميت باسمهم. والسُّنَّة مثل القرآن مليئة بأخبارهم وأحوالهم مبيِّنة لما أجمل من أحوالهم في القرآن، آمرة بالإيمان بهم، كما أمر بذلك القرآن[(١)].

الأدلة:

الأدلة على هذا الركن كثيرة، **منها**: قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله سبحانه: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وحكم ﷻ بالكفر والضلال على من لم يؤمن بأركان الإيمان، ومنها الإيمان بالملائكة، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء].

وبيَّن النبي ﷺ لأمته أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، يدل عليه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حينما أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ في صورة البشر، وفيه: «**فقال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت**»[(٢)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: يتضمن الإيمان بالملائكة عدة أمور لا بدَّ للعبد من تحقيقها حتى يتحقق له الإيمان بالملائكة وهي:

أ - الإقرار بوجودهم والتصديق بهم، كما دلَّت على ذلك النصوص المتقدمة من أن الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان فلا يتحقق الإيمان إلا بذلك.

ب - الإقرار بتكريم الله لهم، كما تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦﴾ [الأنبياء] وقال: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس]. فوصفهم بأنهم مكرمون منه سبحانه وتعالى.

ج - الإقرار بشرفهم عنده سبحانه وتعالى، فقد قال في حقهم: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ٣٨﴾ [فصلت]، فوصفهم بأنهم عنده، وهذا تشريف لهم، ومن تشريف الله للملائكة أنه تعالى أقسم بهم في غير موضع من كتابه وهذا لشرفهم عنده، فقال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا

(١) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٦، ١٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٢) أخرجه بهذا اللفظ: مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه. وهو بنحوه عند البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ [الصافات]، وقال المولى جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥﴾ [المرسلات].

د ـ موالاتهم ومحبتهم، لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [التوبة: ٧١]، فدخل الملائكة في هذه الآية؛ لأنهم مؤمنون قائمون بطاعة ربهم، كما أخبر الله عنهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم]، وأخبر جَلَّ وَعَلَا عن موالاة الملائكة لرسوله وللمؤمنين فقال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾ [فصلت] فوجبت موالاة الملائكة على المؤمنين؛ لموالاتهم لهم ونصرهم وتأييدهم واستغفارهم لهم.

هـ ـ الحذر من بغضهم وعداوتهم، وذلك لأن عداوة الملائكة موجبة لعداوة الله وسخطه، فهم إنما يصدرون عن أمر الله وحكمه، فمن عاداهم فقد عادى ربه، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة].

و ـ أن لا يغلو المسلم في الملائكة فيصرف لهم شيئًا من أنواع العبادة، ولا يعتقد فيهم غير ما أمره الله به، من أنهم خلق من خلق الله لا شأن لهم في الخلق والتدبير وتصريف الأمور؛ بل هم جند من جنود الله يعملون بأمر الله، والله تعالى هو الذي بيده الأمر كله لا شريك له في ذلك. وقد حذر تعالى من اتخاذ الملائكة أربابًا من دون الله، فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران]، وردَّ جَلَّ وَعَلَا على من قال: إن الملائكة بنات الله، وأنهم يشفعون من دون الله تعالى، فقال: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ۝٢٨ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ [الأنبياء]. فهم مع إكرام الله لهم، ورفعه منزلتهم بين مخلوقاته؛ إلا أنه لم يأمر بعبادتهم ولم يتخذ منهم ولدًا كما زعم من كفر، بل هم له تعالى في غاية الطاعة قولًا وفعلًا، ولا يشفعون إلا بإذنه ورضاه.

ز ـ الإيمان المفصل بمن جاء

التصريح بذكرهم من الملائكة على وجه الخصوص في الكتاب والسُّنَّة؛ كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وغيرهم ممن جاءت النصوص بتسميتهم. وكذلك من جاءت النصوص بالإخبار عنه بالوصف؛ كرقيب وعتيد، أو بذكر وظيفته؛ كملك الموت وملك الجبال، أو من جاءت النصوص بذكر وظائفهم في الجملة؛ كحملة العرش، والكرام الكاتبين وغيرهم، ممن أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم.

ـ المسألة الثانية: صفاتهم:

اشتملت نصوص الكتاب والسُّنَّة على صفات كثيرة للملائكة عليهم السلام، **منها:**

أ ـ أنهم أحياء، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان]، فالتسبيح والصلاة، والعروج إلى السماء والنزول إلى الأرض، ومخاطبة الملائكة لربهم ولرسله ولمن شاء تعالى من خلقه، ومخاطبة الملائكة للكفار مما هو مذكور في القرآن، فيه الدلالة على حياة الملائكة.

ب ـ أنهم عقلاء، قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار]. وقال تعالى في خطابه للملائكة: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، فأثبت الله عز وجل للملائكة علمًا واتباعًا للأوامر واجتنابًا للمعاصي، وهذا كله دلالة على كمال عقولهم.

ج ـ أنهم ينطقون، قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ]، وقال تعالى على لسان الملائكة وهم يخاطبون الكفار في النار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

د ـ أنهم موصوفون بالقوة والشدة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦]. وقال تعالى في وصف جبريل عليه السلام الذي نزل بالوحي على محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم]؛ أي: ذو قوة، وقال تعالى في وصف جبريل أيضًا: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير]؛ أي: شديد الخَلْق، شديد

البطش والفعل[١].

هـ ـ عظم خلقهم: فهم موصوفون بعظم الأجسام والخلق، قال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم: ٦]، وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن النبي ﷺ قال عن جبريل: «**لم أره على صورته التي خُلِق عليها غير مرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إلى الأرض**»[٢]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، له ستمائة جناح»[٣]، وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[٤].

و ـ العلم، فقد أثبت الله جل وعلا للملائكة علمًا وأثبت لنفسه علمًا لا يعلمونه، وذلك في قوله تعالى مخاطبًا الملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [البقرة]، وقال تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم]؛ أي: أن الذي علّمه هو جبريل عليه السلام[٥]، وهذا متضمن وصف جبريل بالعلم والتعليم.

ز ـ أنهم كرام أبرار، قال تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾ [الانفطار].

ح ـ ومن صفاتهم: الحياء؛ لقول النبي ﷺ في حق عثمان رضي الله عنه: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[٦].

ط ـ ومن صفاتهم: الحسن والجمال، فالملائكة خلقوا على أجمل صورة، قال تعالى في حق جبريل عليه السلام: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦﴾ [النجم] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾: «ذو منظر حسن»[٧]. وقال تعالى حال النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف] وإنما قلن ذلك لما هو مقرر عند البشر من وصف الملائكة بالجمال والحسن.

ـ المسألة الثالثة: خصائصهم:

اختص الله الملائكة بخصائص

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٤، ٨/ ٣٣٨) [دار طيبة، ط٤، ١٤٢٨هـ].
(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٢)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٧٤).
(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٢٧)، وصححه الذهبي في العلو (رقم ٢٣٤)، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥١).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٤).
(٦) أخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٠١).
(٧) أخرجه الطبري في التفسير (٢٢/ ٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١].

اختصوا بها عن سائر المخلوقات، **منها:**

أ ـ سكن الملائكة هو السماء، فمنازلهم هي السماء، قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥]، وقال ﷺ: «**أطَّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد**»(١). وإنما ينزل الملائكة إلى الأرض تنفيذًا لأمر الله في الخلق وما أسند إليهم من تصريف شؤونهم. قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

ب ـ تفاوتهم في الخلق، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: ١].

ج ـ لا يوصف الملائكة بالأنوثة، قال تعالى منكرًا على الكفار قولهم: إن الملائكة بنات الله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الصافات].

د ـ الملائكة باقون على أصل خلقتهم، لا يتوالدون ولا يتزاوجون، وهذا يدل عليه ظاهر الآيات السابقة.

هـ ـ أنهم لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود].

و ـ قدرتهم على التشكل، فقد جاؤوا إبراهيم في صورة بشر فلم يعرف أنهم ملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات]،

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الزهد، رقم ٢٣١٢) وحسنه، وأحمد (٣٥/ ٤٠٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٨٨٣) وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٣٨٠) [مكتبة المعارف، ط٥].

وجبريل حين أتى مريم في صورة بشرية: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ [مريم]، وحديث الأقرع والأبرص والأعمى حينما أتاهم ملك في صورة رجل ليختبرهم[1]. وحديث جبريل حينما أتى في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فأخذ يسأل النبي عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان، والنبي ﷺ يجيبه[2].

ز ـ أنهم لا يعصون الله في شيء، ولا تصدر منهم الذنوب، بل طبعهم الله على طاعته، والقيام بأمره، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

ح ـ أنهم لا يتعبون ولا يملُّون عن عبادة الله تعالى، قال ﷻ: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ٣٨﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿...وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء].

ط ـ مبادرتهم إلى امتثال أمر الله تعظيمًا له، يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠﴾ [الحجر]. وهم لا يفعلون شيئًا إلا بوحيه وأمره يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [الأنبياء].

ي ـ جعل الله الملائكة فرقانًا بين الحق والباطل، فهي تنزل بأمر الله تعالى على الرسل، تفرق به بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحيًا فيه إعذار إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقاب الله إن خالفوا أمره، قال ﷻ: ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦﴾ [المرسلات].

ك ـ أنهم منظمون في عباداتهم وكل شؤونهم، وقد حثنا رسول الله ﷺ على الاقتداء بهم، يدل عليه حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تبارك وتعالى؟** قال: قلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: **يتمِّمون الصفوف الأولى ويتراصون في الصف**»[3]، وفي يوم القيامة: يأتون

(١) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٦٤)، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٥٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٨)، من حديث عمر رضي الله عنه، واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٣٠).

صفوفًا منتظمة: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر] ويقفون بين يدي الله تعالى صفًا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ].

ل ـ أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب أو صورة، فعن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة تماثيل**»(١).

ـ المسألة الرابعة: عددهم:

عدد الملائكة لا يحصى ولا يعد، فلا يعلم عدد الملائكة عليهم السلام إلا الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر]. وفي حديث البيت المعمور، قال ﷺ: «**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**»(٢)، قال ابن حجر رحمه الله: «استدل به على أن الملائكة أكثر المخلوقات؛ لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد جنسه في كل يوم سبعون ألفًا، غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر»(٣)، وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(٤)، كما أن ما ورد في النصوص عن وجود ملائكة تقوم على الإنسان: فهناك ملك موكول بالنطفة، وملكان لكتابة الأعمال، وملائكة لحفظه، وملائكة سيَّاحة تبحث عن مجالس العلم، وملائكة تتعاقب على البشر، دلالة على أعدادهم الكثيرة التي لا يعلم بها إلا الله.

ـ المسألة الخامسة: تفاضلهم:

تفاضل الملائكة وعدم تساويهم في الفضل والمنزلة عند الله، دلَّت عليه النصوص الشرعية، قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]. وقال عز وجل: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] فأخبر أن منهم مصطفين بالرسالة ومقربين، فدلَّ على فضلهم على غيرهم. وقال عن جبريل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير]؛ أي: له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٥)، ومسلم (كتاب اللباس والزينة، رقم ٢١٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤)، واللفظ له.
(٣) فتح الباري (٧/ ٢٥٥) [دار المعرفة، ١٣٧٩هـ].
(٤) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٢).

تعالى. وأفضل الملائكة: المقربون مع حملة العرش، وأفضل المقربين الملائكة الثلاثة الوارد ذكرهم في دعاء النبي ﷺ الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: «**اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة**»[١]، وأفضل الملائكة في الجملة من شهد منهم معركة بدر، فعن رفاعة بن رافع رضي الله عنه؛ أن جبريل جاء للنبي ﷺ، فقال: **ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟** قال: **من أفضل المسلمين**، أو كلمة نحوها، **قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة**»[٢].

- **المسألة السادسة: عصمتهم:**

دلت نصوص القرآن والسُّنَّة على عصمة كل الملائكة عن جميع الذنوب؛ **فمنها**:

قوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل]، فقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ يتناول فعل جميع المأمورات وترك المنهيات؛ لأن المنهي عن الشيء مأمور بتركه. ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء]. فهذا صريح في براءتهم عن المعاصي وكونهم متوقفين في كل الأمور إلا بمقتضى الأمر والوحي.

وعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: «دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: **وما ذاك؟** قلت: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرًا. فقال رسول الله ﷺ: **والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فُرشكم وفي طرقكم؛ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**، ثلاث مرات»[٣].

ووجه الدلالة هنا: أن من كان منزهًا عن الوقوع في الغفلة، وكان ملازمًا لذكر الله وعبادته في كل وقته كان شبيهًا بالملائكة. أيضًا فإن الله تعالى حكى عن الملائكة أنهم طعنوا في البشر بالمعصية، ولو كانوا من العصاة، لما حسن منهم ذلك الطعن. أيضًا حكى تعالى عنهم أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ومن كان كذلك امتنع

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٣٩٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (كتاب التوبة، رقم ٢٧٥٠).

صدور المعصية منه[١].

ـ **المسألة السابعة: أسماء الملائكة:**

للملائكة أسماء عامة مثل: الرسل، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾ [فاطر: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]. والسَّفَرة، قال تعالى: ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ [عبس]. والجند، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]. والملأ الأعلى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩﴾ [ص]، وقال: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨﴾ [الصافات]. والأشهاد، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ [هود: ١٨].

كذلك للملائكة أسماء خاصة؛ منها: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة]، وقد ذكرهم النبي ﷺ في قوله: «**اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل**»[٢]. ومنهم: مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف]. ومنهم: منكر ونكير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قبر الميت ـ أو قال: أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل**»[٣]، الحديث. ومنهم: ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١١﴾ [السجدة]. ومنهم: هاروت وماروت، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ـ **المسألة الثامنة: عبادة الملائكة:**

ورد في القرآن الكريم وسُنَّة المصطفى ﷺ، عبادات متعددة للملائكة، منها:

أ ـ **التسبيح**، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ٣٨﴾ [فصلت].

ب ـ **الصلاة**، وشاهده قول النبي ﷺ للصحابة قبل دخوله في الصلاة: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها تبارك وتعالى؟** قال: قلنا: يا رسول الله

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازي (٢/١٦٦) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: **يتمِّمون الصفوف الأولى ويتراصُّون في الصف»**[(١)]، وفي حديث الإسراء: «**فرُفع لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم»**[(٢)].

ج ـ **السجود**، دلَّ عليه حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟** قالوا: ما نسمع من شيء يا رسول الله! قال رسول الله ﷺ: **إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع قدم إلا وعليه ملك إما ساجدٌ وإما قائمٌ»**[(٣)].

د ـ **الحج**، ودليله ما جاء في حديث الإسراء الطويل، أن النبي ﷺ قال: «**فرُفع لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»**[(٤)].

هـ ـ **الخشية والخوف**، ولا شك أن الملائكة من أكثر المخلوقات خشية لله سبحانه وتعالى وخوفًا منه، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

و ـ **المحبة**، فالملائكة تحب الله تعالى وتحب من يحبه الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»**[(٥)].

ـ المسألة التاسعة: وظائف الملائكة:

للملائكة وظائف وأعمال كلَّفهم الله تعالى بها، وأعطاهم القدرة على تأديتها الوجه الأكمل. وهم بحسب ما يقومون به من وظائف وأعمال، **كما يلي:**

ـ تبليغ وحي الله جل جلاله إلى رسله عليهم السلام، والموكل بالوحي هو جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل]، وقد وصف الله جبريلَ عليه السلام بالقوة والأمانة على تأدية مهمته، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١/ ٤٢٢) [دار الراية، ط١]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣/ ١٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٥٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٠٩)، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٦٣٧).

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ [التكوير].

- إنزال القطر من السماء، والموكل به هو ميكائيل عليه السلام لما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ سأل جبريل على أي شيء ميكائيل فقال: «**على النبات والقطر**»[(١)]. وقد ورد ذكر ميكائيل عليه السلام في القرآن، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة]. وهناك ملائكة تزجر السحاب وتسوقه، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢﴾ [الصافات]، وعلى ذلك فإنهم من أتباع ميكائيل عليه السلام.

- النفخ في الصور، والصور: هو القرن الذي ينفخ فيه، كما ورد في المسند عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال أعرابي: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: «**قرن ينفخ فيه**»[(٢)]. والذي ينفخ في الصور ملك من الملائكة لم يثبت في تسميته حديث صحيح؛ بل الثابت ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر**»، قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»[(٣)].

- قبض أرواح العباد، والموكل بقبضها ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة]، ولملك الموت أعوان من الملائكة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام].

- ومن الأعمال التي يقومون بها ما يقوم به الملك الموكل بالجبال، وقد ورد ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف، وفيه: «**فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**. فقال النبي ﷺ: **بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٦٢) [مكتبة الرشد، ط١]، والطبراني في الكبير (١١/٣٧٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٩) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيِّئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٤٢)، والترمذي (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣٠) وحسنه، وأحمد (١١/٥٣) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٠٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٤٣١) وحسنه، وأحمد (١٧/٨٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٥٦٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»[١].

- ومنها ما يقوم به الملك الموكل بالرحم، على ما دلَّ عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل قد وكَّل بالرحم ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة. يا ربِّ! علقة. يا ربِّ مضغة. فإذا أراد الله أن يقضي خلقًا، قال الملك: أي رب! ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»**[٢].

- ومن أعمالهم حمل العرش، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة].

- ومنهم خزنة الجنة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]. وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد].

- ومنهم خزنة النار وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق]، وقال تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المدثر].

- ومنهم زوار البيت المعمور، سبعون ألف ملك يدخلون فيه ثم لا يعودون إليه، كما ورد في حديث الإسراء الطويل؛ أن النبي ﷺ قال: «**فرُفع لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل فقال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم»**[٣].

- ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر، لما ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك ويحمدونك،**

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١) واللفظ له، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الحيض، رقم ٣١٨)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٤٦) واللفظ له.

(٣) تقدم تخريجه.

ويمجدونك»[(١)].

- ومن الملائكة من يتعاقبون على المسلمين في صلاة العصر وصلاة الفجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الملائكة يتعاقبون؛ ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون**»[(٢)].

- ومنهم من يبلِّغون النبي ﷺ وهو في قبره السلام من أمته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام**»[(٣)].

- ومنهم من يقفون على أبواب المساجد يوم الجمعة، يكتبون الأول فالأول، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر**»[(٤)].

- ومن أعمال الملائكة: الدعاء للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدِث، تقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه**»[(٥)].

- ومنها الاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر].

- ومنها أنها تصلي مع المصلين خلف الإمام، لما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول**

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٨) وهذا لفظه، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٣) واللفظ له، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٣٢).

(٣) أخرجه النسائي (كتاب صفة الصلاة، رقم ١٢٨٢)، وأحمد (١/٣٨٧، ٤٤١، ٤٥٢) [مؤسسة قرطبة، مصر (مصورة عن الطبعة الميمنية)]، والدارمي (كتاب الرقاق، رقم ٢٨١٦)، وابن حبَّان في صحيحه (كتاب الرقائق، رقم ٩١٤)، والحاكم في مستدركه (كتاب التفسير، رقم ٣٥٧٦) وصححه، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٨٥٣).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢١١). ومسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٥٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الصلاة، رقم ٤٤٥)، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٦٤٩).

الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[١].

- ومنها كتابة أعمال العباد وإحصاؤها عليهم، والذي يقوم بها هم الكرام الكاتبون، قال تعالى: ﴿...عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار].

- ومنها سؤال العباد في قبورهم، ودليله حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ إنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان، فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل ـ لمحمد ﷺ ـ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا**»[٢].

- ومنها حراسة المدينة من الدجال، لما روى البخاري عن أنس وأبي بكرة عن النبي ﷺ: «**تحرس الملائكة المدينة من الدجال**»[٣].

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٢٨)، ومسلم (كتاب الصلاة، رقم ٤٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٤) وهذا لفظه، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٣) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٩)، ووصل حديث أنس في (كتاب الحج، رقم ١٨٨١)، ووصل حديث أبي بكرة في (كتاب

- **المسألة العاشرة: موت الملائكة:**

ظاهر النصوص تدلُّ على بقاء الملائكة أحياء ـ كلهم أو بعضهم ـ إلى حين النفخ في الصور، وإنما وقع الخلاف بين العلماء عند النفخ في الصور، فهل يشمل ذلك الملائكة أو لا؟ والذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن الملائكة تصعق عند النفخ في الصور مثلها مثل سائر المخلوقات. قال ابن تيمية: «الذي عليه أكثر الناس، أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت»[٤]. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ]، قال ابن كثير رحمه الله: «إنه تعالى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السماوات كلامه، أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي»[٥]. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا**

الفتن، رقم ٧١٢٥). وأخرج حديث أنس أيضًا: مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٤٣).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ].

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٥١٤).

جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق الحق»[(١)]. قال ابن تيمية: «فقد أخبر أنهم يصعقون صعق الغشي، فإذا جاز عليهم صعق الغشي؛ جاز صعق الموت»[(٢)]. أما الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فهو متناول لمن في الجنة، فإن الجنة ليس فيها موت[(٣)]، والله أعلم.

الآثار:

للإيمان بالملائكة آثار عظيمة، منها: العلم بعظمة الخالق ﷻ وكمال قدرته وسلطانه. ومنها: شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة. ومنها: محبة الملائكة على ما هداهم الله إليه من تحقيق عبادة الله على الوجه الأكمل. ومنها: الحرص على ارتياد الأماكن التي تحبها الملائكة؛ كالمساجد وحِلَقِ العلم، ومنها: الاقتداء بالملائكة في إتقان الأعمال، والقيام بها على الوجه الأكمل. ومنها: عدم استكثار ما يقوم به العبد من العمل الصالح، إذا قارنه بما تقوم به الملائكة دون تذمر أو ملل منها. ومنها: أن يحرص العبد كل الحرص على أن يبتعد عن المعاصي والذنوب إذا علم أن الله قد وكل به ملك يكتب أقواله وأفعاله.

مذهب المخالفين:

ذهبت طوائف من الإسماعيلية إلى أن الملائكة هم دعاة الإسماعيلية، يقول النعمان القاضي الإسماعيلي: «الملائكة هم الحجج، وأرباب دعوته القائمون بها، وهم الدعاة الآخذون عهده على المستجيبين لهم»[(٤)]، ويقول أحمد الكرماني: «الملائكة هم حدود الدعوة»[(٥)]، في حين ذهب آخرون إلى أن الملائكة جواهر روحانية وقوى عقلية بحتة لا صلة لها بعالم الأجسام، يقول الداعي الإسماعيلي شمس الدين الطيبي عن المقربين من الملائكة: «وأما الملائكة المقربون فهم القوى العالمة في العوالم العالية والسافلة»[(٦)]. وقول

---

(١) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٣٨)، وابن حبان في صحيحه (كتاب الوحي، رقم ٣٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال ابن القيم: (هذا الإسناد كلهم أئمة ثقات). مختصر الصواعق (٤٨٨) [دار الحديث، ط١]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٢٩٣) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٦٠).

(٤) الرسالة المذهبة، للقاضي النعمان (٨٤) [ضمن خمس رسائل إسماعيلية، دار الإنصاف، ١٣٧٥هـ].

(٥) راحة العقل للداعي أحمد حميد الدين الكرماني (٥٨٢) [دار الأندلس، ط٣، ١٩٨٣م].

(٦) الدستور ودعوة المؤمنين للحضور، للداعي =

الطيبي الإسماعيلي قريب من قول الفلاسفة الذين زعموا أن الملائكة عقول مجردة، ونفوس مدبرة لهذا العالم[(١)].

وممن أنكر الملائكة إلايجا محمد زعيم منظمة أمة الإسلام في أمريكا، حيث إن من الأصول التي بنى عليها مذهبه: الإيمان بما هو محسوس ومشاهد فقط، وبما أن الملائكة محجوبون عن البشر، فالإيمان بهم غير وارد لديه[(٢)].

أيضًا فإن بعضًا ممن ينتسب إلى الإسلام ممن تأثر بالمنهج العقلي في تناول النصوص: أنكر وجود الملائكة، بزعمه أن الإيمان بالملائكة مخالف للحس، وغير واقعي، ولا يقبله كل الناس[(٣)]. في حين زعم آخرون أن الملائكة أرواح مجردة، ونفوا أن تتمثل الملائكة بصوت أو صورة حقيقيين، وإنما هو إشراق يقع في نفس النبي فيحصل له شيء من العلم الإلٰهي[(٤)].

ولا شك في أن الأقوال السابقة كلها مخالفة للقرآن والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح، فحاشا أن تكون الملائكة دعاة بدعة وضلالة كما زعمت الإسماعيلية، بل هذا تكذيب منهم للقرآن الذي نفى أن تكون الملائكة بشرًا، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام]. قال القرطبي في تفسيره: «قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا؛ إذ لا يطيقون رؤيته. وقال مجاهد وعكرمة: لقامت الساعة. وقال الحسن وقتادة: لأهلكوا بعذاب الاستئصال؛ لأن الله أجرى سُنَّته بأن من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن؛ أهلكه الله في الحال، ولو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكًا؛ لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم من الرعب من كلامه والاتقاء له ما يكفهم عن كلامه، ويمنعهم عن سؤاله، فلا تعم المصلحة، ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به وليسكنوا إليه لقالوا: لست ملكًا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك وعادوا إلى مثل حالهم»[(٥)].

= الإسماعيلي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي (٦٨) [ضمن أربع رسائل إسماعيلية، دار مكتبة الحياة، ط٢، ١٩٧٨م].

(١) ينظر: فصوص الحكم للفارابي (٧٣) [انتشارات بيدار، ط٢، ١٤٠٥هـ]، ورسالة في الحدود لابن سينا (٧٤) [ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، ط١، ١٤٠٦هـ].

(٢) ينظر: منظمة إلايجا محمد الأمريكية دراسة وتحليل، لعبد الوهاب أبو سليمان (٧١) [دار الشروق، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٣) ينظر: قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر لحسن حنفي (٩٣) [دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٨٧م].

(٤) ينظر: رسالة التوحيد لمحمد عبده (١٠٥، ١٠٦) [دار إحياء العلوم، ط٤، ١٤٠٢هـ].

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٢٧، ٣٢٨) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

وليست الملائكة عليهم السلام جواهر عقلية أو أرواحًا مجردة كما زعم من زعم من الفلاسفة ومن تأثر بهم في هذا العصر؛ بل الملائكة خلق من خلق الله، لهم أجسام حقيقية، وأصل مادة خلقهم هي النور كما مر معنا، خصهم الله بعدم قدرة البشر على رؤيتهم إلا من استثناه الله تعالى، ومنهم النبي محمد ﷺ حيث رأى جبريل عليه السلام في صورته الحقيقية، كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح»[(١)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «تفسير اللباب» (ج١)، لابن عادل الحنبلي.

٤ ـ «الجامع لشعب الإيمان» (ج١)، للبيهقي.

٥ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٦ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ ـ «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر بن سليمان الأشقر.

٨ ـ «عمدة القاري» (ج١٥)، للعيني.

٩ ـ «القول المفيد على كتاب التوحيد» (ج٣)، لابن عثيمين.

١٠ ـ «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.

١١ ـ «معارج القبول»، لحافظ بن أحمد الحكمي.

١٢ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد بن عبد الوهاب العقيل.

١٣ ـ «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.

المِلَّة

التعريف لغةً:

المِلَّة ـ بكسر الميم ـ هي في اللغة: السُّنَّة والطريقة، تقول: هذا طريق مُمَلٌّ؛ أي: لِحبٌ مسلوك، واختلف في أصل المِلة في اللغة، فقيل: أصلها من الملّ، قال أبو هلال العسكري: «وأصل الملة في العربية من الملّ، وهو أن يعدوَ الذئب على شيء ضربًا من العدو، فسمِّيت الملة ملة لاستمرار أهلها عليها»[(٢)].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الفروق اللغوية (٢٢٠) [دار العلم والثقافة]، وانظر: لسان العرب (١١/٦٣١) [دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ].

وقيل: أصلها من أمللت، يقال: أمللت الكتاب؛ أي: أمليته، قال الراغب الأصفهاني: «وأصل الملة من: أمللت الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢]»[(١)].

والمَلَّة بالفتح: الرماد الحار، والجمر، ومنه قولهم: خبز مَلةٍ، وذلك أنه إذا دفن فيه الخبز وغيره تكرر عليه الحمي حتى ينضج[(٢)].

التعريف اصطلاحًا:

الملة اصطلاحًا: قيل: هي الدين والشريعة، وكل ما جاء عن طريق الرسل عليهم السلام، كملة الإسلام والنصرانية واليهودية[(٣)]، قال الراغب الأصفهاني: «الملة كالدين، وهي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء»[(٤)].

وقال ابن القيم: «الملة: هي الدين، وهي مجموعة أقوال وأفعال واعتقاد ودخول الأعمال في الملة كدخول الإيمان»[(٥)].

وقيل: هي الديانة التي يدين بها جنس من البشر، سواء كانت صحيحة أم غير صحيحة، وهذا القول هو الراجح لشموله جميع الديانات، بخلاف التعريف الأول فلا يشمل إلا الديانات الصحيحة.

وقول ابن القيم رحمه الله كأنه أراد بذلك بيان المراد بملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتّباعها، ولم يرد تعريف الملة على وجه العموم.

وقد ورد إطلاق لفظ الملة في القرآن بهذا المعنى، فجاء إطلاقها على دين إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، كما ورد إطلاقها على ديانة من لا يؤمن بالله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧][(٦)].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

لمّا كانت الملة في اللغة تطلق على الدين والشريعة، أُطلقت في الاصطلاح بهذا المعنى، فصارت تطلق على الديانة سواء كانت صحيحة أو غير صحيحة.

سبب التسمية:

اختلف في سبب تسمية الملة بهذا الاسم، **على أقوال**:

١ ـ قيل: سميت الملة بهذا الاسم؛ لأن الملك يملي الوحي على

---

(١) المفردات للراغب (٧٧٣) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]. وانظر: المصباح المنير (٤٧٤).

(٢) انظر: الصحاح (٥/١٨٢١) [دار الملايين، ط٣]، والقاموس المحيط (١٣٦٧) [مؤسسة الرسالة ط٢].

(٣) انظر: الصحاح (٥/١٨٢١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٦٠).

(٤) المفردات، للراغب الأصفهاني (٧٧٣).

(٥) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم (١٢٣).

(٦) انظر: المفردات، للراغب (٧٧٣)، وعلم الملل ومناهج العلماء فيه (١٠، ١١) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٥هـ].

الأنبياء عليهم السلام، فسمِّيت ملة من الإملاء، قال أبو المظفر السمعاني ـ في كلامه على الملة ـ: «قيل: هي عبارة عما يُمله الملك على النبي ﷺ من الوحي»[(١)].

٢ ـ وقيل: إنما سمِّيت بذلك لاستمرار أهلها عليها، قاله أبو هلال العسكري كما تقدم.

٣ ـ وقيل: إنما سمِّيت بذلك لتكرار ذلك عليهم، ذكر ذلك أبو هلال العسكري فقال: «وقيل: أصلها التكرار من قولك: طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ، ومنه الملل وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر»[(٢)].

الأقسام:

١ ـ الملة الصحيحة:

والملة الصحيحة هي ملة الأنبياء عليهم السلام وهي: اسم لما شرعه الله لعباده عن طريق الأنبياء عليهم السلام؛ ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وملة الأنبياء هي التوحيد ومجانبة الشرك، قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

وأفضل الملل والشرائع ملة نبيّنا محمد ﷺ، قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، قال: «أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم»[(٣)].

٢ ـ الملة الباطلة:

والملة الباطلة: هي كل ملة خارجة عن ملة الأنبياء عليهم السلام، ويدخل في ذلك جميع ملل الكفر، قال تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ومن أمثلة ذلك، الأديان الوثنية كالهندوسية، والبوذية وغيرهما، ويدخل في ذلك الأديان المحرفة كالنصرانية واليهودية.

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: نسخ جميع الملل بدين الإسلام:

نسخ الله تعالى جميع ملل الأنبياء وأديانهم بملة محمد ﷺ وهو دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

وقد بعث الله نبيّنا محمدًا ﷺ للناس عامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

---

(١) تفسير السمعاني (٢/٢٠١).
(٢) الفروق اللغوية (٢٢٠).
(٣) تفسير ابن كثير (١/٤١٠) [دار المعرفة، ط١].

﴿ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم»[(١)].

- المسألة الثانية: الدعوة إلى وحدة الملل والأديان:

هذه الدعوة، هي دعوة كفرية خبيثة، هدفها زعزعة المسلمين عن دينهم، وصدهم عن عقيدتهم.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٨٣).

وقد نشأت هذه الدعوة بين النصارى الغربيين، وتبناها مجلس الكنائس العالمي، واستجاب لها نفر قليل من المسلمين، ممن نشأ في بلاد الغرب وتربى على الثقافات الغربية[(٢)].

وقد تصدى لهذه الدعوة كثير من العلماء، وبيَّنوا خطرها على المسلمين.

وتوالت الفتاوى من الهيئات الشرعية، والمجامع الفقهية في بيان حقيقتها، وحكم الدعوة إليها أو اعتقاد صحتها، **فمن ذلك:**

ما ورد في فتوى اللجنة الدائمة حول هذه الدعوة من قولهم: «إن الدعوة إلى وحدة الأديان، إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ، وتبطل صدق القرآن، ونسخه لجميع ما قبله من الكتب، وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعًا، محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في الإسلام، من قرآن وسُنَّة وإجماع»[(٣)].

وقال الشيخ بكر أبو زيد، في الرد على من ينادي بطبع القرآن الكريم، مع

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان لأحمد القاضي [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ].

(٣) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم (١٩٤٠٢)، وتاريخ: ٢٥/١/١٤١٨هـ.

أسفار وإصحاحات اليهود والنصارى المحرفة: «كيف لا يستحي من المنتسبين إلى الإسلام من يدعو إلى طبع هذه الأسفار والإصحاحات المحرفة المفترى فيها، مع كتاب الله المعصوم (القرآن الكريم)؟ إن هذا من أعظم المحرمات، وأنكى الجنايات، ومن اعتقده صحيحًا فهو مرتد عن الإسلام»[(١)].

الفروق:

ـ الفرق بين الملة والدين:

١ ـ أن الملة لا تضاف إلا إلى النبي ﷺ الذي تسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ﴾ [يوسف: ٣٨]، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد أمة النبي ﷺ، فلا يقال: ملة الله، ولا يقال: ملتي وملة زيد، بخلاف الدين فيقال: دين الله ودين زيد.

٢ ـ لا تستعمل الملة إلا في جملة الشرائع دون آحادها، ولا يقال: الصلاة ملة الله، بخلاف الدين.

٣ ـ تقال الملة اعتبارًا بالشيء الذي شرعه الله، وأما الدين فيقال اعتبارًا بمن يقيمه؛ إذ كان معناه الطاعة.

وهناك من العلماء من ذهب إلى أن الملة والدين في الأصل بمعنى واحد، لا سيما في إطلاق كلٍّ منهما على جملة الشريعة، سواء كانت باطلة أم صحيحة[(٢)].

ـ الفرق بين الملة والنِّحلة:

المشهور عند علماء المِلل والنِّحَل، إطلاق لفظ (النِّحلة) على العقائد والآراء الباطلة التي تنتحلها بعض الفرق المنحرفة، فعلى هذا تكون الملة أعم من النحلة، حيث تطلق على الديانات سواء كانت صحيحة أو باطلة[(٣)].

وذهب ابن حزم إلى إطلاق هذا اللفظ على معنى (الفرقة) سواء كانت معتقداتها وآرائها صحيحة أم منحرفة، وعلى هذا تكون النحلة مرادفة للملة، لكن القول الأول هو المشهور عند أهل هذا الفن وهو الأقرب في ذلك[(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان»، لبكر أبي زيد.

٢ ـ «تفسير ابن كثير».

٣ ـ «تفسير السمعاني».

٤ ـ «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي.

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان لبكر أبي زيد [دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: الفروق اللغوية للعسكري (٢٢٠)، والمفردات للراغب (٧٧٣).

(٣) انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه (١٩).

(٤) انظر: الفصل لابن حزم (٢/٨٨) [مكتبة السلام].

٥ ـ «دعوة التقريب بين الأديان»، لأحمد القاضي.

٦ ـ «علم الملل ومناهج العلماء فيه»، لأحمد جود.

٧ ـ «الفروق اللغوية»، لأبي هلال العسكري.

٨ ـ «كتاب التعريفات الاعتقادية»، لسعد آل عبد اللطيف.

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «مفردات ألفاظ القرآن»، للراغب الأصفهاني.

المَلِك

يراجع مصطلح (الملك).

المُلْك

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، ثم قيل: مَلَكَ الإنسان الشيءَ يملكه مَلكًا، والاسم المُلك»[(١)].

وقال الجوهري: «مَلَكْتُ الشيء أملِكه مِلكًا، ومَلَّكَه الشيء تمليكًا؛ أي: جعله مِلْكًا له. والملَكوت من المُلك، وهو المُلكُ والعِزُّ. فهو مليك، ومَلِكٌ ومَلْكٌ، كأن المَلْكَ مخفف من مَلِكٍ، والمَلِك مقصور من مالك أو مليك، والجمع الملوك، والاسم المُلك، والموضع مملكة»[(٢)] اهـ باختصار. فالملك يتضمن معنى القوة والعزة والقدرة والتصرف والتدبير وغيرها من معاني العظمة والجلال.

التعريف شرعًا:

المُلك: من صفات العظمة والكبرياء، والقهر، والتدبير لله تبارك وتعالى، ومعناه: المَلِك لجميع المملوكات، النافذ الأمر في ملكه، الذي له التصرف المطلق في كل شيء، في الخلق والأمر والجزاء بلا مدافعة ولا ممانعة، يؤتي المُلك من يشاء وينزع المُلك ممن يشاء، وهو الآمر الناهي المعز المذل الذي يُصَرِّف أمور عباده كما يحب، ويقلبهم كما يشاء[(٣)].

الحكم:

يجب الإيمان بهذه الصفة لدلالة القرآن الكريم والأحاديث النبوية عليها، ويجب إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير

(١) مقاييس اللغة (٢/٥٢٣) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (٤/١٦٠٩، ١٦١٠) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م].

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٠) [دار المأمون، ط٥، ١٤٠٦هـ]، وشأن الدعاء (٣٩، ٤٠) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، واشتقاق أسماء الله (٤٣) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (٢٣٤) [مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ١١٢، ١٤٢٣هـ].

تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل[١].

الحقيقة:

إن الله سبحانه وتعالى متصف بصفة الملك حقيقة، والملك فيه معنى القوة والعزة والقدرة وغيرها من معاني العظمة والجلال، والله موصوف بهذه المعاني كلها، فهو القوي العزيز القدير المالك للأمور كلها، وجميع الخلق مماليكه وعبيده، ومفتقرون إليه في جميع شؤونهم، وليس لأحد خروج عن ملكه وقدرته وسلطانه، وله التدبيرات النافذة، والتصرف الكامل، يقضي في ملكه بما يشاء، ويحكم فيه بما يريد، لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه[٢].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ﴾ [المائدة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهُمَّ لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، أو: لا إله غيرك**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**»[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٣) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ]، تفسير السعدي (٢٧، ٢٨) [دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢/ ٧٦٣) [دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ]، وطريق الهجرتين (٢٠٦) [دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التهجد، رقم ١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٨١٢)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٧).

۞ **أقوال أهل العلم:**

قال ابن تيمية: «وسمَّى نفسه بالمَلِك، فقال: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وسمَّى بعض عباده بالملك فقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ [يوسف: ٥٠]، وليس المَلِك كالمَلِك»[(١)].

وقال ابن القيم: «وإذا أعطيت اسم الملك حقه ـ ولن تستطيع ـ علمت أن الخلق والأمر والثواب والعقاب والعطاء والحرمان أمر لازم لصفة الملك، وأن صفة الملك تقتضي ذلك ولا بدّ»[(٢)].

وقال السعدي: «المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام»[(٣)].

۞ **المسائل المتعلقة:**

ـ المسألة الأولى: الملِك:

لقد ورد اسم الملك في القرآن الكريم خمس مرات، منها: قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وأورد هذا الاسم جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها تقريبًا، ولم يسقطه من جمعه سوى الإمام سفيان بن عيينة، والزجاجي[(٤)].

وهذا الاسم مما يطلق على الله ﷻ وعلى المخلوق، قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤]، ومن إطلاقه على المخلوق قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩﴾ [الكهف]؛ لكن ملك الله ملك مطلق، وملك المخلوق ملك مقيّد محدود، وإنما اكتسبه من خالقه، فهو الذي آتاه إياه، وينزعه منه متى شاء، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

ـ المسألة الثانية: المالك:

المالك اسم فاعل من المُلك،

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٣).
(٢) التبيان في أقسام القرآن (٣٦) [دار الفكر].
(٣) تفسير السعدي (٢٧، ٢٨).
(٤) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩ ـ ٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة](١).

قال السعدي عند ذكر الأسماء الحسنى في آخر تفسيره: «الملك: المالك الذي له الملك، فهو الموصوف بصفة الملك وهي صفات العظمة والكبرياء والقهر والتدبير»(٢).

ـ المسألة الثالثة: المليك:

المليك (فعيل) صيغة مبالغة من المُلك، وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر](٣).

قال قوام السُّنَّة الأصبهاني: «ومن أسمائه: المليك، وهو المالك، وبناء (فعيل) للمبالغة في الوصف»(٤).

وذكره ابن عثيمين ضمن الأسماء الحسنى في القواعد المثلى(٥).

ـ المسألة الرابعة: مالك الملك:

هو اسم مركب من اسم الفاعل: مالك، والمصدر: الملك، وكلاهما يرجع إلى الأصل الثلاثي: مَلَكَ، الدالّ على قوة في الشيء وصحة، وهذا الاسم لا يطلق إلا على الله ﷻ؛ لأنه هو وحده الذي يملك التصرف في كل شيء على الحقيقة دون من سواه، الملك بيده يؤتيه من يشاء وينزعه عمن يشاء، وقد يكون معناه: مالك الملوك، كما يقال: رب الأرباب، وسيد السادات، وقد يحتمل أن يكون معناه: وارث الملك يوم لا يدّعي الملك مدّع، ولا ينازعه فيه منازع؛ كقوله ﷻ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٦](٦).

ولهذا جاء النهي عن التسمي بملك الملوك، أو مالك الأملاك، وما في معناه: كشاه شاه بلغة العجم(٧)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أخنى الأسماء يوم القيامة عند الله رجلٌ تسمَّى ملك الأملاك»**(٨)، وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«اشتد غضب الله على رجل تسمَّى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله»**(٩).

وقد استدل من أثبت هذا الاسم من

---

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٨٣، ٨٤) [أضواء السلف، ط١، ١٤١٩هـ].

(٢) تفسير السعدي (٩٤٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٥٠).

(٤) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٨٣، ٨٤).

(٥) انظر: القواعد المثلى ـ ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/٢٧٧).

(٦) انظر: شأن الدعاء (٩١) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/٨٨، ٨٩) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ].

(٧) انظر: زاد المعاد (٢/٣٤٠، ٣٤١) [الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ]، وفتح الباري لابن حجر (١٠/٥٩٠) [دار المعرفة، ط١، ١٣٧٩هـ].

(٨) أخرجه البخاري (كتاب الأدب، رقم ٦٢٠٥) واللفظ له، ومسلم (كتاب الآداب، رقم ٢١٤٣).

(٩) أخرجه أحمد (١٦/٢٤٧) [الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ]، والحاكم (كتاب الأدب، رقم ٧٧٢٤) وصححه.

أهل العلم بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦][(١)].

ـ المسألة الخامسة: مالك يوم الدين:

سُمي الله عَلَىٰ بذلك؛ لأنه هو المتصرف وحده يوم الحساب والجزاء، وخُصّ به يوم الدين؛ لأنه اليوم الذي لا يملك أحد فيه شيئًا مما كان الله ملّكهم في الدنيا، وفي هذا اليوم لا يدعي أحد الملك سواه، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر][(٢)]. وقد استدل من أثبت هذا الاسم من أهل العلم بقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة].

ـ المسألة السادسة: معنى ذي الملكوت:

الملكوت (فعلوت) من الملك؛ أي: من بيده ملك كل شيء، بمعنى: من هو مالك كل شيء كائنًا ما كان، وقال بعض أهل العلم: زيادة الواو والتاء تفيد المبالغة في ذلك[(٣)]، وهذا ليس بعيدًا؛ فإن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، ومنهم من جعل الملك لعالم الشهادة، والملكوت لعالم الغيب ولكن سياق الآيات والأحاديث لا يدل على هذا التفريق؛ بل كل واحد منهما يدل على الآخر، وإن كان الملكوت فيه زيادة معنى في مقابل الملك، وقد يكون هذا التفريق مقبولًا وسائغًا عند الاجتماع، فيكون الملكوت لعالم الغيب والملك لعالم الشهادة، كما هو الشأن في الإيمان والإسلام، وفي البر والتقوى، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، والله تعالى أعلم.

الفروق:

الفرق بين الملِك والمليك والمالك:

ذُكر في الفرق بين هذه الأسماء الثلاثة؛ أن المالك هو الذي له ملكية الشيء، وهو المتصرف فيه بفعله، والملِك: هو المتصرف بفعله وأمره، والمليك: هو المالك العظيم الملك، فهو اسم يدل على العلو المطلق للملك في ملكه وملكيته، فله علو الشأن والقهر والفوقية في وصف الملكية على الدوام، أزلًا وأبدًا، فهذا الاسم يشمل معنى الملك والمالك[(٤)]، والله أعلم.

---

(١) انظر: معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى (٧٩، ٨٠).

(٢) انظر: اشتقاق أسماء الله (٤٤) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ]، والصفات الاختيارية ـ ضمن جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ٦٩) [دار المدني، ط٢، ١٤٠٥هـ]، ومجموع الفتاوى (٦/ ٤٤٢، ٤٤٣).

(٣) انظر: أضواء البيان (٥/ ٥٥٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ].

(٤) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (١٨٢) [دار العلم والثقافة، القاهرة، طعام: ١٤١٨هـ]، وأسماء الله الحسنى لماهر مقدم (٧٨، ٧٩) [شركة مكتبة وتسجيلات الإمام الذهبي، الكويت، ط٤، ١٤٣١هـ].

الثمرات:

من الناس من يطغى ويتجبر ويظن أنه الملك الحقيقي، وينسى أنه إنما هو مستخلف فيما آتاه الله من ملك، فيتكبر ويتجبر ويعتدي على خلق الله بغير حق، ومن أمثلة ذلك ما قصّه الله ﷻ من شأن فرعون الذي زعم بأنه الملك بل الإلٰه، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزُّخرُف]، وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات].

فأهلكه الله ﷻ وقومه الذين أطاعوه ليكون عبرة لكل ظالم متكبر من ملوك الأرض يأتي بعده، وينسى نفسه وحقيقته، وأن الملك إنما هو لله وحده.

- إذا علم العبد أن الملك المطلق إنما هو لله وحده لا شريك له، حمله ذلك على الطاعة المطلقة لله وحده لا شريك له، وقدّم طاعة الله ﷻ على طاعة من سواه، ولا طاعة لأحد في معصية الملك الأحد.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

٢ ـ «الأسماء والصفات» (ج٢)، للبيهقي.

٣ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٤ ـ «فقه الأسماء الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

٥ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٣)، لابن تيمية.

٦ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.

٧ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، لمحمد بن خليفة التميمي.

٨ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

٩ ـ «أضواء البيان» (ج٥)، لمحمد الأمين الشنقيطي.

مِلك الأملاك

يراجع مصطلح (قاضي القضاة).

ملَك الجبال

التعريف لغةً:

الملَك بفتح اللام: مفرد ملائك وملائكة، أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام، فقيل: ملأك، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة

وملائك[١].

والجبال: جمع جبل، وهو اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال[٢].

۞ التعريف شرعًا:

مَلَك عظيم من الملائكة موكل بالجبال، ومتصرف بما يرد عليه فيها من الخالق جَلَّ وَعَلَا[٣].

۞ سبب التسمية:

سمي بهذا الاسم لأنه الملك الذي سخر الله تعالى له الجبال، وجعل أمرها بيده.

۞ الأسماء الأخرى:

اشتُهر بملك الجبال، ولا يُعلم له تسمية أخرى، قال الحافظ ابن حجر: «وأما ملك الجبال فلم أقف على اسمه»[٤].

۞ الحكم:

يجب الإيمان بملك الجبال كما ورد به النص. أيضًا فإن الإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذي هو ركن من أركان الإيمان.

۞ المنزلة:

الإيمان بملك الجبال يدخل في الإيمان بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

۞ الأدلة:

عن عروة بن الزبير؛ أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ حدثته؛ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي؛ فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**. فقال النبي ﷺ: **بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»[٥].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٠/ ٤٨١) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٧هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٩٦)، والقاموس المحيط (١٢٥٨).

(٣) ينظر: عمدة القاري (١٥/ ١٤٢) [دار إحياء التراث العربي].

(٤) فتح الباري (٦/ ٣٥٥) [المطبعة السلفية، ط٢، ١٤٠٠هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣١)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٩٥).

الثمرات:

عِظم مخلوقات الله تعالى، فالجبال مع قوتها وصلابتها وثقلها، إلا أن هناك من الملائكة من هو أعظم خلقًا منها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٢ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٥ ـ «عمدة القاري» (ج١٥)، لبدر الدين العيني.

٦ ـ «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.

٧ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج١)، للسفاريني.

٨ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

٩ ـ «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.

ملَك الموت

التعريف لغةً:

الملَك بفتح اللام: مفرد ملائك وملائكة، أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل: ملأك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك[(١)].

والموت: ضد الحياة، وهو مفارقة الروح للبدن[(٢)].

التعريف شرعًا:

ملك عظيم من الملائكة موكل بقبض أرواح العباد[(٣)].

سبب التسمية:

سمي بهذا الاسم لقيامه بقبض أرواح العباد بأمر الله تعالى.

الأسماء الأخرى:

عزرائيل.

الحكم:

يجب الإيمان بملك الموت على ما وردت به النصوص، والإيمان به يدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة.

المنزلة:

الإيمان بملك الموت يدخل في

(١) ينظر: لسان العرب (١٠/٤٨١) [دار صادر]، والقاموس المحيط (١٢٢٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

(٢) ينظر: لسان العرب (٢/٨٩)، والقاموس المحيط (٢٠٦).

(٣) ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (١٨٧) [أضواء السلف، ط١، ١٤٢٢هـ].

الإيمان بالملائكة عليهم السلام، والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصوله العظيمة.

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله ﷺ: «**جاء ملك الموت إلى موسى** عليه السلام، **فقال له: أجب ربك**»[1]، الحديث. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فلما قضي عمر آدم، جاءه ملك الموت فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود؟**» الحديث[2].

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «**ثم يجيء ملك الموت** عليه السلام **حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة! اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»[3].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: عزرائيل:

ورد في بعض الآثار أن اسم ملك الموت: عزرائيل؛ ولكنها لا تثبت، قال ابن كثير رحمه الله: «وأما ملك الموت فليس بمصرَّح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح»[4].

ـ المسألة الثانية: أعوان ملك الموت:

دلَّت نصوص القرآن والسُّنَّة على أن لملك الموت أعوانًا؛ **فمنها**:

قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾ [الأنعام]، وقوله جل جلاله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٣٢﴾ [النحل]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ﴾ [الأنعام:

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير، رقم٣٢٥٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، والنسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٠١) مختصرًا، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٥٤٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ] واللفظ له، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ١٠٧) وصححه، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في أحكام الجنائز (١٥٩) [المكتب الإسلامي، ط٤].

(٤) البداية والنهاية (١/١٠٦) [دار هجر، ط١].

٩٣]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

كما أن ظاهر النصوص يدل على أن أعوان ملك الموت قسمان: ملائكة الرحمة الذين يتلقفون روح المؤمن من ملك الموت، وملائكة العذاب الذين يتلقفون روح الكافر.

ويدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن المؤمن إذا قُبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي إلى رَوح الله**» الحديث، وفيه: «**وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب الله**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إذا خرجت روح العبد المؤمن، تلقاها ملكان يصعدانها»[(٢)].

وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: «لملك الموت أعوان من الملائكة، يخرجون الروح من الجسد، فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم»[(٣)].

وقد أسند الله قبض الأنفس إليه سبحانه في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وأسنده تعالى إلى الملائكة في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١]، وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وأسنده إلى ملك الموت في قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، ولا تعارض بين الآيات، فالله هو الذي قضى بالموت وقدره وأمر به، فأضيف إليه التوفي لأجل ذلك، وملك الموت يتولى قبضها واستخراجها من البدن، ثم تأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده[(٤)].

- المسألة الثالثة: وجود ملائكة ـ غير ملك الموت ـ تقبض أرواح بني آدم:

ذهب بعض الصحابة والتابعين، وبعض أهل العلم إلى أن هناك ملائكة

(١) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ١٨٣٣)، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠١٤)، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٠٢) وصححه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٢).

(٣) أخرج أثر ابن عباس رضي الله عنهما: الطبري في التفسير (١١/ ٤١٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]. وقد ذكر ابن كثير أن الأحاديث تشهد بصحة ما نقل عنه. تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٧) [دار طيبة، الإصدار الثاني، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) ينظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٢٤٨) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٩٤) [دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٧هـ].

آخرون يقبضون أرواح بني آدم مع ملك الموت، وملك الموت هو الذي يرسلهم، ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ [النازعات]. قال ابن كثير: «قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسُّدِّي: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١﴾: الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فتُغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّته من نشاط، وهو قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾، قاله ابن عباس»[1]. قال القرطبي: «تارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك، وتارة إلى أعوانه من الملائكة؛ لأنهم قد يتولون ذلك أيضًا»[2]. وقال: «فخلق الله ملك الموت وخلق جندًا يكونون معه يعملون عمله بأمره»[3]. وقال ابن القيم: «وأكثر المفسرين على أنها الملائكة التي تنزع أرواح بني آدم من أجسامهم، وهم جماعةٌ، كقوله: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء: ٩٧]»[4].

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٢).
(٢) التذكرة للقرطبي (١/ ٢٤٨)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (٢٩٤).
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٢٦١).
(٤) التبيان في أيمان القرآن (٢٠٧) [عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٩هـ].

ـ المسألة الرابعة: هل ملك الموت يقبض أرواح جميع الأحياء؟

ذهبت طائفة من أهل العلم منهم القرطبي، وابن حجر الهيتمي، والآلوسي وغيرهم إلى أن قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]، عام في كل ذي روح، فملك الموت يقبض أرواح الأحياء كلهم، من بني آدم وغيرهم[5]. قال الآلوسي: «والذي ذهب إليه الجمهور أن ملك الموت لمن يعقل وما لا يعقل من الحيوان واحد»[6].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد»، للفوزان.
٢ ـ «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.
٣ ـ «أصول السُّنَّة»، لابن أبي زمنين.
٤ ـ «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (ج١)، للسفاريني.
٥ ـ «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.
٦ ـ «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ج١)، للقرطبي.
٧ ـ «تفسير القرآن العظيم» (ج٣، ج٨)، لابن كثير.

(٥) ينظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ٢٥٧)، والفتاوى الحديثية (٦) [البابي الحلبي، ط٢].
(٦) روح المعاني (٢١/ ١٦٥) [دار الحديث، ١٤٢٦هـ].

٨ ـ «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٩ ـ «الرسالة الوافية»، لأبي عمرو الداني.

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

المَلَل

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «مَلِلْته أَمَلُّه مَلَلًا وملالة: سَئِمْتُه»[(١)]. وقال الجوهري: «مَلِلْتُ الشيءَ بالكسر، ومَلِلْتُ منه أيضًا مَلَلًا ومَلَّةً ومَلالَةً: إذا سئمته»[(٢)]. فالملل في اللغة بمعنى السآمة.

التعريف شرعًا:

ذكر بعض أهل العلم أن الملل صفة من صفات الله تعالى، وأن الملل المضاف إلى الله ﷻ ليس كملل المخلوقين، بل هو على الوجه اللائق بالله تعالى[(٣)].

الأسماء الأخرى:

السآمة.

الحكم:

إثبات هذه الصفة مختلف فيه بين أهل العلم، كما سيأتي في نقل أقوالهم، «والذي يترجح في هذه المسألة ـ والله تعالى أعلم بالصواب ـ هو إثبات صفة الملل لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، مع نفي توهم النقص في حقه تعالى، بأي وجه من الوجوه. فشأن هذه الصفة شأن بقية الصفات التي تثبت لله تعالى على وجه الكمال، وإن كانت في حق المخلوقين ليست كمالًا كالاستهزاء والمكر والخداع، ويكون المعنى: إن الله تعالى لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل، لكن لا يوصف الله تعالى بهذه الصفة على وجه الإطلاق، وإنما يوصف بها بالقيد المذكور في الحديث، فهو لا يمل إلا إذا ملوا، كما أنه لا يخدع إلا المخادعين، ولا يمكر إلا بالماكرين، ولا يستهزئ إلا بالمستهزئين، ولا يسخر إلا بالساخرين، فهذه الصفات لا يجوز أن يوصف الله تعالى بها على وجه الإطلاق»[(٤)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: «الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٤٨٩) [دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٠هـ].

(٢) الصحاح (١/١٩٨) [دار العلم للملايين، ط٤].

(٣) انظر: صفات الله ﷻ للسقاف (٣٢٧) [دار الهجرة الرياض، ط٣، ١٤٢٦هـ]، ومعجم ألفاظ العقيدة (٤٠٧) [مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٤) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين (٢٢٩، ٢٣٠) [مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ].

مشابهة لخلقه ولا تكييف؛ كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب الله ﷻ، وكلها صفات حق تليق بالله سبحانه وتعالى على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]»[1].

الحقيقة:

المَلَل: هو الضجر والسآمة، ويوصف الله ﷻ بالملل على وجه المقابلة كما يليق بجلال الله وعظمته[2].

الأدلة:

أ ـ ما كان بلفظ الملل: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: «**من هذه؟**» فقلت: امرأة، لا تنام، تصلي، قال: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملّوا**»[3].

ب ـ ما كان بلفظ السآمة: عن عائشة زوج النبي ﷺ؛ أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرت بها وعندها رسول الله ﷺ، فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تنام الليل! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله، لا يسأم الله حتى تسأموا**»[4].

أقوال أهل العلم:

أقوال أهل العلم في نسبة الملل إلى الله ﷻ ووصفه سبحانه به مختلفة، فمنهم من يرى أن هذه صفة من صفات الله تبارك وتعالى، وفيما يلي ذكر أقوالهم:

قال ابن عبد البر: «وقد بلغني عن ابن القاسم أنه لم ير بأسًا برواية الحديث أن الله ضحك، وذلك لأن الضحك من الله والتنزُّل والملالة والتعجب منه ليس على جهة ما يكون من عباده»[5].

وقال محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ««**فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا**» من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري، لا نقص فيه؛ كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر»[6].

وقد سئل ابن عثيمين: هل نستطيع أن نثبت صفة الملل والهرولة لله تعالى؟ فأجاب: «جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: «**فإنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تملوا**».

فمن العلماء من قال: إنَّ هذا دليل

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣).

(٢) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٣)، والفتاوى والرسائل للشيخ محمد بن إبراهيم (١/٢٠٩) [مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الإيمان، رقم ٤٣)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم٧٨٥)، واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق نفسه.

(٥) التمهيد (٧/١٥٢) [وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٣٩٩هـ].

(٦) الفتاوى والرسائل (١/٢٠٩).

على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق؛ إذ إنَّ ملل المخلوق نقص؛ لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله؛ فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالًا.

ومن العلماء من يقول: إنَّ قوله: «**لا يَمَلُّ حتى تملوا**»؛ يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل؛ فإنَّ الله يجازيك عليه؛ فاعمل ما بدا لك؛ فإنَّ الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا، فيكون المراد بالملل لازم الملل.

ومنهم من قال: إنَّ هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقًا؛ لأنَّ قول القائل: لا أقوم حتى تقوم؛ لا يستلزم قيام الثاني، وهذا أيضًا: «**لا يمل حتى تملوا**»؛ لا يستلزم ثبوت الملل لله ﷻ.

وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أنَّ الله تعالى مُنَزَّه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أنَّ هذا الحديث دليل على الملل؛ فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق»[1].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:

«الواجب هو إمرار هذا الحديث كما جاء، مع الإيمان بالصفة، وأنها حق على الوجه الذي يليق بالله، من غير مشابهة لخلقه ولا تكييف؛ كالمكر والخداع والكيد الواردة في كتاب الله ﷻ، وكلها صفات حق تليق بالله ﷻ على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]»[2].

والقول الثاني: هو قول من يرى أن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالملل، وأن الحديث ليس من أحاديث الصفات.

قال ابن قتيبة في الردِّ على من ينسب الملل إلى الله تعالى استدلالًا بهذا الحديث: «قالوا: رويتم أن رسول الله ﷺ قال: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا**»، فجعلتم الله تعالى يمل إذا ملوا، والله تعالى لا يمل على كل حال ولا يكل. قال أبو محمد: ونحن نقول: إن التأويل لو كان على ما ذهبوا إليه كان عظيمًا من الخطأ فاحشًا، ولكنه أراد فإن الله سبحانه لا يمل إذا مللتم، ومثال هذا قولك في الكلام: هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل، لا تريد بذلك أنه يفتر إذا فترت، ولو كان هذا هو المراد ما كان له فضل عليها؛ لأنه يفتر معها فأية فضيلة له، وإنما تريد أنه لا يفتر إذا

(١) مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي (١/ ١٥٢) [دار اليقين، المنصورة، ودار طيبة الرياض].

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٤٠٣).

فترت، وكذلك تقول في الرجل البليغ في كلامه والمكثار الغزير: فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه، تريد: أنه لا ينقطع إذا انقطعوا، ولو أردت أنه ينقطع إذا انقطعوا لم يكن له في هذا القول فضل على غيره، ولا وجبت له به مدحة، وقد جاء مثل هذا بعينه في الشعر المنسوب إلى ابن أخت تأبط شرًّا، ويقال: إنه لخلف الأحمر:

صَلِيت منّي هذيلٌ بخِرقٍ
لا يملّ الشرَّ حتّى يملّوا

لم يرد أنه يمل الشر إذا ملوه، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح له؛ لأنه بمنزلتهم، وإنما أراد أنهم يملون الشر وهو لا يمله»[1].

وقال ابن عبد البر: «قوله: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» فلفظ مخرَّج على مثال لفظ، ومعلوم أن الله ﷻ لا يمل، سواء مل الناس أو لم يملوا، ولا يدخله ملال في شيء من الأشياء، جلَّ وتعالى علوًّا كبيرًا، وإنما جاء لفظ هذا الحديث على المعروف من لغة العرب، بأنهم كانوا إذا وضعوا لفظًا بإزاء لفظ وقبالته، جوابًا له وجزاءً ذكروه بمثل لفظه، وإن كان مخالفًا له في معناه، ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]، والجزاء لا يكون سيئة، والقصاص لا يكون اعتداء؛ لأنه حق وجب، وكذلك قوله ﷺ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**»؛ أي: إن من ملَّ من عمل يعمله قطع عنه جزاؤه، فأخرج لفظ قطع الجزاء بلفظ الملال؛ إذ كان بحذائه وجوابًا له»[2].

وقال ابن رجب: «الملل والسآمة للعمل يوجب قطعه وتركه، فإذا سأم العبد من العمل ومله قطعه وتركه فقطع الله عنه ثواب ذلك العمل؛ فإن العبد إنما يجازى بعمله، فمن ترك عمله انقطع عنه ثوابه وأجره إذا كان قطعه لغير عذر من مرض أو سفر أو هرم، وسمي هذا المنع من الله مللًا وسآمة مقابلة للعبد على مَلَلِهِ وسآمته، كما قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٧] فسمى إهمالهم وتركهم نسيانًا مقابلة لنسيانهم له. هذا أظهر ما قيل في هذا»[3].

الآثار:

إن الله ﷻ لا يمل من إعطاء عباده الصالحين المطيعين الثواب والجزاء على طاعاتهم وحسناتهم وأعمالهم الصالحة،

(١) تأويل مختلف الحديث (٤٨٦، ٤٨٧) [المكتب الإسلامي، بيروت، ومؤسسة الإشراق، الدوحة، ط٢، ١٤١٩هـ].

(٢) التمهيد (١/ ١٩٥، ١٩٦).

(٣) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٥١، ١٥٢) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢٢هـ].

وعلم العبد بذلك وإيمانه به يجعله يكثر من الأعمال الصالحة ويواظب عليها ويستمر فيها.

المصادر والمراجع:

١ ـ «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» (ج٢)، للقاضي أبي يعلى الفراء.

٢ ـ «أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين»، لسليمان بن محمد الدبيخي.

٣ ـ «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٤ ـ «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (ج٧)، لابن عبد البر.

٥ ـ «صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٦ ـ «فتاوى ورسائل» (ج١)، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٧ ـ «فتح الباري» (ج١)، لابن رجب.

٨ ـ «مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي» (ج١)، لابن عثيمين.

٩ ـ «معجم ألفاظ العقيدة»، لعالم عبد الله فالح.

١٠ ـ «النفي في باب صفات الله ﷻ بين أهل السُّنَّة والجماعة والمعطلة»، لأرزقي بن محمد سعيداني.

المليك

يراجع مصطلح (الملك).

المُماسّة

يراجع مصطلح (الاستواء).

المُميت

يراجع مصطلح (المحيي المميت).

المنّ

يراجع مصطلح (المنان).

المَنَّان

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الميم والنون أصلان؛ **أحدهما**: يدل على قطع وانقطاع، **والآخر**: على اصطناع خير... تقول: مَنَّ يَمُنُّ مَنًّا؛ إذا صنع صُنْعًا جميلًا، ومن الباب المنّة، وهي القوة التي بها قوام الإنسان»[(١)].

والمَنَّان: (فعّال) من صيغ المبالغة، مأخوذ من المَنِّ الدال الصنع الجميل، يقال: مَنَّ يَمُنُّ منًّا فهو مانّ، ومنّان، إذا صنع صنعًا جميلًا، والمنّة: النّعمة الثقيلة،

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٨٥) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

ويقال ذلك على **وجهين**؛ **أحدهما**: أن يكون ذلك بالفعل، فيقال: منَّ فلان على فلان؛ إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ونحوها، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى. **والثاني**: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصنيعة، ومنه: الامتنان؛ إذا امتنّ عليه، آذاه بمنه[١].

التعريف شرعًا:

المنَّان: اسم الله ﷻ الدالّ على عظيم عطائه وإنعامه على خلقه تفضلًا وكرمًا بلا فائدة تعود عليه، ولا جزاء من خلقه يرجوه؛ بل هو الجود والإحسان والكرم، فقد أنعم فأجزل وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح، يبتدئ بالنوال قبل السؤال[٢].

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: المنان، وما تضمنه من الصفة: المن؛ لدلالة القرآن والحديث عليها، ويجب إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته سبحانه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الحقيقة:

اسم المنان يدور حول معنيين:

الأول: العطاء دون عوض.

الثاني: التفاخر بالعطية من المعطي وتعديد ما صنعه.

وكلا المعنيين مما يصح إطلاقه في حق الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجُرات]، فإن الله ﷻ لما كان هو الذي يدرّ العطاء على عباده منًّا عليهم بذلك وتفضلًا كانت له المنة في ذلك، وهو أمر مشهود للخليقة كلها، برّها وفاجرها من جزيل مواهبه، وسعة عطاياه وكريم أياديه، وجميل صنائعه، وسعة رحمته، وبره ولطفه، وإجابته لدعوات المضطرين، وكشف كربات المكروبين، وإغاثة الملهوفين، ودفع المحن والبلايا بعد انعقاد أسبابها، وصرفها بعد وقوعها، ولطفه تعالى في ذلك إلى ما لا تبلغه الآمال.

وقد حظر الله على عباده المنّ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٥/٤٧١، ٤٧٢) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (٩٦٢) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٦/٢٢٠٧) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، ومفردات ألفاظ القرآن (٧٧٧، ٧٧٨) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ]، والمعجم الوسيط (٢/٨٨٨، ٨٨٩) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٣) [دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ]، والأسماء والصفات (١/١٧١) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ].

بالصنيعة واختص به صفة لنفسه؛ **وذلك لعدة أمور:**

- أن منَّ العباد تكدير وتعيير، ومنّ الله ﷻ إفضال وتذكير.

- أن الله هو المنعم في نفس الأمر والعباد وسائط، فهو المنعم على عبده في الحقيقة.

- الامتنان استعباد وكسر وإذلال لمن يمن عليه، ولا تصلح العبودية والذل إلا لله.

- أن المنّة أن يشهد المعطي أنه هو رب الفضل والإنعام وأنه ولي النعمة ومسديها، وليس ذلك في الحقيقة إلا لله.

- أن المانّ بعطائه يشهد نفسه مترفعًا على الآخذ مستعليًا عليه، غنيًّا عنه عزيزًا، ويشهد ذل الآخذ وحاجته إليه وفاقته، ولا ينبغي ذلك للعبد.

- أن المعطي قد تولى الله ثوابه ورد عليه أضعاف ما أعطى، فبقي عوض ما أعطى عند الله، فأي حق بقي له على الآخذ، فإذا امتنّ عليه فقد ظلمه ظلمًا بينًا؛ لأنه قد أخذ حقه من قبل الله ﷻ، ومن هنا ـ والله أعلم ـ بطلت صدقته بالمنّ؛ فإنه لما كانت معاوضته ومعاملته مع الله وعوض تلك الصدقة عنده، فلم يرض المان بصدقته بذلك العوض، ولاحظ العوض من الآخذ، فمنَّ عليه بما أعطاه، فأبطل معاوضته مع الله ومعاملته له[1].

الأدلة:

الأدلة على صفة المن كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١] وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الصافات].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: «**يا معشر الأنصار! ألم أجدكم ضُلاّلًا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟**» كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ؟**» قال: كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. الحديث[2].

---

(١) انظر: اشتقاق أسماء الله (١٦٤)، وطريق الهجرتين (٥٤١) [دار ابن القيم، ط٢، ١٤١٤هـ]، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/٢٥٩، ٢٦٠) [دار الصحابة، ط١]، وفقه الأسماء الحسنى (٢٩٩) [دار التوحيد، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٣٠)، ومسلم (كتاب الزكاة، رقم ١٠٦١).

وعن أنس رضي الله عنه؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: اللَّهُمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»[(١)].

أقوال أهل العلم:

قال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى (المنان) هو المنعم المعطي، من المن: العطاء لا من المنة، وكثيرًا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه، فالمنان من أبنية المبالغة كالوهاب»[(٢)].

وقال ابن القيم معلقًا على حديث أنس السابق: «فهذا سؤال له وتوسل إليه وبحمده، وأنه الذي لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول، وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد»[(٣)].

وقال السفاريني: «ومن أسمائه المنان، وهو المنعم المعطي، من المن وهو العطاء»[(٤)].

الآثار:

من عرف ربه سبحانه بهذا الاسم العظيم وأنه وحده وليّ المن والعطاء، صاحب الهبة والنعماء، أوجب له ذلك أن يحمد ربه على نعمائه، وأن يشكره على فضله وعطائه، ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد أمر الله عباده بالشكر ونهاهم عن ضده، وأثنى على عباده الشاكرين، ووعدهم بأحسن الجزاء، وجعل الشكر سببًا لمزيد الفضل والعطاء، وحارسًا وحافظًا للهبة والنعماء: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]، وأوجب له كذلك ألا يستعمل نعمة الله ومنَّته سبحانه في معصيته، وألا يضيف النعمة إلا إلى المنعم وحده، وهو الله لا شريك له، خلاف من قال عنهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل]؛ أي: بإضافة النعمة إلى غير المنعم»[(٥)].

(١) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٤٩٥)، والترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٤٤)، والنسائي (كتاب السهو، رقم ١٣٠٠)، وابن ماجه (كتاب الدعاء، رقم ٣٨٥٨)، وابن حبان (كتاب الرقائق، رقم ٨٩٣)، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٨٥٦) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/٢٣٣) [مؤسسة غراس، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٣٦٥) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٣) بدائع الفوائد (١/٢٨٢) [دار عالم الفوائد، ط١].

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٥٧).

(٥) فقه الأسماء الحسنى (٢٩٩ ـ ٣٠١). وانظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى (٣/٨٥ ـ ٨٨) =

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.
٢ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.
٣ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيم.
٤ ـ «الحجة في بيان المحجة»، للأصبهاني.
٥ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.
٦ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم.
٧ ـ «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.
٨ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.
٩ ـ «النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى»، لحمود النجدي.
١٠ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

المُنْعِم

التعريف لغةً:

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ: «النون والعين والميم فروعه كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة إلى أصل واحد، يدل على ترفُّه، وطيب عيش، وصلاح؛ منه النعمة: ما ينعم الله تعالى على عبده به من مال، وعيش»[(١)].

المُنْعِم: اسم فاعل من الإنعام، مأخوذ من: (نَعِم) الدَّال على الترفه وطيب العيش وصلاحه، والنِّعمة: ما ينعم الله به على عباده من مال وعيش وحالة حسنة، والنَّعمة التنَّعُم، ونِعَم الله وأنْعُمه: عطاياه، وأنعم ينْعِم إنعامًا فهو منعم: أوصل الإحسان إلى غيره، والمنَعَّم: كثير المال حسن الحال[(٢)].

التعريف شرعًا:

المنعم: المتفضل والمحسن إلى عباده، بجميع النعم، بواسطة، وبغير واسطة[(٣)].

الحكم:

لم يثبت أن المنعم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن يخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ أنه هو المنعم، المتفضل على عباده، فلا تسوغ تسمية الله عَزَّ وَجَلَّ بالمنعم، أو دعاؤه به، أو

= [مكتبة الذهبي، ط٢، ١٤١٧هـ].

(١) مقاييس اللغة (٥/٤٤٦) [دار الجيل، ط١٤٢٠هـ].
(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/٩ ـ ١١) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، ومقاييس اللغة (١٠٣٥) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ]، والصحاح (٥/٢٠٤١ ـ ٢٠٤٣) [دار العلم للملايين، ط٤]، ومفردات ألفاظ القرآن (٨١٤، ٨١٥) [دار القلم، ط٢، ١٤١٨]، والقاموس المحيط (١٥٠٠، ١٥٠١) [مؤسسة الرسالة، ط٥]، والمعجم الوسيط (٢/٩٣٥) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٣٢، ١٠/٨٤) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١٤٢٥هـ].

التعبيد به فيقال: عبد المنعم؛ لعدم ثبوت النص في كونه اسمًا لله ﷻ.

الحقيقة:

المنعم: هو الله تعالى وحده لا شريك له، وهو المتفضل المحسن على عباده، ويمتنع أن يكون المخلوق مكافئًا له، أو متفضلًا عليه؛ بل ولا يزال الله هو المنعم المتفضل، وما من نعمة في الخلق فمنه وحده تعالى فضلًا وجودًا(١).

الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥].

وأما في السُّنَّة فقد ورد بصيغة الفعل؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألم تروا إلى ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون: الكواكب وبالكواكب**»(٢).

وقد ورد في اسم المنعم حديث لا يصح: عن التابعي حبيب بن أبي ثابت، قال: حدثنا شيخ لنا: أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءه شيء يكرهه قال: «الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه شيء يعجبه قال: الحمد لله المنعم المفضل الذي بنعمته تتم الصالحات»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإن العبد يدعوه إلى عبادة الله داعي الشكر، وداعي العلم؛ فإنه يشهد نعم الله عليه، وذاك داع إلى شكرها، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، والله تعالى هو المنعم، المحسن، الذي ما للعباد من نعمة فمنه وحده»(٤).

وقال أيضًا: «والله سبحانه وتعالى هو المنعم، المحسن إلى عبده بالحقيقة، فإنه المتفضل بجميع النعم، وإن جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط، ومسبب الأسباب»(٥).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فيقال: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ أي: أنت وحدك المنعم، المحسن، المتفضل بهذه النعمة»(٦).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٤١، ٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ٧٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الدعاء، رقم ٢٩٥٥٤)، وأبو داود في المراسيل (٣٥٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والطبراني في كتاب الدعاء (٥٠١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٢١٥) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، وقال أبو داود: روي متصلًا، وفيه أحاديث ضعاف، ولا يصح.

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/ ٨٤).

(٦) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٦، ٤٢٧) [دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٢٧هـ].

الأقسام:

إنعام الله تعالى على خلقه ينقسم إلى قسمين ظاهرين(١):

القسم الأول: الإنعام المطلق: وهو مختص بأهل الإيمان، لا يشركهم فيه سواهم، وهو المتصل بسعادة الأبد، وبالنعيم المقيم، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء].

القسم الثاني: مطلق الإنعام: وهو النعمة العامة المشتركة للخليقة كلهم، برّهم وفاجرهم، ومؤمنهم، وكافرهم، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨]، وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾ [النحل].

الآثار:

إن هذا الاسم مستلزمٌ لتتابع نعم الله تعالى على عباده؛ بحيث لا يستطيع أحدٌ منهم أن يُكافىء نعمه أبدًا، لا أقلَّها؛ ولا أدنى نعمةٍ من نِعَمِه، فإنه تعالى هو (المُنعم) المتفضِّل الخالق للشكر والشاكر وما يشكر عليه.

وصنوف نِعَم الربِّ المُنعم سبحانه وتعالى لا يُحصيها أهلُ سماواته ولا أهلُ أرضه.

(١) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٤٢٦، ٤٢٧).

فعلى العبد أن يجتهد في شكر هذه النعم، وذلك بامتثال ما أمر الله عز وجل به، واجتناب ما نهى عنه وزجر(٢).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات» (ج١)، للبيهقي.

٢ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج٢)، لابن تيمية.

٣ ـ «بدائع الفوائد» (ج١)، لابن القيم.

٤ ـ «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، لابن تيمية.

٥ ـ «التوحيد» (ج٢)، لابن منده.

٦ ـ «شفاء العليل» (ج١)، لابن القيم.

٧ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.

٨ ـ «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية.

٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١، ٤، ٨)، لابن تيمية.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٨هـ]، وشفاء العليل (١/ ٣٤٥) [مكتبة العبيكان، ط١]، ورسالة في وجوب اختصاص الخالق بالعبادة لابن تيمية ـ ضمن مجموع الفتاوى (١/ ٤٢، ٤٣)، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٠٥) [مكتبة لينة، ط١، ١٤١٢هـ]، وتفضيل الناس على سائر الأجناس لابن تيمية ـ ضمن مجموع الفتاوى (٤/ ٣٦١)، ومجموع الفتاوى له (٨/ ٢٢٤، ٢٢٥)، والتحفة العراقية له (٤٥٠) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢١هـ]، واقتضاء الصراط المستقيم له (٢/ ٧٨٥، ٧٨٦) [مكتبة الرشد، ط٤، ١٤١٤هـ].

١٠ ـ «مدارج السالكين» (ج٢)، لابن القيم.

١١ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

منكر ونكير

التعريف لغةً:

منكر ونكير: النَّكْرُ والنَّكارَةُ والنَّكْراءُ، بالفتح في الكل، والنُّكْرُ بالضم: الدّهاء والفطنة، ونعت للأمر الشديد، والنَّكيرُ: اسم للإنكار الذي معناه: التغيير، والنَّكِير: الإنكار، وهو الجحود[١].

التعريف شرعًا:

منكر ونكير: اسم للملكين الموكلين بفتنة القبر وسؤال الناس في قبورهم[٢].

الأسماء الأخرى:

يطلق عليهما: ملائكة السؤال، وكذا الفتّانان.

الحكم:

وجوب الإيمان بما وردت به النصوص الشرعية من منكر ونكير، وسؤالهم الميت في قبره، وما يتبع ذلك من الفتن[٣].

الأدلة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنْكَرُ، والآخر: النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟..**»[٤].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم في المرابط يموت: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفَتَّان**»[٥].

وقد نقل أهل العلم إجماع أهل السُّنَّة على ذلك، قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «**إنكم تفتنون في قبوركم**»[٦] فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السُّنَّة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئًا، ولا ينكره

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٩/ ٢١٠) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، والصحاح (٣/ ٤٠١) [دارالعلم للملايين، ط٤]، والقاموس المحيط (٦٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ]، وتاج العروس (١٤/ ٢٨٧) [دار الهداية]، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٤٠) [دار الفكر].

(٢) راجع الروح لابن القيم (٥٧) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: المرجع السابق.

(٤) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٧١) وحسنه، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٧)، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٩١).

(٥) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩١٣).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب العلم، رقم ٨٦)، ومسلم (كتاب الكسوف، رقم ٩٠٥).

إلا أهل البدع»[١].

۞ أقوال أهل العلم:

وهذا المعتقد ثابت بالتواتر والإجماع، قال ابن عبد البر: «وأما قوله: «**إنكم تفتنون في قبوركم**» فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السُّنَّة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيمان والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلفون فيه شيئًا، ولا ينكره إلا أهل البدع»[٢].

وقال ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة»[٣].

۞ المسائل المتعلقة:

ـ عدد ملائكة السؤال:

تنوعت الروايات الحديثية الصحيحة في ذكر عدد ملائكة السؤال، فروايات جاء فيها أن الإنسان يأتيه ملك[٤]، وفي روايات: يأتيه ملكان[٥]، وفي بعضها: يأتيه آت[٦]، أو يؤتى، أو يُسأل، أو يقال له دون ذكر للملك أو الملكين[٧].

ولا تعارض بين روايات «ملك» و«ملكين» والحمد لله؛ بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص، فرب شخص يأتيه ملكان فيسألانه في آن واحد عند انصراف الناس؛ لتكون الفتنة في حقه أشد وأعظم، بحسب ما اقترف من الآثام، ورب شخص يأتيانه متفرقين، فيأتيه أحدهما قبل انصراف الناس عنه، ويأتيه الآخر بعد انصرافهم عنه؛ لتكون الفتنة في حقه أخف وأقل لما عمله من صالح الأعمال، ويحتمل أن يأتيه الملكان معًا، ويكون السائل أحدهما، فتحمل رواية مجيء الملك الواحد على هذا، وكذا يقال في الروايات التي جاءت بنحو: «يأتيه آت»، أو: «يؤتى»[٨].

(١) الاستذكار لابن عبد البر (٢/ ٤٢٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، والتمهيد له (٢٢/ ٢٤٧) [وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ].

(٢) الاستذكار لابن عبد البر المالكي (٢/ ٤٢٣)، والتمهيد له (٢٢/ ٢٤٧).

(٣) الروح (٥٢).

(٤) أخرج هذه الرواية: أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥١)، وأحمد (٢١/ ١١٩) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححها الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٩٣٠).

(٥) أخرجها البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٠).

(٦) أخرجه أحمد (٣٠/ ٥٧٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٩٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢١٩) [مكتبة المعارف، ط٥].

(٧) انظر: رسائل الآخرة (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٩٢).

(٨) انظر: التذكرة (١٢٨، ١٢٩) [دار قباء للنشر]، وشرح الصدور (١٩٨) [دار ابن كثير، ط٢، ١٤١٣هـ]، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٧) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، ورسائل الآخرة (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٩٢).

ولا يصح القول بأن القائم على فتنة القبر ثلاثة أو أربعة؛ إذ لا دليل عليه[(١)].

ولا يصح تسمية ملائكة الفتنة بناكور، ورومان، ومبشر، وبشير؛ إذ لا دليل عليها[(٢)].

مذهب المخالفين:

خالفت المعتزلة؛ إذ قالت بالمجاز، والرافضة والباطنية؛ إذ قالت بالتأويل الباطني.

وكلاهما مجانب الصواب، إذ تأولا المنكر والنكير بما يقتضي التحريف، ولمخالفتهما ظاهر النص، ولكون النبي ﷺ قد فسَّر المراد بالمنكر والنكير، وكل قول بعد قوله فضلال.

قال إمام أهل السُّنَّة أحمد بن حنبل لما سئل عن عذاب القبر ومنكر ونكير: «نؤمن بهذا كله، ومن أنكر واحدة من هذه فهو جهمي»[(٣)].

ويلحق بهؤلاء: المخالفون في عذاب القبر والذي ينكرونه، فلا شك أنهم ينكرونه إجمالًا وتفصيلًا.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستذكار»، لابن عبد البر.

٢ ـ «تأويل مختلف الحديث»، لابن قتيبة.

٣ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.

٤ ـ «التمهيد»، لابن عبد البر.

٥ ـ «الروح»، لابن القيم.

٦ ـ «شرح الصدور»، للسيوطي.

٧ ـ «عمدة القاري»، للعيني.

٨ ـ «الفتاوى الحديثية»، لابن حجر الهيتمي.

٩ ـ «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي.

١٠ ـ «لوامع الأنوار البهية»، للسفاريني.

١١ ـ «المسائل والرسائل المروية عن

(١) انظر: الآثار الواردة في ذلك في الموضوعات لابن الجوزي (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٤٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٧هـ]، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٢/ ٤٣٦، ٤٣٧) [دار المعرفة].

(٢) انظر: اللآلئ المصنوعة (٢/ ٤٣٧)، وتنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (٢/ ٣٧٢) [دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠١هـ]، وشرح الصدور (٢٠٠).

(٣) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ١٧٧) [دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ]، والروح لابن القيم (٥٧، ٥٨) [دار الكتب العلمية]، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ١٤٩، ١٥٩، ١٦٠) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، ورسائل الآخرة (٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٩).

وانظر في أقوال الطوائف: معالم الدين (١٧٢) [وزارة التراث القومي والثقافة، ط١٤٠٧هـ]، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (١١٢) [عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م]، ومنهج الطالبين (٥١٨)، وعقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٤١٦) [مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٤هـ]، والإسماعيلية المعاصرة (٩٥) [ط١، ١٤١٤هـ]، والإسماعيلية تاريخ وعقائد (٤٥٣، ٤٥٧، ٤٥٨) [إدارة ترجمان السُّنَّة، ط١، ١٤٠٦هـ].

الإمام أحمد في العقيدة»، لعبد الله الأحمدي.

المهاجرون

يراجع مصطلح (الصحابة).

المَهدي

التعريف لغةً:

الهدى ضد الضلال وهو الرشاد، **والمَهدي**: الذي قد هداه الله إلى الحق[1]، وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشَّر به النبي، أنه يجيء في آخر الزمان[2].

التعريف شرعًا:

رجل من آل بيت النبي ﷺ، يخرج في آخر الزمان، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، يقاتل على السُّنَّة، لا يترك سُنَّة إلا أقامها، ولا بدعة إلا رفعها، وتنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها، ويعطي المال بغير عدد، ويصلي عيسى ابن مريم ﷺ خلفه عند نزوله من السماء[3].

سبب التسمية:

سمي بالمهدي؛ لأنه مهتدٍ في نفسه، ويهدي الناس إلى طريق الحق بإذن الله تعالى.

الحكم:

الإيمان بخروج المهدي واجب، فخروجه ثابت بأدلة صحيحة ومعتبرة عند أهل السُّنَّة والجماعة. قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «الإيمان بخروج المهدي واجب، كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السُّنَّة»[4].

الحقيقة:

محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي، من ذرية فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ كما دلَّ عليه حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»[5]. وذهب آخرون أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها، ثم من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ قال ابن القيم:

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١٠٢٧) [دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٩هـ]، ولسان العرب (١٥/ ٣٥٣) [دار صادر، ط٣].

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥/ ٣٥٤).

(٣) ينظر: النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ٢٤ ـ ٣٢) [دار الكتب الحديثة، ط١]، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٥) [المكتب الإسلامي، دار أسامة].

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

(٥) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٤) واللفظ له، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٦)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٢)، وقال البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٣٤٦) [دائرة المعارف العثمانية]: في إسناده نظر.

«وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سُنَّة الله في عباده أنه من ترك لأجله شيئًا أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه؛ فإنه حرص عليها وقاتل عليها فلم يظفر بها والله أعلم»[١]. إلا أنه لم يثبت فيه حديث صحيح في أنه من ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

الأدلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، ويعيش سبعًا أو ثمانيًا؛ يعني: حججًا»**[٢].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع، وإلا فتسع، فتنعم فيه أمتي نعمة، لم ينعموا مثلها قط، تؤتى أكلها ولا تدخر منهم شيئًا، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل، فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ»**[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»**، وفي رواية: **«يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»**[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف[٥]، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، يملك سبع سنين»**[٦].

وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو لم يبق من الدهر إلا يوم؛ لبعث الله رجلًا من أهل بيتي يملأها عدلًا كما**

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١٥١) [مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٣هـ].

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب الفتن، رقم ٢٢٣٢) وحسنه، وابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٣)، وأحمد (١٧/ ٢٥٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٣) واللفظ له، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٢٨، رقم ٧١١).

(٣) هو الحديث السابق نفسه، وهذا لفظ ابن ماجه.

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٢)، والترمذي (أبواب الفتن، ٢٢٣٠) وقال: حسن صحيح، وأحمد (٦/ ٤٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٧٢٧٥).

(٥) أجلى الجبهة؛ أي: خفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته. وأقنى الأنف؛ أي: طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحدب في وسطه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٦٢، ٧٧٥) [دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ].

(٦) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٥) واللفظ له، وأحمد (١٧/ ٢٠٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٨هـ]، وابن حبان (كتاب التاريخ، رقم ٦٨٢٦)، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٧٣٦).

ملئت جورًا»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟**»[(٢)]، وجاء في حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**»[(٣)].

أقوال أهل العلم:

قال أبو الحسن الآبري: «قد تواترت الأخبار واستفاضت وكثرت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروجه، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام؛ فيساعده في قتل الدجال بباب لُدّ بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه»[(٤)].

وقال السفاريني: «والصواب الذي عليه أهل الحق: أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة حتى عد من معتقداتهم... وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعه العلم القطعي. فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدوَّن في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة»[(٥)].

وقال صديق حسن خان: «الأحاديث الواردة في المهدي، على اختلاف رواياتها، كثيرة جدًّا، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد... وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور

(١) أخرجه أبو داود (كتاب المهدي، رقم ٤٢٨٣)، وأحمد (٢/ ١٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، ومن طريقه الضياء في المختارة (٢/ ١٧٢) [دار خضر، ط٣]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٥٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٩)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٥).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: الحارث بن أسامة في مسنده، كما ذكر ابن القيم في المنار المنيف (١٤٧، ١٤٨) [مكتب المطبوعات الإسلامي، ط١]، وقال: «هذا إسناد جيد». قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٢٧٦، رقم ٢٢٣٦) [مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ]: «وهو كما قال ابن القيم رحمه الله: فإن رجاله كلهم ثقات، من رجال أبي داود».
والحديث رواه مسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٥٦) من دون ذكر المهدي، قال الشيخ محمد صديق خان عن حديث مسلم: «ليس فيه أيضًا ذكر المهدي؛ ولكن لا مَحْمَل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر» اهـ. ينظر الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٨٠، ١٨١) [دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) نقله عنه السخاوي في القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٧٩) [أضواء السلف، ط١].

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

رجل من أهل البيت النبوي، يؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسمى بالمهدي»[(١)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: وقت خروجه ومكانه:

يخرج المهدي من جهة الشرق، كما دلَّ عليه حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل من خراسان فأتوها، فإن فيها خليفة الله المهدي**»[(٢)]. قال ابن كثير: «يخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق»[(٣)]. ويكون وقت خروجه قبل عيسى عليه السلام ويعاصره، ويشهد مقتل الدجال[(٤)]، كما دلَّ عليه حديث جابر رضي الله عنه السابق ذكره، قال: قال رسول ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**»[(٥)]. قال ابن حجر الهيتمي: «خروج المهدي قبل نزول عيسى هو الحق. وأما ما قيل: إنه بعد نزوله فبعيد، والأحاديث ترد على قائله فلا ينظر إليه»[(٦)]. ولم يثبت تحديد وقت خروجه بشهر أو بعام، قال صديق حسن خان: «لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان، من غير تعيين لشهر وعام»[(٧)].

- المسألة الثانية: شريعة المهدي:

المهدي لا يأتي بشريعة جديدة بل يحكم بشريعة الإسلام متبعًا لنبيِّنا محمد ﷺ، كما دلَّت عليه الأحاديث السابق ذكرها، ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟**»[(٨)]، وحديث جابر رضي الله عنه

(١) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٤٩، ١٥٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٤)، وأحمد (٣٧/ ٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، والبزار (١٠/ ١٠٠) [مكتبة العلوم والحكم، ط١]، والحاكم (كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٤٣٢) وصححه، وصحح إسناده البزار أيضًا، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٠٤) [دار العربية، ط٢].

(٣) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ٢٩). وينظر: المنار المنيف (١٥٢).

(٤) ينظر: القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة (٧٨)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤ ـ ٨٦)، والبحور الزاخرة (١/ ٤٧٠) [دار غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٨٠) [دار الصحوة، ط١]، وينظر البحور الزاخرة (١/ ٤٦٩).

(٧) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٨٢).

(٨) تقدم تخريجه.

قال: قال رسول ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا. فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة**»[(١)]، فصلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي لبيان أن عيسى عليه السلام نزل متبعًا لنبيِّنا محمد ﷺ حاكمًا بشريعته ﷺ.

- المسألة الثالثة: الضوابط التي يُعرف بها المهدي، في ضوء الأحاديث السابق ذكرها:

١ ـ تطابق اسم المهدي مع اسم النبي ﷺ كما دلَّ عليه حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تذهب أو تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**»، وفي رواية: «**يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي**»[(٢)].

٢ ـ أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها ابنة النبي ﷺ، كما دلَّ عليه حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: «**المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»[(٣)].

٣ ـ أن تنطبق عليه الصفات الخَلقية الواردة التي قالها فيه الرسول ﷺ: «**المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف**»[(٤)].

٤ ـ المهدي يصلحه الله عز وجل في ليلة، كما دلَّ عليه حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**»[(٥)]. وقد اختلف العلماء في المراد بصلاح المهدي في ليلة، هل معناه: أنه يصلحه في أمر دينه ولم يكن صالحًا؟ أو أنه يصلحه لأمر الولاية وإمارة الناس؟ والأظهر هو الثاني؛ أي: أن الله يصلح المهدي في ليلة لإمارة الناس، ويمن الله عليه بصفات تؤهله لقيادة المسلمين، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل؛ حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها[(٦)]. والقول بأنه كان عاصيًا فيهديه الله في ليلة لا يستقيم وقيادة الناس بعلم شرعي مؤصل؛ وذلك أن المهدي يحكم بينهم ويفتيهم، ويفصل بينهم في خصوماتهم، ويقودهم في

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن، رقم ٤٠٨٥)، وأحمد (٢/ ٧٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وأشار العقيلي إلى ضعفه في الضعفاء (٤/ ٤٦٥) [دار المكتبة العلمية، ط١]، وقال البوصيري: (هذا إسناد فيه مقال). مصباح الزجاجة (٢/ ٢٠٤) [دار العربية، ط٢].
(٦) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٦٠) [دار الآثار، ط١، ١٤٢٨هـ]، والمهدي وفقه أشراط الساعة (٣٦) [دار بلنسية، الدار العالمية، ط١، ١٤٢٣هـ].

القتال؛ وهذا العلم لا يجتمع في ليلة؛ إلا أن يكون وحيًا، والوحي للأنبياء فقط[(١)].

٥ ـ يظهر وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملأها قسطًا وعدلًا، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفيه: «**يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا**»[(٢)].

٦ ـ أنه يقسم المال بين المسلمين بالعدل والسوية، ويكثر الخير في عهده، ويصلح حال الأمة، كما دلَّ عليه حديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة**»[(٣)].

مذهب المخالفين:

تزعم الرافضة أن المهدي هو المحبوس في غار في سامراء من عام (٢٦٠هـ) حتى الآن، وأنه هو الذي سيخرج آخر الزمان. قال ابن كثير: «ليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض وترتجي ظهوره من سرداب في سامراء، فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر»[(٤)]. وقال: «يخرج المهدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما تزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سُنَّة، ولا من معقول صحيح ولا استحسان»[(٥)].

كما أن بعض العلماء من أهل السُّنَّة أنكروا وجود المهدي لعدم ثبوت الأدلة عندهم[(٦)]؛ وهذا لا حجة لهم فيه؛ إذ إن أحاديث المهدي ثابتة وصحيحة، وقال ابن تيمية رحمه الله: «إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم»[(٧)].

(١) ينظر: نهاية العالم أشراط الساعة الصغرى والكبرى (١٩٠) [دار التدمرية، ط٨، ١٤٣١هـ].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ٢٤).

(٥) النهاية أو الفتن والملاحم (١/ ٢٩). وينظر: المنار المنيف (١٥٢).

(٦) ينظر: مجموعة رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود (٣/ ٤٩٣ وما بعدها) [العبيكان، ط١، ١٤٢٧هـ]، وتفسير المنار (٩/ ٤٩٩) [دار المعرفة، ط٢].

(٧) منهاج السُّنَّة (٨/ ٢٥٤) [جامعة الإمام، ط١]، وينظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٣٢، ٣٣).

وروي عن مجاهد بن جبر[١]، وعن الحسن البصري[٢]؛ أن المهدي هو عيسى عليه السلام، وهذا غير صحيح، وما روي عنهما لم يصح إسناده إليهما. قال السفاريني: «والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة حتى عد من معتقداتهم...»[٣].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر»، لحمود بن عبد الله التويجري.

٢ ـ «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة»، لمحمد صديق خان.

٣ ـ «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان»، لعلي حسام المتقي الهندي.

٤ ـ «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها» (ج٥)، لعثمان بن سعيد الداني.

٥ ـ «عقد الدرر في أخبار المنتظر»، ليوسف السلمي.

٦ ـ «القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط»، للسخاوي.

٧ ـ «كتاب الفتن» (ج١)، لنعيم بن حماد المروزي.

٨ ـ «لوامع الأنوار البهية» (ج٢)، للسفاريني.

٩ ـ «المنار المنيف»، لابن القيم.

١٠ ـ «المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة»، لعبد العليم عبد العظيم البستوي.

١١ ـ «الموسوعة في أحاديث المهدي»، لعبد العليم عبد العظيم البستوي.

المُهَيْمِن

التعريف لغةً:

قال ابن فارس: «الهاء والميم والنون ليس بشيء، فأما المهيمن وهو الشاهد، فليس من هذا، إنما هو من باب أمن، والهاء مبدلة من همزة»[٤]. والمُهَيْمِن

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٥/١٩٨) [الدار السلفية، ١٣٩٩هـ]، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف كثير الاضطراب، وكان قد اختلط ولم يميز، فترك حديثه. ينظر كتاب: الموسوعة في أحاديث المهدي (١٧٨) [المكتبة المكية، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٢) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن (١/٣٧٤) رقم (١١٠٨)، و(١/٣٧٦) رقم (١١١٩). ونعيم بن حماد لا يحتج به، وراوي كتابه عنه ضعيف أيضًا، وفيه علل أخرى. تنظر في كتاب الموسوعة في أحاديث المهدي (١٧٥، ١٧٦).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/٨٤).

(٤) مقاييس اللغة (٢/٦١٢) [دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ].

اسم فاعل من الهيمنة، مأخوذ من الفعل هيمن يهيمن هيمنة فهو مهيمن؛ إذا سيطر وصار رقيبًا وحافظًا وشاهدًا على الشيء.

وجاء من معاني المهيمن في اللغة: الأمين[(١)].

وقال الجوهري: «المهيمن: الشاهد، وهو من آمن غيره من الخوف، وأصله أَأْمَنَ مُؤَأْمِنٌ، بهمزتين، قُلِبَتْ الهمزة الثانية ياء كراهية لاجتماعهما، فصار مُؤَيْمِنٌ، ثم صُيِّرت الأولى هاء، كما قالوا: أراق الماء وهراقه»[(٢)].

التعريف شرعًا:

المهيمن: اسم من أسماء الله ﷻ دالٌّ على إحاطته سبحانه بكل شيء وسيطرته عليه، وأنه الرقيب الشهيد على كل شيء والحافظ لكل شيء، والأمين على أعمال خلقه فلا يضيع منها شيئًا.

الحكم:

يجب الإيمان بهذا الاسم: المهيمن، وما دلَّ عليه من صفة الهيمنة؛ لدلالة القرآن الكريم عليها، ويجب إثبات ذلك لله تعالى كما يليق بجلاله وكبريائه وعظمته ﷻ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل.

الحقيقة:

المهيمن: المُطَّلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا، وهو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل. فهذا الاسم الكريم لربنا ﷻ قد أورد أهل العلم له عدة تفسيرات، **فقيل إن معناه**:

- الرقيب الحافظ[(٣)].

- الشاهد أو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل[(٤)].

- الأمين، وذلك أن أصله مؤيمن، قلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخف من الهمزة، فالله ﷻ هو الأمين على أفعال خلقه، فلا ينقص المثيب من ثوابه، ولا يزيد العاصي من العقاب على قدر معصيته[(٥)].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤) [الدار المصرية، ط١، ١٣٨٧هـ]، والصحاح (٥/ ٢٠٧١، ٦/ ٢٢١٧، ٢٢١٨) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، والقاموس المحيط (١٦٠٠) [مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٦هـ]، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٠٥) [دار الدعوة، ط٢، ١٩٧٢م].

(٢) الصحاح (٦/ ٢٢١٧، ٢٢١٨).

(٣) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، وشأن الدعاء (٤٦) [دار الثقافة، ط٣، ١٤١٢هـ]، والأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٨) [مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣هـ]، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٣٤٧) [دار الكتب العلمية، ط١].

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ]، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، وشأن الدعاء (٤٦)، واشتقاق أسماء الله (٢٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ].

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٠٤)، وتفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (٣٢)، واشتقاق أسماء الله (٢٢٨)، =

ـ المصدّق[1].

الأدلة:

ورد اسم المهيمن في القرآن مرةً واحدةً في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

أقوال أهل العلم:

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] قال: «الشهيد»، وقال مرة أخرى: «الأمين»[2].

قال البيهقي: «المهيمن: هو الشهيد على خلقه بما يكون منهم من قول أو عمل، وهو من صفات ذاته، وقيل: هو الأمين، وقيل: هو الرقيب على الشيء والحافظ له»[3].

وقال ابن الأثير: «في أسماء الله تعالى (المهيمن): هو الرقيب، وقيل: الشاهد، وقيل: المؤتمَن، وقيل: القائم بأمور الخلق»[4].

وقال السعدي: «المهيمن: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علمًا»[5].

المصادر والمراجع:

١ ـ «الأسماء والصفات»، للبيهقي.

٢ ـ «أسماء الله الحسنى: جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لماهر مقدم.

٣ ـ «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، للقرطبي.

٤ ـ «الاعتقاد والهداية»، للبيهقي.

٥ ـ «الجواب الصحيح»، لابن تيمية.

٦ ـ «شأن الدعاء»، للخطابي.

٧ ـ «صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب والسُّنَّة»، لعلوي بن عبد القادر السقاف.

٨ ـ «فقه أسماء الله الحسنى»، لعبد الرزاق البدر.

= وشأن الدعاء (٤٦)، والمنهاج في شعب الإيمان (١/٢٠٢، ٢٠٣) [دار الفكر، ط١]، والأسماء والصفات (١/١٦٦ ـ ١٦٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٣٠٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وحقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود، ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٢٧٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ط١، ١٤١٦هـ]، والرد الأقوم على ما في فصوص الحكم، ضمن مجموع الفتاوى (٢/٤٢٨)، الجواب الصحيح (٢/٢٧٢، ٤٢٨) [دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٤هـ].

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/٧٩٨٢، رقم ٣٣٧٧٦) [دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٢٩هـ] وإسناده حسن، كما في التفسير الصحيح (٤/٤٧٠) [دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ].

(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (٤٢) [رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/٢٧٥) [المكتبة العلمية، بيروت].

(٥) تفسير السعدي (٥/٦٢٤)، ملحق في آخر الجزء بعنوان: أصول وكليات من أصول التفسير وكلياته [مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط٢، ١٤١٢هـ].

٩ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

١٠ ـ «معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى»، للتميمي.

موانع التكفير

يراجع مصطلح (التكفير).

الموت

التعريف لغةً:

ذهاب القوة من الشيء، قال ابن فارس: «الميم والواو والتاء أصل صحيح يدل على ذهاب القوة من الشيء، ومنه الموت خلاف الحياة»[(١)].

فالموت إذن: ضد الحياة وخلافها[(٢)].

التعريف شرعًا:

الموت: مفارقة الروح الجسد كليًّا بالموت أو جزئيًّا بالنوم[(٣)].

الأسماء الأخرى:

الموت، والحتف، والمنون، والسام، والحِمام، والرَّدى، والحين، والوفاة، والهلاك[(٤)]، ويسمَّى: الساعة الصغرى، والقيامة الصغرى[(٥)].

الحكم:

الإيمان بالموت واجب.

الحقيقة:

الاعتقاد الجازم بأن الموت أمر وجودي يقابل الحياة، واعتقاد أن الموت الشرعي مفارقة الروح الجسد مع بقائها بعده، وأنها لا تفنى ولا تبلى بفنائه، والتصديق بكل ما جاءت به النصوص من الأمور المتعلقة به.

قال القرطبي: «قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار، والحياة عكس ذلك»[(٦)].

وقال الحافظ ابن حجر: «ولا يلزم

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغه (٥/ ٢٨٣) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ].

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٢٠٦)، والمصباح المنير للفيومي (٢/ ٥٨٤) [دار الكتب العلمية].

(٣) انظر: فتح الباري (٢/ ٦٧) [دار المعرفة]. وراجع: التذكرة للقرطبي (٤)، والروح لابن القيم (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٤) انظر: الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة (١/ ٢٣٢) [دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ]، ومقاييس اللغة (٢/ ١٣٥) [دار الجيل، ط٢، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (٤/ ٢٥٧) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٥) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٦٤) [دار المعرفة]، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٤٠٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ]، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/ ٥٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ]، وروح المعاني (٧/ ١٤١) [دار إحياء التراث العربي].

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٧٧) [دار الشعب].

من قبض الروح الموت، فالموت انقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهرًا وباطنًا، والنوم انقطاعه عن ظاهره فقط»[(١)].

الأدلة:

دلَّ على الموت كأمر وجودي مخلوق قول الحق تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك].

وقوله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة...، فيذبح**» الحديث[(٢)]، والناس يعرفونه يوم القيامة، وموطن ذبحه الصراط؛ لقوله ﷺ: «**يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم ربنا، هذا الموت، ثم يقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الموت، فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين كليهما: خلود فيما تجدون لا موت فيه أبدًا**»[(٣)].

وفي الموت الذي تفارق فيه الروح الجسد قال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ [عبس].

وقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان**»[(٤)].

وفي الموت الذي هو بمعنى النوم قال ﷺ: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[(٥)].

وقد جاء الجمع بين الموتتين في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر].

---

(١) فتح الباري (٢/ ٦٧) [دار المعرفة].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٣٠)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٤٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٢٧)، وأحمد (٣/ ٧٧) [دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ]، وجوَّد المنذري إسناده في الترغيب والترهيب (٤/ ٣١٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، وأورده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣/ ٤٠٧) [مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٧هـ] وقال: «حسن صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣٢٠١)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ١٠٢٤)، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٩٨)، وأحمد (١٤/ ٤٠٦) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٣٢٦) وصححه، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (١/ ٥٢٧) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ].

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣١٢).

وفي قوله ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه... ثم يقول: باسمك ربِّ وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»(١).

فالإمساك في الموتة الكبرى والإرسال في الصغرى.

الأقسام:

ينقسم الموت باعتبار مفارقة الروح الجسد إلى قسمين:

الأول: موت كلي: وهو الوفاة الكبرى التي تفارق فيه الروح الجسد وتنفصل عنه بالكلية فيما نسميه الموت.

والثاني: موت جزئي: وهو الوفاة الصغرى التي تفارق فيه الروح الجسد وتنفصل عنه انفصالًا جزئيًّا فيما نسميه النوم وما أشبه ذلك.

وعليه فحقيقة الموت هنا، مفارقة الروح الجسد كليًّا بالموت أو جزئيًّا بالنوم(٢).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: الموت مخلوق وجودي يذبح يوم القيامة بعد استقرار أهل الدارين في داريهما.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك]، قال ابن كثير: «استدل بهذه الآية من قال: إن الموت أمر وجودي؛ لأنه مخلوق»(٣).

وتقدم أنه يؤتى به يوم القيامة على صورة كبش ويذبح.

وقد فسَّر الفزع الأكبر في قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] بتفاسير؛ أحدها: أنه ساعة ذبح الموت(٤).

وكذا فسر يوم الحسرة في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم]، بأنه ساعة ذبح الموت على رأي الجمهور(٥).

- المسألة الثانية: هل الموت للروح والبدن؟

ذكر بعض أهل العلم أن الموت للروح والبدن سواء، وذهب آخرون إلى أن الموت للبدن والروح باقية، وذكر ابن القيم رحمه الله: أن موت النفوس إن أريد به مفارقتها لأجسادها وخروجها منه، فالأرواح ذائقة الموت، وإن أريد أن

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٢٠)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٧١٤).

(٢) انظر: موسوعة الروح (١/١١٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٩٧) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/٤٧٣) [دار الكتب العلمية]، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/٣٣٩) [دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ].

(٥) انظر: تفسير ابن عطية (٤/١٧) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ]، وعمدة القاري (١٩/٢٨٣) [دار إحياء التراث العربي].

الروح تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية في البرزخ إما في نعيم وإما في عذاب[(١)].

ومما يدل على ذلك كقوله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيُقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**إنما نسمة المسلم طير تعلق[(٣)] في شجر الجنة، حتى يرجعها الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة**»[(٤)].

قال ابن تيمية: «الذي عليه الأنبياء وأتباعهم وجمهور العقلاء أن الروح تفارق البدن وتبقى بعد فراق البدن»[(٥)] في مقرها المعد لها.

أما الجسد فيفنى بالموت ويبلى إلا عَجْب الذَّنَب؛ لقوله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْب الذَّنَب، ومنه يركّب الخلق يوم القيامة**»[(٦)]، ويستثنى من ذلك أجساد الأنبياء لورود النص بأن أجسادهم محرمة على الأرض، كما في الحديث: «**أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة؛ فإن صلاتكم معروضة علي**». قالوا: كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرِمت؟ أي: بليت. فقال: «**إن الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[(٧)].

- **المسألة الثالثة: علامات الموت:**

جعل الفقهاء للموت علامات يعرف بها، ومنها: انقطاع نفس الميت، وانخساف صدغيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه، وانفصال كفيه، واسترخاء رجليه[(٨)].

(١) انظر: الروح (٣٤) [دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٧٩)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٦).

(٣) تعلق: تأكل. انظر: النهاية (٣/ ٢٨٩).

(٤) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٧٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٧١)، وأحمد (٢٥/ ٥٥) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز، رقم ٤٩) [دار الحديث، ط٢، ١٤١٣هـ]، وابن حبان (كتاب السير، رقم ٤٦٥٧)، وصححه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٦٤) [دار طيبة، ط٢]، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٩٤)، وقال عن إسناد أحمد: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٥) الجواب الصحيح (٣/ ٢٦٨).

(٦) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٩٥٥).

(٧) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٠٤٧)، والنسائي (كتاب الجمعة، رقم ١٣٧٤)، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنَّة فيها، رقم ١٠٨٥)، وأحمد (٢٦/ ٨٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الصلاة، رقم ١٦١٣)، وصححه النووي في الأذكار (١١٥) [دار الفكر، ١٤١٤هـ]، والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٥٢٧).

(٨) انظر: الأم (١/ ٢٧٤) [دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٣هـ]، والمغني في فقه الإمام أحمد (٢/ ١٦٢) [دار الفكر، ط١، ١٤٠٥هـ]، وشرح منتهى الإرادات (١/ ٣٤٣) [عالم الكتب، ط٢، ١٩٩٦م]، والخرشي =

ـ المسألة الرابعة: الموت علامة انتهاء الأجل:

لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، قال ابن كثير: «أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله، وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل].

فكل من مات فموته بسبب انتهاء أجله ليس غير.

والآيات الآنفة تبطل زعم المعتزلة أن الأجل يتقدم ويتأخر، وأن من قتل فإنما يهلك قبل أجله، وكذلك كلما ذبح من الحيوان كان هلاكه قبل أجله؛ لأنه يجب على القاتل الضمان والدية[(٢)].

ـ المسألة الخامسة: كراهة الموت فطرية:

فإنه لما قال ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**». قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «**ليس ذاك، ولكنَّ المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه**»[(٣)].

والمؤمن غالبًا لا يكره الموت إلا خوفًا من تقصير يؤاخذ به، أو طمعًا في خير يزداد منه، ومثل هذا يعذر صاحبه، بخلاف من كرهه لأجل متع الحياة وإيثارها على نعيم الآخرة فمذموم، قال التبريزي: «من كره الموت إيثارًا للحياة على ما بعد الموت من نعيم الآخرة كان مذمومًا، ومن كرهه خشية أن يفضي إلى المؤاخذة، كأن يكون مقصرًا في العمل لم يستعد له بالأهبة بأن يتخلص من التبعات، ويقوم بأمر الله كما يجب، فهو معذور، لكن ينبغي لمن وجد ذلك أن يبادر إلى أخذ الأهبة، حتى إذا حضره الموت لا يكرهه؛ بل يحبه لما يرجو بعده من لقاء الله»[(٤)].

= على مختصر سيدي خليل (٢/ ١٢٢) [دار الفكر].

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٩) [دار طيبة، ط٢].

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢٢٧) [دار إحياء التراث العربي].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٣).

(٤) مشكاة المصابيح (٥/ ٥٨٧).

- **المسألة السادسة: تمني الموت يجوز في حال دون حال:**

فيجوز تمني الموت في حال خوف الفتنة؛ لقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»[(١)].

ويدخل في ذلك: الخوف من الفتنة الدينية، ومثله ما جاء في تمني مريم عليها السلام الموت خوف قذفها بالفاحشة.

كما يجوز تمني الموت شهيدًا؛ لحديث: «**من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[(٢)].

ولا يجوز تمني الموت في حال الضر؛ لقوله ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بدَّ متمنيًا فليقل: اللَّهُمَّ أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»[(٣)]، لما في ذلك من منافاة للصبر والرضا بالقدر.

وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف]، فليس فيه تمني الموت؛ وإنما هو دعاء بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت ولا الموت الآن[(٤)].

ومثله قول السحرة بعد أن آمنوا لمّا أرادهم فرعون عن دينهم وهددهم بالقتل: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

- **المسألة السابعة: الاحتضار:**

الاحتضار: هو الساعة التي يكون فيها العبد في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا، وهو وقت حضور الموت، وقرب مفارقة الروح البدن.

وهو أحد مفردات الإيمان باليوم الآخر، التي تسبق الموت، وفيه تكون السكرات، والبشارات، وحضور الملائكة الموكلة باستلام الروح قبل نزعها.

وقد دلَّت النصوص الكثيرة عليه؛ منها: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٢٣٥)، وأحمد (٣٦/٤٢٢) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وقال البخاري والترمذي: حسن صحيح، كما ذكر الترمذي عقب إخراجه للحديث.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٩٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٥١)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٨٠).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٣٦٩) [المكتب الإسلامي، ط٤].

وهذا «حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت»(١).

وقد دلَّت السُّنَّة على ذلك، قال النبي ﷺ: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر**»(٢).

- المسألة الثامنة: أقسام الناس عند الاحتضار وتمايزهم في قبض الروح وخروجها:

جاء تقسيم الناس عند الاحتضار كما في آخر سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام: مقرَّبين، وأصحاب يمين، ومكذِّبين ضالين، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ [الواقعة].

قال ابن سعدي: «ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين في أول السورة في دار القرار، ثم ذكر أحوالهم في آخرها، عند الاحتضار والموت»(٣)، ثم ساق الآيات بتفسيرها.

وعليه؛ فيختلف قبض الأرواح وانتزاعها، وكيفية خروجها، وما ينالها بعد ذلك.

قال ﷺ: «**نفس المؤمن تخرج رشحًا، ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار**»(٤).

وقد جاءت السُّنَّة بالتفريق بين نزع روح المؤمن وروح الكافر وما يعقب ذلك، كما في قوله ﷺ: «**إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدّنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السّماء بيض الوجوه، كأنّ وجوههم الشّمس، معهم كفن من أكفان الجنّة، وحنوط من حنوط الجنّة، حتّى يجلسوا**

(١) تفسير الطبري (١٩/ ٦٩)، [مؤسسة الرسالة، ط١]. وانظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣٩)، [دار طيبة، ط٢].

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٧٥٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦٩) مختصرًا، وأحمد (٣٠/ ٤٩٩) [مؤسسة الرسالة، ط١] واللفظ له، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٣٧) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦١٩) و(٣/ ٩٠١) [المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ].

(٣) تفسير السعدي (٨٣٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٢٣٣) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وحسّنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٣) [مكتبة القدسي]، والألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ١٨٤).

منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ حتّى يجلس عند رأسه، فيقول: أيّتها النّفس الطّيّبة، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السّقاء. وإنّ العبد الكافر، إذا كان في انقطاع من الدّنيا، وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السّماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثمّ يجيء ملك الموت، حتّى يجلس عند رأسه، فيقول: أيّتها النّفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، قال: فتفرّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السّفّود من الصّوف المبلول»[(١)].

ـ المسألة التاسعة: إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار، وسؤال المغفرة والرحمة:

يتفكر المحتضر في سعة رحمة الله ومغفرته وعفوه؛ لقوله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله** عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)]، ففيه تغليب جانب الرجاء.

وفي هذا تحذير من القنوط، وحث على الرجاء عند الخاتمة، وقد جاء في الحديث الآخر قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[(٣)]، قال العلماء: معنى «حسن الظن بالله تعالى: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه.

قالوا: وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا، ويكونان سواء، وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضه؛ لأن مقصود الخوف: الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى، والإذعان له[(٤)].

ولا منافاة بين الحديث الآنف وحديث امتزاج الرجاء بالخوف الذي رواه أنس وفيه قال: «أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو بالموت، فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف**»»[(٥)].

فإن الحديث الأول فيه الحث الأكيد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب التوحيد، رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٧٥).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٥٦).

(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٨٣)، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٦١)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٣٥) [دار الكتب العلمية، ط١]، والألباني في أحكام الجنائز (٣) [المكتب الإسلامي، ط٤].

على إحسان الظن بالربِّ تعالى عند الموت، وهو يتضمن تغليب جانب الرجاء على الخوف عند الاحتضار، والله أعلم.

وقد استحسن بعض العلماء أن يُذكَّر المريض بسعة رحمة الله ولطفه وبرّه، ليحسن ظنه بربه؛ وكذا تلقينه محاسن عمله عند موته، لكي يحسن ظنه بربه(١)، كما فعل ابن عباس مع عائشة رضي الله عنها عند موتها(٢).

ومن إحسان الظن بالله تعالى عند الاحتضار الدعاء بالمغفرة والرحمة تأسيًا بالنبي ﷺ، فإنه كان يقول في ساعة الاحتضار: «**اللَّهُمَّ اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق**»(٣).

- **المسألة العاشرة: تقبل توبة المحتضر ما لم يغرغر:**

لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

والتوبة من قريب هي التوبة قبل حضور الموت أي قبل الغرغرة(٤)، وسيأتي التفريق بين الغرغرة والاحتضار.

ويمكن القول: إن الغرغرة تكون آخر وقت الاحتضار بعد رؤية الملك وانتزاعه الروح، وفي الحديث: «**إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(٥)؛ أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه(٦).

ويدلُّ على قبول التوبة حال الاحتضار وقبل المعاينة والنزع: ما ثبت في «الصحيحين» من دعوة النبي ﷺ عمه أبا طالب إلى التوحيد وهو في حال الاحتضار(٧)، قال ابن مفلح مفسرًا لحضور الوفاة: «المراد: قربت وفاته وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة والنزع، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]، ويدل على أنه قبل المعاينة محاورته للنبي ﷺ مع كفار قريش»(٨).

(١) انظر: سبل السلام (٢/ ٩٠) [مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ].
(٢) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٥٣).
(٣) أخرجه البخاري (كتاب المرضى، رقم ٥٦٧٤)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).
(٤) انظر: روح البيان (٢/ ١٤٣) [دار إحياء التراث العربي].
(٥) أخرجه الترمذي (أبواب الدعوات، رقم ٣٥٣٧) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢) [عالم الكتب، ط١]، وابن حبان (كتاب الرقاق، رقم ٦٢٨)، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٨٦) [المكتب الإسلامي].
(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٦٦٥) [المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ].
(٧) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٦٠)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).
(٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٧هـ].

ولما ثبت في «الصحيحين» من دعوته ﷺ للغلام اليهودي ـ الذي عاده في مرض موته ـ إلى التوحيد[1]، فأسلم ومات عليه، فكان من الناجين، ومن الصحابة المرضيين.

أما ساعة معاينة ملك الموت ونزع الروح فإن التوبة لا تقبل؛ للحديث المتقدم في الغرغرة؛ ولقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨]، فهذا هو المعاين الذي لا تقبل توبته؛ كتوبة فرعون لما رأى الملائكة وأدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس]، فكان الجواب: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس].

فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح، وذلك عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلقوم، فعندها المعاينة، وعندها حضور الموت، فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والغرغرة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧][2].

ـ المسألة الحادية عشرة: تمني الكافر والمفرط استئناف الحياة عند الاحتضار:

وذلك لإصلاح ما قد أفسد؛ لأنه في تلك الساعة ينكشف له الغطاء عما ينتظره من عذاب؛ لسوء عمله، فيحاول تدارك ذلك بالعودة إلى الحياة مرة ثانية، وإعادة التجربة مرة أخرى، ولكن هيهات، فقد فات الآوان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

قال ابن كثير مفسرًا: «يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته»[3].

ـ المسألة الثانية عشرة: سكرات الموت عامة، وهي على الكفار والعصاة أشد:

سكرات الموت كرباته وغمراته وشدته نتيجة الألم، وهي عامة للمؤمن والكافر.

وقد ذكر الحق تعالى السكرات في قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق].

وهي المرادة بقوله تعالى في الغشي:

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٥٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٥٢) [دار قباء للنشر].

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٦) [دار الفكر].

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب].

والذي يغشى عليه من الموت، هو المحتضر يغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت[1].

وفي «صحيح البخاري» أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: «**لا إلٰه إلا الله، إن للموت سكرات**» ثم نصب يده، فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قبض، ومالت يده، قال أبو عبد الله: العلبة من الخشب والركوة من الأدم[2].

وقد تقدم ذكر الفرق والاختلاف بين المؤمن والكافر حال الاحتضار والبشارة ونزع الروح، وكون الكافر يكون أكثر ألمًا، وقد وصف القرآن الكريم حال الظالمين في السكرات وشدة الملائكة عليهم، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

وإن كانت المعاناة عامة ومتفاوتة المقدار، إلا أن الشهيد يخفف عليه كما دلَّ عليه ظاهر قوله ﷺ: «**الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة**»[3].

- **المسألة الثالثة عشرة: قول الخير عند المحتضر والدعاء له بالمغفرة إذا قبض:**

عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا: «**إذا حضرتم الميت فقولوا خيرًا، فإن الملائكة تؤمن على ما تقولون**»، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «**قولي: اللَّهُمَّ اغفر له، وأعقبنا عقبى صالحة**»، قالت: فأعقبني الله محمدًا ﷺ[4].

---

(١) أيسر التفاسير (٣/ ٢٧٩) [مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤٢٤هـ]، وانظر: بيان المعاني (٦/ ٢٨) [مطبعة الترقي، ط١٣٨٢هـ]، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٩٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقائق، رقم ٦٥١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (أبواب فضائل الجهاد، رقم ١٦٦٨) وقال: حسن صحيح، والنسائي (كتاب الجهاد، رقم ٣١٦١)، وابن ماجه (كتاب الجهاد، رقم ٢٨٠٢)، وأحمد (١٣/ ٣٣٤) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب الجهاد، رقم ٢٤٥٢)، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٩٦٠).

(٤) أخرجه بهذا السياق: أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٥)، والترمذي (أبواب الجنائز، رقم ٩٧٧) =

ـ المسألة الرابعة عشرة: عرض الإسلام على المُحتَضَر الكافر:

فعن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «**أي عم، قل: لا إلٰه إلا الله، أحاج لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة][1].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلم**» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[2].

ـ المسألة الخامسة عشرة: التلقين المشروع للميت يكون وقت الاحتضار:

لقوله ﷺ: «**لقنوا موتاكم لا إلٰه إلا الله**»[3]. قال النووي: «معناه: من حضره الموت، والمراد: ذكِّروه لا إلٰه إلا الله؛ لتكون آخر كلامه كما في الحديث: «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»[4]»[5].

وهل الأمر بالتلقين للاستحباب أم للوجوب؟ وهل يكرر على المحتضَر؟

ذكر بعض أهل العلم أن الأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين، وكرهوا الإكثار عليه والموالاة؛ لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه؛ فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر، فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه[6].

ـ المسألة السادسة عشرة: التخيير بتأخير الموت عند الاحتضار خاص بالأنبياء:

لقوله ﷺ: «**ما من نبي يمرض إلا**

= وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (كتاب الجنائز، رقم ١٤٤٧)، وأحمد (٤٤/ ١٠١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الجنائز، رقم ٣٠٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٩١). وأصله في صحيح مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩٢٠).

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٦٧٥)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجنائز، رقم ٩١٦).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز، رقم ٣١١٦)، وأحمد (٣٦/ ٣٦٣) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الجنائز، رقم ١٢٩٩) وصححه، وصححه الألباني في الإرواء (رقم ٦٨٧).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٢١٩) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ].

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٦/ ٢١٩)، وبداية المجتهد لابن رشد (١/ ١٦٤) [دار الفكر]، وشرح فتح القدير (٢/ ١٠٤) [دار الفكر، ط٢].

خُيِّر بين الدنيا والآخرة»[١]؛ أي: «بين الإقامة في الدنيا والرحلة إلى الآخرة؛ لتكون وفادته على الله وفادة محب مخلص مبادر»[٢].

وفي تخيير موسى عليه السلام قال النبي ﷺ: **«جاء ملك الموت إلى موسى، فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله عز وجل، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد إليه عينه، قال: ارجع إلى عبدي فقل له: الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة، فضع يدك على متن ثور، فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، قال: رب أدنني من الأرض المقدسة رمية بحجر»**، قال رسول الله ﷺ: **«لو أني عنده لأريتك مقبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»**[٣].

وفي تخيير محمد ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: **«لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخير»** فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: **«اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»** قلت: إذًا لا يختارنا، وعلمت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها: **«اللَّهُمَّ الرفيق الأعلى»**[٤].

فإن قال قائل: ما وجه التخيير بعد أن يرى مقعده من الجنة، ولو أن أحدنا رأى مكانه من الجنة لم يتخير الدنيا عليه؟ فالجواب: أن التخيير يكون إكرامًا له؛ ليكون قبض روحه عن أمره، فيجوز أن يختار تعجيل معاناة الموت لما يصير إليه، ويجوز أن يختار تأخير الموت عنه مع علمه بمنزلته إيثارًا لطاعة الله على حظ النفس[٥].

ـ المسألة السابعة عشرة: وصاة الأنبياء عليهم السلام بالتوحيد عند الاحتضار وتحذيرهم من الشرك:

التوصية هي التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة، سواء كان حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدم بالقول أو الدلالة، وإن كان الشائع في العرف استعمالها في القول المخصوص حالة الاحتضار[٦].

(١) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٥٨٦) واللفظ له، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).
(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/٧١٣) [مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ].
(٣) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).
(٤) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٤٣٧)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٤٤).
(٥) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٢/٥٤٠) [دار الوطن، ط١٤١٨هـ].
(٦) روح المعاني (١/٣٨٦) [دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ].

والتوصية عند الموت تكون بأعظم المهمات التي تشغل البال، ومن أعظم ما يوصى به التوحيد، وقد ذكر تعالى وصاة إبراهيم الخليل عليه السلام لبنيه بالتوحيد، وكذا يعقوب عليه السلام، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

ولكون الشرك مما يقدح في التوحيد، فقد حذَّر منه خاتم النبيين ﷺ في ساعة الاحتضار، قالت عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا[(١)]؛ أي: لسد ذريعة الشرك المؤدية إلى عبادة من فيها.

ـ المسألة الثامنة عشرة: حضور الشيطان ساعة الاحتضار للإفساد على المحتضَر:

دلَّ على ذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون]، قال الشنقيطي: «والظاهر أن المعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن أو عند حضور الموت، أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات»[(٢)].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من التردي، والهدم، والغرق، والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا**»[(٣)].

وتخبط الشيطان للمحتضَر يكون بإفساد دينه أو عقله[(٤)]، وذلك بأن يستولي عليه الشيطان عند مفارقته الدنيا

(١) أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي، رقم ٥٨١٦)، ومسلم (كتاب المساجد، رقم ١٢١٥).

(٢) أضواء البيان (٥/٣٥٣) [دار الفكر، ط ١٤١٥هـ].

(٣) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، رقم ١٥٥٢)، والنسائي (كتاب الاستعاذة، رقم ٥٥٣١)، وأحمد (٢٤/٢٨١) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الدعاء، رقم ١٩٤٨) وصححه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/٢٧٤) [مؤسسة غراس، ط١، ١٤٢٣هـ].

(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٤٨٨) [مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ].

فيضله، ويحول بينه وبين التوبة، أو يعوقه عن إصلاح شأنه والخروج من مظلمة تكون قبله، أو يؤيسه من رحمة الله تعالى، أو يكره له الموت ويؤسفه على حياة الدنيا، فلا يرضى بما قضاه الله من الفناء والنقلة إلى دار الآخرة، فيختم له بسوء، ويلقى الله وهو ساخط عليه(١).

- المسألة التاسعة عشرة: حضور الملائكة عند الاحتضار وبشارتها المتوفى بالمصير والمآل:

تحضر الملائكة الموكلة بقبض الأرواح العبد حال الاحتضار، وتبشره بما ينتظره من رحمة أو عذاب، وبما هو صائر إليه من خير أو شر.

فأما السعداء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت]، فيبشرون حال احتضارهم بالخيرات وحصول المسرات(٢).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل].

فهذا خبر عن السعداء أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيبون؛ أي: مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة(٣).

وأما الأشقياء فقال تعالى يصف حالهم ومآلهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان]، والمعنى: «أي: هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم؛ بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم، وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار»(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام].

الفروق:

الفرق بين الغرغرة والاحتضار:

الغرغرة ليست هي الاحتضار؛ بل هي

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٨٧) [دارالكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٢) انظر: ابن كثير (٣/ ٣١٤).

(٣) انظر: المرجع نفسه (٢/ ٥٦٢).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٣/ ٣١٤).

الحشرجة عند الموت وتردد النفس[(١)]، ولا يمنع أن تكون بعضه، ويدل على الفرق قبول التوبة حال الاحتضار لا حال الغرغرة كما تقدم بيانه.

وأما غمرات الموت في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فهي شدائده وسكراته وكُرُباته[(٢)]، وسميت بذلك؛ لأن أهوالها يغمرن من يقعن به[(٣)].

الثمرات:

الاحتضار وما يصحبه من سكرات هو من المصائب والشدائد والأهوال التي تصيب المؤمن؛ فتكفر به سيئاته، وتزاد حسناته، وترفع درجاته.

وقد كان السلف رحمهم الله يستشعرون هذا المعنى، قال عمر بن عبد العزيز: «ما أحب أن تهون عليَّ سكرات الموت؛ إنه لآخر ما يكفر به عن المؤمن»[(٤)].

مذهب المخالفين:

خالف طائفة من المعتزلة والقدرية والفلاسفة فزعموا أن الموت أمر عرضي أو عدمي[(٥)]؛ أي: أنه ليس جسمًا وجوديًّا.

قال السفاريني: «ذهب جمعٌ إلى أن الموت عرض ومعنى، والأعراض لا تنقلب أجسامًا؛ بل زعم بعضهم أن الموت عدم محض، وبه قال الزمخشري»[(٦)].

وقال ابن تيمية: «وكثير من النزاع في ذلك يكون لفظيًّا، فإنه قد يكون عدم الشيء مستلزمًا لأمر وجودي، مثل الحياة مثلًا فإن عدم حياة البدن مثلًا مستلزم لأعراض وجودية، والناس تنازعوا في الموت: هل هو عدمي أو وجودي؟ ومن قال: إنه وجودي احتج بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢]، فأخبر أنه خلق الموت، كما خلق الحياة.

ومنازعه يقول: العدم الطارئ يخلق كما يخلق الوجود، أو يقول: الموت المخلوق هو الأمور الوجودية اللازمة لعدم الحياة وحينئذ فالنزاع لفظي»[(٧)].

---

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٣٢٩) [دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م]، وتاج العروس (٥/ ٤٨٣) [دار الهداية]، والقاموس المحيط (٢٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط٢].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٢).

(٣) زاد المسير (٣/ ٨٧) [المكتب الإسلامي، ط٣].

(٤) جامع العلوم والحكم (٣٧٠) [دار المعرفة، ط١، ١٤٠٨هـ].

(٥) الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٨٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ]، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢/ ٥٩١) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ]، وأضواء البيان (٨/ ١١٥) [دار الفكر، ١٤١٥هـ]، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (٤٢٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٦) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٣٧).

(٧) درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٣٨٣).

وقد رد ابن القيم على المخالفين بما يأتي:

١ ـ هذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحًا، وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلًا عن أن يذبح، وهذا لا يصح.

٢ ـ أن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صورًا معاينة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجسامًا تكون الأعراض مادة لها، وينشئ من الأجسام أعراضًا، كما ينشئ سبحانه وتعالى من الأعراض أعراضًا ومن الأجسام أجسامًا، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للربِّ تعالى، ولا يستلزم جمعًا بين النقيضين ولا شيئًا من المحال.

٣ ـ لا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ وكلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه. وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجسامًا ويجعلها مادة لها[١].

المصادر والمراجع:

١ ـ «شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور»، للسيوطي.

٢ ـ «حادي الأرواح»، لابن القيم.

٣ ـ «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (ج٢)، للمناوي.

٤ ـ «مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع» لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة (ج٢، ٣).

٥ ـ «الموت في الفكر الإسلامي»، للفرماوي.

٦ ـ «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (ج١)، لابن مفلح.

٧ ـ «الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع» (ج١)، للشربيني.

٨ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة» (ج١)، للقرطبي.

٩ ـ «سبل السلام» (ج٢)، للصنعاني.

١٠ ـ «القيامة الصغرى»، للأشقر.

موسى عليه السلام

اسمه ونسبه:

موسى: هو ابن عمران، قيل: ابن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن

(١) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (٢٨٣) فما بعدها.

إسحاق بن إبراهيم[(١)]. وقيل: إن عمران هو ابن يصهر بن قاهث... إلخ[(٢)].

معنى اسمه لغة:

موسى: اسم أعجمي معرب، أصله بالعبرانية: (موشا)، مركب من: (مو) وهو الماء، و(شا) وهو الشجر؛ لأنه وجد بين الماء والشجر[(٣)]. وقال الأزهري: «قال الليث: أما موسى النبي ﷺ فيقال: إن اشتقاقه من الماء والساج، فـ(المو): ماء، و(سا): شجر لحال التابوت في الماء»[(٤)].

وقيل: إن أصله من اللغة القبطية، وهو مركب إما من: (mo) وهو الماء، و(use) وهو بمعنى: أنقذ، وإما من: (mes) أو (meso) وهو بمعنى الطفل أو الابن[(٥)].

مولده ونشأته:

ولد موسى عليه السلام في العام الذي كان فرعون يذبح فيه الذكور ويستبقي فيه الإناث، لما بلغه من أن هلاكه سيكون على يد رجل من بني إسرائيل سيولد قريبًا[(٦)]، ولذا خافت أمه لما حملت به، فألهمها الله بأن تضعه بعد الولادة في التابوت، ثم تقذفه في البحر؛ ليسلم من القتل، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص].

وبعد ولادة موسى عليه السلام نفذت أمه الوحي الإلٰهي، فأدخلت ابنها في التابوت، ورمته في البحر المتلاطم الأمواج، اعتمادًا على الله، وثقة بوعده، فأنجاه الله وحماه من كل سوء، وسخَّر له عدوه فرعون؛ إذ التقطه جنوده من اليم وأتوا به إليه، وإذا بزوجه تشير عليه بأن يتخذوه ولدًا لهم، فوافق فرعون، وأخذوا يبحثوا عمن يرضعه لهم بالأجرة، فحرم الله المراضع على الطفل؛ ولذا لم يقبل إلا ثدي أمه،

(١) المعارف لابن قتيبة (١/٤٣) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٢م]، والمنتظم في التاريخ (١/٣٣١) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٣١) [دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ].

(٢) انظر: المنتظم في التاريخ (١/٣٣١).

(٣) انظر: المعرَّب للجواليقي (٥٦٧) [دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ].

(٤) تهذيب اللغة (١٣/٨١) [دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م].

(٥) انظر: المعرَّب للجواليقي (٥٦٧).

(٦) انظر: فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام لعثمان الخميس (٣٢٩) [دار إيلاف الدولية، ط١، ١٤٣١هـ].

فأعاده الله إليها من حيث لا يشعر فرعون وأعوانه بذلك، قال الله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَـٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

وهكذا أعاد الله موسى إلى أمه فأرضعته حتى الفطام بمقابل مادي، وهكذا نشأ موسى تحت رعاية فرعون إلى أن صار شابًّا قويًّا، ويدل عليه ما حكاه الله عز وجل من قول فرعون لموسى لما جاءه رسولًا يدعوه إلى الله: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء].

نبوته:

دلت النصوص الشرعية على نبوة موسى عليه السلام؛ منها: قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل]، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف]، وقوله عز وجل: ﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف]، وقوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَـٰرُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون].

وكانت نبوته قبل أيوب وبعد آل يعقوب[(١)]. وقيل: إنه كان بينه وبين إبراهيم ألف سنة[(٢)].

دلائل نبوته:

أرسل الله نبيَّه موسى عليه السلام إلى أكفر أهل الأرض في زمانه، وهو فرعون، وأيده بتسع آيات بيِّنات تدل على صحة نبوته، وصدق رسالته، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ

(١) المعارف لابن قتيبة (١/ ٤٣).
(٢) انظر: المنتظم في التاريخ (١/ ٣٣١).

بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء]. واختلف في تحديد هذه المعجزات[1]؛ وهي على ما ذهب إليه بعض أهل العلم كابن عباس - في رواية - ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة: نقص الثمرات، والطوفان، والبحر، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وتحويل العصا إلى حية تسعى، وخروج اليد من الجيب[2] بيضاء، ورجحه ابن كثير بقوله: «وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي»[3].

ويدل على هذه الأمور النصوص التالية:

قول الله تعالى: ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل]، قال ابن كثير: «أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن، وأجعلهن برهانًا لك إلى فرعون وقومه»[4].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه].

وقوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأعراف].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء].

كتابه:

أنزل الله على نبيِّه موسى عليه السلام التوراة

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢١، ٢٢) [دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ]، وأحكام القرآن لابن عربي (٣/ ٢١٦) [دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ]، وتفسير القرطبي (٢/ ٣٠، و١٠/ ٣٣٥) [دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ]، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٨٠).

(٢) الجيب هو الشق الذي يدخل منه الرأس، وكان موسى إذا أدخل يده تحت إبطه يتحول لون كفه من غير برص إلى بياض قوي له شعاع يبهر الناظرين. انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٩، ٢٠)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٥٧)، وتفسير السعدي (٦٠٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن باز (٥/ ٤٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٢٤) [دار طيبة، ط٢].

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٨٠).

كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون]، والمراد بالكتاب هنا التوراة[1]، وقال الله تعالى في شأن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف].

وقد جاء في السُّنَّة تحديد وقت نزول التوراة، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»[2].

ومن فضائل التوراة: أن الله كتبها بيده، لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: «**احتج آدم وموسى، فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدمُ موسى، فحج آدمُ موسى، ثلاثًا**»[3]. وفي رواية لمسلم: «**كتب لك التوراة بيده**»[4].

دعوته:

كان موسى عليه السلام يدعو إلى توحيد الله، والخضوع والإخلاص له، وإفراده بالربوبية وجميع خصائصه، ونبذ الكفر والشرك الذي كان يعلنه فرعون، ويفرضه على الأتباع بالقوة، كما قال الله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، فأمر الله

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ١٩١) [مؤسسة الرسالة، ط٢]، والطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ١١١) [دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ] واللفظ له، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٩٧) [مكتبة القدسي]: (فيه عمران بن داور القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث، وبقية رجاله ثقات)، وحسَّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ١٠٤، رقم ١٥٧٥) [مكتبة المعارف، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب القدر، رقم ٦٦١٤)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

موسى وهارون عليهما السلام أن يدعوا هذا الطاغوت الكبير إلى الإيمان بالله وتوحيده، وفك بني إسرائيل من قبضته، وإرسالهم معهما وترك تعذيبهم، وأن يقولا له قولًا لينًا كما قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء].

قومه وموقفهم منه:

قوم موسى وهارون هم فرعون وقومه وبنو إسرائيل الذين تسلَّط عليهم فرعون وأذلَّهم، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٥]. وقد قص الله علينا في مواطن عديدة من كتابه الكريم مواقف فرعون وملئه من دعوة موسى وهارون من جهة، وموقف بني إسرائيل منهما من جهة أخرى:

أما فرعون وأتباعه فقد كفروا بهما وبدعوتهما، وسلكوا لتسويغ ذلك مسالك عدة، **يمكن بيانها على النحو التالي**:

الأول: مسلك التكذيب والاتهام بالجنون والتشكيك في صحة وجود الرب والإلٰه الحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه].

ولمّا جاء موسى وهارون إلى فرعون وأخبراه بأنهما رسولا رب العالمين، قال مستنكرًا كما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ

وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء].

ولمّا عجز فرعون عن مواجهة هذه الحجج الدامغة لجأ إلى التخويف، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء].

الثاني: مسلك التطاول على موسى، واحتقاره والحط من مكانته، والتلبيس على الأتباع، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

الثالث: رميهما بالسحر وإنكار المعجزات بعد مشاهدتها، قال الله تعالى فيما حكاه عن فرعون: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [الشعراء].

وقال الله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه].

الرابع: السعي إلى حشد السحرة المهرة المنتشرين في المدائن، لمبارزة موسى على مرأى ومسمع من الناس ومحاولة مغالبتهم إياه، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف].

وبينما هم في هذا المشهد الرهيب الذي يظنون أنهم هم الغالبون المنصورون فيه، فإذا بالأمر ينقلب رأسًا على عقب، وتصير هذه الأحلام هباء منثورًا، بعد أن أمر الله موسى بأن يلقي عصاه لتبتلع أكاذيب السحرة الدجالين، كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ

عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف]. ولما أفلس فرعون في ميدان المناظرة، انتقل إلى التنديد والتهديد بالقتل والصلب للمؤمنين، كما حكاه الله عنه بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف]، فأوحى الله إلى نبيِّه موسى بأن يسري بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء].

وأرسل فرعون الشُّرَط في مدائن مصر حاشرين؛ للقضاء على موسى وأتباعه المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء].

فأهلك الله فرعون وجنوده في اليم، وأورث أرضهم بني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الشعراء].

وأما موقف بني إسرائيل من موسى وهارون فيمكن إجماله في الآتي:

الأول: أذيتهم إياه بزعمهم أنه آدر، والأدرة نفخة في الخصية[1].

لقد قام بنو إسرائيل بأذية موسى عليه السلام أذية بالغة، ومن ذلك وصفهم إياه بأنه آدر، فبرّأه ربه من ذلك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى صلى الله عليه وسلم يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فخرج موسى في إثره، يقول: ثوبي يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربًا**»[2].

الثاني: عبادتهم العجل بعد ذهابه لمناجاة ربه:

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الغسل، رقم ٢٧٨)، ومسلم (كتاب الحيض، رقم ٣٣٩).

لما أراد نبي الله موسى عليه السلام أن يذهب إلى مناجاة ربه، استخلف على قومه أخاه هارون، فبرز من بينهم رجل يقال له: هارون السامري، فعمد إلى ما كانوا استعاروه من الحلي من الأقباط، فصاغ منه عجلًا، فكان يخور كما يخور العجل الحقيقي، وكانت الريح إذا دخلت من دبره خرجت من فيه فيخور كما تخور البقرة، فيرقصون حوله ويفرحون، ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه][1].

ونهاهم هارون عن هذا الشرك، ولكنهم أصروا على هذا العمل حتى أتاهم موسى، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه].

وأبلغ الله نبيَّه موسى بضلال قومه من بعده، فرجع وهو في حال غضب شديد ووبخ قومه على صنيعهم، كما قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾﴾ [طه].

وعاتب موسى أخاه هارون عليه السلام على وجه الخصوص عتابًا شديدًا، فأخبره هارون بأنه نهاهم عن ذلك ولكنهم عصوه، وكادوا يقتلونه، فتركهم انتظارًا لمجيء موسى عليه السلام، حتى لا يكون سببًا في تفرقتهم، كما حكاه الله عنه بقوله: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف].

ثم اتجه موسى عليه السلام إلى السامري، ووبخه على إضلاله للناس، ونسفَ عجله في اليم، وقد ذكر الله تعالى ما جرى بينهما بقوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٥)، وصحيح (قصص الأنبياء لابن كثير) لسليم الهلالي (٣٢٥، ٣٢٦) [دار غراس، ط١، ١٤٢٢هـ].

لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه].

الثالث: نكول بني إسرائيل عن قتال الكفار لفتح بيت المقدس:

أمر الله بني إسرائيل أن يفتحوا الأرض المقدسة، فامتنعوا عن دخولها؛ خوفًا وهلعًا من الكفار، وقالوا لنبي الله موسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، فعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة].

وفاته:

ورد ذكر وفاة نبي الله موسى عليه السلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له: أجب ربك، قال: فلطم موسى عليه السلام عينَ ملك الموت ففقأها، قال: فرجع الملك إلى الله تعالى فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياةَ تريدُ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فما توارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة، قال: ثم مه؟ قال: ثم تموت، قال: فالآن من قريب، رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر**، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **والله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر**»[(١)]. وكانت وفاته بعد وفاة هارون بثلاث سنين[(٢)].

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: ما فضَّله الله به من التكليم:

لقد كلَّم الله نبيَّه موسى عليه السلام من غير واسطة، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، وهذا تفضيل وتكريم لنبيِّه موسى عليه السلام بهذه الفضيلة، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب الجنائز، رقم ١٣٣٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٩).

﴿ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال تعالى ممتنًّا على موسى بوجه خاص: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف]. وقد شاركه في هذه الفضيلة من أنبياء الله: آدم ومحمد، عليهما الصلاة والسلام.

أما آدم فلِمَا صحَّ من حديث أبي أُمامة؛ أن رجلًا قال: «يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: **نعم؛ مكلَّم**، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: **عشرة قرون**»[1].

وأما نبيُّنا محمد فلما ثبت في ليلة المعراج، حيث جاء في حديث المعراج الطويل: «**ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قال: أُمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت... فرجعت، فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي**»[2].

- **المسألة الثانية: قصة موسى مع الخضر:**

هذه القصة طويلة وخلاصتها: أن نبي الله موسى عليه السلام قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئِل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه ذلك؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأخبره تعالى بأن هناك من هو أعلم منه، فرغب موسى في التعلم منه، وسأل ربه عن مكانه فأخبره بأنه سيجده عند مجمع البحرين، فتجهز موسى للسفر وانطلق مع فتاه يوشع، ولما التقى بالخضر أخبره بالأمر، فاشترط عليه الخضر الصبر، وعدم السؤال عما يفعل حتى يخبره بنفسه، فوعده موسى

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب التاريخ، رقم٦١٩٠) [الرسالة، ط٢]، والحاكم (كتاب التفسير، رقم ٣٠٣٩) [دار الكتب العلمية، ط١]، وصححه الحاكم وابن كثير على شرط مسلم. انظر: البداية والنهاية (١/٢٣٧) [دار هجر، ط١]، وصححه الألباني أيضًا في السلسلة الصحيحة (٦/٣٥٩) [مكتبة المعارف، ط١].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٢).

بالصبر، ولكنه لما رأى بعض الأمور، التي ظاهرها مخالفة الشريعة؛ كقتله الغلام، وخرقه سفينة المساكين، وإصلاح الجدار الموجود في القرية التي أبى أهلها أن يضيفوهما ـ ولا شك أن إكرام الضيف من الإيمان وتركه مخالف للشريعة ـ لم يصبر معه كثيرًا، حيث أخذ يسأله عما يفعل ويستنكر عليه، وبعد المرة الثالثة فارقه الخضر، وشرح له حقيقة ما فعل، وأنه لم يفعل إلا ما أمره الله به. وقصته مبسوطة في الكتاب والسُّنَّة؛ أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف].

ثم عثر عليه وبدأ الحوار بينهما، كما قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف].

وبعد أن تم الاتفاق بينهما انطلقا على بركة الله، وبدأ الخضر يعمل ما أُمر به من خرق السفينة وقتل الغلام، وإصلاح الجدار الذي على وشك السقوط، وفي كل واحدة من هذه الأعمال سأله موسى واعترض عليه فيها، ولم يصبر معه، وفي آخرها فارقه الخضر كما أخبرنا الله تعالى بقوله: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف].

وبعد أن أعلن الخضر مفارقة موسى، بدأ يشرح له حقيقة ما خفي عليه في الأمور الثلاثة، كما قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ

﴿أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

وأما السُّنَّة فقد روى الشيخان القصة في حديث طويل من رواية أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى؛ لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟** ـ وربما قال سفيان: **أي رب وكيف لي به؟** ـ **قال: تأخذ حوتًا فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ** ـ وربما قال: **فهو ثَمّة** ـ، **وأخذ حوتًا فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر** ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾﴾ [الكهف]، **فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق**[1] ـ فقال: هكذا مثل الطاق ـ، **فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد** ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾﴾، **ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله قال له فتاه:** ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف]، **فكان للحوت سربًا، ولهما عجبًا، قال له موسى:** ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف]، **رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى فرد عليه، فقال: وأنى بأرضك السلام، قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم؛ أتيتك لتعلمني** ﴿مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف]، **قال: يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علَّمكه الله لا أعلمه، قال: هل أتبعك** ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾﴾ **إلى قوله:** ﴿أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾﴾، **فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نَول**[2]**، فلما ركبا في السفينة، جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي**

(١) مثل الطاق: أي كالكوة. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٥١)، والمقصود: أن مكان دخوله في البحر بقي كالفتحة والشق ولم يتلاءم الماء كما كان.

(٢) النول: هو الأجر والجُعل والعطية. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥/ ١٢٩).

وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقَدُّوم[(١)]**، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها** ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، **فكانت الأولى من موسى نسيانًا، فلما خرجا من البحر، مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا** ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه، كأنه يقطف شيئًا ـ **فقال له موسى:** ﴿...أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف] **مائلًا** ـ أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئًا إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر مائلًا إلا مرة ـ، قال: **قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم** ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ [الكهف]، ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾...»[(٢)].

ـ المسألة الثالثة: خروج موسى إلى مدين:

نشأ موسى في بيت فرعون حتى شب وقوي، وذات يوم خرج إلى المدينة على حين غفلة من أهلها، فوجد رجلين يقتتلان؛ أحدهما: من الفراعنة والآخر: من بني إسرائيل، فاستغاثه هذا الأخير على الأول فهبَّ موسى لنصرة المستغيث ووكز الرجل فمات، وندم موسى على ما فعل، واشتكى أهل الميت إلى فرعون، فأخذوا يبحثون عن القاتل، وفي اليوم التالي خرج موسى فوجد نفس الرجل الذي نصره بالأمس يقاتل قبطيًّا آخر، ويستغيثه عليه من جديد، فغضب موسى وقال له: إنك كثير الغواية والضلال، ومد يده ليبطش بالقبطي فظن الإسرائيلي أنه المراد بالبطش، فقال لموسى: تريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس، فسمع الفرعوني هذا الكلام وذهب مسرعًا وأبلغ قومه، فانطلقوا وأبلغوا فرعون بالأمر، فأرسل فرعون بمن يمسك بموسى، فسمع بالخبر شخص فذهب إلى موسى وسبقهم إليه وأخبره

(١) القَدُّوم هي: الحديدة التي يُنحت بها. انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠١)، ومسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٨٠).

الخبر، ونصحه بالخروج الفوري، فخرج موسى من مصر متجهًا نحو مدين وهي البلاد الواقعة حول خليج العقبة من عند نهايته الشمالية وشمال الحجاز وجنوب فلسطين[(١)]، وقد قصَّ الله علينا قصته، فقال: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

فنجاه الله كما قال تعالى ممتنًا عليه بذلك: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ﴾ [طه: ٤٠].

ولما ورد ماء مدين، وجد قومًا من الناس يسقون بهائمهم، ووجد امرأتين حابستين غنمهما عن الورد، فسألهما موسى عن سبب وقوفهما بعيدًا عن الحوض، فأخبرتاه بأنهما ينتظران حتى يسقي الرعاة الأقوياء مواشيهم ويخلو المكان؛ لضعفهما وكبر سن والدهما[(٢)]، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

فسقى لهما وذهب إلى الظل كما قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

ولما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بقوة الرجل وأمانته، وبإحسانه إليهما، ورغبتا في استئجاره، فطلب أبوهما بإحضاره، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، وقصص الأنبياء للنجار (١٦٣، ١٦٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٣].

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٨).

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص]، وبقي كل هذه السنين في مدين، وبعد تمام المدة زوّجه الرجل إحدى ابنتيه[(١)]، فاتجه موسى قافلًا إلى بلده، كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه]، وفي أثناء العودة أوحي إليه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص].

- المسألة الرابعة: احتجاج آدم وموسى عليهما السلام:

هذه المحاجة وقعت عند الله بين أبي البشر آدم وموسى عليهما السلام، وهي من القصص الغيبية التي أخبرنا بها نبيّنا ﷺ، فيجب التسليم بها وتصديقه فيها، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى؛ فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق؟** فقال رسول الله ﷺ: **فحج آدم موسى مرتين**»[(٢)].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدمُ موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقرّبك نجيًّا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عامًا، قال آدم: فهل وجدت فيها** ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه]، **قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملًا كتبه الله علي أن أعمله، قبل أن يخلقني بأربعين سنة**، قال رسول الله ﷺ: **فحجَّ آدمُ موسى**»[(٣)].

وفي هذا الحديث ضلَّت طائفتان؛ **إحداهما**: أنكرت الحديث؛ لظنها أنه

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/٢٠٢) [دار طيبة، ط٤].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٠٩)، ومسلم (كتاب القدر، رقم ٢٦٥٢)، واللفظ له.

يقتضي رفع اللوم والعقاب عن العاصي لأجل القدر، **وطائفة:** احتجت بالقدر على المعاصي والكفر والذنوب، والحديث لا يدل على هذا ولا على ذاك، وإنما في الحديث الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعايب، فآدم لم يحتج على المعصية، وإنما احتج على المصيبة نفسها وهي الخروج من الجنة.

وهناك وجه آخر: وهو أن آدم احتج بالقدر بعد أن مضى وتاب من فعله وهذا جائز، وهذا بخلاف حال المحتجين بالقدر للبقاء على الشرك والمعاصي[(١)].

ـ المسألة الخامسة: مكان موسى في السماوات ونصحه النبي ﷺ بطلب تخفيف الصلوات على أمته:

فقد ثبت من حديث مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ، وفيه: «**ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، قال: نعم، قال: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلَّم عليه فسلَّمت عليه فرد، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي؛ لأن غلامًا بُعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي... ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قال: أُمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت فوضع عني عشرًا، فرجعت إلى موسى، فقال: مثله، فرجعت، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت، فقال: مثله، فرجعت، فأُمرت بخمس صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى، فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: سألت ربي حتى استحييت، ولكني أرضى وأسلم، قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٢٥٨، ٢٥٩) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ]، والقول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢/٣٧٤، ٣٧٥) [دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، محرم ١٤٢٤هـ].

فريضتي وخففت عن عبادي»[(١)].

ـ المسألة السادسة: تجلي الله للجبل حين طلب موسى رؤية الله:

لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه، وكلَّمه الله طلب من ربه رؤيته تعالى، كما حكاه الله عنه بقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]، وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ «قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ـ قال حماد: هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى ـ قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]»[(٢)].

والمقصود بهذا وأمثاله من الأدلة: أن رؤية الله في الدنيا لا تقع لأحد من الخلق؛ لقول النبي ﷺ: **«تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت»**[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (أبواب تفسير القرآن، رقم ٣٠٧٤) وقال: «حسن صحيح»، والحاكم (كتاب الإيمان، رقم ٦٧) وصححه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٣٨، ٢٣٩) [مكتبة المعارف، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة ١٤٢٠هـ].

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم ١٦٩).

وليس المراد نفي رؤية الله في الدارين.

ـ المسألة السابعة: الصحف والألواح، أوهي التوراة أم شيء آخر؟:

اختلف في كون صحف موسى هي التوراة أم بينهما فرق؟ **على قولين**[(٤)]:

القول الأول: أنهما شيء واحد، قال الشنقيطي: (﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٦] لم يبيِّن هنا ما أوتيه موسى وعيسى، ولكنه بيَّنه في مواضع أخر، فذكر أن ما أوتيه موسى هو التوراة المعبَّر عنها بالصحف في قوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى]، وذلك كقوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، وهو التوراة بالإجماع»[(٥)].

وجاء عن ابن باز ما يدل على أنها التوراة من إجابته على السؤال التالي:

«**س**: المعروف أن الكتب السماوية المنزلة هي أربعة: التوراة، الزبور، الإنجيل، القرآن. فماذا عن صحف إبراهيم وموسى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم الآيتان رقم (١٨ و١٩) من سورة الأعلى. أرجو إعطائي نبذة وتعريفًا عن هذه الصحف المطهرة؟

ج: قد أخبر الله سبحانه أنه أرسل رسله بالبينات والزبر، كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ

(٤) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/٥٠) [دار الوطن، ١٤١٣هـ].

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/٤٥).

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل] والزبر هي الكتب. وقال سبحانه في سورة الحديد: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، ونصَّ سبحانه على صحف إبراهيم وموسى في سورة: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وبيَّن سبحانه من هذه الكتب والصحف: التوراة المنزلة على موسى، والزبور المنزل على داود، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد ﷺ، وليس للعباد من العلم إلا ما علَّمهم الله إياه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، والله ولي التوفيق»[(١)].

وأما ابن عثيمين فقد توقف في الأمر لما سئل قائلًا: «يحتمل أنها التوراة، ويحتمل غيرها، ولم يتبين لي فيها شيء»[(٢)].

القول الثاني: بل كل منهما مختلف عن الآخر. ولعل دليل هذا القول حديث أبي ذر الطويل، وفيه: «**وأنزل على موسى** ـ قبل التوراة ـ **عشر صحائف**»[(٣)]، وهو ضعيف جدًّا.

أما الألواح فهي التوراة كما سماها الله تعالى بقوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠][(٤)].

المصادر والمراجع:

١ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٢ ـ «المعرب»، للجواليقي.

٣ ـ «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (ج١)، لابن الجوزي.

٤ ـ «مجموع الفتاوى» (ج١١)، لابن تيمية.

٥ ـ «البداية والنهاية» (ج٢)، لابن كثير.

٦ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٥).

٧ ـ «صحيح (قصص الأنبياء لابن كثير)»، لسليم الهلالي.

٨ ـ «الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء»، لإبراهيم بن محمد العلي.

٩ ـ «قصص الأنبياء»، للنجار.

١٠ ـ «فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام»، لعثمان الخميس.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن باز (٩/ ٣٠٥).

(٢) الكنز الثمين في سؤالات ابن سنيد لابن عثيمين (٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، رقم ٣٦١)، قال الهيثمي في موارد الظمآن (١/ ٥٤) [دار الكتب العلمية، بيروت]: «فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني؛ قال أبو حاتم وغيره: كذَّاب»، وحكم عليه الألباني بالضعف الشديد في ضعيف الترغيب والترهيب رقم ١٣٥٢ [مكتبة المعارف بالرياض، ط١، ١٤٢١هـ].

(٤) انظر: لقاء الباب المفتوح (١٦) [ترقيم المكتبة الشاملة].

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ابن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري، مشهور باسمه وكنيته معًا.

وأمه: ظبية بنت وهب بن عك، أسلمت وماتت بالمدينة[1].

مولده ووفاته:

توفي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه سنة اثنتين وخمسين الهجرة على الصحيح، حسب قول الحافظ ابن كثير، وقيل: توفي سنة خمسين[2]، وقيل: سنة إحدى وخمسين[3]، وقيل: سنة ثلاث وخمسين[4]، وقيل: سنة اثنتين

(١) طبقات خليفة بن خياط (١٢٦) [دار الفكر]، والطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٧٨) [دار الكتب العلمية، ط١]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٢، ١٧٦٣) [دار الجيل، بيروت، ط١]، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١) [مؤسسة الرسالة، ط٣]، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١١، ٢١٢) [دار الجيل، بيروت، ط١].

(٢) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والمعارف لابن قتيبة (٢٦٦) [الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢]، والبداية والنهاية (١١/ ٢١٣) [دار هجر، ط٣].

(٣) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦).

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٧)، وابن حجر في الإصابة (٤/ ٢١٣) وعزواه للمدائني.

وأربعين[5]، وقيل غير ذلك[6]. وهو ابن ثلاث وستين سنة[7]، قال الحافظ ابن حجر بعد أن ذكر القولين الأول والرابع: «قلت: بالأول جزم ابن نمير وغيره، وبالثاني أبو نعيم وغيره»[8].

واختلف في موضع موته؛ أكان بالكوفة أم في مكة؟[9] فقيل: مات بالكوفة[10]، وقيل: بل مات بمكة[11].

إسلامه:

أسلم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قديمًا، فهو من السابقين الأولين، واختلف في هجرته إلى الحبشة على قولين ذكرهما ابن سعد وغيره[12]:

القول الأول: أنه أسلم وهاجر إلى الحبشة، وبه جزم الحافظ الذهبي[13]، والحافظ ابن حجر.

والقول الثاني: أنه أسلم ورجع إلى بلاد قومه، ولم يهاجر إلى الحبشة، وعزاه ابن حجر إلى الأكثرين، وعلل ذلك بأن موسى بن عقبة وابن إسحاق

(٥) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٦٦).

(٦) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٧).

(٧) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٨١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١٣).

(٨) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١٣).

(٩) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١٣).

(١٠) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٨٠).

(١١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٨٠).

(١٢) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٧٩).

(١٣) انظر سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٢).

والواقدي لم يذكروه في مهاجِرة الحبشة. ثم قدم المدينة بعد فتح خيبر وصادف مجيء سفينته مجيء سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقدموا جميعًا[(١)]، وقيل: إنه أدرك غزوة خيبر وأنها أول مشاهده[(٢)].

وروى الإمام البخاري بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه؛ أنه قال: «بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان**»[(٣)].

وفي لفظ آخر عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوانِ لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، ـ إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلًا من قومي ـ فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هاهنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعًا، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فأسهم لنا ـ أو قال: فأعطانا منها ـ وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئًا إلا لمن شهد معه، إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معهم»[(٤)].

فضائله:

- ظفره ببشرى النبي صلى الله عليه وسلم وبيان فضل قومه.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: «كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ أعرابي، فقال: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أبشر**، فقال له الأعرابي: أكثرت علي من أبشر، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: **إن هذا قد رد البشرى فاقبلا أنتما**، فقالا: قبلنا يا رسول الله، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه، ثم قال: **اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا**، فأخذا القدح ففعلا ما أمرهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنادتهما أم سلمة من وراء الستر: أفضلا لأمّكما مما في إنائكما، فأفضلا لها منه

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١٢)، وانظر أيضًا: الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٧٩)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٢).

(٢) انظر: المعارف لابن قتيبة (٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب مناقب الأنصار، رقم ٣٨٧٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب فرض الخمس، رقم ٣١٣٦)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٢).

طائفة»[(١)].

- دعاء النبي ﷺ له بالمغفرة وبالمدخل الكريم يوم القيامة.

فقد ثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**اللَّهُمَّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلًا كريمًا**»[(٢)].

- أنه أوتي مزمارًا من مزامير آل داود.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال له: «**يا أبا موسى، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[(٣)].

وقال البخاري في بيان فضل الأشعريين - ومنهم: أبو موسى الأشعري -: «وقال أبو موسى عن النبي ﷺ: **هم مني وأنا منهم**»[(٤)].

مكانته:

مما يبيِّن مكانته رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ أرسله إلى اليمن قاضيًا ومعلمًا مرشدًا[(٥)]، وقد استعمله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البصرة بعد المغيرة رضي الله عنه، ففتح بلاد الأهواز، ومن بعدها أصبهان، ثم استعمله الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على الكوفة[(٦)].

وروى أبو زرعة الدمشقي بسنده عن مسروق قال: «كان القضاء في أصحاب محمد ﷺ في ستة: في عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي، وزيد، وأبي موسى»[(٧)].

المسائل المتعلقة:

- قضية التحكيم بين علي ومعاوية:

كان أبو موسى رضي الله عنه أحد الحكمين بين علي ومعاوية، حينما وقع الخلاف بينهما في توقيت المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه؛ حيث رأى عليٌّ رضي الله عنه تأجيله حتى تستقرّ أمور الخلافة، بعد أن بايعه المهاجرون والأنصار في المدينة، وطلب من جميع الأمصار البعيدة مبايعته، ومنها بلاد الشام، في حين أن معاوية رضي الله عنه رأى ضرورة البدء بمطالبة دم عثمان،

---

(١) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٢٨)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب المغازي، رقم ٤٣٢٣)، ومسلم (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن، رقم ٥٠٤٨)، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٩٣).

(٤) أخرجه البخاري تعليقًا مجزومًا (كتاب المغازي، قبل حديث رقم ٤٣٨٤)، ووصله في (كتاب الشركة، رقم ٢٤٨٦)، وهو عند مسلم أيضًا (كتاب فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير، رقم ٣٠٣٨)، ومسلم (كتاب الجهاد والسير، رقم ١٧٣٣).
وانظر: أخبار القضاة لوكيع (١/ ١٠٠) [المكتبة التجارية الكبرى، ط١].

(٦) انظر: طبقات خليفة بن خياط (١٢٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢١٢).

(٧) تاريخ أبي زرعة الدمشقي (٦٤٩، ٦٥٠) [مجمع اللغة العربية بدمشق] وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٨) وقال محققو السير: «وهذا سند صحيح» (الحاشية رقم ٤).

وتأجيل بيعة علي، ولما اشتد الخلاف في هذا بينهما وامتنع معاوية من تنفيذ أوامره رأى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب بأن هذا خروج عن طاعته، وحاول ثنيه عن ذلك وإعادته إلى طاعته[١]. قال الإمام ابن حزم: «وأما أمر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك، ولم يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته؛ لأنه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره، لكن قاتله لامتناعه من إنفاذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجبة طاعته، فعليٌّ المصيب في هذا، ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان، والكلام فيه من ولد عثمان وولد الحكم بن أبي العاص لسنّه ولقوته على الطلب بذلك، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمٰن بن سهل أخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو أخو المقتول، وقال له: «**كبر كبر**»[٢] وروي: «**الكبر الكبر**»[٣]، فسكت عبد الرحمٰن وتكلم محيِّصة وحويصة ابنا مسعود، وهما ابنا عم المقتول؛ لأنهما كانا أسنَّ من أخيه، فلم يطلب معاوية من ذلك إلا ما كان له من الحق أن يطلبه، وأصاب في ذلك الأثر الذي ذكرنا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط»[٤].

وعليه؛ فعلي رضي الله عنه «خرج يريد معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام، فبلغ ذلك معاوية فخرج فيمن معه من أهل الشام، والتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين، فلم يزالوا يقتتلون بها أيامًا. وقُتل بصفين عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، وأبو عمرة المازني، وكانوا مع علي. ورفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها»[٥].

فقبل منهم عليٌّ ذلك، واختار أبا موسى الأشعري، واختار معاوية عمرو بن العاص؛ ليحكما بين الطائفتين بكتاب الله ولا تأخذهما في الله لومة لائم.

قال أبو بكر ابن العربي: «والذي صحَّ من ذلك ما روى الأئمة ـ كخليفة بن خياط والدارقطني ـ أنه لما خرج الطائفة العراقية في مائة ألف، والشامية في سبعين أو تسعين ألفًا، ونزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم ـ وهو الثلاثاء ـ على الماء فغلب أهل

(١) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة لمحمد أمحزون (٢/ ٢٢٤) [دار طيبة، ط١، ١٤١٥هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الجزية، رقم ٣١٧٣)، ومسلم (كتاب القسامة والمحاربين، رقم ١٦٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الديات، رقم ٦٨٩٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٢٤) [مكتبة الخانجي].

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٣).

العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة[(١)]، ويوم الخميس، ويوم الجمعة، وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق، فكان من جهة علي أبو موسى الأشعري، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص، وكان أبو موسى رجلًا تقيًّا ثقفًا فقيهًا، عالمًا... أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدّمه عمرُ، وأثنى عليه بالفهم»[(٢)].

وكان انعقاد التحكيم في دومة الجندل[(٣)]. وذكر ابن سعد أنه كان في أذرح[(٤)]، ولا اختلاف بينهما؛ لأنها قريب من دومة الجندل؛ لذا قال خليفة بن خياط في سنة سبع وثلاثين: «فيها وقعة صفين يوم الأربعاء، لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، وكان الصلح ليلة السبت لعشر خلون من صفر، وفيها قُتل عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة، وفيها اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري من قِبَل علي، وعمرو بن العاص من قِبَل معاوية بدومة الجندل في شهر رمضان، ويقال: بأذرح وهي من دومة الجندل قريب»[(٥)].

ويشير القاضي ابن العربي إلى ما قرره الحكمان فيقول: «الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنهما لما اجتمعا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من الناس، منهم: عبد الله بن عمر، ونحوه، عزل عمرو معاوية. ذكر الدارقطني سنده عن حصين بن المنذر قال: لما عزل عمرو معاوية جاء فضرب فسطاطه قريبًا من فسطاط معاوية، ثم جعل يتكلم فبلغ ثناه معاوية، فأرسل إلي فقال: إنه بلغني عن هذا كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت، وأبو موسى، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما، فطالما استغنى

(١) قال المحقق: «بياض في جميع الأصول. وهي سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨ م) على الأصح». النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم لابن العربي (٣٠٨، ٣٠٩)، (الحاشية رقم ٣).
(٢) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٣٠٨).
(٣) انظر: تاريخ خليفة بن خياط (١٩١، ١٩٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٥٧٠).
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢٣).
(٥) تاريخ خليفة بن خياط (١٩١، ١٩٢).

أمر الله عنكما»[1].

فقوله: «أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض» يدل على أن أبا موسى أثبت عليًّا، ويؤكده قول عمرو: «فأين تجعلني ومعاوية؟» ثم إجابته عن هذا بقوله: «وإن يستغن عنكما، فطالما استغنى أمر الله عنكما»، وهذا معناه ـ والله أعلم ـ: أنهما إن احتاج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهما أفادَ منهما، وإن استغنى عنهما فيصبحان كبقية أفراد المسلمين والله أعلم.

وهناك روايات كثيرة في هذه القصة لا تثبت؛ إذ هي من نقل الأخباريين ممن لا يوثق بهم، والأصل المقرر عند أهل السُّنَّة في هذا: الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، فكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد]. وذِكرُ تفاصيل ما جرى في هذه القصة ونحوها قد يورث شيئًا في النفوس، اتجاه أحد من الصحابة وهذا خلاف ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الثناء عليهم ومحبتهم.

موقف المخالفين منه:

الروافض:

يطعن الروافض في أبي موسى الأشعري؛ لما ينسبونه إليه من خلع علي وترك نصرته[2]، ويزعمون أن عليًّا رضي الله عنه لعنه[3]، وأن حذيفة رضي الله عنه أيضًا شهد عليه بالنفاق[4]، ويصفونه بأنه من شر الأولين والآخرين، ويلقبونه بالسامري[5].

الرد عليهم:

هذه الادعاءات لا أساس لها من الصحة؛ لأنها مبنية على الكذب والضغينة، وليس لها أي مستند يستحق أدنى حظ من النظر، فالروايات المنسوبة إلى النبي ﷺ وعلي رضي الله عنه منحوتة نحتًا وفق أهوائهم الضالة وعقائدهم الفاسدة، ومما يدل على هذا أنها تنافي الثابت عن النبي ﷺ من الثناء على أبي موسى رضي الله عنه والدعاء له بالمدخل الكريم يوم القيامة كما تقدم في فضائله، وما كان يسند إليه من المهام العظام من قبل النبي ﷺ، ثم بعده من خلفائه.

كما تعارض هذه الادعاءات ما هو معروف من ثناء علي بن أبي طالب على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فقد روى يعقوب الفسوي بسنده عن أبي البحتري قال: «سئل علي عن أصحاب محمد ﷺ فقال: عن أيهم تسألوني؟ قالوا: عن

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (٣١٠، ٣١١).

(٢) الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٣) [مؤسسة انتشارات، ط١، ١٣٦٣ش].

(٣) انظر: الإيضاح للفضل بن شاذان (٦٣).

(٤) انظر: الصراط المستقيم للعاملي (٣/٢٤٧) [المكتبة المرتضوية].

(٥) الخصال للصدوق (٤٥٨) [منشورات جماعة المدرسين، ١٤٠٣هـ]، والأمالي للمفيد (٣٠) [دار المفيد، ط٢، ١٤١٤هـ].

عبد الله. قال: علم القرآن وعلم السُّنَّة ثم انتهى وكفى به علمًا. فقالوا: أخبرنا عن أبي موسى؟ قال: صبغ في العلم صبغًا»[1]، وكذا اختياره إياه أيضًا للتحكيم، فقد روى ابن أبي شيبة بسنده عن أبي صالح «أن عليًّا قال لأبي موسى: احكم ولو بحز عنقي»[2].

كما أن تلك الروايات تحكي ما هو معروف انتفاؤه بداهة عن جيل الصحابة الأطهار رضي الله عنهم، من لعن بعضهم بعضًا، وشهادة بعضهم بالنفاق على بعض.

المصادر والمراجع:

١ ـ «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (ج٤)، لابن عبد البر.

٢ ـ «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٤)، لابن حجر.

٣ ـ «تاريخ خليفة بن خياط».

٤ ـ «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (ج٢)، لمحمد أمحزون.

٥ ـ «سير أعلام النبلاء» (ج٢)، للذهبي.

٦ ـ «الطبقات الكبرى» (ج٤)، لابن سعد.

٧ ـ «طبقات خليفة بن خياط».

٨ ـ «المعارف»، لابن قتيبة.

٩ ـ «موقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية من الصحابة رضي الله عنهم»، لعبد القادر محمد عطا صوفي.

١٠ ـ «النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم»، لابن العربي.

الموقف

التعريف لغةً:

الموقف: مكان الوقوف، قال ابن فارس: «الواو، والقاف، والفاء أصل واحد يدل على تمكّثٍ في الشيء»[3]. وهذا الفعل يأتي منه لازم ومتعدٍّ[4]، ومصدر الفعل المتعدي يكون وقفًا، ومصدر اللازم يكون وقوفًا، ومنه الموقف، وهو محل الوقوف حيث كان[5].

التعريف شرعًا:

المكان الخاص الذي أعده الله تبارك وتعالى لحشر الناس لحسابهم وفصل القضاء بينهم[6].

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

خصص الشرع المعنى اللغوي الذي

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/٣٤٦) [دار صادر، ط١]، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/٥٤٠) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١هـ].

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب الجمل وصفين والخوارج، رقم ٣٧٨٥٣)، ورجاله ثقات.

(٣) مقاييس اللغة (١١٠١) [دار الفكر، ط٢، ١٤١٨هـ].

(٤) القاموس المحيط (٧٩٤) [دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ].

(٥) مقاييس اللغة (١١٠٢)، والقاموس المحيط (٧٩٤).

(٦) حياة الآخرة (١/٢٤١) [دار لينة، مصر، ط١].

هو مكان الوقوف حيث كان، إلى مكان خاص يقف فيه العباد يوم القيامة للحساب.

سبب التسمية:

سبب تسمية الموقف بالموقف هو أن الناس يقفون فيه لربِّ العالمين فيحاسبهم.

الحكم:

وجوب الإيمان به، وهو يدخل في الإيمان باليوم الآخر، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [الأنعام: ٣٠].

الحقيقة:

يقف الناس يوم القيامة على أقدامهم إلى ما شاء الله أن يقفوا، وليست حالتهم واحدة، ولا موقفهم ولا مقامهم واحدًا، ولكن لهم مواقف وأحوال[١].

الأدلة:

من الأدلة على الموقف: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين].

(١) انظر: التذكرة (٢/٥٢٨، ٥٢٩) [دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥هـ]، وشعب الإيمان (١/٤١٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ].

وقال النبي ﷺ: «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ **حتى يغيب أحدهم في رَشْحِه إلى أنصاف أذنيه**»[٢]، وفي رواية: «**يقوم الناس يوم القيامة لربِّ العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[٣].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: مكان الموقف:

يكون الموقف في «أرض بيضاء قاع صفصف، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا[٤]، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة ينخفض فيها عن الأعين، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيها، يساقون إليه زمرًا، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض»[٥].

قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة**

(٢) أخرجه البخاري (كتاب التفسير، رقم ٤٩٣٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٠/٢٥٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤١٥) [مكتبة الرشد، ط١] واللفظ له، وصحح سنده محققو المسند.

(٤) قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝١٠٧ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه].

(٥) أحوال الميت من نفخة الصور إلى الاستقرار في الجنة أو النار (١٥، ١٦) [دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩١م].

النَّقِيّ[(١)] ليس فيها عَلَمٌ لأحد»[(٢)].

ـ **المسألة الثانية: مقدار الوقوف في الموقف:**

نقل صاحب البحور الزاخرة في هذه المسألة عدة أقوال بأدلتها، والظاهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص على حسب الأعمال، بدليل كونه على المؤمنين أخف من الصلاة المكتوبة، والله سبحانه وتعالى أعلم[(٣)].

ـ **المسألة الثالثة: صفة الوقوف:**

بيَّنها النبي ﷺ بقوله: «**إنكم تحشرون حفاة عراة غرلًا**، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء]، **فأول من يكسى إبراهيم**»[(٤)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**»[(٥)]. قلت: يا رسول الله! الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة! الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[(٦)]، وفي رواية: «**يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**، فقالت له عائشة: يا رسول الله! فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس]»[(٧)].

ـ **المسألة الرابعة: رؤية أهل الإسلام في الموقف ربهم:**

بوّب السيوطي في كتابه «البدور السافرة» بقوله: «باب تجليه تعالى في الموقف لأهل الإسلام وامتحانهم»[(٨)]، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢]، ثم قال: أخرج الشيخان في الموقف عن أبي هريرة قال: «قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله! قال:

---

(١) قال النووي: العفراء بالعين المهملة والمد، بيضاء إلى الحمرة، والنقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء، هو: الدقيق الحُوَّارى، وهو: الدرمك، وهو: الأرض الجيدة. المنهاج (١٧/ ١٣٢) [دار المعرفة، ط١٢، ١٤٢٧هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦١٥٦)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٩٠).

(٣) البحور الزاخرة (١/ ٦٢٥) [شركة غراس، ط١، ١٤٢٨هـ].

(٤) أخرجه البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، رقم ٣٤٤٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٦٠).

(٥) غُرلًا: بضم المعجمة وسكون الراء؛ جمع أغرل، وهو الأقلف وزنه ومعناه، وهو من بقيت غرلته، وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٦٦) [دار السلام، ط١، ١٤٢١هـ].

(٦) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٢٧)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٥٩) واللفظ له.

(٧) أخرجه النسائي (كتاب الجنائز، رقم ٢٠٨٣)، وأحمد (٤١/ ١٣٥) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٦٨٤) وصححه، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٨) البدور السافرة (٢٣٠) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ].

«هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك»[(١)]، ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ عدة أحاديث أخرى[(٢)] كلها تدل دلالة صريحة على أن المؤمنين يرون ربهم في الموقف.

المصادر والمراجع:

١ ـ «البحور الزاخرة» (ج١)، للسفاريني.
٢ ـ «البدور السافرة في أحوال الآخرة»، للسيوطي.
٣ ـ «البعث»، لابن أبي داود.
٤ ـ «التذكرة» (ج٢)، للقرطبي.
٥ ـ «حياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار» (ج١)، لغالب العواجي.
٦ ـ «شعب الإيمان» (ج١)، للبيهقي.
٧ ـ «فتح الباري» (ج١١)، لابن حجر.
٨ ـ «الفتوى الحموية الكبرى»، لابن تيمية.
٩ ـ «مجموع الفتاوى» (ج٤، ٥)، لابن تيمية.
١٠ ـ «شرح صحيح مسلم» (ج١٧)، للنووي.

(١) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٧٣)، ومسلم (كتاب الإيمان، رقم ١٨٢).
(٢) انظر: عدة الأحاديث بتمامها في البدور السافرة للسيوطي (٢٣٠ ـ ٢٣٧).

المولد

التعريف لغةً:

المولد: مشتق من الولادة، والولادة هي: حدوث الشيء عن الشيء وحصوله عنه، وهو دليل النجل والنسل[(٣)].

قال الجوهري: «وميلاد الرجل: اسم للوقت الذي ولد فيه. والمولد: الموضع الذي ولد فيه»[(٤)].

التعريف اصطلاحًا:

المراد بالمولد هنا: مولد النبي ﷺ.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

العلاقة ظاهرة: فمولد النبي ﷺ هو اسم لوقت ولادته ولمكانها.

سبب التسمية:

سمي الاحتفال بالمولد مولدًا؛ لكونه يقام في تاريخ ولادة ذلك المعظَّم من نبي أو ولي من كل عام.

الحكم:

تخصيص يوم مولد النبي ﷺ باحتفال أو عبادة وجعله مناسبة وعيدًا: بدعة ضلالة محدثة في الشرع؛ إذ لا دليل

(٣) انظر: مقاييس اللغة (٦/١٤٣) [دار الجيل، ١٤٢٠هـ]، وتهذيب اللغة (١٤/١٧٦) [الدار المصرية للتأليف، ط١، ١٣٨٤هـ]، والقاموس المحيط (٣٢٧) [مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٤هـ].
(٤) الصحاح (٢/٥٥٤) [دار العلم للملايين، ط٤].

على مشروعيتها من كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي ولا أُثِر عن أحد من السلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، ولم تخترع هذه المحدثة إلا في القرن الرابع الهجري على أيدي العبيديين القرامطة الغلاة الباطنية؛ تشبهًا بالنصارى الذين يحتفلون بمولد المسيح عليه السلام؛ وتظاهرًا من العبيديين بحب النبي ﷺ مخادعةً للمسلمين، وتحسينًا لصورتهم عندهم، ولجعل هذه الموالد وسيلة لجذب الرعايا إليهم، ونشر خصائص مذهبهم الباطني الإسماعيلي وعقائده الباطلة[(١)].

الحقيقة:

المولد يشمل: مولده المكاني، ومولده الزماني وهو يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل على المشهور، وفيه أقوال أخرى، الموافق لشهر أغسطس/آب من عام ٥٧٠ من تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام[(٢)].

وقد يطلق المولد على غير مولد النبي ﷺ، ولكن مقيدًا باسم من يحتفل بمولده؛ كموالد الأولياء المحدثة من قبل الباطنية العبيديين وأشباههم من الرافضة والصوفية القبورية، ومنها: مولد علي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الزهراء، ومولد الخليفة الحاضر، ومولد البدوي، وغيرها[(٣)].

وحقيقة الاحتفال بالمولد: تعظيم ليوم مولد هذا المعظم واحتفاء به تقربًا إلى الله تعالى، وهذا بدعة محدثة لم يشرعها الله ولا فعلها رسوله ﷺ ولا السلف الكرام، ولا أمروا بها مع قيام المقتضي لذلك وعدم المانع[(٤)].

الأدلة:

يمكن تصنيف الأدلة على تحريم هذه الموالد **على ما يلي**:

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٣) [دار إشبيليا، ط٢، ١٤١٩هـ]، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ]، والإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ (١٢٦) [المكتبة العلمية، ط٥، ١٣٩١هـ]، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/ ٦١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٢، ١٤٢٤هـ]، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (٢/ ٣٩٤) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٢].

(٢) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (٧/ ١٠٠) [دار الغرب الإسلامي، ط١٤٠١هـ]، والبداية والنهاية (٣/ ٣٧٥) [دار هجر، ط١، ١٤١٧هـ]، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (١/ ١٣١) [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ]، ووفيات الأعيان (١/ ٤٣٧) [دار صادر]، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/ ٣٦١) [إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط٢].

(٣) انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤).

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٣).

أولًا: أدلة النهي عن الابتداع والإحداث في الدين.

وهي كثيرة منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)].

وفي رواية لمسلم[(٢)]: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه... ويقول: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[(٣)].

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(٤)].

(١) أخرجه البخاري (كتاب الصلح، رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (كتاب الأقضية، رقم ١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الجمعة، رقم ٨٦٦).

(٤) أخرجه أبو داود (كتاب السُّنَّة، رقم ٤٦٠٧)، والترمذي (أبواب العلم، رقم ٢٦٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (المقدمة، رقم ٤٢)، وأحمد (٢٨/٣٦٧) [مؤسسة الرسالة، ط١]، والدارمي (كتاب العلم، رقم ٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ٣٧) [مكتبة المعارف، ط٥].

ثانيًا: الأدلة الآمرة بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم والتحذير من مخالفة سبيلهم، وهي كثيرة، **ومنها:**

قوله عز وجل: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر: ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾**﴾ [النور].

وقال سبحانه: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾**﴾ [الأحزاب].

ثالثًا: أن الله عز وجل قد أكمل لنا الدين، ورسوله صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ الأمة البلاغ المبين، وليس في كتاب الله ولا في سُنَّة رسول الله ما يدل على مشروعية الاحتفال بهذه الموالد، ولذلك لم يفعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا أحد من السلف أصحاب القرون الثلاثة المفضلة. والله سبحانه وتعالى قد قال في محكم التنزيل: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]

فـ«إحداث مثل هذه الموالد يفهم منه: أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلِّغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به، حتى جاء هؤلاء

المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به، زاعمين: أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم، واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة. والرسول ﷺ قد بلَّغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقًا يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بيَّنه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**» رواه مسلم في «صحيحه»[(١)]. ومعلوم أن نبيَّنا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأكملهم بلاغًا ونصحًا، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء؛ بل هو من المحدثات التي حذر الرسول ﷺ منها أمته»[(٢)].

رابعًا: أن في إقامة هذه الموالد وجعلها عيدًا تشبهًا ومضاهاةً بالنصارى في احتفالاتهم بعيد ميلاد المسيح، وقد نهينا عن التشبه بالكفار وأمرنا بمخالفتهم[(٣)].

خامسًا: ما أدى إليه إحداث هذه الموالد من البدع الأخرى والغلو والاعتقادات الباطلة والمنكرات المصاحبة؛ لأن «البدعة: إفراز لمرض الشبهة، والشبهة باب البدعة، والبدعة: بريد الكفر، وشَرَك الشرك»[(٤)]. فكل مُبْتَدَع مُحدَث يتولد منه أمور محدثة، وهكذا تبدو المحدثات صغارًا ثم تنمو، حتى تتقطع السبيل إلى سبل، وتتغاب السنن[(٥)].

أقوال أهل العلم:

من أقوال أهل العلم في إنكار بدعة الموالد:

قال تاج الدين الفاكهاني رحمه الله: «لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سُنَّة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطَّالون، وشهوة نفسٍ اغتنى بها الأكَّالون»[(٦)].

(١) صحيح مسلم (كتاب الإمارة، رقم ١٨٤٤).

(٢) حكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز ـ ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/ ٥٨، ٥٩).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٣).

(٤) الرد على المخالف من أصول الإسلام لبكر أبي زيد، ضمن الردود (٩) [دار العاصمة، ط١، ١٤١٤هـ]. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٥٥٢) [مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٥هـ].

(٥) انظر: تصحيح الدعاء لبكر أبي زيد (٣١٦)، وحكم الانتماء له أيضًا (١٠٧، ١٥٩).

(٦) المورد في عمل المولد للفاكهاني ـ ضمن رسائل =

وعقد ابن الحاج المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «المدخل» فصلًا عن المولد، سرد فيه جملة من المفاسد والمنكرات التي تفعل في الموالد ثم قال: «وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلا منه وعمل طعامًا فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط؛ إذ إن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه؛ لأنهم أشد الناس اتباعًا لسُنَّة رسول الله ﷺ وتعظيمًا له ولسُنَّته ﷺ، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد، كما قال الشيخ الإمام أبو طالب المكي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «وقد جاء في الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرًا والمنكر معروفًا» انتهى. وقد وقع ما قاله ﷺ بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[(١)]

= في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٨، ٩).

(١) المدخل لابن الحاج (٢/١٠) [دار الفكر، ١٤٠١هـ].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية؛ كبعض ليالي شهر ربيع الأول الذي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال (عيد الأبرار) فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها»[(٢)].

وقال أيضًا عن هذا المولد: «فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحق به منا؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سُنَّته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حراصًا على أمثال هذه البدع مع ما لهم من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم بهما المثوبة تجدهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/٢٩٨).

من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه، أو يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلًا، وبمنزلة من يتخذ المسابيح والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع، ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها»[(١)].

المسائل المتعلقة:

ـ المسألة الأولى: الاحتفال برأس السنة الميلادية:

وهو المسمى: الكرسميس، أو تهنئة النصارى فيه؛ فهذا احتفال بدعي محرم لا يجوز فعله ولا تهنئة النصارى فيه؛ **لأمرين**[(٢)]:

الأول: أن هذا فيه تشبه بالكفار؛ لأنه موافقة للنصارى فيما ليس من ديننا ولا عادة سلفنا، فيكون فيه مفسدة موافقتهم والتشبه بهم، وترك مصلحة مخالفتهم المقصودة للشارع.

الثاني: ما ورد من الأدلة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والاعتبار في النهي عن مشابهة الكفار في أعيادهم خاصة، وما ورد في النهي عن مداهنتهم والرضا بأفعالهم.

يقول ابن التركماني في كتابه «اللمع في الحوادث والبدع»[(٣)] عن هذه الأعياد النصرانية: «فصل: ومن البدعة أيضًا والخزي والبعاد ما يفعله المسلمون في نيروز النصارى ومواسمهم والأعياد من توسع النفقة، وهذه نفقة غير مخلوفة، وسيعود شرّها على المنفق في العاجل والآجل».

ـ المسألة الثانية: الاحتفال بيوم ميلاد الإنسان:

وهذا فرع عن المسألة السابقة، فيكون ذلك محرمًا منهيًّا عنه؛ لما فيه من مشابهة الكفار التي نهينا عنها، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين[(٤)].

ـ المسألة الثالثة: الاحتفال برأس السنة الهجرية:

وهذا أيضًا بدعة محرمة؛ لأن الأعياد مرجعها إلى الشرع وليس إلى العادات؛ فيكون في اختراع أعياد لم يدل الشرع عليها إحداث وابتداع في الدين، وفيه أيضًا: تشبه بالنصارى في احتفالهم برأس السنة الميلادية كما تقدم، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين[(٥)].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٣، ١٢٤).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (٢٥/ ٤٩٥) [دار الثريا، ط١، ١٤٢٩هـ].

(٣) (١/ ٢٩٣ ـ ٣١٦).

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٨/ ٢٦٠)، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (٥/ ١٧٦)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (٩/ ٣٧٦).

(٥) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٧/ ٤٣٧)، ومجموع =

ـ المسألة الرابعة: التأريخ بالتاريخ الميلادي:

كان التاريخ الميلادي موجودًا في عهد الصَّحابة رضي الله عنهم، ولكنهم لم يستعملوه، بل عدلوا عنه إلى التاريخ الهجريِّ، وهذا دليل على أنَّ المسلمين يجب أن يستقلُّوا عن عادات الكفَّار وتقاليدهم، لا سيَّما وأنَّ التَّاريخ الميلاديَّ رمز على دينهم؛ لأنه يرمز إلى تعظيم ميلاد المسيح والاحتفال به على رأس السَّنَة، وهذه بدعة ابتدعها النصارى؛ فيجب ألا نشاركهم في ذلك بالتأريخ بتاريخهم حتى لا نقع في التشبه بهم المنهي عنه في شريعتنا. وفي التاريخ الهجري الذي اتفق عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كفاية وغناء، وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة، وابن باز وابن عثيمين والفوزان[1].

الآثار:

ترتب على إحداث هذه الموالد كثير من المخالفات الشرعية والمناهي الجلية التي تدور بين الشرك والبدعة والمعصية، وهكذا هي خطوات الشيطان. وقد نبَّه أهل العلم قديمًا وحديثًا على هذه المخالفات، **فيما يلي جملة منها**[2]:

١ ـ الوقوع في الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام، وذلك بالإطراء في القصائد والمدائح والغلو في الرسول والأولياء ودعائهم من دون الله، وتقديم النذور والذبائح قربانًا لغير الله.

٢ ـ «الاعتقادات الباطلة والظنون الفاسدة؛ كظن بعضهم أن الرسول ﷺ يحضر المولد!

٣ ـ تزايد البدع والمحدثات وتكاثرها، ومن ذلك: جعل الاحتفال بالمولد أيامًا عديدة، أو تكراره كل ليلة جمعة، واختراع موالد أخرى للأولياء والمعظمين، وشد الرحال إلى القبور والمزارات البدعية، واختراع أدعية محدثة مخالفة للشرع تسمى بـ(الأحزاب أو الرواتب).

٤ ـ الاستشهاد بالأحاديث المكذوبة

= فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز (١٧/٣١)، ومجموع ورسائل وفتاوى ابن عثيمين (١٦/٢٠٣، ٢٠٤).

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٣٩٨)، والمنتقى من فتاوى الفوزان (١/٢٥٧) [مكتبة الغرباء، ط٢، ١٤١٧هـ].

(٢) انظر: المورد في عمل المولد للفاكهاني ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/١١، ١٢)، والمدخل لابن الحاج، والمعيار المعرب للونشريسي (٧/١٠٠، ١٠١، ٨/٢٥٥، ٩/٢٥٢)، وتفسير المنار (٩/٩٦) [دار المعرفة، ط٢]، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازه للشيخ محمد بن إبراهيم ـ ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/٣٧ ـ ٤٣)، والإبداع في مضار الابتداع (١٢٦ ـ ١٢٨)، وحكم الاحتفال بالمولد النبوي لابن باز ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/٦١ ـ ٦٣)، والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/٣٥٤ ـ ٣٦٠، ٣٧٦)، والقول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٢/٦٢٩ ـ ٨٦٥).

والضعيفة، والقصص الواهية، والرؤى والخرافات الوهمية.

٥ ـ تعظيم البدع والنشاط فيها، والاستهانة بالسنن؛ بل بالواجبات والكسل عنها.

٦ ـ التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم واحتفالاتهم بموالد معظميهم.

٧ ـ امتهان آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ﷺ، وقلة احترامهم وتعظيمهم لها، حيث يجمعون في احتفالاتهم بينها وبين لهو الحديث ولغو الكلام، وقد يبتدئون بها وقصدهم الغناء والطرب بها.

٨ ـ انتهاك حرمة المساجد بهذه المنكرات، وكثرة اللغط ورفع الأصوات المنافية لآداب بيوت الله.

٩ ـ الأغاني وما يصاحبها من آلات اللهو من المعازف والمزامير الشيطانية.

١٠ ـ الشطح، والرقص، والهز والدوران الشديد المسمى بـ(الزار)، وقد يحصل في بعضها شيء من الفجور وتعاطي المسكرات والمفترات.

١١ ـ الافتتان بالمردان الذين يغنون ويتراقصون في هذه الاحتفالات.

١٢ ـ افتتان الرجال بالنساء لما يحصل في بعض اجتماعاتهم من الاختلاط، واطلاع الرجال على النساء، وارتفاع أصوات النساء.

١٣ ـ خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من نياحة ورفع الصوت، واختلاط.

١٤ ـ الإسراف والتبذير وإضاعة المال في هذه الحفلات التي لا تعود بنفع في دين ولا في دنيا.

١٥ ـ اتخاذ هذه الموالد عند البعض لأغراض دنيوية من أكل لأموال الناس بالباطل، أو طلب جاه أو مدح، أو تعظيم متبوع من سادتهم، ونحو ذلك من الأغراض الدنيئة الخسيسة.

١٦ ـ اتهام أرباب هذه الموالد غيرهم ممن لا يقيمها بأقبح التهم وأشنعها؛ وهو أنه لا يحب الرسول!

«هذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة، وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الإنس والجن مما يتعذر حصره، فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع، وفقنا الله لذلك بمنِّه»(١).

ولما كانت هذه الموالد بهذه الدرجة من الانحراف والضلال والفساد العقدي والأخلاقي سعى الكفار المحتلون لعدد من البلاد الإسلامية وأعوانهم من الحكومات الفاسدة إلى تشجيع هذه البدع ودعم أربابها من الفرق الضالة؛

(١) المدخل لابن الحاج (٢/٢٦).

لتخدير المسلمين، وإلهائهم عن عظائم الأمور، وشغلهم بهذه الرسوم والمواسم عن الإعداد لجهاد الكافرين، وتضييعهم عن دينهم القويم وما فيه من أصول وتعاليم لو تمسكوا بها وأقاموها لسادوا على جميع العالمين، «فقد كانت فرنسا في بلاد المغرب بأقاليمه الثلاثة تساعد حتى بتخفيض تذكرة الإركاب في القطار، وكذلك بلغني أن الحكومات المصرية تفعل نحو ذلك، ومن أغرب ما نسمع عن هذا الوفاق أن حكومة اليمن الجنوبي[١] وهي بلشفية خالصة تشجع هذه الموالد ولو بعدم إنكارها، وهي التي أنكرت الإسلام عقائد وعبادات وأحكامًا. ولهذا دلالة كبرى وهي: أن هذه الموالد ما ابتدعت إلا لضرب الإسلام، وتحطيمه والقضاء عليه. ومن هنا كان حكم الإسلام على هذه الموالد والمواسم والزرد والحضرات المنع والحرمة، فلا يبيح منها مولدًا ولا موسمًا ولا زردة ولا حضرة؛ وذلك لأنها بدع قامت على أساس تقويض العقيدة الإسلامية، وإفساد حال المسلمين، ويدلك على ذلك مناصرة أهل الباطل لها ووقوفهم إلى جنبها ومعها، ولو كان فيها ما يوقظ الروح الإسلامي، أو يحرك ضمائر المسلمين لما وجدت من حكومات الباطل والشر إلا محاربتها والقضاء عليها»[٢].

وهذا هو ما أكده المؤرخ المصري الجبرتي عن الاستعمار الفرنسي لمصر حيث قال في كتابه «عجائب الآثار»[٣] عن هذه الموالد ودعم الفرنسيين المحتلين لها: «ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات».

مذهب المخالفين:

اتفق المخالفون في المولد مع القائلين بأنه بدعة محدثة لم تفعل في القرون الثلاثة المفضلة؛ لكنهم خالفوهم في جعل هذه البدعة: بدعة حسنة، واستحبوا فعلها مستندين في ذلك إلى أن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة[٤].

والجواب عليهم من وجوه عديدة؛ منها:

الأول: جميع الأدلة القاضية بعموم

---

(١) أي: قبل أن يُوحد شطرا اليمن عام (١٩٩٠م).

(٢) الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد لمجموعة من العلماء (١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٣) (٢/ ٣٠٦) [دار الجيل، ط٢، ١٩٧٨م].

(٤) انظر مثلًا: حسن المقصد في عمل المولد للسيوطي ضمن الحاوي للفتاوى (١/ ١٨٩) [دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ]، وحول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، والذخائر المحمدية لمحمد علوي المالكي، وغيرهم. وقد رد عليهم جملة من علماء الأمة.

ضلال كل البدع، وأن كل بدعة ضلالة وليس فيها بدع حسنة.

الوجه الثاني: أن تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة أو إلى الأحكام التكليفية الخمسة تقسيم باطل يقضي بإبطال عموم الأدلة الدالة على إنكار كل البدع المحدثة في الدين، وهو تقسيم مفتعل مخترع متناقض.

ثم إن كلام أي عالم لا يكون مخصصًا أو مقيدًا لعموم كلام رسول الله ﷺ.

وأقوال العلماء في إبطال هذا التقسيم المناقض للأدلة كثيرة جدًّا، وردودهم في هذه المسألة بالذات أكثر وأكثر[١].

ومما يحتج به المخالفون: أن هذا الاحتفال تعظيم للنبي ﷺ وإظهار لحبه.

والجواب: أن المولد ليس من تعظيم النبي ﷺ؛ لأن التعظيم عبادة، والعبادات توقيفية باتفاق المسلمين، والنبي ﷺ لم يشرع لنا الاحتفال بمولد آدم أو إبراهيم أو موسى أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام، ثم السلف من الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب متفقون على عدم فعله وعدم مشروعيته، فلا يسوغ لنا فعله.

(١) انظر مثلًا: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٦ ـ ١٠١)، والاعتصام (١/ ٣٢٧ ـ ٣٣٣).

المصادر والمراجع:

١ ـ «الإبداع في مضار الابتداع»، لعلي محفوظ.

٢ ـ «الاعتصام»، للشاطبي.

٣ ـ «اقتضاء الصراط المستقيم» (ج٢)، لابن تيمية.

٤ ـ «الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف»، للجزائري.

٥ ـ «حكم الاحتفال بالمولد والرد على من أجازه»، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٦ ـ «حكم الاحتفال بالمولد النبوي»، لابن باز.

٧ ـ «الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي وبيان أخطائهم في المولد»، للتويجري.

٨ ـ «فتاوى محمد رشيد رضا» (ج٤).

٩ ـ «القول الفصل في حكم التوسل بخير الرسل»، للأنصاري.

١٠ ـ «مجموع ورسائل وفتاوى بن عثيمين» (ج٩، ١٦، ٢٥).

١١ ـ «المدخل»، لابن الحاج المالكي.

١٢ ـ «المورد في الكلام على المولد»، للفاكهاني.

١٣ ـ «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (ج١)، للمقريزي.

المولى

يراجع مصطلح (الولي).

الميثاق

التعريف لغةً:

الميثاق: مشتق من مادّة (و ـ ث ـ ق). قال ابن فارس: «الواو والثاء والقاف كلمة تدلّ على عَقْد وإحْكام، وَوَثَّقْت الشيء: أحكَمْتَه، وناقة موثَّقة الخلق؛ أي: محكمته. والميثَاق: العَهْد المحكم»[١]. وقال الفيروزآبادي: «المِيثاق: عَقْدٌ يؤكد بيمين وعَهْد، وأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف»[٢].

والوَثاقَة: مصدر الشيء الوَثيق الْمُحكم، والفعل اللازم: وَثُقَ وثاقة فهو وَثيق. والوثيقةُ في الأمر: إحكامُهُ والأخذ بالثقَة، والجمع: الوَثائق. والمُواثَقة: المعاهدة»[٣].

التعريف شرعًا:

هو إقرار بني آدم بربوبية الله تعالى، وشهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون له، فشهدوا على أنفسهم بأنهم عبيده[٤].

الأسماء الأخرى:

من الألفاظ المرادفة لكلمة الميثاق: العهد، الإشهاد، الفطرة.

الحكم:

يجب الإيمان بأن الله تعالى أخذ الميثاق من بني آدم، فجعلهم شاهدين على أنفسهم مقرِّين بربوبية الله تعالى لهم وأنهم عبيدٌ له سبحانه، فأما نطقهم وتكلمهم بذلك، فليس في شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليه القرآن. فالإشهاد على أنفسهم كان على وجه الإقرار ولسان الحال، لا بلسان المقال[٥].

الحقيقة:

حقيقة الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] **فيها قولان لأهل العلم**[٦]:

الأول: أن الإشهاد في الآية يُفسر بالفطرة على التوحيد، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه. والأحاديث الواردة

---

(١) مقاييس اللغة (٦/ ٨٥) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ].

(٢) بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٥٨) [لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ١٤١٢هـ].

(٣) تهذيب اللغة (٩/ ٢٠٦) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م]، ولسان العرب (١٠/ ٣٧١) [دار صادر، ط٣].

(٤) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/ ٤٨٨).

(٥) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/ ٤٨٣، ٤٨٥)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/ ١٠٠٤) [مكتبة رمادي، ط١، ١٤١٨هـ].

(٦) انظر: المصدر السابق.

في ذلك دالَّة على إثبات القدر السابق واستخراج صور بني آدم وتميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

الثاني: أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء في صورة الذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق.

الأهمية:

أهمية الميثاق الذي أخذه الله على آدم وذريته تتبين في أن الله تبارك وتعالى تعرف قبل التكليف بنفسه وبعد التكليف بالسفراء؛ لأنه لو خاطبهم وكاشفهم قبل التكليف بلا سفير لبطل التكليف، لذا فإن كل واحد من بني آدم يجد أثر عهد الله وميثاقه في سويداء قلبه، فإن الله تعالى لما تعرّف إلى عباده بنفسه يوم الميثاق أبقى أثر معرفته وميثاقه في فطرة كل واحد من بني آدم[1].

الأدلة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة]،

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۙ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحديد]؛ أي: وقد أخذ منكم ربكم ميثاقكم في صلب آدم، بأن الله ربكم لا إلٰه لكم سواه[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف].

ومن السُّنَّة: ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي**»[3].

وعن هشام بن حكيم؛ أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أنبتدئ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفة، فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار**

---

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/ ٥١٠)، وميثاق الإيمان لعيسى بن عبد الله السعدي (٢٤، ٢٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٠) [دار هجر، ط١].

(٣) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٥٥٧)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٨٠٥).

ميسرون لعمل أهل النار»(١).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت**»(٢) الحديث. قال ابن بطال رحمه الله: «يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية»(٣).

أقوال أهل العلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإشهادهم على أنفسهم جعلهم شاهدين على أنفسهم؛ أي: مقرين له بربوبيته، كما قال في تمام الكلام: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقولهم: بلى شهدنا، هو إقرارهم بربوبيته، وهو شهادتهم على أنفسهم بأنه ربهم وهم مخلوقون به، فشهدوا على أنفسهم بأنهم عبيده. كما يقول المملوك: هذا سيدي، فيشهد على نفسه بأنه مملوك لسيده، وذلك يقتضي أن هذا الإشهاد من لوازم الإنسان، فكل إنسان قد جعله الله مقرًّا بربوبيته، شاهدًا على نفسه بأنه مخلوق والله خالقه. ولهذا جميع بنى آدم مقرون بهذا شاهدون به على أنفسهم. وهذا أمر ضروري لهم لا ينفك عنه مخلوق، وهو مما خلقوا عليه وجبلوا عليه، وجعل علمًا ضروريًّا لهم، لا يمكن أحدًا جحده»(٤).

وقال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه»(٥).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «أخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو. وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم»(٦)

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (١/ ٧٣، ٧٤) [المكتب الإسلامي، ط١]، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٦٨) [مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٥هـ] واللفظ له، والبيهقي في القضاء والقدر (٢٢٥) [مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ]، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (٧/ ١٨٧) [مكتبة القدسي]، وصححه الألباني في ظلال السُّنَّة [المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ].

(٢) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٣٠٦).

(٣) فتح الباري (١/ ٩٩، ١٠٠).

(٤) درء التعارض لابن تيمية (٨/ ٤٨٨).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٠) [دار طيبة، ط٢].

(٦) شرح الطحاوية (٢١٤) [وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط١، ١٤١٨هـ].

المسائل المتعلقة:

- **معاني الميثاق الوارد في النصوص:**

وردت كلمة (ميثاق) في النصوص بمعانٍ عدة، غير المعنى المراد به هنا.

فقد وردت بمعنى العهد الذي أخذه الله تعالى على عباده ألا ينقضوه[١]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة].

ووردت أيضًا بمعنى ما أخذه الله على بني إسرائيل من امتثال ما أنزل الله من التوراة[٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣]

ووردت أيضًا بمعنى ما أخذه الله على الأنبياء عليهم السلام من إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته وأن يصدق بعضهم بعضًا، ويأمر بعضهم بالإيمان بعضًا[٣]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب].

ووردت أيضًا بمعنى عقد النكاح[٤]، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾ [النساء].

ووردت أيضًا بمعنى العقود والعهود والمواثيق التي عقدها رسول الله ﷺ مع بعض المشركين[٥]، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [النساء: ٩٠].

ووردت أيضًا بمعنى البيعة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ عليها[٦]، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧].

ووردت أيضًا بمعنى العهد والعقد مطلقًا مما يكون بين الخلق وخالقهم أو بعضهم مع بعض[٧]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾ [الرعد].

مذهب المخالفين:

ذهب بعض أهل العلم من أهل السُّنَّة وغيرهم إلى أن الله أخرج جميع ذرية آدم من ظهور الآباء ونشرهم كالذر، وأشهدهم على أنفسهم بلسان المقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ ثم أرسل بعد ذلك الرسل مذكرة بذلك الميثاق[٨].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٣٤٧).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٩٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١/٥٨٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/١٢٤)، وتفسير ابن كثير (٣/٤٦٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/١٠٣)، وتفسير ابن كثير (١/٤٦٧).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/٣٠٨).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/١٠٨)، وتفسير ابن كثير (٢/٣٠).

(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٠٧)، وتفسير النسفي (٢/٤٠٩).

(٨) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٣، ٤٨٥)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/١٠٠٤).

❁ **الرد عليهم:**

أن الاستخراج والاستنطاق لم يرد فيهما شيء من الأحاديث التي تقوم بها الحجة ولا يدل عليهما القرآن. وأن معنى الشهادة في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يراد بها الإقرار، ولا يلزم في هذا النطق، بل الشهادة تكون حالًا ومقالًا، فالشهادة على النفس معناها الإقرار؛ أي: جعلهم مقرين بهذا الميثاق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر حالًا لا مقالًا، فإنهم كانوا مقرين لما هو كفر، فكان ذلك شهادتهم على أنفسهم، وإن لم ينطقوا بذلك. وكذلك قوله: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ القول: قد يكون باللفظ، وقد يكون بالحال[(١)].

❁ **المصادر والمراجع:**

١ ـ «أحكام أهل الذمة» (ج٢)، لابن القيم.

٢ ـ «أخذ الميثاق»، لعبد العزيز العثيم.

٣ ـ «تفسير ابن كثير» (ج٣).

٤ ـ «درء تعارض العقل والنقل» (ج٨)، لابن تيمية.

٥ ـ «الروح»، لابن القيم.

٦ ـ «شرح الطحاوية»، لابن أبي العز الحنفي.

٧ ـ «العهد والميثاق في القرآن الكريم»، لناصر العمر.

٨ ـ «فتح الباري» (ج١)، لابن حجر.

٩ ـ «الفطرة: حقيقتها ومذاهب الناس فيها»، لعلي بن عبد الله القرني.

١٠ ـ «ميثاق الإيمان»، لعيسى بن عبد الله السعدي.

❁ الميزان ❁

❁ **التعريف لغةً:**

قال ابن فارس: «الواو والزاء والنون بناءٌ يدل على تعديل واستقامة: ووزَنْتُ الشيء وزنًا، والزِّنة: قدرُ وزنِ الشيء، والأصل وَزْنَة»[(٢)].

وأصل الميزان: مِوْزان؛ قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، وجمعه: موازين[(٣)]، وجائز أن تقول للميزان الواحد بأوزانه: موازين[(٤)].

---

(١) انظر: درء التعارض لابن تيمية (٨/٤٨٥)، وشرح الطحاوية (٢١٤).

(٢) مقاييس اللغة (٦/١٠٧) [دار الفكر، ط١٣٩٩هـ]، وانظر: تهذيب اللغة (١٣/١٧٦) [دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م].

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٧/٦٣)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/٤٤٦) [دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ]، والتذكرة في أحوال الموتى والآخرة (٣٦٤) [دار قباء للنشر]، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٥٤٧)، وفتح القدير (٢/١٩١) [دار الفكر، ط١٤٠٣هـ].

(٤) انظر: لسان العرب (١٣/٤٤٦).

ويطلق الميزان على واحد المثاقيل التي يوزن بها الأشياء، وعلى الآلة التي يوزن بها الأشياء، قال ابن منظور: «العرب يسمون الأَوْزانَ التي يُوزنُ بها التمر وغيره، المُسَوَّاةَ من الحجارة والحديد، الموَازِينَ، واحدها: ميزان، وهي المثاقيلُ، واحدها: مِثقال، ويقال للآلة التي يُوزَنُ بها الأشياء: ميزانٌ أيضًا»[1].

التعريف شرعًا:

هو ميزان حقيقي له كفتان، ينصب يوم القيامة لوزن العمال وأعمالهم وصحائف أعمالهم[2].

قال السفاريني: «قال علماؤنا: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال»[3].

سبب التسمية:

جاءت التسمية موافقة لطبيعة عمل الميزان؛ إذ توضع فيه الأشياء التي تظهر مقدار ما للعبد من حسنات وما عليه من سيئات؛ إظهارًا لعدل الله تعالى.

الحكم:

الإيمان به واجب؛ لدلالة النصوص على ثبوته، وهو أحد مفردات اليوم الآخر.

الحقيقة:

دلَّت النصوص الشرعية أنه ينصب يوم القيامة ميزان لوزن أعمال العباد، وسجلاتها، وله لسان وكفتان، والغاية من ذلك أن لا تظلم نفس شيئًا، ويظهر بذلك عدل الله تعالى.

أحد مفردات يوم القيامة الكائنة في العرصات بعد البعث وقبل دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار.

الأدلة:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[4].

---

(١) المرجع السابق (١٣/٤٤٦).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٥٩، ٣٦٠)، رسائل الآخرة للعبيدي (٢/١١٢٥).

(٣) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (كتاب الدعوات، رقم ٦٤٠٦)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم ٢٦٩٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «**إن الله عز وجل يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم**» قال: «**فتوضع السجلات في كفة**» قال: «**فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمٰن الرحيم**»(١).

أقوال أهل العلم:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «والإيمان بالميزان، كما جاء يوزن العبد يوم القيامة، فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به، والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته»(٢).

وقال أيضًا: «نؤمن بالصراط والميزان والجنة والنار والحساب، لا ندفع ذلك ولا نرتاب»(٣).

وقال الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب، وقراءة الكتاب والثواب والعقاب، والصراط والميزان»(٤).

وقال السفاريني: «قال علماؤنا: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال»(٥).

المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: صفات الميزان:

دلَّت نصوص السُّنَّة على أن للميزان كفتين، وأنه من الكبر بمكان، بحيث لو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن، وقد تقدم في أدلة السُّنَّة الآنفة إثبات الكفة، وأما كبر الميزان وعظمه؛ فلقوله ﷺ: «**يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرضُ لوسعها، فتقول الملائكة: يا ربّ لمن يزن هذا؟**

---

(١) أخرجه الترمذي (أبواب الإيمان، رقم ٢٦٣٩) وحسَّنه، وابن ماجه (كتاب الزهد، رقم ٤٣٠٠)، وأحمد (١١/ ٥٧٠) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب الإيمان، رقم ٢٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٣٥).

(٢) انظر: رسالة الإمام أحمد برواية ابن عبدوس في شرح اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (١/ ١٥٨).

(٣) انظر: رواية ابنه عبد الله عنه في شرح اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي (٦/ ١١٧٩).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوي لابن أبي العز (٤٠٤). وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١٠٣).

(٥) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٨٤).

فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[١].

وأما إثبات اللسان للميزان فجاء موقوفًا على ابن عباس[٢]، والحسن البصري[٣]، وقد نقل أبو إسحاق الزجاج إجماع أهل السُّنَّة على الإيمان بالميزان، وأن له لسانًا وكفتين[٤].

ـ المسألة الثانية: عدد الموازين:

ذكر الميزان في السُّنَّة تارة بلفظ الإفراد وتارة بلفظ الجمع، وأما القرآن الكريم فبلفظ الجمع فحسب كما تقدم؛ ولذلك اختلف العلماء في الميزان من حيث عدده: أهو ميزان واحد أم موازين متعددة؟ **على قولين**[٥]:

أحدهما: أنه ميزان واحد، عبَّر عنه بلفظ الجمع، باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص.

قال الألوسي: «المشهور الصحيح: أن الميزان مطلقًا واحد، وجمعه باعتبار تعدد الأوزان والموزونات»[٦]، وحكى ابن عطية الإجماع عليه[٧]، ورجحه جماعة من المتقدمين والمتأخرين[٨].

والآخر: أن الموازين متعددة، أخذًا بظاهر الآيات القرآنية الدالة على جمع الموازين.

قالوا: فيكون «لكل شخص ميزانًا أو لكل عمل ميزانًا، فيكون الجمع حقيقة»[٩]، وهو قول جماعة[١٠].

ـ المسألة الثالثة: الأشياء التي يقع عليها الوزن:

دلَّت النصوص على وزن العامل وعمله وصحيفة العمل:

أما العامل؛ فلحديث ابن مسعود؛ أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان

---

(١) أخرجه الحاكم (كتاب الأهوال، رقم ٨٧٣٩) وصححه، لكن تعقبه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦١٩)، وبيَّن أن السند ليس صحيحًا، ثم قال: «وقد رواه الآجري في الشريعة موقوفًا على سلمان، وإسناده صحيح، وله حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي».

(٢) ذكره البيهقي في الشعب (١/ ٤٤٧) [مكتبة الرشد، ط١].

(٣) انظر: زاد المسير (٣/ ١٧١) [المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ]، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ١٠٧٣).

(٤) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٤٨) مختصرًا.

(٥) انظر: رسائل الآخرة (٢/ ١١٣٤ فما بعد).

(٦) روح المعاني (٨/ ٨٥) [دار إحياء التراث، ط٤].

(٧) انظر: لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٩٥) [مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ]، والنشر الطيب على شرح الشيخ الطيب (٢/ ٢٨٤) [المطبعة الإسلامية، ط١، ١٣٥٢هـ].

(٨) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٤٧)، ولوائح الأنوار السنية (٢/ ١٩٤)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٨٦) [المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ]، وشرح حديث جبريل ـ ضمن مجموع فتاوى ابن عثيمين (٣/ ١٧٩) [دار الوطن، ط الأخيرة، ١٤١٣هـ].

(٩) فتح الباري (١٣/ ٥٤٧).

(١٠) انظر: لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٩٥)، والنشر الطيب على شرح الطيب (٢/ ٢٨٤)، وتفسير الرازي (٨/ ٢٩) [دار الفكر، ط٣، ١٤٠٥هـ]، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٩٣) [دار إحياء التراث العربي]، وأضواء البيان (٤/ ٥٨٤، ٥٨٥)، فتح القدير (٢/ ١٩١).

دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: «يا نبي الله، من دقة ساقه»، فقال: «**والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد**»[(١)].

وأما العمل؛ فلقوله ﷺ: «**ليس شيء أثقل في الميزان من خُلق حسن**»[(٢)]، وتقدم حديث: «**كلمتان خفيفتان**».

وأما صحيفة العمل؛ فلحديث صاحب البطاقة المتقدم آنفًا.

- المسألة الرابعة: وزن الكافر:

ورد نوعان من الآيات في وزن الكافر، بعضها أثبت الوزن له؛ كقول تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وبعضها نفاه؛ كقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف]. قال القرطبي عقب الآيات السابقة: «وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار»[(٣)].

وللجمع بين الآيات يقال: إن الوزن بالنسبة للكفار يوم القيامة ليس عامًّا؛ بل هو خاص بالبعض منهم؛ لأن من الكفار «من يعجل به إلى النار بغير حساب وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمٰن]»[(٤)].

ومن أهل العلم من رأى أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك، ولا منافاة بينها، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**. وقال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾»[(٥)(٦)].

- المسألة الخامسة: وقت الميزان:

إذا انقضى الحساب للعباد كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٩٨) [مؤسسة الرسالة، ط١]، وابن حبان (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، رقم ٧٠٦٩)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٥٠٦) [دار هجر، ط١]: «إسناده جيد قوي»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٧٥٠).

(٢) أخرجه أبو داود (كتاب الأدب، رقم ٤٧٩٩)، والترمذي (كتاب البر والصلة، رقم ٢٠٠٢) وقال: حسن صحيح، وأحمد (١٠/ ٤٢٧) [دار الكتاب العربي، ط١٤٠٧هـ]، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٧٧) [دار الصديق، ط٢، ١٤١٥هـ].

(٣) التذكرة (٣٥٩).

(٤) لوائح الأنوار (٢/ ٢٠٤). وانظر: رسائل الآخرة للعبيدي (٢/ ١١٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (كتاب تفسير القرآن، رقم ٤٧٢٩)، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥).

(٦) انظر: معارج القبول (٢/ ٨٤٥ فما بعدها)، وشرح الواسطية لابن عثيمين (٥٠٢، ٥٠٣).

لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها[(١)].

الحكمة:

للوزن الكائن يوم القيامة في العرصات حكم متعددة، **منها**[(٢)]:

١ ـ امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا.

٢ ـ إظهار علامة السعادة والشقاوة في الأخرى.

٣ ـ تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.

٤ ـ إقامة الحجة عليهم.

٥ ـ الإعلام بأن الله عادل لا يظلم.

مذهب المخالفين:

أنكرت الجهمية والمعتزلة البغداديون الميزان، وتأولوه بالعدل، إذ زعمت أن الأعمال أعراض لا تقوم بنفسها، وإن أمكن إعادتها لم يمكن وزنها[(٣)].

ويقال لهم: إن قلب الأعراض أعيانًا يوم القيامة داخل في نطاق القدرة الإلٰهية، والعقل السليم لا يحيل ذلك.

قال السفاريني: «نهج المعتزلة مباين لنهج الرسول؛ فإن الله تعالى قادر على تجسيم الأعراض والإتيان بها في أحسن صورة، وأقبح صورة، وهذا غير محال في العقل، وقد ثبت به النقل فوجب اعتقاده والمصير إليه»[(٤)].

أضف إلى ذلك أن الأمور الأخروية توقيفية لا مجال للعقل فيها؛ لأنها لا تعلم إلا بالوحي.

ومن شبهاتهم قولهم: إن الأعمال معلومة لله تعالى، فوزنها عبث لا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه ففعله قبيح، والرب تعالى منزه عن ذلك، ثم فسروا الميزان بالعدل والإنصاف[(٥)].

ويقال لهم: إن الله تعالى منزه عن العبث و«لعل في الوزن حكمة لم نطلع عليها، وعدم اطلاعنا على الحكمة لا يوجب العبث»[(٦)]، وقد تقدم ذكر جملة من الحكم المترتبة على الوزن.

وأما تفسيرهم الميزان بالعدل والإنصاف فباطل؛ لأنه صرف للفظ عن

---

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٣٠٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ١٧١).

(٣) انظر: لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٨٠)، ومقالات الإسلاميين (٢/ ١٦٤) [المكتبة العصرية، ١٤١١هـ]، درء التعارض (٣/ ٨٠، ٥/ ٣٤٨)، شرح ابن عيسى على النونية (١/ ٨٣)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٤٨)، وزاد المسير (٣/ ١٧٠)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٦٥)، وتفسير الطبري (٥/ ٤٣٣) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ]، وروح المعاني (٨/ ٨٤)، والنهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢٢٩) [دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨]، والتذكرة (٣١٤)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٨/ ٧٥) [مصطفى الحلبي، ط١، ١٣٨١هـ].

(٤) لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٨١).

(٥) انظر: لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٨٠)، وروح المعاني (٨/ ٨٤)، وتفسير الرازي (٥/ ٢٩).

(٦) لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٨٠).

الحقيقة إلى المجاز، وهو ممتنع.

وبنحو الشبهتين الآنفتين اعترضت الإباضية[١]، والجواب واحد.

المصادر والمراجع:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية»، لابن القيم.

٢ ـ «التذكرة في أحوال الموتى والآخرة»، للقرطبي.

٣ ـ «شرح اعتقاد أهل السُّنَّة»، للالكائي.

٤ ـ «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٥ ـ «شرح العقيدة الواسطية»، لابن عثيمين.

٦ ـ «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم.

٧ ـ «لوائح الأنوار السنية»، للسفاريني.

٨ ـ «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية.

٩ ـ «مجموع فتاوى ابن عثيمين».

١٠ ـ «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

(١) انظر: الإباضية عقيدة ومذهبًا (١٢١، ١٦٠) [دار الجيل، ١٩٨٦]، والأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية (٤٨٤) [دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٤١٤هـ]، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٦) [الندوة العالمية، ط٢، ١٤٠٩هـ].

(٢) ينظر: لسان العرب (١٥/ ٢٩٠) [دار صادر].

ميكائيل

التعريف لغةً:

ميكائيل اسم، يقال: هو (ميكا) أضيف إلى (إيل)، وميكائين بالنون لغة، يهمز ولا يهمز، ويقال: ميكال وهو لغة[٢]، وفي اسمه عليه السلام لغات عدة[٣].

التعريف شرعًا:

ملك من الملائكة الكرام؛ بل من أعيانهم، ورد ذكره في القرآن والسُّنَّة، وهو ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، وله وظائف يقوم بها بأمر الله سبحانه وتعالى[٤].

الحكم:

الإيمان بميكائيل واجب ويدخل في عموم وجوب الإيمان بالملائكة، الذي هو الركن الثاني من أركان الإيمان.

المنزلة:

ميكائيل من أعيان الملائكة عليهم السلام، ولا شكَّ في أن تخصيص الله تعالى، وتخصيص رسوله صلى الله عليه وسلم ميكائيل بالذكر يدل على المنزلة العظيمة، والمكانة الرفيعة التي له عليه السلام.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٢/ ٢٦٤) [مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ].

(٤) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٦٢) [مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٣٢هـ].

۞ الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وميكائيل داخل في عموم الملائكة أيضًا ورد ذكره عليه السلام في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة]، حيث بيَّن تعالى أن من عادى جبريل أو ميكائيل فقد عادى الله عز وجل.

كما ذكره النبي ﷺ في دعائه الذي كان يفتتح به صلاة الليل فقال: «**اللَّهُمَّ رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة**»[1]، وعن سمُرة بن جندب رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت الليلة رجلين أتياني، فقالا: الذي يوقد النار: مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل**»[2].

۞ المسائل المتعلقة:

- المسألة الأولى: فضل ميكائيل:

ميكائيل عليه السلام ذو مكانه عالية، ومنزلة رفيعة عند ربه، ولذا خصَّه الله بالذكر مع جبريل في قوله جل جلاله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة]، وعطفهما على الملائكة، مع أنهما من جنسهم لشرفهما، من قبيل عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا في الملائكة، ثم عموم الرسل، ثم خصّصا بالذكر[3]. أيضًا فإن في تخصيص النبي ﷺ له مع جبريل وإسرافيل في دعائه الذي كان يفتتح به صلاة الليل فيقول: «**اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة**»[4] دلالة على فضل وتشريف الثلاثة على سائر الملائكة[5].

- المسألة الثانية: وظيفته:

ميكائيل عليه السلام موكل بالقطر والغيث، لما ثبت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام على أي شي ميكائيل فقال: «على النبات والقطر»[6]، وهناك ملائكة تزجر السحاب وتسوقه، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ

---

(١) أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم ٧٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق، رقم ٣٢٣٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/٣٤٦) [دار طيبة، ط٤، ١٤٢٨هـ].

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ينظر: عون المعبود (٢/٤٧١) [دار الفكر، ط٣، ١٣٩٩هـ].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (٤٦٢) [مكتبة الرشد، ط١]، والطبراني في الكبير (١١/٣٧٩) [مكتبة ابن تيمية، ط٢]، وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٩) [مكتبة القدسي]: فيه محمد بن أبي ليلى، وقد وثقه جماعة، ولكنه سيِّئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

زَجْرًا ﴿٢﴾ [الصافات]، وعلى ذلك فإنهم من أتباع ميكائيل عليه السلام.

- **المسألة الثالثة: خصائصه** عليه السلام:

نزوله مع جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، كما حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أتاني جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ سبعة أحرف، كلها شاف كاف**»[(١)].

ومن خصائص ميكائيل: قتاله ومدافعته عن الرسول صلى الله عليه وسلم هو وجبريل عليه السلام يوم أُحد، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أُحد رجلين عليهما ثياب بياض، ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل عليهما السلام» وفي رواية: «يقاتلان عنه كأشد القتال»[(٢)].

المصادر والمراجع:

١ - «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة»، لنخبة من العلماء.

٢ - «البداية والنهاية» (ج١)، لابن كثير.

٣ - «الجامع لشعب الإيمان» (ج١)، للبيهقي.

٤ - «الحبائك في أخبار الملائك»، للسيوطي.

٥ - «شرح العقيدة الطحاوية»، لابن أبي العز.

٦ - «عالم الملائكة الأبرار»، لعمر الأشقر.

٧ - «لوامع الأنوار البهية» (ج١)، للسفاريني.

٨ - «معارج القبول» (ج٢)، للحكمي.

٩ - «المنهاج في شعب الإيمان» (ج١)، للحليمي.

١٠ - «معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين»، لمحمد العقيل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه النسائي (كتاب الافتتاح، رقم ٩٤١)، وأحمد (٣٥/ ٦٩) [مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٩]، والضياء في المختارة (٣/ ٣٣٥) [دار خضر، ط٣]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٨٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (كتاب الفضائل، رقم ٢٣٠٦).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
حرف الميم	٢٥٨١
المؤخِّر	٢٥٨١
المؤمن	٢٥٨١
الماجد	٢٥٨٤
مالك	٢٥٨٤
المالك	٢٥٨٦
مالك الملك	٢٥٨٦
مالك الناس	٢٥٨٦
مالك يوم الدين	٢٥٨٧
المانع	٢٥٨٧
مباينة الله	٢٥٨٧
المُبِين	٢٥٨٧
المتانة	٢٥٨٩
المتعال	٢٥٨٩
المتكبر	٢٥٨٩
المتكلم	٢٥٩٣
المتين	٢٥٩٣
المثل الأعلى	٢٥٩٦
المجد	٢٥٩٩
المجيء والإتيان	٢٥٩٩
المجيد	٢٦٠٥
محاسبة الكفار	٢٦٠٩
المحب	٢٦٠٩
المحبة	٢٦٠٩
المُحَدَّث	٢٦١٤
المُحْسِن	٢٦٢٢
المُحكم والمتشابه	٢٦٢٥
محمد ﷺ	٢٦٣١
المحو والثبات	٢٦٥٣
المُحيي	٢٦٥٣
المدح	٢٦٥٣
المُذل	٢٦٥٩
مراتب المؤمنين	٢٦٥٩
المراقبة	٢٦٦٩
مرتكب الكبيرة	٢٦٧٤
المرشد	٢٦٧٤
المريد	٢٦٧٤
مريم عليها السلام	٢٦٧٤
المستعان	٢٦٧٨
مستقر الأرواح	٢٦٧٩
المسح	٢٦٧٩
المُسَعِّر	٢٦٨٢
مسلمة الفتح	٢٦٨٤
المسيح الدجال	٢٦٨٤
المشيئة	٢٦٩٨
مشيئة العبد	٢٧٠٤
مشيئة الله	٢٧٠٦
مصادر التلقي عند أهل السُّنَّة	٢٧١١
المُصوِّر	٢٧١٨
المضاف إلى الله تعالى	٢٧٢٢
مطلق الإيمان	٢٧٢٦
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما	٢٧٢٦
المعجزة	٢٧٤١
المُعِزّ	٢٧٥٠
المُعطي المانع	٢٧٥٠
معيَّة الله عز وجل	٢٧٥٧
المُعين	٢٧٦٤
المُغني	٢٧٦٦
المُغيث	٢٧٦٦
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه	٢٧٦٩